

فهرست الجلد الاول من تفسير القاضي

﴿ تفسير القاضي البيضاوي ﴾

الجزء الاول من تفسير انوار التنزيل * واسرار التأويل * تأليف امام المحققين * وقدوة اجلاء المدققين * القاضي ناصر الدين ابي الخير عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي * والبيضاء قرية من اعمال شيراز توفي سنة احدى و تسعين و سبعمائة *
و بهامشه تفسير الجلالين تأليف العلامة جلال الدين محمد بن احمد المحلي الشافعي رضي الله عنهم
ونفعنا الله بهم آمين

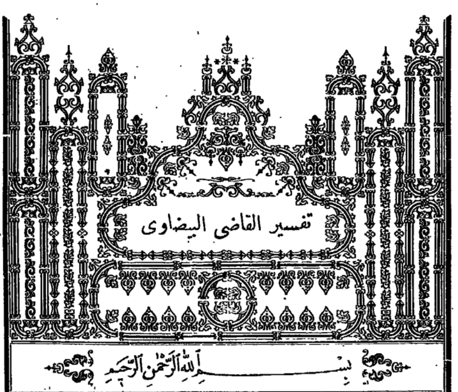


معارف عموميه نظارت جليله‌سنك ٢٥٧ نومرو وفي ٢٧ محرم سنه ١٣١٦
وفي ٢٦ مايس سنه ١٣١٤ تاريخلي رخصتنامه‌سي حائزدر

درسعادت



١٣١٤



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا * فتحدى
باقصر سورة من سوره مصاقع الخطباء من العرب العرباء فلم يجد به
قديرا * وافحم من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان
حتى حسبوا انهم سحروا تسحيرا * ثم بين للناس ما نزل اليهم حسب
ما عن لهم من مصالحهم ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب تذكيرا *
فكشف لهم قناع الانغلاق عن آيات محكمات هن ام الكتاب * واخر
متشابهات هن رموز الخطاب * تأويلا وتفسيرا * وابرز غوامض الحقائق
* ولطائف الدقائق * ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت وخبايا قدس
الجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا * ومهد لهم قواعد الاحكام واوضاعها *
من نصوص الآيات والماعها * ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا *
فمن كان له قلب اوالقى السمع وهو شهيد * فهو فى الدارين حميد وسعيد *
ومن لم يرفع اليه رأسه * و اطفأ نبراسه * يعش ذميما و يصل سعيرا *
فياواجب الوجود * ويافائض الجود * وياغاية كل مقصود * صل عليه صلوة
توازى غناءه * وتجازى عناءه * وعلى من اعانه وقرر بنيانه تقريرا * وافض
علينا من بركاتهم * واسلك بنا مسالك كراماتهم * وسلم عليهم وعلينا تسليما كثيرا
﴿ وبعد ﴾ فان اعظم العلوم مقدارا * وارفعها شرفا ومنارا * علم التفسير
الذى هو رئيس العلوم الدينية ورأسها * ومبنى قواعد الشرع واساسها *

(لايليق)

﴿ تفسير الجلالين ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله حمدا موافيا لنعمه
مكافئا لمزيده * والصلوة
والسلام على سيدنا محمد وآله
وصحبه وجنوده * هذا
ما اشتدت اليه حاجة الراغبين *
فى تكملة تفسير القرآن الكريم
الذى الفه الامام العلامة
المحقق جلال الدين * محمد بن
احمد المحلى الشافعى رحمه الله
وتتميم ما فاته وهو من اول
سورة البقرة الى آخر الاسراء
بتتمة على نمطه من ذكر
ما يفهم به كلام الله تعالى
والاعتماد على ارجح الاقوال
واعراب ما يحتاج اليه وتنبيه
على القراآت المختلفة المشهورة
على وجه لطيف وتعبير
وجيز وترك التطويل بذكر
اقوال غير مرضية *
واعاريب محلها كتب
العربية * والله اسأل النفع
به فى الدنيا واحسن الجزاء
عليه فى العقبى بمنه وكرمه

لايليق لتعاطيه* والتصدى للتكلم فيه * الامن برع فى العلوم الدينية كلها اصولها*وفروعها * وفاق فى الصناعات العربية * والفنون الادبية * بانواعها* ولطال ما احدث نفسى ان اصنف فى هذا الفن كتابا يحتوى على صفوة ما بلغنى من عظماء الصحابة وعلماء التابعين * ومن دونهم من السلف الصالحين * وينطوى على نكت بارعة * ولطائف رائعة * استنبطتها انا ومن قبلى من افاضل المتاخرين * واماثل المحققين * ويعرب عن وجوه القراآت المعزية الى الائمة الثمانية المشهورين * والشواذ المروية عن القراء المعتبرين * الاان قصور بضاعتى يثبطنى عن الاقدام * ويمنعنى عن الانتصاب فى هذا المقام * حتى سنح لى بعد الاستخارة ماصمم به عزمى على الشروع فيما اردته * والاتيان بما قصدته * ناويا ان اسميه بعد ان اتممه بانوار التنزيل * واسرار التأويل * فها انا الآن اشرع وبحسن توفيقه اقول * وهو الموفق لكل خير و معطى كل مسئول *

(سورة فاتحة الكتاب) وتسمى ام القرآن لانها مفتتحه ومبدأه فكأنها اصله ومنشأه ولذلك تسمى اساسا اولانها تشتمل على مافيه من الثناء على الله سبحانه وتعالى والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التى هى سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وسورة الكنز والوافية والكافية لذلك وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة لاشتمالها عليها والصلوة لوجوب قراءتها اواستحبابها فيها والشافية والشفاء لقوله عليه الصلوة والسلام *هى شفاء من كل داء* والسبع المثانى لانها سبع آيات بالاتفاق الا ان منهم من عد التسمية دون انعمت عليهم ومنهم من عكس وتثنى فى الصلوة اوالانزال ان صح انها نزلت بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة حين حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى * ولقد آتيناك سبعا من المثانى * وهو مكى بالنص

(بسم الله الرحمن الرحيم) من الفاتحة ومن كل سورة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك رحمه الله تعالى والشافعى وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك والاوزاعى ولم ينص ابو حنيفة رحمه الله تعالى فيه بشئ فظن انها ليست من السورة عنده وسئل محمد بن الحسن عنها فقال مابين الدفتين كلام الله تعالى ولنا احاديث كثيرة

(فاتحة الكتاب مكية سبع آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله) جملة خبرية قصد بها الثناء على الله بمضمونها من انه تعالى مالك لجميع الحمد من الخلق اومستحق لان يحمدوه والله علم على المعبود بحق (رب العالمين) اى مالك جميع الخلق من الانس والجن والملائكة والدواب وغيرهم وكل منها يطلق عليه عالم يقال عالم الانس وعالم الجن الى غير ذلك وغلب فى جمعه بالياء والنون اولوا العلم على غيرهم وهو من العلامة لانه علامة على موجده (الرحمن الرحيم) اى ذى الرحمة وهى ارادة الخير لاهله (ملك يوم الدين) اى الجزاء وهو يوم القيامة وخص بالذكر لانه لاملك ظاهرا فيه لاحد الا الله تعالى بدليل لمن الملك اليوم لله ومن قرأ مالك فمعناه مالك الامر كله فى يوم القيامة اوهو موصوف بذلك دائما كغافر الذنب فصح وقوعه صفة للمعرفة (اياك نعبد واياك نستعين) اى نخصك بالعبادة من توحيد وغيره ونطلب المعونة على العبادة

منها ماروى ابوهريرة رضى الله تعالى عنه انه عليه الصلوة والسلام قال فاتحة الكتاب سبع آيات اوليهن بسم الله الرحمن الرحيم. وقول ام سلمة رضى الله عنها قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية ومن اجلهما اختلف فى انها آية برأسها ام بما بعدها والاجماع على ان مابين الدفتين كلام الله سبحانه وتعالى والوفاق على اثباتها فى المصاحف مع المبالغة فى تجريد القرآن حتى لم تكتب آمين * والباء متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله اقرأ لان الذى يتلوه مقرو وكذلك يضمر كل فاعل مايجعل التسمية مبدأ له وذلك اولى من ان يضمر ابدأ لعدم مايطابقه ومايدل عليه او ابتدائى لزيادة اضمار فيه وتقديم المعمول ههنا اوقع كما فى قوله * بسم الله مجريها * وقوله * اياك نعبد * لانه اهم وادل على الاختصاص وادخل فى التعظيم واوفق للوجود فان اسمه سبحانه وتعالى مقدم على القراءة كيف لاوقد جعل آلة لها من حيث ان الفعل لايتم ولايعتد به شرعا مالم يصدر باسمه تعالى لقوله عليه الصلوة والسلام * كل امر ذى بال لايبدأ فيه ببسم الله فهو ابتر * وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبركا باسم الله تعالى اقرأ وهذا ومابعده مقول على السنة العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد على نعمه ويسئل من فضله وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر تفصلة بينهما وبين لام الابتداء والاسم عند اصحابنا البصريين من الاسماء التى حذفت اعجازها لكثرة الاستعمال وبنيت اوائلها على السكون وادخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل لان من دأبهم ان يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن ويشهد له تصريفه على اسماء واسامى وسمى وسميت ومجيء سمى كهدى لغة فيه قال * والله اسماك سمى مباركا * آثرك الله به ايثاركا * والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى وشعار له * ومن السمة عند الكوفيين واصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلاله ورد بان الهمزة لم تعهد داخلة على ماحذف صدره فى كلامهم ومن لغاته سم وسم قال * بسم الذى فى كل سورة سمه * والاسم ان اريد به اللفظ فغير المسمى لانه يتألف من اصوات مقطعة غيرقارة ويختلف باختلاف الامم والاعصار

وغيرها (اهدنا الصراط المستقيم) اى ارشدنا اليه ويبدل منه (صراط الذين انعمت عليهم) بالهداية ويبدل من الذين بصلته (غير المغضوب عليهم) وهم اليهود (ولا) وغير (الضالين) وهم النصارى ونكتة البدل افادة ان المهتدين ليسوا يهود ولا نصارى والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما ابدا وحسبنا الله ونعم الوكيل ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم

﴿ سورة البقرة مدنية مائتان وست او سبع وثمانون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الم) الله اعلم بمراده بذلك (ذلك) اى هذا (الكتاب) الذى يقرؤه محمد (لاريب) شك (فيه) انه من عند الله وجملة النفى خبر مبتدؤه ذلك والاشارة به للتعظيم (هدى) خبر ثان اى هاد (للمتقين) الصائرين الى التقوى بامتثال الاوامر واجتناب النواهى لاتقائهم بذلك النار (الذين

ويتعدد تارة ويتحد اخرى والمسمى لايكون كذلك وان اريد به ذات الشئ فهو المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى وقوله تعالى * تبارك اسم ربك * وسبح اسم ربك * المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته سبحانه وتعالى وصفاته عن النقائص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب او الاسم فيه مقحم كما فى قول الشاعر * الى الحول ثم اسم السلام عليكما * وان اريد به الصفة كما هو رأى الشيخ ابى الحسن الاشعرى انقسم انقسام الصفة عنده الى ماهو نفس المسمى والى ما هو غيره والى ماليس هو ولا غيره وانما قال بسم الله ولم يقل بالله لان التبرك والاستعانة بذكر اسمه اوللفرق بين اليمين والتيمن ولم تكتب الالف على ماهو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا عنها والله اصله اله فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف واللام ولذلك قيل ياالله بالقطع الا انه يختص بالمعبود بالحق والاله فى اصله لكل معبود ثم غلب على المعبود بالحق واشتقاقه من اله الهة والوهة والوهية بمعنى عبد ومنه تأله واستأله وقيل من اله اذا تحير لان العقول تحير فى معرفته او من الهت الى فلان اى سكنت اليه لان القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن الى معرفته اومن اله اذا فزع من امر نزل عليه وآلهه غيره اجاره اذ العائذ يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او بزعمه اومن اله الفصيل اذا اولع بامه اذ العباد يولعون بالتضرع اليه فى الشدائد اومن وله اذا تحير وتخبط عقله وكان اصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضمة فى وجوه فقيل اله كاعاء واشاح ويرده الجمع على آلهة دون اولهة وقيل اصله لاه مصدر لاه يليه ليها ولاها اذا احتجب وارتفع لانه سبحانه وتعالى محجوب عن ادراك الابصار ومرتفع عن كل شئ ممالايليق به ويشهد له قول الشاعر * كحلفة من ابى رباح * يشهدها لاهه الكبار * وقيل علم لذاته المخصوصة لانه يوصف ولايوصف به ولانه لابد له من اسم تجرى عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه ولانه لوكان وصفا لم يكن قول لااله الاالله توحيدا مثل لا اله الا الرحمن فانه لايمنع الشركة والاظهر انه وصف فى اصله لكنه لما غلب عليه بحيث لايستعمل فى غيره وصار له كالعلم مثل الثريا والصعق اجرى مجراه فى اجراء الاوصاف عليه وامتناع الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة اليه لان ذاته من حيث هو بلااعتبار

يؤمنون) يصدقون (بالغيب) بماغاب عنهم من البعث والجنة والنار (ويقيمون الصلوة) اي يأتون بها بحقوقها (ومما رزقناهم) أعطيناهم (ينفقون) فى طاعة الله (والذين يؤمنون بما أنزل اليك) أى القرآن (وما أنزل من قبلك) أى التوراة والانجيل وغيرهما (وبالآخرة هم يوقنون) يعلمون (اولئك) الموصوفون بما ذكر (على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون) الفائزون بالجنة الناجون من النار (ان الذين كفروا) كأبى جهل وأبى لهب ونحوهما (سواء عليهم أأنذرتهم) بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية ألفا وتسهيلها وادخال الف بين المسهلة والاخرى وتركه (أم لم تنذرهم لايؤمنون) لعلم الله منهم ذلك فلاتطمع فى ايمانهم والانذار اعلام مع تخويف (ختم الله على قلوبهم) طبع عليها واستوثق فلايدخلها خير (وعلى سمعهم) أى مواضعه فلاينتفعون بما يسمعونه من الحق (وعلى أبصارهم

امر آخر حقيقى اوغيره غير معقول للبشر فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ ولانه لو دل على مجرد ذاته المخصوص لماافاد ظاهر قوله سبحانه وتعالى *وهو الله فى السموات* معنى صحيحا ولان معنى الاشتقاق هو كون احد اللفظين مشاركا للآخر فى المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصول المذكورة وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام عليه وتفخيم لامه اذا انفتح ماقبله او انضم سنة وقيل مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به الصلوة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر * الا لابارك الله فى سهيل * اذا ماالله بارك فى الرجال * والرحمن الرحيم اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم والرحمة فى اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضى التفضل والاحسان ومنه الرحم لانعطافها على مافيها واسماء الله تعالى انما تؤخذ باعتبار الغايات التى هى افعال دون المبادى التى تكون انفعالات والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى كما فى قطع وقطع وكبار وكبار وذلك انما تؤخذ تارة باعتبار الكمية واخرى باعتبار الكيفية فعلى الاول قيل يارحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لانه يخص المؤمن وعلى الثانى قيل يارحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها جسام واما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما قدم والقياس يقتضى الترقى من الادنى الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث انه لايوصف به غيره لان معناه المنعم الحقيقى البالغ فى الرحمة غايتها وذلك لايصدق على غيره لان من عداه فهو مستفيض بلطفه وانعامه يريد به جزيل ثواب اوجميل ثناء او يزيح رقة الجنسية اوحب المال عن القلب ثم انه كالواسطة فى ذلك لان ذات النعم ووجودها والقدرة على ايصالها والداعية الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع بها والقوى التى بها يحصل الانتفاع الى غير ذلك من خلقه لايقدر عليها احد غيره اولان الرحمن لما دل على جلائل النعم واصولها ذكر الرحيم ليتناول ماخرج منها فيكون كالتتمة والرديف له اوللمحافظة على رؤس الآى والاظهر انه غير مصروف وان حظر اختصاصه بالله تعالى ان يكون له مؤنث على فعلى اوفعلانة الحاقا له بما هو الغالب فى بابه وانما خص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان به فى مجامع الامور

غشاوة) غطاء فلا يبصرون الحق (ولهم عذاب عظيم) قوى دائم * ونزل فى المنافقين (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر) أى يوم القيامة لانه آخر الايام (وماهم بمؤمنين) روعى فيه معنى من وفى ضمير يقول لفظها (يخادعون الله والذين آمنوا) باظهار خلاف ما أبطنوه من الكفر ليدفعوا عنهم أحكامه الدنيوية (ومايخادعون الا أنفسهم) لان وبال خداعهم راجع اليهم فيفتضحون فى الدنيا باطلاع الله نبيه على ما أبطنوه ويعاقبون فى الآخرة (وما يشعرون) يعلمون أن خداعهم لانفسهم والمخادعة هنا من واحد كعاقبت اللص وذكر الله فيها تحسين وفى قراءة ومايخدعون (فى قلوبهم مرض) شك ونفاق فهو يمرض قلوبهم أى يضعفها (فزادهم الله مرضا) بما أنزله من القرآن لكفرهم به (ولهم عذاب أليم) مؤلم (بما كانوا يكذبون) بالتشديد أى نبى الله وبالتخفيف أى

هو المعبود الحقيقى الذى هو مولى النعم كلهـا عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها فيتوجه بشراشره الى جناب القدس ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره (الحمد لله) الحمد هو الثناء على الجميل الاختيارى من نعمة اوغيرها والمدح هو الثناء على الجميل مطلقا تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا قال * افادتكم النعماء منى ثلاثة * يدى ولسانى والضمير المحجبا * فهو اعم منهما من وجه واخص من آخر ولما كان الحمد من شعب الشكر اشيع للنعمة وادل على مكانها لخفاء الاعتقاد وما فى آداب الجوارح من الاحتمال جعل رأس الشكر والعمدة فيه فقال عليه الصلوة والسلام * الحمد رأس الشكر ماشكر الله من لم يحمده * والذم نقيض الحمد والكفران نقيض الشكر ورفعه بالابتداء وخبره لله واصله النصب وقد قرئ وانما عدل عنه الى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر التى تنصب بافعال مضمرة لاتكاد تستعمل معهـا والتعريف فيه للجنس ومعنـاه الاشارة الى مايعرفه كل احد ان الحمد ماهو اوللاستغراق اذ الحمد فى الحقيقة كله له اذ مامن خير الاوهو موليه بوسط اوبغير وسط كما قال * ومابكم من نعمة فمن الله * وفيه اشعار بانه تعـالى حى قادر مريد عالم اذ الحمد لايستحقه الامن كان هذا شأنه وقرئ الحمد لله باتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلا لهمـا من حيث انهما يستعملان معا منزلة كلمة واحدة (رب العالمين) الرب فى الاصل مصدر بمعنى التربية وهى تبليغ الشئ الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت من ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم فهو نم ثم سمى به المالك لانه يحفظ مايملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الامقيدا كقوله * ارجع الى ربك * والعالم اسم لما يعلم به الصانع وهو كل ماسواه من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وانما جمعه ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون كسائر اوصافهم وقيل اسم وضع لذوى العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل عنى به الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر ما فى العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم

فى قولهم آمنا (واذا قيل لهم) اى لهؤلاء (لا تفسـدوا فى الارض) بالكفر والتعويق عن الايمـان (قالوا انمـا نحن مصلحون) وليس مانحن فيه بفسـاد قال الله تعـالى ردا عليهم (الا) للتنبيه (انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) بذلك (واذا قيـل لهم آمنوا كما آمن النـاس) اصحـاب النبى (قالوا انؤمن كما آمن السفهاء) الجهـال اى لا نفعل كفعلهم قال تعالى ردا عليهم (الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) ذلك (واذا لقوا) اصله لقيوا حذفت الضمة للاستثقـال ثم اليـاء لالتقائها سـاكنة مع الواو (الذين آمنـوا قالوا آمنا واذا خلوا) منهم ورجعوا (الى شـياطينهم) رؤسـائهم (قالوا انا معكم) فى الدين (انمـا نحن مستهزؤن) بهم باظهار الايمان (الله يستهزئ بهم) يجـازيهم باستهزائهم (ويمدهم) يمهلهم (فى طغيانهم) بتجـاوزهم الحـد بالكفر (يعمهون) يترددون تحـيرا حال (اولئك الذين اشـتروا الضـلالة بالهـدى) اى

بها الصانع كما يعلم بما ابدعه فى العالم ولذلك سوى بين النظر فيهما وقال تعالى * وفى انفسكم افلاتبصرون * وقرئ رب العالمين بالنصب على المدح او النداء او بالفعل الذى دل عليه الحمد وفيه دليل على ان الممكنات كما هى مفتقرة الى المحدث حال حدوثها فهى مفتقرة الى المبقى حال بقائها (الرحمن الرحيم) كرره للتعليل على ما سنذكره (مالك يوم الدين) قرأه عاصم والكسائى ويعقوب ويعضده قوله تعالى * يوم لاتملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله * وقرأ الباقون ملك وهو المختار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله * لمن الملك اليوم * ولما فيه من التعظيم والمالك هو المتصرف فى الاعيان المملوكة كيف شاء من الملك والملك هو المتصرف بالامر والنهى فى المأمورين من الملك وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الفعل ومالكا بالنصب على المدح او الحال ومالك بالرفع منونا ومضافا على انه خبر مبتدأ محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة * ولم يبق سوى العدوا * ن دناهم كما دانوا * اضاف اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول به على الاتساع كقولهم ياسارق الليلة اهل الدار ومعناه ملك الامور يوم الدين على طريقة * ونادى اصحاب الجنة * اوله الملك فى هذا اليوم على وجه الاستمرار لتكون الاضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالاضافة اما لتعظيمه او لتفرده تعالى بنفوذ الامر فيه واجراء هذه الاوصاف على الله تعالى من كونه موجدا للعالمين ربا لهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها وآجلها مالكا لامورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة على انه الحقيق بالحمد لا احد احق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له وللاشعار من طريق المفهوم على ان من لم يتصف بتلك الصفات لايستأهل لان يحمد فضلا عن ان يعبد ليكون دليلا على مابعده فالوصف الاول لبيان ماهو الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية والثانى والثالث للدلالة على انه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لايجاب بالذات او وجوب عليه قضية بسوابق الاعمال حتى يستحق به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص فانه مما لا يقبل الشركة وتضمين الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين

استبدلوها به (فما ربحت تجارتهم) اى ما ربحوا فيها بل خسروا لمصيرهم الى النار المؤبدة عليهم (وما كانوا مهتدين) فيما فعلوا (مثلهم) صفتهم فى نفاقهم (كمثل الذى استوقد) اوقد (نارا) فى ظلمة (فلما اضاءت) انارت (ما حوله) فابصر واستدفأ وامن مما يخافه (ذهب الله بنورهم) اطفأه وجمع الضمير مراعاة لمعنى الذى (وتركهم فى ظلمات لايبصرون) ما حولهم متحيرين عن الطريق خائفين فكذلك هؤلاء آمنوا باظهار كلمة الايمان فاذا ماتوا جاءهم الخوف والعذاب هم (صم) عن الحق فلايسمعونه سماع قبول (بكم) خرس عن الخير فلا يقولونه (عمى) عن طريق الهدى فلا يرونه (فهم لايرجعون) عن الضلالة (او) مثلهم (كصيب) اى كاصحاب مطر واصله صيوب من صاب يصوب اى ينزل (من السماء) السحاب (فيه) اى السحاب (ظلمات) متكاثفة (ورعد) هو الملك الموكل به وقيل صوته (وبرق)

﴿اياك نعبد واياك نستعين﴾ ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات عظام
تميز بها عن سائر الذوات تعلق العلم بمعلوم معين فخوطب بذلك اى
يامن هذا شأنه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون ادل على الاختصاص
وللترقى من البرهان الى العيان والانتقال من الغيبة الى الشهود وكان المعلوم
صار عيانا والمعقول مشاهدا والغيبة حضورا بنى اول الكلام على ماهو
مبادى حال العارف من الذكر والفكر والتأمل فى اسمائه والنظر فى آلائه
والاستدلال بصنائعه على عظيم شانه وباهر سلطانه ثم قفى بما هو منتهى
امره وهو ان يخوض لجة الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه
عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين الى العين دون السامعين
للاثر ومن عادة العرب التفنن فى الكلام والعدول من اسلوب الى آخر
تطرية له وتنشيطا للسامع فتعدل من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم
وبالعكس كقوله تعالى * حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم * وقوله
* والله الذى ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه * وقول امرىء القيس *

تطاول ليلك بالاثمد * ونام الخلى ولم ترقد * وبات وباتت له ليلة *
كليلة ذى العائر الارمد * وذلك من نبأ جاءنى * وخبرته عن ابى الاسود *

وايا ضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف زيدت
لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء فى انت
والكاف فى ارأيتك وقال الخليل ايا مضاف اليها واحتج بما حكاه عن بعض
العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه وقيل
هى الضمائر وايا عمدة فانها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة
فضم اليها ايا لتستقل به وقيل الضمير هو المجموع وقرىء اياك بفتح الهمزة
وهياك بقلبها هاء * والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد
اى مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان فى غاية الصفاقة ولذلك لا تستعمل الا فى الخضوع
لله تعالى والاستعانة طلب المعونة وهى اما ضرورية اوغير ضرورية
والضرورية ما لا يأتى الفعل دونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول
آلة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها يوصف الرجل بالاستطاعة
ويصح ان يكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويسهل
كالراحلة فى السفر للقادر على المشى او يقرب الفاعل الى الفعل ويحثه عليه
وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة فى المهمات

لمعان سوطه الذى يزجره به
(يجعلون) اى اصحاب
الصيب (اصابعهم) اى
اناملها (فى آذانهم من) اجل
(الصواعق) شدة صوت
الرعد لئلا يسمعوها (حذر)
خوف (الموت) من سماعها
كذلك هؤلاء اذا انزل القرآن
وفيه ذكر الكفر المشبه
بالظلمات والوعيد عليه المشبه
بالرعد والحجج البينة المشبهة
بالبرق يسدون آذانهم لئلا
يسمعوه فيميلوا الى الايمان
وترك دينهم وهو عندهم
موت (والله محيط بالكافرين)
علما وقدرة فلا يفوتونه (يكاد)
يقرب (البرق يخطف
ابصارهم) يأخذها بسرعة
(كلما اضاء لهم مشوا فيه)
اى فى ضوئه (واذا اظلم
عليهم قاموا) وقفوا تمثيل
لازعاج ما فى القرآن من الحجج
قلوبهم وتصديقهم لما سمعوا
فيه مما يحبون ووقوفهم
عما يكرهون (ولو شاء الله
لذهب بسمعهم) بمعنى اسماعهم
(وابصارهم) الظاهرة
كما ذهب بالباطنة (ان الله على
كل شىء) شاءه (قدير) ومنه

كلها او فى اداء العبادات والضمير المستكن فى الفعلين للقارئ ومن معه من الحفظة وحاضرى صلوة الجماعة اوله ولسائر الموحدين ادرج عبادته فى تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ماهو مقدم فى الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغى ان يكون نظره الى المعبود اولا وبالذات ومنه الى العبادة لامن حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصلة سنية بينه و بين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق فى ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه حتى انه لايلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها الامن حيث انها ملاحظة له ومنتسبة اليه ولذلك فضل ماحكى الله عن حبيبه حيث قال * لاتحزن ان الله معنا * على ماحكاه عن كليمه حيث قال * ان معى ربى سيهدين * وكرر الضمير للتنصيص على انه المستعان به لا غير وقدمت العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤس الآى ويعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة واقول لما نسب المتكلم العبادة الى نفسه اوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله * واياك نستعين * ليدل على ان العبادة ايضا مما لايتم ولا يستتب له الا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرئ بكسر النون فيهما وهى لغة بنى تميم فانهم يكسرون حروف المضارعة سوى الياء اذا لم ينضم مابعدها (اهدنا الصراط المستقيم) بيان للمعونة المطلوبة فكأنه قال كيف اعينكم فقالوا اهدنا وافراد لما هو المقصود الاعظم والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل فى الخير وقوله تعالى * فاهدوهم الى صراط الجحيم * وارد على التهكم ومنه الهدية وهوادى الوحش لمقدماتها والفعل منه هدى واصله ان يعدى باللام او الى فعومل معاملة اختار فى قوله تعالى * واختار موسى قومه * وهداية الله تعالى تتنوع انواعا لايحصيها عد كما قال تعالى * وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها * ولكنها تنحصر فى اجناس مترتبة * الاول افادة القوى التى بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية * والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة * والثانى نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه اشار

اذهاب ماذكر (ياايها الناس) اى اهل مكة (اعبدوا) وحدوا (ربكم الذى خلقكم) انشأكم ولم تكونوا شيئا (و) خلق (الذين من قبلكم لعلكم تتقون) بعبادته عقابه ولعل فى الاصل للترجى وفى كلامه تعالى للتحقيق (الذى جعل) خلق (لكم الارض فراشا) حال بساطا يفترش لاغاية فى الصلابة اواللیونة فلايمكن الاستقرار عليها (والسماء بناء) سقفا (وانزل من السماء ماء فاخرج به من) انواع (الثمرات رزقا لكم) تأكلونه وتعلفون به دوابكم (فلاتجعلوا لله اندادا) شركاء فى العبادة (وانتم تعلمون) انه الخالق ولا يخلقون ولا يكون الها الا من يخلق (وان كنتم فى ريب) شك (مما نزلنا على عبدنا) محمد من القرآن انه من عند الله (فأتوا بسورة من مثله) اى المنزل ومن للبيان اى هى مثله فى البلاغة وحسن النظم والاخبار عن الغيب والسورة قطعة لها اول وآخر اقلها ثلاث آيات (وادعوا شهداءكم) آلهتكم

حيث قال * وهديناه النجدين * وقال * فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى *
والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله
* وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا * وقوله * ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم *
والرابع ان يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هى بالوحى
او الالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنيله الانبياء والاولياء واياه
عنى بقوله * اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده * وقوله * والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا * فالمطلوب اما زيادة ما منحوه من الهدى او الثبات
عليه او حصول المراتب المرتبة عليه فاذا قاله العارف بالله الواصل عنى به
ارشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات احوالنا وتميط غواشى
ابداننا لنستضئ بنور قدسك فنراك بنورك والامر والدعاء يتشاركان
لفظا ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة والسراط من سرط
الطعام اذا ابتلعه فكأنه يسرط السابلة ولذلك سمى لقما لانه يلتقمهم
والصراط من قلب السين صادا ليطابق الطاء فى الاطباق وقد يشم الصاد
صوت الزاى ليكون اقرب الى المبدل منه وقرأ ابن كثير برواية قنبل عنه
ورويس عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام والباقون بالصاد وهو لغة
قريش والثابت فى الامام وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق فى التذكير
والتأنيث والمستقيم المستوى والمراد به طريق الحق وقيل هو ملة الاسلام
(صراط الذين انعمت عليهم) بدل من الاول بدل الكل وهو فى حكم
تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التوكيد والتنصيص
على ان طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على آكد وجه وابلغه
لانه جعل كالتفسير والبيان له فكأنه من البين الذى لا خفاء فيه ان الطريق
المستقيم ما يكون طريق المؤمنين * وقيل الذين انعمت عليهم الانبياء
وقيل اصحاب موسى وعيسى عليهما الصلوة والسلام قبل التحريف والنسخ
وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهى فى الاصل
الحالة التى يستلذها الانسان فاطلقت لما يستلذه من النعمة وهى اللين
ونعم الله وان كانت لا تحصى كما قال * وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها *
تحصر فى جنسين دنيوى واخروى والاول قسمان موهبى وكسبى
والموهبى قسمان روحانى كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى
كالفهم والفكر والنطق وجسمانى كتخليق البدن والقوى الحالة

التى تعبدونها (من دون الله)
اى غيره لتعينكم (ان كنتم
صادقين) فى ان محمدا قاله من عند
نفسه فافعلوا ذلك فانكم عربيون
فصحاء مثله ولما عجزوا عن ذلك
قال تعالى (فان لم تفعلوا) ما ذكر
لعجزكم (ولن تفعلوا) ذلك ابدا
لظهور اعجازه اعتراض
(فاتقوا) بالايمان بالله وانه ليس
من كلام البشر (النار التى
وقودها الناس) الكفار
(والحجارة) كأصنامهم منها
يعنى انها مفرطة الحرارة تتقد
بما ذكر لا كنار الدنيا تتقد
بالحطب ونحوه (اعدت) هيئت
(للكافرين) يعذبون بها جملة
مستأنفة او حال لازمة (وبشر)
اخبر (الذين آمنوا) صدقوا بالله
(وعملوا الصالحات) من الفروض
والنوافل (ان) اى بأن (لهم
جنات) حدائق ذات شجر
ومساكن (تجرى من تحتها)
اى تحت اشجارها وقصورها
(الانهار) اى المياه فيها والنهر
الموضع الذى يجرى فيه الماء
لان الماء ينهره اى يحفره
واسناد الجرى

فيه والهيئات العارضة له من الصحة وكمال الاعضاء والكسبي تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق السنية والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول الجاه والمال والثانى ان يغفر مافرط منه ويرضى عنه ويبوأه فى اعلى عليين مع الملائكة المقربين ابد الآبدين والمراد هو القسم الاخير ومايكون وصلة الى نيله من القسم الآخر فان ماعدا ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) بدل من الذين على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال اوصفة له مبينة او مقيدة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهى نعمة الايمان وبين السلامة من الغضب والضلال وذلك انما يصح باحد تأويلين اجراء الموصول مجرى النكرة اذ لم يقصد به معهود كالمحلى فى قوله * ولقد امر على اللئيم يسبنى * وقولهم انى لامر على الرجل مثلك فيكرمنى لو جعل غير معرفة بالاضافة لانه اضيف الى ماله ضد واحد وهو المنعم عليه فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه على الحال من الضمير المجرور والعامل انعمت اوباضمار اعنى اوبالاستثناء ان فسر النعم بمايعم القبيلين والغضب ثوران النفس ارادة الانتقام فاذا اسند الى الله تعالى اريد به المنتهى والغاية على مامر وعليهم فى محل الرفع لانه نائب مناب الفاعل بخلاف الاول ولا مزيدة لتأكيد ما فى غير من معنى النفى فكأنه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب كما جاز انا زيدا لاضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب وقرئ وغير الضالين والضلال العدول عن طريق السوى عمدا او خطأ وله عرض عريض والتفاوت مابين ادناه واقصاه كثير قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى فيهم * من لعنه الله وغضب عليه * والضالين النصارى لقوله تعالى * قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا * وقد روى مرفوعا ويتجه ان يقال المغضوب عليهم العصاة والضالين الجاهلون بالله لان المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به وكان المقابل له من اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى فى القاتل عمدا * وغضب الله عليه * والمخل بالعلم جاهل ضال لقوله * فماذا بعد الحق الا الضلال * وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد فى الهرب من التقاء الساكنين * آمين * اسم للفعل الذى هو استجب وعن ابن عباس

اليه مجاز (كلما رزقوا منها) اطعموا من تلك الجنات (من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى) اى مثل ما (رزقنا من قبل) اى قبله فى الجنة لتشابه ثمارها بقرينة (وأتوا به) اى جيؤا بالرزق (متشابها) يشبه بعضه بعضا لونا ويختلف طعما (ولهم فيها ازواج) من الحور وغيرها (مطهرة) من الحيض وكل قذر (وهم فيها خالدون) ماكثون ابدا لايفنون ولايخرجون * ونزل ردا لقول اليهود لما ضرب الله المثل بالذباب فى قوله وان يسلبهم الذباب شيئا والعنكبوت فى قوله كمثل العنكبوت ما أراد الله بذكر الاشياء الخسيسة (ان الله لايستحيي ان يضرب) يجعل (مثلا) مفعول اول (ما) نكرة موصوفة بما بعدها مفعول ثان اى اى مثل كان اوزائدة لتأكيد الخسة فمابعدها المفعول الثانى (بعوضة) مفرد البعوض وهو صغار البق (فما فوقها) اى اكبر منها اى لايترك بيانه لما فيه من الحكم (فاما الذين آمنوا فيعلمون

قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معناه فقال افعل بنى على الفتح كأين لالتقاء الساكنين وجاء مد الفه وقصرها قال * ويرحم الله عبدا قال آمينا * وقال امين فزاد الله مابيننا بعدا * وليس من القرآن وفاقا لكن يسن ختم السورة به لقوله عليه الصلوة والسلام علمنى جبرائيل آمين عند فراغى من قراءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وفى معناه قول على رضى الله عنه آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده يقوله الامام ويجهر به فى الجهرية لما روى عن وآئل بن حجر انه عليه الصلوة والسلام كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن ابى حنيفة رضى الله عنه انه قال لا يقوله والمشهور عنه انه يخفيه كما رواه عبد الله بن مغفل وانس والمأموم يؤمن معه لقوله عليه الصلوة والسلام * اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة تقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ماتقدم من ذنبه * وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابى الا اخبرك بسورة لم ينزل فى التوراة والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يارسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثانى والقرآن العظيم الذى اوتيته وعن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ اتاه ملك فقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منهما الا اعطيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبى صلى الله عليه وسلم قال * ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبى من صبيانهم فى الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمع الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة *

سورة البقرة مدنية وآيها مائتان وسبع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(الم) وسائر الالفاظ المتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف التى ركبت منها الكلم لدخولها فى حد الاسم واعتوار مايخص به من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح الخليل وابو على ومارُوى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه انه عليه الصلوة والسلام قال من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به غير المعنى الذى اصطلح عليه

انه) أى المثل (الحق) الثابت الواقع موقعه (من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا) تمييز أى بهذا المثل وما استفهام انكار مبتدأ وذا بمعنى الذى بصلته خبره أى أى فائدة فيه قال تعالى فى جوابهم (يضل به) أى بهذا المثل (كثيرا) عن الحق لكفرهم به (ويهدى به كثيرا) من المؤمنين لتصديقهم به (وما يضل به الا الفاسقين) الخارجين عن طاعته (الذين) نعت (ينقضون عهد الله) ماعهده اليهم فى الكتب من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (من بعد ميثاقه) توكيده عليهم (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) من الايمان بالنبى والرحم وغير ذلك وان بدل من ضمير به (ويفسدون فى الارض) بالمعاصى والتعويق عن الايمان (اولئك) الموصوفون بما ذكر (هم الخاسرون) لمصيرهم الى النار المؤبدة عليهم (كيف تكفرون) يا أهل مكة (بالله و) قد (كنتم أمواتا) نطفا فى الاصلاب (فأحياكم)

فان تخصيص الحرف به عرف مجدد بل المعنى اللغوى ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها حروفاوحداناوهى مركبة صدرت بها ليكون تأديتها بالمسمى اول مايقرع السمع واستعيرت الهمزة مكان الالف لتعذر الابتداء بها وهى مالم تلها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفقد موجبه ومقتضيه لكنها قابلة اياه ومعرضة له اذ لم تناسب مبنى الاصل ولذلك قيل ص وق مجموعا فيهما بين الساكنين ولم يعامل معاملة اين وهؤلاء ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسائطه التى يتركب منها افتتحت السورة بطائفة منها ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها على ان اصل المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلوكان من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون اول مايقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف مختص بمن خط ودرس فاما من الامى الذى لم يخالط الكتاب فستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى فى ذلك مايعجز عنه الاديب الاريب الفائق فى فنه وهوانه اورد فى هذه الفواتح اربعة عشراسما هى نصف اسامى حروف المعجم ان لم يعد فيها الالف حرفا برأسه فى تسع وعشرين سورة بعددها اذاعد فيها الالف الاصلية مشتملة على انصاف انواعها فذكر من المهموسة وهى مايضعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها ستشحثك خصفه نصفها الحاء والهاء والصاد والسين والكاف ومن البواقى المجهورة نصفها يجمعه لن يقطع امر ومن الشديدة الثمانية المجموعة فى اجدت طبقك اربعة يجمعها اقطك ومن البواقى الرخوة عشرة يجمعها خمس على نصره ومن المطبقة التى هى الصاد والضاد والطاء والظاء نصفها ومن البواقى المنفتحة نصفها ومن القلقلة وهى حروف تضطرب عند خروجها ويجمعها قدطبج نصفها الاقل لقلتها ومن اللينتين الياء لانها اقل ثقلا ومن المستعلية وهى التى يتصعد الصوت بها فى الحنك الا على وهى سبعة القاف والصاد والطاء والخاء والغين والضاد والظاء نصفها الاقل ومن البواقى المنخفضة نصفها ومن حروف البدل وهى احد عشر على ماذكره سيبويه واختاره ابن جنى ويجمعها اجد طويت منها الستة الشائعة المشهورة التى يجمعها اهطمين وقد زاد بعضهم سبعة اخرى وهى اللام فى اصيلال

(والصاد)

فى الارحام والدنيا بنفخ الروح فيكم والاستفهام للتعجيب من كفرهم مع قيام البرهان أوللتوبيخ (ثم يميتكم) عند انتهاء آجالكم (ثم يحييكم) بالبعث (ثم اليه ترجعون) تردون بعد البعث فيجازيكم باعمالكم * وقال دليلا على البعث لما أنكروه (هو الذى خلق لكم ما فى الارض) أى الارض ومافيها (جميعا) لتنتفعوا به وتعتبروا (ثم استوى) بعد خلق الارض أى قصد (الى السماء فسواهن) الضمير يرجع الى السماء لانها فى معنى الجمع الآيلة اليه أى صيرها كما فى آية أخرى فقضاهن (سبع سموات وهو بكل شئ عليم) مجملا ومفصلا أفلا تعتبرون أن القادر على خلق ذلك ابتداء وهوأعظم منكم قادر على اعادتكم (و) اذكر يا محمد (اذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة) يخلفنى فى تنفيذأحكامى فيها وهو آدم (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها) بالمعاصى (ويسفك الدماء) يريقها بالقتل كما فعل بنو الجان وكانوا فيها فلما أفسدوا أرسل الله

والصاد والزاى فى صراط وزراط والفاء فى جدف والعين فى اعن والثاء فى ثروغ الدلو والباء فى باسمك حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها تسعة الستة المذكورة واللام والصاد والعين ومما يدغم فى مثله ولا يدغم فى المقارب وهى خمسة عشر الهمزة والهاء والعين والصاد والطاء والميم والياء والخاء والغين والضاد والفاء والظاء والشين والزاى والواو نصفها الاقل ومما يدغم فيهما وهى الثلاثة عشر الباقية نصفها الاكثر الحاء والقاف والكاف والراء والسين واللام والنون لما فى الادغام من الخفة والفصاحة ومن الاربعة التى لا تدغم فيما يقاربها ويدغم فيها مقاربها وهى الميم والزاى والسين والفاء نصفها ولما كانت الحروف الذلقية التى يعتمد عليها بذلق اللسان وهى ستة يجمعها رب منفل والحلقية التى هى الحاء والخاء والعين والغين والهاء والهمزة كثيرة الوقوع فى الكلام ذكر ثلثيهما ولما كانت ابنية المزيد لا تجاوز عن السباعية ذكر من الزوائد العشرة التى تجمعها اليوم تنساه سبعة احرف منها تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلم وتراكيبها وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة ثم انه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية ايذانا بان المتحدى به مركب من كلماتهم التى اصولها كلمات مفردة ومركبة من حرفين فصاعدا الى الخمسة وذكر ثلاث مفردات فى ثلاث سور لانها توجد فى الاقسام الثلاثة الاسم والفعل والحرف واربع ثنائيات لانها تكون فى الحرف بلا حذف كبل وفى الفعل بحذف كقل وفى الاسم بغير حذف كمن وبه كدم فى تسع سور لوقوعها فى كل واحد من الاقسام الثلاثة على ثلاثة اوجه ففى الاسماء من واذ وذو وفى الافعال قل وبع وخف وفى الحروف ان ومن ومذ على لغة من جربها وثلاث ثلاثيات لمجيئها فى الاقسام الثلاثة فى ثلاث عشرة سورة تنبيها على ان اصول الابنية المستعملة ثلاثة عشر عشرة منها للاسماء وثلاثة للافعال ورباعيتين وخماسيتين تنبيها على ان لكل منهما اصلا كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد وجحنفل ولعلها فرقت على السور ولم تعد باجمعها فى اول القرآن لهذه الفائدة مع ما فيه من اعادة التحدى وتكرير التنبيه والمبالغة فيه والمعنى ان هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف او المؤلف منها كذا وقيل هى اسماء السور وعليه اطباق الاكثر سميت بها اشعارا بانها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وحيا من الله تعالى

عليهم الملائكة فطردوهم الى الجزائر والجبال (ونحن نسبح) متلبسين (بحمدك) أى نقول سبحان الله وبحمده (ونقدس لك) ننزهك عما لا يليق بك فاللام زائدة والجملة حال أى فنحن أحق بالاستخلاف (قال) تعالى (انى أعلم مالا تعلمون) من المصلحة فى استخلاف آدم وأن ذريته فيهم المطيع والعاصى فيظهر العدل بينهم فقالوا ان يخلق ربنا خلقا أكرم عليه منا ولا أعلم لسبقناله ورؤيتنا مالم يره فخلق تعالى آدم من أديم الارض أى وجهها بأن قبض منها قبضة من جميع ألوانها وعجنت بالمياه المختلفة وسواه ونفخ فيه الروح فصار حيوانا حساسا بعد أن كان جمادا (وعلم آدم الاسماء) أى أسماء المسميات (كلها) حتى القصعة والقصيعة والفسوة والفسية والمغرفة بأن ألقى فى قلبه علمها (ثم عرضهم) أى المسميات وفيه تغليب العقلاء (على الملائكة فقال) لهم تبكيتا (أنبئونى) أخبرونى (بأسماء هؤلاء) المسميات (ان كنتم صادقين) فى أنى

لأخلق أعلم منكم أو أنكم أحق بالخلافة وجواب الشرط دل عليه ماقبله (قالوا سبحانك) تنزيهالك عن الاعتراض عليك (لاعلم لنا الاماعلمتنا) اياه (انك أنت) تأكيد للكاف (العليم الحكيم) الذى لايخرج شئ عن علمه وحكمته (قال) تعالى (ياآدم أنبئهم) أى الملائكة (بأسمائهم) اى المسميات فسمى كل شئ باسمه وذكر حكمته التى خلق لهـا (فلما أنبأهم بأسمائهم قال) تعالى لهم موبخا (ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والارض) ماغاب فيهما (وأعلم ماتبدون) تظهرون من قولكم أتجعل فيهـا الخ (وماكنتم تكتمون) تسرون من قولكم لن يخلق اكرم عليه مناولا اعلم (و) اذكر (اذقلنا للملائكة اسجدوا لآدم) سجود تحية بالانحناء (فسجدوا الا ابليس) هو أبوالجن كان بين الملائكة (أبى) امتنع من السجود (واستكبر) تكبر عنه وقال أناخير منه (وكان من الكافرين) فى علم الله (وقلنا ياآدم اسكن أنت) تأكيد للضمير المستتر ليعطف عليـه (وزوجك) حواء بالمد وكان خلقها

لم تتساقط مقدرتهم دون معارضتها واستدل عليه بانها لولم تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجى مع العربى ولم يكن القرآن باسره بيانا وهدى ولما امكن التحدى به وان كانت مفهمة فاما ان يراد بها السور التى هى مستهلها على انها القابها اوغيرذلك والثانى باطل لانه اما ان يكون المراد ماوضعت له فى لغة العرب وظاهر انه ليس كذلك اوغيره وهو باطل لان القرآن نزل على لغتهم لقوله تعالى * بلسان عربى مبين * فلايحمل على ماليس فى لغتهم لايقال لم لايجوز ان تكون مزيدة للتنبيه والدلالة على انقطاع كلام واستئناف آخر كما قاله قطرب او اشارة الى كلمات هى منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر فى قوله * قلت لها قفى فقـالت لى قاف * كماروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وعنه ان الر وحم ون مجموعها الرحمن وعنه ان الم معناه انا الله اعلم ونحو ذلك فى سائر الفواتح وعنه ان الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد اى القرآن منزل من الله بلسان جبريل على محمد عليهما الصلوة والسلام او الى مدد اقوام وآجال بحساب الجمل كماقاله ابو العالية متمسكا بما روى انه عليه الصلوة والسلام لما اتاه اليهود تلا عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف ندخل فى دين مدته احدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا فهل غيره فقال المص والر والمر فقالوا خلطت علينـا فلاندرى بايها نأخذ فان تلاوته اياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك وهذه الدلالة وان لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب يلحقها بالمعربات كالمشكاة والسجيل والقسطاس اودالة على الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها من حيث انها بسائط اسماء الله تعالى ومادة خطابه هذا وان القول بانها اسماء السور يخرجها الى ماليس فى لغة العرب لان التسمية بثلاثة اسماء فصاعدا مستكره عندهم ويؤدى الى اتحاد الاسم والمسمى ويستدعى تأخر الجزء عن الكل من حيث ان الاسم يتأخر عن المسمى بالرتبة لانا نقول هذه الالفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه والدلالة على الانقطاع والاستئناف تلزمها وغيرهـا من حيث انهـا فواتح السور ولايقتضى ذلك ان لايكون لها معنى فى حيزهـا ولم تستعمل للاختصـار من كلمات معينة فى لغتهم اما الشعر فشاذ واما قول ابن عباس فتنبيه على

(ان)

ان هذه الحروف منبع الاسماء ومبادى الخطاب وتمثيل بامثلة حسنة الاترى انه عد كل حرف من كلمات متباينة لاتفسير وتخصيص بهذه المعانى دون غيرها اذ لامخصص لفظا ومعنى ولا لحساب الجمل فتلحق بالمعربات والحديث لادليل فيه لجواز انه عليه السلام تبسم تعجبا من جهلهم وجعلها مقسما بها وان كان غير ممتنع لكنه يحوج الى اضمار اشياء لادليل عليها والتسمية بثلاثة اسماء انما تمتنع اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريقة بعلبك فامااذا نثرت نثر اسماء العدد فلا وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطائفة من اسماء حروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة والاسم جزؤها فلا اتحاد وهو مقدم من حيث ذاته ومؤخر باعتبار كونه اسما فلا دور لاختلاف الجهتين والوجه الاول اقرب الى التحقيق واوفق للطائف التنزيل واسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك فى الاعلام من واضع واحد فانه يعود بالنقض على ماهو مقصود بالعلمية وقيل انها اسماء القرآن ولذلك اخبر عنها بالكتاب والقرآن وقيل انها اسماء الله تعالى ويدل عليه ان عليا كرم الله وجهه كان يقول يا كهيعص يا حمعسق ولعله اراد يامنزلهما وقيل الالف من اقصى الحلق وهو مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان وهو اوسطها والميم من الشفة وهو آخرها جمع بينها ايماء الى ان العبد ينبغى ان يكون اول كلامه واوسطه وآخره ذكر الله تعالى وقيل انه سر استأثر الله بعلمه وقد روى عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من الصحابة مايقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله تعالى ورسوله ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد فان جعلتها اسماء الله تعالى او القرآن اوالسور كان لها حظ من الاعراب اما الرفع على الابتداء او الخبر او النصب بتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن بالنصب او غيره كاذكر او الجر على اضمار حرف القسم ويتأتى الاعراب لفظا والحكاية فيما كانت مفردة او موازنة لمفرد كحم فانها كهابيل والحكاية ليست الافيما عدا ذلك وسيعود اليك ذكره مفصلا ان شاء الله تعالى وان ابقيتها على معانيها فان قدرت بالمؤلف من هذه الحروف كان فى حيز الرفع بالابتداء اوالخبر على مامر وان جعلتها مقسما بها يكون كل كلمة منها منصوبا او مجرورا على اللغتين فى الله لافعلن وتكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان جعلتها ابعاض كلمات او اصواتا منزلة منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل المبتدأة

من ضلعه الايسر (الجنة وكلا منها) أكلا (رغدا) واسعا لاحجر فيه (حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة) بالاكل منها وهى الحنطة أو الكرم أو غيرها (فتكونا) فتصيرا (من الظالمين) العاصين (فأزلهما الشيطان) ابليس أذهبهما وفى قراءة فأزالهما نحاهما (عنها) أى الجنة بأن قال لهما هل أدلكما على شجرة الخلد وقاسمهما بالله انه لهما لمن الناصحين فأكلا منها (فأخرجهما مما كانا فيه) من النعيم (وقلنا اهبطوا) الى الارض أى أنتما بما اشتملتما عليه من ذريتكما (بعضكم) بعض الذرية (لبعض عدو) من ظلم بعضكم بعضا (ولكم فى الارض مستقر) موضع قرار (ومتاع) ماتتمتعون به من نباتها (الى حين) وقت انقضاء آجالكم (فتلقى آدم من ربه كلمات) ألهمه اياها وفى قراءة بنصب آدم ورفع كلمات أى جاءه وهى ربنا ظلمنا أنفسنا الآيه فدعا بها (فتاب عليه) قبل توبته (انه هو التواب) على عباده (الرحيم) بهم

والمفردات المعدودة ويوقف عليها وقف التمام اذا قدرت بحيث لاتحتاج
الى مابعدها وليس شيء منها آية عند غير الكوفيين و اما عندهم فالم
فى مواقعها والمص و كهيعص وطه وطسم وطس ويس وحم آية وحمعسق
آيتان و البواقى ليست بآيات وهذا توقيف لامجال للقياس فيه (ذلك الكتاب)
ذلك اشارة الى الم ان اول بالمؤلف من هذه الحرف او فسر بالسورة او القرآن
فانه لما تكلم به وتقضى او وصل من المرسل الى المرسل اليه صار متباعدا اشير
اليه بما يشار به الى البعيد وتذكيره متى اريد بالم السورة لتذكير الكتاب فانه
خبره او صفته الذى هو هو اوالى الكتاب فيكون صفته والمراد به الكتاب
الموعود انزاله بنحو قوله تعالى *انا سنلقى عليك قولا ثقيلا* اوفى الكتب
المتقدمة وهو مصدر سمى به المفعول للمبالغة وقيل فعال بنى للمفعول كاللباس
ثم عبر به عن المنظوم عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب واصل الكتب الجمع
ومنه الكتيبة (لاريب فيه) معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث
لا يرتاب العاقل بعد النظر الصحيح فى كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان
احدا لا يرتاب فيه الا ترى الى قوله تعالى *وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا*
الآية فانه ما ابعد الريب عنهم بل عرفهم الطريق المزيح له وهو ان يجتهدوا
فى معارضة نجم من نجومه ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها
تحقق لهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل معناه لاريب
فيه للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف الواقع
صفة للمنفى والريب فى الاصل مصدر رابنى الشيء اذا حصل فيك الريبة
وهى قلق النفس واضطرابها سمى به الشك لانه يقلق النفس ويزيل
الطمأنينة وفى الحديث *دع ما يريبك الى مالا يريبك* فان الشك ريبة
والصدق طمأنينة ومنه ريب الزمان لنوائبه (هدى للمتقين) يهديهم
الى الحق والهدى فى الاصل مصدر كالسرى والتقى ومعناء الدلالة وقيل
الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة فى قوله تعالى *انك لعلى
هدى او فى ضلال مبين* ولانه لايقال مهدى الالمن اهتدى الى المطلوب
واختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون به والمنتفعون بنصبه وان كانت دلالته عامة
لكل ناظر من مسلم اوكافر وبهذا الاعتبار قال تعالى *هدى للناس* اولانه
لاينتفع بالتأمل فيه الامن صقل العقل واستعمله فى تدبر الآيات والدلائل والنظر
فى المعجزات وتعرف النبوات لانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لايجلب نفعا

(قلنا اهبطوا منها) من الجنة
(جميعا) كرره ليعطف عليه
(فاما) فيه ادغام نون ان
الشرطية فى ما الزائدة (يأتينكم
منى هدى) كتاب ورسول
(فمن تبع هداى) فآمن بى
وعمل بطاعتى (فلاخوف
عليهم ولاهم يحزنون)
فى الآخرة بأن يدخلوا الجنة
(والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا) كتبنا (أولئك أصحاب
النار هم فيها خالدون)
ماكثون أبدا لايفنون
ولايخرجون (يابنى اسرائيل)
أولاد يعقوب (اذكروا نعمتى
التى أنعمت عليكم) أى على
آبائكم من الانجاء من فرعون
وفلق البحر وتظليل الغمام
وغير ذلك بأن تشكروها
بطاعتى (وأوفوا بعهدى)
الذى عهدته اليكم من الايمان
بمحمد (أوف بعهدكم) الذى
عهدت اليكم من الثواب عليه
بدخول الجنة (واياى فارهبون)
خافون فى ترك الوفاء به دون
غيرى (وآمنوا بما أنزلت)
من القرآن (مصدقا لما معكم)
من التوراة بموافقته له فى التوحيد
والنبوة (ولاتكونوا أول
كافر به) من أهل الكتاب

مالم تكن الصحة حاصلة وعلى هذا قوله تعالى * وننزل من القرآن ما هو
شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا * ولا يقدح ما فيه
من المجمل والمتشابه فى كونه هدى لما لم ينفك عن بيان تعين المراد منه
والمتقى اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو فى عرف
الشرع اسم لمن يقى نفسه عما يضره فى الآخرة وله ثلاث مراتب * الاولى
التوقى من العذاب المخلد بالتبرى من الشرك وعليه قوله تعالى * والزمهم
كلمة التقوى * والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر
عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى فى الشرع والمعنى بقوله تعالى * ولو
ان اهل القرى آمنوا واتقوا * والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق
ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقى المطلوب بقوله * اتقوا الله حق تقاته *
وقد فسر قوله هدى للمتقين ههنا على الاوجه الثلاثة * واعلم ان الآية تحتمل
اوجها من الاعراب ان يكون الم مبتدأ على انه اسم القرآن او السورة او مقدر
بالمؤلف منها وذلك خبره وان كان اخص من المؤلف مطلقا والاصل
ان الاخص لا يحمل على الاعم لان المراد به المؤلف الكامل فى تأليفه البالغ
اقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك وان يكون الم
خبر مبتدا محذوف وذلك خبرا ثانيا او بدلا والكتاب صفته وريب
فى المشهورة مبنى لتضمنه معنى من منصوب المحل على انه اسم لا النافية للجنس
العاملة عمل ان لانها نقيضتها ولازمة للاسماء لزومها وفى قرآءة ابى شعثاء
مرفوع بلا التى بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم فى قوله تعالى * لا فيها غول *
لانه لم يقصد تخصيص نفى الريب به من بين سائر الكتب كما قصد ثمه او صفته
وللمتقين خبره وهدى نصب على الحال او الخبر محذوف كما فى لا ضير
ولذلك وقف على ريب على ان فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير
لا ريب فيه فيه هدى وان يكون ذلك مبتدأ والكتاب خبره على معنى
انه الكتاب الكامل الذى يستأهل ان يسمى كتابا او صفته وما بعده
خبره والجملة خبر الم او يكون الم خبر مبتدأ محذوف والاولى ان يقال
انها اربع جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يدخل
العاطف بينها فالم جملة دلت على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس
ما يركبون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدى
ولا ريب فيه جملة ثالثة تشهد على كماله بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال

لان خلفكم تبع لكم فاثمهم
عليكم (ولا تشتروا) تستبدلوا
(بآياتى) التى فى كتابكم من نعت
محمد (ثمنا قليلا) عوضا يسيرا
من الدنيا اى لا تكتموها خوف
فوات ما تأخذونه من سفلتكم
(واياى فاتقون) خافون فى ذلك
دون غيرى (ولا تلبسوا)
تخلطوا (الحق) الذى أنزل
عليكم (بالباطل) الذى
تفترونه (و) لا (تكتموا الحق)
نعت محمد (وانتم تعلمون)
انه حق (واقيموا الصلوة
وآتوا الزكوة واركعوا مع
الراكعين) صلوا مع المصلين
محمد واصحابه * ونزل فى علمائهم
وكانوا يقولون لاقربائهم المسلمين
اثبتوا على دين محمد فانه حق
(أتأمرون الناس بالبر) بالايمان
بمحمد (وتنسون انفسكم)
تتركونها فلا تأمرونها به (وانتم
تتلون الكتاب) التوراة وفيها
الوعيد على مخالفة القول العمل
(افلا تعقلون) سوء فعلكم
فترجعون فجملة النسيان محل
الاستفهام الانكارى (واستعينوا)
اطلبوا المعونة على اموركم (بالصبر)
الحبس للنفس على ما تكره .

ثم سجل على كماله بنفي الريب عنه لانه لا كمال اعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين بمايقدرله مبتدأ جملة رابعة تؤكدكونه حقـا لايحوم الشك حوله بانه هدى للمتقين اوتستتبع كل واحدة منهـا ما تليها استتباع الدليل للمدلول وبيانه انه لمانبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقدعجزوا عن معارضته استنتج منه انهالكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك ان لايتشبث الريب باطرافه اذ لانقص مما يعتريه الشك اوالشبهة وما كان كذلك كان لامحالة هدى للمتقين وفى كل واحدة منها نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى المقصود مع التعليل وفى الثانية فخامة التعريف وفى الثالثة تأخير الظرف حذرا من ايهـام البـاطل وفى الرابعـة الحذف والتوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشـارف للتقوى متقيا ايجـازا وتفخيما لشأنه (الذين يؤمنون بالغيب) اماموصول بالمتقين على انه صفة مجرورة مقيدةله ان فسر التقوى بترك ما لاينبغى مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية والتصوير على التصقيل اوموضحة ان فسر بما يعم فعل الحسنات وترك السيئات لاشتماله على ماهو اصل الاعمال واساس الحسنات من الايمـان والصلوة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصى غالبا الاترى الى قوله تعالى * ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر * وقوله عليه الصلوة والسلام * الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام * اومادحة بما تضمنه المتقون وتخصيص الايمـان بالغيب واقامة الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهارلفضلها على سـائرمايدخل تحت اسم التقوى اوعلى انه مدح منصوب اومرفوع بتقدير اعنى اوهم الذين واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء وخبره اولئك على هدى فيكون الوقف على المتقين تاما * والايمان فى اللغة عبارة عن التصديق مأخوذ من الامن كأن المصدق آمن المصدق من التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق بالشئ صار ذا امن منه ومنه ما آمنت ان اجد صحابة وكلا الوجهين حسن فى يؤمنون بالغيب واما فى الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة انه من دين محمد صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء أو مجموع ثلاثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه عنـد جمهور المحدثين

(والصلوة) أفردها بالذكر تعظيما لشأنها وفى الحديث كان صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر بادر الى الصلوة وقيـل الخطاب لليهود لما عاقهم عن الايمان الشره وحب الرياسة فأمروا بالصبر وهو الصوم لانه يكسر الشهوة والصلوة لانهـا تورث الخشوع وتنفى الكبر (وانها) اى الصلوة (لكبيرة) ثقيـلة (الا على الخاشـعين) السا كنين الى الطاعة (الذين يظنون) يوقنون (انهم ملاقو ربهم) بالبعث (وانهم اليـه راجعون) فى الآخرة فيجازيهم (يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم) بالشكر عليها بطاعتى (وانى فضلتكم) اى آباءكم (على العـالمين) عالمى زمانهم (واتقوا) خافوا (يوما لاتجزى) فيه (نفس عن نفس شيئا) هو يوم القيامة (ولاتقبل) بالتاء والياء (منها شفاعة) اى ليس لها شفاعة فتقبل فما لنا من الشافعين (ولا يؤخذ منها عدل) فداء (ولاهم ينصرون) يمنعون من عـذاب الله (و) اذكروا (اذ نجيناكم) اى آباءكم والخطاب به وبما بعده للموجودين

والمعتزلة والخوارج فمن أخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن أخل بالاقرار فكافر ومن أخل بالعمل ففاسق وفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل فى الكفر عند المعتزلة والذى يدل على انه التصديق وحده انه سبحانه وتعالى اضاف الايمان الى القلب فقال * اولئك كتب فى قلوبهم الايمان * وقلبه مطمئن بالايمان * ولم تؤمن قلوبهم * ولما يدخل الايمان فى قلوبكم * وعطف عليه العمل الصالح فى مواضع لاتحصى وقرنه بالمعاصى فقال تعالى * وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا * ياايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى * الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم * مع مافيه من قلة التغيير لانه اقرب الى الاصل وهو متعين الارادة فى الآية اذالمعدى بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلف فى ان مجرد التصديق بالقلب هل هو كاف لانه المقصود ام لابد من اقتران الاقرار به للمتمكن منه ولعل الحق هو الثانى لانه تعالى ذم المعاند اكثر من ذم الجاهل المقصر وللمانع ان يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار به للمتمكن منه والغيب مصدر وصف به للمبالغة كالشهادة فى قوله تعالى * عالم الغيب والشهادة * والعرب تسمى المطمأن من الارض والخمصة التى تلى الكلية غيبا اوفيعل خفف كقيل والمراد به الخفى الذى لايدركه الحس ولايقتضيه بديهة العقل وهو قسمان قسم لادليل عليه وهو المعنى بقوله تعالى * وعنده مفاتح الغيب لايعلمها الاهو * وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الآخر واحواله وهو المراد به فى هذه الآية هذا اذا جعلته صلة للايمان واوقعته موقع المفعول به وان جعلته حالا على تقدير ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى انهم يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين الذين * اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن * اوعن المؤمن به لما روى ان ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال والذى لااله غيره ماآمن احد افضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الآية وقيل المراد بالغيب القلب لانه مستور والمعنى يؤمنون بقلوبهم لاكمن يقولون بافواههم ماليس فى قلوبهم فالباء على الاول للتعدية وعلى الثانى للمصاحبة وعلى الثالث للآلة (ويقيمون الصلوة) اى يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ فى افعالها من اقام العود اذا قومه اويواظبون عليها من قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة قال

فى زمن نبينا أنعم على آبائهم تذكيرا لهم بنعمة الله تعالى ليؤمنوا (من آل فرعون يسومونكم) يذيقونكم (سوء العذاب) أشده والجملة حال من ضمير نجيناكم (يذبحون) بيان لما قبله (أبناءكم) المولودين (ويستحيون) يستبقون (نساءكم) لقول بعض الكهنة له ان مولودا يولد فى بنى اسرائيل يكون سببا لذهاب ملكك (وفى ذلكم) العذاب أو الانجاء (بلاء) ابتلاء أو انعام (من ربكم عظيم و) اذكروا (اذفرقنا) فلقنا (بكم) بسببكم (البحر) حتى دخلتموه هاربين من عدوكم (فانجيناكم) من الغرق (واغرقنا آل فرعون) قومه معه (وأنتم تنظرون) الى انطباق البحر عليهم (واذواعدنا) بألف ودونها (موسى اربعين ليلة) نعطيه عند انقضائها التوراة لتعملوا بها (ثم اتخذتم العجل) الذى صاغه لكم السامرى الها (من بعده) أى بعد ذهابه الى ميعادنا (وأنتم ظالمون)

شعر * اقامت غزالة سوق الضراب * لاهل العراقين حولا قميطا * فانه اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذى يرغب فيه واذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب عنه اويتشمرون لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جدفيه وتجلد وضده قعد عن الامر وتقاعد او يؤدونها عبر عن الاداء بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح والاول اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة من الخشوع والاقبال بقلبه على الله تعالى لاالمصلون * الذين هم عن صلوتهم ساهون * ولذلك ذكر فى سياق المدح والمقيمون الصلوة وفى معرض الذم * فويل للمصلين * والصلوة فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما سمى الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين لان المصلى يفعله فى ركوعه وسجوده واشتهار هذا اللفظ فى المعنى الثانى مع عدم اشتهاره فى الاول لايقدح فى نقله عنه وانما سمى الداعى مصليا تشبيها له فى تخشعه بالراكع والساجد * ومما رزقناهم ينفقون * الرزق فى اللغة الحظ قال تعالى ﴿ وتجعلون رزقكم انكم تكذبون ﴾ والعرف خصصه بتخصيص الشىء بالحيوان للانتفاع به وتمكينه منه والمعتزلة لما استحالوا على الله تعالى ان يمكن من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الحرام ليس برزق الاترى انه تعالى اسند الرزق ههنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال الطلق فان انفاق الحرام لايوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله تعالى بقوله * قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا * واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم مالم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق له بقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث عمرو بن قرة * لقد رزقك الله طيبا فاخترت ماحرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله * وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذى به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى * ومامن دابة فى الارض الاعلى الله رزقها * وانفق الشىء وانفده اخوان ولو استقريت الالفاظ وجدت كل مافاؤه نون وعينه فاء دالا على معنى الذهاب والخروج والظاهر من انفاق

باتخاذه لوضعكم العبادة فى غير محلها (ثم عفونا عنكم) محونا ذنوبكم (من بعد ذلك) الاتخاذ (لعلكم تشكرون) نعمتنا عليكم (واذ آتينا موسى الكتاب) التوراة (والفرقان) عطف تفسير أى الفارق بين الحق والباطل والحلال والحرام (لعلكم تهتدون) به من الضلال (واذ قال موسى لقومه) الذين عبدوا العجل (ياقوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل) الها (فتوبوا الى بارئكم) خالقكم من عبادته (فاقتلوا أنفسكم) أى ليقتل البرىء منكم المجرم (ذلكم) القتل (خير لكم عند بارئكم) فوفقكم لفعل ذلك وأرسل عليكم سحابة سوداء لئلا يبصر بعضكم بعضا فيرحمه حتى قتل منكم نحو سبعين ألفا (فتاب عليكم) قبل توبتكم (انه هو التواب الرحيم واذ قلتم) وقد خرجتم مع موسى لتعتذروا الى الله من عبادة العجل وسمعتم كلامه (ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله

مارزقهم الله صرف المال فى سبيل الخير من الفرض والنفل ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها وتقديم المفعول للاهتمام به وللمحافظة على رؤس الآى وادخال من التبعيضية عليه لمنع المكلف عن الاسراف المنهى عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع المعاون التى آتاهم الله من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه الصلوة والسلام * ان علما لايقال به ككنز لاينفق منه * واليه ذهب من قال ومما خصصناهم به من انوار المعرفة يفيضون (والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك) هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام رضى الله تعالى عنه واضرابه معطوفون على الذين يومنون بالغيب داخلون معهم فى جملة المتقين دخول اخصين تحت اعم اذ المراد باولئك الذين آمنوا عن شرك وانكار وبهؤلاء مقابلوهم فكانت الآيتان تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما او على المتقين وكأنه قال هدى للمتقين عن الشرك والذين آمنوا من اهل الملل ويحتمل ان يراد بهم الاولون باعيانهم ووسط العاطف كما وسط فى قوله * الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة فى المزدحم * وقوله * يالهف زيابة للحارث * الصابح فالغانم فالآيب * على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وكرر الموصول تنبيها على تغاير القبيلتين وتباين السبيلين او طائفة منهم وهم مؤمنوا اهل الكتاب ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر جبريل وميكائيل بعد الملائكة تعظيما لشأنهم وترغيبا لامثالهم والانزال نقل الشيء من الاعلى الى الاسفل وهو انما يلحق المعانى بتوسط لحوقه الذوات الحاملة لها ولعل نزول الكتب الالهية على الرسل بان يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفا روحانيا او يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به فيبلغه الى الرسول والمراد بما انزل اليك القرآن باسره والشريعة عن آخرها وانما عبر عنه بلفظ الماضى وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد وتنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله تعالى * انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى * فان الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب كله منزلا حينئذ وبما انزل من قبلك التوراة والانجيل وسائر الكتب السابقة والايمان بهما جملة فرض عين وبالاول دون الثانى تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لان وجوبه

(جهرة) عيانا (فاخذتكم الصاعقة) الصيحة فمتم (وانتم تنظرون) ماحل بكم (ثم بعثناكم) احييناكم (من بعد موتكم لعلكم تشكرون) نعمتنا بذلك (وظللنا عليكم الغمام) سترناكم بالسحاب الرقيق من حر الشمس فى التيه (وانزلنا عليكم) فيه (المن والسلوى) هما الترنجبين والطير السمانى بتخفيف الميم والقصر وقلنا (كلوا من طيبات مارزقناكم) ولا تدخروا فكفروا النعمة وادخروا فقطع عنهم (وما ظلمونا) بذلك (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) لان وباله عليهم (واذ قلنا) لهم بعد خروجهم من التيه (ادخلوا هذه القرية) بيت المقدس او اريحا (فكلوا منها حيث شئتم رغدا) واسعا لاحجر فيه (وادخلوا الباب) اى بابها (سجدا) منحنين (وقولوا) مسئلتنا (حطة) اى ان تحط عنا خطايانا (نغفر) وفى قراءة بالياء والتاء مبنيا للمفعول فيهما (لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين) بالطاعة ثوابا (فبدل الذين ظلموا)

على كل احد يوجب الحرج وفساد المعاش (وبالآخرة هم يوقنون) اى يوقنون ايقانا زال معه ما كانوا عليه من ان الجنة لايدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة * واختلافهم فى نعيم الجنة اهو من جنس نعيم الدنيا اوغيره وفى دوامه وانقطاعه وفى تقديم الصلة وبناء يوقنون على هم تعريض لمن عداهم من اهل الكتاب وبان اعتقادهم فى امر الآخرة غير مطابق ولاصادر عن ايقان واليقين اتقان العلم بنفى الشك والشبهة عنه بالاستدلال ولذلك لايوصف به علم البارى تعالى ولا العلوم الضرورية والآخرة تأنيث الآخر صفة الدار بدليل قوله تعالى *تلك الدار الآخرة *فغلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة لضم ماقبلها اجراء لها مجرى المضمومة فى وجوه ووقتت ونظيره * لحب المؤقدان الىّ مؤسى * وجعدة اذا اضاءهما الوقود (اولئك على هدى من ربهم) الجملة فى محل الرفع ان جعل احد الموصولين مفصولا عن المتقين خبرله فكأنه لما قيل هدى للمتقين قيل مابالهم خصوا بذلك فاجيب بقوله الذين يؤمنون الى آخر الآيات والا فاستئناف لامحل لها فكأنه نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة اوجواب سائل قال ماللموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى ونظيره احسنت الى زيد صديقك صديقك القديم حقيق بالاحسان فان اسم الاشارة ههنا كاعادة الموصوف بصفاته المذكورة وهوابلغ من ان يستأنف باعادة الاسم وحده لما فيه من بيان المقتضى وتلخيصه فان ترتيب الحكم على الوصف ايذان بانه الموجب له ومعنى الاستعلاء فى على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشئ وركبه وقد صرحوا به فى قولهم * امتطى الجهل وغوى * واقتعد غارب الهوى * وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر وادامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس فى العمل ونكر هدى للتعظيم فكأنه اريد به ضرب لايبلغ كنهه ولايقادر قدره ونظيره قول الهذلى

فلا وابى الطير المربة بالضحى * على خالد لقد وقعت على لحم

واكد تعظيمه بان الله تعالى مانحه والموفق له وقد ادغمت النون فى الراء بغنة وبغير غنة (واولئك هم المفلحون) كرر فيه اسم الاشارة تنبيها على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضى كل واحدة من الاثرتين وان كلا منهما

منهم (قولا غير الذى قيل لهم) فقالوا حبة فى شعرة ودخلوا يزحفون على استاههم (فانزلنا على الذين ظلموا) فيه وضع الظاهر موضع المضمر مبالغة فى تقبيح شأنهم (رجزا) عذابا طاعونا (من السماء بما كانوا يفسقون) بسبب فسقهم اى خروجهم عن الطاعة فهلك منهم فى ساعة سبعون الفا اواقل (و) اذكر (اذا ستسقى موسى) اى طلب السقيا (لقومه) وقد عطشوا فى التيه (فقلنا اضرب بعصاك الحجر) وهو الذى فر بثوبه خفيف مربع كرأس الرجل رخام او كذان فضربه (فانفجرت) انشقت وسالت (منه اثنتا عشرة عينا) بعدد الاسباط (قد علم كل اناس) سبط منهم (مشربهم) موضع شربهم فلايشركهم فيه غيرهم وقلنا لهم (كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا فى الارض مفسدين) حال مؤكدة لعاملها من عثى بكسر المثلثة افسد (واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام) اى نوع منه (واحد) وهو المن والسلوى

كاف فى تمييز هم بها عن غيرهم ووسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين ههنا بخلاف قوله * اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون * فان التسجيل بالغفلة والتشبيه بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة للاولى فلا تناسب العطف وهم فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه اومبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك والمفلح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب كأنه الذى انفتحت له وجوه الظفر وهذا التركيب وما يشاركه فى الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى يدل على الشق والفتح وتعريف المفلحين للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون فى الآخرة اوالاشارة الى مايعرفه كل واحد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم ﴿تنبيه﴾ تأمل كيف نبه سبحانه وتعالى على اختصاص المتقين بنيل مالا ينالهاحد من وجوه شتى بناء الكلام على اسم الاشارة للتعليل مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لاظهار قدرهم والترغيب فى اقتفاء اثرهم وقد تشبث به الوعيدية فى خلود الفساق من اهل القبلة فى العذاب ورد بان المراد بالمفلحين الكاملون فى الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لاعدم الفلاح له رأسا ﴿ان الذين كفروا﴾ لما ذكر خاصة عباده وخلاصة اوليائه بصفاتهم التى اهلتهم للهدى والفلاح عقبهم باضدادهم العتاة المردة الذين لاينفع فيهم الهدى ولا تغنى عنهم الآيات والنذر ولم يعطف قصتهم على قصة المؤمنين كما عطف فى قوله تعالى * ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم * لتباينهما فى الغرض فان الاولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شأنه والاخرى مسوقة لشرح تمردهم وانهماكهم فى الضلال وان من الحروف التى تشابهت الفعل فى عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الاسماء واعطاء معانيه والمتعدى خاصة فى دخولها على اسمين ولذلك اعملت عمله الفرعى وهو نصب الجزء الاول ورفع الثانى ايذانا بانه فرع فى العمل دخيل فيه وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهى بعد باقية مقتضية للرفع قضية للاستصحاب فلا يرفعه الحرف واجيب بان اقتضاء الخبرية الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه عنها فى خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحروف وفائدتها تأكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الاجوبة وتذكر فى معرض

(فادع لنا ربك يخرج لنا) شيئا (مما تنبت الارض من) للبيان (بقلها وقثائها وفومها) حنطتها (وعدسها وبصلها قال) لهم موسى (أتستبدلون الذى هو أدنى) اخس (بالذى هو خير) اشرف اى تأخذونه بدله والهمزة للانكار فابوا ان يرجعوا فدعا الله تعالى فقال تعالى (اهبطوا) انزلوا (مصرا) من الامصار (فان لكم فيه) (ماسألتم) من النبات (وضربت) جعلت (عليهم الذلة) الذل والهوان (والمسكنة) أى اثر الفقر من السكون والخزى فهى لازمة لهم وان كانوا أغنياء لزوم الدرهم المضروب لسكته (وباؤا) رجعوا (بغضب من الله ذلك) أى الضرب والغضب (بأنهم) أى بسبب أنهم (كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين) كزكريا ويحيي (بغير الحق) أى ظلما (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) يتجاوزون الحد فى المعاصى وكرره للتأكيد (ان الذين آمنوا) بالانبياء من قبل (والذين هادوا) هم اليهود

(والنصارى والصابئين) طائفة من اليهود أوالنصارى (من آمن) منهم (بالله واليوم الآخر) فى زمن نبينا (وعمل صالحا) بشريعته (فلهم أجرهم) أى ثواب أعمالهم (عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون) روعى فى ضمير آمن وعمل لفظ من وفيما بعده معناها (و) اذكر (اذ أخذنا ميثاقكم) عهدكم بالعمل بما فى التوراة (و) قد (رفعنا فوقكم الطور) الجبل اقتلعناه من أصله عليكم لما أبيتم قبولها وقلنا (خذوا ما آتيناكم بقوة) بجد واجتهاد (واذكروا مافيه) بالعمل به (لعلكم تتقون) النار أوالمعاصى (ثم توليتم) أعرضتم (من بعد ذلك) الميثاق عن الطاعة (فلولا فضل الله عليكم ورحمته) لكم بالتوبة أو تأخير العذاب (لكنتم من الخاسرين) الهالكين (ولقد) لام قسم (علمتم) عرفتم (الذين اعتدوا) تجاوزوا الحد (منكم

الشك مثل قوله تعالى * ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انامكناله فى الارض * وقال موسى يافرعون انى رسول من رب العالمين) قال المبرد قولك عبدالله قائم اخبار عن قيامه وان عبدالله قائم جواب سائل عن قيامه وان عبدالله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اماللعهد والمراد به ناس باعيانهم كأبى لهب وابى جهل والوليد بن المغيرة واحبار اليهود اوللجنس متناولا من صمم على الكفر وغيرهم فخص منهم غير المصرين بما اسند اليه والكفر لغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر ولكمام الثمرة كافور وفى الشرع انكار ماعلم بالضرورة مجيء الرسول به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار ونحوها كفرا لانها تدل على التكذيب فان من صدق الرسول صلى الله عليه وسلم لايجترىء عليها ظاهرا لالانها كفر فى انفسها واحتجت المعتزلة بما جاء فى القرآن بلفظ الماضى على حدوثه لاستدعائه سابقة المخبر عنه واجيب بانه مقتضى التعلق وحدوثه لايستلزم حدوث الكلام كما فى العلم (سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم) خبر ان وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر قال الله تعالى * تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم * رفع بانه خبر ان ومابعده مرتفع به على الفاعلية كأنه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه او بانه خبر لمابعده بمعنى انذارك وعدمه سيان عليهم والفعل انما يمتنع الاخبار عنه اذا اريد به تمام ما وضع له اما لو اطلق واريد به اللفظ اومطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم فى الاضافة والاسناد اليه كقوله تعالى * واذا قيل لهم آمنوا * وقوله * يوم لاينفع الصادقين صدقهم * وقولهم * تسمع بالمعيدى خير من ان تراه * وانما عدل ههنا عن المصدر الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وام عليه لتقرير معنى الاستواء وتأكيده فانهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء كما جردت حروف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص فى قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة والانذار التخويف اريد به التخويف من عذاب الله وانما اقتصر عليه دون البشارة لانه اوقع فى القلب و اشد تأثيرا فى النفس من حيث ان دفع الضر راهم من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع اولى وقرىء ءانذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين وقلبها الفا وهو لحن لان المتحركة لاتقلب ولانه يؤدى الى جمع

الساكنين على غير حده وبتوسيط الف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف الاستفهامية وبحذفهـا والقاء حركتها على الساكن قبلها (لا يؤمنون) جملة مفسرة لاجمال ماقبلها فيما فيه الاستواء فلامحل لها اوحال مؤكدة او بدل منه اوخبر ان والجملة قبلهـا اعتراض بما هوعلة الحكم والآية مما احتج به من جوز تكليف مالايطاق فانه سبحانه وتعالى اخبر عنهم بانهم لايؤمنون وامرهم بالايمان فلو آمنوا انقلب خبره كذبا وشمل ايمانهم الايمان بانهم لايؤمنون فيجتمع الضدان والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام لا تستدعى غرضا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشئ اوعدمه لاينفى القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو اوالعبد باختياره وفائدة الانذار بعد العلم بانه لاينجع الزام الحجة وحيازة الرسول فضل الابلاغ ولذلك قال سواء عليهم ولم يقل سواء عليك كما قال لعبدة الاصنام * سواء عليكم أدعوتموهم ام انتم صامتون * والآية اخبار بالغيب على ماهو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهى من المعجزات (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة) تعليل للحكم السابق وبيان مايقتضيه والختم الكتم سمى به الاستيثاق من الشئ بضرب الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ آخره نظرا الى انه آخر فعل يفعل فى احرازه والغشاوة فعالة من غشاه اذا غطاه بنيت لما يشتمل على الشئ كالعصابة والعمامة ولاختم ولاتغشية على الحقيقة وانما المراد بهما ان يحدث فى نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصى واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم فى التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لاينفذ فيهـا الحق واسماعهم تعاف استماعه فتصير كأنها مستوثق منها بالختم وابصارهم لا تجتلى الآيات المنصوبة لهم فى الانفس والآفاق كما تجتليها اعين المستبصرين فتصير كأنها غطى عليهـا وحيل بينهـا وبين الابصار وسماه على الاستعارة ختما وتغشية اومثل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة بها باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها ختما وتغطية وقد عبر عن احداث هذه الهيئة بالطبع فى قوله تعالى * اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم * وبالاغفال فى قوله تعالى * ولاتطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا * وبالاقساء فى قوله تعالى * وجعلنا قلوبهم قاسية * وهى من حيث

فى السبت) بصيد السمك وقد نهيناهم عنه وهم أهل ايلة (فقلنالهم كونوا قردة خاسئين) مبعدين فكانوهـا وهلكوا بعد ثلاثة أيام (فجعلناها) أى تلك العقوبة (نكالا) عبرة مانعة من ارتكاب مثل ماعملوا (لمابين يديها وماخلفها) أى للأمم التى فى زمانها وبعدها (وموعظـة للمتقين) الله وخصوا بالذكر لانهم المنتفعون بها بخلاف غيرهم (و) اذكر (اذ قال موسى لقومـه) وقد قتل لهم قتيل لايدرى قاتله وسألوه أن يدعو الله أن يبينه لهم فدعاه (ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا) مهزوا بنـا حيث تجيبنا بمثل ذلك (قال أعوذ) امتنع (بالله) من (ان اكون من الجاهلين) المستهزئين فلما علموا انه عزم (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى) اى ماسنها (قال) موسى (انه) اى الله (يقول انها بقرة لا فارض) مسنة (ولا بكر) صغيرة (عوان) نصف (بين ذلك) المذكور

ان الممكنات باسرها مستندة الى الله تعالى واقعة بقدرته اسندت اليه ومن حيث انها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله تعالى * بل طبع الله عليها بكفرهم * وقوله تعالى * ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم * وردت الآية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم واضطربت المعتزلة فيه فذكروا وجوها من التأويل * الاول ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك فى قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقى المجبول عليه * الثانى ان المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التى خلقها الله تعالى خالية عن الفطن اوقلوب مقدرة ختم الله عليها ونظيره سال به الوادى اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته * الثالث ان ذلك فى الحقيقة فعل الشيطان اوالكافر لكن لما كان صدوره عنه باقداره تعالى اياه اسند اليه اسناد الفعل الى المسبب * الرابع ان اعراقهم لما رسخت فى الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف عبر عن تركه بالختم فانه سد لايمانهم وفيه اشعار على تمادى امرهم فى الغى وتناهى انهما كهم فى الضلال والبغى * الخامس ان يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما واستهزاء بهم كقوله تعالى * لم يكن الذين كفروا * الآية * السادس ان ذلك فى الآخرة وانما اخبر عنه بالماضى لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله تعالى * ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما * السابع ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون منهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف الى الله تعالى من طبع واضلال ونحوهما وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله تعالى * وختم على سمعه وقلبه * وللوفاق على الوقف عليه ولانهما لما اشتركا فى الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذى يمنع من جميع الجهات وادراك الابصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها من فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة وكرر الجار ليكون ادل على شدة الختم فى الموضعين واستقلال كل منهما بالحكم ووحد السمع للامن من اللبس واعتبار الاصل فانه مصدر فى اصله والمصادر لاتجمع اوعلى تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم والابصار جمع

من السنين (فافعلوا ما تؤمرون) به من ذبحها (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها) شديد الصفرة (تسر الناظرين) اليها بحسنها أى تعجبهم (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى) أسائمة ام عاملة (ان البقر) أى جنسه المنعوت بما ذكر (تشابه علينا) لكثرته فلم نهتد الى المقصودة (وانا ان شاء الله لمهتدون) اليها فى الحديث لو لم يستثنوا لمابينت لهم آخر الابد (قال انه يقول انها بقرة لاذلول) غير مذللة بالعمل (تثير الارض) تقلبها للزراعة والجملة صفة ذلول داخلة فى النفى (ولا تسقى الحرث) الارض المهيأة للزراعة (مسلمة) من العيوب وآثار العمل (لاشية) لون (فيها) غير لونها (قالوا الآن جئت بالحق) نطقت بالبيان التام فطلبوها فوجدوها عند الفتى البار بأمه فاشتروها بملء مسكها ذهبا (فذبحوها وما كادوا يفعلون) لغلاء ثمنها وفى الحديث لو ذبحوا أى بقرة كانت لأجزأتهم

(بصر)

بصر وهو ادراك العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد بهما فى الآية العضو لانه اشد مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ماهو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما قال تعالى * ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب * وانما جاز امالتها مع الصاد لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه وبالجار والمجرور عند الاخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية وقرئ بالنصب على تقدير وجعل على ابصارهم غشاوة او على حذف الجار وايصال الختم بنفسه اليه والمعنى وختم على ابصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين الغير المعجمة (ولهم عذاب عظيم) وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب كالنكال بناء ومعنى تقول عذب عن الشئ ونكل عنه اذا امسك ومنه العذب لانه يقمع العطش ويردعه ولذلك سمى نقاخا وفراتا ثم اتسع فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن نكالا اى عقابا يردع الجانى عن المعاودة فهو اعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب الذى هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكما ان الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف به انه اذا قيس بسائر مايجانسه قصر عنه وحقر بالاضافة اليه ومعنى التنكير فى الآية ان على ابصارهم نوع غشاوة ليس مما يتعارفه الناس وهو التعامى عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لايعلم كنهه الا الله (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر) لما افتتح سبحانه وتعالى بشرح حال الكتاب وساق لبيانه ذكر المؤمنين الذين اخلصوا دينهم لله تعالى وواطأت فيه قلوبهم السنتهم وثنى باضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفته رأسا ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم اخبث الكفرة وابغضهم الى الله لانهم موهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك طول فى بيان خبثهم وجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بافعالهم وسجل على غيهم وطغيانهم وضرب لهم الامثال وانزل فيهم * ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار * وقصتهم عن آخرها معطوفة على قصة المصرين والناس اصله اناس لقولهم انسان وانس واناسى فحذفت

ولكن شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم (واذ قتلتم نفسا فادار أتم) فيه ادغام التاء فى الاصل فى الدال اى تخاصمتم وتدافعتم (فيها والله مخرج) مظهر (ماكنتم تكتمون) من أمرها وهذا اعتراض وهو أول القصة (فقلنا اضربوه) أى القتيل (ببعضها) فضرب بلسانها أو عجب ذنبها فحيى وقال قتلنى فلان وفلان لابنى عمه ومات فحرما الميراث وقتلا قال تعالى (كذلك) الاحياء (يحيى الله الموتى ويريكم آياته) دلائل قدرته (لعلكم تعقلون) تتدبرون فتعلمون أن القادر على احياء نفس واحدة قادر على احياء نفوس كثيرة فتؤمنون (ثم قست قلوبكم) أيها اليهود صلبت عن قبول الحق (من بعد ذلك) المذكور من احياء القتيل وما قبله من الآيات (فهى كالحجارة) فى القسوة (أو اشد قسوة) منها (وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق) فيه ادغام التاء فى الاصل فى الشين (فيخرج

منه الماء وان منها لما يهبط) ينزل من علو الى أسفل (من خشية الله) وقلوبكم لاتتأثر ولا تلين ولا تخشع (وما الله بغافل عما تعملون) وانما يؤخركم لوقتكم وفى قراءة بالتحتانية وفيه التفات عن الخطاب (أفتطمعون) أيها المؤمنون (أن يؤمنوا) أى اليهود (لكم وقد كان فريق) طائفة (منهم) أحبارهم (يسمعون كلام الله) فى التوراة (ثم يحرفونه) يغيرونه (من بعد ماعقلوه) فهموه (وهم يعلمون) أنهم مفترون والهمزة للانكار أى لاتطمعوا فلهم سابقة فى الكفر (واذا لقوا) أى منافقو اليهود (الذين آمنوا قالوا آمنا) بأن محمدا نبى وهو المبشر به فى كتابنا (واذا خلا) رجع (بعضهم الى بعض قالوا) أى رؤساؤهم الذين لم ينافقوا لمن نافق (أتحدثونهم) أى المؤمنين (بما فتح الله عليكم) أى عرفكم فى التوراة من نعت محمد (ليحاجوكم) ليخاصموكم واللام للصيرورة (به عند

الهمزة حذفها فى لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لايكاد يجمع بينهما وقوله * ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا * شاذ وهو اسم جمع كرخال اذ لم يثبت فعال فى ابنية الجمع مأخوذ من انس لانهم يستأنسون بامثالهم او آنس لانهم ظاهرون مبصرون ولذلك سموا بشرا كما سمى الجن جنا لاجتنانهم واللام فيه للجنس ومن موصوفة اذ لاعهد فكأنه قال ومن الناس ناس يقولون اوللعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة مراد بها ابن ابى واصحابه ونظراؤه فانهم من حيث انهم صمموا على النفاق دخلوا فى عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادات زادوها على الكفر لايأبى دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس انما تنوع بزيادات يختلف فيها ابعاضها فعلى هذا تكون الآية تقسيما للقسم الثانى واختصاص الايمان بالله وباليوم الآخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود الاعظم من الايمان وادعاء بانهم احتازوا الايمان من جانبيه واحاطوا بقطريه وايذان بانهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق لان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله وباليوم الآخر ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لايدخلها غيرهم وان النار لاتمسهم الاايام معدودة وغيرها ويرون المؤمنين انهم آمنوا مثل ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم فى كفرهم لان ماقالوه لو صدر عنهم لاعلى وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ايمانا كيف وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفى تكرار الباء ادعاء ايمان بكل واحد على الاصالة والاستحكام والقول هو التلفظ بمايفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصور فى النفس المعبر عنه باللفظ وللرأى والمذهب مجازا والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر الى مالاينتهى او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة (وماهم بمؤمنين) انكار ماادعوه ونفى ما انتحلوا اثباته وكان اصله وما آمنوا ليطابق قولهم فى التصريح بشأن الفعل دون الفاعل لكنه عكس تأكيدا اومبالغة فى التكذيب لان اخراج ذواتهم من عداد المؤمنين ابلغ من نفى الايمان عنهم فى ماضى الزمان ولذلك أكد النفى بالباء واطلق الايمان على معنى انهم ليسوا من الايمان فى شئ ويحتمل ان يقيد بماقيدوا به لانه جوابه والآية تدل على ان من ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لان من تفوه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه او ينافيه لم يكن مؤمنا والخلاف مع الكرامية فى الثانى

فلا ينهض حجة عليهم ﴿ يخادعون الله والذين آمنوا ﴾ الخدع ان توهم غيرك خلاف ماتخفيه من المكروه لتزله عما هو فيه وعما هو بصدده من قولهم خدع الضب اذا توارى فى جحره. وضب خادع وخدع اذا اوهم الحارش اقباله عليه ثم خرج من باب آخر واصله الاخفاء ومنه المخدع للخزانة والاخدعان لعرقين خفيين فى العنق والمخادعة تكون من اثنين وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لانه لايخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا خديعته بل المراد اما مخادعة رسوله على حذف المضاف اوعلى ان معاملة الرسول معاملة الله من حيث انه خليفته كما قال * ومن يطع الرسول فقد اطاع الله * ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله * واما ان صورة صنيعهم مع الله تعالى من اظهار الايمان واستبطان الكفر وصنع الله معهم من اجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده اخبث الكفار واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين امر الله فى اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنيع المتخادعين ويحتمل ان يراد بيخادعون يخدعون لانه بيان ليقول اواستئناف بذكر ما هو الغرض منه الا انه اخرج فى زنة فاعلت للمبالغة فان الزنة لما كانت للمغالبة والفعل متى غولب فيه كان ابلغ منه اذا جاء بلا مقابلة معارض ومبار استصحبت ذلك ويعضده قراءة من قرأ يخدعون وكأن غرضهم فى ذلك ان يدفعوا عن انفسهم مايطرق به من سواهم من الكفرة وان يفعل بهم مايفعل بالمؤمنين من الاكرام والاعطاء وان يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على اسرارهم ويذيعوها الى منابذيهم الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد ﴿ ومايخادعون الا انفسهم ﴾ قراءة نافع وابن كثير وابى عمرو والمعنى ان دائرة الخداع راجعة اليهم وضررها يحيق بهم او انهم فى ذلك خدعوا انفسهم لما غروها بذلك وخدعتهم انفسهم حيث حدثتهم بالامانى الفارغة وحملتهم على مخادعة من لايخفى عليه خافية وقرأ الباقون ومايخدعون لان المخادعة لاتتصور الا بين اثنين وقرئ ويخدعون من خدع ويخدعون بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشئ وحقيقته ثم قيل للروح لان نفس الحى به وللقلب لانه محل الروح اومتعلقه وللدم لان قوامها به وللماء لفرط حاجتها اليه وللرأى فى قولهم فلان يؤامر نفسه لانه ينبعث عنها او يشبه ذاتا ما تأمره وتشير عليه والمراد

ربكم) فى الآخرة ويقيموا عليكم الحجة فى ترك اتباعه مع علمكم بصدقه (أفلا تعقلون) أنهم يحاجونكم اذا حدثتموهم فتنتهوا قال تعالى (أولا يعلمون) الاستفهام للتقرير والواو الداخل عليها للعطف (أن الله يعلم مايسرون ومايعلنون) مايخفون ومايظهرون من ذلك وغيره فيرعووا عن ذلك (ومنهم) أى اليهود (أميون) عوام (لايعلمون الكتاب) التورية (الا) لكن (أمانى) أكاذيب تلقوها من رؤسائهم فاعتمدوها (وان) ما (هم) فى جحد نبوة النبى وغيره مما يختلقونه (الا يظنون) ظنا ولا علم لهم (فويل) شدة عذاب (للذين يكتبون الكتاب بأيديهم) أى مختلقا من عندهم (ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا) من الدنيا وهم اليهود غيروا صفة النبى فى التورية وآية الرجم وغيرها وكتبوها على خلاف ما أنزل (فويل لهم مما كتبت أيديهم) من المختلق (وويل لهم مما يكسبون) من الرشا

بالانفس ههنا ذواتهم ويحتمل حملها على ارواحهم وآرائهم (ومايشعرون)
لايحسون بذلك لتمادى غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم
فى الظهور كالمحسوس الذى لايخفى الاعلى مؤوف الحواس والشعور
الاحساس ومشاعر الانسان حواسه واصله الشعر ومنه الشعار (فى قلوبهم
مرض فزادهم الله مرضا) المرض حقيقة فيما يعرض للبدن فيخرجه
عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل فى افعاله ومجاز فى الاعراض
النفسانية التى تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب
المعاصى لانها مانعة من نيل الفضائل ومؤدية الى زوال الحيوة الحقيقية
الابدية والآية الكريمة تحتملهما فان قلوبهم كانت متألمة تحرقا على مافات
عنهم من الرياسة وحسدا على مايرون من ثبات امر الرسول صلى الله عليه
وسلم واستعلاء شانه يومافيوما وزادالله غمهم بمازاد فى اعلاء امره واشادة
ذكره ونفوسهم كانت مؤوفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبى
صلى الله عليه وسلم ونحوها فزادالله سبحانه وتعالى ذلك بالطبع اوبازدياد
التكاليف وتكرير الوحى وتضاعف النصر وكان اسناد الزيادة الى الله
تعالى من حيث انه مسبب من فعله واسنادها الى السورة فى قوله تعالى
* فزادتهم رجسا * لكونها سببا ويحتمل ان يراد بالمرض ماتداخل قلوبهم
من الجبن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين وامدادالله تعالى لهم بالملائكة
وقذف الرعب فى قلوبهم وبزيادته تضعيفه بمازاد لرسول الله صلى الله عليه
وسلم نصرة على الاعداء وتبسطا فى البلاد (ولهم عذاب اليم) اى مؤلم
يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كقوله *
تحية بينهم ضرب وجيع * على طريقة قولهم جد جده (بما كانوا
يكذبون) قرأها عاصم وحمزة والكسائى والمعنى بسبب كذبهم اوبدله
جزاء لهم وهوقولهم آمنا وقرأ الباقون يكذبون من كذبه لانهم كانوا
يكذبون الرسول عليه الصلوة والسلام بقلوبهم واذا خلوا الى شطارديهم
اومن كذب الذى هوللمبالغة اوللتكثير مثل بين الشئ وموتت البهائم
اومن كذب الوحشى اذا جرى شوطا ووقف لينظر ماوراءه فان المنافق
متحير متردد والكذب هوالخبر عن الشئ على خلاف ماهو به وهو حرام كله
لانه علل به استحقاق العذاب حيث رتب عليه ومأروى ان ابراهيم
عليه الصلوة والسلام كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض ولكن

(وقالوا) لماوعدهم النبى النار
(لن تمسنا) تصيبنا (النار الاايام
معدودة) قليلة اربعين مدة
عبادة آبائهم العجل ثم تزول
(قل) لهم يامحمد (اتخذتم)
حذفت منه همزة الوصل استغناء
بهمزة الاستفهام (عندالله
عهدا) ميثاقا منه بذلك (فلن
يخلف الله عهده) به لا (ام) بل
(تقولون على الله مالاتعلمون
بلى) تمسكم وتخلدون فيها
(من كسب سيئة) شركا
(واحاطت به خطيئته) بالافراد
والجمع اى استولت عليه
واحدقت به من كل جانب
بأن مات مشركا (فأولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون) روعى
فيه معنى من (والذين آمنوا
وعملوا الصالحات اولئك
اصحاب الجنة هم فيها خالدون و)
اذكر (اذاخذنا ميثاق بنى
اسرائيل) فى التورية وقلنا
(لاتعبدون) بالتاء والياء
(الاالله) خبر بمعنى النهى وقرئ
لاتعبدوا (و) احسنوا (بالوالدين
احسانا) برا (وذى القربى) للقرابة

لما شابه الكذب فى صورته سمى به ﴿ واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض ﴾ عطف على يكذبون او يقول وماروى عن سلمان ان اهل هذه الآية لم يأتوا بعد فلعله اراد به ان اهلها ليس الذين كانوا فقط بل وسيكون من بعد من حاله حالهم لان الآية متصلة بما قبلها بالضمير الذى فيها والفساد خروج الشئ عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع وكان من فسادهم فى الارض هيج الحروب والفتن بمخادعة المسلمين وممالاة الكفار عليهم بافشاء الاسرار اليهم فان ذلك يؤدى الى فساد مافى الارض من الناس والدواب والحرث ومنه اظهار المعاصى والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرائع والاعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم والقائل هو الله تعالى اوالرسول او بعض المؤمنين وقرأ الكسائى وهشام قيل باشمام الضم ﴿ قالوا انما نحن مصلحون ﴾ جواب لاذا ورد للناصح على سبيل المبالغة والمعنى انه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شاننا ليس الا الاصطلاح وان حالنا متمحضة عن شوائب الفساد لان انما تفيد قصر مادخلت عليه على مابعده مثل انما زيد منطلق وانما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما فى قلوبهم من المرض كما قال الله تعالى * أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ﴿ الا انهم هم المفسدون ولكن لايشعرون ﴾ رد لما ادعوه ابلغ رد للاستئناف به وتصديره بحرفى التأكيد الا المنبهة على تحقيق مابعدها فان همزة الاستفهام التى للانكار اذا دخلت على النفى افادت تحقيقا ونظيره أليس ذلك بقادر ولذلك لايكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بمايتلقى بها القسم واختها اما التى هى من طلائع القسم وان المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لرد ما فى قولهم انما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين والاستدراك بلا يشعرون ﴿ واذا قيل لهم آمنوا ﴾ من تمام النصح والارشاد فان كمال الايمان بمجموع الامرين الاعراض عما لاينبغى وهو المقصود بقوله لاتفسدوا والاتيان بما ينبغى وهو المطلوب بقوله آمنوا ﴿ كما آمن الناس ﴾ فى حيز النصب على المصدر ومامصدرية اوكافة مثلها فى ربما واللام فى الناس للجنس والمراد به الكاملون فى الانسانية العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل

عطف على الوالدين ﴿ واليتامى والمساكين وقولوا للناس ﴾ قولا ﴿ حسنا ﴾ من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والصدق فى شان محمد والرفق بهم وفى قراءة بضم الحاء وسكون السين مصدر وصف به مبالغة ﴿ واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة ﴾ فقبلتم ذلك ﴿ ثم توليتم ﴾ أعرضتم عن الوفاء به فيه التفات عن الغيبة والمراد آباؤهم ﴿ الا قليلا منكم وأنتم معرضون ﴾ عنه كآبائكم ﴿ واذ أخذنا ميثاقكم ﴾ وقلنا ﴿ لا تسفكون دماءكم ﴾ تريقونها بقتل بعضكم بعضا ﴿ ولا تخرجون انفسكم من دياركم ﴾ لايخرج بعضكم بعضا من داره ﴿ ثم أقررتم ﴾ قبلتم ذلك الميثاق ﴿ وأنتم تشهدون ﴾ على أنفسكم ﴿ ثم أنتم ﴾ يا ﴿ هؤلاء تقتلون انفسكم ﴾ يقتل بعضكم بعضا ﴿ وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون ﴾ فيه ادغام التاء فى الاصل فى الظاء وفى قراءة بالتخفيف على حذفها تتعاونون ﴿ عليهم بالاثم ﴾

لما يستجمع المعانى المخصوصة به والمقصودة منه ولذلك يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان ومن هذا الباب قوله تعالى * صم بكم عمى * ونحوه وقد جمعهما الشاعر فى قوله * اذ الناس ناس والزمان زمان * او للعهد والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه اومن آمن من اهل جلدتهم كابن سلام واصحابه والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا لايمانهم واستدل به على قبول توبة الزنديق وان الاقرار باللسان ايمان والالم يفد التقييد ﴿ قالوا انؤمن كما آمن السفهاء ﴾ الهمزة فيه للانكار واللام مشار بها الى الناس او الجنس باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم فساد رأيهم اولتحقير شأنهم فان اكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موالى كصهيب وبلال اوللتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم ان فسر الناس بعبدالله بن سلام واشياعه والسفه خفة وسخافة رأى يقتضيهما نقصان العقل والحلم يقابله ﴿ الا انهم هم السفهاء ولكن لايعلمون ﴾ رد ومبالغة فى تجهيلهم فان الجاهل بجهله الجازم على خلاف ماهو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه الآيات والنذر وانما فصلت الآية بلا يعلمون والتى قبلها بلا يشعرون لانه اكثر طباقا لذكر السفه ولان الوقوف على امر الدين والتميز بين الحق والباطل مما يفتقر الى نظر وتفكر واما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانما يدرك بادنى تفطن وتأمل فيما يشاهد من اقوالهم وافعالهم ﴿ واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ﴾ بيان لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار وماصدرت به القصة فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير * روى ان ابن ابى واصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابى بكر رضى الله عنه وقال مرحبا بالصديق سيد بنى تيم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله فى الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد عمر رضى الله عنه فقال مرحبا بسيد بنى عدى الفاروق القوى فى دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد على رضى الله عنه فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه سيد بنى هاشم ماخلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته ومنه القيته اذا طرحته فانك بطرحه جعلته

بالمعصية (والعدوان) الظلم (وان يأتوكم أسارى) وفى قراءة أسرى (تفدوهم) وفى قراءة تفادوهم تنقذوهم من الاسر بالمال اوغيره وهو مما عهد اليهم (وهو) أى الشأن (محرم عليكم اخراجهم) متصل بقوله وتخرجون والجملة بينهما اعتراض اى كما حرم ترك الفداء وكانت قريظة خالفوا الاوس والنضير الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه ويخرب ديارهم ويخرجهم فاذا أسروا فدوهم وكانوا اذا سئلوا لم تقاتلونهم وتفدونهم قالوا أمرنا بالفداء فيقال فلم تقاتلونهم فيقولون حياء أن تستذل حلفاؤنا قال تعالى (أفتؤمنون ببعض الكتاب) وهو الفداء (وتكفرون ببعض) وهو ترك القتل والاخراج والمظاهرة (فما جزاء من يفعل ذلك منكم الاخزى) هوان وذل (فى الحيوة الدنيا) وقد خزوا بقتل قريظة ونفى النضير الى الشام وضرب الجزية (ويوم القيمة يردون الى

بحيث يلقى (واذا خلوا الى شياطينهم) من خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه او من خلاك ذم اى عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية او من خلوت به اذا سخرت منه وعدى بالى لتضمين معنى الانهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشيطان فى تمردهم وهو المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة فى الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة اصلية على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد عن الصلاح ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زائدة على انه من شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل (قالوا انامعكم) اى فى الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بان لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال فى الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف ماقالوا مع الكفار (انما نحن مستهزؤن) تأكيد لماقبله لان المستهزئ بالشئ المستخف به مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استئناف فكأن الشياطين قالوا لهم لما قالوا انامعكم ان صح ذلك فمالكم توافقون المؤمنين وتدعون الايمان فاجابوا بذلك والاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال هزئت واستهزأت بمعنى كاجبت واستجبت واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات على مكانه وناقته تهزأ به اى تسرع وتخف (الله يستهزئ بهم) يجازيهم على استهزائهم سمى جزاء الاستهزاء باسمه كما سمى جزاء السيئة سيئة اما لمقابلة اللفظ باللفظ او لكونه مماثلا له فى القدر او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذى هو لازم الاستهزاء والغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ اما فى الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة فى النعمة على التمادى فى الطغيان واما فى الآخرة فبان يفتح لهم وهم فى النار بابا الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك * قوله تعالى ﴿ فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون ﴾ وانما استؤنف به ولم يعطف ليدل على ان الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين الى ان يعارضوهم وان استهزاءهم لايؤبه به فى مقابلة مايفعل الله بهم ولعله لم يقل الله

أشد العذاب وما الله بغافل عما يعملون) بالياء والتاء (اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة) بان آثروها عليها (فلايخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون) يمنعون منه (ولقد آتينا موسى الكتاب) التورية (وقفينا من بعده بالرسل) أى أتبعناهم رسولا فى اثر رسول (وآتينا عيسى ابن مريم البينات) المعجزات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص (وأيدناه) قويناه (بروح القدس) من اضافة الموصوف الى الصفة أى الروح المقدسة جبريل لطهارته يسير معه حيث سار فلم تستقيموا (أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى) تحب (أنفسكم) من الحق (استكبرتم) تكبرتم عن اتباعه جواب كلما وهو محل الاستفهام والمراد به التوبيخ (ففريقا) منهم (كذبتم) كعيسى (وفريقا تقتلون) المضارع لحكاية الحال الماضية أى قتلتم كزكريا ويحيى (وقالوا) للنبي استهزاء

مستهزئ بهم ليطابق قولهم إيماء بان الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدد حينا بعد حين وهكذا كانت نكايات الله فيهم كما قال ﴿ اولا يرون انهم يفتنون فى كل عام مرة او مرتين ﴾ (ويمدهم فى طغيانهم يعمهون) من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد لامن المد فى العمر فانه يعدى باللام كأملى لهم ويدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء الكلام على ظاهره قالوا لما منعهم الله تعالى الطافه التى يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم وسدهم طريق التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم رينا وظلمة تزايد قلوب المؤمنين انشراحا ونورا اومكن الشيطان من اغوائهم فزادهم طغيانا اسند ذلك الى الله تعالى اسناد الفعل الى المسبب مجازا واضاف الطغيان اليهم لئلا يتوهم ان اسناد الفعل اليه على الحقيقة ومصداق ذلك انه لما اسند المد الى الشياطين اطلق الغى قال * واخوانهم يمدونهم فى الغى * وقيل اصله يمدلهم بمعنى يملى لهم ويمد فى اعمارهم كى ينتبهوا ويطيعوا فمازادوا الاطغيانا وعمها فحذفت اللام وعدى الفعل بنفسه كما فى قوله تعالى ﴿ واختار موسى قومه ﴾ او التقدير يمدهم استصلاحا وهم مع ذلك يعمهون فى طغيانهم والطغيان بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحد فى العتو والغلو فى الكفر واصله تجاوز الشئ عن مكانه قال * انا لما طغى الماء حملناكم * والعمه فى البصيرة كالعمى فى البصر وهو التحير فى الامر يقال رجل عامه وعمه وارض عمهاء لامنار بها قال * اعمى الهدى بالجاهلين العمه (اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) اختاروها عليه واستبدلوها به واصله بذل الثمن لتحصيل مايطلب من الاعيان فان كان احد العوضين ناضا تعين من حيث انه لايطلب لعينه ان يكون ثمنا وبذله اشتراء والافاى العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله مشتر وآخذه بائع ولذلك عدت الكلمتان من الاضداد ثم استعير للاعراض عما فى يده محصلا به غيره سواء كان من المعانى او الاعيان ومنه قول الشاعر * اخذت بالجمة رأسا ازعرا * وبالثنايا الواضحات الدردرا * وبالطويل العمر عمرا جيذرا * كما اشترى المسلم اذ تنصرا * ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشئ طمعا فى غيره والمعنى انهم اخلوا بالهدى الذى جعل الله لهم بالفطرة التى فطر الناس عليها محصلين الضلالة التى ذهبوا اليها او اختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى

(قلوبنا غلف) جمع أغلف اى مغشاة باغطية فلاتعى ماتقول قال تعالى (بل) للاضراب (لعنهم الله) أبعدهم عن رحمته وخذلهم عن القبول (بكفرهم) وليس عدم قبولهم لخلل فى قلوبهم (فقليلا مايؤمنون) مازائدة لتأكيد القلة أى ايمانهم قليل جدا (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم) من التوراة هو القرآن (وكانوا من قبل) قبل مجيئه (يستفتحون) يستنصرون (على الذين كفروا) يقولون اللهم انصرنا عليهم بالنبى المبعوث آخر الزمان (فلما جاءهم ماعرفوا) من الحق وهو بعثة النبى (كفروا به) حسدا وخوفا على الرياسة وجواب لما الاولى دل عليه جواب الثانية (فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا) باعوا (به أنفسهم) أى حظها من الثواب وما نكرة بمعنى شيئا تمييز لفاعل بئس والمخصوص بالذم (أن يكفروا)

(فما ربحت تجارتهم) ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء فى معاملتهم اتبعه بما يشاكله تمثيلا لخسارهم ونحوه * ولما رأيت النسر عز ابن داية * وعشش فى وكريه جاش له صدرى * والتجارة طلب الربح بالبيع والشراء والربح الفضل على رأس المال ولذلك سمى شفا واسناده الى التجارة وهو لاربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل او لمشابهتها اياه من حيث انها سبب الربح والخسران (وما كانوا مهتدين) لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين لان رأس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق لهم رأس مال يتوسلون به الى درك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين من الربح فاقدين للاصل (مثلهم كمثل الذى استوقد نارا) لما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل زيادة فى التوضيح والتقرير فانه اوقع فى القلب واقمع للخصم الالد لانه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولامر ما أكثر الله فى كتبه الامثال وفشت فى كلام الانبياء والحكماء والمثل فى الاصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب الا ما فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثم استعير لكل حال او قصة او صفة لها شان وفيها غرابة مثل قوله تعالى * مثل الجنة التى وعد المتقون * وقوله تعالى * ولله المثل الاعلى * والمعنى حالهم العجيبة الشان كحال من استوقد نارا والذى بمعنى الذين كما فى قوله تعالى * وخضتم كالذى خاضوا * ان جعل مرجع الضمير فى نورهم وانما جاز ذلك ولم يجز وضع القائم موضع القائمين لانه غير مقصود بالوصف بل الجملة التى هى صلته وهو وصلة الى وصف المعرفة بها ولانه ليس باسم تام بل هو كالجزء منه فحقه ان لا يجمع كما لم يجمع اخواته ويستوى فيه الواحد والجمع وليس الذين جمعه المصحح بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة التى عليها التنزيل ولكونه مستطالا بصلته استحق التخفيف ولذلك بولغ فحذف ياؤه ثم كسرته اقتصر على اللام فى اسماء الفاعلين والمفعولين اوقصد به جنس المستوقدين او الفوج الذى استوقد والاستيقاد طلب الوقود والسعى فى تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع لهبها واشتقاق النار من نار ينور نورا اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا (فلما اضاءت ما حوله)

أى كفرهم (بما انزل الله) من القرآن (بغيا) مفعول له ليكفروا أى حسدا على (ان ينزل الله) بالتخفيف والتشديد (من فضله) الوحى (على من يشاء) للرسالة (من عباده فباؤا) رجعوا (بغضب) من الله بكفرهم بما انزل والتنكير للتعظيم (على غضب) استحقوه من قبل بتضييع التورية والكفر بعيسى (وللكافرين عذاب مهين) ذو اهانة (واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله) القرآن وغيره قالوا نؤمن بما انزل علينا) اى التورية قال تعالى (ويكفرون) الواو للحال (بما وراءه) سواه او بعده من القرآن (وهو الحق) حال (مصدقا) حال ثانية مؤكدة (لما معهم قل) لهم (فلم تقتلون) اى قتلتم (انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين) بالتورية وقد نهيتم فيها عن قتلهم والخطاب للموجودين فى زمن نبينا بما فعل آباؤهم لرضاهم به (ولقد جاءكم موسى

اى النار ماحول المستوقد ان جعلتها متعدية والا امكن ان تكون مسندة
الى ماو التأنيث لان ماحوله اشياء واما كن او الى ضمير النار وماموصولة
فى معنى الامكنة نصب على الظرف اومزيدة وحوله ظرف وتأليف الحول
للدوران وقيل للعام حول لانه يدور ﴿ ذهب الله بنورهم ﴾ جواب لما
والضمير للذى وجمعه للحمل على المعنى وعلى هذا انما قال بنورهم ولم يقل
بنارهم لانه المراد من ايقادها اواستئناف اجيب به اعتراض سائل يقول
مابالهم شبهت حالهم بحال مستوقد انطفأت ناره او بدل من جملة التمثيل
على سبيل البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما فى
قوله تعالى * فلما ذهبوا به * للايجاز وامن الالتباس واسناد الذهاب الى الله
تعالى امالان الكل بفعله اولان الاطفاء حصل بسبب خفى اوامر سماوى
كريح اومطر اوللمبالغة ولذلك عدى الفعل بالباء دون الهمزة لمافيها
من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه
وما اخذه الله وامسكه فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذى هو مقتضى
اللفظ الى النور فانه لو قيل ذهب الله بضوئهم احتمل ذهابه بما فى الضوء
من الزيادة وبقاء مايسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم رأسا
الا ترى كيف قرر ذلك واكده بقوله ﴿ وتركهم فى ظلمات لايبصرون ﴾
فذكر الظلمة التى هى عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها
ووصفهم بانها ظلمة خالصة لايترائى فيها شبحان وترك فى الاصل بمعنى
طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى صير فجرى مجرى افعال القلوب
كقوله تعالى وتركهم فى ظلمات وقول الشاعر * فتركته جزر السباع ينشنه *
والظلمة مأخوذة من قولهم ماظلمك ان تفعل كذا اى مامنعك لانها تسد
البصر وتمنع الرؤية وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيمة
يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم اوظلمة
الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد اوظلمة شديدة كأنها
ظلمة متراكمة ومفعول لايبصرون من قبيل المطروح المتروك فكان الفعل
غير متعد والآية مثل ضربه الله لمن آتاه ضربا من الهدى فاضاعه ولم يتوصل به
الى نعيم الابد فبقى متحيرا متحسرا تقريرا وتوضيحا لما تضمنته الآية الاولى
ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون فانهم اضاعوا مانطقت به السنتهم
من الحق باستبطان الكفر واظهاره حين خلوا الى شياطينهم ومن آثر الضلالة

بالبينات) بالمعجزات كالعصا
واليد وفلق البحر (ثم اتخذتم
العجل) الها (من بعده)
من بعد ذهابه الى الميقات
(وأنتم ظالمون) باتخاذه
(واذ اخذنا ميثاقكم) على
العمل بمافى التورية (و) قد
(رفعنا فوقكم الطور) الجبل
حين امتنعتم من قبولها ليسقط
عليكم وقلنا خذوا ماآتيناكم
بقوة) بجد واجتهاد
(واسمعوا) ماتؤمرون به
سماع قبول (قالوا سمعنا
قولك (وعصينا) امرك
(واشربوا فى قلوبهم العجل)
اى خالط حبه قلوبهم كما يخالط
الشراب (بكفرهم قل لهم
(بئسما) شيئا (يأمركم به
ايمانكم) بالتورية عبادة
العجل (ان كنتم مؤمنين)
بها كما زعمتم المعنى لستم بمؤمنين
لان الايمان لايأمر بعبادة
العجل والمراد آباؤهم اى
فكذلك انتم لستم بمؤمنين
بالتورية وقد كذبتم محمدا
والايمان بها لايأمر
بتكذيبه (قل)لهم(ان كانت
لكم الدار الآخرة) اى

على الهدى المجعول له بالفطرة او ارتد عن دينه بعدما آمن ومن صح له احوال الارادة فادعى احوال المحبة فاذهب الله عنه ما اشرق عليه من انوار الارادة او مثل لايمانهم من حيث انه يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين فى المغانم والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب اثره وانطماس نوره باهلاكهم وافشاء حالهم باطفاء الله تعالى اياها واذهاب نورها (صم بكم عمى) لما سدوا مسامعهم عن الاصاخة الى الحق وابوا ان ينطقوا به السنتهم ويبصروا الآيات بابصارهم جعلوا كأنما ايفت مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله * صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به * وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا * وكقوله * اصم عن الشئ الذى لااريده * واسمع خلق الله حين اريد * واطلاقها عليهم على طريقة التمثيل لاالاستعارة اذ من شرطها ان يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقول زهير * لدى اسد شاكى السلاح مقذف * له لبد اظفاره لم تقلم * ومن ثمه ترى المفلقين السحرة يضربون عن توهم التشبيه صفحا كما قال ابو تمام الطائى * ويصعد حتى يظن الجهول * بان له حاجة فى السماء * وههنا وان طوى ذكره لحذف المبتدأ لكنه فى حكم المنطوق به ونظيره * اسد على وفى الحروب نعامة * فتخاء تنفر من صفير الصافر * هذا اذا جعلت الضمير للمنافقين على ان الآية فذلكة التمثيل ونتيجته وان جعلته للمستوقدين فهى على حقيقتها والمعنى انهم لما اوقدوا نارا فذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات هائلة ادهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم وثلاثتها قرئت بالنصب على الحال من مفعول تركهم والصمم اصله صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه قيل حجر اصم وقناة صماء وصمام القارورة سمى به فقدان حاسة السمع لان سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنزا لاتجويف فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شانه ان يبصر وقد يقال لعدم البصيرة (فهم لا يرجعون) لايعودون الى الهدى الذى باعوه وضيعوه او عن الضلالة التى اشتروها او فهم متحيرون لايدرون ايتقدمون ام يتأخرون والى حيث ابتدؤا منه كيف يرجعون والفاء للدلالة على ان اتصافهم بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم (او كصيب من السماء) عطف على الذى استوقد

الجنة (عند الله خالصة) خاصة (من دون الناس) كما زعمتم (فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) تعلق بتمنيه الشرطان على ان الاول قيد فى الثانى أى ان صدقتم فى زعمكم أنها لكم ومن كانت له يؤثرها والموصل اليها الموت فتمنوه (وان يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم) من كفرهم بالنبى المستلزم لكذبهم (والله عليم بالظالمين) الكافرين فيجازيهم (ولتجدنهم) لام قسم (أحرص الناس على حيوة و) أحرص (من الذين اشركوا) المنكرين للبعث عليها لعلمهم بان مصيرهم النار دون المشركين لانكارهم له (يود) يتمنى (أحدهم لو يعمر ألف سنة) لو مصدرية بمعنى أن وهى بصلتها فى تأويل مصدر مفعول يود (وماهو) أى احدهم (بمزحزحه) مبعده (من العذاب) النار (أن يعمر) فاعل مزحزحه أى تعميره (والله بصير بما يعملون) بالياء والتاء فيجازيهم وسأل ابن صوريا النبى

اى كمثل ذوى صيب لقوله يجعلون اصابعهم فى آذانهم واو فى الاصل للتساوى فى الشك ثم اتسع فيها فاطلقت للتساوى من غير شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين وقوله تعالى * ولا تطع منهم آثما او كفورا * فانها تفيد التساوى فى جنس المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك قوله او كصيب ومعناه ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وانهما سواء فى صحة التشبيه بهما وانت مخير فى التمثيل بهما او بايهما شئت والصيب فيعل من الصوب وهو النزول يقال للمطر وللسحاب قال الشماخ * واسحم دان صادق الرعد صيب * وفى الآية يحتملهما وتنكيره لانه اريد به نوع من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة على ان الغمام مطبق آخذ بآفاق السماء كلها فان كل افق منها يسمى سماء كما ان كل طبقة منها سماء وقال * ومن بعد ارض بيننا وسماء * امدبه مافى الصيب من المبالغة من جهة الاصل والبناء والتنكير وقيل المراد بالسماء السحاب فاللام لتعريف الماهية (فيه ظلمات ورعد وبرق) ان اريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامة مع ظلمة الليل وجعله مكانا للرعد والبرق لانهما فى اعلاه ومنحدره ملتبسين به وان اريد به السحاب فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف وفاقا لانه معتمد على موصوف والرعد صوت يسمع من السحاب والمشهور ان سببه اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها اذا حدتها الريح من الارتعاد والبرق مايلمع من السحاب من برق الشئ بريقا وكلاهما مصدر فى الاصل ولذلك لم يجمعهما (يجعلون اصابعهم فى آذانهم) الضمير لاصحاب الصيب وهو وان حذف لفظه واقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز ان يعول عليه كما عول حسان فى قوله * يسقون من ورد البريص عليهموا * بردى يصفق بالرحيق السلسل * حيث ذكر الضمير لان المعنى ماء بردى والجملة استئناف فكأنه لما ذكر مايوذن بالشدة والهول قيل وكيف حالهم مع ذلك فاجيب بها وانما اطلق الاصابع موضع الانامل للمبالغة (من الصواعق) متعلق بيجعلون اى من اجلها يجعلون كقولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد هائل معها نار لاتمر بشئ الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وقد تطلق على كل هائل مسموع او مشاهد ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او شدة الصوت وقرئ من الصواقع وهو ليس بقلب

أو عمر عمن يأتى بالوحى من الملائكة فقال جبريل فقال هو عدونا يأتى بالعذاب ولو كان ميكائيل لآمنا لانه يأتى بالخصب والسلم فنزل (قل) لهم (من كان عدوا لجبريل) فليمت غيظا (فانه نزله) أى القرآن (على قلبك باذن) بأمر (الله مصدقا لما بين يديه) قبله من الكتب (وهدى) من الضلالة (وبشرى) بالجنة (للمؤمنين من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل) بكسر الجيم وفتحها بلا همز وبه بياء ودونها (وميكال) عطف على الملائكة من عطف الخاص على العام وفى قرأة ميكائيل بهمز وياء وفى اخرى بلا ياء (فان الله عدو للكافرين) أوقعه موقع لهم بيانا لحالهم (ولقد أنزلنا اليك) يا محمد (آيات بينات) واضحات حال رد لقول ابن صوريا للنبى ماجئتنا بشئ (ومايكفر بها الا الفاسقون) كفروا بها (اوكلما عاهدوا) الله (عهدا) على الايمان بالنبى ان خرج او النبى أن لايعاونوا عليه المشركين (نبذه) طرحه (فريق منهم) بنقضه

(من)

من الصواعق لاستواء كلا البناءين فى التصرف يقال صقع الديك وخطيب مصقع وصقعته الصاعقة وهى فى الاصل اماصفة لقصفة الرعد اوللرعد والتاء للمبالغة كما فى الراوية اومصدر كالعافية والكاذبة (حذر الموت) نصب على العلة كقوله * واغفر عوراء الكريم ادخاره * الموت زوال الحيوة وقيل عرض يضادها لقوله * خلق الموت والحيوة * ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة (والله محيط بالكافرين) لايفوتونه كمالايفوت المحاط به المحيط لايخلصهم الخداع والحيل والجملة اعتراضية لامحل لها (يكاد البرق يخطف ابصارهم) استئناف ثان كأنه جواب لمن يقول ماحالهم مع تلك الصواعق وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد اما لعروض مانع اولفقد شرط وعسى موضوعة لرجائه فهى خبر محض ولذلك جاءت متصرفة بخلاف عسى وخبرها مشروط فيه ان يكون فعلا مضارعا تنبيها على انه المقصود بالقرب من غير ان ليؤكد القرب بالدلالة على الحال وقد تدخل عليه حملالها على عسى كمايحمل عليها بالحذف من خبرها لمشاركتهما فى اصل معنى المقاربة والخطف الاخذ بسرعة وقرئ يخطف بكسر الطاء ويخطف على انه يختطف فنقلت فتحة التاء الى الخاء ثم ادغمت فى الطاء ويخطف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين واتباع الياء لها ويختطف (كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا) استئناف ثالث كأنه قيل مايفعلون فى تارتى خفوق البرق وخفيته فاجيب بذلك واضاء اما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نورلهم ممشى اخذوه اولازم بمعنى كلمالمع لهم مشوا فى مطرح نوره وكذلك اظلم فانه جاء متعديا منقولا من ظلم الليل ويشهدله قرأة اظلم على البناء للمفعول وقول ابى تمام * هما اظلما حالى ثمة اجليا * ظلاميهما عن وجه امرد اشيب * فانه وان كان من المحدثين لكنه من علماء العربية فلايبعد ان يجعل مايقوله بمنزلة مايرويه وانما قال مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على المشى فكلماصادفوا منهم فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه قامت السوق اذاركدت وقام الماء اذاجمد (ولوشاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم) اى لوشاء الله ان يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق لذهب بهما فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه فى شاء واراد حتى لايكاد يذكر

جواب كلما وهو محل الاستفهام الانكارى (بل) للانتقال (أكثرهم لايؤمنون ولماجاءهم رسول من عندالله) محمد صلى الله عليه وسلم (مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله) أى التورية (وراء ظهورهم) اى لم يعملوا بما فيها من الايمان بالرسول وغيره (كأنهم لايعلمون) مافيها من أنه نبى حق أوأنها كتاب الله (واتبعوا) عطف على نبذ (ماتتلوا) اى تلت (الشياطين على) عهد (ملك سليمان) من السحر وكانت دفنته تحت كرسيه لما نزع ملكه أوكانت تسترق السمع وتضم اليه أكاذيب وتلقيه الى الكهنة فيدونونه وفشا ذلك وشاع أن الجن تعلم الغيب فجمع سليمان الكتب ودفنها فلمامات دلت الشياطين عليها الناس فاستخرجوها فوجدوا فيها السحر فقالوا انما ملككم بهذا فتعلموه ورفضوا كتب أنبيائهم قال تعالى تبرئة

الا فى الشيء المستغرب كقوله * ولو شئت ان ابكى دما لبكيته * ولو من حروف الشرط وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء الثانى ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء لازمه وقرىء لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله تعالى * ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة * وفائدة هذه الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم وابصارهم مع قيام مايقتضيه والتنبيه على ان تأثير الاسباب فى مسبباتها مشروط بمشيئة الله تعالى وان وجودها مرتبط باسبابها واقع بقدرته وقوله (ان الله على كل شيء قدير) كالتصريح به والتقرير له والشيء يختص بالموجود لانه فى الاصل مصدر شاء اطلق بمعنى شاء تارة وحينئذ يتناول البارى تعالى كما قال * قل اى شيء اكبر شهادة قل الله شهيد * و بمعنى مشيء اخرى اى مشيء وجوده وماشاء الله وجوده فهو موجود فى الجملة وعليه قوله تعالى * ان الله على كل شيء قدير * الله خالق كل شيء * فهما على عمومهما بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا الشيء مايصح ان يوجد وهو يعم الواجب والممكن اومايصح ان يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا لزمهم التخصيص بالممكن فى الموضعين بدليل العقل والقدرة هو التمكن من ايجاد الشيء وقيل صفة تقتضى التمكن وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله تعالى عبارة عن نفى العجز والقادر هو الذى ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل والقدير الفعال لما يشاء على مايشاء ولذلك قلما يوصف به غير البارى تعالى واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار قوته او على مقدار ماتقتضيه مشيئته وفيه دليل على ان الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران وان مقدور العبد مقدور لله تعالى لانه شيء وكل شيء مقدور لله تعالى والظاهر ان التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة وهو ان يشبه كيفية منتزعة من مجموع تضامت اجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى * مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها * الآية فانه تشبيه حال اليهود فى جهلهم بمامعهم من التورية بحال الحمار فى جهله بما يحمل من اسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال المنافقين من الحيرة والشدة بما يكابده بحال من انطفأت ناره بعد ايقادها فى ظلمة او بحال من اخذته السماء فى ليلة مظلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلها من قبيل التمثيل المفرد وهو ان تأخذ اشياء فرادى تشبهها بامثالها كقوله تعالى * ومايستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل

(ولا)

لسليمان وردا على اليهود فى قولهم انظروا الى محمد يذكر سليمان فى الانبياء وماكان الا ساحرا (وما كفر سليمان) أى لم يعمل السحر لانه كفر (ولكن) بالتشديد والتخفيف (الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) الجملة حال من ضمير كفروا (و) يعلمونهم (ما أنزل على الملكين) اى ألهماه من السحر وقرىء بكسر اللام الكائنين (ببابل) بلد فى سواد العراق (هاروت وماروت) بدل أو عطف بيان للملكين قال ابن عباس هما ساحران كانا يعلمان السحر وقيل ملكان أنزلا لتعليمه ابتلاء من الله للناس (وما يعلمان من) زائدة (أحد حتى يقولا) له نصحا (إنما نحن فتنة) بلية من الله للناس ليمتحنهم بتعليمه فمن تعلمه كفر ومن تركه فهو مؤمن (فلاتكفر) بتعلمه فان أبى الا التعليم علماه (فيتعلمون منهما مايفرقون به بين المرء وزوجه) بان يبغض

ولاالحرور وقول امرء القيس* كأن قلوب الطير رطباو يابسا* لدى وكرها العناب والحشف البالى * بان يشبه فى الاول ذوات المنافقين بالمستوقدين واظهارهم الايمان باستيقاد النار وماانتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد وغيرذلك باضاءة النار ماحول المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب باهلاكهم وبافشاء حالهم وابقائهم فى الخسار الدائم والعذاب السرمد باطفاء نارهم والذهاب بنورهم وفى الثانى انفسهم باصحاب الصيب وايمانهم المخالط بالكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث انه وان كان نافعا فى نفسه لكنه لماوجد فى هذه الصورة عاد نفعه ضررا ونفاقهم حذرا من نكايات المؤمنين ومايطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع فى الآذان من الصواعق حذر الموت من حيث أنه لايرد من قدرالله تعالى شيئا ولايخاص ممايريد بهم من المضار وتحيرهم لشدة الامر وجهلهم بما يأتون ويذرون بانهم كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة مع خوف ان يخطف ابصارهم فخطوا خطى يسيرة ثم اذاخفى وفتر لمعانه بقوا متقيدين لاحراك بهم وقيل شبه الايمان والقرآن وسائر مااوتى الانسان من المعارف التى هى سبب الحيوة الابدية بالصيب الذى به حيوة الارض وماارتبكت بها من شبه الطائفة المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات المشكلة بالظلمات وشبه مافيها من الوعد والوعيد بالرعد ومافيها من الآيات الباهرة بالبرق وتصامهم عمايسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد اذنه عنها مع انه لاخلاص لهم منها وهو معنى قوله والله محيط بالكافرين واهتزازهم لمايلمع لهم من رشد يدركونه اورفد يطمح اليه ابصارهم بمشيهم فى مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم فى الامر حين تعرض لهم شبهة او تعن لهم مصيبة بتوقفهم اذااظلم عليهم ونبه بقوله تعالى ولوشاءالله لذهب بسمعهم وابصارهم على انه تعالى جعل لهم السمع والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى والفلاح ثم انهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوائد الآجلة ولوشاء الله لجعلهم بالحالة التى يجعلونها فانه على مايشاء قدير (ياايها الناس اعبدوا ربكم) لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف امورهم اقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بامر العبادة وتفخيما لشانها وجبرا لكلفة

كلا الى الآخر (وماهم) اى السحرة (بضارين به) بالسحر (من) زائدة (احد الاباذن الله) بارادته (ويتعلمون ما يضرهم) فى الآخرة (ولا ينفعهم) وهو السحر (ولقد) لام قسم (علموا) اى اليهود (لمن) لام ابتداء معلقة لماقبلها ومن موصولة (اشتراه) اختاره اواستبدله بكتاب الله (ما له فى الآخرة من خلاق) نصيب فى الجنة (ولبئس ما) شيئا (شروا) باعوا (به انفسهم) اى الشارين اى حظها من الآخرة ان تعلموه حيث اوجب لهم النار (لو كانوا يعلمون) حقيقة ما يصيرون اليه من العذاب ماتعلموه (ولوانهم) اى اليهود (آمنوا) بالنبى والقرآن (واتقوا) عقاب الله بترك معاصيه كالسحر وجواب لو محذوف اى لاثيبوا دل عليه (لمثوبة) ثواب وهو مبتدأ واللام فيه للقسم (من عندالله خير) خبره مما شروا به انفسهم

العبادة بلذة المخاطبة ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما لعظمته كقول الداعى يارب و ياالله وهو اقرب اليه من حبل الوريد اولغفلته وسوء فهمه اوللاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لانه نائب مناب فعل واى جعل وصلة الى نداء المعرف باللام فان ادخال يا عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفى التعريف فانهما كمثلين واعطى حكم المنادى واجرى عليه المقصود بالنداء وصفا موضحاله والتزم رفعه اشعارا بانه المقصود واقحمت بينهما هاء التنبيه تأكيدا وتعويضا عما يستحقه اى من المضاف اليه وانما كثر النداء على هذه الطريقة فى القرآن لاستقلاله باوجه من التأكيد وكل ما نادى الله له عباده من حيث انها امور عظام من حقها ان يتفطنوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها واكثرهم عنها غافلون حقيق بان ينادى له بالآكد الابلغ والجموع واسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث لاعهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتأكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى * فسجد الملائكة كلهم اجمعون * واستدلال الصحابة بعمومها شائعا وذائعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد لما تواتر من دينه عليه الصلوة والسلام ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للقبيلين ثابت الى قيام الساعة الا ماخصه الدليل وماروى عن علقمة والحسن ان كل شئ نزل فيه ياايها الناس فمكى وياايها الذين آمنوا فمدنى ان صح رفعه فلايوجب تخصيصه بالكفار ولاامرهم بالعبادة فان المأمور به هو المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب الشئ وجوب ما لايتم الا به وكما ان الحدث لايمنع وجوب الصلوة فالكفر لايمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بها عقيبه ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة هى الربية (الذى خلقكم) صفة جرت عليه تعالى للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد والتوضيح ان اختص الخطاب بالمشركين واريد بالرب اعم من الرب الحقيقى والآلهة التى يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشئ على تقدير واستواء واصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس (والذين من قبلكم) متناول كل مايتقدم الانسان بالذات اوبالزمان منصوب معطوف على الضمير المنصوب فى خلقكم والجملة اخرجت مخرج

(لوكانوا يعلمون) انه خير لما آثروه عليه (ياايها الذين آمنوا لاتقولوا) للنبى (راعنا) امر من المراعاة وكانوا يقولون له ذلك وهى بلغة اليهود سب من الرعونة فسروا بذلك وخاطبوا بها النبى فنهى المؤمنون عنها (وقولوا) بدلها (انظرنا) اى انظر الينا (واسمعوا) ما تؤمرون به سماع قبول (وللكافرين عذاب اليم) مؤلم هو النار (مايود الذين كفروا من اهل الكتاب ولاالمشركين) من العرب عطف على اهل الكتاب ومن للبيان (ان ينزل عليكم من) زائدة (خير) وحى (من ربكم) حسدا لكم (والله يختص برحمته) (نبوته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) ولما طعن الكفار فى النسخ وقالوا ان محمدا يأمر اصحابه اليوم بأمر وينهى عنه غدا نزل (ما) شرطية (ننسخ من آية) اى نزل حكمها اما مع لفظها اولا وفى قراءة بضم النون من انسخ اى نأمرك

المقرر عندهم امالاعترافهم به كما قال * ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله *
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله * اولتمكنهم من العلم به
بادنى نظر وقرئ من قبلكم على اقحام الموصول الثانى بين الاول وصلته
تأكيدا كما اقحم جرير فى قوله * ياتيم تيم عدى لاابالكمو * تيما الثانى بين الاول
وما اضيف اليه (لعلكم تتقون) حال من الضمير فى اعبدوا كأنه قال
اعبدوا ربكم راجين ان تنخرطوا فى سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح
المستوجبين لجوار الله تعالى نبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين
وهو التبرى من كل شئ سوى الله تعالى الى الله وان العابد ينبغى ان لايغتر
بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال تعالى * يدعون ربهم خوفا
وطمعا * يرجون رحمته ويخافون عذابه * اومن مفعول خلقكم
والمعطوف عليه على معنى انه خلقكم ومن قبلكم فى صورة من يرجى منه
التقوى لترجح امره باجتماع اسبابه وكثرة الدواعى اليه وغلب المخاطبين
على الغائبين فى اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا وقيل تعليل للخالق
اى خلقكم لكى تتقوا كما قال * وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون * وهو
ضعيف اذلم يثبت فى اللغة مثله والآية تدل على ان الطريق الى معرفة الله تعالى
والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر فى صنعه والاستدلال بافعاله وان
العبد لايستحق بعبادته عليه ثوابا فانها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه
من النعم السابقة فهو كاجير اخذ الاجر قبل العمل (الذى جعل لكم الارض
فراشا) صفة ثانية اومدح منصوب اومرفوع اومبتدا خبره فلا تجعلوا
وجعل من الافعال العامة يجئ على ثلاثة اوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى
كقوله * فقد جعلت قلوص بنى سهيل * من الاكوار مرتعها قريب *
وبمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله تعالى * وجعل الظلمات والنور *
وبمعنى صير ويتعدى الى مفعولين كقوله تعالى * جعل لكم الارض فراشا *
والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول والعقد اخرى ومعنى جعلها فراشا
ان جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع مافى طبعه من الاحاطة بها
وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهيأة لان يقعدوا
وينامو عليها كالفراش المبسوط وذلك لايستدعى كونها مسطحة
لان كرية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمه لاتأبى الافتراش عليها
(والسماء بناء) قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع على الواحد

او جبريل بنسخها (او ننسأها)
نؤخرها فلا نزل حكمها
ونرفع تلاوتها او نؤخرها
فى اللوح المحفوظ وفى قراءة
بلاهمز من النسيان اى ننسكها
اى نمحها من قلبك وجواب
الشرط (نأت بخير منها) انفع
للعباد فى السهولة او كثرة
الاجر (او مثلها) فى التكليف
والثواب (الم تعلم ان الله على كل
شئ قدير) ومنه النسخ والتبديل
والاستفهام للتقرير (الم تعلم ان الله
له ملك السموات والارض) يفعل
فيهما ما يشاء (ومالكم من دون الله)
اى غيره (من) زائدة (ولى)
يحفظكم (ولا نصير) يمنع عذابه
عنكم ان اتاكم * ونزل لما ساله
اهل مكة ان يوسعها ويجعل
الصفا ذهبا (ام) بل (أتريدون
ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى)
اى سأله قومه (من قبل)
من قولهم ارنا الله جهرة
وغير ذلك (ومن يتبدل
الكفر بالايمان) اى يأخذه
بدله بترك النظر فى الآيات

والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمى به المبنى بيتا كان اوقبة اوخباء ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذاتزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا (وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم) عطف على جعل وخروج الثمار بقدرة الله تعالى ومشيئته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا فى اخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بان اجرى عادته بافاضات صورها وكيفياتها على المادة الممزوجة منهما اوابدع فى الماء قوة فاعلة وفى الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ان يوجد الاشياء كلها بلااسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب والمواد ولكن له فى انشائها مدرجا من حال الى حال صنعا وحكما يجدد فيها لاولى الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس فى ايجادها دفعة ومن الاولى للابتداء سواء اريد بالسماء السحاب فان ماعلاك سماء او الفلك فان المطر يبتدئ من السماء الى السحاب ومنه الى الارض على مادلت عليه الظواهر اومن اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى جوالهواء فتنعقد سحابا ماطرا ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى * فاخرجنا به ثمرات * واكتناف المنكرين له اعنى ماء ورزقا كأنه قال وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذلم ينزل من السماء الماء كله ولااخرج بالمطر كل الثمرات ولاجعل كل المرزوق ثمارا اوللتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق كقولك انفقت من الدراهم الفا وانماساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة لانه اراد بالثمرات جماعة الثمرة التى فى قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده قراءة من قرأ من الثمرة على التوحيد اولان الجموع يتهاور بعضها موقع بعض كقوله تعالى * كم تركوا من جنات * وقوله * ثلاثة قرؤء * اولانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة ولكم صفة رزقا ان اريد به المرزوق ومفعوله ان اريد به المصدر كأنه قال رزقا اياكم (فلاتجعلوا لله اندادا) متعلق باعبدوا على انه نهى معطوف عليه اونفى منصوب باضمار ان جواب له اوبلعل على ان نصب تجعلوا نصب فاطلع فى قوله تعالى * لعلى ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع * الحاقالها بالاشياء الستة لاشتراكها فى انهاغير موجبة والمعنى ان تتقوا فلا تجعلوا لله اندادا وبالذى جعل لكم ان استأنفت به على انه نهى وقع خبرا على تأويل مقول فيه لاتجعلوا والفاء للسببية ادخلت عليه

البينات واقتراح غيرها (فقد ضل سواء السبيل) اخطأ الطريق الحق والسواء فى الاصل الوسط (ود كثير من اهل الكتاب لو) مصدرية (يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا) مفعول له كائنا (من عند انفسهم) اى حملتهم عليه انفسهم الخبيثة (من بعد ماتبين لهم) فى التورية (الحق) فى شأن النبى (فاعفوا) عنهم اى اتركوهم (واصفحوا) اعرضوا فلاتجازوهم (حتى يأتى الله بأمره) فيهم من القتال (ان الله على كل شئ قدير واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وماتقدموا لانفسكم من خير) طاعة كصلة وصدقة (تجدوه) اى ثوابه (عند الله ان الله بما تعملون بصير) فيجازيكم به (وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا) جمع هائد (اونصارى) قال ذلك يهود المدينة ونصارى نجران لما تناظروا بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم اى قال اليهود

(لتضمن)

لتضمن المبتدأ معنى الشرط والمعنى ان من حقكم بهذه النعم الجسام والآيات العظام ينبغى ان لايشرك به والند المثل المناوى قال جرير * اتيما تجعلون الى ندا * وماتيم لذى حسب نديد * من ندندودا اذا نفر ونادت الرجل خالفته خص بالمخالف المماثل فى الذات كما خص المساوى بالمماثل فى القدر وتسمية مايعبده المشركون من دون الله اندادا ومازعموا انها تساويه فى ذاته وصفاته .ولاانها تخالفه فى افعاله لانهم لماتركوا عبادته الى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالها حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم بأس الله وتمنحهم مالم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بان جعلوا اندادا لمن يمتنع ان يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل * اربا واحدا ام الف رب * ادين اذا تقسمت الامور * تركت اللات والعزى جميعا * كذلك يفعل الرجل البصير * ﴿ وانتم تعلمون ﴾ حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون مطروح اى وحالكم انكم من اهل العلم والنظر واصابة الرأى فلو تأملتم ادنى تأمل اضطر عقلكم الى اثبات موجد للممكنات متفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات اومنوى وهوانها لاتماثله ولاتقدر على مثل مايفعله كقوله تعالى * هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ * وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب لاتقييد الحكم وقصره عليه فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء فى التكليف واعلم ان مضمون الآيتين هو الامر بعبادة الله والنهى عن الاشراك به تعالى والاشارة الى ماهو العلة والمقتضى وبيانه انه رتب الامر بالعبادة على صفة الربوبية اشعارا بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه تعالى خالقهم وخالق اصولهم ومايحتاجون اليه فى معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فان الثمرة اعم من المطعوم والرزق اعم من الماكول والمشروب ثم لما كانت هذه الامور التى لايقدر عليها غيره شاهدة على وحدانيته تعالى رتب تعالى عليها النهى عن الاشراك به ولعله سبحانه اراد من الآية الاخيرة مع مادل عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وماافاض تعالى عليه من المعانى والصفات على طريقة التمثيل * فمثل البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وماافاض تعالى عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوى

لن يدخلها الااليهود وقال النصارى لن يدخلها الاالنصارى (تلك) القولة (امانيهم) شهواتهم الباطلة (قل) لهم (هاتوا برهانكم) حجتكم على ذلك (ان كنتم صادقين) فيه (بلى) يدخل الجنة غيرهم (من اسلم وجهه لله) اى انقاد لامره وخص الوجه لانه اشرف الاعضاء فغيره اولى (وهو محسن) موحد (فله اجره عند ربه) اى ثواب عمله الجنة (ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون) فى الآخرة (وقالت اليهود ليست النصارى على شئ) معتد به وكفرت بعيسى (وقالت النصارى ليست اليهود على شئ) معتد به وكفرت بموسى (وهم) اى الفريقان (يتلون الكتاب) المنزل عليهم وفى كتاب اليهود تصديق عيسى وفى كتاب النصارى تصديق موسى والجملة حال (كذلك) كما قال هؤلاء (قال الذين لايعلمون) اى المشركون

النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فان لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة) لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل الى العلم بها ذكر عقبه ما هو الحجة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن المعجز بفصاحته التى بذت فصاحة كل منطيق والخامه من طولب بمعارضته من مصاقع الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم وافراطهم فى المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعارة وعرف ما يتعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند الله كما يدعيه وانما قال مما نزلنا لان نزوله نجما فنجما بحسب الوقائع على ما ترى عليه اهل الشعر والخطابة مما يريبهم كما حكى الله عنهم فقال * وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة * فكان الواجب تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة واضاف العبد الى نفسه تعالى تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد لحكمه تعالى وقرئ عبادنا يريد محمدا صلى الله عليه وسلم وامته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التى اقلها ثلاث آيات وهى ان جعلت واوها اصلية منقولة من سور المدينة لانها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على انواع من العلم احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التى هى الرتبة قال * ولرهط حراب وقد سورة * فى المجد ليس غرابها بمطار * لان السور كالمنازل والمراتب يرتقى فيها القارئ اولها مراتب فى الطول والقصر والفضل والشرف وثواب القراءة وان جعلت مبدلة من الهمزة فمن السؤرة التى هى البقية والقطعة من الشئ والحكمة فى تقطيع القرآن سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط القارئ وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم سورة نفس ذلك عنه كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا اوطوى بريدا والحافظ متى حذقها اعتقد انه اخذ من القرآن حظا تاما وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده وابتهج به الى غيرها من الفوائد (من مثله) صفة سورة اى بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض اوللتبيين وزائدة عند الاخفش اى بسورة مماثلة للقرآن العظيم فى البلاغة وحسن النظم اولعبدنا ومن للابتداء اى بسورة كائنة ممن هو على حاله عليه الصلوة والسلام من كونه بشرا اميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم

من العرب وغيرهم (مثل قولهم) بيان لمعنى ذلك اى قالوا لكل ذى دين ليسوا على شئ (فالله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون) من امر الدين فيدخل المحق الجنة والمبطل النار (ومن اظلم) اى لا احد أظلم (ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه) بالصلوة والتسبيح (وسعى فى خرابها) بالهدم او التعطيل نزلت اخبارا عن الروم الذين خربوا بيت المقدس او فى المشركين لما صدوا النبى صلى الله عليه وسلم عام الحديبية عن البيت (اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين) خبر بمعنى الامر اى أخيفوهم بالجهاد فلا يدخلها احد آمنا (لهم فى الدنيا خزى) هوان بالقتل والسبى والجزية (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) هو النار * ونزل لما طعن اليهود فى نسخ القبلة اوفى صلوة النافلة على الراحلة فى السفر حيثما

اوصلة فأتوا والضمير للعبد صلى الله عليه وسلم والرد الى المنزل اوجه لانه المطابق لقوله تعالى * فاتوا بسورة مثله * ولسائر آيات التحدى ولان الكلام فيه لافى المنزل عليه فحقه ان لاينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم ولان مخاطبة الجم الغفير بان يأتوا بمثل ما اتى به واحد من ابناء جلدتهم ابلغ فى التحدى من ان يقال لهم ليأت بنحو ما اتى به هذا آخر مثله ولانه معجز فى نفسه لابالنسبة اليه لقوله تعالى * قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله * ولان رده الى عبدنا يوهم امكان صدوره ممن لم يكن على صفته ولايلايمه قوله تعالى ﴿ وادعوا شهداءكم من دون الله ﴾ فانه امر بان يستعينوا بكل من ينصرهم و يعينهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة اوالناصر اوالامام وكأنه سمى به لانه يحضر النوادى وتبرم بمحضره الامور اذالتركيب للحضور اما بالذات او بالتصور ومنه قيل للمقتول فى سبيل الله شهيد لانه حضر ماكان يرجوه او الملائكة حضروه ومعنى دون ادنى مكان من الشئ ومنه تدوين الكتب لانه ادناء البعض من البعض ودونك هذا اى خذه من ادنى مكان منك ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو اى فى الشرف ومنه الشئ الدون ثم اتسع فيه فاستعمل فى كل تجاوز حد الى حد وتخطى امر الى آخر قال تعالى * لايتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين * اى لايتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية * يانفس مالك دون الله من واق * اى اذاتجاوزت وقاية الله فلايقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى وادعوا الى المعارضة من حضركم اورجوتم معونته من انسكم وجنكم وآلهتكم غير الله سبحانه وتعالى فانه لايقدر على ان يأتى بمثله الا الله اووادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بان ما آتيتم به مثله ولاتستشهدوا بالله فانه من ديدن المبهوت العاجز عن اقامة الحجة او بشهدائكم والمعنى ادعوا الذين اتخذتموهم من دونه اولياء اوآلهة وزعمتم انها تشهد لكم يوم القيمة اوالذين يشهدون لكم بين يدى الله على زعمكم من قول الاعشى * تريك القذى من دونها وهى دونه * ليعينوكم وفى امرهم ان يستظهروا بالجماد فى معارضة القرآن العزيز غاية التبكيت والتهكم بهم وقيل من دون الله اى من دون اوليائه يعنى فصحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم ان ما آتيتم به مثله فان العاقل لايرضى لنفسه ان يشهد بصحة ما اتضح فساده وبان اختلاله

توجهت (ولله المشرق والمغرب) اى الارض كلها لانهما ناحيتاها (فاينما تولوا) وجوهكم فى الصلوة بامره (فثم) هناك (وجه الله) قبلته التى رضيها (ان الله واسع) يسع فضله كل شئ (عليم) بتدبير خلقه (وقالوا) بواو ودونها اى اليهود والنصارى ومن زعم ان الملائكة بنات الله (اتخذ الله ولدا) قال تعالى (سبحانه) تنزيها له عنه (بل له مافى السموات والارض) ملكا وخلقا وعبيدا والملكية تنافى الولادة وعبر بما تغليبا لما لايعقل (كل له قانتون) مطيعون كل بما يراد منه وفيه تغليب العاقل (بديع السموات والارض) موجدهما لاعلى مثال سبق (واذاقضى) اراد (امرا) اى ايجاده (فانما يقول له كن فيكون) اى فهو يكون وفى قراءة بالنصب جوابا للامر (وقال الذين لايعلمون) اى كفار مكة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم

(ان كنتم صادقين) انه من كلام البشر وجوابه محذوف دل عليه ماقبله
والصدق الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر انه كذلك عن دلالة
اوامارة لانه تعالى كذب المنافقين فى قولهم انك لرسول الله لما لم يعتقدوا
مطابقته ورد بصرف التكذيب الى قولهم يشهد لان الشهادة اخبار
عما علمه وهم ماكانوا عالمين به (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى
وقودها الناس والحجارة) لما بين لهم مايتعرفون به امر الرسول صلى الله
عليه وسلم وماجاء به وميزلهم الحق من الباطل رتب عليه ماهو كالفذلكة له
وهو انكم اذا اجتهدتم فى معارضته وعجزتم جميعا عن الاتيان بمايساويه
اويدانيه ظهر انه معجز والتصديق به واجب فآمنوا به واتقوا العذاب
المعد لمن كذب فعبر عن الاتيان المكيف بالفعل الذى يعم الاتيان به
وغيره ايجازا ونزل لازم الجزاء منزلته على سبيل الكناية تقريرا للمكنى عنه
وتهويلا لشان العناد وتصريحا بالوعيد مع الايجاز وصدر الشرطية
بان التى للشك والحال يقتضى اذا الذى للوجوب فان القائل سبحانه وتعالى
لم يكن شاكا فى عجزهم ولذلك نفى اتيانهم معترضا بين الشرط والجزاء
تهكما بهم اوخطابا معهم على حسب ظنهم فان العجز قبل التأمل لم يكن
محققا عندهم وتفعلوا جزم بلم لانها واجبة الاعمال مختصة بالمضارع
متصلة بالمعمول ولانها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف الشرط
كالداخل على المجموع وكأنه قال تعالى فان تركتم الفعل ولذلك ساغ
اجتماعهما ولن كلا فى نفى المستقبل غير انه ابلغ وهو حرف مقتضب عند
سيبويه والخليل فى احدى الروايتين عنه وفى الرواية الاخرى اصله لاان
وعند الفراء لا فابدلت الفها نونا والوقود بالفتح ماتوقد به النار وبالضم
المصدر وقد جاء المصدر بالفتح قال سيبويه وسمعنا من يقول * وقدت
النار وقودا عاليا * والاسم بالضم ولعله مصدر سمى به كما قيل فلان فخر
قومه وزين بلده وقد قرئ به والظاهر ان المراد به الاسم وان اريد به
المصدر فعلى حذف مضاف اى وقودها احتراق الناس والحجارة وهى جمع
حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد بها الاصنام التى نحتوها وقرنوا
بها انفسهم وعبدوها طمعا فى شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع المضار بمكانتها
ويدل عليه قوله تعالى * انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم *
عذبوا بما هو منشأ جرمهم كما عذب الكافرون بما كنزوه او بنقيض

(لولا) هلا (يكلمنا الله) انك رسوله (او تأتينا آية) مما اقترحناه على صدقك (كذلك) كما قال هؤلاء (قال الذين من قبلهم) من كفار الامم الماضية لانبيائهم (مثل قولهم) من التعنت وطلب الآيات (تشابهت قلوبهم) فى الكفر والعناد فيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (قد بينا الآيات لقوم يوقنون) يعلمون انها آيات فيؤمنون فاقتراح آية معها تعنت (انا ارسلناك) يامحمد (بالحق) بالهدى (بشيرا) من اجاب اليه بالجنة (ونذيرا) من لم يجب اليه بالنار (ولا تسأل عن اصحاب الجحيم) النار اى الكفار مالهم لم يؤمنوا انما عليك البلاغ وفى قراءة بجزم تسأل نهيا (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) دينهم (قل ان هدى الله) اى الاسلام (هو الهدى) وما عداه ضلال (ولئن) لام قسم (اتبعت اهواءهم) التى يدعونك اليها فرضا

ماكانوا يتوقعون زيادة فى تحسرهم وقيل الذهب والفضة التى كانوا يكنزونها ويغترون بهما وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع من العذاب بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وابطال للمقصود اذ الغرض تهويل شأنها وتفاقم لهبها بحيث تتقد بما لايتقد به غيرها والكبريت يتقد به كل نار وان ضعفت فان صح هذا عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فلعله اراد به ان الاحجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت لسائر النيران ولما كانت الآية مدنية نزلت بعد مانزل بمكة قوله تعالى فى سورة التحريم * نارا وقودها الناس والحجارة * وسمعوه صح تعريف النار ووقوع الجملة صلة فانها يجب ان تكون قصة معلومة (اعدت للكافرين) هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة والجملة استئناف او حال باضمار قد من النار لا الضمير الذى فى وقودها وان جعلته مصدرا للفصل بينهما بالخبر وفى الآيتين مايدل على النبوة من وجوه * الاول مافيهما من التحدى والتحريض على الجد وبذل الوسع فى المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض اقصر سورة من سور القرآن العزيز ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا للمعارضة والتجأوا الى جلاء الوطن وبذل المهج * والثانى انهما تتضمنان الاخبار عن الغيب على ماهو به فانهم لو عارضوه بشئ لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه اكثر من الذابين عنه فى كل عصر * والثالث انه صلى الله عليه وسلم لو شك فى امره لما دعاهم الى المعارضة بهذه المبالغة مخافة ان يعارض فتدحض حجته وقوله تعالى * اعدت للكافرين * دل على ان النار مخلوقة معدة الآن لهم (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات) عطف على الجملة السابقة والمقصود عطف حال من آمن بالقرآن العظيم ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ماجرت به العادة الالهية من ان يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطا لاكتساب ماينجى وتثبيطا عن اقتراف مايردى لاعطف الفعل نفسه حتى يجب ان يطلب له مايشاكله من امر او نهى فيعطف عليه او على فاتقوا لانهم اذا لم يأتوا بما يعارضه بعد التحدى ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب العقاب ومن آمن به استحق الثواب وذلك

(بعد الذى جاءك من العلم) الوحى من الله (مالك من الله من ولى) يحفظك (ولا نصير) يمنعك منه (الذين آتيناهم الكتاب) مبتدأ (يتلونه حق تلاوته) اى يقرؤنه كما انزل والجملة حال وحق نصب على المصدر والخبر (اولئك يؤمنون به) نزلت فى جماعة قدموا من الحبشة واسلموا (ومن يكفر به) اى بالكتاب المؤتى بان يحرفه (فاولئك هم الخاسرون) لمصيرهم الى النار المؤبدة عليهم (يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين) تقدم مثله (واتقوا) خافوا (يوما لاتجزى) تغنى (نفس عن نفس) فيه (شيئا ولا يقبل منها عدل) فداء (ولا تنفعها شفاعة ولاهم ينصرون) يمنعون من عذاب الله (و) اذكر (اذ ابتلى) اختبر (ابراهيم) وفى قراءة ابراهام (ربه بكلمات) بأوامر ونواه كلفه بها قيل هى مناسك الحج

يستدعي ان يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء وانما امر الرسول صلى الله عليه وسلم اوعالم كل عصر اوكل احد يقدر على البشارة بان يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشأنهم وايذانا بانهم احقاء بان يبشروا ويهنأوا بما اعدلهم وقرئ وبشر على البناء للمفعول عطفا على اعدت فيكون استئنافا والبشارة الخبر السار فانه يظهر اثر السرور فى البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هى الخبر الاول حتى لوقال الرجل لعبيده من بشرنى بقدوم ولدى فهو حر فاخبروه فرادى عتق اولهم ولوقال من اخبرنى عتقوا جميعا واماقوله تعالى * فبشرهم بعذاب اليم * فعلى التهكم اوعلى طريقة قوله * تحية بينهم وضرب وجيع * والصالحات جمع صالحة وهى من الصفات الغالبة التى تجرى مجرى الاسماء كالحسنة قال الحطيئة * كيف الهجاء وماتنفك صالحة * من آل لأم بظهر الغيب تأتينى * وهى من الاعمال ماسوغه الشرع وحسنه وتأنيثها على تأويل الخصلة اوالخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا للحكم عليها اشعارا بان السبب فى استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين الوصفين فان الايمان الذى هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس والعمل الصالح كالبناء عليه ولاغناء باس لابناء عليه ولذلك قلما ذكرا منفردين وفيه دليل على انها خارجة عن مسمى الايمان اذالاصل ان الشئ لايعطف على نفسه ولا على ماهو داخل فيه ان لهم منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه اومجرور باضماره مثل الله لأفعلن والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار التركيب على الستر سمى به الشجر المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة كأنه يستر ماتحته سترة واحدة قال ابن زهير * كان عينى فى غربى مقتلة * من النواضح تسقى جنة سحقا * اى نخلاطوالا ثم البستان لمافيه من الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سميت بذلك لانه ستر فى الدنيا ماعد فيها للبشر من افنان النعم كما قال سبحانه وتعالى * فلاتعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين * وجمعها و تنكيرها لان الجنان على ماذكره ابن عباس سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفى كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعمال واللام فى لهم تدل على استحقاقهم اياها لاجل ماترتب عليه من الايمان

(والعمل)

وقيل المضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وفرق الرأس وقلم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة والختان والاستنجاء (فاتمهن) اداهن تامات (قال) تعالى له (انى جاعلك للناس اماما) قدوة فى الدين (قال ومن ذريتى) اولادى اجعل ائمة (قال لاينال عهدى) بالامامة (الظالمين) الكافرين منهم دل على انه ينال غير الظالم (واذ جعلنا البيت) الكعبة (مثابة للناس) مرجعا يثوبون اليه من جانب (وامنا) مأمنا لهم من الظلم والاغارات الواقعة فى غيره كان الرجل يلقى قاتل ابيه فيه فلا يهيجه (واتخذوا) ايها الناس (من مقام ابراهيم) هو الحجر الذى قام عليه عند بناء البيت (مصلى) مكان صلوة بان تصلوا خلفه ركعتى الطواف وفى قراءة بفتح الخاء خبر (وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل) امرنا هما (ان) اى بان (طهرا بيتى) من

والعمل الصالح لا لذاته فانه لا يكافئ النعم السابقة فضلا عن ان يقتضى ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده تعالى ولا على الاطلاق بل بشرط ان يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى * ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم * وقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم * لئن اشركت ليحبطن عملك * واشباه ذلك ولعله سبحانه وتعالى لم يقيد ههنا استغناء بها (تجرى من تحتها الانهار) اى من تحت اشجارها كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة على شواطئها وعن مسروق انهار الجنة تجرى فى غير اخدود واللام فى الانهار للجنس كما فى قولك لفلان بستان فيه الماء الجارى او للعهد والمعهود هى الانهار المذكورة فى قوله تعالى * انهار من ماء غير آسن * الآية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار اوالمجاز اوالمجارى انفسها واسناد الجرى اليها مجاز كما فى قوله تعالى * واخرجت الارض اثقالها (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا) صفة ثانية لجنات او خبر مبتدأ محذوف اوجملة مستأنفة كأنه لما قيل ان لهم جنات وقع فى خلد السامع اثمارها مثل ثمار الدنيا او اجناس اخر فازيح بذلك وكلما نصب على الظرف ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال وتقدير الكلام ومعناه كل حين رزقوا مرزوقا مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدأ من الجنات وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة فيها فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن فى الحال ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا تقدم كما فى قولك رأيت منك اسدا وهذا اشارة الى نوع مارزقوا كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك لا تعنى به العين المشاهدة منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جريانه وان كانت الاشارة الى عينه والمعنى هذا مثل الذى ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته حسا كقولك ابو يوسف ابو حنيفة (من قبل) اى من قبل هذا فى الدنيا جعل ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس اليه اول ما رأت فان الطباع مائلة الى المألوف متنفرة عن غيره وتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم يعهد ظن انه لا يكون الا كذلك او فى الجنة لان طعامها متشابه

الاوثان (للطائفين والعاكفين) المقيمين فيه (والركع السجود) جمع راكع وساجد المصلين (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا) المكان (بلدا آمنا) ذا امن وقد اجاب الله دعاءه فجعله حرما لا يسفك فيه دم انسان ولا يظلم فيه احد ولا يصاد صيده ولا يختلى خلاه (وارزق اهله من الثمرات) وقد فعل بنقل الطائف من الشام اليه وكان اقفر لا زرع فيه ولا ماء (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) بدل من اهله وخصهم بالدعاء لهم موافقة لقوله لا ينال عهدى الظالمين (قال) تعالى (و) ارزق (من كفر فامتعه) بالتشديد والتخفيف فى الدنيا بالرزق (قليلا) مدة حيوته (ثم اضطره) الجئه فى الآخرة (الى عذاب النار) فلا يجد عنها محيصا (وبئس المصير) المرجع هى (و) اذكر (اذ يرفع ابراهيم القواعد) الاسس او الجدر (من البيت) يبنيه متعلق بيرفع (واسمعيل)

فى الصورة كما حكى عن الحسن رضى الله تعالى عنه ان احدهم يؤتى
بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فيقول
الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف اوكما روى انه عليه الصلوة والسلام
قال * والذى نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها
فما هى واصلة الى فيه حتى يبدل الله تعالى مكانها مثلها فلعلهم اذا رأوها
على الهيئة الاولى قالوا ذلك والاول اظهر لمحافظته على عموم كلما فانه
يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا والداعى لهم الى ذلك فرط
استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم فى اللذة والتشابه
البليغ فى الصورة (واتوا به متشابها) اعتراض يقرر ذلك والضمير
على الاول راجع الى مارزقوا فى الدارين فانه مدلول عليه بقوله عز من قائل
هذا الذى رزقنا من قبل ونظيره قوله عز وجل * ان يكن غنيا اوفقيرا
فالله اولى بهما * اى بجنس الغنى والفقير وعلى الثانى الى الرزق * فان قيل
التشابه هو التماثل فى الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والآخرة
كما قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ليس فى الجنة من اطعمة الدنيا
الا الاسماء * قلت التشابه بينهما حاصل فى الصورة التى هى مناط الاسم
دون المقدار والطعم وهو كاف فى اطلاق التشابه هذا وان للآية الكريمة
محملا آخر وهو ان مستلذات اهل الجنة فى مقابلة مارزقوا فى الدنيا من المعارف
والطاعات متفاوتة فى اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد
من هذا الذى رزقنا انه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما فى الشرف والمزية
وعلو الطبقة فيكون هذا فى الوعد نظير قوله * ذوقوا ما كنتم تعملون *
فى الوعيد (ولهم فيها ازواج مطهرة) مما يستقذر من النساء ويذم
من احوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير
يستعمل فى الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان
فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال * واذا العذارى
بالدخان تقنعت * واستعجلت نصب القدور فملت * فالجمع على اللفظ
والافراد على تأويل الجماعة ومطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى
متطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن
وليس هو الا الله عز وجل والزوج يقال للذكر والانثى وهو فى الاصل لما له
قرين من جنسه كزوج الخف فان قيل فائدة المطعوم هو التغذى ودفع

عطف على ابراهيم
يقولان (ربنا تقبل منا)
بناءنا (انك انت السميع)
للقول (العليم) بالفعل
(ربنا واجعلنا مسلمين)
منقادين (لك و) اجعل
(من ذريتنا) اولادنا
(امة) جماعة (مسلمة لك)
ومن للتبعيض واتى به لتقدم
قوله له لاينال عهدى
الظالمين (وارنا) علمنا
(مناسكنا) شرائع عبادتنا
اوحجنا (وتب علينا انك
انت التواب الرحيم) سألاه
التوبة مع عصمتهما تواضعا
وتعليما لذريتهما (ربنا وابعث
فيهم) اى اهل البيت
(رسولا منهم) من
انفسهم وقد اجاب الله دعاءه
بمحمد صلى الله عليه وسلم
(يتلو عليهم آياتك) القرآن
(ويعلمهم الكتاب)
القرآن (والحكمة) اى ما
فيه من الاحكام (ويزكيهم)
يطهرهم من الشرك (انك
انت العزيز) الغالب
(الحكيم) فى صنعه (ومن)
اى لا (يرغب عن ملة
ابراهيم) فيتركها (الامن

ضرر الجوع وفائدة المنكوح التوالد وحفظ النوع وهي مستغنى عنها في الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها وسائر احوالها انما تشارك نظائرهـا الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى باسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها في تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع مايلزمها وتفيد عين فائدتها ﴿ وهم فيها خالدون ﴾ دائمون والخلد والخلود في الاصل الثبات المديد دام اولم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار خوالد وللجزء الذي يبقى من الانسان على حاله مادام حيا خلد ولوكان وضعه للدوام كان التقييد بالتأبيد في قوله تعالى * خالدين فيها ابدا * لغوا واستعماله حيث لادوام كقولهم وقف مخلد يوجب اشتراكا اومجازا والاصل ينفيهما بخلاف مالووضع للاعم منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كاطلاق الجسم على الانسان مثل قوله تعالى * وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد * لكن المراد منه الدوام ههنا عند الجمهور لما يشهد له من الآيات والسنن * فان قيل الابدان مركبة من اجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانفكاك والانحلال فكيف يعقل خلودها في الجنان * قلت انه تعالى يعيدها بحيث لاتعتورها الاستحالة بان يجعل اجزائها مثلا متقاومة في الكيفية متساوية في القوة لايقوى شيء منهـا على احالة الآخر متعانقة متلازمة لاينفك بعضهـا عن بعض كما يشاهد في بعض المعادن هذا وان قياس ذلك العالم واحواله على مانجده ونشاهده من نقص العقل وضعف البصيرة واعلم انه لما كان معظم اللذات الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على مادل عليه الاستقراء وكان ملاك ذلك كله الدوام والثبات فان كل نعم جليلة اذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة غير صافية عن شوائب الالم بشر المؤمنين بهـا ومثـل مااعدلهم في الآخرة بابهى مايستلذ به منها وازال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم في التنعم والسرور ﴿ ان الله لايستحيي ان يضرب مثـلا مابعوضة ﴾ لما كانت الآيات السابقة متضمنة لانواع من التمثيل عقب ذلك ببيـان حسنه وماهو الحق له والشرط فيه وهو ان يكون على وفق الممثل له من الجهة التي يتعلق بها التمثيل في العظم والصغر والخسة والشرف دون الممثل فان التمثيل انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فان المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة

سفه نفسـه) جهل أنهـا مخلوقة لله يجب عليها عبادته او استخف بها وامتهنهـا (ولقد اصطفيناه) اخترناه (في الدنيا) بالرسالة والخلة (وانه في الآخرة لمن الصالحين) الذين لهم الدرجات العلى واذكر (اذقال له ربه أسلم) انقد لله واخلص له دينك (قال اسلمت لرب العالمين ووصى) وفي قراءة اوصى (بهـا) بالملة (ابراهيم بنيه ويعقوب) بنيـه قال (يابني ان الله اصطفى لكم الدين) دين الاسلام (فلا تموتن الا وانتم مسلمون) نهى عن ترك الاسلام وامر بالثبات عليه الى مصادفة الموت ولما قال اليهود للنبي الست تعلم ان يعقوب يوم مات اوصى بنيـه باليهودية نزل (ام كنتم شهداء) حضورا (اذحضر يعقوب الموت اذ) بدل من اذقبـله (قال لبنيه ماتعبدون من بعدي) بعد موتي (قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق) عـد اسمعيـل مـن الآباء تغـليب ولان

من الوهم لان من طبعه الميل الى الحس وحب المحاكاة ولذلك شاعت الامثال فى الكتب الالهية وفشت فى عبارات البلغاء واشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل اعظم من كل عظيم كما مثل فى الانجيل غل الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة السفهاء باثارة الزنابير وجاء فى كلام العرب اسمع من قراد واطيش من فراشة واعز من مخ البعوض لاما قالت الجهلة من الكفار لما مثل الله حال المنافقين بحال المستوقدين واصحاب الصيب وعبادة الاصنام فى الوهن والضعف ببيت العنكبوت وجعلها اقل من الذباب واخس قدرا منه الله اعلى واجل من ان يضرب الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت وايضا لما ارشدهم الى ما يدل على ان المتحدى به وحى منزل ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من آمن به بعد ظهور امره شرع فى جواب ماطعنوا به فيه فقال تعالى ان الله لا يستحيى ان لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيى ان يمثل بها لحقارتها والحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التى هى الجراءة على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل الذى هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحيوة فانه انكسار يعترى القوة الحيوانية فيردها عن افعالها فقيل حيى الرجل كما يقال نسى وحشى اذا اعتلت نساه وحشاه واذا وصف به البارى تعالى كما جاء فى الحديث * ان الله يستحيى من ذى الشيبة المسلم ان يعذبه * ان الله حى كريم يستحيى اذا رفع العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا * فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته وغضبه اصابة المعروف والمكروه اللازمين لمعنييهما ونظيره قول من يصف ابلا اشعر * اذا ما استحين الماء يعرض نفسه * كرعن بسبت فى اناء من الورد * وانما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة وتحتمل الآية خاصة ان يكون مجيئه على المقابلة لما وقع فى كلام الكفرة وضرب المثل اعماله من ضرب الخاتم واصله وقع شئ على آخر وان بصلتها مخفوض المحل عند الخليل باضمار من منصوب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه وما ابهامية تزيد النكرة ابهاما وشياعا وتسد عنها طرق التقييد كقولك اعطنى كتابا ما اى اى كتاب كان او مزيدة للتأكيد كالتى فى قوله تعالى * فبما رحمة من الله * ولا نعنى بالمزيد اللغو الضائع فان القرآن كله هدى وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه وانما

العم بمنزلة الاب (الها واحدا) بدل من الهك (ونحن له مسلمون) وام بمعنى همزة الانكار اى لم تحضروه وقت موته فكيف تنسبون اليه مالا يليق به (تلك) مبتدأ والاشارة الى ابراهيم ويعقوب وبنيهما وانت لتأنيث خبره (أمة قد خلت) سلفت (لها ما كسبت) من العمل اى جزاؤه استئناف (ولكم) الخطاب لليهود (ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون) كالا تسئلون عن عملكم والجملة تأكيد لما قبلها (وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا) او للتفصيل وقائل الاول يهود المدينة والثانى نصارى نجران (قل) لهم (بل) نتبع (ملة ابراهيم حنيفا) حال من ابراهيم مائلا عن الاديان كلها الى الدين القيم (وما كان من المشركين قولوا) خطاب للمؤمنين (آمنا بالله وما انزل الينا) من القرآن (وما انزل الى ابراهيم) من الصحف العشر (واسمعيل

(وضعت)

وضعت لان تذكر مع غيرها فتفيدله وثاقة وقوة وهو زيادة فى الهدى
غيرقادح فيه وبعوضة عطف بيان لمثلا اومفعول ليضرب ومثلا حال
تقدمت عليه لانه نكرة اوهما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل وقرئت بالرفع
على انه خبر مبتدأ وعلى هذا يحتمل ماوجوها اخر ان تكون موصولة
وحذف صدر صلتها كما حذف فى قوله * تماما على الذى احسن * وموصوفة
بصفة كذلك ومحلها النصب بالبدلية على الوجهين واستفهامية هى المبدأ
كأنه لما رد استبعادهم ضرب الله الامثال قال بعده ما البعوضة فما فوقها
حتى لايضرب به المثل بل له ان يمثل بما هو احقر من ذلك ونظيره
فلان لايبالى بما يهب مادينار ودينارا ان والبعوض فعول من البعض وهو
القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش (فما فوقها)
عطف على بعوضة اوما ان جعل اسما ومعناه ومازاد عليها فى الجثة
كالذباب والعنكبوت كأنه قصد به رد ما استنكروه والمعنى انه لايستحيى
ضرب المثل بالبعوض فضلا عما هو اكبر منه اوفى المعنى الذى جعلت فيه
مثلا وهو الصغر والحقارة كجناحها فانه عليه الصلوة والسلام ضربه مثلا
للدنيا ونظيره فى الاحتمالين ماروى ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط
فقالت عائشة رضى الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال * مامن
مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه
يحتمل مايجاوز الشوكة فى الالم كالخرور اومازاد عليها فى القلة كنخبة النملة
لقوله عليه الصلوة والسلام * مااصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى
نخبة النملة (فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم) اما حرف تفصيل
يفصل ما اجمل ويؤكد مابه صدر ويتضمن معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء
قال سيبويه امازيد فذاهب معناه مهما يكن من شئ فزيد ذاهب اى هو ذاهب
لامحالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن
كرهوا ايلاءها حرف الشرط فادخلوا الخبر وعوضوا المبتدأ عن الشرط
لفظا وفى تصدير الجملتين به احماد لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم وذم بليغ
للكافرين على قولهم والضمير فى انه للمثل اولان يضرب والحق الثابت
الذى لايسوغ انكاره يعم الاعيان الثابتة والافعال الصائبة والاقوال
الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق اى محكم النسج
(واما الذين كفروا فيقولون) كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون

واسحق ويعقوب والاسباط)
اولاده (وما اوتى موسى)
من التورية (وعيسى)
من الانجيل (وما اوتى النبيون
من ربهم) من الكتب والآيات
(لانفرق بين احد منهم)
فنؤمن ببعض ونكفر ببعض
كاليهود والنصارى
(ونحن له مسلمون فان آمنوا)
اى اليهود والنصارى (بمثل)
مثل زائد (ما آمنتم به فقد اهتدوا
وان تولوا) عن الايمان به
(فانما هم فى شقاق) خلاف معكم
(فسيكفيكهم الله) يا محمد شقاقهم
(وهو السميع) لاقوالهم
(العليم) بأحوالهم وقد كفاه
اياهم بقتل قريظة ونفى النضير
وضرب الجزية عليهم (صبغة الله)
مصدر مؤكد لآمنا ونصبه
بفعل مقدر اى صبغنا الله
والمراد بها دينه الذى فطر
الناس عليه لظهور اثره على
صاحبه كالصبغ فى الثوب
(ومن) اى لااحد (احسن
من الله صبغة) تمييز (ونحن له
عابدون) قال اليهود
للمسلمين نحن اهل الكتاب

الاول وقبلتنا اقدم ولم تكن الانبياء من العرب ولوكان محمد نبيا لكان منا فنزل (قل) لهم (اتحاجوننا) تخاصموننا (فى الله) ان اصطفى نبيا من العرب (وهو ربنا وربكم) فله ان يصطفى من عباده من يشاء (ولنا اعمالنا) نجازى بها (ولكم اعمالكم) تجازون بها فلا يبعد ان يكون فى اعمالنا مايستحق به الاكرام (ونحن له مخلصون) الدين والعمل دونكم فنحن اولى بالاصطفاء والهمزة للانكار والجمل الثلاث احوال (ام) بل (يقولون) بالياء والتاء (ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قل) لهم (أانتم اعلم ام الله) اى الله اعلم وقد برأ منهما ابراهيم بقوله ماكان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا والمذكورون معه تبع له (ومن اظلم ممن كتم) اخفى الناس (شهادة عنده) كائنة (من الله) اى لا احد اظلم منه وهم اليهود كتموا شهادة الله

ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه (ماذا اراد الله بهذا مثلا) يحتمل وجهين ان يكون ما استفهامية وذا بمعنى الذى ومابعده صلته والمجموع خبرما وان يكون مامع ذا اسما واحدا بمعنى اى شئ منصوب المحل على المفعولية مثل ماارادالله والاحسن فى جوابه الرفع على الاول والنصب على الثانى ليطابق الجواب السؤال والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه ويقال للقوة التى هى مبدأ النزوع والاول مع الفعل والثانى قبله وكلا المعنيين غير متصور اتصاف البارى تعالى به ولذلك اختلف فى معنى ارادته فقيل ارادته لافعاله انه غير ساه ولامكره ولافعال غيره امره بها فعلى هذا لم تكن المعاصى بارادته وقيل علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه ترجيح احد مقدوريه على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه اومعنى يوجب هذا الترجيح وهى اعم من الاختيار فانه ميل مع تفضيل وفى هذا استحقار واسترذال ومثلا نصب على التمييز اوالحال كقوله * هذه ناقة الله لكم آية (يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا) جواب ماذا اى اضلال كثير واهداء كثير وضع الفعل موضع المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد اوبيان للجملتين المصدرتين باما وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى وبيان وان الجهل بوجه ايراده والانكار لحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل واحد من القبيلين بالنظر الى انفسهم لابالقياس الى مقابلهم فان المهديين قليلون بالاضافة الى اهل الضلال كما قال تعالى * وقليل من عبادى الشكور * ويحتمل ان يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة المهديين باعتبار الفضل والشرف كما قال * قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا * وقال * ان الكرام كثير فى البلاد وان * قلوا كما غيرهم قل وان كثروا * (ومايضل به الا الفاسقين) اى الخارجين عن حد الايمان كقوله تعالى * ان المنافقين هم الفاسقون * من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت واصل الفسق الخروج عن القصد قال رؤبة * فواسقا عن قصدها جوائرا * والفاسق فى الشرع الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلاث * الاولى التغابى وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا اياها * والثانية الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها غير مبال بها

(والثالثة)

والثالثة الجحود وهو ان يرتكبها مستصوبا اياها فاذا شارف هذا المقام وتخطى خططه خلع ربقة الايمان من عنقه ولابس الكفر ومادام هو فى درجة التغابى او الانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذى هو مسمى الايمان لقوله تعالى * وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا * والمعتزلة لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتى المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما فى بعض الاحكام وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق يدل على انه الذى اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم على الباطل صرفت وجوه افكارهم عن حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه واستهزؤا به وقرئ يضل على البناء للمفعول والفاسقون بالرفع (الذين ينقضون عهدالله) صفة للفاسقين للذم وتقرير الفسق والنقض فسخ التركيب واصله فى طاقات الحبل واستعماله فى ابطال العهد من حيث ان العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط احد المتعاهدين بالآخر فان اطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد كان رمزا الى ماهو من روادفه وهو ان العهد حبل فى ثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس فان فيه تنبيها على انه اسد فى شجاعته بحر بالنظر الى افادته والعهد الموثق ووضعه لما من شانه ان يراعى ويتعهد كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث انها تراعى بالرجوع اليها والتاريخ لانه يحفظ وهذا العهد اما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيده ووجوب وجوده وصدق رسوله وعليه اول قوله تعالى * وأشهدهم على انفسهم * او المأخوذ بالرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله * واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب * ونظائره وقيل عهود الله تعالى ثلاثة * عهد اخذه على جميع ذرية آدم بان يقروا بربوبيته * وعهد اخذه على النبيين بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه * وعهد اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه (من بعد ميثاقه) الضمير للعهد والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهى الاحكام والمراد به ما وثق الله به عهده من الآيات والكتب او ما وثقوه به

فى التورية لابراهيم بالحنيفية (وما الله بغافل عما تعملون) تهديد لهم (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون) تقدم مثله (سيقول السفهاء) الجهال (من الناس) اليهود والمشركين (ماولاهم) أى شئ صرف النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (عن قبلتهم التى كانوا عليها) على استقبالها فى الصلوة وهى بيت المقدس والاتيان بالسين الدالة على الاستقبال من الاخبار بالغيب (قل لله المشرق والمغرب) أى الجهات كلها فيأمر بالتوجه الى أى جهة شاء لا اعتراض عليه (يهدى من يشاء) هدايته (الى صراط) طريق (مستقيم) دين الاسلام أى ومنهم أنتم دل على هذا (وكذلك) كما هديناكم اليه (جعلناكم) يا امة محمد (امة وسطا) خيارا عدولا (لتكونوا شهداء على الناس) يوم القيمة ان رسلهم بلغتهم (ويكون الرسول عليكم شهيدا) أنه بلغكم (وما جعلنا) صيرنا

من الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر ومن للابتداء فان ابتداء النقض بعد الميثاق ﴿ و يقطعون ما امر الله به ان يوصل ﴾ يحتمل كل قطيعة لايرضاها الله تعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب فى التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر مافيه رفض خير او تعاطى شر فانه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصود بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر الذى هو واحد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه ممايؤمر به كما قيل له شأن وهو الطلب والقصد يقال شأنت شأنه اذا قصدت قصده وان يوصل يحتمل النصب والخفض على انه بدل من ما او ضميره والثانى احسن لفظا ومعنى ﴿ ويفسدون فى الارض ﴾ بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التى بها نظام العالم وصلاحه ﴿ اولئك هم الخاسرون ﴾ الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتباس مايفيدهم الحيوة الابدية واستبدال الانكار والطعن فى الآيات بالايمان بها والنظر فى حقائقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب ﴿ كيف تكفرون بالله ﴾ استخبار فيه انكار وتعجيب لكفرهم بانكار الحال التى يقع عليها على الطريق البرهانى لأن صدوره لاينفك عن حال وصفة فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك انكار وجوده فهو ابلغ واقوى فى انكار الكفر من اتكفرون واوفق لما بعده من الحال والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريق الالتفات ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعنى اخبرونى على اى حال تكفرون ﴿ وكنتم امواتا ﴾ اى اجساما لاحيوة لها عناصر واغذية واخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة ﴿ فاحياكم ﴾ بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطفه بالفاء لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقى ﴿ ثم يميتكم ﴾ عند تقضى آجالكم ﴿ ثم يحييكم ﴾ بالنشور يوم نفخ الصور او للسؤال فى القبور ﴿ ثم اليه ترجعون ﴾ بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالتكم هذه * فان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون * قلت تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم

﴿ القبلة ﴾ لك الآن الجهة ﴿ التى كنت عليها ﴾ أولا وهى الكعبة وكان صلى الله عليه وسلم يصلى اليها فلما هاجر أمر باستقبال بيت المقدس تألفا لليهود فصلى اليه ستة أوسبعة عشر شهرا ثم حول ﴿ الا لنعلم ﴾ علم ظهور ﴿ من يتبع الرسول ﴾ فيصدقه ﴿ ممن ينقلب على عقبيه ﴾ اى يرجع الى الكفر شكا فى الدين وظنا ان النبى صلى الله عليه وسلم فى خيرة من امره وقد ارتد لذلك جماعة ﴿ وان ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف اى وانها ﴿ كانت ﴾ اى التولية اليها ﴿ لكبيرة ﴾ شاقة على الناس ﴿ الا على الذين هدى الله ﴾ منهم ﴿ وما كان الله ليضيع ايمانكم ﴾ اى صلوتكم الى بيت المقدس بل يثيبكم عليه لان سبب نزولها السؤال عمن مات قبل التحويل ﴿ ان الله بالناس ﴾ المؤمنين ﴿ لرؤف رحيم ﴾ فى عدم اضاعة اعمالهم والرأفة شدة الرحمة وقدم الابلغ للفاصلة ﴿ قد ﴾ للتحقيق ﴿ نرى تقلب ﴾

(من)

من الدلائل منزل منزلة علمهم فى ازاحة العذر سيما وفى الآية تنبيه على مايدل على صحتهما وهو انه تعالى لماقدر على احيائهم اولا قدر على ان يحييهم ثانيا فان بدء الخلق ليس باهون عليه من اعادته اوالخطاب مع القبيلين فانه سبحانه لمابين دلائل التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان واوعدهم على الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم النعم العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فان عظم النعم يوجب عظم معصية المنعم * فان قيل كيف تعد الاماتة من النعم المقتضية للشكر * قلت لماكانت وصلة الى الحيوة الثانية التى هى الحيوة الحقيقية كماقال الله تعالى * وان الدار الآخرة لهى الحيوان * كانت من النعم العظيمة مع ان المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة باسرها كما ان الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحدة من الجمل فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لايصح ان يقع حالا او مع المؤمنين خاصة لتقرير المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا جهالا فاحياكم بماافادكم من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحيوة الحقيقية ثم اليه ترجعون فيثيبكم بما لاعين رأت ولااذن سمعت ولاخطر على قلب بشر والحيوة حقيقة فى القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمى الحيوان حيوانا مجازا فى القوة النامية لانها من طلائعها ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضائل كالعقل والعلم والايمان من حيث انها كمالها وغايتها والموت بازائها يقال على مايقابلها فى كل مرتبة قال تعالى * قل الله يحييكم ثم يميتكم * وقال * اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها * وقال * اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس * واذا وصف بها البارى تعالى اريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا اومعنى قائم بذاته يقتضى ذلك على الاستعارة وقرأ يعقوب ترجعون بفتح التاء فى جميع القرآن (هوالذى خلق لكم مافى الارض جميعا) بيان نعمة اخرى مرتبة على الاولى فانها خلقهم احياء قادرين مرة بعداخرى وهذه خلق مايتوقف عليه بقاؤهم ويتم به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم فى دنياكم باستنفاعكم بها فى مصالح ابدانكم بوسط اوبغير وسط ودينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرف لمايلائمها من لذات الآخرة وآلامها لا على وجه الغرض

تصرف (وجهك فى) جهة (السماء) متطلعا الى الوحى ومتشوقا للامر باستقبال الكعبة وكان يود ذلك لانها قبلة ابراهيم ولانه ادعى الى اسلام العرب (فلنولينك) نحولنك (قبلة ترضاها) تحبها (فول وجهك) استقبل فى الصلوة (شطر) نحو (المسجد الحرام) اى الكعبة (وحيثما كنتم) خطاب للامة (فولوا وجوهكم) فى الصلوة (شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه) اى التولى الى الكعبة (الحق) الثابت (من ربهم) لما فى كتبهم من نعت النبى صلى الله عليه وسلم من انه يتحول اليها (وماالله بغافل عما تعملون) بالتاء ايها المؤمنون من امتثال امره وبالياء اى اليهود من انكار امر القبلة (ولئن) لام قسم (اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية) على صدقك فى امر القبلة (ما تبعوا) اى

فان الفاعل لغرض مستكمل به بل على انه كالغرض من حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضى اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض لاسباب عارضة فانه يدل على ان الكل للكل لا ان كل واحد لكل واحد ومايعم كل مافى الارض لا الارض الا اذا اريد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا حال من الموصول الثانى ﴿ ثم استوى الى السماء ﴾ قصد اليها بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوى على شئ واصل الاستواء طلب السواء واطلاقه على الاعتدال لمافيه من تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن حمله عليه لانه من خواص الاجسام وقيل استوى اى استولى وملك قال * قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق * والاول اوفق للاصل والصلة المعدى بها والتسوية المترتبة عليه بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية او جهات العلو وثم لعله لتفاوت مابين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الارض كقوله تعالى * ثم كان من الذين آمنوا * لا للتراخى فى الوقت فانه يخالف ظاهر قوله تعالى * والارض بعد ذلك دحاها * فانه يدل على تأخر دحو الارض المتقدم على خلق مافيها عن خلق السماء وتسويتها الا ان تستأنف بدحاها مقدرا لنصب الارض فعلا آخر دل عليه أأنتم اشد خلقا مثل تعرف الارض وتدبر امرها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر (فسواهن) عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور وهن ضمير السماء ان فسرت بالاجرام لانه جمع او هو فى معنى الجمع والا فمبهم يفسره مابعده كقولهم ربه رجلا (سبع سموات) بدل او تمييز او تفسير * فان قيل اليس ان اصحاب الارصاد اثبتوا تسعة افلاك * قلت فيما ذكروه شكوك وان صح فليس فى الآية نفى الزائد مع انه ان ضم اليها العرش والكرسى لم يبق خلاف (وهو بكل شئ عليم) فيه تعليل كأنه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق ماخلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بان من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الا من عالم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج فى صدورهم من ان الابدان بعد ما تبددت وتفتتت اجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف تجمع اجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث

يتبعون (قبلتك) عنادا (وما انت بتابع قبلتهم) قطع لطمعه فى اسلامهم وطمعهم فى عوده اليها (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) اى اليهود قبلة النصارى وبالعكس (ولئن اتبعت اهواءهم) التى يدعونك اليها (من بعد ما جاءك من العلم) الوحى (انك اذا) ان اتبعتهم فرضا (لمن الظالمين الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه).اى محمدا (كما يعرفون ابناءهم) بنعته فى كتبهم قال ابن سلام لقد عرفته حين رأيته كما اعرف ابنى ومعرفتى لمحمد اشد (وان فريقا منهم ليكتمون الحق) نعته (وهم يعلمون) هذا الذى انت عليه (الحق) كائنا (من ربك فلا تكونن من الممترين) الشاكين فيه اى من هذا النوع فهو ابلغ من لا تمتر (ولكل) من الامم (وجهة) قبلة (هو موليها) وجهه فى صلوته وفى قراءة مولاها (فاستبقوا الخيرات) بادروا الى الطاعات وقبولها (اينما

(لايشذ)

لايشذ شيء منهـا ولاينضم اليها ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان ونظيره قوله تعـالى * وهو بكل خلق عليم * واعلم ان صحـة الحشر مبنية على ثلاث مقـدمات وقدبرهن عليهـا في هـاتين الآيتين اما الاولى فهو انمواد الابدان قابلة للجمع والحيوةواشارالى البرهان عليهابقوله * وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم * فان تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحيوة عليها يدل على انها قابلة لهـا بذاتها ومابالذات يأبى ان يزول ويتغير واما الثانيـة والثالثة فانه عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها واحيائها واشـار الى وجه اثباتهمـا بانه تعـالى قادر على ابدائهم وابداء ما هو اعظم خلقا واعجب صنعـا فكان اقدر على اعادتهم واحيائهم وانه تعالى خلق ماخلق خلقا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعى فيـه مصالحهم وسد حاجاتهم وذلك دليل على تنـاهي علمه وكمال حكمته جلت قدرته ودقت حكمته وقدسكن نافع وابوعمرو والكسائى الهاء من نحو فهو وهو تشبيها له بعضد ﴿ واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة ﴾ تعداد لنعمة ثالثة تعم النـاس كلهم فان خلق آدم واكرامه وتفضيله على ملائكته بان امرهم بالسجود انعام يعم ذريته واذ ظرف وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيه اخرى كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه اخرى ولذلك يجب اضافتهمـا الى الجمل كحيث فى المكان وبنيتـا تشبيهـا لهما بالموصولات واستعملتا للتعليل والمجازات ومحلهمـا النصب ابدا بالظرفيـة فانهمـا من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرناه واما قوله تعالى * واذكر اخاعاد اذانذر قومه * ونحوه فعلى تأويل اذكر الحادث اذكان كذا فحذف الحادث واقيم الظرف مقامه وعامله فى الآية قالوا او اذكر على التأويل المذكور لانه جاء معمولا له صريحـا فى القرآن كثيرا اومضمر دل عليه مضمون الآية المتقدمة مثل وبدأ خلقكم اذ قال وعلى هذا فالجملة معطوفة على خلق لكم داخلة فى حكم الصلة وعن معمرانه مزيد والملائكة جمع ملأك على الاصل كالشمائل جمع شمأل والتاء لتأنيث الجمع وهو مقلوب مألك من الالوكة وهى الرسالة لانهم وسـائط بين الله وبين الناس فهم رسل الله او كالرسل اليهم واختلف العقـلاء فى حقيقتهم بعـد اتفـاقهم على انهـا ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشـكال مختلفـة مستدلين بان الرسـل كانوا يرونهم كذلك

تكونوا يأت بكم الله جميعا) يجمعكم يوم القيمة فيجازيكم باعمـالكـم (ان الله على كل شيء قـدير ومن حيث خرجت) لسـفر (فـول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وماالله بغافل عما تعملون) بالتـاء واليـاء تقدم مثله وكرره لبيان تسـاوى حكم السفر وغيره (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) كرره للتـأكيد (لئلا يكـون للناس) اليهود اوالمشركين (عليكم حجة) اى مجـادلة فى التولى الى غيره اى لتنتفى مجادلتهم لكـم من قول اليهود يجحد ديننـا ويتبع قبلتنا وقول المشركين يدعى ملة ابراهيم ويخالف قبلتـه (الاالذين ظلموا منهم) بالعناد فانهم يقولون ماتحول اليهـا الا ميلا الى دين آبائه والاستثناء متصـل والمعنى لايكون لاحد عليكم كلام الاكلام هؤلاء (فلاتخشوهم) تخـافوا جدالهم

في التولي اليهم (واخشوني) بامتثال امري (ولاتم) عطف على لئلا يكون (نعمتي عليكم) بالهداية الى معالم دينكم (ولعلكم تهتدون) الى الحق (كما ارسلنا) متعلق بأتم اى اتماما كاتمامها بارسالنا (فيكم رسولا منكم) محمدا صلى الله عليه وسلم (يتلو عليكم آياتنا) القرآن (ويزكيكم) يطهركم من الشرك (ويعلمكم الكتاب) القرآن (والحكمة) مافيه من الاحكام (ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون فاذكروني) بالصلوة والتسبيح ونحوه (اذكركم) قيل معناه اجازيكم وفي الحديث عن الله من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملئه (واشكروا لي) نعمتي بالطاعة (ولاتكفرون) بالمعصية (ياايها الذين آمنوا استعينوا) على الآخرة (بالصبر) على الطاعة والبلاء (والصلوة) خصها

وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان وزعم الحكماء انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة منقسمة الى قسمين قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم في محكم تنزيله فقال * يسبحون الليل والنهار لايفترون * وهم العليون والملائكة المقربون وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض على ماسبق به القضاء وجرى به القلم الالهي لايعصون الله ما امرهم ويفعلون مايؤمرون وهم المدبرات امرا فنهم سماوية ومنهم ارضية على تفصيل اثبته في كتاب الطوالع والمقول له الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملائكة الارض وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة الجن فانه تعالى اسكنهم في الارض اولا فافسدوا فيها فبعث اليهم ابليس في جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم في الجزائر والجبال وجاعل من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض خليفة اعمل فيهما لانه بمعنى المستقبل ومعتمد على مسند اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه والهاء فيه للمبالغة والمراد به آدم عليه الصلوة والسلام لانه كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي استخلفهم الله في عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لالحاجة له تعالى الى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي امره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال الله تعالى * ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا * الا ترى ان الانبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ارسل اليهم الملائكة ومن كان منهم اعلى رتبة كلمه بلاواسطة كما كلم موسى عليه السلام في الميقات ومحمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ونظير ذلك في الطبيعة ان العظم لما عجز عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل البارى تعالى بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطي ذلك اوخليفة من سكن الارض قبله او هو وذريته لانهم يخلفون من قبلهم اويخلف بعضهم بعضا وافراد اللفظ اما للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه كما استغنى بذكر ابي القبيلة في قولهم مضر وهاشم اوعلى تأويل من يخلفكم اوخلقا يخلفكم وفائدة قوله هذا للملائكة تعليم المشاورة وتعظيم شأن المجعول بان بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه واظهار فضله

(والراجح)

الراجح على مافيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه وبيان ان الحكمة تقتضى ايجاد مايغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الى غير ذلك ﴿ قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ تعجب من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها او يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية واستكشاف عما خفى عليهم من الحكمة التى بهرت تلك المفاسد والغتها واستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج فى صدره وليس باعتراض على الله تعالى ولاطعن فى بنى آدم على وجه الغيبة فانهم اعلى من ان يظن بهم ذلك لقوله تعالى * بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بامره يعملون * وانما عرفوا ذلك باخبار من الله تعالى اوتلق من اللوح اواستنباط مما ركز فى عقولهم ان العصمة من خواصهم اوقياس لاحد الثقلين على الآخر والسفك والسبك والسفح والشن انواع من الصب فالسفك يقال فى الدم والدمع والسبك فى الجواهر المذابة والسفح فى الصب من اعلى والشن فى الصب عن فم القربة ونحوها وكذلك السن وقرئ يسفك على البناء للمفعول فيكون الراجع الى من سواء جعل موصولا او موصوفا محذوفا اى يسفك الدماء فيهم ﴿ ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ﴾ حال مقررة لجهة الاشكال كقولك اتحسن الى اعدائك وانا الصديق المحتاج القديم والمعنى اتستخلف عصاة ونحن معصومون احقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار عما رجحهم مع ماهو متوقع منهم على الملائكة المعصومين فى الاستخلاف لا العجب والتفاخر وكأنهم علموا ان المجعول خليفة ذو ثلاث قوى عليها مدار امره شهوية وغضبية تؤذيان به الى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه الى المعرفة والطاعة ونظروا اليها مفردة وقالوا ما الحكمة فى استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين لا يقتضى الحكمة ايجاده فضلا عن استخلافه واما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم مايتوقع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين اذا صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف ولم يعلموا ان التركيب يفيد مايقصر عنه الآحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل الذى هو المقصود

بالذكر لتكررها وعظمها ﴿ ان الله مع الصابرين ﴾ بالعون ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله ﴾ هم ﴿ اموات بل ﴾ هم ﴿ أحياء ﴾ ارواحهم فى حواصل طيور خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت لحديث بذلك ﴿ ولكن لاتشعرون ﴾ تعلمون ماهم فيه ﴿ ولنبلونكم بشئ من الخوف ﴾ العدو ﴿ والجوع ﴾ القحط ﴿ ونقص من الاموال ﴾ بالهلاك ﴿ والانفس ﴾ بالقتل والموت والامراض ﴿ والثمرات ﴾ بالجوائح أى لنختبرنكم فننظر أتصبرون أم لا ﴿ وبشر الصابرين ﴾ على البلاء بالجنة هم ﴿ الذين اذا اصابتهم مصيبة ﴾ بلاء ﴿ قالوا انا لله ﴾ ملكا وعبيدا يفعل بنا مايشاء ﴿ وانا اليه راجعون ﴾ فى الآخرة فيجازينا وفى الحديث من استرجع عند المصيبة آجره الله فيها واخلف عليه خيرا وفيه ان مصباح النبى صلى الله عليه وسلم طفئ فاسترجع فقالت عائشة انما هذا مصباح فقال كل ماساء المؤمن فهو مصيبة رواه ابو داود فى مراسيله

من الاستخلاف واليه اشار تعالى اجمالا بقوله (قال انى اعلم مالا تعلمون)
والتسبيح تبعيد الله تعالى عن السوء والنقصان وكذلك التقديس
من سبح فى الارض والماء وقدس فى الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال
قدس اذا طهر لان مطهر الشئ مبعد له عن الاقذار وبحمدك فى موضع
الحال اى ملتبسين بحمدك على ما الهمتنا معرفتك ووفقتنا لتسبيحك
تداركوا به ما اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم ونقدس لك نطهر نفوسنا
عن الذنوب لاجلك كأنهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح
وسفك الدماء الذى هو اعظم الافعال الذميمة بتطهير النفس عن الآثام
وقيل نقدسك واللام مزيدة (وعلم آدم الاسماء كلها) اما بخلق علم
ضرورى بها فيه او القاء فى روعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل
والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وآدم اسم
اعجمى كآزر وشالخ واشتقاقه من الادمة او الأدمة بالفتح بمعنى الاسوة
اومن اديم الارض * لما روى عنه عليه الصلوة والسلام انه تعالى قبض
قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم فلذلك يأتى بنوه
اخيافا اومن الادم والادمة بمعنى الألفة تعسف كاشتقاق ادريس
من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار
الاشتقاق ما يكون علامة للشئ ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ
والصفات والافعال واستعماله عرفا فى اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان
مركبا او مفردا مخبرا عنه اوخبرا او رابطة بينهما واصطلاحا فى المفرد
الدال على معنى فى نفسه غير مقترن باحد الازمنة الثلاثة والمراد فى الآية
اما الاول او الثانى وهو يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة
متوقف على العلم بالمعانى والمعنى انه تعالى خلقه من اجزاء مختلفة وقوى
متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات
والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء وخواصها واسمائها واصول
العلوم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها (ثم عرضهم على الملائكة)
الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ التقدير اسماء المسميات
فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله تعالى
* واشتعل الراس شيبا * لان العرض للسؤال عن اسماء المعروضات فلا يكون
المعروض نفس الاسماء سيما ان اريد به الالفاظ والمراد به ذوات الاشياء

(اومدلولات)

(أولئك عليهم صلوات)
مغفرة (من ربهم ورحمة) نعمة
(واولئك هم المهتدون)
الى الصواب (ان الصفا
والمروة) جبلان بمكة
(من شعائر الله) اعلام دينه
جمع شعيرة فمن حج البيت او
اعتمر) اى تلبس بالحج
او العمرة واصلهما القصد
والزيادة (فلا جناح) اثم
(عليه ان يطوف) فيه ادغام
التاء فى الاصل فى الطاء (بهما)
بأن يسعى بينهما سبعا نزلت
لما كره المسلمون ذلك لان
اهل الجاهلية كانوا يطوفون
بهما وعليهما صنمان يمسحونهما
وعن ابن عباس ان السعى غير
فرض لما افاده رفع الاثم
من التخيير وقال الشافعى
وغيره ركن وبين صلى الله
عليه وسلم فرضيته بقوله ان الله
كتب عليكم السعى رواه البيهقى
وغيره وقال ابدؤا بما بدأ الله به
يعنى الصفا رواه مسلم
(ومن تطوع) وفى قراءة
بالتحتية وتشديد الطاء
مجزوما وفيه ادغام التاء
فيها (خيرا) اى بخير

اومدلولات الالفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها على معنى عرض مسمياتهن اومسمياتها (فقال انبئونى باسماء هؤلاء) تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف والتدبير واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجرى مجرى كل واحد منهما (ان كنتم صادقين) فى زعمكم انكم احقاء بالخلافة لعصمتكم اوان خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لايليق بالحكيم وهو وان لم يصرحوا به لكنه لازم مقالتهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه بغرض مايلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعترى الانشاآت (قالوا سبحانك لاعلم لنا الاماعلمتنا) اعتراف بالعجز والقصور واشعار بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان لهم ماخفى عليهم من فضل الانسان والحكمة فى خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم مااعتقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم كله اليه وسبحان مصدر كغفران ولايكاد يستعمل الامضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذالله وقد اجرى علما على التسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ فى قوله * سبحان من علقمة الفاخر * وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى عليه السلام سبحانك تبت اليك وقال يونس سبحانك انى كنت من الظالمين (انك انت العليم) الذى لايخفى عليه خافية (الحكيم) المحكم لمبدعاته الذى لايفعل الامافيه حكمة بالغة وانت فصل وقيل تأكيد للكاف كما فى قولك مررت بك انت وان لم يجز مررت بانت اذ التابع يسوغ فيه مالايسوغ فى المتبوع ولذلك جاز ياهذا الرجل ولم يجز ياالرجل وقيل مبتدأ خبره مابعده والجملة خبر ان (قال يا آدم انبئهم باسمائهم) اى اعلمهم وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما (فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض واعلم ماتبدون وماكنتم تكتمون) استحضار لقوله اعلم مالاتعلمون لكنه جاء به على وجه ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ماخفى عليهم من امور السموات والارض وماظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم مالايعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى وهو ان يتوقفوا مترصدين

اى عمل مالم يجب عليه من طواف وغيره (فان الله شاكر) لعمله بالاثابة عليه (عليم) به * ونزل فى اليهود (ان الذين يكتمون) الناس (ماانزلنا من البينات والهدى) كآية الرجم ونعت محمد صلى الله عليه وسلم (من بعد مابيناه للناس فى الكتاب) التورية (اولئك يلعنهم الله) يبعدهم من رحمته (ويلعنهم اللاعنون) الملائكة والمؤمنون اوكل شئ بالدعاء عليهم باللعنة (الاالذين تابوا) رجعوا عن ذلك (واصلحوا) عملهم (وبينوا) ماكتموا (فاولئك اتوب عليهم) اقبل توبتهم (وأنا التواب الرحيم) بالمؤمنين (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار) حال (اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين) اى هم مستحقون ذلك فى الدنيا والآخرة والناس قيل عام وقيل المؤمنون (خالدين فيها) اى اللعنة اوالنار المدلول بها عليها (لايخفف عنهم العذاب) طرفة عين (ولاهم ينظرون) يمهلون لتوبة او معذرة *

وتزل لماقالوا صف لنا ربك (والهكم) المستحق للعبادة منكم (اله واحد) لانظير له فى ذاته ولافى صفاته (لااله الاهو) هو (الرحمن الرحيم) وطلبوا آية على ذلك فنزل (ان فى خلق السموات والارض) وما فيهما من العجائب (واختلاف الليل والنهار) بالذهاب والمجيء والزيادة والنقصان (والفلك) السفن (التى تجرى فى البحر) ولاترسب موقرة (بماينفع الناس) من التجارات والحمل (وما انزل الله من السماء من ماء) مطر (فاحيي به الارض) بالنبات (بعد موتها) يبسها (وبث) فرق ونشر به (فيها من كل دابة) لانهم ينمون بالخصب الكائن عنه (وتصريف الرياح) تقليبها جنوبا وشمالا حارة وباردة (والسحاب) الغيم (المسخر) المذلل بامر الله تعالى يسير الى حيث شاء الله (بين السماء والارض) بلاعلاقة (لآيات) دالات على وحدانيته تعالى (لقوم يعقلون) يتدبرون (ومن الناس

لان يبين لهم وقيل ماتبدون قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها وماتكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لايخلق خلقا افضل منهم وقيل مااظهروا من الطاعة واسر ابليس منهم من المعصية والهمزة للانكار دخلت حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير واعلم ان هذه الآيات تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط فى الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص اوعموم وتعليمها ظاهر فى القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعى سابقة وضع والاصل ينفى ان يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم فيكون من الله سبحانه وتعالى وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والالتكرر قوله انك انت العليم الحكيم وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك فى الطبقة العليا منهم وحملوا عليه قوله تعالى * ومامنا الاله مقام معلوم * وان آدم افضل من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله تعالى * هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون * وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها (واذقلنا للملائكة اسجدوا لآدم) لما انبأهم باسماء وعلمهم مالم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا عماقالوا فيه وقيل امرهم به قبل ان يسوى خلقه لقوله تعالى * فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين * امتحانا لهم واظهارا لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق ان نصبته بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة بل القصة باسرها على القصة الاخرى وهى نعمة رابعة عدها عليهم والسجود فى الاصل تذلل مع تطامن قال الشاعر * ترى الاكم فيها سجدا للحوافر * وقال * وقلن له اسجد لليلى فاسجدا * يعنى البعير اذا طأطأ رأسه وفى الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمأمور به اما المعنى الشرعى فالمسجود له فى الحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قبلة سجودهم تفخيما لشأنه اوسببا لوجوبه فكأنه تعالى لما خلقه بحيث يكون نموذجا للمبدعات كلها بل الموجودات باسرها ونسخة لما فى العالم الروحانى والجسمانى وذريعة للملائكة الى استيفاء ماقدر لهم من الكمالات ووصلة الى ظهور ماتباينوا فيه من المراتب والدرجات امرهم

(بالسجود)

بالسجود تذللا لما رأوا فيه من عظيم قدرته وباهر آياته وشكرا لما انعم عليهم بواسطته فاللام فيه كاللام فى قول حسان رضى الله تعالى عنه * أليس اول من صلى لقبلتكم * واعرف الناس بالقرآن والسنن * او فى قوله تعالى * اقم الصلوة لدلوك الشمس * واما المعنى اللغوى وهو التواضع لآدم تحية وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له او التذلل والانقياد بالسعى فى تحصيل ماينوط به معاشهم ويتم به كمالهم والكلام فى ان المأمورين بالسجود الملائكة كلهم او طائفة منهم ماسبق (فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر) امتنع عما امر به استكبارا من ان يتخذه وصلة فى عبادة ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه والاباء امتناع باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع (وكان من الكافرين) اى فى علم الله او صار منهم باستقباحه امر الله تعالى اياه بالسجود لآدم اعتقادا بانه افضل منه والافضل لايحسن ان يأمر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما اشعر به قوله انا خير منه جوابا لقوله * مامنعك ان تسجد لما خلقت بيدى استكبرت ام كنت من العالين * لا بترك الواجب وحده والآية تدل على ان آدم افضل من الملائكة المأمورين بالسجود له ولو من وجه وان ابليس كان من الملائكة والا لم يتناوله امرهم ولم يصح استثناؤه منهم ولا يرد على ذلك قوله تعالى * الا ابليس كان من الجن * لجواز ان يقال انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا ولان ابن عباس روى ان من الملائكة ضربا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس ولمن زعم انه لم يكن من الملائكة ان يقول انه كان جنيا نشأ بين اظهر الملائكة وكان مغمورا بالالوف منهم فغلبوا عليه او الجن ايضا كانوا مأمورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر مأمورين بالتذلل لاحد والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا مأمورون به والضمير فى فسجدوا راجع الى القبيلتين فكأنه قال فسجد المأمورون بالسجود الا ابليس وان من الملائكة من ليس بمعصوم وان كان الغالب فيهم العصمة كما ان من الانس معصومين والغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضربا من الملائكة لايخالف الشياطين بالذات وانما يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة من الانس والجن يشملهما وكان ابليس من هذا الصنف كما قال ابن عباس ولذلك صح عليه

من يتخذ من دون الله) أى غيره (أندادا) أصناما (يحبونهم) بالتعظيم والخضوع (كحب الله) أى كحبهم له (والذين آمنوا أشد حبا لله) من حبهم للانداد لانهم لايعدلون عنه بحال ما والكفار يعدلون فى الشدة الى الله (ولو ترى) تبصر يامحمد (الذين ظلموا) باتخاذ الانداد (اذ يرون) بالبناء للفاعل والمفعول يبصرون (العذاب) لرأيت أمرا عظيما واذ بمعنى اذا (أن) أى لان (القوة) القدرة والغلبة (لله جميعا) حال (وأن الله شديد العذاب) وفى قراءة يرى بالتحتانية والفاعل ضمير السامع وقيل الذين ظلموا فهى بمعنى يعلم وأن وما بعدها سدت مسد المفعولين وجواب لو محذوف والمعنى لو علموا فى الدنيا شدة عذاب الله وأن القدرة لله وحده وقت معاينتهم له وهو يوم القيمة لما اتخذوا من دونه أندادا (اذ) بدل من اذ قبله (تبرأ الذين اتبعوا) أى الرؤساء (من الذين اتبعوا) أى انكروا اضلالهم (و) قد (رأوا العذاب

التغير عن حاله والهبوط من محله كما اشار اليه بقوله عز وعلا * الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه * لا يقال كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور والجن من نار لما روت عائشة رضى الله عنها انه عليه السلام قال خلقت الملائكة من النور وخلق الجن من مارج من نار لانه كالتمثيل لما ذكرت فان المراد بالنور الجوهر المضئ والنار كذلك غير ان ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب مايصحبه من فرط الحرارة والاحراق فاذا صارت مهذبة مصفات كانت محض نور ومتى نكصت عادت الحالة الاولى جدعة ولا تزال تتزايد حتى ينطفئ نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا اشبه بالصواب واوفق للجمع بين النصوص والعلم عند الله تعالى ومن فوائد الآية استقباح الاستكبار وانه قد يفضى بصاحبه الى الكفر والحث على الائتمار لامره وترك الخوض فى سره وان الامر للوجوب وان الذى علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم وان كان بحكم الحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا ابى الحسن الاشعرى رحمه الله ﴿ وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة ﴾ السكنى من السكون لانها استقرار ولبث وانت تأكيد اكد به المستكن ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهما اولا تنبيها على انه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له والجنة دار الثواب لان اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم انها لم تخلق بعد قال انه بستان كان بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا لآدم وحمل الاهباط على الانتقال منه الى ارض الهند كما فى قوله تعالى * اهبطوا مصرا * ﴿ وكلا منها رغدا ﴾ واسعا رافها صفة مصدر محذوف ﴿ حيث شئتما ﴾ اى مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعلة والعذر فى التناول من الشجرة المنهى عنها من بين اشجارها الفائتة للحصر ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ فيه مبالغات تعليق النهى بالقرب الذى هو من مقدمات التناول مبالغة فى تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها على ان القرب من الشئ يورث داعية وميلا يأخذ بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما روى حبك الشئ يعمى ويصم فينبغى ان لا يحوما حول ما حرم الله عليهما مخافة ان يقعا فيه وجعله سببا

وتقطعت) عطف على تبرأ (بهم) عنهم (الاسباب) الوصل التى كانت بينهم فى الدنيا من الارحام والمودة (وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة) رجعة الى الدنيا (فنتبرأ منهم) أى المتبوعين (كما تبرؤا منا) اليوم ولو للتمنى ونتبرأ جوابه (كذلك) اى كما اراهم شدة عذابه وتبرأ بعضهم من بعض (يريهم الله أعمالهم) السيئة (حسرات) حال ندامات (عليهم وماهم بخارجين من النار) بعد دخولها * ونزل فيمن حرم السوائب ونحوها (يا أيها الناس كلوا مما فى الارض حلالا) حال (طيبا) صفة مؤكدة أو مستلذا (ولا تتبعوا خطوات) طرق (الشيطان) أى تزيينه (انه لكم عدو مبين) بين العداوة (انما يأمركم بالسوء) الاثم (والفحشاء) القبيح شرعا (وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) من تحريم مالم يحرم وغيره (واذا

لان يكونا من الظالمين الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصى او بنقص حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم فان الفاء تفيد السببية سواء جعلته للعطف على النهى او الجواب له والشجرة هى الحنطة او الكرمة او التينة اوشجرة من اكل منها احدث والاولى ان لاتعين من غير قاطع كما لاتعين فى الآية لعدم توقف ماهو المقصود عليه وقرئ بكسر الشين وتقربا بكسر التاء وهذى بالياء (فازلهما الشيطان عنها) اصدر زلتهما عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها ونظير عن هذه فى قوله تعالى * ومافعلته عن امرى * او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما ويعضده قرأة حمزة فازالهما وهما متقاربان فى المعنى غير ان زل يقتضى عثرة مع الزوال وازلاله قوله * هل ادلك على شجرة الخلد وملك لايبلى * وقوله مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الاان تكونا ملكين اوتكونا من الخالدين * ومقاسمته اياها بقوله * انى لكما لمن الناصحين * واختلف فى انه تمثل لهما فقاولهما بذلك اوالقاه اليهما على طريق الوسوسة وانه كيف توصل الى ازلالهما بعد ماقيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل للوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل قام عند الباب فناداها وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم تعرفه الخزنة وقيل دخل فى فم الحية حتى دخلت به وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله تعالى (فاخرجهما مما كانا فيه) اى من الكرامة والنعيم (وقلنا اهبطوا) خطاب لآدم وحواء لقوله تعالى * قال اهبطا منها جميعا * وجمع الضمير لانهما اصلا الانس فكأنهما الانس كلهم اوهما وابليس اخرج منها ثانيا بعد ماكان يدخلها للوسوسة اودخلها مسارقة اومن السماء (بعضكم لبعض عدو) حال استغنى فيها عن الواو بالضمير والمعنى متعادين يبغى بعضكم على بعض بتضليله (ولكم فى الارض مستقر) موضع استقرار اواستقرار (ومتاع) اى تمتع (الى حين) يريد به وقت الموت او القيمة (فتلقى آدم من ربه كلمات) استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات على انها استقبلته وتلقته وهى قوله تعالى * ربنا ظلمنا انفسنا * الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لااله الا انت ظلمت نفسى فاغفر لى انه لايغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال يارب

قيل لهم) أى الكفار (اتبعوا ما أنزل الله) من التوحيد وتحليل الطيبات (قالوا) لا (بل نتبع ماألفينا) وجدنا (عليه آباءنا) من عبادة الاصنام وتحريم السوائب والبحائر قال تعالى (أ) يتبعونهم (ولوكان آباؤهم لايعقلون شيئا) من أمر الدين (ولايهتدون) الى حق والهمزة للانكار (ومثل) صفة (الذين كفروا) ومن يدعوهم الى الهدى (كمثل الذى ينعق) يصوت (بما لايسمع الادعاء ونداء) اى صوتا ولايفهم معناه أى هم فى سماع الموعظة وعدم تدبرها كالبهائم تسمع صوت راعيها ولاتفهمه هم (صم بكم عمى فهم لايعقلون) الموعظة (ياأيها الذين امنوا كلوا من طيبات) حلالات (مارزقناكم واشكروا لله) على ما احل لكم (ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة) أى أكلها اذ الكلام فيه وكذا مابعدها وهى ما

الم تخلقنى بيدك قال بلى قال يارب الم تنفخ فى الروح من روحك قال بلى قال الم تسكنى جنتك قال بلى قال يارب ان تبت واصلحت اراجعى انت الى الجنة قال نعم واصل الكلمة الكلم وهو التأثير المدرك باحدى الحاستين السمع والبصر كالكلام والجراحة والحركة (فتاب عليه) رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وانما رتبه بالفاء على تلقى الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على ان لايعود اليه واكتفى بذكر آدم لان حواء كانت تبعا له فى الحكم ولذلك طوى ذكر النساء فى اكثر القرآن والسنن (انه هو التواب) الرجاع على عباده بالمغفرة اوالذى يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوبة الرجوع فاذا وصف بها العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف بها البارى تعالى اريد بها الرجوع عن العقوبة الى المغفرة (الرحيم) المبالغ فى الرحمة وفى الجمع بين الوصفين وعد للتائب بالاحسان مع العفو (قلنا اهبطوا منها جميعا) كرر للتأكيد اولاختلاف المقصود فان الاول دل على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولايخلدون والثانى اشعر بانهم اهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك والتنبيه على ان مخافة الاهباط المقترن باحدهذين الامرين وحدها كافية للحازم ان تعوقه عن مخالفة حكم الله تعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسى ولم نجدله عزما وان كل واحد منهما كفى به نكالا لمن اراد انيذكر وقيل الاول من الجنة الى السماء الدنيا والثانى منها الى الارض وهو كما ترى وجميعا حال فى اللفظ تأكيد فى المعنى كأنه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لايستدعى اجتماعهم على الهبوط فى زمان واحد كقولك جاؤا جميعا (فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون) الشرط الثانى مع جوابه جواب الشرط الاول ومامزيدة اكدت به ان ولذلك حسن تأكيد الفعل بالنون وان لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى ان يأتينكم منى هدى بانزال اوارسال فمن تبعه منكم نجا وفاز وانما جئ بحرف الشك واتيان الهدى كائن لامحالة لانه محتمل فى نفسه غيرواجب عقلا وكرر لفظ الهدى ولم يضمر لانه اراد بالثانى اعم من الاول وهوما اتى به الرسل واقتضاه العقل اى فمن تبع ما اتاه مراعيا فيه مايشهد به العقل فلاخوف عليهم فضلا عن ان يحل بهم مكروه ولاهم ممن يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه فالخوف على المتوقع والحزن على الواقع نفى عنهم العقاب واثبت لهم الثواب على

(آكد)

لم يذك شرعا وألحق بها بالسنة ماأبين من حى وخص منها السمك والجراد (والدم) أى المسفوح كما فى الانعام (ولحم الخنزير) خص اللحم لانه معظم المقصود وغيره تبع له (ما أهل به لغير الله) أى ذبح على اسم غيره والاهلال رفع الصوت وكانوا يرفعونه عند الذبح لآلهتهم (فمن اضطر) أى ألجأته الضرورة الى أكل شئ مما ذكر فاكله (غير باغ) خارج على المسلمين (ولاعاد) متعد عليهم بقطع الطريق (فلا اثم عليه) فى أكله (ان الله غفور) لاوليائه (رحيم) باهل طاعته حيث وسع لهم فى ذلك وخرج الباغى والعادى ويلحق بهما كل عاص بسفره كالآبق والمكاس فلايحل لهم اكل شئ من ذلك مالم يتوبوا وعليه الشافعى (ان الذين يكتمون ماانزل الله من الكتاب) المشتمل على نعت محمد وهم اليهود (ويشترون به ثمنا قليلا) من الدنيا يأخذونه بدله

آكد وجه وابلغه وقرئ هدى على لغة هذيل ولاخوف بالفتح (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النارهم فيها خالدون) عطف على فمن تبع الى آخره قسيم له كأنه قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا بآياته اوكفروا بالآيات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون الفعلان متوجهين الى الجار والمجرور والآية فى الاصل العلامة الظاهرة ويقال للمصنوعات من حيث انها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل واشتقاقها من اى لانها تبين ايا من اى اومن اوى اليه واصلها ايية اواوية كتمرة فابدلت عينها الفاعلى غيرقياس اوايية اواوية كرمكة فأعلت او آئية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا والمراد بآياتنا الآيات المنزلة اومايعمها والمعقولة تنبيه وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الانبياء عليهم الصلوة والسلام من وجوه الاول ان آدم صلوات الله عليه كان نبيا وارتكب المنهى عنه والمرتكب له عاص والثانى انه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله تعالى * الالعنة الله على الظالمين * والثالث انه تعالى اسند اليه العصيان والغى فقال * وعصى آدم ربه فغوى * والرابع انه تعالى لقنه التوبة وهى الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس اعترافه بانه خاسر لولامغفرة الله تعالى اياه بقوله * وان لم تغفرلنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين * والخاسر من يكون ذا كبيرة والسادس انه لولم يذنب لم يجرعليه ماجرى والجواب من وجوه الاول انه لم يكن نبيا حينئذ والمدعى مطالب بالبيان والثانى ان النهى للتنزيه وانما سمى ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى له واما اسناد الغى والعصيان اليه فسيأتى الجواب عنه فى موضعه ان شاء الله تعالى وانما امر بالتوبة تلافيا لمافات عنه وجرى عليه ماجرى معاتبة له على ترك الاولى ووفاء بما قاله للملائكة قبل خلقه والثالث انه فعله ناسيا لقوله تعالى * فنسى ولم نجدله عزما * ولكنه عوتب بترك التحفظ عن اسباب النسيان ولعله وان حط عن الامة لم يحط عن الانبياء لعظم قدرهم كما قال عليه الصلوة والسلام * اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل اوادى فعله الى ماجرى عليه على طريق السببية المقدرة دون المؤاخذة كتناول السم على الجاهل بشانه لايقال انه باطل لقوله تعالى * مانها كا ربكما * وقاسمهما * الآيتين لانه ليس فيهما مايدل على ان تناوله حين ماقاله ابليس فلعل مقاله اورث فيه

من سفلتهم فلايظهرونه خوف فوته عليهم (أولئك مايأكلون فى بطونهم الاالنار) لانهامآله (ولايكلمهم الله يوم القيمة) غضبا عليهم (ولايزكيهم) يطهرهم من دنس الذنوب (ولهم عذاب اليم) مؤلم هو النار (اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) أخذوها بدله فى الدنيا (والعذاب بالمغفرة) المعدة لهم فى الآخرة لولم يكتموا (فماأصبرهم على النار) أى ما أشد صبرهم وهو تعجيب للمؤمنين من ارتكابهم موجباتها من غير مبالاة والا فأى صبرلهم (ذلك) الذى ذكر من أكلهم النار وما بعده (بان) بسبب أن (الله نزل الكتاب بالحق) متعلق بنزل فاختلفوا فيه حيث آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه بكتمه (وان الذين اختلفوا فى الكتاب) بذلك وهم اليهود وقيل المشركون فى القرآن حيث قال بعضهم شعر وبعضهم سحر وبعضهم كهانة (لفى شقاق) خلاف (بعيد)

عن الحق (ليس البر أن تولوا وجوهكم) فى الصلوة (قبل المشرق والمغرب) نزل ردا على اليهود والنصارى حيث زعموا ذلك (ولكن البر) أى ذا البر وقرئ بفتح الباء أى البار (من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب) أى الكتب (والنبين وآتى المال على) مع (حبه) له (ذوى القربى) القرابة (واليتامى والمساكين وابن السبيل) المسافر (والسائلين) الطالبين (وفى) فك (الرقاب) المكاتبين والاسرى (واقام الصلوة وآتى الزكوة) المفروضة وماقبله فى التطوع (والموفون بعهدهم اذا عاهدوا) الله أو الناس (والصابرين) نصب على المدح (فى البأساء) شدة الفقر (والضراء) المرض (وحين البأس) وقت شدة القتال فى سبيل الله (أولئك) الموصوفون بما ذكر (الذين صدقوا) فى ايمانهم أو ادعاء البر (وأولئك هم المتقون)

ميلا طبيعيا ثم انه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعالى الى ان نسى ذلك وزال المانع فحمله الطبع عليه والرابع انه عليه السلام اقدم عليه بسبب اجتهاد اخطأ فيه فانه ظن ان النهى للتنزيه او الاشارة الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع كما روى انه عليه الصلوة والسلام اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور امتى حل لاناثها وانما جرى عليه ماجرى تفظيعا لشان الخطيئة ليجتنبها اولاده وفيها دلالة على ان الجنة مخلوقة وانها فى جهة عالية والتوبة مقبولة وان متبع الهدى مأمون العاقبة وان عذاب النار دائم والكافر فيه مخلد وان غيره لايخلد فيه لمفهوم قوله تعالى هم فيها خالدون واعلم انه سبحانه وتعالى لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة تقريرا لها وتأكيدا فانها من حيث انها حوادث محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والامر وحده لاشريك له ومن حيث ان الاخبار بها على ماهو مثبت فى الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيئا منها اخبار بالغيب معجز يدل على نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان واصوله وماهو اعظم من ذلك تدل على انه قادر على الاعادة كما كان قادرا على الابداء خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان يذكروا نعم الله تعالى عليهم ويوفوا بعهوده فى اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا اول من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وما انزل عليه فقال (يابنى اسرائيل) اى اولاد يعقوب والابن من البناء لانه مبنى ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت الفكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرائل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرايل بقلب الهمزة ياء (اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم) اى بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم لان الانسان غيور حسود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط وان نظر الى ما انعم الله به عليه حمله حب النعمة على الرضى والشكر وقيل اراد بها ما انعم الله به على آبائهم من الانجاء من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك زمن محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ اذكروا والاصل افتعلوا ونعمتى باسكان الياء وقفا واسقاطها درجا وهو مذهب

(من)

من لايحرك الياء المكسور ماقبلها (واوفوا بعهدى) بالايمان والطاعة (اوف بعهدكم) بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثانى الى المفعول فانه تعالى عهداليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وانزال الكتب ووعدلهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فاول مراتب الوفاء منا هو الاتيان بكلمتى الشهادة ومن الله تعالى حقن الدم والمال وآخرها منا الاستغراق فى بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدائم وماروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما اوفوا بعهدى فى اتباع محمد صلى الله عليه وسلم اوف بعهدكم فى رفع الآصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب اواوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتمونى من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين فى سورة المائدة فى قوله تعالى * ولقد اخذنا ميثاق بنى اسرائيل * الى قوله * ولادخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار * وقرئ اوف بالتشديد للمبالغة (واياى فارهبون) فيما تأتون وتذرون وخصوصا فى نقض العهود وهو آكد فى افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كأنه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبون والرهبة خوف معه تحرز والآية متضمنة للوعد والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغى ان لايخاف احدا الا الله تعالى (وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم) افراد للايمان بالامر به والحث عليه لانه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود وتقييد المنزل بانه مصدق لما معهم من الكتب الالهية من حيث انه نازل حسبما نعت فيها اومطابق لها فى القصص والمواعيد والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهى عن المعاصى والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار فى المصالح من حيث ان كل واحدة منها حق بالاضافة الى زمانها مراعى فيها صلاح من خوطب بها حتى لونزل المتقدم فى ايام المتأخر لنزل على وفقه ولذلك قال عليه الصلوة والسلام * لوكان

الله (ياأيها الذين آمنوا كتب) فرض (عليكم القصاص) المماثلة (فى القتلى) وصفا وفعلا (الحر) يقتل (بالحر) ولايقتل بالعبد (والعبد بالعبد والانثى بالانثى) وبينت السنة أن الذكر يقتل بها وأنه تعتبر المماثلة فى الدين فلا يقتل مسلم ولوعبدا بكافر ولوحرا (فمن عفى له) من القاتلين (من) دم (أخيه) المقتول (شئ) بأن ترك القصاص منه وتنكير شئ يفيد سقوط القصاص بالعفو عن بعضه ومن بعض الورثة وفى ذكر أخيه تعطف داع الى العفو وايذان بأن القتل لايقطع أخوة الايمان ومن مبتدأ شرطية أوموصولة والخبر (فاتباع) أى فعلى العافى اتباع للقاتل (بالمعروف) بأن يطالبه بالدية بلا عنف وترتيب الاتباع على العفو يفيد أن الواجب أحدهما وهو أحد قولى الشافعى والثانى الواجب القصاص والدية بدل عنه فلو عفا ولم يسمها

موسى حيا لما وسعه الا اتباعى تنبيه على ان اتباعهما لاينافى الايمان به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله ﴿ ولاتكونوا اول كافر به ﴾ بان الواجب ان يكونوا اول من آمن به ولانهم كانوا اهل النظر فى معجزاته والعلم بشأنه والمستفتحين به والمبشرين بزمانه واول كافر به وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير اول فريق اوفوج اوبتأويل لايكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة * فان قيل كيف نهوا عن التقدم فى الكفر وقد سبقهم مشركوا العرب *قلت المراد به التعريض لاالدلالة على مانطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل اوولاتكونوا اول كافر من اهل الكتاب اوممن كفر بما معه فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه اومثل من كفر من مشركى مكة واول افعل لافعل له وقيل اصله اوأل من وأل فابدلت همزته واوا تخفيفا غير قياسى اوأأول من آل فقلبت همزته واوا وادغمت ﴿ ولاتشتروا بآياتى ثمنا قليلا ﴾ ولاتستبدلوا بالايمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالاضافة الى مايفوت عنكم من حظوظ الآخرة بترك الايمان قيل كان لهم رياسة فى قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لواتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختاروها عليه وقيل كانوا يأخذون الرشى فيحرفون الحق ويكتمونه ﴿ واياى فاتقون ﴾ بالايمان واتباع الحق والاعراض عن الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ماهو كالمبادى لمافى الآية الثانية فصلت بالرهبة التى هى مقدمة التقوى ولان الخطاب بها لماعم العالم والمقلد امرهم بالرهبة التى هى مبدأ السلوك والخطاب بالثانية لماخص اهل العلم امرهم بالتقوى التى هى منتهاه ﴿ ولاتلبسوا الحق بالباطل ﴾ عطف على ماقبله واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشئ مشتبها بغيره والمعنى لاتخلطوا الحق المنزل عليكم بالباطل الذى تخترعونه وتكتمونه حتى لايميز بينهما اوولاتجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذى تكتمونه فى خلاله اوتذكرونه فى تأويله ﴿ وتكتموا الحق ﴾ جزم داخل تحت حكم النهى كأنهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على من لم يسمعه او نصب باضمار ان على ان الواو للجمع اى لاتجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه ويعضده انه فى مصحف ابن مسعود وتكتمون اى وانتم تكتمون بمعنى كاتمين وفيه اشعار بان استقباح اللبس لمايصحبه من كتمان الحق ﴿ وانتم تعلمون ﴾ عالمين بانكم لابسون كاتمون فانه

(اقبح)

فلا شئ ورجح ﴿ و ﴾ على القاتل ﴿ أداء ﴾ للدية ﴿ اليه ﴾ أى العافى وهو الوارث ﴿ باحسان ﴾ بلا مطل ولابخس ﴿ ذلك ﴾ الحكم المذكور من جواز القصاص والعفو عنه على الدية ﴿ تخفيف ﴾ تسهيل ﴿ من ربكم ﴾ عليكم ﴿ ورحمة ﴾ بكم حيث وسع فى ذلك ولم يحتم واحدا منهما كما حتم على اليهود القصاص وعلى النصارى الدية ﴿ فمن اعتدى ﴾ ظلم القاتل بان قتله ﴿ بعد ذلك ﴾ أى العفو ﴿ فله عذاب أليم ﴾ مؤلم فى الآخرة بالنار اوفى الدنيا بالقتل ﴿ ولكم فى القصاص حيوة ﴾ بقاء عظيم ﴿ يا أولى الالباب ﴾ ذوى العقول لان القاتل اذا علم أنه يقتل ارتدع فاحيا نفسه ومن أراد قتله فشرع ﴿ لعلكم تتقون ﴾ القتل مخافة القود ﴿ كتب ﴾ فرض ﴿ عليكم اذا حضر أحدكم الموت ﴾ أى اسبابه ﴿ ان ترك خيرا ﴾ مالا ﴿ الوصية ﴾ مرفوع بكتب ومتعلق اذا ان كانت ظرفية ودال على

اقبح اذا الجاهل قد يعذر (واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة) يعنى صلوة المسلمين وزكوتهم فان غيرها كلا صلوة ولا زكوة امرهم بفروع الاسلام بعد ما امرهم باصوله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بها والزكوة من زكا الزرع اذا نما فان اخراجها يستجلب بركة فى المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم او من الزكوة بمعنى الطهارة فانها تطهر المال من الخبث والنفس من البخل (واركعوا مع الراكعين) اى فى جماعتهم فان صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط السعدى

لاتذل الضعيف علك ان تر * كع يوما والدهر قد رفعه

(اتأمرون الناس بالبر) تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع فى الخير من البر وهو الفضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل البر ثلاثة بر فى عبادة الله تعالى وبر فى مراعاة الاقارب وبر فى معاملة الاجانب (وتنسون انفسكم) وتتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن عباس رضى الله عنهما انها نزلت فى احبار المدينة كانوا يأمرون سرا من نصحوه باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون (وانتم تتلون الكتاب) تبكيت كقوله وانتم تعلمون اى تتلون التورية وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل (افلا تعقلون) قبح صنيعكم فيصدكم عنه او افلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل فى الاصل الحبس سمى به الادراك الانسانى لانه يحبسه عما يقبح ويعقله على مايحسن ثم القوة التى بها النفس تدرك هذا الادراك والآية ناعية على من يعظ غيره ولا يتعظ بنفسه سوء صنيعه وخبث نفسه وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالى عن العقل فان الجامع بينهما تأبى عنه شكيمته والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل ليقوم فيقيم غيره لا منع الفاسق عن الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المأمور بهما لا يوجب الاخلال بالآخر (واستعينوا بالصبر والصلوة) متصل بما قبله كأنهم لما امروا بما شق عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله او بالصوم الذى هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلوة

جوابها ان كانت شرطية وجواب ان اى فليوص (للوالدين والاقربين بالمعروف) بالعدل بان لا يزيد على الثلث ولا يفضل الغنى (حقا) مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله (على المتقين) الله وهذا منسوخ بآية الميراث وبحديث لاوصية لوارث رواه الترمذى (فمن بدله) اى الايصاء من شاهد ووصى (بعدما سمعه) علمه (فانما اثمه) اى الايصاء المبدل (على الذين يبدلونه) فيه اقامة الظاهر مقام المضمر (ان الله سميع) لقول الموصى (عليم) بفعل الوصى فمجاز عليه (فمن خاف من موص) مخففا ومثقلا (جنفا) ميلا عن الحق خطأ (او اثما) بان تعمد ذلك بالزيادة على الثلث او تخصيص غنى مثلا (فاصلح بينهم) بين الموصى والموصى له بالامر بالعدل (فلا اثم عليه) فى ذلك (ان الله غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا كتب) فرض (عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم)

والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القرآن والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المآرب وجبر المصائب * روى انه عليه الصلوة والسلام اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء (وانها) اى وان الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها واستجماعها ضروبا من الصبر اوجملة ما امروا بها ونهوا عنها (لكبيرة) لثقيلة شاقة كقوله تعالى * كبر على المشركين ماتدعوهم اليه (الا على الخاشعين) اى المخبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب (الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون) اى يتوقعون لقاء الله تعالى ونيل ماعنده او يتيقنون انهم يحشرون الى الله فيجازيهم ويؤيده ان فى مصحف ابن مسعود يعلمون وكان الظن لما شابه العلم فى الرجحان اطلق عليه لتضمين معنى التوقع قال اوس بن حجر شعر * فارسلته مستيقن الظن انه * مخالط مابين الشراسيف جائف * وانما لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم فان نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة فى مقابلتها مايستحقر لاجله مشاقها ويستلذ بسببه متاعبها ومن ثم قال عليه الصلوة والسلام * وجعلت قرة عينى فى الصلوة (يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم) كرره للتأكيد وتذكيرا للتفضيل الذى هو اجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها (وانى فضلتكم) عطف على نعمتى (على العالمين) اى عالمى زمانهم يريد به تفضيل آبائهم الذين كانوا فى عصر موسى عليه الصلوة والسلام وبعده قبل ان يغيروا بمامنحهم الله تعالى من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلهم انبياء وملوكا مقسطين واستدل به على تفضيل البشر على الملك وهو ضعيف (واتقوا يوما) اى مافيه من الحساب والعذاب (لاتجزى نفس عن نفس شيئا) لاتقضى عنها شيئا من الحقوق اوشيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدر وقرئ لاتجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى وعلى هذا تعين ان يكون مصدرا وايراده منكرا مع تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلى

من الاثم (لعلكم تتقون) المعاصى فانه يكسر الشهوة التى هى مبدؤها (اياما) نصب بالصيام او بصوموا مقدرا (معدودات) اى قلائل اوموقتات بعدد معلوم وهى رمضان كماسيأتى وقلله تسهيلا على المكلفين (فمن كان منكم) حين شهوده (مريضا اوعلى سفر) اى مسافر سفر القصر واجهده الصوم فى الحالين فافطر (فعدة) فعليه عدة ماافطر (من ايام اخر) يصومها بدله (وعلى الذين) لا (يطيقونه) لكبر او مرض لا يرجى برؤه (فدية) هى (طعام مسكين) قدر مايأكله فى يومه وهو مد من غالب قوت البلد لكل يوم وفى قراءة باضافة فدية وهى للبيان وقيل لاغير مقدرة وكانوا مخيرين فى صدر الاسلام بين الصوم والفدية ثم نسخ بتعيين الصوم بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه قال ابن عباس الا الحامل والمرضع اذا افطرتا خوفا على الولد

والجملة صفة ليوما والعائد فيها محذوف تقديره لاتجزى فيه ومن لم يجوز حذف العائد المجرور قال اتسع فيه فحذف عنه الجار واجرى مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف من قوله اومال اصابوا (ولا تقبل منها شفاعة ولايؤخذ منها عدل) اى من النفس الثانية العاصية اومن الاولى وكأنه اريد بالآية نفى ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه امان يكون قهرا اوغيره والاول النصرة والثانى امان يكون مجانا اوغيره والاول ان يشفع له والثانى اما باداء ماكان عليه وهو ان يجزى عنه او بغيره وهو ان يعطى عنه عدلا والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمى به الفدية لانها سويت بالمفدى وقرأ ابن كثير وابو عمرو ولا تقبل بالتاء (ولاهم ينصرون) يمنعون من عقاب الله والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة فى سياق النفى من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد او الاناسى والنصرة اخص من المعونة لاختصاصه بدفع الضر وقد تمسكت المعتزلة بهذه الآية على نفى الشفاعة لاهل الكبائر واجيب بانها مخصوصة بالكفار للآيات والاحاديث الواردة فى الشفاعة ويؤيده ان الخطاب معهم والآية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان آباءهم تشفع لهم (واذنجيناكم من آل فرعون) تفصيل لما اجمله فى قوله اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وعطف على نعمتى عطف جبريل وميكائيل على الملائكة وقرئ انجيتكم ونجيتكم واصل آل اهل لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى اولى الخطر كالانبياء والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر لملكى الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذاعتا وتجبر وكان فرعون موسى مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وفرعون يوسف عليه السلام ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة (يسومونكم) يبغونكم من سامه خسفا اذااولاه ظلما واصل السوم الذهاب فى طلب الشئ (سوء العذاب) افظعه فانه قبيح بالاضافة الى سائره والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة حال من الضمير فى نجيناكم اومن آل فرعون او منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد منهما (يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم) بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون

فانها باقية بلا نسخ فى حقهما (فمن تطوع خيرا) بالزيادة على القدر المذكور فى الفدية (فهو) اى التطوع (خير له وان تصوموا) مبتدأ خبره (خير لكم) من الافطار والفدية (ان كنتم تعلمون) انه خير لكم فافعلوه تلك الايام (شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن) من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا فى ليلة القدر منه (هدى) حال هاديا من الضلالة (للناس وبينات) آيات واضحات (من الهدى) بما يهدى الى الحق من الاحكام (و) من (الفرقان) مما يفرق بين الحق والباطل (فمن شهد) حضر (منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر) تقدم مثله وكرر لئلا يتوهم نسخه بتعميم من شهد (يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر) ولذا اباح لكم الفطر فى المرض والسفر ولكون ذلك فى معنى العلة ايضا للامر بالصوم عطف عليه (ولتكملوا)

رأى فى المنام اوقال له الكهنة سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيئا (وفى ذلكم بلاء) محنة ان اشير بذلكم الى صنيعهم و نعمة ان اشير به الى الانجاء واصله الاختبار لكن لما كان اختبار الله تعالى عباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق عليهما ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان الشائع بينهما (من ربكم) بتسليطهم عليكم او ببعث موسى عليه السلام وتوفيقه لتخليصكم اوبهما (عظيم) صفة بلاء وفى الآية تنبيه على ان مايصيب العبد من خير او شر اختبار من الله تعالى فعليه ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون من خير المختبرين (واذ فرقنا بكم البحر) فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك لسلوككم فيه او بسبب انجائكم او ملتبسا بكم كقوله * تدوس بنا الجماجم والتريبا * وقرئ فرقنا على بناء التكثير لان المسالك كانت اثنى عشر بعدد الاسباط (فانجيناكم واغرقنا آل فرعون) اراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى به وقيل شخصه كما روى ان الحسن رضى الله تعالى عنه كان يقول اللهم صل على آل محمد اى شخصه واستغنى بذكره عن ذكر اتباعه (وانتم تنظرون) ذلك اوغرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التى قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا روى انه تعالى امر موسى عليه السلام ان يسرى ببنى اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا ياموسى نخاف ان يغرق بعضنا ولا نعلم ففتح الله فيها كوى فتراأوا وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون ورآه منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين واعلم ان هذه الواقعة من اعظم ماانعم الله به على بنى اسرائيل ومن الآيات الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى عليه الصلوة والسلام ثم انهم بعد ذلك اتخذوا العجل وقالوا * لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة * ونحو ذلك فهم بمعزل فى الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع عن امة محمد صلى الله عليه وسلم مع ان ماتواتر من معجزاته امور نظرية دقيقة يدركها الاذكياء واخباره عليه الصلوة والسلام عنها من جملة معجزاته على مامر تقريره (واذ واعدنا

بالتخفيف والتشديد (العدة) اى عدة صوم رمضان (ولتكبروا الله) عند اكمالها (على ما هداكم) ارشدكم لمعالم دينه (ولعلكم تشكرون) الله على ذلك وسأل جماعة النبى صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزل (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب) منهم بعلمى فاخبرهم بذلك (اجيب دعوة الداع اذا دعان) بانالته ماسأل (فليستجيبوا لى) دعائى بالطاعة (وليؤمنوا) يدوموا على الايمان (بى لعلهم يرشدون) يهتدون (احل لكم ليلة الصيام الرفث) بمعنى الافضاء (الى نسائكم) بالجماع نزل نسخا لما كان فى صدر الاسلام من تحريمه وتحريم الاكل والشرب بعد العشاء (هن لباس لكم وانتم لباس لهن) كناية عن تعانقهما واحتياج كل منهما الى صاحبه (علم الله انكم كنتم تختانون) تخونون (انفسكم) بالجماع ليلة الصيام وقع ذلك لعمر وغيره واعتذروا الى النبى

موسى اربعين ليلة) لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعدالله موسى ان يعطيه التورية وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالى لانها غرر الشهور وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائى واعدنا لانه تعالى وعده الوحى ووعده موسى عليه السلام المجيء للميقات الى الطور (ثم اتخذتم العجل) الها ومعبودا (من بعده) من بعد موسى عليه السلام اومضيه (وانتم ظالمون) باشراككم (ثم عفونا عنكم) حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس (من بعد ذلك) اى الاتخاذ (لعلكم تشكرون) لكى تشكروا عفوه (واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان) يعنى التورية الجامع بين كونه كتابا منزلا وحجة يفرق بين الحق والباطل وقيل اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل فى الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذى فرق بينه و بين عدوه كقوله تعالى * يوم الفرقان * يريد به يوم بدر (لعلكم تهتدون) لكى تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر فى الآيات (واذ قال موسى لقومه ياقوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم) فاعزموا على التوبة والرجوع الى من خلقكم بريئا من التفاوت ومميزا بعضكم عن بعض بصور وهيئات مختلفة واصل التركيب لخلوص الشيء عن غيره اما على سبيل التفصى كقولهم برئ المريض من مرضه والمديون من دينه اوالانشاء كقولهم برأ الله آدم من الطين اوفتوبوا (فاقتلوا انفسكم) تماما لتوبتكم بالبخع اوقطع الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة روى ان الرجل كان يرى بعضه وقريبه فلم يقدر المضى لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لايتباصرون فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشى حتى دعا موسى وهرون فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفا والفاء الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب (ذلكم خير لكم عند بارئكم) من حيث انه طهرة من الشرك ووصلة الى الحيوة الابدية والبهجة السرمدية (فتاب عليكم) متعلق بمحذوف ان جعلته من كلام موسى عليه السلام لهم تقديره ان فعلتم ماامرتم به فقد تاب عليكم اوعطف على محذوف ان جعلته خطابا من الله تعالى لهم على طريق الالتفات كأنه قال ففعلتم ماامرتم به

صلى الله عليه وسلم (فتاب عليكم) قبل توبتكم (وعفا عنكم فالآن) اذ احل لكم (باشروهن) جامعوهن (وابتغوا) اطلبوا (ما كتب الله لكم) اى اباحه من الجماع اوقدره من الولد (وكلوا واشربوا) الليل كله (حتى يتبين) يظهر (لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر) اى الصادق بيان للخيط الابيض وبيان الاسود محذوف اى من الليل شبه مايبدو من البياض ومايمتد معه من الغبش بخيطين ابيض واسود فى الامتداد (ثم اتموا الصيام) من الفجر (الى الليل) اى الى دخوله بغروب الشمس (ولا تباشروهن) اى نساءكم (وانتم عاكفون) مقيمون بنية الاعتكاف (فى المساجد) متعلق بعاكفون نهى لمن كان يخرج وهو معتكف فيجامع امرأته ويعود (تلك) الاحكام المذكورة (حدود الله) حدها لعباده ليقفوا عندها (فلا تقربوها) ابلغ

فتاب عليكم بارئكم وذكر البارئ وترتيب الامر عليه اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة وان من لم يعرف حق منعمه حقيق بان يسترد منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب (انه هو التواب الرحيم) الذي يكثر توفيق التوبة اوقبولها من المذنبين ويبالغ في الانعام عليهم (واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك) لاجل قولك اولن نقر لك (حتى نرى الله جهرة) عيانا وهي في الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لانها نوع من الرؤية اوالحال من الفاعل اوالمفعول وقرئ جهرة بالفتح على انها مصدر كالغلبة اوجمع جاهر كالكتبة فيكون حالا من الفاعل قطعا والقائلون هم السبعون الذين اختارهم موسى عليه السلام للميقات وقيل عشرة آلاف من قومه والمؤمن به ان الله الذي اعطاك التورية وكلمك اوانك نبي (فاخذتكم الصاعقة) لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه تعالى يشبه الاجسام وطلبوا رؤيته رؤية الاجسام في الجهات والاحياز المقابلة للرائي وهي محال بل الممكن ان يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين في الآخرة والافراد من الانبياء في بعض الاحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة (وانتم تنظرون) ما اصابكم بنفسه اوباثره (ثم بعثناكم من بعد موتكم) بسبب الصاعقة وقيد البعث لانه قد يكون عن اغماء اونوم كقوله تعالى * من بعثنا (لعلكم تشكرون) نعمة البعث اوما كفرتموه لما رأيتم بأس الله بالصاعقة (وظللنا عليكم الغمام) سخر الله لهم السحاب يظلهم من الشمس حين كانوا في التيه (وانزلنا عليكم المن والسلوى) الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع وتبعث الجنوب عليهم السماني وينزل بالليل عمود نار يسيرون في ضوئه وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى (كلوا من طيبات مارزقناكم) على ارادة القول (وماظلمونا) فيه اختصار واصله فظلموا بان كفروا هذه النعم وماظلمونا (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) بالكفران لانه لا يتخطاهم ضرره (واذ قلنا ادخلوا هذه القرية) يعني بيت المقدس وقيل اريحا امروا به بعد التيه (فكلوا منها حيث شئتم رغدا) واسعا ونصبه على المصدر اوالحال من الواو (وادخلوا الباب) اي باب

(القرية)

من لا تعتدوها المعبر به في آية اخرى (كذلك) كما بين لكم ماذكر (يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون) محارمه (ولا تأكلوا اموالكم بينكم) اي لا يأكل بعضكم مال بعض (بالباطل) الحرام شرعا كالسرقة والغصب (و) لا (تدلوا) تلقوا (بها) اي بحكومتها او بالاموال رشوة (الى الحكام لتأكلوا) بالتحاكم (فريقا) طائفة (من أموال الناس) ملتبسين (بالاثم وانتم تعلمون) انكم مبطلون (يسألونك) يا محمد (عن الاهلة) جمع هلال لم تبدو دقيقة ثم تزيد حتى تمتلئ نورا ثم تعود كما بدت ولا تكون على حالة واحدة كالشمس (قل) لهم (هي مواقيت) جمع ميقات (للناس) يعلمون بها اوقات زرعهم ومتاجرهم وعدد نسائهم وصيامهم وافطارهم (والحج) عطف على الناس اي يعلم بها وقته فلو استمرت على حالة لم يعرف ذلك (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) في الاحرام

القرية اوالقبة التى كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حيوة
موسى عليه الصلوة والسلام (سجدا) متطامنين مخبتين او ساجدين
لله شكرا على اخراجهم من التيه (وقولوا حطة) اى مسألتنا اوامرك
حطة وهى فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى
حط عنا ذنوبنا حطة او على انه مفعول قولوا اى قولوا هذه الكلمة وقيل
معناه امرنا حطة اى ان نحط فى هذه القرية ونقيم بها (نغفر لكم
خطاياكم) بسجودكم ودعائكم وقرأ نافع بالياء وابن عامر بالتاء على البناء
للمفعول وخطايا اصله خطائى كخضائع فعند سيبويه انه ابدلت الياء
الزائدة همزة لوقوعها بعدالالف واجتمعت همزتان فابدلت الثانية
ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الالفين فابدلت ياء وعندالخليل قدمت
الهمزة على الياء ثم فعل بهما ماذكر (وسنزيد المحسنين) ثوابا جعل
الامتثال توبة للمسئ وسبب زيادة الثواب للمحسن واخرجه عن صورة
الجواب الى الوعد ايهاما بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف
اذا فعله وانه يفعله لامحالة (فبدل الذين ظلموا قولا غيرالذى قيل لهم)
بدلوا بما امروا به من التوبة والاستغفار طلب مايشتهون من اعراض
الدنيا (فانزلنا على الذين ظلموا) كرره مبالغة فى تقبيح امرهم واشعارا
بان الانزال عليهم لظلمهم بوضع غير المأمور به موضعه اوعلى انفسهم
بان تركوا مايوجب نجاتها الى مايوجب هلاكها (رجزا من السماء
بما كانوا يفسقون) عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز فى الاصل
مايعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به
الطاعون روى انه مات به فى ساعة اربعة وعشرون الفا (واذاستسقى
موسى لقومه) لما عطشوا فى التيه (فقلنا اضرب بعصاك الحجر) اللام
فيه للعهد على ماروى انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكان ينبع من كل
وجه ثلاث اعين تسيل كل عين فى جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف
وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا اوحجرا اهبطه آدم من الجنة ووقع الى شعيب
عليه السلام فاعطاه اياه مع العصا اوالحجر الذى فر بثوبه لما وضعه عليه
ليغتسل وبرأه الله به عما رموه به من الادرة فاشار اليه جبريل عليه السلام
بحمله اوللجنس وهذا اظهر فى الحجة قيل لم يأمره بان يضرب حجرا بعينه
ولكن لما قالوا كيف بنا لو أفضينا الى ارض لاحجارة بها حمل حجرا

بان تنقبوا فيها نقبا تدخلون
منه وتخرجون وتتركوا
الباب وكانوا يفعلون ذلك
ويزعمونه برا (ولكن
البر) اى ذا البر (من اتقى)
الله بترك مخالفته (وأتوا
البيوت من ابوابها) فى الاحرام
كغيره (واتقوا الله لعلكم
تفلحون) تفوزون * ولما صد
صلى الله تعالى عليه وسلم
عن البيت عام الحديبية
وصالح الكفار على ان يعود
العام القابل ويخلوا له مكة
ثلاثة ايام وتجهز لعمرة
القضاء وخافوا ان لاتفى
قريش ويقاتلوهم وكره
المسلمون قتالهم فى الحرم
والاحرام والشهر الحرام
نزل (وقاتلوا فى سبيل الله)
اى لاعداء دينه (الذين
يقاتلونكم) من الكفار
(ولاتعتدوا) عليهم بالابتداء
بالقتال (ان الله لايحب المعتدين)
المتجاوزين ماحد لهم وهذا
منسوخ بآية براءة وبقوله
(واقتلوهم حيث ثقفتموهم)
وجدتموهم (واخرجوهم
من حيث اخرجوكم) اى مكة
وقد فعل بهم ذلك عام الفتح

في مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه بها اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله اليه لاتقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا في ذراع والعصا عشرة اذرع على طول موسى عليه السلام من آس الجنة ولها شعبتان تتقدان في الظلمة (فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) متعلق بمحذوف تقديره فان ضربت فقد انفجرت اوفضرب فانفجرت كما مر في قوله تعالى * فتاب عليكم * وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان فيه (قدعلم كل اناس) كل سبط (مشربهم) عينهم التي يشربون منها (كلوا واشربوا) على تقدير القول (من رزق الله) يريدبه مارزقهم الله من المن والسلوى وماء العيون وقيل الماء وحده لانه يشرب و يؤكل ماينبت به (ولا تعثوا في الارض مفسدين) ولاتعتدوا حال افسادكم وانما قيده لانه وان غلب في الفساد قديكون منه ماليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدي بفعله ومنه مايتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر عليه السلام الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه العيث غيرانه يغلب فيما يدرك حسا ومن انكر امثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة تدبره في عجائب صنعه فانه لما امكن ان يكون من الاحجار مايحلق الشعر وينفر الخل و يجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الارض اولجذب الهواء من الجوانب وتصييره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك (واذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد) يريد به مارزقوا في التيه من المن والسلوى و بوحدته انه لايختلف ولايتبدل كقولهم طعام مائدة الامير واحد يريدون انه لا تتغير الوانه ولذلك اجموا اوضرب واحد لانهما معا طعام اهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ماالفوه (فادع لنا ربك) سله لنا بدعائك اياه (يخرج لنا) يظهر لنا ويوجد وجزمه بانه جواب فادع فان دعوته سبب الاجابة (مما تنبت الارض) من الاسناد المجازي واقامة القابل مقام الفاعل ومن للتبعيض (من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها) تفسير وبيان وقع موقع الحال وقيل بدل باعادة الجار والبقل ماانبتته الارض من الخضر والمراد به اطايبه التي تؤكل والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فوموالنا وقيل الثوم وقرئ وقثائها بالضم وهولغة فيه (قال) اى الله

(والفتنة) الشرك منهم (اشد) اعظم (من القتل) لهم في الحرم او الاحرام الذي استعظمتموه (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام) اى في الحرم (حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم) فيه (فاقتلوهم) فيه وفي قراءة بلا الف في الافعال الثلاثة (كذلك) القتل والاخراج (جزاء الكافرين فان انتهوا) عن الكفر واسلموا (فان الله غفور) لهم (رحيم) بهم (وقاتلوهم حتى لاتكون) توجد (فتنة) شرك (ويكون الدين) العبادة (لله) وحده لايعبد سواه (فان انتهوا) عن الشرك فلاتعتدوا عليهم دل على هذا (فلاعدوان) اعتداء بقتل اوغيره (الا على الظالمين) ومن انتهى فليس بظالم فلاعدوان عليه (الشهر الحرام) المحرم مقابل (بالشهر الحرام) فكما قاتلوكم فيه فاقتلوهم في مثله رد لاستعظام المسلمين ذلك (والحرمات) جمع حرمة مايجب احترامه (قصاص)

(اوموسى)

اوموسى عليه السلام (اتستبدلون الذى هو ادنى) اقرب منزلة وادون قدرا واصل الدنو القرب فى المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد للشرف والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمم وقرئ ادنأ من الدناءة (بالذى هو خير) يريد به المن والسلوى فانه خير فى اللذة والنفع وعدم الحاجة الى السعى (اهبطوا مصرا) انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادى اذا نزل به وهبط منه اذا خرج منه وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اراد به العلم وانما صرفه لسكون وسطه اوعلى تأويل البلد ويؤيده انه غير منون فى مصحف ابن مسعود وقيل اصله مصرائيم فعرب (فان لكم ماسألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة) احيطت بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه اوالصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة لهم على كفران النعمة واليهود فى غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة اوعلى التكلف مخافة ان تضاعف جزيتهم (وباؤا بغضب من الله) رجعوا به اوصاروا احقاء بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به واصل البوء المساواة (ذلك) اشارة الى ماسبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب (بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق) بسبب كفرهم بالمعجزات التى من جملتها ماعد عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى وانفجار العيون من الحجر اوبالكتب المنزلة كالانجيل والفرقان وآية الرجم والتى فيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم من التورية وقتلهم الانبياء فانهم قتلوا شعياء وزكرياء ويحيى وغيرهم بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم مايعتقدون به جواز قتلهم وانما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار اليه بقوله (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) اى جرهم العصيان والتمادى والاعتداء فيه الى الكفر بالآيات وقتل النبيين فان صغار الذنوب سبب يؤدى الى ارتكاب كبارها كما ان صغار الطاعات اسباب مؤدية الى تحرى كبارها وقيل كرر الاشارة للدلالة على ان مالحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصى واعتدائهم حدود الله تعالى وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وانما جوزت الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تأويل ماذكر او تقدم للاختصار ونظيره فى الضمير قول رؤبة يصف بقرة * شعر * فيها خطوط من سواد وبلق * كأنه فى الجلد توليع البهق * والذى حسن

أى يقتص بمثلها اذا انتهكت (فمن اعتدى عليكم) بالقتال فى الحرم أو الاحرام او الشهر الحرام (فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) سمى مقابلته اعتداء لشبهها بالمقابل به فى الصورة (واتقوا الله) فى الانتصار وترك الاعتداء (واعلموا أن الله مع المتقين) بالعون والنصر (وأنفقوا فى سبيل الله) طاعته الجهاد وغيره (ولا تلقوا بايديكم) أى انفسكم والباء زائدة (الى التهلكة) الهلاك بالامساك عن النفقة فى الجهاد أو تركه لانه يقوى العدو عليكم (وأحسنوا) بالنفقة وغيرها (ان الله يحب المحسنين) أى يثيبهم (وأتموا الحج والعمرة لله) ادوهما بحقوقهما (فان احصرتم) منعتم عن اتمامهما بعدو (فما استيسر) تيسر (من الهدى) عليكم وهو شاة (ولا تحلقوا رؤسكم) أى لا تحللوا (حتى يبلغ الهدى) المذكور (محله) حيث يحل ذبحه وهو مكان الاحصار عند

ذلك ان تثنية المضمرات المبهمات وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة ولذلك جاء الذى بمعنى الجمع (ان الذين آمنوا) بالسنتهم يريد به المتدينين بدين محمد صلى الله عليه وسلم المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم فى سلك الكفرة (والذين هادوا) تهودوا يقال هاد وتهود اذا دخل فى اليهودية ويهود اماعربى من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل واما معرب يهوذا وكأنهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عليه السلام (والنصارى) جمع نصران كالندامى والياء فى نصرانى للمبالغة كما فى احمرى سموا بذلك لانهم نصروا المسيح عليه السلام اولانهم كانوا معه فى قرية يقال لها نصران او ناصرة فسموا باسمها اومن اسمها (والصابئين) قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا فمن صبأ اذا خرج وقرأ نافع وحده بالياء اما لانه خفف الهمزة وابدلها ياء اولانه من صبا اذا مال لانهم مالوا عن سائر الاديان الى دينهم اومن الحق الى الباطل (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا) من كان منهم فى دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل فى الاسلام دخولا صادقا (فلهم اجرهم عند ربهم) الذى وعدلهم على ايمانهم وعملهم (ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون) حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدأ خبره فلهم اجرهم والجملة خبران اوبدل من اسم ان وخبرها فلهم اجرهم والفاء لتضمن المسند اليه معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها فى خبران من حيث انها لاتدخل الشرطية ورد بقوله تعالى * ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم * (واذا اخذنا ميثاقكم) باتباع موسى والعمل بالتورية (ورفعنا فوقكم الطور) حتى اعطيتم الميثاق روي ان موسى عليه الصلوة والسلام لما جاءهم بالتورية فرأوا مافيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل عليه السلام بقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا (خذوا) على ارادة القول (ماآتيناكم) من الكتاب (بقوة) بجد وعزيمة (واذكروا مافيه) ادرسوه ولاتنسوه اوتفكروا فيه فانه ذكر بالقلب اواعملوا به (لعلكم تتقون)

الشافعى فيذبح فيه بنية التحالل ويفرق على مساكينه ويحلق وبه يحصل التحالل (فمن كان منكم مريضا اوبه اذى من رأسه) كقمل وصداع فحلق فى الاحرام (ففدية) عليه (من صيام) لثلاثة ايام (او صدقة) بثلاثة اصوع من غالب قوت البلد على ستة مساكين (اونسك) اى ذبح شاة واوللتخيير والحق به من حلق لغير عذر لانه اولى بالكفارة وكذا من استمتع بغير الحلق كالطيب واللبس والدهن لعذر اوغيره (فاذا امنتم) العدو بأن ذهب اولم يكن (فمن تمتع) استمتع (بالعمرة) اى بسبب فراغه منها بمحظورات الاحرام (الى الحج) اى الى الاحرام به بأن يكون احرم بها فى اشهره (فما استيسر) تيسر (من الهدى) عليه وهو شاة يذبحها بعد الاحرام به والافضل يوم النحر (فمن لم يجد) الهدى لفقده اوفقد ثمنه (فصيام) اى فعليه صيام (ثلاثة ايام فى الحج) اى فى حال الاحرام به

لكى تتقوا المعاصى او رجاء منكم ان تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة ان يتعلق بالقول المحذوف اى قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا (ثم توليتم من بعد ذلك) اعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد اخذه (فلولا فضل الله عليكم ورحمته) بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلى الله عليه وسلم يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه (لكنتم من الخاسرين) المغبونين بالانهماك فى المعاصى او بالخبط والضلال فى فترة من الرسل ولو فى الاصل لامتناع الشيء لامتناع غيره فاذا دخل على لا افاد اثباتا وهو امتناع الشيء لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند سيبويه مبتدأ خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت) اللام موطئة للقسم والسبت مصدر قولك سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت واصله القطع امروا بان يجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم فى زمن داود عليه السلام واشتغلوا بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون قرية على الساحل يقال لها ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت فى البحر الاحضر هناك واخرج خرطومه فاذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد (فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار والطرد وقال مجاهد مامسخت صورتهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار فى قوله * كمثل الحمار يحمل اسفارا * وقوله كونوا ليس بأمر اذ لاقدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة (فجعلناها) اى المسخة او العقوبة (نكالا) عبرة تنكل المعتبر بها اى تمنعه ومنه النكل للقيد (لما بين يديها وما خلفها) لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم فى زبر الاولين واشتهرت قصتهم فى الآخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها اولاهل تلك القرية وما حواليها اولاجل ماتقدم عليها من ذنوبهم وماتأخر منها (وموعظة للمتقين) من قومهم اولكل متق سمعها (واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة) اول هذه القصة قوله تعالى * واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها * وانما فكت عنه وقدمت عليه لاستقلاله

فيجب حينئذ أن يحرم قبل السابع من ذى الحجة والافضل قبل السادس لكراهة صوم يوم عرفة ولا يجوز صومها أيام التشريق على أصح قولى الشافعى (وسبعة اذا رجعتم) الى وطنكم مكة أو غيرها وقيل اذا فرغتم من اعمال الحج وفيه التفات عن الغيبة (تلك عشرة كاملة) جملة تأكيد لما قبلها (ذلك) الحكم المذكور من وجوب الهدى أو الصيام على من تمتع (لمن لم يكن أهله حاضر المسجد الحرام) بان لم يكونوا على دون مرحلتين من الحرم عند الشافعى فان كان فلادم عليه ولاصيام وان تمتع وفى ذكر الاهل اشعار باشتراط الاستيطان فلو اقام قبل أشهر الحج ولم يستوطن وتمتع فعليه ذلك وهو أحد وجهين عند الشافعى والثانى لاوالاهل كناية عن النفس والحق بالمتمتع فيما ذكر بالسنة القارن وهو من أحرم بالعمرة والحج معا او يدخل الحج عليها قبل الطواف (واتقوا الله)

بنوع آخر من مساويهم وهم الاستهزاء بالامر والاستقصاء فى السؤال وترك المسارعة الى الامتثال وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنوا اخيه طمعا فى ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤا يطالبون بدمه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله (قالوا اتخذنا هزؤا) اى مكان هزؤا اواهله هزؤا ومهزوأ بنا اوالهزؤ نفسه افرط الاستهزاء استبعادا لما قاله واستخفافا به وقرأ حمزة واسماعيل عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة واوا (قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين) لان الهزؤ فى مثل ذلك جهل وسفه نفى به عن نفسه مارمى به على طريقة البرهان واخرج ذلك فى صورة الاستعاذة استفظاعا له (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى) اى ما حالها وصفتها وكان من حقه ان يقولوا اى بقرة هى اوكيف هى لان مايسأل به عن الجنس غالبا لكنهم لما رأوا ماامروا به على حال لم يوجد بها شئ من جنسه اجروه مجرى مالم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله (قال انه يقول انها بقرة لافارض ولابكر) لامسنة ولافتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كأنها فرضت سنها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة (عوان) نصف قال شعر * نواعم بين ابكار وعون * (بين ذلك) اى بين ماذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين فانه لايضاف الا الى متعدد وعود هذه الكنايات واجراء تلك الصفات على بقرة يدل على ان المراد بها معينة ويلزمه تأخير البيان عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك زعم ان المراد بها بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير الثابت بالنص والحق جوازهما ويؤيد الرأى الثانى ظاهر اللفظ والمروى عنه عليه الصلوة والسلام لو ذبحوا اى بقرة ارادوا لاجزأتهم ولكن شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادى وزجرهم عن المراجعة بقوله (فافعلوا ماتؤمرون) ماتؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قولهم امرتك الخير فافعل ماامرت به اوامركم بمعنى مأموركم (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها) الفقوع نصوع الصفرة ولذلك يؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفى اسناده الى اللون وهو صفة صفراء لملابسة بها فضل تأكيد كأنه قيل

(صفراء)

فيما يأمركم به وبينها كم عنه (واعلموا ان الله شديد العقاب) لمن خالفه (الحج) وقته (اشهر معلومات) شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذى الحجة وقيل كله (فمن فرض) على نفسه (فيهن الحج) بالاحرام به (فلا رفث) جماع فيه (ولافسوق) معاص (ولاجدال) خصام (فى الحج) وفى قراءة بفتح الاولين والمراد فى الثلاثة النهى (وماتفعلوا من خير) كصدقة (يعلمه الله) فيجازيكم به * ونزل فى اهل اليمن وكانوا يحجون بلا زاد فيكونون كلا على الناس (وتزودوا) مايبلغكم لسفركم (فان خير الزاد التقوى) مايتقى به سؤال الناس وغيره (واتقون يا أولى الالباب) ذوى العقول (ليس عليكم جناح) فى (أن تبتغوا) تطلبوا (فضلا) رزقا (من ربكم) بالتجارة فى الحج نزل ردا لكراهتهم ذلك (فاذا أفضتم) دفعتم (من عرفات) بعد الوقوف بها (فاذكروا الله) بعد المبيت بمزدلفة بالتلبية

صفراء شديدة الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة السواد وبه
فسر قوله تعالى * جمالات صفر * قال الاعشى * تلك خيلي منه وتلك
ركابي * هن صفر اولادها كالزبيب * ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانها
من مقدماته اولان سواد الابل تعلوه صفرة وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعنى
لا تؤكد بالفقوع (تسر الناظرين) اى تعجبهم والسرور اصله لذة
فى القلب عند حصول نفع او توقعه من السر (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى)
تكرير للسؤال الاول واستكشاف زائد وقوله (ان البقر تشابه علينا) اعتذار
عنه اى ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا وقرئ
ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر ويتشابه بالياء والتاء
وتشابه بطرح التاء وادغامها فى الشين على التذكير والتأنيث وتشابهت
مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه ويشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة
ومتشبهة (وانا ان شاء الله لمهتدون) الى المراد ذبحها او الى القاتل
وفى الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد واحتج به اصحابنا
على ان الحوادث بارادة الله سبحانه وتعالى وان الامر قد ينفك عن الارادة
والا لم يكن للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة والكرامية على حدوث
الارادة واجيب بان التعليق باعتبار التعلق (قال انه يقول انها بقرة
لاذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث) اى لم تذلل للكراب وسقى الحروث
ولا ذلول صفة بقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتأكيد الاولى والفعلان
صفتا ذلول كأنه قيل لاذلول مثيرة وساقية وقرئ لاذلول بالفتح اى حيث
هى كقولك مررت برجل لابخيل ولاجبان اى حيث هو وتسقى من اسقى
(مسلمة) سلمها الله تعالى من العيوب او اهلها من العمل او اخلص لونها من سلم له
كذا اذا خلص له (لاشية فيها) لالون فيها يخالف لون جلدها وهى فى الاصل
مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر (قالوا الآن جئت بالحق)
اى بحقيقة وصف البقرة وحققته لنا وقرئ آلآن بالمد على الاستفهام
ولان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام (فذبحوها) فيه اختصار
والتقدير فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها (وما كادوا يفعلون) لتطويلهم
وكثرة مراجعاتهم او لخوف الفضيحة فى ظهور القاتل او لغلاء ثمنها
اذ روى ان شيخا صالحا منهم كان له عجلة فاتى بها الغيظة وقال اللهم
انى استودعتكها لابنى حتى يكبر فشبت وكانت وحيدة بتلك

والتهليل والدعاء (عند
المشعر الحرام) هو جبل
فى آخر المزدلفة يقال له قزح
وفى الحديث انه صلى الله
عليه وسلم وقف به يذكر الله
ويدعو حتى اسفر جدا رواه
مسلم (واذكروه كما هداكم)
لمعالم دينه ومناسك حجه
والكاف للتعليل (وان)
مخففة (كنتم من قبله) قبل
هداه (لمن الضالين ثم افيضوا)
ياقريش (من حيث افاض
الناس) اى من عرفة بان تقفوا
بها معهم وكانوا يقفون بالمزدلفة
ترفعا عن الوقوف معهم
وثم للترتيب فى الذكر
(واستغفروا الله) من ذنوبكم
(ان الله غفور) للمؤمنين
(رحيم) بهم (فاذا قضيتم)
اديتم (مناسككم) عبادات
حجكم بأن رميتم جمرة العقبة
وطفتم واستقررتم بمنى
(فاذكروا الله) بالتكبير والثناء
(كذكركم آباءكم) كما كنتم
تذكرونهم عند فراغ حجكم
بالمفاخرة (او اشد ذكرا)
من ذكركم اياهم ونصب اشد
على الحال من ذكر المنصوب
باذكروا اذ لو تأخر عنه لكان

الصفات فساوموها اليتيم و امه حتى اشتروها بملأ مسكها ذهبا وكانت البقرة
إذ ذاك بثلاثة دنانير وكاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا
فاذا دخل عليه النفي قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كسائر
الافعال ولا ينافي قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما
اذ المعنى انهم ماقاربوا ان يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم
ففعلوا كالمضطر الملجأ الى الفعل (واذ قتلتم نفسا) خطابا للجمع لوجود
القتل فيهم (فادارأتم فيها) اختصمتم في شأنها اذ المتخاصمان يدفع
بعضهما بعضا او تدافعتم بان طرح قتلها كل عن نفسه الى صاحبه واصله
تدارأتم فادغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل (والله مخرج
ما كنتم تكتمون) مظهره لامحالة واعمل مخرج لانه حكاية مستقبل
كما اعمل باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية (فقلنا اضربوه) عطف
على ادارأتم ومابينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تأويل
الشخص او القتيل (ببعضها) اى ببعض كان وقيل باصغريها وقيل
بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالاذن وقيل بالعجب (كذلك يحيي الله الموتى)
يدل على ماحذف وهو فضربوه فحيي والخطاب مع من حضر حيوة
القتيل او نزول الآية (ويريكم آياته) دلائله على كمال قدرته (لعلكم
تعقلون) لكي يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر
على احياء الانفس كلها او تعلمون على قضيته ولعله تعالى انما لم يحيه
ابتداء وشرط فيه ماشرط لما فيه من التقرب واداء الواجب ونفع اليتيم
والتنبيه على بركة التوكل والشفقة على الاولاد وان من حق الطالب
ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي بثمنه كما روى عن عمر
رضي الله تعالى عنه انه ضحى بنجيبة اشتراها بثلاثمائة دينار وان المؤثر
في الحقيقة هو الله تعالى والاسباب امارات لااثر لها وان من اراد ان يعرف
اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه
التي هي القوة الشهوية حين زال عنها شرة الصبي ولم يلحقها ضعف
الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة
عن دنسها لاسمة بها من مقابحها بحيث يصل اثره الى نفسه فتحيي حيوة
طيبة وتعرب عما به تنكشف الحال ويرتفع مابين العقل والوهم من التدارء
والنزاع (ثم قست قلوبكم) القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما في الحجر

صفة له (فمن الناس من
يقول ربنا آتنا) نصيبنا
(في الدنيا) فيؤتاه فيها
(وماله في الآخرة من خلاق)
نصيب (ومنهم من يقول
ربنا آتنا في الدنيا حسنة) نعمة
(وفي الآخرة حسنة) هي
الجنة (وقنا عذاب النار)
بعدم دخولها وهذا بيان
لما كان عليه المشركون
ولحال المؤمنين والقصد به
الحث على طلب خير الدارين
كما وعد بالثواب عليه بقوله
(أولئك لهم نصيب) ثواب
(من) أجل (ماكسبوا)
عملوا من الحج والدعاء (والله
سريع الحساب) يحاسب
الخلق كلهم في قدر نصف
نهار من ايام الدنيا لحديث
بذلك (واذكروا الله)
بالتكبير عند رمي الجمرات
(في ايام معدودات) اى ايام
التشريق الثلاثة (فمن تعجل)
اى استعجل بالنفر من منى
(في يومين) اى في ثاني ايام
التشريق بعد رمي جماره
(فلا اثم عليه) بالتعجيل
(ومن تأخر) بها حتى بات
ليلة الثالث ورمى جماره
(فلا اثم عليه) بذلك اى هم

وقساوة القلب مثل فى نبوه عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة (من بعد ذلك) يعنى احياء القتيل اوجميع ماعدد من الآيات فانهامما يوجب لين القلب (فهى كالحجارة) فى قسوتها (اواشد قسوة) منها والمعنى انها فى القساوة مثل الحجارة اوازيد عليها اوانها مثلها اومثل ماهواشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الاعمش بالفتح عطفا على الحجارة وانما لم يقل اقسى لما فى اشد من المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة واو للتخيير اوللترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة اوبما هو اقسى منها (وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله) تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة تتأثر وتنفعل فان منها ماتنشقق فينبع منه الماء وتنفجر منه الانهار ومنها ماتتردى من اعلى الجبل انقيادا لما اراد الله تعالى به وقلوب هؤلاء لاتتأثر ولا تنفعل عن امره تعالى والتفجر التفتح بسعة وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد وقرئ ان على انها المخففة من الثقيلة وتلزمها اللام الفارقة بينها وبين ان النافية ويهبط بالضم (وماالله بغافل عما تعملون) وعيد على ذلك وقرأ ابن كثير ونافع ويعقوب وخلف وابوبكر بالياء ضما الى مابعده والباقون بالتاء (افتطمعون) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (ان يؤمنوا لكم) ان يصدقوكم اويؤمنوا لأجل دعوتكم يعنى اليهود (وقدكان فريق منهم) طائفة من اسلافهم (يسمعون كلام الله) يعنى التورية (ثم يحرفونه) كنعت محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم اوتأويله فيفسرونه بما يشتهون وقيل هؤلاء من السبعين المختارين سمعوا كلام الله تعالى حين كلم موسى عليه السلام بالطور ثم قالوا سمعنا الله تعالى يقول فى آخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلاتفعلوا (من بعد ماعقلوه) اى فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة (وهم يعلمون) انهم مفترون مبطلون ومعنى الآية ان احبار هؤلاء ومقدميهم كانوا على هذه الحالة فما طمعك بسفلتهم وجهالهم وانهم ان كفروا وحرفوا فلهم سابقة فى ذلك (واذا لقوا الذين آمنوا) يعنى منافقيهم (قالوا آمنا) بانكم على الحق وان رسولكم هو المبشر به فى التورية (واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا) اى الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من نافق (اتحدثونهم بما فتح الله عليكم) بما بين لكم فى التورية من نعت محمد صلى الله عليه وسلم اوالذين نافقوا

مخيرون فى ذلك ونفى الاثم (لمن اتقى) الله فى حجه لانه الحاج فى الحقيقة (واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون) فى الآخرة فيجازيكم باعمالكم (ومن الناس من يعجبك قوله فى الحيوة الدنيا) ولايعجبك فى الآخرة لمخالفته لاعتقاده (ويشهد الله على ما فى قلبه) انه موافق لقوله (وهو الد الخصام) شديد الخصومة لك ولاتباعك لعداوته لك وهو الاخنس بن شريق كان منافقا حلو الكلام للنبى صلى الله عليه وسلم يحلف انه مؤمن به ومحب له فيدنى مجلسه فاكذبه الله فى ذلك ومر بزرع وحمر لبعض المسلمين فاحرقه وعقرها ليلا كما قال تعالى (واذا تولى) انصرف عنك (سعى) مشى (فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل) من جملة الفساد (والله لايحب الفساد) اى لايرضى به (واذا قيل له اتق الله) فى فعلك (اخذته العزة) حملته الانفة والحمية على العمل (بالاثم) الذى امر باتقائه

لاعقابهم اظهارا للتصلب فى اليهودية ومنعالهم عن ابداء ماوجدوا فى كتابهم فينافقون الفريقين فالاستفهام على الاول تقريع وعلى الثانى انكار ونهى (ليحاجوكم به عند ربكم) ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم فى كتابه جعلوا محاجتهم بكتاب الله وحكمه محاجة عنده كما يقال عندالله كذا ويراد به انه فى كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربكم اوبما عند ربكم او بين يدى رسول ربكم وقيل عندربكم فى القيمة وفيه نظر اذالاخفاء لايدفعها (افلاتعقلون) امامن تمام كلام اللائمين وتقديره افلا تعقلون انهم يحاجونكم به فيحججونكم اوخطاب من الله تعالى للمؤمنين متصل بقوله افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم وان لامطمع لكم فى ايمانهم (اولايعلمون) يعنى هؤلاء المنافقين او اللائمين اوكليهما اواياهم والمحرفين (ان الله يعلم مايسرون ومايعلنون) ومن جملتها اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان واخفاء مافتح الله عليهم واظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه (ومنهم اميون لايعلمون الكتاب) جهلة لايعرفون الكتابة فيطالعوا التورية ويتحققوا مافيها او التورية (الاامانى) استثناء منقطع والامانى جمع امنية وهى فى الاصل مايقدره الانسان فى نفسه من منى اذاقدر ولذلك تطلق على الكذب وعلى مايتمنى ومايقرأ والمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب اخذوها تقليدا من المحرفين او مواعيد فارغة سمعوها منهم من ان الجنة لايدخلها الامن كان هودا وان النار لن تمسهم الاايامامعدودة وقيل الامايقرؤن قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبره من قوله * تمنى كتاب الله اول ليلة * تمنى داود الزبور على رسل * وهو لايناسب وصفهم بانهم اميون (وانهم الايظنون) ماهم الاقوم يظنون لاعلم لهم وقديطلق الظن بازاء العلم على كل رأى واعتقاد من غير قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والزائغ عن الحق لشبهة (فويل) اى تحسر وهلك ومن قال انه واد اوجبل فى جهنم فمعناه ان فيها موضعا يتبوأ فيها من جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازا وهو فى الاصل مصدر لافعل له وانما ساغ الابتداء به نكرة لانه دعاء (للذين يكتبون الكتاب) يعنى المحرف ولعله اراد به ماكتبوه من التأويلات الزائغة (بايديهم) تأكيد كقولك كتبته بيمينى (ثم يقولون هذا من عندالله ليشتروا به ثمنا قليلا) كى يحصلوا به عرضا من اعراض الدنيا فانه وان جل قليل بالنسبة الى مااستوجبوه من العقاب الدائم (فويل لهم مما كتبت ايديهم) يعنى المحرف

(فحسبه) كافيه (جهنم ولبئس المهاد) الفراش هى (ومن الناس من يشرى) يبيع (نفسه) اى يبذلها فى طاعة الله (ابتغاء) طلب (مرضاة الله) رضاه وهو صهيب لما آذاه المشركون هاجر الى المدينة وترك لهم ماله (والله رؤف بالعباد) حيث ارشدهم لما فيه رضاه * ونزل فى عبد الله بن سلام واصحابه لما عظموا السبت وكرهوا الابل بعد الاسلام (يايها الذين امنوا ادخلوا فى السلم) بفتح السين وكسرها الاسلام (كافة) حال من السلم اى فى جميع شرائعه (ولاتتبعوا خطوات) طرق (الشيطان) اى تزيينه بالتفريق (انه لكم عدو مبين) بين العداوة (فان زللتم) ملتم عن الدخول فى جميعه (من بعد ماجاءتكم البينات) الحجج الظاهرة على انه حق (فاعلموا ان الله عزيز) لايعجزه شئ عن انتقامه منكم (حكيم) فى صنعه (هل) ما (ينظرون) ينتظر التاركون الدخول فيه (الا ان يأتيهم الله) اى

(وويل لهم مما يكسبون) يريد الرشى (وقالوا لن تمسنا النار) المس ايصال الشيء بالبشرة بحيث تتأثر الحاسة به واللمس كالطلب له ولذلك يقال المسه فلا اجده (الا اياما معدودة) محصورة قليلة روى ان بعضهم قالوا نعذب بعدد ايام عبادة العجل اربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما (قل أتخذتم عند الله عهدا) خبرا ووعدا بما تزعمون وقرأ ابن كثير وحفص باظهار الذال والباقون بادغامه (فلن يخلف الله عهده) جواب شرط مقدر اى ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وفيه دليل على ان الخلف فى خبره محال (ام تقولون على الله مالا تعلمون) ام معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى اى الامرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع احدهما او منقطعة بمعنى بل اتقولون على التقرير والتقريع (بلى) اثبات لما نفوه من مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه اعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم ويختص بجواب النفى (من كسب سيئة) قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة انها قد تقال فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانها من الخطأ والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة قوله فبشرهم بعذاب اليم (واحاطت به خطيئته) اى استولت عليه وشملت جملة احواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شيء من جوانبه وهذا انما يصح فى شان الكافر لان غيره وان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها السلف بالكفر وتحقيق ذلك ان من اذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره الى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب ماهو اكبر منه حتى تستولى عليه الذنوب وتأخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا الى المعاصى مستحسنا اياها معتقدا ان لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال الله تعالى * ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوئى ان كذبوا بآيات الله * وقرأ نافع خطيئاته وقرئ خطيته وخطياته على القلب والادغام فيهما (فأولئك اصحاب النار) ملازموها فى الآخرة كما انهم ملازمون اسبابها فى الدنيا (هم فيها خالدون) دائمون او لابثون لبثا طويلا والآية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا التى قبلها (والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) جرت عادته سبحانه وتعالى على ان يشفع وعده بوعيده لترجى رحمته

امره كقوله او يأتى امر ربك اى عذابه (فى ظلل) جمع ظلة (من الغمام) السحاب (والملائكة وقضى الامر) تم امر هلاكهم (والى الله ترجع الامور) بالبناء للمفعول والفاعل فى الآخرة فيجازى (سل) يا محمد (بنى اسرائيل) تبكيتا (كم آتيناهم) كم استفهامية معلقة سل عن المفعول الثانى وهى ثانى مفعولى آتينا ومميزها (من آية بينة) ظاهرة كفلق البحر وانزال المن والسلوى فبدلوها كفرا (ومن يبدل نعمة الله) اى ما انعم به عليه من الآيات لانها سبب الهداية (من بعد ما جاءته) كفرا (فان الله شديد العقاب) له (زين للذين كفروا) من اهل مكة (الحيوة الدنيا) بالتمويه فاحبوها (و) هم (يسخرون من الذين آمنوا) لفقرهم كبلال وعمار وصهيب اى يستهزؤن بهم ويتعالون عليهم بالمال (والذين اتقوا) الشرك وهم هؤلاء (فوقهم يوم القيمة والله يرزق من يشاء بغير حساب) اى

ويخشى عذابه وعطف العمل على الايمان يدل على خروجه عن مسماه (واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل لاتعبدون الا الله) اخبار فى معنى النهى كقوله لايضار كاتب ولاشهيد وهو ابلغ من صريح النهى لما فيه من ايهام ان المنهى سارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه ويعضده قراءة لاتعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون على ارادة القول وقيل تقديره ان لاتعبدوا فلما حذف ان رفع كقوله * الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى * ويدل عليه قراءة ان لاتعبدوا فيكون بدلا من الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كأنه قال حلفناهم لاتعبدون وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون بالياء لانهم غيب (وبالوالدين احسانا) متعلق بمضمر تقديره وتحسنون او احسنوا (وذى القربى واليتامى والمساكين) عطف على الوالدين واليتامى جمع يتيم كندامى جمع نديم وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كأن الفقر اسكنه (وقولوا للناس حسنا) اى قولا حسنا وسماه حسنا للمبالغة وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب حسنا بفتحتى الحاء والسين والباقون حسنا بضم الحاء وسكون السين وقرئ حسنا بضمتين وهو لغة اهل الحجاز وحسنا وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد (واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة) يريد بهما مافرض عليهم فى ملتهم (ثم توليتم) على طريقة الالتفات ولعل الخطاب مع الموجودين منهم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قبلهم على التغليب اى اعرضتم عن الميثاق ورفضتموه (الا قليلا منكم) يريد به من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن اسلم منهم (وانتم معرضون) قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء والطاعة واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة الى جهة العرض (واذ اخذنا ميثاقكم لاتسفكون دمائكم ولاتخرجون انفسكم من دياركم) على نحو ماسبق والمراد به ان لايتعرض بعضهم بعضا بالقتل والاجلاء عن الوطن وانما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا او دينا او لانه يوجبه قصاصا وقيل معناه لاترتكبوا مايبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لاتفعلوا مايرديكم ويصرفكم عن الحيوة الابدية فانه القتل فى الحقيقة ولاتقترفوا ماتمنعون به عن الجنة التى هى داركم فانه الجلاء الحقيقى (ثم اقررتم) بالميثاق واعترفتم بلزومه (وانتم تشهدون) توكيد كقولك

رزقاوا سعافى الآخرة والدنيا بأن يملك المسخور منهم اموال الساخرين ورقابهم (كان الناس أمة واحدة) على الايمان فاختلفوا بأن آمن بعض وكفر بعض (فبعث الله النبيين) اليهم (مبشرين) من آمن بالجنة (ومنذرين) من كفر بالنار (وانزل معهم الكتاب) بمعنى الكتب (بالحق) متعلق بانزل (ليحكم) به (بين الناس فيما اختلفوا فيه) من الدين (وما اختلف فيه) اى الدين (الا الذين اوتوه) اى الكتاب فآمن بعض وكفر بعض (من بعد ماجاءتهم البينات) الحجج الظاهرة على التوحيد ومن متعلقة باختلف وهى ومابعدها مقدم على الاستثناء فى المعنى (بغيا) من الكافرين (بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من) للبيان (الحق باذنه) بارادته (والله يهدى من يشاء) هدايته (الى صراط مستقيم) طريق الحق * ونزل فى جهد اصحاب المسلمين (أم) بل أ (حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما) لم (يأتكم مثل) شبه

اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الموجودون تشهدون على اقرار اسلافكم فيكون اسناد الاقرار اليهم مجازا (ثم انتم هؤلاء) استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار به والشهادة عليه. وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره على معنى انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك انت ذاك الرجل الذى فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات وعدهم باعتبار ما اسند اليهم حضورا وباعتبار ما سيحكى عنهم غيبا وقوله تعالى (تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم) اما حال والعامل فيهما معنى الاشارة او بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تأكيد والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الذى والجملة صلته. والمجموع هو الخبر وقرئ تقتلون على التكثير (تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان) حال من فاعل تخرجون او من مفعوله او كليهما والتظاهر التعاون من الظهر وقرأ عاصم وحمزة والكسائى بحذف احدى التاءين وقرئ باظهارها وتظهرون بمعنى تتظهرون (وان يأتوكم اسارى تفادوهم) روى ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه فى القتل وتخريب الديار واجلاء اهلها واذا اسر احد من الفريقين جمعوا له حتى تفدوه وقيل معناه. يأتوكم اسارى فى ايدى الشياطين تتصدون لانقاذهم بالارشاد والوعظ مع تضييعكم انفسكم كقوله تعالى * أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم * وقرأ حمزة اسرى وهو جمع اسير كجريح وجرحى واسارى جمعه كسكرى وسكارى وقيل هو ايضا جمع اسير وكانه شبه بالكسلان وجمع جمعه وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابن عامر تفدوهم (وهو محرم عليكم اخراجهم) متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير للشأن او مبهم ويفسره اخراجهم او راجع الى ما دل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم بدل او بيان (أفتؤمنون ببعض الكتاب) يعنى الفداء (وتكفرون ببعض) يعنى حرمة المقاتلة والاجلاء (فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحيوة الدنيا) كقتل قريظة وسبيهم واجلاء النضير وضرب الجزية على غيرهم واصل الخزى ذل يستحيى منه ولذلك يستعمل فى كل منهما (ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب) لان عصيانهم اشد (وما الله بغافل عما تعملون) تأكيد للوعيد اى الله سبحانه وتعالى بالمرصاد لا يغفل عن افعالهم وقرأ عاصم فى رواية المفضل تردون على الخطاب لقوله منكم وابن كثير ونافع وعاصم فى رواية ابى بكر ويعقوب

ما اتى (الذين خلوا من قبلكم) من المؤمنين من المحن فتصبروا كما صبروا (مستهم) جملة مستأنفة مبينة ماقبلها (البأساء) شدة الفقر (والضراء) المرض (وزلزلوا) ازعجوا بانواع البلاء (حتى يقول) بالنصب والرفع اى قال (الرسول والذين آمنوا معه) استبطاء للنصر لتناهى الشدة عليهم (متى) يأتى (نصر الله) الذى وعدناه فاجيبوا من قبل الله (الا ان نصر الله قريب) اتيانه (يسئلونك) يا محمد (ماذا ينفقون) اى الذى ينفقونه والسائل عمرو بن الجموح وكان شيخا ذا مال فسأل النبى صلى الله عليه وسلم عما ينفق وعلى من ينفق (قل) لهم (ما انفقتم من خير) بيان لما الشامل للقليل والكثير وفيه بيان المنفق الذى هو احد شقى السؤال واجاب عن المصرف الذى هو الشق الآخر بقوله (فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل) اى هم اولى به (وما تفعلوا من خير) انفاق

يعملون على ان الضمير لمن (اولئك اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة)
آثروا الحيوة الدنيا على الآخرة (فلا يخفف عنهم العذاب) بنقص الجزية
فى الدنيا والتعذيب فى الآخرة (ولاهم ينصرون) بدفعهما عنهم
(ولقد آتينا موسى الكتاب) التورية (وقفينا من بعده بالرسل) اى ارسلنا
على اثره الرسل كقوله تعالى * ثم ارسلنا رسلنا تترى * يقال قفاه اذا اتبعه
وقفاه به اذا اتبعه من القفاء نحو ذنبه من الذنب (وآتينا عيسى بن مريم البينات)
المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات
او الانجيل وعيسى بالعبرية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية
من النساء كالزير من الرجال قال رؤبة * قلت لزير لم تصله مريمه * ووزنه
مفعل اذلم يثبت فعيل (وايدناه) قويناه وقرئ آيدناه بالمد (بروح القدس)
بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق اراد به جبريل اوروح
عيسى عليهما السلام ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان اولكرامته
على الله تعالى ولذلك اضافها الى نفسه تعالى اولانه لم تضمه الاصلاب
ولا الارحام الطوامث اوالانجيل اواسم الله الاعظم الذى كان يحيي به
الموتى وقرأ ابن كثير القدس بالاسكان فى جميع القرآن (أفكلما جاءكم
رسول بما لا تهوى انفسكم) بما لا تحبه يقال هوى بالكسر هوى اذا احب
وهوى بالفتح هويا بالضم اذا سقط ووسطت الهمزة بين الفاء وماتعلقت به
توبيخا لهم على تعقيبهم ذاك بهذا وتعجيبا من شأنهم ويحتمل ان يكون
استئنافا والفاء للعطف على مقدر (استكبرتم) عن الايمان واتباع الرسل
(ففريقا كذبتم) كموسى وعيسى عليهما السلام والفاء للسببية اوللتفصيل
(وفريقا تقتلون) كزكريا ويحيى وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال
الماضية استحضارا لها فى النفوس فان الامر فظيع ومراعاة للفواصل
اوللدلالة على انكم بعد فيه فانكم تحومون حول قتل محمد صلى الله عليه
وسلم لولا انى اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة (وقالوا قلوبنا
غلف) مغشاة باغطية خلقية لا يصل اليها ماجئت به ولا تفقهه مستعار
من الاغلف الذى لم يختن وقيل اصله غلف جمع غلاف فخفف والمعنى
انها اوعية العلم لا تسمع علما الا وعته ولا تعى ما تقول اونحن مستغنون
بمافيها عن غيره (بل لعنهم الله بكفرهم) رد لما قالوا والمعنى انها خلقت
على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم فابطل

(استعدادهم)

او غيره (فان الله به عليم) فمجاز
عليه (كتب) فرض (عليكم
القتال) للكفار (وهو كره)
مكروه (لكم) طبعا لمشقته
(وعسى ان تكرهوا شيئا وهو
خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا
وهو شر لكم) لميل النفس الى
الشهوات الموجبة لهلاكها
ونفورها عن التكليفات
الموجبة لسعادتها فلعل لكم
فى القتال وان كرهتموه خيرا
لان فيه اما الظفر والغنيمة
او الشهادة والاجر وفى تركه
وان احببتموه شرا لان فيه
الذل والفقر وحرمان الاجر
(والله يعلم) ماهو خير لكم
(وانتم لا تعلمون) ذلك
فبادروا الى ما يأمركم به
وارسل النبى صلى الله عليه وسلم
اول سراياه وعليها عبد الله
بن جحش فقاتلوا المشركين
وقتلوا ابن الحضرمى آخر
يوم من جمادى الآخرة
والتبس عليهم برجب فعيرهم
الكفار باستحلاله فنزل
(يسئلونك عن الشهر الحرام)
المحرم (قتال فيه) بدل
اشتمال (قل) لهم (قتال
فيه كبير) عظيم وزرا مبتدأ
وخبر (وصد) مبتدأ منع

استعدادهم او انها لم تأب قبول ماتقوله لخلل فيه بل لان الله تعالى خذلهم بكفرهم كما قال تعالى * فاصمهم واعمى ابصارهم * اوهم كفرة ملعونون فمن اين لهم دعوى العلم والاستغناء عنك (فقليلا مايؤمنون) فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة للمبالغة فى التقليل وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل اراد بالقلة العدم (ولما جاءهم كتاب من عند الله) يعنى القرآن (مصدق لما معهم) من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال من كتاب لتخصيصه بالوصف وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) اى يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبى آخر الزمان المنعوت فى التورية او يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث فيهم وقد قرب زمانه والسين للمبالغة والاشعار بان الفاعل يسئل ذلك من نفسه (فلما جاءهم ماعرفوا) من الحق (كفروا به) حسدا وخوفا على الرياسة (فلعنة الله على الكافرين) اى عليهم واتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فتكون اللام للعهد ويجوز ان تكون للجنس ويدخلون فيه دخولا اوليا لان الكلام فيهم (بئس ما اشتروا به أنفسهم) ما نكرة بمعنى شئ مميزة لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا او اشتروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم خلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا (ان يكفروا بما انزل الله) هو المخصوص بالذم (بغيا) طلبا لماليس لهم وحسدا وهو علة ان يكفروا دون اشتروا للفصل (ان ينزل الله) لان ينزل اوعلى ان ينزل اى حسدوه على ان ينزل الله وقرأ ابن كثير وابو عمرو وسهيل ويعقوب بالتخفيف (من فضله) يعنى الوحى (على من يشاء من عباده) على من اختاره للرسالة (فباؤا بغضب على غضب) للكفر والحسد على من هو افضل الخلق وقيل لكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد عيسى عليه السلام او بعد قولهم عزير ابن الله (وللكافرين عذاب مهين) يراد به اذلالهم بخلاف عذاب العاصى فانه طهرة لذنوبه (واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله) يعم الكتب المنزلة باسرها (قالوا نؤمن بما انزل علينا) اى بالتورية (ويكفرون بما وراءه) حال من الضمير فى قالوا ووراء فى الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به مايتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد به مايواريه وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد (وهو الحق) الضمير

للناس (عن سبيل الله) دينه (وكفر به) بالله (و) صد عن (المسجد الحرام) أى مكة (واخراج أهله منه) وهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنون وخبر المبتدأ (أكبر) أعظم وزرا (عند الله) من القتال فيه (والفتنة) الشرك منكم (أكبر من القتل) لكم فيه (ولايزالون) أى الكفار (يقاتلونكم) أيها المؤمنون (حتى) كى (يردوكم عن دينكم) الى الكفر (ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت) بطلت (أعمالهم) الصالحة (فى الدنيا والآخرة) فلا اعتداد بها ولا ثواب عليها والتقييد بالموت عليه يفيد أنه لو رجع الى الاسلام لم يبطل عمله فيثاب عليه ولا يعيده كالحج مثلا وعليه الشافعى (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) ولما ظن السرية أنهم ان سلموا من الاثم فلا يحصل لهم أجر نزل (ان الذين آمنوا والذين هاجروا) فارقوا أوطانهم (وجاهدوا فى سبيل الله)

لا علاء دينه (أولئك يرجون رحمة الله) ثوابه (والله غفور) للمؤمنين (رحيم) ﴿٢١٣﴾ (يسئلونك عن الخمر والميسر) القمار ما حكمهما (قل) لهم (فيهما) أى فى تعاطيهما (اثم كبير) عظيم وفى قراءة بالمثلثة لما يحصل بسببهما من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش (ومنافع للناس) باللذة والفرح فى الخمر واصابة المال بلا كد فى الميسر (واثمهما) أى ما ينشأ عنهما من المفاسد (أكبر) أعظم (من نفعهما) ولما نزلت شربها قوم وامتنع آخرون الى أن حرمتها آية المائدة (ويسئلونك ماذا ينفقون) أى ما قدره (قل) أنفقوا (العفو) أى الفاضل عن الحاجة ولا تنفقوا ما تحتاجون اليه وتضيعوا أنفسكم وفى قراءة بالرفع بتقدير هو (كذلك) أى كما بين لكم ماذكر (يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون فى) أمر (الدنيا والآخرة) فتأخذون بالاصلح لكم فيهما (ويسئلونك عن اليتامى) وما يلقونه من الحرج

لما وراءه والمراد به القرآن (مصدقا لما معهم) حال مؤكدة تتضمن رد مقالتهم فانهم لما كفروا بما يوافق التورية فقد كفروا بها (قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين) اعتراض عليهم بقتل الانبياء مع ادعاء الايمان بالتورية والتورية لا تسوغه وانما اسنده اليهم لانه فعل آبائهم وانهم راضون به عازمون عليه وقرأ نافع وحده انبئاء الله مهموزا فى جميع القرآن (ولقد جاءكم موسى بالبينات) يعنى الآيات التسع المذكورة فى قوله تعالى * ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات (ثم اتخذتم العجل) أى الها (من بعده) بعد مجئ موسى او بعد ذهابه الى الطور (وانتم ظالمون) حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته او بالاخلال بآيات الله تعالى او اعتراض بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم ومساق الآية ايضا لابطال قولهم نؤمن بما انزل علينا والتنبيه على ان طريقتهم مع الرسول طريقة اسلافهم مع موسى عليهما السلام لا لتكرير القصة وكذا ما بعدها (واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا) اى قلنا لهم خذوا ما امرتم به فى التورية بجد وعزيمة واسمعوا سماع طاعة (قالوا سمعنا) قولك (وعصينا) امرك (واشربوا فى قلوبهم العجل) تداخلهم حبه ورسخ فى قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب والاشراب اعماق البدن وفى قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله تعالى * انما يأكلون فى بطونهم نارا (بكفرهم) بسبب كفرهم وذلك لانهم كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن فى قلوبهم ما سول لهم السامرى (قل بئس ما يأمركم به ايمانكم) اى بالتورية والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر او ما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة فى الآيات الثلاث الزاما عليهم (ان كنتم مؤمنين) تقرير للقدح فى دعواهم الايمان بالتورية وتقديره ان كنتم مؤمنين بها ما امركم بهذه القبائح ولا رخص لكم فيها ايمانكم بها او ان كنتم مؤمنين بها فبئس ما أمركم به ايمانكم بها لان المؤمن ينبغى ان لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه لكن الايمان بها لا يأمر به فاذ لستم بمؤمنين (قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة) خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة الا من كان هودا ونصبها على الحال من الدار (من دون الناس) سائرهم او المسلمين واللام للعهد (فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) لان من ايقن انه من اهل الجنة

اشتاقها واحب التخلص اليها من الدار ذات الشوائب كما قال على رضى الله تعالى عنه لاابالى سقطت على الموت اوسط الموت على * وقال عمار بصفين * الآن القى الاحبة * محمدا ثم حزبه * وقال حذيفة حين احتضر * وجاء حبيب على فاقة * فلاافلح اليوم من قد ندم * اى على التمنى سنما اذاعلم انها سالمة له لايشاركه فيها غيره (ولن يتمنوه ابدا بماقدمت ايديهم) من موجبات النار كالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وتحريف التورية ولما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان آلة لقدرته بها عامة صنائعه ومنها اكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة وعن القدرة اخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لوتمنوا الموت لنقل واشتهر فان التمنى ليس من عمل القلب ليخفى بل هو ان يقول ليت لى كذا ولوكان بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبى صلى الله عليه وسلم لوتمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه ومابقى على وجه الارض يهودى (والله عليم بالظالمين) تهديد لهم وتنبيه على انهم ظالمون فى دعوى ماليس لهم ونفيه عمن هولهم (ولتجدنهم احرص الناس على حيوة) من وجد بعقله الجارى مجرى علم ومفعولاه هم واحرص الناس وتنكير حيوة لانه اريدبها فرد من افرادها وهى الحيوة المتطاولة وقرىء باللام (ومن الذين اشركوا) محمول على المعنى فكأنه قال احرص من الناس على الحيوة ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر للمبالغة فان حرصهم شديد اذ لم يعرفوا الا الحيوة العاجلة والزيادة فى التوبيخ والتقريع فانهم لمازاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم صائرون الى النار ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة الاول عليه وان يكون خبر مبتدأ محذوف صفته (يوداحدهم) على انه اريد بالذين اشركوا اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله اى ومنهم ناس يوداحدهم وهوعلى الاولين بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف (لويعمر الف سنة) حكاية لودادتهم ولو بمعنى ليت وكان اصله لواعمر فاجرى على الغيبة لقوله يود كقولك حلف بالله ليفعلن (وماهو بمزحزحه من العذاب ان يعمر) الضمير لاحدهم وان يعمر فاعل مزحزحه اى وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره اوللمادل عليه يعمر وان يعمر بدل منه اومبهم وان يعمر موضحه واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة لقولهم

فى شأنهم فان واكلوهم يأثموا وان عزلوا مالهم من اموالهم وصنعوا لهم طعاما وحدهم فحرج (قل اصلاح لهم) فى اموالهم بتنميتها ومداخلتكم (خير) من ترك ذلك (وان تخالطوهم) اى تخلطوا نفقتكم بنفقتهم (فاخوانكم) اى فهم اخوانكم فى الدين ومن شأن الاخ ان يخالط اخاه اى فلكم ذلك (والله يعلم المفسد) لاموالهم بمخالطته (من المصلح) بها فيجازى كلا منهما (ولوشاء الله لاعنتكم) لضيق عليكم بتحريم المخالطة (ان الله عزيز) غالب على امره (حكيم) فى صنعه (ولا تنكحوا) تتزوجوا ايها المسلمون (المشركات) اى الكافرات (حتى يؤمن ولامة مؤمنة خير من مشركة) حرة لان سبب نزولها العيب على من تزوج امة وترغيبه فى نكاح حرة مشركة (ولو اعجبتكم) لجمالها ومالها وهذا مخصوص بغير الكتابيات بآية والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب (ولا تنكحوا) تزوجوا

(المشركين) اى الكفار المؤمنات (حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم) لماله وجماله (اولئك) اى اهل الشرك (يدعون الى النار) بدعائهم الى العمل الموجب لها فلا تليق مناكحتهم (والله يدعو) على لسان رسله (الى الجنة والمغفرة) اى العمل الموجب لهما (باذنه) بارادته فتجب اجابته بتزويج اوليائه (ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون) يتعظون (ويسئلونك عن المحيض) اى الحيض اومكانه ماذا يفعل بالنساء فيه (قل هو اذى) قذر اومحله (فاعتزلوا النساء) اتركوا وطأهن (فى المحيض) اى وقته اومكانه (ولا تقربوهن) بالجماع (حتى يطهرن) بسكون الطاء وتشديدها والهاء وفيه ادغام التاء فى الاصل فى الطاء اى يغتسلن بعد انقطاعه (فاذا تطهرن فأتوهن) بالجماع (من حيث امركم الله) بتجنبه فى الحيض وهو القبل ولا تعدوه الى غيره (ان الله يحب) يثيب و يكرم

سانهته وتسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون والزحزحة التبعيد (والله بصير بما يعملون) فيجازيهم (قل من كان عدوا لجبريل) نزل فى عبدالله بن صوريا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن ينزل عليه فقال جبريل فقال ذاك عدونا عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخرب به بخت نصر فبعثنا من يقتله فرآه ببابل فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه والا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر رضى الله تعالى عنه مدراس اليهود يوما فسألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال وما منزلتهما من الله قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدو احدهما فهو عدو الله ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحى فقال عليه السلام لقد وافقك ربك ياعمر وفى جبريل ثمانى لغات وقرئ بهن اربع فى المشهور جبرئيل كسلسبيل قرأه حمزة والكسائى وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة قرأه ابن كثير وجبرئل كجحمرش قرأه عاصم برواية ابى بكر وجبريل كقنديل قرأه الباقون واربع فى الشواذ جبرئل وجبرائيل كجبراعيل وجبرائل وجبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف ومعناه عبدالله (فانه نزله) البارز الاول لجبريل والثانى للقرآن واضماره غير مذكور يدل على فخامة شأنه كأنه لتعينه وفرط شهرته لم يحتج الى سبق ذكره (على قلبك) فانه القابل الاول للوحى ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على قلبى لكنه جاء على حكاية كلام الله كأنه قال قل ماتكلمت به (باذن الله) بامره اوتيسيره حال من فاعل نزل (مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين) احوال من مفعوله والظاهر ان جواب الشرط فانه نزله والمعنى ان من عادى منهم جبريل فقد خلع ربقة الانصاف اوكفر بما معه من الكتاب بمعاداته اياه لنزوله عليك بالوحى لانه نزل كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فحذف الجواب واقيم علته مقامه اومن عاداه فالسبب فى عداوته انه نزل عليك وقيل محذوف مثل فليمت غيظا اوفهو عدولى وانا عدوه كما قال (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين) اراد بعداوة الله مخالفته عنادا او معاداة المقربين من عباده وصدر

الكلام بذكره تفخيما لشأنهم كقوله تعالى *والله ورسوله احق ان يرضوه* وافرد الملكان بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر والتنبيه على ان معاداة الواحد والكل سواء فى الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى وان من عادى احدهم فكأنه عادى الجميع اذ الموجب لعداوتهم ومحبتهم على الحقيقة واحد ولان المحاجة كانت فيهما ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انه تعالى عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة والرسل كفر وقرأ نافع ميكائل كميكاعل وابو عمرو ويعقوب وعاصم برواية حفص ميكال كميعاد والباقون ميكائيل بالهمزة والياء بعدها وقرئ ميكئل كميكعل وميكئيل وميكائيل (ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون) اى المتمردون من الكفرة والفسق اذا استعمل فى نوع من المعاصى دل على اعظمه كأنه متجاوز عن حده نزل فى ابن صوريا حين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشئ نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك (اوكلما عاهدوا عهدا) الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف تقديره اكفروا بالآيات وكلما عاهدوا وقرئ بسكون الواو على ان التقدير الا الذين فسقوا اوكلما عاهدوا وقرئ عوهدوا وعهدوا (نبذه فريق منهم) نقضه واصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وانما قال فريق لان بعضهم لم ينقض (بل اكثرهم لا يؤمنون) رد لما يتوهم من ان الفريق هم الاقلون او ان من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون به خفاء (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم) كعيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام (نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله) يعنى التورية لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها فيما يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين بالآيات وقيل ما مع الرسول صلى الله عليه وسلم وهو القرآن (وراء ظهورهم) مثل لاعراضهم عنه رأسا بالاعراض عما يرمى به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه (كأنهم لا يعلمون) انه كتاب الله يعنى ان علمهم به رصين(٢) ولكن يتجاهلون عنادا واعلم انه تعالى دل بالآيتين على ان جل اليهود اربع فرق فرقة آمنوا بالتورية وقاموا بحقوقها كمؤمنى اهل الكتاب وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ عهودها وتخطى حدودها تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم

(التوابين) من الذنوب (ويحب المتطهرين) من الاقذار (نساؤكم حرث لكم) أى محل زرعكم الولد (فأتوا حرثكم) أى محله وهو القبل (أنى) كيف (شئتم) من قيام وقعود واضطجاع واقبال وادبار نزل ردا لقول اليهود من اتى امرأته فى قبلها من جهة دبرها جاء الولد أحول (وقدموا لأنفسكم) العمل الصالح كالتسمية عند الجماع (واتقوا الله) فى أمره ونهيه (واعلموا أنكم ملاقوه) بالبعث فيجازيكم بأعمالكم (وبشر المؤمنين) الذين اتقوه بالجنة (ولا تجعلوا الله) أى الحلف به (عرضة) علة مانعة (لأيمانكم) أى نصبا لها بأن تكثروا الحلف به (ان) لا (تبروا وتتقوا) فتكره اليمين على ذلك ويسن فيه الحنث ويكفر بخلافها على فعل البر ونحوه فهى طاعة (وتصلحوا بين الناس) المعنى لا تمتنعوا من فعل ما ذكر من البر ونحوه اذا حلفتم عليه بل ائتوه وكفروا لان سبب نزولها الامتناع

(٢) يقين نسخه.

الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون (واتبعوا ماتتلو الشياطين) عطف على نبذ اى نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التى تقرأوها اوتتبعها الشياطين من الجن اوالانس اومنهما (على ملك سليمان) اى عهده وتتلو حكاية حال ماضية قيل كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ماسمعوا اكاذيب ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون الناس وفشاذلك فى عهد سليمان عليه السلام حتى قيل ان الجن يعلمون(٢) الغيب وان ملك سليمان تم بهذا العلم وانه تسخر به الجن والانس والريح له (وما كفر سليمان) تكذيب لمن زعم ذلك وعبر عن السحر بالكفر ليدل على انه كفر وان من كان نبيا كان معصوما عنه (ولكن الشياطين كفروا) باستعماله وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى ولكن بالتخفيف ورفع الشياطين (يعلمون الناس السحر) اغواء واضلالا والجملة حال من الضمير والمراد بالسحر مايستعان فى تحصيله بالتقرب الى الشيطان بما لايستقل به الانسان وذلك لايستتب الالمن يناسبه فى الشرارة وخبث النفس فان التناسب شرط فى التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر عن النبى والولى واما مايتعجب منه كمايفعله اصحاب الحيل بمعونة الآلات والادوية اويريه صاحب خفة اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز اولما فيه من الدقة لانه فى الاصل لما خفى سببه (وماانزل على الملكين) عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار اوالمراد به نوع اقوى منه اوعلى ماتتلو وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة ومارُوى انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصى والشرك ثم صعدت الى السماء بما تعلمت منهما فحكى عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحله لايخفى على ذوى البصائر وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين بالكسر وقيل ماانزل نفى معطوف على ماكفر تكذيب لليهود فى هذه القصة (ببابل) ظرف اوحال من الملكين اوالضمير فى انزل والمشهور انه بلد من سواد الكوفة (هاروت وماروت) عطف بيان للملكين ومنع صرفهما للعلمية والعجمة ولوكانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافية ابدلهما من الشياطين بدل البعض ومابينهما

من ذلك (والله سميع) لاقوالكم (عليم) بأحوالكم (لايؤاخذكم الله باللغو) الكائن (فى أيمانكم) وهو مايسبق اليه اللسان من غير قصد الحلف نحو لاوالله وبلى والله فلاائم فيه ولا كفارة (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم أى قصدته من الايمان اذاحنثتم (والله غفور) لما كان من اللغو (حليم) بتأخير العقوبة عن مستحقها (للذين يؤلون من نسائهم) أى يحلفون أن لايجامعوهن (تربص) انتظار (أربعة اشهر فان فاؤا) رجعوا فيها أو بعدها عن اليمين الى الوطء (فان الله غفور) لهم ماأتوه من ضرر المرأة بالحلف (رحيم) بهم (وان عزموا الطلاق) أى عليه بان لم يفيؤا فليوقعوه (فان الله سميع) لقولهم (عليم) بعزمهم المعنى ليس لهم بعد تربص ماذكر الا الفيئة أو الطلاق (والمطلقات يتربصن) أى لينتظرن (بانفسهن) عن النكاح (ثلاثة قروء) تمضى من حين الطلاق جمع قرء بفتح القاف وهو الطهر

(٢) يعلم نسخه

اعتراض وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت ﴿ ومايعلمان من احد
حتى يقولا انمانحن فتنة فلاتكفر ﴾ فمعناه على الاول ومايعلمان احدا
حتى ينصحاه ويقولا له انمانحن ابتلاء من الله فمن تعلم منا وعمل به كفر
ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به
وفيه دليل على ان تعلم السحر ومالايجوز اتباعه غيرمحظور وانما المنع
من اتباعه والعمل به وعلى الثانى مايعلمانه حتى يقولا انا مفتونان فلاتكن
مثلنا ﴿ فيتعلمون منهما ﴾ الضمير لمادل عليه من احد ﴿ مايفرقون به بين المرء
وزوجه ﴾ اى من السحر مايكون سبب تفريقهما ﴿ وماهم بضارين به من احد
الاباذن الله ﴾ لانه وغيره من الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بامره تعالى
وبجعله وقرئ بضارى على الاضافة الى احد وجعل الجار جزأ منه
والفصل بالظرف ﴿ ويتعلمون مايضرهم ﴾ لانهم يقصدون به العمل اولان
العلم يجر الى العمل غالبا ﴿ ولاينفعهم ﴾ اذ مجرد العلم به غير مقصود ولانافع
فى الدارين وفيه ان التحرز عنه اولى ﴿ ولقد علموا ﴾ اى اليهود ﴿ لمن اشتراه ﴾
اى استبدل ماتتلو الشياطين بكتاب الله والاظهر ان اللام لام الابتداء
علقت علموا عن العمل ﴿ ماله فى الآخرة من خلاق ﴾ نصيب ﴿ ولبئس
ماشروا به انفسهم ﴾ يحتمل المعنيين على مامر ﴿ لوكانو يعلمون ﴾ يتفكرون
فيه او يعلمون قبحه على اليقين او حقيقة (٢) مايتبعه من العذاب والمثبت لهم
اولا على التوكيد القسمى العقل الغريزى اوالعلم الاجمالى بقبح الفعل
اوترتب العقاب من غير تحقيق وقيل معناه لوكانوا يعلمون بعلمهم فان
من لم يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم ﴿ ولو انهم آمنوا ﴾ بالرسول والكتاب ﴿ واتقوا ﴾
بترك المعاصى كنبذ كتاب الله واتباع السحر ﴿ لمثوبة من عند الله خير ﴾
جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة من عند الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف
الفعل وركب الباقى جملة اسمية لتدل على ثبات المثوبة والجزم
بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير
المثوبة لان المعنى لشئ من الثواب خير وقيل لو للتمنى ولمثوبة كلام مبتدأ
وقرئ لمثوبة كمشورة وانما سمى الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه
﴿ لوكانوا يعلمون ﴾ ان ثواب الله خير مماهم فيه وقد علموا لكنه جهلهم
لترك التدبر اوالعمل بالعلم ﴿ ياايها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا وقولوا انظرنا ﴾
الرعى حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون للرسول عليه السلام

او الحيض قولان وهذا
فى المدخول بهن اما غيرهن
فلاعدة عليهن لقوله فمالكم
عليهن من عدة وفى غير الآيسة
والصغيرة فعدتهن ثلاثة اشهر
والحوامل فعدتهن ان يضعن
حملهن كما فى سورة الطلاق
والاماء فعدتهن قرآن بالسنة
﴿ ولا يحل لهن ان يكتمن
ما خلق الله فى ارحامهن ﴾
من الولد اوالحيض ﴿ ان كن
يؤمن بالله واليوم الآخر
وبعولتهن ﴾ ازواجهن
﴿ احق بردهن ﴾ بمراجعتهن
ولو ابين ﴿ فى ذلك ﴾ اى فى زمن
التربص ﴿ ان ارادوا اصلاحا ﴾
بينهما لااضرار المرأة وهو
تحريض على قصده لاشرط
لجواز الرجعة وهذا فى الطلاق
الرجعى واحق لاتفضيل فيه
اذلاحق لغيرهم فى نكاحهن
فى العدة ﴿ ولهن ﴾ على الازواج
﴿ مثل الذى ﴾ لهم ﴿ عليهن ﴾
من الحقوق ﴿ بالمعروف ﴾
شرعا من حسن العشرة وترك
الضرار ونحو ذلك ﴿ وللرجال
عليهن درجة ﴾ فضيلة فى الحق
من وجوب طاعتهن لهم

(٢) حقية نسخه

راعنا اى راقبنا وتأن بنا فيما تلقينا حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوه وخاطبوه به مريدين نسبته الى الرعن اوسبه بالكلمة العبرانية التى كانوا يتسابون بها وهى راعينا فنهى المؤمنون عنها وامروا بمايفيد تلك الفائدة ولايقبل التلبيس وهوانظرنا بمعنى انظر الينا اوانتظرنا من نظره اذاانتظره وقرئ انظرنا من الانظار اى امهلنا لنحفظ وقرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اى قولا ذارعن نسبة الى الرعن وهو الهوج لماشابه قولهم راعينا وتسبب للسب (واسمعوا) واحسنوا الاستماع حتى لاتفتقروا الى طلب المراعاة اوواسمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود او واسمعوا ماامرتم به بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه (وللكافرين عذاب اليم) يعنى الذين تهاونوا بالرسول عليه السلام وسبوه (مايود الذين كفروا من اهل الكتاب ولاالمشركين) نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير والود محبة الشئ مع تمنيه ولذلك يستعمل فى كل منهما ومن للتبيين كما فى قوله تعالى * لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين * (ان ينزل عليكم من خير من ربكم) مفعول يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء وفسر الخير بالوحى والمعنى انهم يحسدونكم به ومايحبون ان ينزل عليكم شئ منه وبالعلم والنصرة ولعل المراد به مايعم ذلك (والله يختص برحمته من يشاء) يستنبئه ويعلمه الحكمة وينصره لايجب عليه شئ وليس لاحد عليه حق (والله ذوالفضل العظيم) اشعار بان النبوة من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته وما عرف فيه من حكمته (ماننسخ من آية اوننسها) نزلت لما قال المشركون اواليهود الاترون الى محمد يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه والنسخ فى اللغة ازالة الصورة عن الشئ واثباتها فى غيره كنسخ الظل للشمس والنقل ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها اوالحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها عن القلوب وماشرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرأ ابن عامر ماننسخ من انسخ اى نأمرك او جبريل بنسخها اونجدها منسوخة وابن كثير وابو عمرو ننسأها اى نؤخرها من النسأ وقرئ ننسها اى ننس احدا

(اياها)

لما ساقوه من المهر والانفاق (والله عزيز) فى ملكه (حكيم) فيما دبره لخلقه (الطلاق) اى التطليق الذى يراجع بعده (مرتان) اى اثنتان (فامساك) اى فعليكم امساكهن بعده بان تراجعوهن (بمعروف) من غير ضرار (اوتسريح) اى ارسالهن (باحسان ولايحل لكم) ايها الازواج (ان تأخذوا مما آتيتموهن) من المهور (شيئا) اذاطلقتموهن (الاان يخافا) اى الزوجان (ان لايقيما حدود الله) اى لايأتيا بما حده لهما من الحقوق وفى قراءة يخافا بالبناء للمفعول فان لايقيما بدل اشتمال من الضمير فيه وقرئ بالفوقانية فى الفعلين (فان خفتم ان لايقيما حدود الله فلاجناح عليهما فيما افتدت به) نفسها من المال ليطلقها اى لاحرج على الزوج فى اخذه ولاعلى الزوجة فى بذله (تلك) الاحكام المذكورة (حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون فان طلقها) الزوج بعد الثنتين (فلاتحل له من بعد)

اياها وتنسهااى انت وتنسهاعلى البناء للمفعول وقرأ عبدالله مانسك من آية اوننسخها وقرأ حذيفة ماننسخ من آية وننسكها باظهار المفعولين (نأت بخير منها او مثلها) اى بما هو خير للعباد فى النفع والثواب اومثلها فى الثواب وقرأ ابوعمرو بقلب الهمزة الفاء (الم تعلم ان الله على كل شئ قدير) فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير منه والآية دلت على جواز النسخ وتأخير الانزال اذالاصل اختصاص ان ومايتضمنها بالامور المحتملة وذلك لان الاحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلامن الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع فى عصر قد يضر فى غيره واحتج بها من منع النسخ بلا بدل اوببدل اثقل ونسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ هو المأتى به بدلا والسنة ليست كذلك والكل ضعيف اذ قد يكون عدم الحكم اوالاثقل اصلح والنسخ قد يعرف بغيره والسنة مما اتى به الله تعالى وليس المراد بالخير والمثل مايكون كذلك فى اللفظ والمعتزلة على حدوث القرآن فان التغير والتفاوت من لوازمه واجيب بانهما من عوارض الامور المتعلقة بالمعنى القائم بالذات القديمة (الم تعلم) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد هو وامته لقوله ومالكم وانما افرده لانه اعلمهم ومبدأ علمهم (ان الله له ملك السموات والارض) يفعل مايشاء ويحكم مايريد وهو كالدليل على قوله ان الله على كل شئ قدير وعلى جواز النسخ ولذلك ترك العاطف (ومالكم من دون الله من ولى ولا نصير) وانما هو الذى يملك اموركم ويجريها على مايصلحكم والفرق بين الولى والنصير ان الولى قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا عن المنصور فيكون بينهما عموم من وجه (ام تريدون ان تسألوا رسولكم كماسئل موسى من قبل) ام معادلة للهمزة فى ألم تعلم اى الم تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشياء كلها يأمر وينهى كما اراد ام تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى عليه السلام اومنقطعة والمراد ان يوصيهم بالثقة به وترك الاقتراح عليه قيل نزلت فى اهل الكتاب حين سألوا ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل فى المشركين لما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه (ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل) ومن ترك الثقة بالآيات البينات وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع فى الكفر بعد الايمان ومعنى الآية لاتقترحوا فتضلوا وسط السبيل ويؤدى بكم الضلال الى البعد

بعد الطلقة الثالثة (حتى تنكح) تتزوج (زوجا غيره) ويطأها كما فى الحديث رواه الشيخان (فان طلقها) اى الزوج الثانى (فلا جناح عليهما) اى الزوجة والزوج الاول (ان يتراجعا) الى النكاح بعد انقضاء العدة (ان ظنا ان يقيما حدود الله وتلك) المذكورات (حدود الله يبينها لقوم يعلمون) يتدبرون (واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن) قاربن انقضاء عدتهن (فامسكوهن) بأن تراجعوهن (بمعروف) من غير ضرار (اوسرحوهن بمعروف) اتركوهن حتى تنقضى عدتهن (ولا تمسكوهن) بالرجعة (ضرارا) مفعول له (لتعتدوا) عليهن بالالجاء الى الافتداء والتطليق وتطويل الحبس (ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه) بتعريضها الى عذاب الله (ولاتتخذوا آيات الله هزؤا) مهزوأ بها بمخالفتها (واذكروا نعمت الله عليكم) بالاسلام (وما انزل عليكم من الكتاب) القرآن (والحكمة) مافيه من الاحكام (يعظكم به) بأن تشكروها

عن المقصد وتبديل الكفر بالايمان وقرئ يبدل من ابدل ﴿ ود كثير من اهل الكتاب ﴾ يعنى احبارهم ﴿ لو يردونكم ﴾ ان يردوكم فان لو تنوب عن ان فى المعنى دون اللفظ ﴿ من بعد ايمانكم كفارا ﴾ مرتدين وهو حال من ضمير المخاطبين ﴿ حسدا ﴾ علة ود ﴿ من عند انفسهم ﴾ يجوز ان يتعلق بود اى تمنوا ذلك من عند انفسهم وتشهيهم لا من قبل التدين والميل مع الحق او بحسدا اى حسدا بالغا منبعثا من اصل نفوسهم ﴿ من بعد ما تبين لهم الحق ﴾ بالمعجزات والنعوت المذكورة فى التورية ﴿ فاعفوا واصفحوا ﴾ العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه ﴿ حتى يأتى الله بامره ﴾ الذى هو الاذن فى قتالهم وضرب الجزية عليهم او قتل قريظة واجلاء بنى النضير وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه منسوخ بآية السيف وفيه نظر اذ الامر غير مطلق ﴿ ان الله على كل شئ قدير ﴾ فيقدر على الانتقام منهم ﴿ واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة ﴾ عطف على فاعفوا كأنه امرهم بالصبر والمخالفة واللجأ الى الله تعالى بالعبادة والبر ﴿ وما تقدموا لانفسكم من خير ﴾ كصلوة وصدقة وقرئ تقدموا من أقدم ﴿ تجدوه عند الله ﴾ اى ثوابه ﴿ ان الله بما تعملون بصير ﴾ لا يضيع عنده عمل وقرئ بالياء فيكون وعيدا ﴿ وقالوا ﴾ عطف على ود والضمير لاهل الكتاب من اليهود والنصارى ﴿ لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ﴾ لف بين قولى الفريقين كما فى قوله تعالى وقالوا كونوا هودا او نصارى ثقة بفهم السامع وهود جمع هائد كعائذ وعوذ وتوحيد الاسم المضمر فى كان وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى ﴿ تلك امانيهم ﴾ اشارة الى الامانى المذكورة وهى ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم او الى ما فى الآية على حذف المضاف اى امثال تلك الامنية امانيهم والجملة اعتراض والامنية افعولة من التمنى كالاضحوكة والاعجوبة ﴿ قل هاتوا برهانكم ﴾ على اختصاصكم بدخول الجنة ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ فى دعواكم فان كل قول لا دليل عليه غير ثابت ﴿ بلى ﴾ اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة ﴿ من اسلم وجهه لله ﴾ اخلص له نفسه او قصده واصله العضو ﴿ وهو محسن ﴾ فى عمله ﴿ فله اجره ﴾ الذى وعده على عمله ﴿ عند ربه ﴾ ثابتا عنده لا يضيع ولا ينقص والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها حينئذ لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويجوز ان يكون من اسلم

بالعمل به ﴿ واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شئ عليم ﴾ لا يخفى عليه شئ ﴿ واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن ﴾ انقضت عدتهن ﴿ فلا تعضلوهن ﴾ خطاب للاولياء اى تمنعوهن من ﴿ ان ينكحن ازواجهن ﴾ المطلقين لهن لان سبب نزولها ان اخت معقل بن يسار طلقها زوجها فاراد ان يراجعها فمنعها معقل بن يسار كما رواه الحاكم ﴿ اذا تراضوا ﴾ اى الازواج والنساء ﴿ بينهم بالمعروف ﴾ شرعا ﴿ ذلك ﴾ النهى عن العضل ﴿ يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ لانه المنتفع به ﴿ ذلكم ﴾ اى ترك العضل ﴿ ازكى ﴾ خير ﴿ لكم واطهر ﴾ لكم ولهم لما يخشى على الزوجين من الريبة بسبب العلاقة بينهما ﴿ والله يعلم ﴾ ما فيه المصلحة ﴿ وانتم لا تعلمون ﴾ ذلك فاتبعوا أمره ﴿ والوالدات يرضعن ﴾ اى ليرضعن ﴿ اولادهن حولين ﴾ عامين ﴿ كاملين ﴾ صفة مؤكدة ذلك ﴿ لمن اراد ان يتم الرضاعة ﴾ ولا زيادة عليه ﴿ وعلى المولود له ﴾ اى

فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)
فى الآخرة (وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى
ليست اليهود على شئ) اى على امر يصح ويعتد به نزلت لما قدم
وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاهم احبار اليهود
فتناظروا وتقاولوا بذلك (وهم يتلون الكتاب) الواو للحال والكتاب
للجنس اى قالوا ذلك وهم من اهل العلم والكتاب (كذلك) اى مثل ذلك
(قال الذين لا يعلمون مثل قولهم) كعبدة الاصنام والمعطلة وبخهم على
المكابرة والتشبيه بالجهال * فان قيل لم وبخهم وقد صدقوا فان كلا الدينين
بعد النسخ ليس بشئ * قلت لم يقصدوا ذلك وانما قصد به كل فريق ابطال
دين الآخر من اصله والكفر بنبيه وكتابه مع ان ما لم ينسخ منهما حق
وجب القبول والعمل به (فالله يحكم بينهم) بين الفريقين (يوم القيمة
فيما كانوا فيه يختلفون) بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل
حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار (ومن اظلم ممن منع مساجد الله)
عام لكل من خرب مسجدا اوسعى فى تعطيل مكان مرشح للصلوة وان نزل
فى الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا اهله او المشركين
لما منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية
(ان يذكر فيها اسمه) ثانى مفعولى منع (وسعى فى خرابها) بالهدم
اوالتعطيل (اولئك) اى المانعون (ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين)
ما كان ينبغى لهم ان يدخلوها الا بخشية وخشوع فضلا عن ان يجترؤا
على تخريبها او ما كان الحق ان يدخلوها الا خائفين من المؤمنين
ان يبطشوا بهم فضلا عن ان يمنعوهم منها او ما كان لهم فى علم الله وقضائه
فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد انجز
وعده وقيل معناه النهى عن تمكينهم من الدخول فى المسجد واختلف الأئمة
فيه فجوز ابو حنيفة ومنع مالك وفرق الشافعى بين المسجد الحرام وغيره
رحمهم الله تعالى (لهم فى الدنيا خزى) قتل وسبى اوذلة بضرب الجزية
(ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) بكفرهم وظلمهم (ولله المشرق والمغرب)
يريد بهما ناحيتى الارض اى له الارض كلها لا يختص به مكان دون مكان
فان منعتم ان تصلوا فى المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت لكم الارض
مسجدا (فاينما تولوا) ففى اى مكان فعلتم التولية شطر القبلة (فثم وجه الله)

الاب (رزقهن) اطعام
الوالدات (وكسوتهن) على
الارضاع اذا كن مطلقات
(بالمعروف) بقدر طاقته
(لا تكلف نفس الا وسعها)
طاقتها (لا تضار والدة
بولدها) بسببه بان تكره على
ارضاعه اذا امتنعت (ولا
يضار (مولود له بولده) أى
بسببه بأن يكلف فوق طاقته
واضافة الولد الى كل منهما
فى الموضعين للاستعطاف
(وعلى الوارث) أى وارث
الاب وهو الصبى أى على
وليه فى ماله (مثل ذلك)
الذى على الاب للوالدة من الرزق
والكسوة (فان أرادا)
أى الوالدان (فصالا)
فطاما له قبل الحولين صادرا
(عن تراض) اتفاق (منهما
وتشاور) بينهما لتظهر مصلحة
الصبى فيه (فلا جناح عليهما)
فى ذلك (وان أردتم) خطاب
للآباء (أن تسترضعوا أولادكم)
مراضع غير الوالدات (فلا جناح
عليكم) فيه (اذا سلمتم) اليهن
(ما آتيتم) أى أردتم ايتاءه
لهن من الاجرة (بالمعروف)
بالجميل كطيب النفس

(واتقوا الله واعلموا أن الله
بما تعملون بصير) لا يخفى
عليه شئ منه (والذين
يتوفون) يموتون (منكم
ويذرون) يتركون (ازواجا
يتربصن) اى ليتربصن
(بانفسهن) بعدهم عن
النكاح (أربعة اشهر
وعشرا) من الليالى وهذا
فى غير الحوامل فعدتهن
أن يضعن حملهن بآية الطلاق
والامة على النصف من ذلك
بالسنة (فاذا بلغن أجلهن)
انقضت مدة تربصن (فلا
جناح عليكم) أيها الاولياء
(فيما فعلن فى انفسهن)
من التزين والتعرض
للخطاب (بالمعروف) شرعا
(والله بما تعملون خبير) عالم
بباطنه كظاهره (ولا جناح
عليكم فيما عرضتم) لوحتم (به من
خطبة النساء) المتوفى عنهن
أزواجهن فى العدة كقول
الانسان مثلا انك لجميلة ومن
يجد مثلك ورب راغب فيك
(أو أكننتم) أضمرتم (فى
انفسكم) من قصد نكاحهن
(علم الله أنكم ستذكرونهن)

اى جهته التى امر بها فان امكان التولية لا يختص بمسجد او مكان اوفثم
ذاته اى هو عالم مطلع بما يفعل فيه (ان الله واسع) باحاطته بالاشياء
او برحمته يريد التوسعة على عباده (عليم) بمصالحهم واعمالهم فى الاماكن
كلها وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انها نزلت فى صلوة المسافر على
الراحلة وقيل فى قوم عميت عليهم القبلة فصلوا على انحاء مختلفة فلما اصبحوا
تبينوا خطأهم وعلى هذا لو اخطأ المجتهد ثم تبين له الخطأ لم يلزمه
التدارك وقيل هى توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود ان يكون فى حيز
وجهة (وقالوا اتخذ الله ولدا) نزلت لما قالت اليهود عزير ابن الله
والنصارى المسيح ابن الله ومشركوا العرب الملائكة بنات الله وعطفه على
قالت اليهود او منع اومفهوم قوله تعالى ومن اظلم وقرأ ابن عامر بغير
واو (سبحانه) تنزيه له عن ذلك فانه يقتضى التشبيه والحاجة وسرعة
الفناء الاترى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها لما كانت باقية
مادام العالم لم تتخذ مايكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا
او طبعا (بل له مافى السموات والارض) رد لما قالوه واستدلال على فساده
والمعنى انه تعالى خالق مافى السموات والارض الذى من جملته الملائكة وعزير
والمسيح (كل له قانتون) منقادون لا يمتنعون على مشيئته وتكوينه وكل
ماكان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولد لان
من حق الولد ان يجانس والده وانما جاء بما الذى لغير اولى العلم وقال
قانتون على تغليب اولى العلم تحقيرا لشأنهم وتنوين كل عوض عن المضاف
اليه اى كل مافيها ويجوز ان يراد كل من جعلوه ولدا له مطيعون مقرون
بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة الحجة والآية مشعرة على فساد ماقالوه
من ثلاثة اوجه واحتج بها الفقهاء على ان من ملك ولده عتق عليه لانه
تعالى نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضى تنافيهما (بديع السموات
والارض) مبدعهما ونظيره السميع فى قوله * امن ريحانة الداعى السميع
* يؤرقنى واصحابى هجوع * او بديع سمواته وارضه من بدع فهو بديع وهو
حجة رابعة وتقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه
والله سبحانه وتعالى مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال
فلا يكون والدا والابداع اختراع الشئ لا عن شئ دفعة وهو اليق بهذا
الموضع من الصنع الذى هو تركيب الصورة بالعنصر والتكوين الذى

يكون بتغير وفى زمان غالبا وقرئ بديع مجرورا على البدل من الضمير فى له ومنصوبا على المدح ﴿ واذاقضى امرا ﴾ اى اراد شيئا واصل القضاء اتمام الشئ قولا كقوله تعالى * وقضى ربك * او فعلا كقوله تعالى * فقضاهن سبع سموات * واطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشئ من حيث انه يوجبه ﴿ فانما يقول له كن فيكون ﴾ من كان التامة اى احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ماتعلقت به ارادته بلا مهلة بطاعة المأمور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايماء الى حجة خامسة وهوان ايجاد الولد مما يكون باطوار ومهلة وفعله تعالى يستغنى عن ذلك وقرأ ابن عامر فيكون بفتح النون واعلم ان السبب فى هذه الضلالة ان ارباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله تعالى باعتبار انه السبب الاول حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله سبحانه وتعالى هو الاب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد ﴿ وقال الذين لايعلمون ﴾ اى جهلة المشركين اوالمتجاهلون من اهل الكتاب ﴿ لولا يكلمنا الله ﴾ هلا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة او يوحى الينا بانك رسوله ﴿ اوتأتينا آية ﴾ حجة على صدقك والاول استكبار والثانى جحود بان ماآتاهم آيات الله استهانة به وعنادا ﴿ كذلك قال الذين من قبلهم ﴾ من الامم الماضية ﴿ مثل قولهم ﴾ فقالوا ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء ﴿ تشابهت قلوبهم ﴾ قلوب هؤلاء ومن قبلهم فى العمى والعناد وقرئ بتشديد الشين ﴿ قد بينا الآيات لقوم يوقنون ﴾ اى يطلبون اليقين اويوقنون الحقائق لايعتريهم شبهة ولاعناد وفيه اشارة الى انهم ماقالوا ذلك لخفاء فى الآيات اولطلب مزيد اليقين وانما قالوه عتوا وعنادا ﴿ انا ارسلناك بالحق ﴾ ملتبسا مؤيدا به ﴿ بشيرا ونذيرا ﴾ فلا عليك ان اصروا اوكابروا ﴿ ولاتسأل عن اصحاب الجحيم ﴾ مالهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وقرأ نافع ويعقوب ولاتسأل على انه نهى للرسول صلى الله عليه وسلم عن السؤال عن حال ابويه اوتعظيم لعقوبة الكفار كانها لفظاعتها لاتقدر ان يخبر عنها اوالسامع لايصبر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم المتأجج من النار ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولاالنصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ مبالغة فى اقناط الرسول صلى الله عليه وسلم

بالخطبة ولا تصبرون عنهن فاباح لكم التعريض (ولكن لاتواعدوهن سرا) اى نكاحا (الا) لكن (ان تقولوا قولا معروفا) اى ماعرف شرعا من التعريض فلكم ذلك (ولاتعزموا عقدة النكاح) اى على عقده (حتى يبلغ الكتاب) اى المكتوب من العدة (اجله) بان ينتهى (واعلموا ان الله يعلم مافى انفسكم) من العزم وغيره (فاحذروه) ان يعاقبكم اذا عزمتم (واعلموا ان الله غفور) لمن يحذره (حليم) بتأخير العقوبة عن مستحقها (لاجناح عليكم ان طلقتم النساء مالم تمسوهن) وفى قراءة تماسوهن اى تجامعوهن (او) لم (تفرضوا لهن فريضة) مهرا وما مصدرية ظرفية اى لاتبعة عليكم فى الطلاق زمن عدم المسيس والفرض باثم ولا مهر فطلقوهن (ومتعوهن) اعطوهن مايتمتعن به (على الموسع) الغنى منكم (قدره وعلى المقتر) الضيق الرزق

عن اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله تعالى عنهم ولذلك قال (قل) تعليما للجواب (ان هدى الله هو الهدى) اى هدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى الى الحق لاما تدعون اليه (ولئن اتبعت اهواءهم) آراءهم الزائغة والملة ماشرعه الله تعالى لعباده على لسان انبيائه من املت الكتاب اذا امليته والهوى رأى يتبع الشهوة (بعد الذى جاءك من العلم) اى من الوحى او الدين المعلوم صحته (مالك من الله من ولى ولا نصير) يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن (الذين آتيناهم الكتاب) يريد به مؤمنى اهل الكتاب (يتلونه حق تلاوته) بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر فى معناه والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر مابعده او خبر على ان المراد بالموصول مؤمنوا اهل الكتاب (اولئك يؤمنون به) بكتابهم دون المحرفين (ومن يكفر به) بالتحريف والكفر بمايصدقه (فاولئك هم الخاسرون) حيث اشتروا الكفر بالايمان (يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولايقبل منها عدل ولاتنفعها شفاعة ولاهم ينصرون) لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر من اضاعتها والخوف من الساعة واهوالها كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة فى النصح وايذانا بانه فذلكة القضية والمقصود من القصة (واذابتلى ابراهيم ربه بكلمات) كلفه باوامر ونواه والابتلاء فى الاصل التكليف بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل العواقب ظن ترادفهما والضمير لابراهيم وحسن لتقدمه لفظا وان تأخر رتبة لان الشرط احد التقدمين والكلمات قد تطلق على المعانى فذلك فسرت بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة فى قوله تعالى * التائبون العابدون * الآية وقوله تعالى * ان المسلمين والمسلمات * الى آخر الآيتين وقوله * قد افلح المؤمنون الى قوله * اولئك هم الوارثون * كما فسرت بها فى قوله * فتلقى آدم من ربه كلمات * وبالعشر التى هى من سننه وبمناسك الحج وبالكواكب والقمرين وذبح الولد والنار والهجرة على انه تعالى عامله بها معاملة المختبر بهن وبما تضمنته الآيات التى بعدها وقرئ ابراهيم ربه على انه دعا ربه بكلمات مثل ارنى كيف تحيى الموتى واجعل هذا البلد آمنا ليرى هل يجيبه وقرأ ابن عامر ابراهام بالالف فى جميع

(قدره) يفيدانه لانظر الى قدر الزوجة (متاعا) تمتيعا (بالمعروف) شرعا صفة متاعا (حقا) صفة ثانية او مصدر مؤكد (على المحسنين) المطيعين (وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم) يجب لهن ويرجع لكم النصف (الا) لكن (ان يعفون) اى الزوجات فيتركنه (او يعفو الذى بيده عقدة النكاح) وهو الزوج فيترك لها الكل وعن ابن عباس الولى اذا كانت محجورة فلا حرج فى ذلك (وان تعفوا) مبتدأ خبره (اقرب للتقوى ولاتنسوا الفضل بينكم) اى ان يتفضل بعضكم على بعض (ان الله بما تعملون بصير) فيجازيكم به (حافظوا على الصلوات) الخمس بأدائها فى اوقاتها (والصلوة الوسطى) هى العصر او الصبح او الظهر اوغيرها اقوال وافردها بالذكر لفضلها (وقوموا لله) فى الصلوة (قانتين) قيل مطيعين لقوله صلى الله عليه

(مافى)

مافى هذه السورة (فاتمهن) فاداهن كملاوقام بهن حق القيام لقوله تعالى * وابراهيم الذى وفى * وفى القراءة الاخيرة الضمير لربه اى اعطاه جميع مادعاه (قال انى جاعلك للناس اماما) استئناف ان اضمرت ناصب اذ كأنه قيل فماذا قال له ربه حين اتمهن فاجيب بذلك او بيان لقوله ابتلى فتكون الكلمات ماذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام وان نصبته بقال فالمجموع جملة معطوفة على ماقبلها وجاعل من جعل الذى له مفعولان والامام اسم لمن يؤتم به وامامته عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبى الا كان من ذريته مأمورا باتباعه (قال ومن ذريتى) عطف على الكاف اى وبعض ذريتى كما تقول وزيدا فى جواب سأكرمك والذرية نسل الرجل فعلية او فعولة قلبت راؤها الثالثة ياء كما فى تقضيت من الذر بمعنى التفريق اوفعولة اوفعيلة قلبت همزتها ياء من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذريتى بالكسر وهى لغة (قال لاينال عهدى الظالمين) اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون من ذريته ظلمة وانهم لاينالون الامامة لانها امانة من الله تعالى وعهد والظالم لايصلح لها وانما ينالها البررة الاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لايصلح للامامة وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ كل ما نالك فقد نلته (واذ جعلنا البيت) اى الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا (مثابة للناس) مرجعا يثوب اليه اعيان الزوار وامثالهم او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره وقرئ مثابات اى لانه مثابة كل واحد (وامنا) وموضع امن لايتعرض لاهله كقوله تعالى * حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم * او يأمن حاجه من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ماقبله اولايؤاخذ الجانى الملتجئ اليه حتى يخرج وهو مذهب ابى حنيفة رضى الله عنه (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) على ارادة القول اوعطف على المقدر عاملا لاذ اواعتراض معطوف على مضمر تقديره ثوبوا اليه واتخذوا على ان الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم وهو امر استحباب ومقام ابراهيم هو الحجر الذى فيه اثر قدميه او الموضع الذى كان فيه الحجر حين قام عليه ودعا الناس الى الحج او رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم روى انه عليه الصلوة والسلام اخذ بيد عمر رضى الله تعالى عنه وقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر أفلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس

وسلم كل قنوت فى القرآن فهو طاعة رواه احمد وغيره وقيل ساكتين لحديث زيد بن أرقم كنا نتكلم فى الصلوة حتى نزلت فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام رواه الشيخان (فان خفتم) من عدو أو سيل أو سبع (فرجالا) جمع راجل أى مشاة صلوا (أو ركبانا) جمع راكب أى كيف أمكن مستقبلى القبلة أو غيرها ويومئ بالركوع والسجود (فاذا أمنتم) من الخوف (فاذكروا الله) أى صلوا (كما علمكم مالم تكونوا تعلمون) قبل تعليمه من فرائضها وحقوقها والكاف بمعنى مثل وما مصدرية أو موصولة (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا) فليوصوا (وصية) وفى قراءة بالرفع أى عليهم (لازواجهم) ويعطوهن (متاعا) ما يتمتعن به من النفقة والكسوة (الى) تمام (الحول) من موتهم الواجب عليهن تربصه (غير اخراج) حال أى غير مخرجات من مسكنهن

حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتى الطواف لماروى جابر انه عليه الصلوة والسلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وللشافعى رحمه الله تعالى فى وجوبهما قولان وقيل مقام ابراهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله تعالى وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضى عطفا على جعلنا اى واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعنى الكعبة قبلة يصلون اليها (وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل) امرناهما (ان طهرا بيتى) بان طهرا بيتى ويجوز ان تكون ان مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس ومالايليق به او اخلصاه (للطائفين) حوله (والعاكفين) المقيمين عنده او المعتكفين فيه (والركع السجود) اى المصلين جمع راكع وساجد (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا) يريد البلد او المكان (بلدا آمنا) ذا امن كقوله * فى عيشة راضية * او آمنا اهله كقولك ليل نائم (وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر) ابدل من آمن من اهله بدل البعض للتخصيص (قال ومن كفر) عطف على من آمن والمعنى وارزق من كفر قاس ابراهيم الرزق على الامامة فنبه سبحانه على ان الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدم فى الدين او مبتدأ متضمن معنى الشرط (فامتعه قليلا) خبره والكفر وان لم يكن سبب التمتع لكنه سبب تقليله بان يجعله مقصورا بحظوظ الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه (ثم اضطره الى عذاب النار) اى الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه مامتعته به من النعم وقليلا نصب على المصدر او الظرف وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه من دعاء ابراهيم وفى قال ضميره وقرأ ابن عامر فامتعه من أمتع وقرئ فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة واطره بادغام الضاد وهو ضعيف لان حروف ضم شفر يدغم فيها مايجاورها دون العكس (وبئس المصير) المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت) حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهى الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد بها سافات البناء

(فان خرجن) بانفسهن (فلاجناح عليكم) ياأولياء الميت (فيما فعلن فى أنفسهن من معروف) شرعا كالتزين وترك الاحداد وقطع النفقة عنها (والله عزيز) فى ملكه (حكيم) فى صنعه والوصية المذكورة منسوخة بآية الميراث وتربص الحول بآية أربعة أشهر وعشرا السابقة المتأخرة فى النزول والسكنى ثابتة لها عند الشافعى رحمه الله (وللمطلقات متاع) يعطينه (بالمعروف) بقدر الامكان (حقا) نصب بفعله المقدر (على المتقين) الله تعالى كرره ليعم الممسوسة ايضا اذ الآية السابقة فى غيرها (كذلك) كما يبين لكم ماذكر (يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون) تتدبرون (الم تر) استفهام تعجيب وتشويق الى استماع مابعده أى ينته علمك (الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف) أربعة أو ثمانية أو عشرة أو ثلاثون أو اربعون أوسبعون ألفا (حذر الموت) مفعول له وهم قوم من بنى اسرائيل وقع الطاعون

فان كل ساف قاعدة مايوضع فوقه ويرفعها بناؤها وقيل المراد رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفى ابهام القواعد وتبيينها تفخيم لشانها (واسماعيل) كان يناوله الحجارة ولكنه لما كان له مدخل فى البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان فى طرفين اوعلى التناوب (ربنا تقبل منا) اى يقولان ربنا تقبل منا وقدقرئ به والجملة حال منهما (انك انت السميع) لدعائنا (العليم) بنياتنا (ربنا واجعلنا مسلمين لك) مخلصين لك من اسلم وجهه اومستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة فى الاخلاص والاذعان والثبات عليه وقرئ مسلمين على ان المراد انفسهما وهاجر اوان التثنية من مراتب الجمع (ومن ذريتنا امة مسلمة لك) اى واجعل بعض ذريتنا وانما خصا الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح بهم الاتباع وخصا بعضهم لما اعلما ان فى ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية لاتقتضى الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلى على الله تعالى فانه ممايشوش المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل ارادا بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان تكون من للتبيين كقوله تعالى * وعدالله الذين آمنوا منكم * قدم على المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف كما فى قوله تعالى * خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن (وارنا) من رأى بمعنى ابصر اوعرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين (مناسكنا) متعبداتنا فى الحج اومذابحنا والنسك فى الاصل غاية العبادة وشاع فى الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرأ ابن كثير ويعقوب والسوسى عن ابى عمرو ارنا قياسا على فخذ فى فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها وقرأ الدورى عن ابى عمرو بالاختلاس (وتب علينا) استتابة لذريتهما اوعما فرط منهما سهوا ولعلهما قالا هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما (انك انت التواب الرحيم) لمن تاب (ربنا وابعث فيهم) فى الامة المسلمة (رسولا منهم) ولم يبعث من ذريتهما غير محمد صلى الله عليه وسلم فهو المجاب به دعوتهما كما قال انا دعوة ابى ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امى (يتلو عليهم آياتك) يقرأ عليهم ويبلغهم مايوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة (ويعلمهم الكتاب) القرآن (والحكمة) ماتكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام (ويزكيهم) عن الشرك والمعاصى (انك انت العزيز) الذى لايقهر ولا يغلب

ببلادهم ففروا (فقال لهم الله موتوا) فماتوا (ثم احياهم) بعد ثمانية ايام اواكثر بدعاء نبيهم حزقيل بكسر المهملة والقاف وسكون الزاى فعاشوا دهرا عليهم اثر الموت لايلبسون ثوبا الاعاد كالكفن واستمرت فى اسباطهم (ان الله لذو فضل على الناس) ومنه احياء هؤلاء (ولكن اكثر الناس) وهم الكفار (لايشكرون) والقصد من ذكر خبر هؤلاء تشجيع المؤمنين على القتال ولذا عطف عليه (وقاتلوا فى سبيل الله) اى لاعلاء دينه (واعلموا ان الله سميع) لاقوالكم (عليم) باحوالكم فجازيكم (من ذا الذى يقرض الله) بانفاق ماله فى سبيل الله (قرضا حسنا) بان ينفقه لله عز وجل عن طيب قلب (فيضاعفه) وفى قراءة فيضعفه بالتشديد (له اضعافا كثيرة) من عشر الى اكثر من سبعمائة كما سيأتى (والله يقبض) يمسك الرزق عمن يشاء ابتلاء (ويبسط) يوسعه لمن يشاء

امتحانا (واليه ترجعون) فى الآخرة بالبعث فيجازيكم باعمالكم (الم تر الى الملأ) الجماعة (من بنى اسرائيل من بعد) موت (موسى) اى الى قصتهم وخبرهم (اذقالوا لنبى لهم)هو شمويل (ابعث) اقم (لناملكا نقاتل معه (فى سبيل الله) تنتظم به كلمتنا ونرجع اليه (قال) النبى لهم (هل عسيتم) بالفتح والكسر (ان كتب عليكم القتال ان لا تقاتلوا) خبر عسى والاستفهام لتقرير التوقع بها (قالوا ومالنا ان لا نقاتل فى سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا) بسبيهم وقتلهم وقدفعل بهم ذلك قوم جالوت اى لا مانع لنا منه مع وجود مقتضيه قال تعالى (فلما كتب عليهم القتال تولوا) عنه وجبنوا (الاقليلا منهم) وهم الذين عبروا النهر مع طالوت كما سيأتى (والله عليم بالظالمين) فمجازيهم وسأل النبى ربه ارسال ملك فاجابه الى ارسال طالوت (وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا

على مايريد (الحكيم) المحكم له (ومن يرغب عن ملة ابراهيم) استبعاد وانكار لان يكون احد يرغب عن ملته الواضحة الغراء اى لا يرغب احد عن ملته (الامن سفه نفسه) الامن استمهنها واذلها واستخف بها قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهدله ماجاء فى الحديث الكبران تسفه الحق وتغمص الناس وقيل اصله سفه نفسه على الرفع فنصب على التمييز نحو غبن رأيه والم رأسه وقول جرير

ونأخذ بعده بذناب عيش * اجب الظهر ليس له سنام

اوسفه فى نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى فى محل الرفع على المختار بدلا من الضمير فى يرغب لانه فى معنى النفى (ولقداصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين) حجة وبيان لذلك فان من كان صفوة العباد فى الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم القيمة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه الاسفيه اومتسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر (اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين) ظرف لاصطفيناه وتعليل له او منصوب باضمار اذكر كأنه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه نال مانال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص السر حين دعاه ربه واخطر بباله دلائله المؤدية الى المعرفة الداعية الى الاسلام روى انها نزلت لما دعا عبدالله بن سلام ابنى اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فاسلم سلمة وابى مهاجر (ووصى بها ابراهيم بنيه) التوصية هى التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح وقربة واصلها الوصل يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كان الموصى يصل فعله بفعل الوصى والضمير فى بها للملة اولقوله اسلمت على تأويل الكلمة اوالجملة وقرأ نافع وابن عامر واوصى والاول ابلغ (ويعقوب) عطف على ابراهيم اى وصى هو ايضا بها بنيه وقرئ بالنصب على انه ممن وصاه ابراهيم (يابنى) على اضمار القول عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه ونظيره * رجلان من ضبة اخبرانا * انا رأينا رجلا عريانا * بالكسر وبنو ابراهيم كانوا اربعة اسماعيل واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة عشر وبنوا يعقوب اثنا عشر روبين وشمعون ولاوى ويهودا ويشسوخور وزبولن وزوانى وتفتونى وكودا ولوشير وبنيامين ويوسف (ان الله اصطفى لكم الدين) دين الاسلام الذى هو صفوة الاديان لقوله (فلا تموتن الا وانتم مسلمون) ظاهره النهى عن الموت على خلاف حال

(الاسلام)

الاســلام والمقصود هو النهى عن ان يكونوا على خلاف تلك الحــال اذا ماتوا والامر بالثبــات على الاسلام كقولك لاتصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لاعلى الاسلام موت لاخير فيه وان من حقه ان لايحل بهم ونظيره فى الامر مت وانت شهيد وروى ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ﴿ ام كنتم شهــداء اذ حضر يعقوب الموت ﴾ ام منقطعة ومعنى الهمزة فيهــا الانكار اى ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ماقال فلم تدعون اليهودية عليه اومتصلة بمحذوف تقديره اكنتم غائبين ام كنتم شهــداء وقيل الخطــاب للمؤمنين والمعنى ماشهدتم ذلك وانما علمتموه بالوحى وقرئ حضر بالكسر ﴿ اذقال لبنيه ﴾ بدل من اذ حضر ﴿ ما تعبدون من بعدى ﴾ اى شئ تعبدونه اراد به تقريرهم على التوحيد والاســلام واخذ ميثاقهم على الثبــات عليهما ومايسأل به عن كل شئ مالم يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن اذا سئل عن تعينه وان ســئل عن وصفه قيل مازيد افقيه ام طبيب ﴿ قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق ﴾ المتفق على وجوده تعــالى والوهيته ووجوب عبادته وعد اسماعيل من آبائه تغليبــا للاب والجد اولانه كالاب لقوله عليه السلام عم الرجل صنوابيه كما قال عليه الصلوة والسلام فى العباس رضى الله عنه هذا بقية آبائى وقرئ اله ابيك على انه جمع بالواو والنون كما قال * ولما تبين اصواتنا * بكين وفديننا بالابينا * اومفرد وابراهيم وحده عطف بيان ﴿ الها واحدا ﴾ بدل من اله آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيــد ونفى التوهم النــاشئ من تكرير المضــاف لتعذر العطف على المجرور والتــأكيد او نصب على الاختصــاص ﴿ ونحن له مسلمون ﴾ حال من فاعل نعبد اومفعوله اومنهما ويحتمل ان يكون اعتراضا ﴿ تلك امة قدخلت ﴾ يعنى ابراهيم ويعقوب وبنيهما والامة الاصل المقصود وسمى بها الجماعة لان الفرق تؤمها ﴿ لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ﴾ لكل اجر عمله والمعنى ان انتسابكم اليهم لايوجب انتفاعكم باعمالهم وانمــا تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال عليه الصلوة والســلام لا يأتينى النــاس باعمــالهم وتأتونى بانســابكم ﴿ ولاتسألون عما كانوا يعملون ﴾ ولاتؤاخذون بسيئاتهم كما لاتثــابون

قالوا انى) كيف (يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منــه) لانه ليس من سبط المملكة ولاالنبوة وكان دباغا اوراعيــا (ولم يؤت سعــة من المال) يستعين بها على اقامة الملك (قال) النبى لهم (ان الله اصطفاه) اختــاره للملك (عليكم وزاده بسطة) سعة (فى العلم والجسم) وكان اعلم بنى اسرائيل يومئذ واجملهم واتمهم خلقــا (والله يؤتى ملكه من يشــاء) ايتــاءه لااعــتراض عليــه (والله واسع) فضله (عليم) بمن هو اهل له (وقال لهم نبيهم) لما طلبوا منــه آية على ملكه (ان آية ملكه ان يأتيــكم التــابوت) الصندوق كان فيه صور الانبيــاء انزله الله على آدم واستمر اليهم فغلبتهم العمالقة عليه واخذوه وكانوا يستفتحون به على عدوهم ويقدمونه فى القتل ويسكنون اليه كما قال تعالى (فيه سكينة) طمأنينة لقلوبكم (من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون) اى تركاه هما وهى نعلا موسى وعصاه وعمامة هرون وقفيز من المن الذى

بحسناتهم (وقالوا كونوا هودا او نصارى) الضمير الغائب لاهل الكتاب واو للتنويع والمعنى مقالتهم احد هذين القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى (تهتدوا) جواب الامر (قل بل ملة ابراهيم) اى بل نكون ملة ابراهيم اى اهل ملته او بل نتبع ملة ابراهيم وقرئ بالرفع اى ملته ملتنا او عكسه او نحن ملته بمعنى نحن اهل ملته (حنيفا) مائلا عن الباطل الى الحق حال من المضاف او المضاف اليه كقوله * ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا (وما كان من المشركين) تعريض باهل الكتاب وغيرهم فانهم يدعون اتباعه وهم مشركون (قولوا آمنا بالله) الخطاب للمؤمنين لقوله تعالى * فان آمنوا بمثل ما آمنتم به (وما انزل الينا) القرآن قدم ذكره لانه اول بالاضافة الينا او سبب للايمان بغيره (وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) الصحف وهى وان نزلت الى ابراهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت احكامها فهى ايضا منزلة اليهم كما ان القرآن منزل الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب او ابناءه وذريتهم فانهم حفدة ابراهيم واسحق (وما اوتى موسى وعيسى) التورية والانجيل افردها بالذكر بحكم ابلغ لان امرها بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير لما سبق والنزاع وقع فيهما (وما اوتى النبيون) جملة المذكورون منهم وغير المذكورين (من ربهم) منزلا عليهم من ربهم (لا نفرق بين احد منهم) كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر ببعض واحد لوقوعه فى سياق النفى عام فساغ ان يضاف اليه بين (ونحن له) اى لله (مسلمون) مذعنون مخلصون (فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا) من باب التعجيز والتبكيت كقوله تعالى * فأتوا بسورة من مثله * اذ لا مثل لما آمن به المسلمون ولا دين كدين الاسلام وقيل الباء للآلة دون التعدية والمعنى ان تحروا الايمان بطريق يهدى الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لاتأبى تعدد الطرق او مزيدة للتأكيد كقوله تعالى * جزاء سيئة بمثلها * والمعنى فان آمنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم به او المثل مقحم كما فى قوله * وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله * اى عليه وتشهد له قراءة من قرأ بما آمنتم به او بالذى آمنتم به (وان تولوا فانما هم فى شقاق) اى ان اعرضوا عن الايمان او عما تقولون لهم فما هم الا فى شقاق الحق وهى المناواة والمخالفة فان كل واحد من المتخالفين

(فى)

كان ينزل عليهم ورضاض من الالواح (تحمله الملائكة) حال من فاعل يأتيكم (ان فى ذلك لآية لكم) على ملكه (ان كنتم مؤمنين) فحملته الملائكة بين السماء والارض وهم ينظرون اليه حتى وضعته عند طالوت فاقروا بملكه وتسارعوا الى الجهاد فاختار من شبابهم سبعين الفا (فلما فصل) خرج (طالوت بالجنود) من بيت المقدس وكان حرا شديدا وطلبوا منه الماء (قال ان الله مبتليكم) مختبركم (بنهر) ليظهر المطيع منكم والعاصى وهو بين الاردن وفلسطين (فمن شرب منه) اى من مائه (فليس منى) اى من اتباعى (ومن لم يطعمه) يذقه (فانه منى الا من اغترف غرفة) بالفتح والضم (بيده) فاكتفى بها ولم يزد عليها فانه منى (فشربوا منه) لما وافوه بكثرة (الا قليلا منهم) فاقتصروا على الغرفة روى انها كفتهم لشربهم ودوابهم وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر رجلا (فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه) وهم الذين

فى شق غير شق الآخر (فسيكفيكهم الله) تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصر على من ناواهم (وهو السميع العليم) اما من تمام الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة او وعيد للمعرضين بمعنى انه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم عليه (صبغة الله) اى صبغنا الله صبغته وهى فطرة الله تعالى التى فطر الناس عليها فانها حلية الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ او هدانا الله هدايته وارشدنا حجته اوطهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل فى قلوبهم تداخل الصبغ الثوب او للمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم فى ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تحقق نصرانيتهم ونصبها على انه مصدر مؤكد لقوله آمنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من ملة ابراهيم عليه السلام (ومن احسن من الله صبغة) لا صبغة احسن من صبغته (ونحن له عابدون) تعريض لهم اى لا نشرك به كشرككم وهو عطف على آمنا وذلك يقتضى دخول قوله صبغة فى مفعول قولوا ولمن نصبها على الاغراء او البدل ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا واتبعوا ملة ابراهيم وقولوا آمنا بدل اتبعوا حتى لا يلزم فك النظم وسوء الترتيب (قل اتحاجوننا) أتجادلوننا (فى الله) فى شأنه واصطفائه نبيا من العرب دونكم روى ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت (وهو ربنا وربكم) لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده (ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم) فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كأنه الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما بفضل من الله على من يشاء والكل فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلى بالاخلاص فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله فى اعطائها فلنا ايضا اعمال (ونحن له مخلصون) اى موحدون نخلصه بالايمان والطاعة دونكم (ام يقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى) ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص بالتاء يحتمل ان تكون معادلة للهمزة فى اتحاجوننا بمعنى اى الامرين تأتون المحاجة او ادعاء اليهودية او النصرانية على الانبياء (قل أأنتم اعلم

اقتصروا على الغرفة (قالوا) أى الذين شربوا (لا طاقة) قوة (لنا اليوم بجالوت وجنوده) أى بقتالهم وجبنوا ولم يجاوزوه (قال الذين يظنون) يوقنون (أنهم ملاقوا الله) بالبعث وهم الذين جاوزوه (كم) خبرية بمعنى كثير (من فئة) جماعة (قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله) بارادته (والله مع الصابرين) بالعون والنصر (ولما برزوا لجالوت وجنوده) أى ظهروا لقتالهم وتصافوا (قالوا ربنا أفرغ) اصبب (علينا صبرا وثبت أقدامنا) بتقوية قلوبنا على الجهاد (وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم) كسروهم (باذن الله) بارادته (وقتل داود) وكان فى عسكر طالوت (جالوت وآتاه) أى داود (الله الملك) فى بنى اسرائيل (والحكمة) النبوة بعد موت شمويل وطالوت ولم يجتمعا لاحد قبله (وعلمه مما يشاء) كصنعة الدروع ومنطق الطير (ولولا دفع الله الناس بعضهم)

ام الله) وقد نفى الامرين عن ابراهيم بقوله * ماكان ابراهيم يهودياً ولا نصرانيا * واحتج عليه بقوله * وماانزلت التورية والانجيل الا من بعده * وهؤلاء المعطوفون عليه اتباعه فى الدين وفاقا (ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله) يعنى شهادة الله لابراهيم بالحنيفية والبراءة من اليهودية والنصرانية والمعنى لااحد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة اومنا لو كتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد عليه الصلوة والسلام بالنبوة فى كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما فى قوله تعالى * براءة من الله ورسوله (وما الله بغافل عما تعملون) وعيد لهم وقرئ بالياء (تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون) تكرير للمبالغة فى التحذير والزجر عما استحكم فى الطباع من الافتخار بالآباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفى الآية لنا تحذير عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة فى الاول الانبياء وفى الثانى اسلاف اليهود والنصارى (سيقول السفهاء من الناس) الذين خفت احلامهم واستمهنوا بالتقليد والاعراض عن النظر يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وفائدة تقديم الاخبار به توطين النفس واعداد الجواب (ماوليهم) ماصرفهم (عن قبلتهم التى كانوا عليها) يعنى بيت المقدس والقبلة فى الاصل الحال التى عليها الانسان من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجه نحوه للصلوة (قل لله المشرق والمغرب) لايختص به مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة بارتسام امره لابخصوص المكان (يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) وهو ماترتضيه الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى (وكذلك) اشارة الى مفهوم الآية المتقدمة اى كما جعلناكم مهديين الى الصراط المستقيم اوجعلنا قبلتكم افضل القبل (جعلناكم امة وسطا) اى خيارا اوعدولا مزكين بالعلم والعمل وهو فى الاصل اسم المكان الذى يستوى اليه المسافة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفى افراط وتفريط كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التى يوصف بها واستدل به على ان الاجماع حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم (لتكونوا شهداء

(على)

بدل بعض من الناس (ببعض لفسدت الارض) بغلبة المشركين وقتل المسلمين وتخريب المساجد (ولكن الله ذو فضل على العالمين) فدفع بعضهم ببعض (تلك) هذه الآيات (آيات الله نتلوها) نقصها (عليك) يامحمد (بالحق) بالصدق (وانك لمن المرسلين) التأكيد بان وغيرها رد لقول الكفار له لست مرسلا (تلك) مبتدأ (الرسل) صفة والخبر (فضلنا بعضهم على بعض) بتخصيصه بمنقبة ليست لغيره (منهم من كلم الله) كموسى (ورفع بعضهم) أى محمدا صلى الله عليه وسلم (درجات) على غيره بعموم الدعوة وختم النبوة وتفضيل أمته على سائر الامم والمعجزات المتكاثرة والخصائص العديدة (وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه) قويناه (بروح القدس) جبريل يسير معه حيث سار (ولو شاء الله) هدى الناس جميعا (ما اقتتل الذين من بعدهم) بعد الرسل أى اممهم (من بعد ماجاءتهم البينات) لاختلافهم وتضليل

على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) علة للجعل اى لتعلموا بالتأمل فيما نصب لكم من الحجج وانزل عليكم من الكتاب انه تعالى مابخل على احد وماظلم بل اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا احملهم الشقاء على اتباع الشهوات والاعراض عن الآيات فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم روى ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال امته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول عليه السلام كالرقيب المهيمن على امته عدى بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم (وماجعلنا القبلة التى كنت عليها) اى الجهة التى كنت عليها وهى الكعبة فانه عليه السلام كان يصلى اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة تألفا لليهود اوالصخرة لقول ابن عباس رضى الله عنهما كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فالمخبر به على الاول الجعل الناسخ وعلى الثانى المنسوخ والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وماجعلنا قبلتك بيت المقدس (الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه) الا لنمتحن الناس ونعلم من يتبعك فى الصلوة اليها ممن يرتد عن دينك آلفا لقبلة آبائه اولنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لايتبعه وماكان لعارض يزول بزواله وعلى الاول معناه مارددناك الى التى كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه * فان قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالما * قلت هذا واشباهه باعتبار التعلق الحالى الذى هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا به موجودا وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه اسند الى نفسه لانهم خواصه اولنميز الثابت من المتزلزل كقوله تعالى * ليميز الله الخبيث من الطيب * فوضع العلم موضع التمييز المسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على البناء للمفعول والعلم اما بمعنى المعرفة اومعلق لما فى من من معنى الاستفهام اومفعوله الثانى ممن ينقلب اى لنعلم من يتبع الرسول مميزا ممن ينقلب (وان كانت لكبيرة) ان هى المخففة من الثقيلة واللام هى

بعضهم بعضا (ولكن اختلفوا) لمشيئة ذلك (فمنهم من آمن) ثبت على ايمانه (ومنهم من كفر) كالنصارى بعد المسيح (ولو شاء الله مااقتتلوا) تأكيد (ولكن الله يفعل مايريد) من توفيق من شاء وخذلان من شاء (ياايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم) زكوته (من قبل ان يأتى يوم لابيع) فداء (فيه ولاخلة) صداقة تنفع (ولاشفاعة) بغير اذنه وهو يوم القيمة وفى قراءة برفع الثلاثة (والكافرون) بالله اوبما فرض عليهم (هم الظالمون) لوضعهم امر الله فى غير محله (الله لااله) اى لامعبود بحق فى الوجود (الا هو الحى) الدائم البقاء (القيوم) البالغ فى القيام بتدبير خلقه (لاتأخذه سنة) نعاس (ولانوم له مافى السموات ومافى الارض) ملكا وخلقا وعبيدا (من ذا الذى) اى لا احد (يشفع عنده الاباذنه) له فيها (يعلم مابين ايديهم) اى الخلق (وماخلفهم) اى من امر الدنيا والآخرة (ولايحيطون بشئ من علمه)

الفاصلة وقال الكوفيون ان هى النافية واللام بمعنى الا والضمير لمادل عليه قوله تعالى * وماجعلنا القبلة التى كنت عليها * من الجعلة اوالردة او التحويلة اوالقبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فتكون كان زائدة ﴿ الا على الذين هدى الله ﴾ الى حكمة الاحكام الثابتين على الايمان والاتباع ﴿ وماكان الله ليضيع ايمانكم ﴾ اى ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة اوصلوتكم اليها لماروى انه عليه السلام لماوجه الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يارسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت ﴿ ان الله بالناس لرؤف رحيم ﴾ فلايضيع اجورهم ولايدع صلاحهم ولعله قدم الرؤف وهوابلغ محافظة على الفواصل وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص لرؤف بالمد والباقون بالقصر ﴿ قد نرى ﴾ ربما نرى ﴿ تقلب وجهك فى السماء ﴾ تردد وجهك فى جهة السماء تطلعا للوحى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع فى روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم واقدم القبلتين وادعى للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود وذلك يدل على كمال ادبه حيث انتظر ولم يسأل ﴿ فلنولينك قبلة ﴾ فلنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا صيرته واليا له اوفلنجعلنك تلى جهتها ﴿ ترضاها ﴾ تحبها وتتشوق اليها لمقاصد دينية وافقت مشيئة الله وحكمته ﴿ فول وجهك ﴾ اصرف وجهك ﴿ شطر المسجد الحرام ﴾ نحوه وقيل الشطر فى الاصل لما انفصل عن الشىء من شطر اذا انفصل ودار شطور اى منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اى محرم فيه القتال اوممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد دون الكعبة لانه عليه الصلوة والسلام كان فى المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب روى انه عليه الصلوة والسلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة فى رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى باصحابه فى مسجد بنى سلمة ركعتين من الظهر فتحول فى الصلوة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم فسمى المسجد مسجد القبلتين ﴿ وحيث ماكنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ خص الرسول بالخطاب تعظيماله وايجابا لرغبته ثم عم تصريحا بعموم الحكم وتأكيدا لامر القبلة وتحضيضا للامة على المتابعة ﴿ وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم ﴾ جملة

اى لايعلمون شيئا من معلوماته ﴿ الا بماشاء ﴾ ان يعلمهم به منها باخبار الرسل ﴿ وسع كرسيه السموات والارض ﴾ قيل احاط علمه بهما وقيل ملكه وقيل الكرسى نفسه مشتمل عليهما لعظمته لحديث ماالسموات السبع فى الكرسى الا كدراهم سبعة القيت فى ترس ﴿ ولايؤده ﴾ يثقله ﴿ حفظهما ﴾ اى السموات والارض ﴿ وهو العلى ﴾ فوق خلقه بالقهر ﴿ العظيم ﴾ الكبير ﴿ لا اكراه فى الدين ﴾ على الدخول فيه ﴿ قد تبين الرشد من الغى ﴾ اى ظهر بالآيات البينات ان الايمان رشد والكفر غى نزلت فيمن كان له من الانصار اولاد اراد ان يكرههم على الاسلام ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ﴾ الشيطان اوالاصنام وهو يطلق على المفرد والجمع ﴿ ويؤمن بالله فقد استمسك ﴾ تمسك ﴿ بالعروة الوثقى ﴾ بالعقد المحكم ﴿ لاانفصام ﴾ انقطاع ﴿ لها والله سميع ﴾ لما يقال ﴿ عليم ﴾ بمايفعل ﴿ الله ولى ﴾ ناصر ﴿ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات ﴾ الكفر ﴿ الى

لعلمهم بان عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم انه صلى الله عليه وسلم يصلى الى القبلتين والضمير للتحويل اوالتوجه (وماالله بغافل عما يعملون) وعد ووعيد للفريقين وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى بالتاء (ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية) برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة للقسم (ماتبعوا قبلتك) جواب القسم المضمر والقسم وجوابه ساد مسد جواب الشرط والمعنى ماتركوا قبلتك لشبهة تزيلها بحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا (وما انت بتابع قبلتهم) قطع لاطماعهم فانهم قالوا لوثبت على قبلتنا لكنا نرجوان تكون صاحبنا الذى ننتظره تغريرا له وطمعا فى رجوعه وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لايرجى توافقهم كمالايرجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه (ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ماجاءك من العلم) على سبيل الفرض والتقدير اى ولئن اتبعتهم مثلا بعدمابان لك الحق وجاءك فيه الوحى (انك اذا لمن الظالمين) اكد تهديده وبالغ فيه من سبعة اوجه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب عن الانبياء (الذين آتيناهم الكتاب) يعنى علماءهم (يعرفونه) الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه وقيل للعلم اوالقرآن اوالتحويل (كمايعرفون ابناءهم) يشهد للاول اى يعرفونه باوصافه كمعرفتهم ابناءهم لايلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر رضى الله تعالى عنه انه سأل عبدالله بن سلام رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اناا علم به منى بابنى قال ولم قال لانى لست اشك فى محمد انه نبى فاما ولدى فلعل والدته قد خانت فقبل رأسه (وان فريقامنهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) تخصيص لمن عاند واستثناء لمن آمن (الحق من ربك) كلام مستأنف والحق امامبتدأ خبره من ربك واللام للعهد والاشارة الى ماعليه الرسول صلى الله عليه وسلم اوالحق الذى يكتمونه اوللجنس والمعنى ان الحق ماثبت انه من الله تعالى كالذى انت عليه لا مالم يثبت كالذى عليه اهل الكتاب واماخبر مبتدأ محذوف اى هوالحق ومن ربك حال اوخبر بعد خبرى وقرىء بالنصب على انه بدل من الاول اومفعول يعلمون (فلاتكونن

النور) الايمان (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات) ذكر الاخراج اما فى مقابلة قوله يخرجهم من الظلمات اوفى كل من آمن بالنبى قبل بعثته من اليهود ثم كفربه (اولئك اصحاب النار هم فيهاخالدون الم تر الى الذى حاج) جادل (ابراهيم فى ربه) ل(أن آتاه الله الملك) اى حمله بطره بنعمة الله على ذلك وهو نمرود (اذ) بدل من حاج (قال ابراهيم) لما قال له من ربك الذى تدعونا اليه (ربى الذى يحيى ويميت) اى يخلق الحيوة والموت فى الاجساد (قال انا احيى واميت) بالقتل والعفو عنه ودعا برجلين فقتل احدهما وترك الآخر فلماراه غبيا (قال ابراهيم) منتقلا الى حجة اوضح منها (فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها) أنت (من المغرب فبهت الذى كفر) تحير ودهش (والله لايهدى القوم الظالمين) بالكفر الى محجة الاحتجاج (او) رأيت (كالذى) الكاف زائدة (مر على قرية) هى بيت المقدس راكبا

من الممترين) الشاكين فى انه من ربك اوفى كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لايشك فيه ناظر اوامر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ (ولكل وجهة) ولكل امة قبلة والتنوين بدل الاضافة اولكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة (هو موليها) احد المفعولين محذوف اى هو موليها وجهه اوالله موليها اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها اهلها واللام مزيدة للتأكيد جبرا لضعف العامل وقرأ ابن عامر هو مولاها اى هو مولى تلك الجهة اى قد وليها (فاستبقوا الخيرات) من امر القبلة وغيره مماينال به سعادة الدارين اوالفاضلات من الجهات وهى المسامتة للكعبة (اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا) اى فى اى موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الاجزاء ومفترقها يحشركم الله الى المحشر للجزاء اواينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم اواينما تكونوا من الجهات المتقابلة يأت بكم الله جميعا ويجعل صلواتكم كأنها الى جهة واحدة (ان الله على كل شئ قدير) فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع (ومن حيث خرجت) ومن اى مكان خرجت للسفر (فول وجهك شطر المسجد الحرام) اذا صليت (وانه) وان هذا الامر للحق من ربك وماالله بغافل عما تعملون) وقرأ ابو عمرو بالياء (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه تعالى ذكر للتحويل ثلاث علل تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم بابتغاء مرضاته وجرى العادة الالهية على ان يولى كل اهل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين على مانبينه وقرن بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريبا وتقريرا مع ان القبلة لها شأن والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحرئ ان يؤكد امرها ويعاد ذكرها مرة بعد اخرى (لئلايكون للناس عليكم حجة) علة لقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت فى التورية قبلته الكعبة وان محمدا يجحد ديننا ويتبعنا فى قبلتنا والمشركين بانه يدعى ملة ابراهيم ويخالف قبلته (الاالذين ظلموا منهم) استثناء من الناس

على حمار ومعه سلة تين وقدح عصير وهو عزير (وهى خاوية) ساقطة (على عروشها) سقوفها لما خربها بختنصر (قال انى) كيف (يحيي هذه الله بعد موتها) استعظاما لقدرته تعالى (فأماته الله) والبثه (مائة عام ثم بعثه) احياه ليريه كيفية ذلك (قال) تعالى له (كم لبثت) مكثت هنا (قال لبثت يوما او بعض يوم) لانه نام اول النهار فقبض واحيي عند الغروب فظن انه يوم النوم (قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك) التين (وشرابك) العصير (لم يتسنه) لم يتغير مع طول الزمان والهاء قيل اصل من سانهت وقيل للسكت من سانيت وفى قراءة بحذفها (وانظر الى حمارك) كيف هو فرآه ميتا وعظامه بيض تلوح فعلنا ذلك لتعلم (ولنجعلك آية) على البعث (للناس وانظر الى العظام) من حمارك (كيف ننشرها) نحييها بضم النون وقرئ بفتحها من انشر ونشر لغتان وفى قراءة بضمها والزاى نحركها ونرفعها (ثم نكسوها لحما)

اى لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا للمعاندين منهم فانهم يقولون ماتحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده اوبداله فرجع قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمى هذه حجة كقوله تعالى * حجتهم داحضة عند ربهم * لانهم يسوقون مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة فى نفى الحجــة رأسا كقوله * ولاعيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب * للعلم بان الظالم لاحجة له وقرئ الا الذين ظلموا منهم على انه استئناف بحرف التنبيه (فلاتخشوهم) فلاتخافوهم فان مطاعنهم لاتضركم (واخشونى) فلاتخالفوا ماامرتكم به مصلحة لكم (ولاتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون) علة محذوف اى وامرتكم لاتمـامى النعمة عليكم وارادتى اهتــداءكم او عطف على علة مقدرة مثــل واخشونى لاحفظكم منهم ولاتم نعمتى عليكم او لئلا يكون وفى الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن على رضى الله تعـالى عنه تمام النعمة الموت على الاسلام (كما ارسـلنا فيكم رسولا منكم) متصل بما قبلـه اى ولاتم نعمتى عليكم فى امر القبـلة او فى الآخرة كما اتممتها بارسـال رسول منكم او بما بعده اى كما ذكرتكم بالارسال فاذكرونى (يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم) يحملكم على ماتصيرون به ازكياء قدمه باعتبار القصد واخره فى دعوة ابراهيم عليه السلام باعتبار الفعل (ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) بالفكر والنظر اذ لاطريق الى معرفته سوى الوحى وكرر الفعل ليدل على انه جنس آخر (فاذكرونى) بالطاعة (اذكركم) بالثواب (واشكروا لى) ماانعمت به عليكم (ولاتكفرون) بجحد النعم وعصيان الامر (ياأيهـا الذين آمنوا استعينوا بالصبر) عن المعاصى وحظوظ النفس (والصلوة) هى ام العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العـالمين (ان الله مع الصابرين) بالنصرة واجابة الدعوة (ولاتقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات) اى هم اموات (بل احياء) بل هم احياء (ولكن لاتشعرون) ماحالهم وهو تنبيه على ان حياتهم ليست بالجسد ولامن جنس مايحس به من الحيوانات وانما هى امر لايدرك بالعقل بل بالوحى وعن الحسن ان الشهداء احيــاء عند ربهم تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع والآية نزلت فى شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة

فنظر اليها وقد تركبت وكسيت لحما ونفخ فيه الروح ونهق (فلما تبين له) ذلك بالمشاهدة (قال أعلم) علم مشــاهدة (أن الله على كل شئ قدير) وفى قراءة اعلم أمر من الله له (و) اذكر (اذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال) تعالى له (أولم تؤمن) بقدرتى على الاحياء سأله مع علمه بايمانه بذلك ليجيبه بمـا سأل فيعلم السامعون غرضه (قال بلى) آمنت (ولكن) سألتـك (ليطمئن) يسكن (قلبى) بالمعاينــة المضمومــة الى الاستدلال (قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك) بكسر الصاد وضمها أملهنّ اليك وقطعهن واخلط لحمهن وريشهن (ثم اجعل على كل جبل) من جبال أرضك (منهن جزأ ثم ادعهن) اليك (يأتينك سعيا) سريعا (واعلم أن الله عزيز) لايعجزه شئ (حكيم) فى صــنعه فأخذ طاوسا ونسرا وغرابا وديكا وفعل بهن ماذكر وأمسك رؤسهن عنــده ودعاهن فتطايرت الاجزاء الى بعضها

لما يحس به من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت الآيات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله ومزيد البهجة والكرامة ﴿ ولنبلونكم ﴾ ولنصيبنكم اصابة من يختبر لاحوالكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء ﴿ بشيء من الخوف والجوع ﴾ اى بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة الى ماوقاهم منه ليخفف عليهم ويريهم ان رحمته لاتفارقهم او بالنسبة الى مايصيب به معانديهم فى الآخرة وانما اخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم ﴿ ونقص من الاموال والانفس والثمرات ﴾ عطف على شيء او الخوف وعن الشافعى رضى الله تعالى عنه الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال الصدقات والزكوات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم روح ولد عبدى فيقولون نعم فيقول الله اقبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدى فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدى بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد ﴿ وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون ﴾ الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ولمن تتأتى منه البشارة والمصيبة تعم مايصيب الانسان من مكروه لقوله عليه الصلوة والسلام * كل شيء يؤذى المؤمن فهو له مصيبة * وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل به وبالقلب بان يتصور ماخلق لاجله وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله عليه ليرى ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون على نفسه ويستسلم له والمبشر به محذوف دل عليه ﴿ اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ﴾ الصلوة فى الاصل الدعاء ومن الله تعالى التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان وعن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه ﴿ واولئك هم المهتدون ﴾ للحق والصواب حيث استرجعوا واستسلموا لقضاء الله تعالى ﴿ ان الصفا والمروة ﴾ هما علمان للجبلين بمكة ﴿ من شعائر الله ﴾ من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهى العلامة ﴿ فمن حج البيت او اعتمر ﴾ الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين ﴿ فلا جناح عليه ان يطوف

(بهما)

حتى تكاملت ثم أقبلت الى رؤسها (مثل) صفة نفقات (الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله) أى طاعته (كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة) فكذلك نفقاتهم تضاعف لسبعمائة ضعف (والله يضاعف) أكثر من ذلك (لمن يشاء والله واسع) فضله (عليم) بمن يستحق المضاعفة (الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا) على المنفق عليه بقولهم مثلا قد أحسنت اليه وجبرت حاله (ولا أذى) له بذكر ذلك الى من لايحب وقوفه عليه ونحوه (لهم أجرهم) ثواب انفاقهم (عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فى الآخرة (قول معروف) كلام حسن ورد على السائل جميل (ومغفرة) له فى الحاحه (خير من صدقة يتبعها أذى) بالمن وتعيير له بالسؤال (والله غنى) عن صدقة العباد (حليم) بتأخير العقوبة عن المنان والمؤذى (يأيها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم) أى أجورها

بهما) كان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت والاجماع على انه مشروع فى الحج والعمرة وانما الخلاف فى وجوبه فعن احمد انه سنة وبه قال انس وابن عباس رضى الله عنهم لقوله فلا جناح عليه فانه يفهم منه التخيير وهو ضعيف لان نفى الجناح يدل على الجواز الداخل فى معنى الوجوب فلا يدفعه وعن ابى حنيفة رحمه الله تعالى انه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعى رحمهما الله انه ركن لقوله عليه الصلوة والسلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعى (ومن تطوع خيرا) اى فعل طاعة فرضا كان او نفلا اوزاد على مافرض الله عليه من حج اوعمرة اوطواف او تطوع بالسعى ان قلنا انه سنة وخيرا نصب على انه صفة مصدر محذوف او بحذف الجار وايصال الفعل اليه او بتعدية الفعل لتضمنه معنى اتى اوفعل وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب يطوع واصله يتطوع فادغم مثل يطوف (فان الله شاكر عليم) مثيب على الطاعة لاتخفى عليه (ان الذين يكتمون) كاحبار اليهود (ماانزلنا من البينات) كالآيات الشاهدة على امر محمد صلى الله عليه وسلم (والهدى) ومايهدى الى وجوب اتباعه والايمان به (من بعد مابيناه للناس) لخصناه (فى الكتاب) فى التورية (اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) اى الذين يتأتى منهم اللعن عليهم من الملائكة والثقلين (الا الذين تابوا) عن الكتمان وسائر مايجب ان يتاب عنه (واصلحوا) ماافسدوا بالتدارك (وبينوا) مابينه الله فى كتابهم لتتم توبتهم وقيل مااحدثوه من التوبة ليمحوا به سمة الكفر عن انفسهم ويقتدى بهم احزابهم (فاولئك اتوب عليهم) بالقبول والمغفرة (وانا التواب الرحيم) المبالغ فى قبول التوبة وافاضة الرحمة (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار) اى ومن لم يتب من الكاتمين حتى مات (اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين) استقر عليهم اللعن من الله ومن يعتد بلعنه من خلقه وقيل الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل فى المعنى كقولك اعجبنى ضرب زيد وعمرو اوفاعلا لفعل مقدر نحو ويلعنهم الملائكة (خالدين فيها) اى فى اللعنة او النار واضمارها قبل الذكر تفخيما لشانها وتهويلا او اكتفاء بدلالة اللعن عليها (لايخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون) اى لايمهلون او لاينظرون ليعتذروا او لاينظر اليهم

بالمن والاذى) ابطالا (كالذى) اى كابطال نفقة الذى (ينفق ماله رئاء الناس) مرائيا لهم (ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) وهو المنافق (فمثله كمثل صفوان) حجر املس (عليه تراب فاصابه وابل) مطر شديد (فتركه صلدا) صلبا املس لاشئ عليه (لايقدرون) استئناف لبيان مثل المنافق المنفق رئاء الناس وجمع الضمير باعتبار معنى الذى (على شئ مماكسبوا) عملوا اى لايجدون له ثوابا فى الآخرة كما لايوجد على الصفوان شئ من التراب الذى كان عليه لاذهاب المطر له (والله لايهدى القوم الكافرين ومثل) نفقات (الذين ينفقون اموالهم ابتغاء) طلب (مرضاة الله وتثبيتا من انفسهم) اى تحقيقا للثواب عليه بخلاف المنافقين الذين لايرجونه لانكارهم له ومن ابتدائية (كمثل جنة) بستان (بربوة) بضم الراء وفتحها مكان مرتفع مستو (اصابها وابل فآتت) اعطت (اكلها) بضم

نظر رحمة ﴿ والهكم اله واحد ﴾ خطاب عام اى المستحق منكم العبادة واحد لاشريك له يصح ان يعبد ويسمى الها ﴿ لااله الاهو ﴾ تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان فى الوجود الها ولكن لايستحق منهم العبادة ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ كالحجة عليها فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها وفروعها وماسواه اما نعمة اومنعم عليه لم يستحق العبادة أحد غيره وهما خبران آخران لقوله الهكم اولمبتدأ محذوف وقيل لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فائت بآية نعرف بها صدقك فنزلت ﴿ ان فى خلق السموات والارض ﴾ انما جمع السموات وافرد الارض لانها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين ﴿ واختلاف الليل والنهار ﴾ تعاقبهما كقوله تعالى جعل الليل والنهار خلفة ﴿ والفلك التى تجرى فى البحر بماينفع الناس ﴾ اى بنفعهم او بالذى ينفعهم والقصد به الى الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب لان منشأهما البحر فى غالب الامر وتأنيث الفلك لانه بمعنى السفينة وقرئ بضمتين على الاصل اوالجمع وضمة الجمع غيرضمة الواحد عندالمحققين ﴿ وماانزل الله من السماء من ماء ﴾ من الاولى للابتداء والثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو ﴿ فاحيى به الارض بعد موتها ﴾ بالنبات ﴿ وبث فيها من كل دابة ﴾ عطف على انزل كأنه استدل بنزول المطر وتكون النبات به وبث الحيوانات فى الارض او على احيى فان الدواب ينمون بالخصب ويعيشون بالحيوة والبث النشر والتفريق ﴿ وتصريف الرياح ﴾ فى مهابها واحوالها وقرأ حمزة والكسائى على الافراد ﴿ والسحاب المسخر ﴾ المذلل ﴿ بين السماء والارض ﴾ لاينزل ولايتقشع مع ان الطبع يقتضى احدهما حتى يأتى امر الله تعالى وقيل مسخر للرياح تقلبه فى الجو بمشيئة الله واشتقاقه من السحب لان بعضه يجر بعضا ﴿ لآيات لقوم يعقلون ﴾ يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم وعنه صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها اى لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة هذه الآيات على وجود الاله ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل انها امور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة وانحاء مختلفة اذ كان من الجائز مثلا ان لاتتحرك السموات او بعضها كالارض وان تتحرك بعكس

(حركاتها)

الكاف وسكونها ثمرها (ضعفين) مثلى مايثمر غيرها (فان لم يصبها وابل فطل) مطر خفيف يصيبها ويكفيها لارتفاعها المغنى ثمر وتزكو كثر المطر ام قل فكذلك نفقات من ذكر تزكو عندالله كثرت ام قلت (والله بماتعملون بصير) فيجازيكم به (ايود) ايحب (احدكم ان تكون له جنة) بستان (من نخيل واعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها) ثمر (من كل الثمرات و) قد (اصابه الكبر) فضعف من الكبر عن الكسب (وله ذرية ضعفاء) اولاد صغار لايقدرون عليه (فاصابها اعصار) ريح شديدة (فيه نار فاحترقت) ففقدها احوج ماكان اليها وبقى هو واولاده عجزة متحيرين لاحيلة لهم وهذا تمثيل لنفقة المرائى والمان فى ذهابها وعدم نفعها احوج مايكون اليها فى الآخرة والاستفهام بمعنى النفى وعن ابن عباس هو لرجل عمل بالطاعات ثم بعث له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى احرق اعماله (كذلك)

حركاتها وبحيث تصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين وان لايكون لها اوج وحضيض اصلا اوعلى هذا الوجه لبساطتهـا وتساوى اجزائها فلابد لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ماتسـتدعيه حكمته وتقتضيه مشيئته متعاليا عن معـارضة غيره اذ لوكان معه اله يقدر على مايقدر عليه الآخر فان توافقت ارادتهما فالفعل ان كان لهما لزم اجتماع مؤثرين على اثر واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الآخر المنافى لالهيته وان اختلفت لزم التمانع والتطارد كما اشار اليه بقوله تعالى * لوكان فيهما آلهة الا الله لفسدتا * وفى الآية تنبيه على اشرف علم الكلام واهله وحث على البحث والنظر فيه (ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا) من الاصنام وقيل من الرؤسـاء الذين كانوا يطيعونهم لقوله تعـالى * اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا * ولعل المراد اعم منهما وهو مايشغله عن الله (يحبونهم) يعظمونهم ويطيعونهم (كحب الله) كتعظيمه والميل الى طاعته اى يسوون بينه وبينهم فى المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله تعالى ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله فى الطاعة وصونه عن المعاصى (والذين آمنوا اشد حبا لله) لانه لاينقطع محبتهم لله تعالى بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم الى الله تعـالى عند الشدائد ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره (ولو يرى الذين ظلموا) ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد (اذ يرون العذاب) اذ عاينوه يوم القيمة واجرى المستقبل مجرى الماضى لتحققه كقوله تعـالى * ونادى اصحاب الجنة * (ان القوة لله جميعا) ساد مسد مفعولى يرى وجواب لو محذوف اى لو يعلمون ان القوة لله جميعـا اذ عاينوا العذاب لندموا اشـد الندم وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير ولو يرى الذين ظلموا اندادهم لاتنفع لعلموا ان القوة لله كلها لاينفع ولا يضر غيره وقرأ ابن عامر ونافع ويعقوب ولو ترى على انه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اى ولو ترى ذلك لرأيت امرا عظيما وابن عامر اذ يرون على البنـاء للمفعول ويعقوب ان بالكسر وكذا (وان الله شديد العذاب) على الاستئناف او اضمار القول (اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا) بدل من اذ يرون اى اذ تبرأ المتبوعون من الاتباع

كما بين ماذكر (يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) فتعتبرون (ياايها الذين آمنوا انفقوا) اى زكوا (من طيبات) جياد (ما كسبتم) من المال (ومن) طيبات (ما اخرجنا لكم من الارض) من الحبـوب والثمار (ولا تيمموا) تقصدوا (الخبيث) الردئ (منه) اى من المذكور (تنفقون) ه فى الزكوة حال من ضمير تيمموا (ولستم بآخذيه) اى الخبيث لو اعطيتموه فى حقوقكم (الا ان تغمضوا فيه) بالتساهل وغض البصر فكيف تؤدون منه حق الله (واعلموا ان الله غنى) عن نفقاتكم (حميد) محمود على كل حال (الشيطان يعـدكم الفقر) يخوفكم به ان تصدقتم فتمسكوا (ويأمركم بالفحشاء) البخل ومنع الزكوة (والله يعدكم) على الانفـاق (مغفرة منه) لذنوبكم (وفضلا) رزقا خلفا منه (والله واسع) فضله (عليم) بالمنفق (يؤتى الحكمة) اى العلم النـافع المؤدى الى العمل (من يشاء

وقرئ بالعكس اى تبرأ الاتباع من الرؤساء ﴿ورأوا العذاب﴾ اى رائين له والواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرأ ﴿وتقطعت بهم الاسباب﴾ يحتمل العطف على تبرأ اورأوا اوالحال والاول اظهر واسباب الوصل التى كانت بينهم من الاتباع والاتفاق على الدين والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذى يرتقى به الشجر وقرئ وتقطعت على البناء للمفعول ﴿وقال الذين اتبعوا لوان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا﴾ لو للتمنى ولذلك أجيب بالفاء اى ياليت لنا كرة الى الدنيا فنتبرأ منهم ﴿كذلك﴾ مثل ذلك الارآء الفظيعة ﴿يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم﴾ ندامات وهى ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب والا فحال ﴿وماهم بخارجين من النار﴾ اصله ومايخرجون فعدل عنه الى هذه العبارة للمبالغة فى الخلود والاقناط من الخلاص والرجوع الى الدنيا ﴿ياايها الناس كلوا مما فى الارض حلالا﴾ نزلت فى قوم حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس وحلالا مفعول كلوا اوصفة مصدر محذوف اوحال مما فى الارض ومن للتبعيض اذ لايؤكل كل مافى الارض ﴿طيبا﴾ يستطيبه الشرع اوالشهوة المستقيمة اذ الحلال دل على الاول ﴿ولاتتبعوا خطوات الشيطان﴾ لاتقتدوا به فى اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة والبزى وابو بكر حيث وقع بتسكين الطاء وهما لغتان فى جمع خطوة وهى مابين قدمى الخاطى وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كأنها عليها وبفتحتين على انها جمع خطوة وهى المرة من الخطو ﴿انه لكم عدو مبين﴾ ظاهر العدوة عند ذوى البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سماه وليا فى قوله تعالى * اولياؤهم الطاغوت * ﴿انما يأمركم بالسوء والفحشاء﴾ بيان لعداوته ووجوب التحرز عن متابعته واستعير الامر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيها لرأيهم وتحقيرا لشانهم والسوء والفحشاء ماانكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فانه سوء لاغتمام العاقل به وفحشاء باستقباحه اياه وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء ماجاوز الحد فى القبح من الكبائر وقيل الاول مالاحد فيه والثانى ماشرع فيه الحد ﴿وان تقولوا على الله مالاتعلمون﴾ كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات وفيه دليل على المنع من اتباع الظن رأسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظن مستند الى مدرك شرعى فوجوبه قطعى والظن فى طريقه كما بيناه فى الكتب

ومن يؤتى الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا﴾ لمصيره الى السعادة الابدية ﴿ومايذكر﴾ فيه ادغام التاء فى الاصل فى الذال بتعظ ﴿الا اولوا الالباب﴾ اصحاب العقول ﴿وما انفقتم من نفقة﴾ اديتم من زكوة اوصدقة ﴿اونذرتم من نذر﴾ فوفيتم به ﴿فان الله يعلمه﴾ فيجازيكم عليه ﴿وماللظالمين﴾ بمنع الزكوة والنذر اوبوضع الانفاق فى غير محله من معاصى الله ﴿من انصار﴾ مانعين لهم من عذابه ﴿ان تبدوا﴾ تظهروا ﴿الصدقات﴾ اى النوافل ﴿فنعماهى﴾ اى نعم شيئا ابداؤها ﴿وان تخفوها﴾ تسروها ﴿وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم﴾ من ابدائها وايتائها الاغنياء اما صدقة الفرض فالافضل اظهارها ليقتدى به ولئلا يتهم وايتاؤها الفقراء متعين ﴿ويكفر﴾ بالياء وبالنون مجزوما بالعطف على محل فهو ومرفوعا على الاستئناف ﴿عنكم من﴾ بعض ﴿سيئاتكم والله بما تعملون خبير﴾ عالم بباطنه كظاهره لايخفى عليه

الاصولية (واذا قيل لهم اتبعوا ماانزل الله) الضمير للناس وعدل عن الخطاب معهم للنداء على ضلالتهم كأنه التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون (قالوا بل نتبع ماألفينا عليه آباءنا) ماوجدناهم عليه نزلت فى المشركين امروا باتباع القرآن وسائر ماانزل الله من الحجج والآيات فجنحوا الى التقليد وقيل فى طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا نتبع ماوجدنا عليه آباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم وعلى هذا فيعم ماانزل الله التورية لانها ايضا تدعو الى الاسلام (اولوكان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) الواو للحال او العطف والهمزة للرد والتعجيب وجواب لو محذوف اى لوكان آباؤهم جهلة لا يتفكرون فى امر الدين ولا يهتدون الى الحق لاتبعوهم وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد واما اتباع الغير فى الدين اذا علم بدليل ما انه محق كالانبياء والمجتهدين فى الاحكام فهو فى الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما انزل الله (ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء) على حذف مضاف تقديره ومثل داعى الذين كفروا كمثل الذى ينعق اومثل الذين كفروا كمثل بهائم الذى ينعق والمعنى ان الكفرة لانهماكهم فى التقليد لا يلقون أذهانهم الى مايتلى عليهم ولايتأملون فيما تقرر معهم فهم فى ذلك كالبهائم التى ينعق عليها فتسمع الصوت ولاتعرف مغزاه وتحس بالنداء ولاتفهم معناه وقيل هو تمثيلهم فى اتباع آبائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التى تسمع الصوت ولاتفهم ماتحته اوتمثيلهم فى دعائهم الاصنام بالناعق فى نعقه وهو التصويت على البهائم وهذا يغنى عن الاضمار ولكن لايساعده قوله الادعاء ونداء لان الاصنام لاتسمع الا ان يجعل ذلك من باب التمثيل المركب (صم بكم عمى) رفع على الذم (فهم لا يعقلون) اى بالفعل للاخلال بالنظر (ياايها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم) لما وسع الامر على الناس كافة واباح لهم مافى الارض سوى ماحرم عليهم امر المؤمنين منهم ان يتحروا طيبات مارزقوا ويقوموا بحقوقها فقال (واشكروا لله) على مارزقكم واحل لكم (ان كنتم اياه تعبدون) ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم فان عبادته تعالى لاتتم الا بالشكر فان المعلق بفعل العبادة هو الامر بالشكر لاتمامه وهو عدم عند عدمه وعن النبى صلى الله

شئ منه ولما منع صلى الله عليه وسلم من التصدق على المشركين ليسلموا نزل (ليس عليك هداهم) أى الناس الى الدخول فى الاسلام انما عليك البلاغ (ولكن الله يهدى من يشاء) هدايته الى الدخول فيه (وماتنفقوا من خير) مال (فلأنفسكم) لان ثوابه لها (وماتنفقون الا ابتغاء وجه الله) أى ثوابه لاغيره من أغراض الدنيا خبر بمعنى النهى (وماتنفقوا من خير يوف اليكم) جزاؤه (وأنتم لاتظلمون) تنقصون منه شيئا والجملتان تأكيد للاولى (للفقراء) خبر مبتدأ محذوف أى الصدقات (الذين أحصروا فى سبيل الله) أى حبسوا أنفسهم على الجهاد نزلت فى أهل الصفة وهم أربعمائة من المهاجرين أرصدوا لتعلم القرآن والخروج مع السرايا (لايستطيعون ضربا) سفرا (فى الارض) للتجارة والمعاش لشغلهم عنه بالجهاد (يحسبهم الجاهل) بحالهم (أغنياء من التعفف) أى

عليه وسلم يقول الله تعالى انى والانس والجن فى نبأ عظيم اخلق ويعبد غيرى وارزق ويشكر غيرى (انما حرم عليكم الميتة) اكلها والانتفاع بها وهى التى ماتت من غير ذكاة والحديث الحق بها ماابين من حى والسمك والجراد اخرجهما العرف عنها اواستثنى الشرع والحرمة المضافة الى العين تفيد عرفا حرمة التصرف فيها مطلقا الاماخصه الدليل كالتصرف فى المدبوغ (والدم ولحم الخنزير) انما خص اللحم بالذكر لانه معظم مايؤكل من الحيوان وسائر اجزائه كالتابع له (وماأهل به لغير الله) اى رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله رؤية الهلال يقال اهل الهلال واهللته لكن لما جرت العادة ان يرفع الصوت بالتكبير اذا رؤى سمى ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغيره (فمن اضطر غير باغ) بالاستئثار على مضطر آخر وقرأ عاصم وابو عمرو وحمزة بكسر النون (ولا عاد) سد الرمق اوالجوعة وقيل غير باغ على الوالى ولا عاد بقطع الطريق فعلى هذا لايباح للعاصى بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعى وقول احمد رحمهما الله تعالى (فلا اثم عليه) فى تناوله (ان الله غفور) لما فعل (رحيم) بالرخصة فيه * فان قيل انما تفيد قصر الحكم على ماذكر وكم من حرام لم يذكر * قلت المراد قصر الحرمة على ماذكر مما استحلوه لامطلقا اوقصر حرمته على حالة الاختيار كأنه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء مالم تضطروا اليها (ان الذين يكتمون ماانزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا) عوضا حقيرا (اولئك مايأكلون فى بطونهم الاالنار) امافى الحال لانهم اكلوا مايتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنه اكل النار كقوله

اكلت دما أن لم ارعك بضرة * بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

يعنى الدية اوفى المآل اى لايأكلون يوم القيمة الاالنار ومعنى فى بطونهم ملء بطونهم يقال اكل فى بطنه واكل فى بعض بطنه كقوله * كلوا فى بعض بطنكم تعفوا * (ولايكلمهم الله يوم القيمة) عبارة عن غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم حال مقابليهم فى الكرامة والزلفى من الله (ولا يزكيهم) ولا يثنى عليهم (ولهم عذاب اليم) مؤلم (اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) فى الدنيا (والعذاب بالمغفرة) فى الآخرة بكتمان الحق للمطامع والاغراض الدنيوية (فما اصبرهم على النار) تعجب من حالهم فى الالتباس بموجبات النار من غير مبالاة وماتامة مرفوعة بالابتداء وتخصيصها

لتعففهم عن السؤال وتركه (تعرفهم) يامخاطب (بسيماهم) علامتهم من التواضع وأثر الجهد (لايسئلون الناس) شيئا فيلحفون (الحافا) أى لاسؤال لهم أصلا فلايقع منهم الحاف وهو الالحاح (وماتنفقوا من خير فان الله به عليم) فجاز عليه (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون الذين يأكلون الربوا) اى يأخذونه وهو الزيادة فى المعاملة بالنقود والمطعومات فى القدر أو الاجل (لايقومون) من قبورهم (الا) قياما (كما يقوم الذى يتخبطه) يصرعه (الشيطان من المس) الجنون بهم متعلق بيقومون (ذلك) الذى نزل بهم (بانهم) بسبب أنهم (قالوا انما البيع مثل الربوا) فى الجواز وهذا من عكس التشبيه مبالغة فقال تعالى رداعليهم (وأحل الله البيع وحرم الربوا فمن جاءه) بلغه (موعظة) وعظ (من ربه

(كتخصيص)

كتخصيص قولهم * شراهر ذاناب * او استفهامية وما بعدها الخبر او موصولة وما بعدها صلة والخبر محذوف (ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق) اى ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب او الكتمان (وان الذين اختلفوا فى الكتاب) اللام فيه اما للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله تعالى وكفرهم ببعض او للعهد والاشارة اما الى التورية واختلفوا بمعنى تخلفوا عن المنهج المستقيم فى تأويلها او خلفوا خلاف ما انزل الله تعالى مكانه اى حرفوا مافيها واما الى القرآن واختلافهم فيه قولهم سحر وتقول وكلام عامه بشر واساطير الاولين (لفى شقاق بعيد) لفى خلاف بعيد عن الحق (ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) البر كل فعل مرضى والخطاب لاهل الكتاب فانهم اكثروا الخوض فى امر القبلة حين حولت وادعى كل طائفة ان البر هو التوجه الى قبلته فرد الله تعالى عليهم وقال ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما بينته واتبعه المؤمنون وقيل عام لهم وللمسلمين اى ليس البر مقصورا بامر القبلة او ليس البر العظيم الذى يحسن ان تذهلوا بشأنه عن غيره امرها وقرأ حمزة وحفص البر بالنصب (ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين) اى ولكن البر الذى ينبغى ان يهتم به بر من آمن بالله او ولكن ذا البر من آمن ويؤيده قراءة من قرأ ولكن البار والاول اوفق واحسن والمراد بالكتاب الجنس او القرآن وقرأ نافع وابن عامر ولكن بالتخفيف ورفع البر (وآتى المال على حبه) اى على حب المال كما قال عليه السلام لما سئل اى الصدقة افضل قال ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر وقيل الضمير لله او للمصدر والجار والمجرور فى موضع الحال (ذوى القربى واليتامى) يريد المحاويج منهم ولم يقيد لعدم الالتباس وقدم ذوى القربى لان ايتاءهم افضل كما قال عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذوى رحمك اثنتان صدقة وصلة (والمساكين) جمع المسكين وهو الذى اسكنته الخلة واصله دائم السكون كالمسكير للدائم السكر (وابن السبيل) المسافر سمى به لملازمته السبيل كما سمى القاطع ابن الطريق وقيل الضيف لان السبيل يرعف به (والسائلين) الذين الجأهم الحاجة الى السؤال وقال عليه السلام للسائل حق وان جاء على فرسه (وفى الرقاب) وفى تخليصها بمعاونة المكاتبين او فك الاسارى او ابتياع الرقاب لعتقها (واقام الصلوة)

فانتهى) عن أكله (فله ماسلف) قبل النهى اى لايسترد منه (وأمره) فى العفو عنه (الى الله ومن عاد) الى أكله مشبها له بالبيع فى الحل (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يمحق الله الربوا) ينقصه ويذهب بركته (ويربى الصدقات) يزيدها وينميها ويضاعف ثوابها (والله لايحب كل كفار) بتحليل الربوا (أثيم) فاجر باكله أى يعاقبه (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة لهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا) اتركوا (مابقى من الربوا ان كنتم مؤمنين) صادقين فى ايمانكم فان من شان المؤمن امتثال أمر الله تعالى نزلت لمالطالب بعض الصحابة بعد النهى بربوا كان له قبل (فان لم تفعلوا) ماأمرتم به (فأذنوا) اعلموا (بحرب من الله ورسوله) لكم فيه تهديد شديد لهم ولمانزلت قالوا لايدلنا بحربه (وان تبتم)

المفروضة (وآتى الزكوة) يحتمل ان يكون المقصود منه ومن قوله وآتى المال الزكوة المفروضة ولكن الغرض من الاول بيان مصارفها ومن الثانى اداؤها والحث عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل الصدقات اوحقوقا كانت فى المال سوى الزكوة وفى الحديث نسخت الزكوة كل صدقة (والموفون بعهدهم اذا عاهدوا) عطف على من آمن (والصابرين فى البأساء والضراء) نصبه على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على سائر الاعمال وعن الازهرى البأساء فى الاموال كالفقر والضراء فى الانفس كالمرض (وحين البأس) وقت مجاهدة العدو (اولئك الذين صدقوا) فى الدين واتباع الحق وطلب البر (واولئك هم المتقون) عن الكفر وسائر الرذائل والآية كما ترى جامعة للكمالات الانسانية بأسرها دالة عليها صريحا او ضمنا فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة فى ثلاثة اشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد اشير الى الاول بقوله من آمن بالله الى والنبيين والى الثانى بقوله وآتى المال الى وفى الرقاب والى الثالث بقوله واقام الصلوة الى آخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق واليه اشار بقوله عليه السلام من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى) كان فى الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت وامرهم ان يتباوأوا ولا تدل على ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لا تدل على عكسه فان المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم وقد بينا ما كان الغرض وانما منع مالك والشافعى رضى الله تعالى عنهما قتل الحر بالعبد سواء كان عبده او عبد غيره لما روى على رضى الله تعالى عنه ان رجلا قتل عبده فجلده الرسول صلى الله عليه وسلم ونفاه سنة ولم يقده به وروى عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذى عهد ولا حر بعبد ولان ابا بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير وللقياس على الاطراف ومن سلم دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله النفس بالنفس لانه حكاية ما فى التورية

(فلا)

رجعتم عنه (فلكم رؤس) أصول (أموالكم لا تظلمون) بزيادة (ولا تظلمون) بنقص (وان كان) وقع غريم (ذو عسرة فنظرة) له أى عليكم تأخيره (الى ميسرة) بفتح السين وضمها أى وقت يسر (وان تصدقوا) بالتشديد على ادغام التاء فى الاصل فى الصاد وبالتخفيف على حذفها أى تتصدقوا على المعسر بالابراء (خير لكم ان كنتم تعلمون) أنه خير فافعلوه فى الحديث من أنظر معسرا او وضع عنه أظله الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله رواه مسلم (واتقوا يوما ترجعون) بالبناء للمفعول تردون وللفاعل تصيرون (فيه الى الله) هو يوم القيمة (ثم توفى) فيه (كل نفس) جزاء (ما كسبت) عملت من خير وشر (وهم لا يظلمون) بنقص حسنة أو زيادة سيئة (يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم) تعاملتم (بدين) كسلم وقرض (الى أجل مسمى) معلوم (فاكتبوه) استيثاقا ودفعا

فلا ينسخ مافى القرآن واحتجت الحنفية به على ان مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف اذالواجب على التخيير يصدق عليه انه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره ليس نسخا لوجوبه وقرئ كتب على البناء للفاعل والقصاص بالنصب وكذا كل فعل جاء فى القرآن (فمن عفى له من اخيه شئ) اى شئ من العفو لان عفا لازم وفائدته الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام فى اسقاط القصاص وقيل عفى بمعنى ترك وشئ مفعول به وهو ضعيف اذلم يثبت عفا الشئ بمعنى تركه بل اعفاه وعفا يعدى بعن الى الجانى والى الذنب قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا عدى به الى الذنب عدى الى الجانى باللام وعليه مافى الآية كأنه قيل فمن عفى له عن جنايته من جهة اخيه يعنى ولى الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام ليرق له ويعطف عليه (فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان) اى فليكن اتباع اوفالامر اتباع والمراد به وصية العافى بان يطالب الدية بالمعروف فلا يعنف والمعفو عنه بان يؤديها بالاحسان وهو ان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل على ان الدية احد مقتضى العمد والا لما رتب الامر باداتها على مطلق العفو وللشافعى رضى الله تعالى عنه فى المسئلة قولان (ذلك) اى الحكم المذكور فى العفو والدية (تخفيف من ربكم ورحمة) لما فيه من التسهيل والنفع قيل كتب على اليهود القصاص وحده وعلى النصارى العفو مطلقا وخيرت هذه الامة بينهما وبين الدية تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم على حسب مراتبهم (فمن اعتدى بعد ذلك) قتل بعد العفو واخذ الدية (فله عذاب اليم) فى الآخرة وقيل فى الدنيا بان يقتل لا محالة لقوله عليه السلام لا اعافى احدا قتل بعد اخذه الدية (ولكم فى القصاص حيوة) كلام فى غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشئ محل ضده وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان فى هذا الجنس من الحكم نوعا من الحيوة عظيما وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيكون سبب حيوة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحيوتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثانى تخصيص وقيل المراد بها الحيوة الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه فى الدنيا لم يؤاخذ به فى الآخرة ولكم فى القصاص يحتمل ان يكونا خبرين

للنزاع (وليكتب) كتاب الدين (بينكم كاتب بالعدل) بالحق فى كتابته لا يزيد فى المال والاجل ولا ينقص (ولا يأب) يمتنع (كاتب) من (ان يكتب) اذا دعى اليها (كما علمه الله) فضله اى بالكتابة فلا يبخل بها والكاف متعلقة بيأب (فليكتب) تأكيد (وليملل) يمل الكاتب (الذى عليه الحق) الدين لانه المشهود عليه فيقر ليعلم ماعليه (وليتق الله ربه) فى املائه (ولا يبخس) ينقص (منه) اى الحق (شيئا فان كان الذى عليه الحق سفيها) مبذرا (او ضعيفا) عن الاملاء لصغر او كبر (او لا يستطيع ان يمل هو) لخرس او جهل باللغة اونحو ذلك (فليملل وليه) متولى امره من والد ووصى وقيم ومترجم (بالعدل واستشهدوا) اشهدوا على الدين (شهيدين) شاهدين (من رجالكم) اى بالغى المسلمين الاحرار (فان لم يكونا) اى الشهيدان (رجلين فرجل وامرأتان) يشهدون (ممن ترضون من الشهداء) لدينه وعدالته

حيوة وان يكون احدهما خبرا والآخر صلة له او حالا من الضمير المستكن
فيه وقرىء فى القصص اى فيما قص عليكم من حكم القتل حيوة او فى القرآن
حيوة للقلوب ﴿ياأولى الالباب﴾ ذوى العقول الكاملة ناداهم للتأمل فى حكمة
القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس ﴿لعلكم تتقون﴾ فى المحافظة
على القصاص والحكم به والاذعان له اوعن القصاص فتكفوا عن القتل
﴿كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت﴾ اى حضر اسبابه وظهرت اماراته
﴿ان ترك خيرا﴾ اى مالا وقيل مالا كثيرا لما روى عن على رضى الله تعالى
عنه ان مولى له اراد ان يوصى وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى
ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وعن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رجلا
اراد ان يوصى فسألته كم مالك فقال ثلاثة آلاف فقالت كم عيالك قال اربعة
قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا فان هذا الشىء يسير فاتركه لعيالك
﴿الوصية للوالدين والاقربين﴾ مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل
اوعلى تأويل ان يوصى اوالايصاء ولذلك ذكر الراجع فى قوله فمن بدله
والعامل فى اذا مدلول كتب لاالوصية لتقدمه عليها وقيل مبتدأ خبره
للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كقوله * من يفعل الحسنات
الله يشكرها * ورد بانه ان صح فمن ضرورات الشعر وكان هذا الحكم فى بدء
الاسلام فنسخ بآية المواريث وبقوله عليه الصلوة والسلام ان الله اعطى
كل ذى حق حقه الالاوصية لوارث وفيه نظر لان آية المواريث لاتعارضه
بل تؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الآحاد
وتلقى الامة له بالقبول لايلحقه بالتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية
بما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين بقوله يوصيكم الله اوبايصاء
المحتضر لهم بتوفير مااوصى به الله عليهم ﴿بالمعروف﴾ بالعدل فلايفضل
الغنى ولايتجاوز الثلث ﴿حقا على المتقين﴾ مصدر مؤكد اى حق ذلك
حقا ﴿فمن بدله﴾ غيره من الاوصياء والشهود ﴿بعد ماسمعه﴾ اى وصل
اليه وتحقق عنده ﴿فانما اثمه على الذين يبدلونه﴾ فما اثم الايصاء المغير
اوالتبديل الاعلى مبدله لانه هو الذى خان وخالف الشرع ﴿ان الله سميع
عليم﴾ وعيد للمبدل بغير حق ﴿فمن خاف من موص﴾ اى توقع وعلم
من قولهم اخاف ان ترسل السماء وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وابوبكر
موص مشددا ﴿جنفا﴾ ميلا بالخطأ فى الوصية ﴿اواثما﴾ تعمدا للجنف

و تعدد النساء لاجل ﴿ان تضل﴾
تنسى ﴿احداهما﴾ الشهادة
لنقص عقلهن وضبطهن
﴿فتذكر﴾ بالتخفيف والتشديد
﴿احداهما﴾ الذاكرة
﴿الاخرى﴾ الناسية وجملة
الاذكار محل العلة اى لتذكر
ان ضلت ودخلت على الضلال
لانه سببه وفى قراءة بكسر ان
شرطية ورفع تذكر استئناف
جوابه ﴿ولا يأب الشهداء
اذاما﴾ زائدة ﴿دعوا﴾ الى
تحمل الشهادة وادائها
﴿ولا تسأموا﴾ تملوا من
﴿ان تكتبوه﴾ اى ماشهدتم عليه
من الحق لكثرة وقوع ذلك
﴿صغيرا﴾ كان ﴿اوكبيرا﴾
قليلا اوكثيرا ﴿الى اجله﴾
وقت حلوله حال من الهاء
فى تكتبوه ﴿ذلكم﴾ اى الكتب
﴿اقسط﴾ اعدل ﴿عندالله
وأقوم للشهادة﴾ اى اعون
عن اقامتها انه يذكرها
﴿وأدنى﴾ أقرب الى
﴿ان لاترتابوا﴾ تشكوا فى قدر
الحق والاجل ﴿الاان تكون﴾
تقع ﴿تجارة حاضرة﴾ وفى
قراءة بالنصب فتكون ناقصة
واسمها ضمير التجارة ﴿تديرونها
بينكم﴾ اى تقبضونها

(فاصلح)

(فاصلح بينهم) بين الموصى لهم باجرائهم على نهج الشرع (فلا اثم عليه) فى هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول (ان الله غفور رحيم) وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس مايؤثم (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) يعنى الانبياء والامم من لدن آدم عليه السلام وفيه توكيد للحكم وترغيب على الفعل وتطييب على النفس والصوم فى اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس وفى الشرع الامساك عن المفطرات بياض النهار فانها معظم ماتشتهيه الانفس (لعلكم تتقون) المعاصى فان الصوم يكسر الشهوة التى هى مبدأها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او الاخلال بادائه لاصالته وقدمه (اياما معدودات) موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا لدلالة الصيام عليه والمراد بها رمضان او ماوجب صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء وثلاثة ايام من كل شهر او بكما كتب على الظرفية او على انه مفعول ثان لكتب عليكم على السعة وقيل معناه صومكم كصومهم فى عدد الايام لما روى ان رمضان كتب على النصارى فوقع فى برد او حر شديد فحولوه الى الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان اصابهم (فمن كان منكم مريضا) مرضا يضره الصوم ويعسر معه (او على سفر) او راكب سفر وفيه ايماء بان من سافر اثناء اليوم لم يفطر (فعدة من ايام اخر) اى فعليه صوم عدة ايام المرض او السفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه للعلم بها وقرئ بالنصب اى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة رضى الله تعالى عنه (وعلى الذين يطيقونه) وعلى المطيقين للصيام ان افطروا (فدية طعام مسكين) نصف صاع من بر او صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم فى ذلك اول الامر لما امروا بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرأ نافع وابن عامر برواية ابن ذكوان باضافة الفدية الى الطعام وجمع المساكين وقرأ ابن عامر برواية هشام مساكين بغير اضافة الفدية الى الطعام والباقون بغير اضافة وتوحيد مسكين وقرئ يطوقونه

ولا أجل فيها (فليس عليكم جناح) فى (أن لاتكتبوها) والمراد بها المتجر فيه (واشهدوا اذا تبايعتم) عليه فانه أدفع للاختلاف وهذا وماقبله أمر ندب (ولا يضار كاتب ولا شهيد) صاحب الحق ومن عليه بتحريف أو امتناع من الشهادة أو الكتابة أو لا يضرهما صاحب الحق بتكليفهما مالا يليق فى الكتابة والشهادة (وان تفعلوا) مانهيتم عنه (فانه فسوق) خروج عن الطاعة لاحق (بكم واتقوا الله) فى أمره ونهيه (ويعلمكم الله) مصالح أموركم حال مقدرة أو مستأنف (والله بكل شئ عليم وان كنتم على سفر) أى مسافرين وتداينتم (ولم تجدوا كاتبا فرهان) وفى قراءة فرهان جمع رهن (مقبوضة) تستوثقون بها وبينت السنة جواز الرهن فى الحضر ووجود الكاتب فالتقييد بما ذكر لان التوثيق فيه اشد وأفاد قوله مقبوضة اشتراط القبض فى الرهن والاكتفاء به من المرتهن ووكيله (فان أمن بعضكم

اى يكلفونه او يقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة او القلادة ويتطوقونه اى يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بالادغام ويطيقونه ويتطيقونه على ان اصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفعيل بمعنى يتطيقونه وعلى هذه القرآات يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده وهم الشيوخ والعجائز فى الافطار والفدية فيكون ثابتا وقد اول به القراءة المشهورة اى يصومونه جهدهم وطاقتهم (فمن تطوع خيرا) فزاد فى الفدية (فهو) فالتطوع او الخير (خير له وان تصوموا) ايها المطيقون او المطوقون وجهدتم طاقتكم او المرخصون فى الافطار لينـدرج تحته المريض والمسافر (خير لكم) من الفدية او تطوع الخير او منهما ومن التأخير للقضاء (ان كنتم تعلمون) مافى الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه محذوف دل عليه ماقبله اى اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير من ذلك (شهر رمضان) مبتدأ خبره مابعده او خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف اى كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا اوعلى انه مفعول وان تصوموا وفيه ضعف او بدل من اياما معدودات والشهر من الشهرة ورمضان مصدر رمض اى احترق فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والالف والنون كما منع داية فى ابن داية علما للغراب للعلمية والتأنيث وقوله عليه الصلوة والسلام من صام رمضان فعلى حذف المضاف لأمن الالتباس وانما سموه بذلك اما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش او لارتماض الذنوب فيه او لوقوعه ايام رمض الحر حيث مانقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة (الذى انزل فيه القرآن) اى ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض او انزل فى شأنه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم عليه السلام اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلاث عشرة والقرآن لاربع وعشرين والموصول بصلته خبر المبتدأ او صفته والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدأ بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار بأن الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم فيه (هدى للناس وبينات

بعضا) أى الدائن المدين على حقه فلم يرتهن (فليؤد الذى ائتمن) أى المدين (أمانته) دينه (وليتق الله ربه) فى أدائه (ولا تكتموا الشهادة) اذا دعيتم لاقامتها (ومن يكتمها فانه آثم قلبه) خص بالذكر لانه محل الشهادة ولانه اذا أثم تبعه غيره فيعاقب عليه معاقبة الآثمين (والله بما تعملون عليم) لايخفى عليه شئ منه (لله ما فى السموات وما فى الارض وان تبدوا) تظهروا (ما فى أنفسكم) من السوء والعزم عليه (أوتخفوه) تسروه (يحاسبكم) يخبركم (به الله) يوم القيمة (فيغفر لمن يشاء) المغفرة له (ويعذب من يشاء) تعذيبه والفعلان بالجزم عطف على جواب الشرط والرفع أى فهو (والله على كل شئ قدير) ومنه محاسبتكم وجزاؤكم (آمن) صدق (الرسول) محمد (بما أنزل اليه من ربه) من القرآن (والمؤمنون) عطف عليه (كل) تنوينه عوض من المضاف اليه (آمن بالله وملائكته وكتبه) بالجمع والافراد (ورسله)

(من)

من الهدى والفرقان ﴾ حالان من القرآن اى انزل وهو هداية للناس باعجازه وآيات واضحات مما يهدى الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ فمن حضر فى الشهر ولم يكن مسافرا فليصم فيه والاصل فمن شهد فيه فليصم فيه لكن وضع المظهر موضع المضمر الاول للتعظيم ونصب على الظرف وحذف الجار ونصب الضمير الثانى على الاتساع وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اى صلوتها فيكون ﴿ ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر ﴾ مخصصا له لان المسافر والمريض ممن شهد الشهر ولعل تكريره لذلك اولئلا يتوهم نسخه لما نسخ قرينه ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ اى يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر فلذلك اباح الفطر فى السفر والمرض ﴿ ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون ﴾ علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق اى وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر والمرخص بالقضاء ومراعاة عدة ما افطر فيه والترخيص لتكملوا العدة الى آخره على سبيل اللف فان قوله ولتكملوا العدة علة الامر بمراعاة العدد ولتكبروا الله علة الامر بالقضاء وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير او لافعال كل لفعله او معطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعملون ولتكملوا العدة ويجوز ان يعطف على اليسر أى ويريد بكم لتكملوا كقوله تعالى * يريدون ليطفؤا * والمعنى بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثناء عليه ولذلك عدى بعلى وقيل تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند الاهلال وما يحتمل المصدر والخبر اى الذى هداكم اليه وعن عاصم برواية ابى بكر ولتكملوا بالتشديد ﴿ واذا سألك عبادى عنى فانى قريب ﴾ اى فقل لهم انى قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه منهم روى ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت ﴿ اجيب دعوة الداع اذا دعان ﴾ تقرير للقرب ووعد للداعى بالاجابة ﴿ فليستجيبوا لى ﴾ اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعونى لمهماتهم ﴿ وليؤمنوا بى ﴾ امر بالثبات والمداومة عليه ﴿ لعلهم يرشدون ﴾ راجين اصابة الرشد وهو اصابة الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها واعلم انه تعالى لما امرهم بصوم الشهر

يقولون ﴿ لا نفرق بين احد من رسله ﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعل اليهود والنصارى ﴿ وقالوا سمعنا ﴾ اى ما امرنا به سماع قبول ﴿ واطعنا ﴾ نسألك ﴿ غفرانك ربنا واليك المصير ﴾ المرجع بالبعث * ولما نزلت الآية قبلها شكا المؤمنون من الوسوسة وشق عليهم المحاسبة بها فنزل ﴿ لا يكلف الله نفسا الا وسعها ﴾ اى ما تسعه قدرتها ﴿ لها ما كسبت ﴾ من الخير أى ثوابه ﴿ وعليها ما اكتسبت ﴾ من الشر اى وزره ولا يؤاخذ احد بذنب احد ولا بما لم يكسبه مما وسوست به نفسه وقولوا ﴿ ربنا لا تؤاخذنا ﴾ بالعقاب ﴿ ان نسينا او اخطأنا ﴾ تركنا الصواب لا عن عمد كما آخذت به من قبلنا وقد رفع الله ذلك عن هذه الامة كما ورد فى الحديث فسؤاله اعتراف بنعمة الله ﴿ ربنا ولا تحمل علينا اصرا ﴾ امرا يثقل علينا حمله ﴿ كما حملته على الذين من قبلنا ﴾ اى بنى اسرائيل من قتل النفس فى التوبة واخراج ربع المال فى الزكوة وقرض موضع

ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة على انه تعالى خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تأكيداله وحثاعليه ثم بين احكام الصوم فقال (احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم) روى ان المسلمين كانوا اذا امسوا احل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء الآخرة او يرقدوا ثم ان عمر رضي الله تعالى عنه باشر بعد العشاء فندم واتى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التي يصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدى بالى لتضمنه معنى الافضاء وايثاره ههنا لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة وقرئ الرفوث (هن لباس لكم وانتم لباس لهن) استئناف يبين سبب الاحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه باللباس قال الجعدى * اذا ما الضجيع ثنى عطفها * تثنت فكانت عليه لباسا * اولان كل واحد منهما يستر حال صاحبه ويمنعه عن الفجور (علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم) تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب (فتاب عليكم) لما تبتم مما اقترفتموه (وعفا عنكم) ومحا عنكم اثره (فالآن باشروهن) لما نسخ عنكم التحريم وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالقرآن والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة كنى به عن الجماع (وابتغوا ما كتب الله لكم) واطلبوا ما قدره لكم واثبته في اللوح المحفوظ من الولد والمعنى ان المباشر ينبغي ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر وقيل النهي عن العزل وقيل عن غير المأتى والتقدير وابتغوا المحل الذي كتب الله لكم (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر) شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان تكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما روى انها نزلت

(ولم)

النجاسة (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة) قوة (لنا به) من التكاليف والبلاء (واعف عنا) امح ذنوبنا (واغفر لنا وارحمنا) في الرحمة زيادة على المغفرة (انت مولانا) سيدنا ومتولي امورنا (فانصرنا على القوم الكافرين) باقامة الحجة والغلبة في قتالهم فان من شأن المولى ان ينصر مواليه على الاعداء وفي الحديث لما نزلت هذه الآية فقرأها صلى الله عليه وسلم قيل له عقب كل كلمة قد فعلت

سورة آل عمران مدنية مائتان او الآية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) الله اعلم بمراده بذلك (الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك) يا محمد (الكتاب) القرآن ملتبسا (بالحق) بالصدق في اخباره (مصدقا لما بين يديه) قبله من الكتب (وانزل التورية والانجيل من قبل) اي قبل تنزيله (هدى) حال بمعنى هادين من الضلالة (للناس) ممن تبعهما وعبر فيهما بأنزل وفي القرآن بنزل المقتضي للتكرير لانهما انزلا دفعة واحدة بخلافه (وانزل

ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين اسود وابيض ولا يزالون يأكلون ويشربون حتى يتبينالهم فنزلت ان صح فلعله كان قبل دخول رمضان وتأخير البيان الى وقت الحاجة جائز اوا كتفى اولا باشتهارها فى ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفى تجويز المباشرة الى الصبح الدلالة على جواز تأخير الغسل اليه وصحة صوم الصبح جنبا (ثم اتموا الصيام الى الليل) بيان آخر وقته واخراج الليل عنه ونفى صوم الوصال (ولا تباشروهن وانتم عاكفون فى المساجد) معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث فى المسجد بقصد القربة والمراد بالمباشرة الوطئ وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون فى المسجد ولا يختص بمسجد دون مسجد وان الوطئ يحرم فيه ويفسده لان النهى فى العبادات يوجب الفساد (تلك حدود الله) اى الاحكام التى ذكرت (فلا تقربوها) نهى ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يدانى الباطل فضلا عن ان يتخطى عنه كما قال عليه الصلوة والسلام ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه (كذلك) مثل ذلك التبيين (يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون) مخالفة الاوامر والنواهى (ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل) اى ولا يأكل بعضكم مال بعض بالوجه الذى لم يبحه الله تعالى و بين نصب على الظرف او الحال من الاموال (وتدلوا بها الى الحكام) عطف على المنهى او نصب باضمار ان والادلاء الالقاء اى ولا تلقوا حكومتها الى الحكام (لتأكلوا) بالتحاكم (فريقا) طائفة (من اموال الناس بالاثم) بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة او ملتبسين بالاثم (وانتم تعلمون) انكم مبطلون فان ارتكاب المعصية مع العلم بها اقبح روى ان عبدان الحضرمى ادعى على امرئ القيس الكندى قطعة من ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرئ القيس فهم به فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الآية فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى عبدان فنزلت وهى دليل على ان حكم القاضى لا ينفذ باطنا

الفرقان) بمعنى الكتب الفارقة بين الحق والباطل وذكره بعد ذكر الثلاثة ليعم ما عداها (ان الذين كفروا بآيات الله) القرآن وغيره (لهم عذاب شديد والله عزيز) غالب على امره فلا يمنعه شئ من انجاز وعده ووعيده (ذوانتقام) عقوبة شديدة ممن عصاه لا يقدر على مثلها احد (ان الله لا يخفى عليه شئ) كائن (فى الارض ولا فى السماء) لعلمه بما يقع فى العالم من كلى وجزئى وخصهما بالذكر لان الحس لا يتجاوزهما (هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء) من ذكورة وانوثة وبياض وسواد وغير ذلك (لا اله الا هو العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى صنعه (هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات) واضحات الدلالة (هن ام الكتاب) اصله المعتمد عليه فى الاحكام (واخر متشابهات) لا تفهم معانيها كأوائل السور

ويؤيده قوله عليه السلام انما انا بشر وانتم تختصمون الى ولعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض فاقضى له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشئ من حق اخيه فانما اقضى له قطعة من النار فليحملها او يذرها ﴿ يسألونك عن الاهلة ﴾ سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا مابال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوى ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ ﴿ قل هى مواقيت للناس والحج ﴾ اى انهم سألوا عن الحكمة فى اختلاف حال القمر وتبدل امره فامره الله ان يجيب بان الحكمة الظاهرة فى ذلك ان تكون معالم للناس يوقتون بها امورهم ومعالم للعبادات الموقتة يعرف بها اوقاتها وخصوصا الحج فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة والوقت الزمان المفروض لامر ﴿ وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى ﴾ كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون و يخرجون من نقب او فرجة وراءه و يعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر وانما البر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بماقبله انهم سألوا عن الامرين اوانه لما ذكر انها مواقيت الحج وهذا ايضا من افعالهم فى الحج ذكره للاستطراد اوانهم لما سألوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم النبوة عقب بذكره جواب ما سألوه تنبيها على ان اللائق بهم ان يسألوا امثال ذلك و يهتموا بالعلم بها اوان المراد به التنبيه على تعكيسهم السؤال بتمثيل حالهم بحال من ترك باب البيت ودخل من ورائه والمعنى وليس البر ان تعكسوا فى مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك ولم يجترئ على مثله ﴿ وأتوا البيوت من ابوابها ﴾ اذ ليس فى العدول بر فباشروا الامور من وجوهها ﴿ واتقوا الله ﴾ فى تغيير احكامه والاعتراض على افعاله ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ لكى تظفروا بالهدى والبر ﴿ وقاتلوا فى سبيل الله ﴾ جاهدوا لاعلاء كلمته واعزاز دينه ﴿ الذين يقاتلونكم ﴾ قيل كان ذلك قبل ان امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهبان والنساء اوالكفرة كلهم فانهم بصدد قتال المسلمين وعلى قصده ويؤيد الاول ما روى

وجعله كله محكما فى قوله احكمت آياته بمعنى انه ليس فيه عيب ومتشابها فى قوله كتابا متشابها بمعنى انه يشبه بعضه بعضا فى الحسن والصدق ﴿ فاما الذين فى قلوبهم زيغ ﴾ ميل عن الحق ﴿ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء ﴾ طلب ﴿ الفتنة ﴾ لجهالتهم بوقوعهم فى الشبهات واللبس ﴿ وابتغاء تأويله ﴾ تفسيره ﴿ ومايعلم تأويله ﴾ تفسيره ﴿ الا الله ﴾ وحده ﴿ والراسخون ﴾ الثابتون المتمكنون ﴿ فى العلم ﴾ مبتدأ خبره ﴿ يقولون آمنا به ﴾ اى بالمتشابه انه من عندالله ولا نعلم معناه ﴿ كل ﴾ من المحكم والمتشابه ﴿ من عند ربنا ومايذكر ﴾ بادغام التاء فى الاصل فى الذال اى يتعظ ﴿ الا اولوا الالباب ﴾ اصحاب العقول و يقولون ايضا اذا رأوا من يتبعه ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا ﴾ تملها عن الحق بابتغاء تأويله الذى لا يليق بنا

ان المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة شرفها الله ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون ان لايوفوا لهم ويقاتلوهم فى الحرم او الشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ﴿ ولا تعتدوا ﴾ بابتداء القتال او بقتال المعاهد او المفاجأة به من غير دعوة او المثلة اوقتل من نهيتم عن قتله ﴿ ان الله لايحب المعتدين ﴾ لايريد بهم الخير ﴿ واقتلوهم حيث ثقفتموهم ﴾ حيث وجدتموهم فى حل اوحرم واصل الثقف الحذق فى ادراك الشئ علما كان او عملا فهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال * فاما تثقفونى فاقتلونى * فمن اثقف فليس الى الخلود * ﴿ واخرجوهم من حيث اخرجوكم ﴾ اى من مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح ﴿ والفتنة اشد من القتل ﴾ اى المحنة التى يفتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وتألم النفس بها وقيل معناه شركهم فى الحرم وصدهم اياكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه ﴿ ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ﴾ اى لاتفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام ﴿ فان قاتلوكم فاقتلوهم ﴾ فلاتبالوا بقتالهم ثمه فانهم الذين هتكوا حرمته وقرأ حمزة والكسائى ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فيه فان قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو اسد ﴿ كذلك جزاء الكافرين ﴾ مثل ذلك جزاءهم يفعل بهم مثل مافعلوا ﴿ فان انتهوا ﴾ عن القتال والكفر ﴿ فان الله غفور رحيم ﴾ يغفر لهم ماقد سلف ﴿ وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ﴾ شرك ﴿ ويكون الدين لله ﴾ خالصا له ليس للشيطان فيه نصيب ﴿ فان انتهوا ﴾ عن الشرك ﴿ فلا عدوان الا على الظالمين ﴾ اى فلا تعتدوا على المنتهين اذ لايحسن ان يظلم الا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وسمى جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله * فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم * اوانكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الامر عليكم * والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء ﴿ الشهر الحرام بالشهر الحرام ﴾ قاتلهم المشركون عام الحديبية فى ذى القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه وكرهوا ان يقاتلوهم فيه لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذاك وهتكه بهتكه فلا تبالوا به ﴿ والحرمات قصاص ﴾ احتجاج عليه اى كل حرمة وهو مايجب ان يحافظ عليها يجرى فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة

كما أزغت قلوب اولئك ﴿ بعد اذهديتنا ﴾ أرشدتنا اليه ﴿ وهب لنا من لدنك ﴾ من عندك ﴿ رحمة ﴾ تثبيتا ﴿ انك أنت الوهاب ﴾ يا ﴿ ربنا انك جامع الناس ﴾ تجمعهم ﴿ ليوم ﴾ أى فى يوم ﴿ لاريب ﴾ شك ﴿ فيه ﴾ هو يوم القيمة فتجازيهم باعمالهم كما وعدت بذلك ﴿ ان الله لايخلف الميعاد ﴾ موعده بالبعث فيه التفات عن الخطاب ويحتمل أن يكون من كلامه تعالى والغرض من الدعاء بذلك بيان أن همهم امر الآخرة ولذلك سألوا الثبات على الهداية لينالوا ثوابها روى الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات الى آخرها وقال فاذا رأيت الذين يتبعون ماتشابه منه فاولئك الذين سمى الله فاحذروهم وروى الطبرانى فى الكبير عن أبى موسى الاشعرى أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول ماأخاف على أمتى الا ثلاث

خلال وذكر منها أن يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغي تأويله وليس يعلم تأويله الاالله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ومايذكر الاأولوا الالباب الحديث (ان الذين كفروا لن تغني) تدفع (عنهم أموالهم ولاأولادهم من الله) أي عذابه (شيئا وأولئك هم وقود النار) بفتح الواو ماتوقد به دأبهم (كدأب) كعادة (آل فرعون والذين من قبلهم) من الامم كعاد وثمود (كذبوا بآياتنا فأخذهم الله) أهلكهم (بذنوبهم) والجملة مفسرة لما قبلها (والله شديد العقاب) ونزل لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم اليهود بالاسلام مرجعه من بدر فقالوا له لايغرنك أن قتلت نفرا من قريش أغمارا لايعرفون القتال (قل) يامحمد (للذين كفروا) من اليهود (ستغلبون) بالتاء والياء في الدنيا بالقتل والاسر وضرب الجزية وقد وقع ذلك (وتحشرون) بالوجهين في الآخرة (الى جهنم)

واقتلوهم ان قاتلوكم كما قال (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم) وهو فذلكة التقرير (واتقوا الله) في الانتصار ولاتعتدوا الى مالم يرخص لكم (واعلموا ان الله مع المتقين) فيحرسهم ويصلح شانهم (وانفقوا في سبيل الله) ولاتمسكوا كل الامساك (ولاتلقوا بايديكم الى التهلكة) بالاسراف وتضييع وجه المعاش اوبالكف عن الغزو والانفاق فيه فان ذلك يقوي العدو ويسلطهم على اهلاككم ويؤيده ماروي عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهلينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت اوبالامساك وحب المال فانه يؤدي الى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الاصل انتهاء الشيء في الفساد والالقاء طرح الشيء وعدي بالى لتضمن معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بايدي الانفس والتهلكة والهلاك والهلك واحد فهي مصدر كالتضرة والتسرة اي لاتوقعوا انفسكم في الهلاك وقيل معناه لاتجعلوها آخذة بايديكم اولاتلقوا بايديكم انفسكم اليها فحذف المفعول (واحسنوا) اعمالكم واخلاقكم اوتفضلوا على المحاويج (ان الله يحب المحسنين واتموا الحج والعمرة لله) ائتوا بهما تامين مستجمعي المناسك لوجه الله تعالى وهو على هذا يدل على وجوبهما ويؤيده قراءة من قرأ واقيموا الحج والعمرة لله وماروي جابر رضي الله تعالى عنه انه قيل يارسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال لاولكن ان تعتمر خير لك معارض بماروي ان رجلا قال لعمر رضي الله تعالى عنه اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك ولايقال انه فسر وجد انهما مكتوبين بقوله اهللت بهما فجاز ان يكون الوجوب بسبب اهلاله بهما لانه رتب الاهلال على الوجدان وذلك يدل على انه سبب الاهلال دون العكس وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك اوان تفرد لكل منهما سفرا اوان تجرده لهما لاتشوبهما بغرض دنيوي او ان تكون النفقة حلالا (فان احصرتم) منعتم يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه من المضي مثل صده واصده والمراد حصر العدو عند مالك والشافعي رحمهما الله تعالى لقوله تعالى فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لاحصر الاحصر العدو وكل منع من عدو اومرض اوغيرهما عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى لماروي عنه عليه الصلوة والسلام من كسر اوعرج

فعليه الحج من قابل وهو ضعيف مأول بما اذا شرط الاحلال به لقوله عليه
الصلوة والسلام لضباعة بنت الزبير حجى واشترطى وقولى اللهم محلى حيث
حبستنى (فما استيسر من الهدى) فعليكم ما استيسر اوفالواجب ما استيسر
اوفاهدوا ما استيسر والمعنى ان احصر المحرم واراد ان يتحلل تحلل بذبح
هدى ما تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر لانه
عليه الصلوة والسلام ذبح عام الحديبية بها وهى من الحل وعند ابى
حنيفة رحمه الله تعالى يبعث به ويجعل للمبعوث على يده يوم امار فاذا جاء
اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله (ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله)
اى لا تحلقوا حتى تعلموا ان الهدى المبعوث الى الحرم بلغ محله اى مكانه الذى
يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدى محله على ذبحه حيث يحل الذبح
فيه حلا كان او حرما واقتصاره على الهدى دليل على عدم القضاء وقال
ابو حنيفة رحمه الله تعالى يجب القضاء والمحل بالكسر يطلق على المكان والزمان
والهدى جمع هدية كجدى وجدية وقرئ من الهدى جمع هدية كمطى فى مطية
(فمن كان منكم مريضا) مرضا يحوجه الى الحلق (او به اذى من رأسه)
كجراحة وقمل (ففدية) فعليه فدية ان حلق (من صيام او صدقة او نسك)
بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روى انه عليه الصلوة والسلام
قال لكعب بن عجرة لعلك آذاك هوامك قال نعم يارسول الله قال احلق
وصم ثلاثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق
ثلاثة اصوع (فاذا امنتم) الاحصار او كنتم فى حال امن وسعة (فمن تمتع
بالعمرة الى الحج) فمن استمتع او انتفع بالتقرب الى الله بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه
بالحج فى اشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات
الاحرام الى ان يحرم بالحج (فما استيسر من الهدى) فعليه دم استيسره
بسبب التمتع فهو دم جبر ان يذبحه اذا احرم بالحج ولا يأكل منه وقال ابو حنيفة
رحمه الله تعالى انه دم نسك فهو كالاضحيه (فمن لم يجد) اى الهدى (فصيام
ثلاثة ايام فى الحج) فى ايام الاشتغال به بعد الاحرام وقبل التحلل وقال ابو حنيفة
رحمه الله فى اشهره بين الاحرامين والاحب ان يصوم سابع ذى الحجة
وثامنه وتاسعه ولا يجوز يوم النحر وايام التشريق عند الاكثرين (وسبعة
اذا رجعتم) الى اهليكم وهو احد قولى الشافعى رضى الله تعالى عنه او نفرتم
وفرغتم من اعماله وهو قوله الثانى ومذهب ابى حنيفة رحمه الله تعالى وقرئ
سبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة ايام (تلك عشرة) فذلكة الحساب

فتدخلونها (وبئس المهاد) الفراش هى (قد كان لكم آية) عبرة وذكر الفعل للفصل (فى فئتين) فرقتين (التقتا) يوم بدر للقتال (فئة تقاتل فى سبيل الله) أى طاعته وهم النبى وأصحابه وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا معهم فرسان وست أدرع وثمانية سيوف وأكثرهم رجالة (وأخرى كافرة يرونهم) أى الكفار (مثليهم) أى المسلمين أى أكثر منهم وكانوا نحو ألف (رأى العين) أى رؤية ظاهرة معاينة وقد نصرهم الله مع قلتهم (والله يؤيد) يقوى (بنصره من يشاء) نصره (ان فى ذلك) المذكور (لعبرة لاولى الابصار) لذوى البصائر أفلا تعتبرون بذلك فتؤمنون (زين للناس حب الشهوات) ما تشتهيه النفس وتدعو اليه زينها الله ابتلاء أو الشيطان (من النساء والبنين والقناطير) الاموال الكثيرة (المقنطرة) المجمعة (من الذهب والفضة والخيل المسومة) الحسان (والانعام) أى الابل والبقر والغنم

وفائدتها ان لايتوهم متوهم ان الواو بمعنى او كقولك جالس الحسن اوابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب وان المراد بالسبعة العدد دون الكثرة فانه يطلق لهما (كاملة) صفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة العدد اومبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل اذ به تنتهي الآحاد وتتم مراتبها اومقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدى (ذلك) اشارة الى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى اذ لامتعة ولاقران لحاضري المسجد الحرام عنده فمن فعل ذلك اي التمتع منهم فعليه دم جناية (لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام) وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عندنا فان من كان على اقل فهو مقيم الحرم اوفي حكمه ومن مسكنه وراء الميقات عنده واهل الحل عند طاوس وغير المكي عند مالك (واتقوا الله) في المحافظة على اوامره ونواهيه وخصوصا في الحج (واعلموا ان الله شديد العقاب) لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان (الحج اشهر) اي وقته كقولك البرد شهران (معلومات) معروفات وهي شوال وذوالقعدة وتسع من ذي الحجة بليلة النحر عندنا والعشر عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى عليه وذوالحجة كله عند مالك وبناء الخلاف على ان المراد بوقته وقت احرامه اووقت اعماله ومناسكه اومالايحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة رحمه الله وان صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي شهرين وبعض الشهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل اواطلاقا للجمع على مافوق الواحد (فمن فرض فيهن الحج) فمن اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن عندنا اوبالتلبية اوسوق الهدي عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى وهو دليل على ماذهب اليه الشافعي رحمه الله تعالى وان من احرم الحج لزمه الاتمام (فلارفث) فلاجماع اوفلافحش من الكلام (ولافسوق) ولاخروج عن حدود الشرع بالسباب وارتكاب المحظورات (ولاجدال) ولامراء مع الخدم والرفقة (في الحج) في ايامه نفي الثلاثة على قصد النهي للمبالغة وللدلالة على انها حقيقة بان لاتكون وماكانت منها مستقبحة في انفسها ففي الحج اقبح كلبس الحرير في الصلوة والتطريب بقراءة القرآن لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرأ ابن كثير وابو عمرو الاولين بالرفع على معنى لايكونن رفث ولافسوق والثالث بالفتح

(والحرث) الزرع (ذلك) المذكور (متاع الحيوة الدنيا) يتمتع به فيها ثم يفنى (والله عنده حسن المآب) المرجع وهو الجنة فينبغي الرغبة فيه دون غيره (قل) يامحمد لقومك (أؤنبئكم) أخبركم (بخير من ذلكم) المذكور من الشهوات استفهام تقرير (للذين اتقوا) الشرك (عند ربهم) خبر مبتدأه (جنات تجري من تحتها الانهار خالدين) أي مقدرين الخلود (فيها) اذا دخلوها (وأزواج مطهرة) من الحيض وغيره مما يستقذر (ورضوان) بكسر أوله وضمه لغتان أي رضا كثير (من الله والله بصير) عالم (بالعباد) فيجازي كلا منهم بعمله (الذين) نعت أو بدل من الذين قبله (يقولون) يا (ربنا اننا آمنا) صدقنا بك وبرسولك (فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين) على الطاعة وعن المعصية نعت (والصادقين) في الايمان (والقانتين) المطيعين لله (والمنفقين) المتصدقين (والمستغفرين) بان يقولوا

على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف فى الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفة ﴿ وما تفعلوا من خير يعلمه الله ﴾ حث على الخير عقيب النهى عن الشر ليستبدل به ويستعمل مكانه ﴿ وتزودوا فان خير الزاد التقوى ﴾ وتزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت فى اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا و يتقوا الابرام فى السؤال والتثقيل على الناس ﴿ واتقون يا اولى الالباب ﴾ فان قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله تعالى فيتبرأوا من كل شئ سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص اولى الالباب بهذا الخطاب ﴿ ليس عليكم جناح ان تبتغوا ﴾ اى فى ان تبتغوا اى تطلبوا ﴿ فضلا من ربكم ﴾ عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم فى الجاهلية يقيمونها مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت ﴿ فاذا افضتم من عرفات ﴾ دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف فى دفعت من البصرة وعرفات جمع سمى به كاذرعات وانما نون وكسر وفيه العلمية والتأنيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك اولان التأنيث اما ان يكون بالتاء المذكورة وهى ليست تاء تأنيث وانما هى مع الالف التى قبلها علامة جمع المؤنث او بتاء مقدرة كما فى سعاد ولا يصح تقديرها لان المذكورة تمنعه من حيث انها كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمى الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه الصلوة والسلام فلما ابصره عرفه اولان جبريل عليه السلام كان يدور به فى المشاعر فلما اراه قال قد عرفت اولان آدم وحواء التقيا فيه فتعارفا اولان الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة فى ذلك وهى من الاسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف وفيه دليل وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهى مأمور بها بقوله ثم افيضوا او مقدمة للذكر المأمور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب بل مستحب وعلى تقدير انه واجب فهو واجب مقيد لا واجب مطلق حتى يجب مقدمته

اللهم اغفر لنا (بالاسحار) أواخر الليل خصت بالذكر لانها وقت الغفلة ولذة النوم (شهد الله) بين لخلقه بالدلائل والآيات (أنه لا اله) أى لا معبود فى الوجود بحق (الا هو و) شهد بذلك (الملائكة) بالاقرار (وأولوا العلم) من الانبياء والمؤمنين بالاعتقاد واللفظ (قائما) بتدبير مصنوعاته ونصبه على الحال والعامل فيها معنى الجملة أى تفرد (بالقسط) بالعدل (لا اله الا هو) كرره تأكيدا (العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى صنعه (ان الدين) المرضى (عند الله) هو (الاسلام) أى الشرع المبعوث به الرسل المبنى على التوحيد وفى قراءة بفتح ان بدل من انه الخ بدل اشتمال (وما اختلف الذين اوتوا الكتاب) اليهود والنصارى فى الدين بان وحد بعض وكفر بعض (الا من بعد ما جاءهم العلم) بالتوحيد (بغيا) من الكافرين (بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب) أى المجازات له (فان حاجوك)

خاصمك الكفار يا محمد فى الدين (فقل) لهم (أسلمت وجهى لله) انقدت له أنا (ومن اتبعنى) وخص الوجه بالذكر لشرفه فغيره أولى (وقل للذين اوتوا الكتاب) اليهود والنصارى (والاميين) مشركى العرب (ءاسلمتم) اى اسلموا (فان اسلموا فقد اهتدوا) من الضلال (وان تولوا) عن الاسلام (فانما عليك البلاغ) التبليغ للرسالة (والله بصير بالعباد) فيجازيهم باعمالهم وهذا قبل الامر بالقتال (ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون) وفى قراءة يقاتلون (النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط) بالعدل (من الناس) وهم اليهود روى أنهم قتلوا ثلاثة واربعين نبيا فنهاهم مائة وسبعون من عبادهم فقتلوهم من يومهم (فبشرهم) اعلمهم (بعذاب اليم) مؤلم وذكر البشارة تهكم بهم ودخلت الفاء فى خبر ان لشبه اسمها الموصول بالشرط (اولئك الذين حبطت) بطلت (اعمالهم) ما عملوا من خير كصدقة

والامر به غير مطلق (فاذكروا الله) بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلوة العشائين (عند المشعر الحرام) جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل مابين مأزمى عرفة ووادى محسر ويؤيد الاول ماروى جابر انه عليه الصلوة والسلام لما صلى الفجر يعنى بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمى مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادى محسر (واذكروه كما هداكم) كما علمكم او اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية اوكافة (وان كنتم من قبله) اى الهدى (لمن الضالين) اى الجاهلين بالايمان والطاعة وان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله تعالى * وان نظنك لمن الكاذبين * (ثم افيضوا من حيث افاض الناس) اى من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت مابين الافاضتين كما فى قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناس بالكسر اى الناسى يريد آدم من قوله سبحانه وتعالى فنسى والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه (واستغفروا الله) من جاهليتكم فى تغيير المناسك ونحوه (ان الله غفور رحيم) يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه (فاذا قضيتم مناسككم) فاذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم منها (فاذكروا الله كذكركم آبائكم) فاكثروا ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر آبائكم فى المفاخرة وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم (اواشد ذكرا) اما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله ذكرا كذكركم آبائكم او كذكر اشد منه وابلغ اوعلى ما اضيف اليه بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا واما منصوب بالعطف على آبائكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورا من آبائكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لآبائكم (فمن الناس من يقول) تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب بذكر الله الا الدنيا ومكثر يطلب به خير الدارين والمراد الحث على الاكثار

(والارشاد)

والارشاد اليه (ربنا آتنا فى الدنيا) اجعل ايتاءنا ومنحتنا فى الدنيا (وماله فى الآخرة من خلاق) اى نصيب وحظ لان همه مقصور بالدنيا او من طلب خلاق (ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة) يعنى الصحة والكفاف وتوفيق الخير (وفى الآخرة حسنة) يعنى الثواب والرحمة (وقنا عذاب النار) بالعفو والمغفرة وقول على رضى الله تعالى عنه الحسنة فى الدنيا المرأة الصالحة وفى الآخرة الحوراء وعذاب النار المرأة السوء وقول الحسن الحسنة فى الدنيا العلم والعبادة وفى الآخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار امثلة للمراد بها (اولئك) اشارة الى الفريق الثانى وقيل اليهما (لهم نصيب مما كسبوا) اى من جنسه وهو جزاؤه او من اجله كقوله تعالى * مما خطيئاتهم اغرقوا * او مما دعوا به نعطيهم منه ماقدرناه فسمى الدعاء كسبا لانه من الاعمال (والله سريع الحساب) يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم فى مقدار لمحة اويوشك ان يقيم القيمة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات (واذكروا الله فى ايام معدودات) كبروه ادبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمى الجمار وغيرها فى ايام التشريق (فمن تعجل) فمن استعجل النفر (فى يومين) يوم القر والذى بعده اى فمن نفر فى ثانى ايام التشريق بعد رمى الجمار عندنا وقبل طلوع الفجر عند ابى حنيفة (فلا اثم عليه) باستعجاله (ومن تأخر فلا اثم عليه) ومن تأخر فى النفر حتى رمى فى اليوم الثالث بعد الزوال وقال ابو حنيفة يجوز تقديم رميه على الزوال ومعنى نفى الاثم بالتعجيل والتأخير التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتأخر (لمن اتقى) اى الذى ذكر من التخيير او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به اولاجله حتى لايتضرر بترك مايهمه منهما (واتقوا الله) فى مجامع اموركم ليعبأ بكم (واعلموا انكم اليه تحشرون) للجزاء بعد الاحياء واصل الحشر الجمع وضم المتفرق (ومن الناس من يعجبك قوله) يروقك ويعظم فى نفسك والتعجب حيرة تعرض للانسان لجهله بسبب المتعجب منه (فى الحيوة الدنيا) متعلق بالقول اى مايقوله فى امور الدنيا واسباب المعاش او فى معنى الدنيا فانها مراده من ادعاء المحبة واظهار الايمان او بيعجبك اى يعجبك قوله فى الدنيا حلاوة وفصاحة ولايعجبك فى الآخرة لمايعتريه من الدهشة والحبسة او لانه لايؤذن له

وصلة رحم (فى الدنيا والآخرة) فلا اعتداد بها لعدم شرطها (ومالهم من ناصرين) مانعين من العذاب (الم تر) تنظر (الى الذين اوتوا نصيبا) حظا (من الكتاب) التورية (يدعون) حال (الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون) عن قبول حكمه نزل فى اليهود زنى منهم اثنان فتحاكموا الى النبى صلى الله عليه وسلم فحكم عليهما بالرجم فابوا فجيء بالتورية فوجد فيها فرجما فغضبوا (ذلك) التولى والاعراض (بانهم قالوا) اى بسبب قولهم (لن تمسنا النار الا اياما معدودات) اربعين يوما مدة عبادة آبائهم العجل ثم تزول عنهم (وغرهم فى دينهم) متعلق بقوله (ماكانوا يفترون) من قولهم ذلك (فكيف) حالهم (اذا جمعناهم ليوم) اى فى يوم (لاريب) شك (فيه) هو يوم القيمة (ووفيت كل نفس) من اهل الكتاب وغيرهم جزاء (ماكسبت) عملت من خير

فى الكلام (و يشهد الله على ما فى قلبه) يحلف و يستشهد الله على ان ما فى قلبه موافق لكلامه (وهو الد الخصام) شديد العداوة و الجدال للمسلمين و الخصام المخاصمة و يجوز ان يكون جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى اشد الخصوم خصومة قيل نزلت فى الاخنس بن شريق الثقفى وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويدعى الاسلام وقيل فى المنافقين كلهم (واذا تولى) ادبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا (سعى فى الارض ليفسد فيها و يهلك الحرث والنسل) كما فعله الاخنس بثقيف اذبيتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم اوكما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف اوبالظلم حتى يمنع الله بشومه القطر فيهلك الحرث والنسل (والله لايحب الفساد) لايرتضيه فاحذروا غضبه عليه (واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم) حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذى يؤمر باتقائه لجاجا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه (فحسبه جهنم) كفته جزاء وعذابا وجهنم علم لدار العقاب وهى فى الاصل مرادف للنار وقيل معرب (ولبئس المهاد) جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به والمهاد الفراش وقيل مايوطأ للجنب (ومن الناس من يشرى نفسه) يبيعها اى يبذلها فى الجهاد اويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل (ابتغاء مرضاة الله) طلبا لرضاه وقيل انها نزلت فى صهيب بن سنان الرومى اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال انى شيخ كبير لاينفعكم ان كنت معكم ولايضركم ان كنت عليكم فخلونى ومالنا عليه وخذوا مالى فقبلوه منه واتى المدينة (والله رؤف بالعباد) حيث ارشدهم الى مثل هذا الشراء وكلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء (ياايها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة) السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة ولذلك يطلق فى الصلح والاسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائى وكسره الباقون وكافة اسم للجملة لانها تكف الاجزاء عن التفرق حال من الضمير او السلم لانها تؤنث كالحرب قال * السلم تأخذ منها مارضيت به * والحرب يكفيك من انفاسها جرع * والمعنى استسلموا الله واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين اوادخلوا فى الاسلام بكليتكم ولاتخلطوا به غيره والخطاب لمؤمنى اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل والبانها او

وشر (وهم) اى الناس (لايظلمون) بنقص حسنة او زيادة سيئة ونزل لما وعد صلى الله عليه وسلم امته ملك فارس والروم فقال المنافقون هيهات (قل اللهم) ياالله (مالك الملك تؤتى) تعطى (الملك من تشاء) من خلقك (وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء) بايتائه (وتذل من تشاء) بنزعه منه (بيدك) بقدرتك (الخير) اى والشر (انك على كل شئ قدير تولج) تدخل (الليل فى النهار وتولج النهار) تدخله (فى الليل) فيزيد كل منهما بمانقص من الآخر (وتخرج الحى من الميت) كالانسان والطائر من النطفة والبيضة (وتخرج الميت) كالنطفة والبيضة (من الحى وترزق من تشاء بغير حساب) اى رزقا واسعا (لايتخذ المؤمنون الكافرين اولياء) يوالونهم (من دون) اى غير (المؤمنين ومن يفعل ذلك) اى يواليهم (فليس من) دين (الله فى شئ الا ان تتقوا منهم تقاة) مصدر تقيته اى تخافوا مخافة فلكم موالاتهم

فى شرائع الله كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب او فى شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلو بشئ والخطاب للمسلمين (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) بالتفرق والتفريق (انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة (فان زللتم) عن الدخول فى السلم (من بعد ماجاءتكم البينات) الآيات والحجج الشاهدة على انه الحق (فاعلموا ان الله عزيز) لايعجزه الانتقام (حكيم) لاينتقم الا بالحق (هل ينظرون) استفهام فى معنى النفى ولذلك جاء بعده (الا ان يأتيهم الله) اى يأتيهم امره او بأسه كقوله تعالى او يأتى امر ربك فجاءهم بأسنا * او يأتيهم الله ببأسه فحذف المأتى به للدلالة عليه بقوله تعالى * ان الله عزيز حكيم (فى ظلل) جمع ظلة كقلة وقلل وهى ماأظلك وقرئ ظلال كقلال (من الغمام) السحاب الابيض وانما يأتيهم العذاب فيه لانه مظنة الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان افظع لان الشر اذا جاء من حيث لايحتسب كان اصعب فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير (والملائكة) فانهم الواسطة فى اتيان امره او الآتون على الحقيقة ببأسه وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام (وقضى الامر) اتم امر اهلاكهم وفرغ منه وضع الماضى موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة (والى الله ترجع الامور) قرأه ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم على البناء للمفعول على انه من الرجع وقرأ الباقون على البناء للفاعل بالتأنيث غير يعقوب على انه من الرجوع وقرئ ايضا بالتذكير وبناء المفعول (سل بنى اسرائيل) امر للرسول صلى الله عليه وسلم اولكل احد والمراد بهذا السؤال تقريعهم (كم آتيناهم من آية بينة) معجزة ظاهرة او آية فى الكتب شاهدة على الحق والصواب على ايدى الانبياء وكم خبرية اواستفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر الى المبتدأ وآية مميزها ومن للفصل (ومن يبدل نعمة الله) اى آيات الله فانها سبب الهدى الذى هو اجل النعم بجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس او بالتحريف والتأويل الزائغ (من بعد ماجاءته) من بعد ماوصلت اليه وتمكن من معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد ماعقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل (فان الله شديد العقاب) فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب

باللسان دون القلب وهذا قبل عزة الاسلام ويجرى فيمن هو فى بلد ليس قويا فيها (ويحذركم) يخوفكم (الله نفسه) ان يغضب عليكم ان واليتموهم (والى الله المصير) المرجع فيجازيكم (قل) لهم (ان تخفوا ما فى صدوركم) من موالاتهم (أو تبدوه) تظهروه (يعلمه الله و) هو (يعلم ما فى السموات وما فى الارض والله على كل شئ قدير) ومنه تعذيب من والاهم اذكر (يوم تجد كل نفس ماعملت)ه (من خير محضرا وماعملت)ه (من سوء) مبتدأ خبره (تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا) غاية فى نهاية البعد فلايصل اليها (ويحذركم الله نفسه) كرر للتأكيد (والله رؤف بالعباد) * ونزل لما قالوا مانعبد الاصنام الا حبا لله ليقربونا اليه (قل) لهم يامحمد (ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) بمعنى أنه يثيبكم (ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور) لمن اتبعنى ماسلف منه قبل ذلك (رحيم) به (قل) لهم (أطيعوا الله

اشـد جريمة ﴿ زين للذين كفروا الحيوة الدنيـا ﴾ حسـنت فى اعينهم واشربت محبتهـا فى قلوبهم حتى تهالكوا عليهـا واعرضوا عن غيرهـا والمزين على الحقيقـة هو الله تعـالى اذ ما من شئ الا وهو فاعله ويدل عليـه قراءة زين على البنـاء للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانيـة وماخلق الله من الامور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض ﴿ ويسخرون من الذين آمنوا ﴾ يريد فقراء المؤمنـين كبلال وعمـار وصهيب اى يسترذلونهم ويسـتهزؤن بهم على رفضهم الدنيـا واقبـالهم على العقبى ومن للابتـداء كأنهم جعلوا مبـدأ السخرية منهم ﴿ والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة ﴾ لانهم فى عليـين وهم فى اسفل السـافلين او لانهم فى كرامة وهم فى مذلة او لأنهم يتطـاولون عليهم فيسـخرون منهم كما سـخروا منهم فى الدنيـا وانما قال والذين اتقوا بعـد قوله من الذين آمنوا ليـدل على انهم متقـون وان استعلاءهم للتقوى ﴿ والله يرزق من يشـاء ﴾ فى الدارين ﴿ بغير حساب ﴾ بغير تقدير فيوسع فى الدنيـا استدراجا تارة وابتلاء اخرى ﴿ كان الناس امة واحدة ﴾ متفقين على الحق فيما بين آدم وادريس او نوح او بعد الطوفان او متفقين على الجهالة والكفر فى فترة ادريس او نوح ﴿ فبعث الله النبيين مبشرين ومنـذرين ﴾ اى اختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذى علمته من عدد الانبيـاء مائة واربعة وعشرون الفـا والمرسل منهم ثلاثمـائة وثلاثة عشر والمذكور فى القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون ﴿ وانزل معهم الكتاب ﴾ يريد به الجنس ولا يريد به انه انزل مع كل واحد كتابا يخصه فان اكثرهم لم يكن معهم كتاب يخصهم وانما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم ﴿ بالحق ﴾ حال من الكتاب اى ملتبسا بالحق شاهدا به ﴿ ليحكم بين الناس ﴾ اى الله او النبى المبعوث او كتابه ﴿ فيما اختلفوا فيه ﴾ فى الحق الذى اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم ﴿ وما اختلف فيه ﴾ فى الحق او الكتاب ﴿ الا الذين اوتوه ﴾ اى الكتاب المنزل لازالة الخلاف اى عكسوا الامر فجعلوا ما انزل مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه ﴿ من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم ﴾ حسدا بينهم او ظلما لحرصهم على الدنيا ﴿ فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه ﴾ اى للحق الذى اختلف فيه من اختلف ﴿ من الحق ﴾ بيان لما اختلفوا فيه

والرسـول) فيما يأمركم به من التوحيـد (فان تولوا) أعرضـوا عن الطـاعة (فان الله لا يحب الكافرين) فيـه اقامة الظـاهر مقـام الضمير أى لا يحبهم بمعنى أنه يعـاقبهم (ان الله اصطفى) اختـار (آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران) بمعنى أنفسهما (على العـالمين) بجعل الانبيـاء من نسـلهم (ذرية بعضـها من) ولد (بعض) منهم (والله سميع عليم) اذكر (اذ قالت امراة عمران) حنة لما أسنت واشتاقت للولد فدعت الله وأحست بالحمل يا (رب انى نذرت) أن أجعـل (لك ما فى بطنى محررا) عتيقـا خالصـا من شواغل الدنيـا لخدمة بيتك المقدس (فتقبل منى انك انت السـميع) للدعاء (العليم) بالنيـات وهلك عمران وهى حامل (فلمـا وضعتهـا) ولدتهـا جارية وكانت ترجو أن يكون غلاما اذ لم يكن يحرر الا الغلمـان (قالت) معتذرة يا (رب انى وضعتها انثى والله أعلم) أى عالم (بمـا وضعت) جمـلة

(باذنه) بامره او بارادته ولطفه (والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) لايضل سالكه (ام حسبتم ان تدخلوا الجنة) خاطب به النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بعد ماذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد مجئ الآيات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفيهم وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار (ولما يأتكم) ولم يأتكم واصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع ولذلك جعل مقابل قد (مثل الذين خلوا من قبلكم) حالهم التى هى مثل فى الشدة (مستهم البأساء والضراء) بيان له على الاستئناف (وزلزلوا) وازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدائد (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه) لتناهى الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر وقرأ نافع يقول بالرفع على انها حكاية حال ماضية كقولك مرض حتى لايرجونه (متى نصر الله) استبطاء له لتأخره (الا ان نصر الله قريب) استئناف على ارادة القول اى فقيل لهم ذلك اسعافا لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وفيه اشارة الى ان الوصول الى الله والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدائد والرياضات كما قال عليه الصلوة والسلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات (يسألونك ماذا ينفقون) عن ابن عباس رضى الله عنهما ان عمرو بن الجموح الانصارى كان شيخا هاما ذا مال عظيم فقال يارسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت (قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل) سئل عن المنفق فاجيب ببيان المصرف لانه اهم فان اعتداد النفقة باعتباره ولانه كان فى سؤال عمرو وان لم يكن مذكورا فى الآية واقتصر فى بيان المنفق على ماتضمنه قوله ما انفقتم من خير (وماتفعلوا من خير) فى معنى الشرط (فان الله به عليم) جوابه اى ان تفعلوا خيرا فان الله يعلم كنهه ويوفى ثوابه وليس فى الآية ماينافيه فرض الزكوة لينسخ به (كتب عليكم القتال وهو كره لكم) شاق عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة او فعل بمعنى مفعول كالخبز وقرأ بالفتح على انه لغة فيه كالضعف والضعف او بمعنى الاكراه على المجاز كأنهم اكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته كقوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها (وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم) وهو جميع ماكلفوا به فان الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم (وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم) وهو جميع مانهوا عنه فان النفس تحبه وتهواه وهو يفضى بها الى الردى وانما ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت

اعتراض من كلامه تعالى وفى قراءة بضم التاء (وليس الذكر) الذى طلبت (كالانثى) التى وهبت لانه يقصد للخدمة وهى لاتصلح لها لضعفها وعورتها ومايعتريها من الحيض ونحوه (وانى سميتها مريم وانى اعيذها بك وذريتها) اولادها (من الشيطان الرجيم) المطرود فى الحديث مامن مولود يولد الا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا الا مريم وابنها رواه الشيخان (فتقبلها ربها) اى قبل مريم من امها (بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا) انشأها بخلق حسن فكانت تنبت فى اليوم كما ينبت المولود فى العام واتت بها امها الاحبار سدنة بيت المقدس فقالت دونكم هذه النذرة فتنافسوا فيها لانها بنت امامهم فقال زكريا انا احق بها لان خالتها عندى فقالوا لاحتى نقترع فانطلقوا وهم تسعة وعشرون الى نهر الاردن والقوا اقلامهم على ان من ثبت قلمه فى الماء وصعد فهو اولى بها فثبت قلم زكريا

ينعكس الامر عليها (والله يعلم) ماهو خير لكم (وانتم لاتعلمون) ذلك وفيه دليل على ان الاحكام تتبع المصالح الراجحة وان لم تعرف عينها (يسألونك عن الشهر الحرام) روى انه عليه الصلوة والسلام بعث عبدالله بن جحش ابن عمته اميرا على سرية فى جمادى الآخرة قبل بدر بشهرين ليترصد عير القريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمى وثلاثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم وشق على اصحاب السرية وقالوا مانبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسارى وعن ابن عباس رضى الله عنهما لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة وهو اول غنيمة فى الاسلام والسائلون هم المشركون كتبوا اليه فى ذلك تشنيعا وتعييرا وقيل اصحاب السرية (قتال فيه) بدل اشتمال من الشهر الحرام وقرئ عن قتال بتكرير العامل (قل قتال فيه كبير) اى ذنب كبير والاكثر على انه منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف والاولى منع دلالة الآية على حرمة القتال فيه مطلقا فان قتالا فيه نكرة فى حيز مثبت فلاتعم (وصد) صرف ومنع (عن سبيل الله) اى الاسلام اومايوصل العبد الى الله من الطاعات (وكفر به) اى بالله (والمسجد الحرام) على ارادة المضاف اى وصد المسجد الحرام كقول ابى دواد * اكل امرىء تحسبين امرأ * ونار توقد بالليل نارا * ولايحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله وكفر به على صد مانع منه اذ لايقدم العطف على الموصول على العطف على الصلة ولا على الهاء فى به فان العطف على الضمير المجرور انما يكون باعادة الجار (واخراج اهله منه) اهل المسجد وهم النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنون (اكبر عند الله) مما فعلته السرية خطأ وبناء على الظن وهو خبر عن الاشياء الاربعة المعدودة من كبائر قريش وافعل من يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث (والفتنة اكبر من القتل) اى ماترتكبونه من الاخراج والشرك افظع مما ارتكبوه من قتل الحضرمى (ولايزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم) اخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وانهم لاينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل

فاخذها وبنى لها غرفة فى المسجد بسلم لا يصعد اليها غيره وكان يأتيها باكلها وشربها ودهنها فيجد عندها فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف كما قال تعالى (وكفلها زكريا) ضمها اليه وفى قراءة بالتشديد ونصب زكريا ممدودا ومقصورا والفاعل الله (كلما دخل عليها زكريا المحراب) الغرفة وهى اشرف المجالس (وجد عندها رزقا قال يامريم انى) من اين (لك هذا قالت) وهى صغيرة (هو من عندالله) يأتينى به من الجنة (ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) رزقا واسعا بلاتبعة (هنالك) اى لما رأى زكريا ذلك وعلم ان القادر على الاتيان بالشئ فى غير حينه قادر على الاتيان بالولد على الكبر وكان اهل بيته انقرضوا (دعا زكريا ربه) لما دخل المحراب للصلوة جوف الليل (قال رب هب لى من لدنك) من عندك (ذرية طيبة) ولدا صالحا (انك سميع) مجيب (الدعاء فنادته الملائكة) اى جبريل

كقولك اعبدالله حتى ادخل الجنة لقوله ﴿ ان استطاعوا ﴾ وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته على قرنه ان ظفرت بى فلا تبق على وايذان بانهم لا يردونهم ﴿ ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم ﴾ قيدالردة بالموت عليها فى احباط الاعمال كما هو مذهب الشافعى والمراد بها الاعمال النافعة وقرئ حبطت بالفتح وهى لغة فيه ﴿ فى الدنيا ﴾ لبطلان ماتخيلوه وفوات ماللاسلام من الفوائد الدنيوية ﴿ والآخرة ﴾ بسقوط الثواب ﴿ واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ كسائر الكفرة ﴿ ان الذين آمنوا ﴾ نزلت ايضا فى اصحاب السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر ﴿ والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله ﴾ كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد كأنهما مستقلان فى تحقيق الرجاء ﴿ اولئك يرجون رحمة الله ﴾ ثوابه اثبت لهم الرجاء اشعارا بان العمل غير موجب ولا قاطع فى الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم ﴿ والله غفور ﴾ لما فعلوه خطأ وقلة احتياط ﴿ رحيم ﴾ باجزال الاجر والثواب ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر ﴾ روى انه نزل بمكة قوله تعالى * ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا * فاخذ المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذا فى نفر من الصحابة قالوا افتنا يارسول الله فى الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبدالرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا فسكروا فأم احدهم فقرأ اعبد ماتعبدون فنزلت لاتقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن ابى وقاص فى نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فانشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصارى بلحى بعير فشجه فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضى الله عنه بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله * فهل انتم منتهون فقال عمر رضى الله عنه انتهينا يارب والخمر فى الاصل مصدر خمره اذاستره سمى بها نقيع العنب والتمر اذا اشتد وغلا كأنه يخمر العقل كما سمى سكرا لانه يسكره اى يحجزه وهى حرام مطلقا وكذا كل ماا سكر عند اكثر العلماء وقال ابو حنيفة عصير الزبيب والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه مادون السكر والميسر ايضا مصدر كالموعد سمى به القمار لانه اخذ مال الغير بيسر او سلب يساره والمعنى يسألونك عن تعاطيهما لقوله تعالى ﴿ قل فيهما ﴾ اى فى تعاطيهما ﴿ اثم كبير ﴾

﴿ وهو قائم يصلى فى المحراب ﴾ اى المسجد ﴿ ان ﴾ اى بأن وفى قراءة بالكسر بتقدير القول ﴿ الله يبشرك ﴾ مثقلا ومخففا ﴿ بيحيى مصدقا بكلمة ﴾ كائنة ﴿ من الله ﴾ اى بعيسى انه روح الله وسمى كلمة لانه خلق بكلمة كن ﴿ وسيدا ﴾ متبوعا ﴿ وحصورا ﴾ ممنوعا من النساء ﴿ ونبيا من الصالحين ﴾ روى انه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها ﴿ قال رب انى ﴾ كيف ﴿ يكون لى غلام ﴾ ولد ﴿ وقد بلغنى الكبر ﴾ اى بلغت نهاية السن مائة وعشرين سنة ﴿ وامرأتى عاقر ﴾ بلغت ثمانيا وتسعين سنة ﴿ قال ﴾ الامر ﴿ كذلك ﴾ من خلق الله غلاما منكما ﴿ الله يفعل مايشاء ﴾ لايعجزه عنه شئ ولاظهار هذه القدرة العظيمة الهمه السؤال ليجاب بها ولما تاقت نفسه الى سرعة المبشر به ﴿ قال رب اجعل لى آية ﴾ اى علامة على حمل امرأتى ﴿ قال آيتك ﴾ عليه ﴿ ان لا تكلم الناس ﴾ اى تمتنع من كلامهم بخلاف ذكر الله تعالى ﴿ ثلاثة ايام ﴾ اى بلياليها ﴿ الا رمزا ﴾

من حيث انه يؤدى الى الانتكاب عن المامور به ارتكاب المحظور وقرأ حمزة والكسائى كثير بالثاء (ومنافع للناس) من كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيان وفى الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفير المروءة وتقوية الطبيعة (واثمهما اكبر من نفعهما) اى المفاسد التى تنشأ منهما اعظم من المنافع المتوقعة منهما ولهذا قيل انها المحرمة للخمر فان المفسد اذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم الفعل والاظهر انه ليس كذلك لما مر من ابطال مذهب المعتزلة (ويسألونك ماذا ينفقون) قيل سائله ايضا عمرو بن الجموح سأل اولا عن المنفق والمصرف ثم سأل عن كيفية الانفاق (قل العفو) العفو نقيض الجهد ومنه يقال للارض السهلة وهو ان ينفق ما تيسر له بذله ولا يبلغ منه الجهد قال * خذى العفو منى تستديمى مودتى * ولا تنطق فى سورتى حين اغضب * وروى ان رجلا اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ببيضة من ذهب اصابها فى بعض المغانم فقال خذها منى صدقة فاعرض عليه السلام عنه حتى كرر مرارا فقال هاتها مغضبا فاخذها فخذفها خذفا لو اصابه لشجه ثم قال يأتى احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى وقرأ ابوعمرو برفع الواو (كذلك يبين الله لكم الآيات) اى مثل ما بين ان العفو اصلح من الجهد او ماذكر من الاحكام والكاف فى موضع النصب صفة لمصدر محذوف اى تبيينا مثل هذا التبيين وانما وحد العلامة والمخاطب به جمع على تأويل القبيل والجمع (لعلكم تتفكرون) فى الدلائل والاحكام (فى الدنيا والآخرة) فى امور الدارين فتأخذون بالاصلح والانفع منهما وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم او يضركم اكثر مما ينفعكم (ويسألونك عن اليتامى) لما نزلت ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما الآية اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بامرهم فشق ذلك عليهم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (قل اصلاح لهم خير) اى مداخلتهم لاصلاحهم واصلاح اموالهم خير من مجانبتهم (وان تخالطوهم فاخوانكم) حث على المخالطة اى انهم اخوانكم فى الدين ومن حق الاخ ان يخالط الاخ وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة (والله يعلم المفسد من المصلح) وعيد ووعد لمن خالطهم لافساد واصلاح اى يعلم امره فيجازيه عليه (ولو شاء الله لاعنتكم) اي ولو شاء الله اعناتكم لاعنتكم اى كلفكم ما يشق عليكم من العنت وهى المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم

(ان)

اشارة (واذكر ربك كثيرا وسبح) صل (بالعشى والابكار) أواخر النهار واوائله (و) اذكر (اذقالت الملائكة) اى جبريل (يامريم ان الله اصطفاك) اختارك (وطهرك) من مسيس الرجال (واصطفاك على نساء العالمين) اى اهل زمانك (يامريم اقنتى لربك) اطيعيه (واسجدى واركعى مع الراكعين) اى صلى مع المصلين (ذلك) المذكور من امر زكريا ومريم (من انباء الغيب) اخبار ماغاب عنك (نوحيه اليك) يامحمد (وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم) فى الماء يقترعون ليظهر لهم (ايهم يكفل) يربى (مريم وماكنت لديهم اذ يختصمون) فى كفالتها فتعرف ذلك فتخبر به وانما عرفته من جهة الوحى اذكر (اذقالت الملائكة) اى جبريل (يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه) اى ولد (اسمه المسيح عيسى ابن مريم) خاطبها بنسبته اليها تنبيها على انها تلده بلااب اذعادة الرجال نسبتهم الى آبائهم (وجيها) ذاجاه (فى الدنيا) بالنبوة

﴿ ان الله عزيز ﴾ غالب يقدر على الاعنات ﴿ حكيم ﴾ يحكم مايقتضيه الحكمة ويتسع له الطاقة ﴿ ولاتنكحوا المشركات حتى يؤمن ﴾ اى ولاتتزوجوهن وقرئ بالضم اى ولاتزوجوهن من المسلمين والمشركات تعم الكتابيات لان اهل الكتاب مشركون لقوله تعالى * وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله * الى قوله تعالى * سبحانه عما يشركون * ولكنها خصت عنها بقوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب * روى انه عليه الصلوة والسلام بعث مرثد الغنوى الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين فأتته عناق وكان يهويها فى الجاهلية فقالت الاتخلو فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بى فقال نعم ولكن استأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمره فنزلت ﴿ ولامة مؤمنة خير من مشركة ﴾ اى ولامرأة مؤمنة حرة كانت او مملوكة فان الناس كلهم عبيد الله واماؤه ﴿ ولو اعجبتكم ﴾ بحسنها وشمائلها والواو للحال ولو بمعنى ان وهو كثير ﴿ ولاتنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ﴾ ولاتزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهو على عمومه ﴿ ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم ﴾ تعليل للنهى عن مواصلتهم وترغيب فى مواصلة المؤمنين ﴿ اولئك ﴾ اشارة الى المذكورين من المشركين والمشركات ﴿ يدعون الى النار ﴾ اى الكفر المؤدى الى النار فلايليق موالاتهم ومصاهرتهم ﴿ والله يدعو ﴾ اى اولياؤه يعنى المؤمنين حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه تفخيما لشأنهم ﴿ الى الجنة والمغفرة ﴾ اى الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة ﴿ باذنه ﴾ بتوفيق الله تعالى وتيسيره او بقضائه وارادته ﴿ ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون ﴾ لكى يتذكروا اوليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز فى العقول من ميل الخير ومخالفة الهوى ﴿ ويسألونك عن المحيض ﴾ روى ان اهل الجاهلية كانوا لم يساكنوا الحيض ولم يواكلوها كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك الى ان سأل ابو الدحداح فى نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر كالمجيئ والمبيت ولعله سبحانه انما ذكر يسألونك بغير واو ثلاثا ثم بها ثلاثا لان السؤالات الاول كانت فى اوقات متفرقة والثلاثة الاخيرة كانت فى وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف الجمع ﴿ قل هو اذى ﴾ اى الحيض شئ مستقذر مؤذ من يقربه نفرة منه ﴿ فاعتزلوا النساء فى المحيض ﴾ فاجتنبوا

﴿ والآخرة ﴾ بالشفاعة والدرجات العلا ﴿ ومن المقربين ﴾ عند الله ﴿ ويكلم الناس فى المهد ﴾ أى طفلا قبل وقت الكلام ﴿ وكهلا ومن الصالحين قالت رب أنى ﴾ كيف ﴿ يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر ﴾ بتزوج ولاغيره ﴿ قال ﴾ الامر ﴿ كذلك ﴾ من خلق ولد منك بلا أب ﴿ الله يخلق مايشاء اذا قضى أمرا ﴾ أراد خلقه ﴿ فانما يقول له كن فيكون ﴾ أى فهو يكون ﴿ ونعلمه ﴾ بالنون والياء ﴿ الكتاب ﴾ الخط ﴿ والحكمة والتورية والانجيل و ﴾ نجعله ﴿ رسولا الى بنى اسرائيل ﴾ فى الصبا أو بعد البلوغ فنفخ جبريل فى جيب درعها فحملت وكان من أمرها ماذكر فى سورة مريم فلما بعثه الله الى بنى اسرائيل قال لهم انى رسول الله اليكم ﴿ أنى ﴾ أى بأنى ﴿ قد جئتكم بآية ﴾ علامة على صدقى ﴿ من ربكم ﴾ هى ﴿ أنى ﴾ وفى قراءة بالكسر استئنافا ﴿ أخلق ﴾ أصور ﴿ لكم من الطين كهيئة الطير ﴾ مثل صورته فالكاف اسم مفعول ﴿ فأنفخ فيه ﴾

مجامعتهن لقوله عليه السلام * انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم * وهو الاقتصاد بين افراط اليهود و تفريط النصارى فانهم كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض وانما وصفه بانه اذى ورتب الحكم عليه بالفاء اشعارا بانه العلة ﴿ ولا تقربوهن حتى يطهرن ﴾ تأكيد للحكم وبيان لغايته وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه صريحا قراءة حمزة والكسائى وعاصم فى رواية ابن عباس يطهرن اى يتطهرن بمعنى يغتسلن التزاما قوله ﴿ فاذا تطهرن فأتوهن ﴾ فانه يقتضى تأخير جواز الاتيان عن الغسل وقال ابو حنيفة رضى الله تعالى عنه ان طهرت لاكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل ﴿ من حيث امركم الله ﴾ اى المأتى الذى امركم الله به وحلله لكم ﴿ ان الله يحب التوابين ﴾ من الذنوب ﴿ ويحب المتطهرين ﴾ اى المتنزهين عن الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان فى غير المأتى ﴿ نسائكم حرث لكم ﴾ مواضع حرث لكم شبههن بها تشبيها لما يلقى فى ارحامهن من النطف بالبذور ﴿ فأتوا حرثكم ﴾ اى فأتوهن كما تأتون المحارث وهو كالبيان لقوله تعالى * فأتوهن من حيث امركم الله ﴿ انى شئتم ﴾ من اى جهة شئتم روى ان اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته من دبرها فى قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت ﴿ وقدموا لانفسكم ﴾ مايدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطئ ﴿ واتقوا الله ﴾ بالاجتناب عن معاصيه ﴿ واعلموا أنكم ملاقوه ﴾ فتزودوا مالا تفتضحون به ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ الكاملين فى الايمان بالكرامة والنعيم الدائم امر الرسول صلى الله عليه وسلم ان ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل امره منهم ﴿ ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس ﴾ نزلت فى الصديق رضى الله تعالى عنه لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه على عائشة رضى الله عنها او فى عبد الله بن رواحة حلف ان لا يتكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة تطلق لما يعرض دون الشئ وللمعرض للامر ومعنى الآية على الاول لا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف عليها كقوله عليه السلام لابن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت بالذى هو خير

(وكفر)

الضمير للكاف ﴿ فيكون طيرا ﴾ وفى قراءة طائرا ﴿ باذن الله ﴾ بارادته فخلق لهم الخفاش لانه أكمل الطير خلقا فكان يطير وهم ينظرونه فاذا غاب عن أعينهم سقط ميتا ﴿ وأبرئ ﴾ أشفى ﴿ الاكمه ﴾ الذى ولد أعمى ﴿ والابرص ﴾ وخصا بالذكر لانهما دا آ اعياء وكان بعثه فى زمن الطب فأبرأ فى يوم خمسين ألفا بالدعاء بشرط الايمان ﴿ وأحيى الموتى باذن الله ﴾ كرره لنفى توهم الالوهية فيه فأحيى عازر صديقا له وابن العجوز وابنة العاشر فعاشوا وولد لهم وسام بن نوح ومات فى الحال ﴿ وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون ﴾ تخبئون ﴿ فى بيوتكم ﴾ مما لم اعاينه فكان يخبر الشخص بما أكل وبما يأكل بعد ﴿ ان فى ذلك ﴾ المذكور ﴿ لآية لكم ان كنتم مؤمنين و ﴾ جئتكم ﴿ مصدقا لما بين يدى ﴾ قبلى ﴿ من التورية ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم ﴾ فيها فأحل لهم من السمك والطير مالا صيصية له وقيل أحل الجميع فبعض بمعنى كل ﴿ وجئتكم بآية

وكفر عن يمينك وان مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز ان تكون للتعليل ويتعلق ان بالفعل او بعرضة اى ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا لاجل ايمانكم به وعلى الثانى ولا تجعلوه معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة للنهى اى انهاكم عنه ارادة بركم وتقويكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله تعالى والمجترئ عليه لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به فى اصلاح ذلك البين (والله سميع) لايمانكم (عليم) بنياتكم (لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم) اللغو الساقط الذى لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين مالا عقد معه كما سبق به اللسان او تكلم به جاهلا لمعناه كقول العرب لا والله وبلى والله لمجرد التأكيد لقوله (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) والمعنى لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما او باحدهما بما قصدتم من الايمان وواطأت فيها قلوبكم ألسنتكم وقال ابو حنيفة اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما اخطأتم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيها (والله غفور) حيث لم يؤاخذكم باللغو (حليم) حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد تربصا للتوبة (للذين يؤلون من نسائهم) اى يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلاء الحلف وتعديته بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدى بمن (تربص اربعة اشهر) مبتدأ ماقبله خبره اوفاعل الظرف على خلاف سبق والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع اى للمولى حق التلبث فى هذه المدة فلا يطالب بفئ ولا طلاق ولذلك قال الشافعى لا ايلاء الا فى اكثر من اربعة اشهر ويؤيده (فان فاؤا) اى رجعوا فى اليمين بالحنث (فان الله غفور رحيم) للمولى اثم حنثه اذا كفر وماتوخى بالايلاء من ضرار المرأة ونحوه بالفيئة التى هى كالتوبة (وان عزموا الطلاق) وان صمموا قصده (فان الله سميع) لطلاقهم (عليم) بغرضهم فيه وقال ابو حنيفة الايلاء فى اربعة اشهر فما فوقها وحكمه ان المولى ان فاء فى المدة بالوطئ ان قدر وبالوعد ان عجز صح الفئ ولزم الواطئ ان يكفر والا بانت بعدها بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة باحد الامرين فان ابى عنهما طلق عليه الحاكم (والمطلقات) يريد بها المدخول بهن

من ربكم) كرره تأكيدا وليبنى عليه (فاتقوا الله وأطيعون) فما آمركم به من توحيد الله وطاعته (ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا) الذى آمركم به (صراط) طريق (مستقيم) فكذبوه ولم يؤمنوا به (فلما أحس) علم (عيسى منهم الكفر) وأرادوا قتله (قال من أنصارى) أعوانى ذاهبا (الى الله) لانصر دينه (قال الحواريون نحن أنصار الله) أعوان دينه وهم أصفياء عيسى أول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا من الحور وهو البياض الخالص وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب أى يبيضونها (آمنا) صدقنا (بالله واشهد) ياعيسى (بانا مسلمون ربنا آمنا بما أنزلت) من الانجيل (واتبعنا الرسول) عيسى (فاكتبنا مع الشاهدين) لك بالوحدانية ولرسولك بالصدق قال تعالى: (ومكروا) أى كفار بنى اسرائيل بعيسى اذ وكلوا به من يقتله غيلة (ومكر الله) بهم بان ألقى شبه عيسى على من قصد قتله فقتلوه ورفع عيسى الى السماء

من ذوات الاقراء لما دلت الآيات والاخبار أن حكم غيرهن خلاف ماذكر (يتربصن) خبر بمعنى الامر وتغيير العبارة للتأكيد والاشعار بانه مما يجب ان يسارع الى امتثاله وكائن المخاطب قصد ان يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك فى الدعاء رحمك الله وبناؤه على المبتدأ يزيده فضل تأكيد (بانفسهن) تهييج وبعث لهن على التربص فان نفوس النساء طواح الى الرجال فامرن بان يقمعنها ويحملنها على التربص (ثلاثة قروء) نصب على الظرف او المفعول به اى يتربصن مضيها وقروء جمع قرء وهو يطلق للحيض لقوله عليه الصلوة والسلام دعى الصلوة ايام اقرائك وللطهر الفاصل بين الحيضين كقول الاعشى * مورثة مالا وفى الحى رفعة * لما ضاع فيها من قروء نسائكا * واصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو المراد به فى الآية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قال الحنفية لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اى وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون فى الحيض واما قوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم مارواه الشيخان فى قصة ابن عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء امسك بعد وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة التى امر الله تعالى ان تطلق لها النساء وكان القياس ان يذكر بصيغة القلة التى هى الاقراء ولكنهم يتسعون فى ذلك فيستعملون كل واحد من البنائين مكان الآخر ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بناؤها (ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله فى ارحامهن) من الولد والحيض استعجالا فى العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على ان قولها مقبول فى ذلك (ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر) ليس المراد منه تقييد نفى الحل بايمانهن بل التنبيه على انه ينافى الايمان وان المؤمن لا يجترىء عليه ولا ينبغى له ان يفعل (وبعولتهن) اى ازواج المطلقات (احق بردهن) الى النكاح والرجعة اليهن ولكن اذا كان الطلاق رجعيا للآية التى تتلوها فالضمير اخص من المرجوع اليه ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه والبعولة جمع بعل والتاء لتأنيث الجمع كالعمومة والخؤولة او مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به او اقيم مقام المضاف المحذوف اى واهل بعولتهن وافعل ههنا بمعنى الفاعل (فى ذلك) اى فى زمان التربص (ان ارادوا اصلاحا

(بالرجعة)

(والله خير الماكرين) أعلمهم به اذ كر (اذ قال الله ياعيسى انى متوفيك) قابضك (ورافعك الى) من الدنيا من غير موت (ومطهرك) مبعدك (من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك) صدقوا بنبوتك من المسلمين والنصارى (فوق الذين كفروا) بك وهم اليهود يعلونهم بالحجة والسيف (الى يوم القيمة ثم الى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) من أمر الدين (فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا) بالقتل والسبي والجزية (والآخرة) بالنار (ومالهم من ناصرين) مانعين منه (وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم) بالياء والنون (أجورهم والله لا يحب الظالمين) أى يعاقبهم روى أن الله أرسل اليه سحابة فرفعته فتعلقت به أمه وبكت فقال لها ان القيمة تجمعنا وكان ذلك ليلة القدر ببيت المقدس وله ثلاث وثلاثون سنة وعاشت أمه بعده ست سنين وروى الشيخان

بالرجعة لاضرار المرأة وليس المراد منه شريطة قصد الاصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار ﴿ ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ﴾ اى ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن فى الوجوب واستحقاق المطالبة عليها لافى الجنس ﴿ وللرجال عليهن درجة ﴾ زيادة فى الحق وفضل فيه لان حقوقهم فى انفسهن وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها اوشرف وفضيلة لانهم قوام عليهن وحراس لهن يشاركونهن فى غرض الزواج ويخصون بفضيلة الرعاية و الانفاق ﴿ والله عزيز ﴾ يقدر على الانتقام ممن خالف الاحكام ﴿ حكيم ﴾ يشرعها لحكم ومصالح ﴿ الطلاق مرتان ﴾ اى التطليق الرجعى اثنتان لماروى انه صلى الله عليه وسلم سئل اين الثالثة فقال عليه السلام اوتسريح باحسان وقيل معناه التطليق الشرعى تطليقة بعد تطليقة على التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة ﴿ فامساك بمعروف ﴾ بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعنى الاول ﴿ اوتسريح باحسان ﴾ بالطلقة الثالثة اوبان لايراجعها حتى تبين وعلى المعنى الاخير حكم مبتدأ وتخيير مطلق عقب به تعليمهم كيفية التطليق ﴿ ولايحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا ﴾ اى من الصدقات روى ان جميلة بنت عبدالله بن ابى بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لاانا ولاثابت لايجمع رأسى ورأسه شئ والله مااعيبه فى دين ولاخلق ولكنى اكره الكفر فى الاسلام وماطيقه بغضا انى رفعت جانب الخباء فرأيته اقبل فى عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة اصدقها والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الآمرون بهما عند الترافع وقيل انه خطاب للازواج ومابعده خطاب للحكام وهو يشوش النظم على القراءة المشهورة ﴿ الاان يخافا ﴾ اى الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن ﴿ ان لايقيما حدود الله ﴾ بترك اقامة احكامه من مواجب الزوجية وقرأ حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب ﴿ فان خفتم ﴾ ايها الحكام ﴿ ان لايقيما حدود الله فلاجناح عليهما فيما افتدت به ﴾ على الرجل فى اخذماافتدت به نفسها واختلعت وعلى المرأة فى اعطائه ﴿ تلك حدود الله ﴾

حديث انه ينزل قرب الساعة ويحكم بشريعة نبينا ويقتل الدجال والخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية وفى حديث مسلم انه يمكث سبع سنين وفى حديث عند ابى داود الطيالسى اربعين سنة ويتوفى ويصلى عليه فيحتمل ان المراد مجموع لبثه فى الارض قبل الرفع وبعده (ذلك) المذكور من امر عيسى (نتلوه) نقصه (عليك) يامحمد (من الآيات) حال من الهاء فى نتلوه وعامله ما فى ذلك من معنى الاشارة (والذكر الحكيم) المحكم اى القرآن (ان مثل عيسى) شانه الغريب (عندالله كمثل آدم) كشأنه فى خلقه من غير اب وهو من تشبيه الغريب بالاغرب ليكون أقطع للخصم وأوقع فى النفس (خلقه) اى آدم اى قالبه (من تراب ثم قال له كن) بشرا (فيكون) اى فكان وكذلك عيسى قال له كن من غير اب فكان (الحق من ربك) خبر مبتدأ محذوف اى امر عيسى (فلاتكن من الممترين) الشاكين فيه (فمن حاجك)

اشارة الى ماحد من الاحكام (فلاتعتدوها) فلاتتعدوها بالمخالفة (ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون) تعقيب للنهى بالوعيد مبالغة فى التهديد واعلم ان ظاهر الآية يدل على ان الخلع لايجوز من غير كراهة وشقاق ولابجميع ماساق الزوج اليها فضلا عن الزائد ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ايما امرأة سألت زوجها طلاقا فى غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة وماروى انه عليه الصلوة والسلام قال لجميلة اتردين عليه حديقته فقالت اردها وازيد عليها فقال عليه السلام اماالزائد فلا والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه فان المنع عن العقد لايدل على فساده وانه يصح بلفظ المفاداة فانه تعالى سماه افتداء واختلف فى انه اذا جرى بغير لفظ الطلاق هل هو فسخ او طلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله (فان طلقها) فان تعقيبه للخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضى ان يكون طلقة رابعة لوكان الخلع طلاقا والاظهر انه طلاق لانه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض وقوله فان طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان تفسير لقوله او تسريح باحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة على ان الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض اخرى والمعنى فان طلقها بعد الثنتين (فلاتحل له من بعد) من بعد ذلك الطلاق (حتى تنكح زوجا غيره) حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى كل منهما كالتزوج وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور على انه لابد من الاصابة لماروى ان امرأة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة طلقنى فبت طلاقى وان عبدالرحمن بن الزبير تزوجنى وان مامعه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعى الى رفاعة قالت نعم قال لاحتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك فالآية مطلقة قيدتها السنة ويحتمل ان يفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد مستفادا من لفظ الزوج والحكمة فى هذا الحكم الردع عن التسرع الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلاثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر وجوزه ابو حنيفة مع الكراهة وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له (فان طلقها) الزوج الثانى (فلاجناح عليهما ان يتراجعا) ان يرجع كل من المرأة والزوج الاول الى الآخر بالزواج (ان ظنا ان يقيما حدود الله) ان كان فى ظنهما انهما يقيمان ماحده الله وشرعه

جادلك من النصارى (فيه من بعد ماجاءك من العلم) بأمره (فقل) لهم (تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم) فنجمعهم (ثم نبتهل) نتضرع فى الدعاء (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) بان نقول اللهم العن الكاذب فى شأن عيسى وقد دعا صلى الله عليه وسلم وفد نجران لذلك لما حاجوه فيه فقالوا حتى ننظر فى امرنا ثم نأتيك فقال ذو رأيهم لقد عرفتم نبوته وانه ماباهل قوم نبيا الا هلكوا فوادعوا الرجل وانصرفوا فاتوه وقد خرج ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعلى وقال لهم اذا دعوت فأمنوا فابوا ان يلاعنوا وصالحوه على الجزية رواه ابو نعيم وعن ابن عباس قال لو خرج الذين يباهلون لرجعوا لايجدون مالا ولا اهلا وروى لو خرجوا لاحترقوا (ان هذا) المذكور (لهو القصص) الخبر (الحق) الذى لاشك فيه (ومامن) زائدة (اله الا الله وان الله لهو العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى صنعه (فان تولوا) اعرضوا

من حقوق الزوجية وتفسير الظن بالعلم ههنا غير سديد لان عواقب الامور غيب تظن ولا تعلم ولانه لايقال علمت ان يقوم زيد لان ان الناصبة للتوقع وهو ينافى العلم (وتلك حدود الله) اى الاحكام المذكورة (يبينها لقوم يعلمون) يفهمون ويعملون بمقتضى العلم (واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن) اى آخر عدتهن والاجل يطلق للمدة ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت الذى به ينتهى قال * كل حى مستكمل مدة العمر * ومود اذا انتهى اجله * والبلوغ هو الوصول الى الشئ وقد يقال للدنو منه على الاتساع وهو المراد فى الآية ليصح ان يترتب عليه (فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف) اذلا امساك بعد انقضاء الاجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن حتى تنقضى عدتهن من غير تطويل وهو اعادة للحكم فى بعض صوره للاهتمام به (ولا تمسكوهن ضرارا) ولا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى تشارف الاجل ثم يراجعها ليطول العدة عليها فنهى عنه بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة او الحال بمعنى مضارين (لتعتدوا) لتظلموهن بالتطويل او الالجاء الى الافتداء واللام متعلقة بضرارا اذ المراد تقييده (ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه) بتعريضها للعقاب (ولا تتخذوا آيات الله هزوا) بالاعراض عنها والتهاون فى العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد فى الامر انما انت هازئ كأنه نهى عن الهزؤ واراد به الامر بضده وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت العب فنزلت وعنه عليه السلام * ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والعتاق (واذكروا نعمة الله عليكم) التى من جملتها الهداية وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم بالشكر والقيام بحقوقها (وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة) القرآن والسنة افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما (يعظكم به) بما انزل عليكم (واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شئ عليم) تأكيد وتهديد (واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن) اى انقضت عدتهن وعن الشافعى رحمه الله تعالى دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين (فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن) المخاطب به الاولياء لما روى انها نزلت فى معقل بن يسار حين عضل اخته جميلا ان ترجع الى زوجها الاول بالاستئناف فيكون دليلا على ان المرأة لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل الولى معنى ولا يعارض باسناد النكاح اليهن لانه

عن الايمان (فان الله عليم بالمفسدين) فيجازيهم وفيه وضع الظاهر موضع المضمر (قل يا اهل الكتاب) اليهود والنصارى (تعالوا الى كلمة سواء) مصدر بمعنى مستو أمرها (بيننا وبينكم) هى (أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) كما اتخذتم الاحبار والرهبان (فان تولوا) أعرضوا عن التوحيد (فقولوا) أنتم لهم (اشهدوا بأنا مسلمون) موحدون * ونزل لما قال اليهود ابراهيم يهودى ونحن على دينه وقالت النصارى كذلك (يا اهل الكتاب لم تحاجون) تخاصمون (فى ابراهيم) بزعمكم انه على دينكم (وما أنزلت التورية والانجيل الا من بعده) بزمن طويل وبعد نزولهما حدثت اليهودية والنصرانية (أفلا تعقلون) بطلان قولكم (ها) للتنبيه (أنتم) مبتدأ يا (هؤلاء) والخبر (حاججتم فيما لكم به علم) من أمر موسى وعيسى وزعمكم انكم على دينهما (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) من شأن ابراهيم (والله يعلم) شأنه

بسبب توقفه على اذنهن وقيل الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد مضى العدة ولا يتركوهن يتزوجن عدوانا وقسرا لانه جواب قوله واذا طلقتم النساء وقيل الاولياء والازواج وقيل الناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا وجد بينهم وهم راضون به كانوا كالفاعلين له والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذنشب بيضها فلم يخرج (اذا تراضوا بينهم) اى الخطاب والنساء وهو ظرف لان ينكحن اولا تعضلوهن (بالمعروف) بمايعرفه الشرع وتستحسنه المروءة حال من الضمير المرفوع اوصفة مصدر محذوف اى تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل عن التزوج من غير كفؤ غير منهى عنه (ذلك) اشارة الى مامضى ذكره والخطاب للجمع على تأويل القبيل اوكل واحد اوان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضى دون تعيين المخاطبين اوللرسول صلى الله عليه وسلم على طريقة قوله ياايها النبى اذا طلقتم النساء للدلالة على ان حقيقة المشارى اليه امر لايكاد يتصوره كل احد (يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) لانه المتعظ به والمنتفع (ذلكم) اى العمل بمقتضى ماذكر (ازكى لكم) انفع (واطهر) من دنس الآثام (والله يعلم) ما فيه من النفع والصلاح (وانتم لا تعلمون) لقصور علمكم (والوالدات يرضعن اولادهن) امر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه الندب او الوجوب فيختص بما اذا لم يرتضع الصبى الامن امه اولم يوجد له ظئر اوعجز الوالد عن الاستيجار والولدات تعم المطلقات وغيرهن وقيل تختص بهن اذ الكلام فيهن (حولين كاملين) اكده بصفة الكمال لانه مما يتسامح (لمن اراد ان يتم الرضاعة) بيان للمتوجه اليه الحكم اى ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة وقيل اللام متعلقة بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له وهو دليل على ان اقصى مدة الارضاع حولان ولا عبرة به بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنه (وعلى المولود له) اى الذى يولد له يعنى الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضى لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة عليه (رزقهن وكسوتهن) اجرة لهن واختلف فى استيجار الام فجوزه الشافعى ومنعه ابو حنيفة مادامت زوجة اومتعدة نكاح (بالمعروف) حسب مايراه الحاكم ويفى به وسعه (لا تكلف نفس الا وسعها) تعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف ودليل

(على)

(وأنتم لا تعلمون) * قال تعالى تبرئة لابراهيم (ماكان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا) مائلا عن الاديان كلها الى الدين القيم (مسلما) موحدا (وماكان من المشركين ان أولى الناس) أحقهم (بابراهيم للذين اتبعوه) فى زمانه (وهذا النبى) محمد لموافقته له فى اكثر شرعه (والذين آمنوا) من أمته فهم الذين ينبغى أن يقولوا نحن على دينه لا أنتم (والله ولى المؤمنين) ناصرهم وحافظهم * ونزل لما دعا اليهود معاذا وحذيفة وعمارا الى دينهم (ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا أنفسهم) لان اثم اضلالهم عليهم والمؤمنون لا يطيعونهم فيه (وما يشعرون) بذلك (يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) القرآن المشتمل على نعت محمد (وأنتم تشهدون) تعلمون أنه حق (يا أهل الكتاب لم تلبسون) تخلطون (الحق بالباطل) بالتحريف والتزوير (وتكتمون الحق) أى نعت

على انه تعالى لايكلف العبد بمالا يطيقه وذلك لايمنع امكانه (لاتضار والدة بولدها ولامولود له بولده) تفصيل له وتقرير اى لايكلف كل منهما الآخر ماليس فى وسعه ولايضاره بسبب الولد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب لاتضار بالرفع بدلا من قوله لاتكلف واصله على القراءتين تضارر بالكسر على البناء للفاعل اوالفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته اى لاتضر الوالدة بالولد فتفرط فى تعهده وتقصر فيما ينبغى له وقرئ لاتضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة الولد اليها تارة واليه اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه والاشفاق فلاينبغى ان يضرا به او يتضارا بسببه (وعلى الوارث مثل ذلك) عطف على قوله * وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن * ومابينهما تعليل معترض والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبى اى مؤن المرضعة من ماله اذا مات الاب وقيل الباقى من الابوين من قوله عليه الصلوة والسلام * واجعله الوارث منا * وكلا القولين يوافق مذهب الشافعى اذلانفقة عنده فيما عدا الولاد وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن ابى ليلى وقيل وارثه المحرم منه وهومذهب ابى حنيفة وقيل عصباته وبه قال ابوزيد وذلك اشارة الى ماوجب على الاب من الرزق والكسوة (فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور) اى فصالا صادرا عن التراضى منهما والتشاور بينهما قبل الحولين والتشاور والمشاورة والمشورة استخراج الرأى من شرت العسل اذا استخرجته (فلاجناح عليهما) فى ذلك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذارا ان يقدم احدهما على مايضربه لغرض (وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم) اى تسترضعوا المراضع لاولادكم يقال ارضعت المرأة الطفل واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتى واستنجحته اياها فحذف المفعول الاول للاستغناء عنه (فلاجناح عليكم) فيه واطلاقه يدل على ان للزوج ان يسترضع الولد ويمنع الزوجة من الارضاع (اذا سلمتم) الى المراضع (ما آتيتم) ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى * اذا قمتم الى الصلوة * وقرأ ابن كثير ما أتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم اى ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة (بالمعروف) صلة سلمتم اى بالوجه المتعارف

النبى (وانتم تعلمون) انه حق (وقالت طائفة من أهل الكتاب) اليهود لبعضهم (آمنوا بالذى انزل على الذين آمنوا) أى القرآن (وجه النهار) اوله (واكفروا) به (آخره لعلهم) اى المؤمنين (يرجعون) عن دينهم اذيقولون مارجع هؤلاء عنه بعد دخولهم فيه وهم اولو علم الالعلمهم بطلانه وقالوا أيضا (ولاتؤمنوا) تصدقوا (الالمن) اللام زائدة (تبع) وافق (دينكم) قال تعالى (قل) لهم يامحمد (ان الهدى هدى الله) الذى هو الاسلام وماعداه ضلال والجملة اعتراض (أن) أى بأن (يؤتى أحد مثل ماأوتيتم) من الكتاب والحكمة والفضائل وأن مفعول تؤمنوا والمستثنى منه أحد قدم عليه المستثنى والمعنى لاتقروا بأن أحدا يؤتى ذلك الالمن تبع دينكم (أو) بأن (يحاجوكم) أى المؤمنون يغلبوكم (عند ربكم) يوم القيمة لأنكم أصح دينا وفى قراءة أأن بهمزة التوبيخ أى أ ايتاء أحد مثله تقرون

المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه ماقبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل لسلوك ماهو الاولى والاصلح للطفل (واتقوا الله) مبالغة فى المحافظة على ماشرع فى امر الاطفال والمراضع (واعلموا ان الله بما تعملون بصير) حث وتهديد (والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا) اى وازواج الذين اووالذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اى يستوفون آجالهم وتأنيث العشر باعتبار الليالى لانها غرر الشهور والايام ولذلك لايستعملون التذكير فى مثله قط ذهابا الى الايام حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهد له قوله تعالى * ان لبثتم الاعشرا * ثم ان لبثتم الا يوما * ولعل المقتضى لهذا التقدير ان الجنين فى غالب الامر يتحرك لثلاثة اشهر ان كان ذكرا ولاربعة ان كان انثى فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما تضعف حركته فى المبادى فلايحس بها وعموم اللفظ يقتضى تساوى المسلمة والكتابية فيه كما قاله الشافعى والحرة والامة كما قاله الاصم والحامل وغيرها لكن القياس اقتضى تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه لقوله تعالى * واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن * وعن على وابن عباس انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا (فاذا بلغن اجلهن) اى انقضت عدتهن (فلاجناح عليكم) ايها الائمة اوالمسلمون جميعا (فيما فعلن فى انفسهن) من التعرض للخطاب وسائر ماحرم عليهن للعدة (بالمعروف) بالوجه الذى لاينكره الشرع ومفهومه انهن لو فعلن ماينكره فعليهم ان يكفوهن فان قصروا فعليهم الجناح (والله بما تعملون خبير) فيجازيكم عليه (ولاجناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء) التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولامجازا كقول السائل جئتك لاسلم عليك والكناية هى الدلالة على الشئ بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة غير ان المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة بطلب المرأة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها ان يقول لها انك جميلة اونافعة ومن غرضى ان اتزوج ونحو ذلك (او اكننتم فى انفسكم) اواضمرتم فى قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولاتعريضا (علم الله انكم ستذكرونهن) ولاتصبرون على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ (ولكن لاتواعدوهن سرا)

به قال تعالى (قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء) فمن اين لكم انه لايؤتى احد مثل ما اوتيتم (والله واسع) كثير الفضل (عليم) بمن هو اهله (يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار) اى بمال كثير (يؤده اليك) لامانته كعبد الله ابن سلام اودعه رجل ألفا ومائتى اوقية ذهبا فاداها اليه (ومنهم من ان تأمنه بدينار لايؤده اليك) لخيانته (الا مادمت عليه قائما) لاتفارقه فمتى فارقته انكره ككعب بن الاشرف استودعه قرشى دينارا فجحده (ذلك) اى ترك الاداء (بأنهم قالوا) بسبب قولهم (ليس علينا فى الاميين) اى العرب (سبيل) اى اثم لاستحلالهم ظلم من خالف دينهم ونسبوه اليه تعالى قال تعالى (ويقولون على الله الكذب) فى نسبة ذلك اليه (وهم يعلمون) انهم كاذبون (بلى) عليهم فيهم سبيل (من اوفى بعهده) الذى عاهد الله عليه او بعهد الله

(استدراك)

استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن اى فاذكروهن ولكن لاتواعدوهن نكاحا اوجماعا عبر بالسر عن الوطئ لانه ممايسر ثم عن العقد لانه سبب فيه وقيل معناه لاتواعدوهن فى السر على ان المعنى بالمواعدة فى السر المواعدة بمايستهجن (الاان تقولوا قولا معروفا) وهوان تعرضوا ولاتصرحوا والمستثنى منه محذوف اى لاتواعدوهن مواعدة الامواعدة معروفة اوالامواعدة بقول معروف وقيل انه استثناء منقطع من سراوهو ضعيف لادائه الى قولك لاتواعدوهن الاالتعريض وهوغير موعود وفيه دليل حرمة التصريح بخطبة المعتدة وجواز تعريضها ان كانت معتدة وفاة واختلف فى معتدة الفراق البائن والاظهر جوازه (ولاتعزموا عقدة النكاح) ذكر العزم مبالغة فى النهى عن العقد اى ولاتعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه لاتقطعوا عقدة النكاح فان اصل العزم القطع (حتى يبلغ الكتاب اجله) حتى ينتهى ما كتب من العدة (واعلموا ان الله يعلم مافى انفسكم) من العزم على مالايجوز (فاحذروه) ولاتعزموا (واعلموا ان الله غفور) لمن عزم ولم يفعل خشية من الله (حليم) لايعاجلكم بالعقوبة (لاجناح عليكم) لاتبعة من مهر وقيل من وزر لانه لابدعة فى الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر النهى عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفى (ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن) اى تجامعوهن وقرأ حمزة والكسائى تماسوهن بضم التاء ومد الميم فى جميع القرآن (اوتفرضوا لهن فريضة) الا ان تفرضوا اوحتى تفرضوا اووتفرضوا والفرض تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به فعيلة بمعنى المفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى انه لاتبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها مهر اذلوكانت ممسوسة فعليه المسمى اومهر المثل ولوكانت غير ممسوسة ولكن سمى لها فلها نصف المسمى فمنطوق الاية ينفى الوجوب فى الصورة الاولى ومفهومها يقتضى الوجوب على الجملة فى الاخيرتين (ومتعوهن) عطف على مقدر اى فطلقوهن ومتعوهن والحكمة فى ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى رأى الحاكم ويؤيده قوله (على الموسع قدره وعلى المقتر قدره) اى على كل من الذى له سعة والمقتر الضيق الحال مايطيقه ومايليق به

اليه من أداء الامانة وغيره (واتقى) الله بترك المعاصى وعمل الطاعات (فان الله يحب المتقين) فيه وضع الظاهر موضع المضمر أى يحبهم بمعنى يثيبهم * ونزل فى اليهود لما بدلوا نعت النبى وعهد الله اليهم فى التورية أوفيمن حلف كاذبا فى دعوى أوفى بيع سلعة (ان الذين يشترون) يستبدلون (بعهد الله) اليهم فى الايمان بالنبى وأداء الامانة (وأيمانهم) حلفهم به تعالى كاذبين (ثمنا قليلا) من الدنيا (أولئك لاخلاق) نصيب (لهم فى الآخرة ولايكلمهم الله) غضبا عليهم (ولاينظر اليهم) يرحمهم (يوم القيمة ولايزكيهم) يطهرهم (ولهم عذاب اليم) مؤلم (وان منهم) أى أهل الكتاب (لفريقا) طائفة ككعب بن الاشرف (يلوون ألسنتهم بالكتاب) أى يعطفونها بقراءته عن المنزل الى ماحرفوه من نعت النبى ونحوه (لتحسبوه) أى المحرف (من الكتاب) الذى أنزله الله (وماهو

ويدل عليه قوله عليه الصلوة والسلام لانصارى طلق امرأته المفوضة قبل ان يمسها متعها بقلنسوتك وقال ابو حنيفة هى درع وملحفة وخمار على حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها من ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم الآية يقتضى تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التى لم يمسها الزوج والحق بها الشافعى فى احد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم وقرأ حمزة وحفص وابن ذكوان بفتح الدال (متاعا) تمتيعا (بالمعرف) بالوجه الذى يستحسنه الشرع والمروءة (حقا) صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اى حق ذلك حقا (على المحسنين) الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال اوالى المطلقات بالتمتيع وسماهم محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا (وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف مافرضتم) لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها اى فلهن اوفالواجب نصف مافرضتم لهن وهو دليل على ان الجناح المنفى ثمه تبعة المهر وان لامتعة مع التشطير لانه قسيمها (الاان يعفون)اى المطلقات فلايأخذن شيئا والصيغة تحتمل التذكير والتأنيث والفرق ان الواو فى الاول ضمير والنون علامة الرفع وفى الثانى لام الفعل والنون ضمير والفعل مبنى ولذلك لم يؤثر فيه ان ههنا ونصب المعطوف عليه (اويعفوالذى بيده عقدة النكاح) اى الزوج المالك لعقده وحله عما يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها كاملا وهو مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا والحنيفة وقيل الولى الذى يلى عقد نكاحهن وذلك اذا كانت المرأة صغيرة وهو قول قديم للشافعى رحمه الله (وان تعفوا اقرب للتقوى) يؤيد الوجه الاول وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهر وعلى الوجه الآخر عبارة عن الزيادة على الحق وتسميتها عفوا اما على المشاكلة واما لانهم يسوقون المهر الى النساء عند التزوج فمن طلق قبل المسيس استحق استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد عفا عنه وعن جبير بن مطعم انه تزوج امرأة وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو (ولاتنسوا الفضل بينكم) اى ولاتنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض (ان الله بما تعملون بصير) لايضيع تفضلكم واحسانكم (حافظوا على الصلوات) بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل الامر بها فى تضاعيف احكام الاولاد

(والازواج)

من الكتاب ويقولون هو من عندالله وماهو من عندالله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) أنهم كاذبون * ونزل لما قال نصارى نجران ان عيسى أمرهم أن يتخذوه ربا أولما طلب بعض المسلمين السجود له صلى الله عليه وسلم (ماكان) ينبغى (لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم) أى الفهم للشريعة (والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن) يقول (كونوا ربانيين) علماء عاملين منسوب الى الرب بزيادة ألف ونون تفخيما (بما كنتم تعلمون) بالتخفيف والتشديد(الكتاب وبما كنتم تدرسون) اى بسبب ذلك فان فائدته أن تعملوا (ولا يأمركم) بالرفع استئنافا أى الله والنصب عطفا على يقول أى البشر (أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا) كما اتخذت الصابئة الملائكة واليهود عزيرا والنصارى عيسى (أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون) لاينبغى له هذا

والازواج ائلايلهيهم الاشتغال بشأنهم عنها ﴿ والصلوة الوسطى ﴾ اى الوسطى بينها اوالفضلى منها خصوصا وهى صلوة العصر لقوله عليه الصلوة والسلام يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال الناس فى وقتها واجتماع الملائكة وقيل صلوة الظهر لانها فى وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم فكانت افضل لقوله عليه الصلوة والسلام افضل العبادات احمزها وقيل الفجر لانها بين صلوتى النهار والليل والواقعة فى الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة وقيل المغرب لانها المتوسطة بالعدد ووتر النهار وقيل العشاء لانها بين جهر يتين واقعتين بين طرفى الليل وعن عائشة رضى الله عنها انه عليه الصلوة والسلام كان يقرأ والصلوة الوسطى وصلوة العصر فتكون صلوة من الاربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادها بالفضل وقرئ بالنصب على الاختصاص ﴿ وقوموا لله ﴾ فى الصلوة ﴿ قانتين ﴾ ذاكرين له فى القيام والقنوت الذكر فيه وقيل خاشعين وقال ابن المسيب المراد به القنوت فى الصبح ﴿فان خفتم ﴾ من عدو او غيره ﴿فرجالا اوركبانا﴾ فصلوا راجلين اوراكبين ورجال جمع راجل اورجل بمعناه كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب الصلوة حال المسايفة واليه ذهب الشافعى وقال ابو حنيفة لايصلى حال المشى والمسايفة مالم يمكن الوقوف ﴿ فاذا امنتم ﴾ وزال خوفكم ﴿فاذكروا الله ﴾ صلوا صلوة الامن اواشكروه على الامن ﴿ كما علمكم ﴾ ذكرا مثل ماعلمكم من الشرائع وكيفية الصلوة حالتى الخوف والامن اوشكرا يوازيه وما مصدرية اوموصولة ﴿ مالم تكونوا تعلمون ﴾ مفعول علمكم ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم﴾ قرأها بالنصب ابوعمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون وصية اوليوصوا وصية اوكتب الله عليهم وصية اوالزم الذين يتوفون وصية ويؤيد ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكانه وقرأ الباقون بالرفع على تقدير ووصية الذين يتوفون اووحكمهم وصية اووالذين يتوفون اهل وصية اوكتب عليهم وصية اوعليهم وصية وقرئ متاع بدلها ﴿ متاعا الى الحول ﴾ نصب بيوصون ان اضمرت والا فبالوصية اوبمتاع على قراءة من قرأه لانه بمعنى التمتيع ﴿غير اخراج ﴾ بدل منه اومصدر مؤكد كقولك

(و) اذكر (اذ) حين (اخذ الله ميثاق النبيين) عهدهم (لما) بفتح اللام للابتداء وتوكيد معنى القسم الذى فى اخذ الميثاق وكسرها متعلقة بأخذ وما موصولة على الوجهين اى للذى (آتيتكم) اياه وفى قراءة آتيناكم (من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم) من الكتاب والحكمة وهو محمد صلى الله عليه وسلم (لتؤمنن به ولتنصرنه) جواب القسم ان ادركتموه واممهم تبع لهم فى ذلك (قال) تعالى لهم (أأقررتم) بذلك (واخذتم) قبلتم (على ذلكم اصرى) عهدى (قالوا أقررنا قال فاشهدوا) على انفسكم واتباعكم بذلك (وانا معكم من الشاهدين) عليكم وعليهم (فمن تولى) اعرض (بعد ذلك) الميثاق (فأولئك هم الفاسقون افغير دين الله يبغون) بالياء اى المتولون والتاء (وله اسلم) انقاد (من فى السموات والارض طوعا) بلا اباء (وكرها) بالسيف ومعاينة

هذا القول غير ماتقول اوحال من ازواجهم اى غير مخرجات والمعنى انه يجب
على الذين يتوفون ان يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم بان يمتعن بعدهم
حولا بالسكنى والنفقة وكان ذلك فى اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله
اربعة اشهر وعشرا وهو وان كان متقدما فى التلاوة فهو متأخر فى النزول
وسقطت النفقة بتوريثها الربع اوالثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا
لابى حنيفة رحمه الله (فان خرجن) عن منزل الازواج (فلا جناح عليكم)
ايها الائمة (فيما فعلن فى انفسهن) كالتطيب وترك الحداد (من معروف)
مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على انه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن الزوج
والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج
وتركها (والله عزيز) ينتقم ممن خالفه منهم (حكيم) راعى مصالحهم
(وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين) اثبت المتعة للمطلقات جميعا بعد
ما اوجبها لواحدة منهن وافراد بعض العام بالحكم لايخصصه الا اذا جوزنا
تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك اوجبها ابن جبير لكل مطلقة واول
غيره بما يعم التمتيع الواجب والمستحب وقال قوم المراد بالمتاع نفقة العدة
ويجوز ان تكون اللام للعهد والتكرير للتأكيد اولتكرير القصة (كذلك)
اشارة الى ماسبق من احكام الطلاق والعدة (يبين الله لكم آياته) وعد بانه
سيبين لعباده من الدلائل والاحكام مايحتاجون اليه معاشا ومعادا (لعلكم
تعقلون) لعلكم تفهمونها فتستعملون العقل فيها (الم تر) تعجيب وتقرير
لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ وقد يخاطب به من لم ير
ومن لم يسمع فانه صار مثلا فى التعجيب (الى الذين خرجوا من ديارهم) يريد اهل
داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله
ثم احياهم ليعتبروا ويتيقنوا ان لامفر من قضاء الله تعالى وقدره او قوما من بنى
اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم
احياهم (وهم الوف) اى الوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلاثون وقيل سبعون
وقيل متألفون جمع الف اوآلف كقاعد وقعود والواو للحال (حذر الموت)
مفعول له (فقال لهم الله موتوا) اى قال لهم موتوا فماتوا كقوله كن فيكون
والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بامر الله ومشيئته وقيل ناداهم به
ملك وانما اسند الى الله تعالى تخويفا وتهويلا (ثم احياهم) قيل مر حزقيل

مايلجئ اليه (واليه ترجعون)
بالتاء والياء والهمزة للانكار
(قل) لهم يا محمد (آمنا بالله
وما انزل علينا وما انزل على
ابراهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط) اولاده
(وما اوتى موسى وعيسى
والنبيون من ربهم لانفرق
بين احد منهم) بالتصديق
والتكذيب (ونحن له مسلمون)
مخلصون فى العبادة ونزل فيمن
ارتد ولحق بالكفار (ومن يبتغ
غير الاسلام دينا فلن يقبل منه
وهو فى الآخرة من الخاسرين)
لمصيره الى النار المؤبدة عليه
(كيف) اى لا (يهدى الله
قوما كفروا بعد ايمانهم
وشهدوا) اى وشهادتهم
(ان الرسول حق و) قد (جاءهم
البينات) الحجج الظاهرات
على صدق النبى (والله لا يهدى
القوم الظالمين) اى الكافرين
(اولئك جزاؤهم ان عليهم
لعنة الله والملائكة والناس اجمعين
خالدين فيها) اى اللعنة اوالنار

عليه السلام على اهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب من ذلك فاوحى الله تعالى اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله تعالى فنادى فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لااله الا انت وفائدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعريض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء ﴿ ان الله لذو فضل على الناس ﴾ حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليكم حالهم لتستبصروا ﴿ ولكن اكثر الناس لايشكرون ﴾ اى لايشكرونه كما ينبغى ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار ﴿ وقاتلوا فى سبيل الله ﴾ لما بين ان الفرار من الموت غير مخلص وان المقدر لامحالة واقع امرهم بالقتال اذ لوجاء اجلهم ففى سبيل الله والا فالنصر والثواب ﴿ واعلموا ان الله سميع ﴾ لما يقوله المتخلف والسابق ﴿ عليم ﴾ بما يضمرانه وهو من وراء الجزاء ﴿ من ذا الذى يقرض الله ﴾ من استفهامية مرفوعة الموضع بالابتداء وذا خبره والذى صفة ذا او بدله واقراض الله مثل لتقديم العمل الذى يطلب به ثوابه ﴿ قرضا حسنا ﴾ اقراضا حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق فى سبيل الله ﴿ فيضاعفه له ﴾ فيضاعف جزاءه اخرجه على صورة المغالبة للمبالغة وقرأ عاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذى يقرض الله فى معنى أيقرض الله احد وقرأ ابن كثير فيضعفه بالرفع والتشديد وابن عامر ويعقوب بالنصب ﴿ اضعافا كثيرة ﴾ لايقدرها الا الله وقيل الواحد بسبعمائة واضعافا جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب او المفعول الثانى لتضمن المضاعفة معنى التصيير او المصدر على ان الضعف اسم المصدر وجمعه للتنويع ﴿ والله يقبض ويبسط ﴾ يقتر على بعض ويوسع على بعض حسب ما اقتضت حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم وقرأ نافع والكسائى والبزى وابو بكر بالصاد ومثله فى الاعراف فى قوله تعالى * وزادكم فى الخلق بصطة * ﴿ واليه ترجعون ﴾ فيجازيكم حسب ما قدمتم ﴿ الم تر الى الملأ من بنى اسرائيل ﴾ الملأ جماعة يجتمعون للتشاور لاواحد له كالقوم ومن للتبعيض ﴿ من بعد موسى ﴾ اى من بعد وفاته ومن للابتداء ﴿ اذ قالوا لنبى لهم ﴾ هو يوشع او شمعون او اشمويل عليهم السلام ﴿ ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله ﴾ اقم لنا اميرا ننهض معه للقتال يدبر امره ونصدر فيه عن رأيه وجزم نقاتل على الجواب وقرئ

المدلول بها عليها ﴿ لايخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون ﴾ يمهلون ﴿ الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا ﴾ عملهم ﴿ فان الله غفور ﴾ لهم ﴿ رحيم ﴾ بهم * ونزل فى اليهود ﴿ ان الذين كفروا ﴾ بعيسى ﴿ بعد ايمانهم ﴾ بموسى ﴿ ثم ازدادوا كفرا ﴾ بمحمد ﴿ لن تقبل توبتهم ﴾ اذا غرغروا أوماتوا كفارا ﴿ وأولئك هم الضالون ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ﴾ مقدار مايملؤها ﴿ ذهبا ولو افتدى به ﴾ أدخل الفاء فى خبر ان لشبه الذين بالشرط وايذانا بتسبب عدم القبول عن الموت على الكفر ﴿ أولئك لهم عذاب أليم ﴾ مؤلم ﴿ ومالهم من ناصرين ﴾ مانعين منه ﴿ لن تنالوا البر ﴾ أى ثوابه وهو الجنة ﴿ حتى تنفقوا ﴾ تصدقوا ﴿ مما تحبون ﴾ من اموالكم ﴿ وما تنفقوا من شئ فان الله به عليم ﴾ فيجازى عليه * ونزل لما قال اليهود انك تزعم أنك على ملة ابراهيم وكان لا يأكل لحوم الابل وألبانها ﴿ كل الطعام كان حلا ﴾ حلالا ﴿ لبنى اسرائيل الا ماحرم

بالرفع على انه حال اى ابعثه لنا مقدرين القتال ويقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف للملكا ﴿ قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ان لاتقاتلوا ﴾ فصل بين عسى وخبره بالشرط والمعنى أتوقع جبنكم عن القتال ان كتب عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما عما هو المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا وقرأ نافع عسيتم بكسر السين ﴿ قالوا ومالنا ان لانقاتل فى سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا ﴾ اى اى غرض لنا فى ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه ويحث عليه من الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وظهروا على بنى اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء الملوك اربعمائة واربعين ﴿ فلما كتب عليهم القتال تولوا الاقليلا منهم ﴾ ثلاثمائة وثلاثة عشر بعدد اهل بدر ﴿ والله عليم بالظالمين ﴾ وعيد لهم على ظلمهم فى ترك الجهاد ﴿ وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا ﴾ طالوت علم عبرى كداود وجعله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع صرفه روى ان نبيهم عليه السلام لما دعا الله ان يملكهم اتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت ﴿ قالوا انى يكون له الملك علينا ﴾ من اين يكون له ذلك ويستأهل ﴿ ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال ﴾ والحال انا احق بالملك منه وراثة ومكنة وانه فقير لامال له يعتضد به وانما قالوا ذلك لان طالوت كان فقيرا راعيا اوسقاء اودباغا من اولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة والملك وانما كانت النبوة فى اولاد لاوى بن يعقوب والملك فى اولاد يهوذا وكان فيهم من السبطين خلق ﴿ قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم ﴾ لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط نسبه رد عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليكون اعظم خطرا فى القلوب واقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لاما ذكرتم وقد زاده الله فيهما وكان الرجل القائم يمد يده فينال رأسه وثالثا بانه تعالى مالك الملك على الاطلاق فله ان يؤتيه من يشاء ورابعا بانه واسع الفضل يوسع على الفقير ويغنيه عليم

اسرائيل ﴾ يعقوب ﴿ على نفسه ﴾ وهو الابل لما حصل له عرق النسا بالفتح والقصر فنذر ان شفى لا يأكلها فحرم عليهم ﴿ من قبل أن تنزل التورية ﴾ وذلك بعد ابراهيم ولم تكن على عهده حراما كما زعموا ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ فأتوا بالتورية فاتلوها ﴾ ليتبين صدق قولكم ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ فيه فبهتوا ولم يأتوا بها قال تعالى ﴿ فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك ﴾ أى ظهور الحجة بأن التحريم انما كان من جهة يعقوب لاعلى عهد ابراهيم ﴿ فاولئك هم الظالمون ﴾ المتجاوزون الحق الى الباطل ﴿ قل صدق الله ﴾ فى هذا كجميع ما أخبر به ﴿ فاتبعوا ملة ابراهيم ﴾ التى أنا عليها ﴿ حنيفا ﴾ مائلا عن كل دين الى الاسلام ﴿ وما كان من المشركين ﴾ * ونزل لما قالوا قبلتنا قبل قبلتكم ﴿ ان أول بيت وضع ﴾ متعبدا ﴿ للناس ﴾ فى الارض ﴿ للذى ببكة ﴾ بالباء لغة فى مكة سميت بذلك لانها تبك أعناق الجبابرة أى تدقها بناه الملائكة قبل خلق آدم ووضع بعده الاقصى

بمن يليق بالملك من النسيب وغيره ﴿ وقال لهم نبيهم ﴾ لما طلبوا منه حجة على انه سبحانه وتعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم ﴿ ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت ﴾ الصندوق فعلوت من التوب وهو الرجوع فانه لايزال يرجع اليه مايخرج منه وليس بفاعول لقلة نحو سلس وقلق ومن قرأه بالهاء فلعله ابدله منه كما ابدل من تاء التأنيث لاشتراكهما فى الهمس والزيادة يريد به صندوق التورية وكان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلاثة اذرع فى ذراعين ﴿ فيه سكينة من ربكم ﴾ الضمير للاتيان اى فى اتيانه سكون لكم وطمانينة اوللتابوت اى مودع فيه ماتسكنون اليه وهو التورية وكان موسى عليه السلام اذاقاتل قدمه فتسكن نفوس بنى اسرائيل ولايفرون وقيل صورة كانت فيه من زبرجد اوياقوت لهارأس وذنب كرأس الهرة وذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صور الانبياء من آدم الى محمد عليهم الصلوة والسلام وقيل التابوت هو القلب والسكينة مافيه من العلم والاخلاص واتيانه مصير قلبه مقرا للعلم والوقار بعد ان لم يكن ﴿ وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون ﴾ رضاض الالواح وعصى موسى وثيابه وعمامة هرون وآلهما ابناؤهما اوانفسهما والآل مقحم لتفخيم شأنهما اوانبياء بنى اسرائيل لانهم ابناء عمهما ﴿ تحمله الملائكة ﴾ قيل رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل كان بعده مع انبيائهم يستفتحون به حتى افسدوا فغلبهم الكفار عليه وكان فى ارض جالوت الى ان ملك الله طالوت فاصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مدائن فتشأموا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت ﴿ ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ﴾ يحتمل ان يكون من تمام كلام النبى عليه السلام وان يكون ابتداء خطاب من الله تعالى ﴿ فلما فصل طالوت بالجنود ﴾ انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة واصله فصل نفسه عنه ولكن لما كثر حذف مفعوله صار كاللازم روى انه قال لهم لايخرج معى الاالشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة وسألوا ان يجرى الله لهم نهرا ﴿ قال ان الله مبتليكم بنهر ﴾ معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه ﴿ فمن شرب منه فليس منى ﴾ فليس من اشياعى اوليس بمتحد بى ﴿ ومن لم يطعمه فانه منى ﴾ اى ومن لم يذقه

وبينهما اربعون سنة كما فى حديث الصحيحين وفى حديث انه اول ماظهر على وجه الماء عند خلق السموات والارض زبدة بيضاء فدحيت الارض من تحته (مباركا) حال من الذى اى ذا بركة (وهدى للعالمين) لانه قبلتهم (فيه آيات بينات) منها (مقام ابراهيم) اى الحجر الذى قام عليه عند بناء البيت فأثر قدماه فيه وبقى الى الآن مع تطاول الزمان وتداول الايدى عليه ومنها تضعيف الحسنات فيه وان الطير لايعلوه (ومن دخله كان آمنا) لايتعرض اليه بقتل اوظلم اوغير ذلك (ولله على الناس حج البيت) واجب بكسر الحاء وفتحها لغتان فى مصدر حج بمعنى قصد ويبدل من الناس (من استطاع اليه سبيلا) طريقا فسره صلى الله عليه وسلم بالزاد والراحلة رواه الحاكم وغيره (ومن كفر) بالله او بما فرضه من الحج (فان الله غنى عن العالمين) الانس والجن والملائكة وعن عبادتهم (قل ياأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) القرآن (والله

من طعم الشيء اذا ذاقه مأكولا اومشروبا قال الشاعر * وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا * وانما علم ذلك بالوحي ان كان نبيا كما قيل اوباخبار النبي عليه السلام (الا من اغترف غرفة بيده) استثناء من قوله فمن شرب وانما قدمت عليه الجملة الثانية للعناية بها كما قدم الصابئون على الخبر في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة في القليل دون الكثير وقرأ ابن عامر والكوفيون بضم الغين (فشربوا منه الا قليلا منهم) اي فكرعوا فيه اذ الاصل في الشرب منه ان لا يكون بوسط وتعميم الاول ليتصل الاستثناء اوافرطوا في الشرب الا قليلا منهم وقرئ بالرفع حملا على المعنى فان قوله فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا وقيل ثلاثة آلاف وقيل الفا روى ان من اقتصر على الغرفة كفته لشربه واداوته ومن لم يقتصر غلب عليه عطشه واسودت شفته ولم يقدر ان يمضي وهكذا الدنيا لطالب الآخرة (فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه) اي القليل الذين لم يخالفوه (قالوا) اي بعضهم لبعض (لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) لكثرتهم وقوتهم (قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله) اي قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثوابه اوعلموا انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله تعالى وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير في قالوا للكثير المنخذلين عنه اعتذارا في التخلف وتحذيرا للقليل وكأنهم تقاولوا به والنهر بينهما (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله) بحكمه وتيسيره وكم تحتمل الاستفهام والخبر ومن مزيدة اومبينة والفئة الفرقة من الناس من فأوت رأسه اذا شققته اومن فاء اذا رجع فوزنها فعة اوفلة (والله مع الصابرين) بالنصر والاثابة (ولما برزوا لجالوت وجنوده) اي ظهروا لهم ودنوا منهم (قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) التجأوا الى الله تعالى بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سألوا اولا افراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب المسبب عنه ثم النصر على العدو المترتب عليهما غالبا (فهزموهم باذن الله) فكسروهم بنصره اومصاحبين لنصره اياهم اجابة لدعائهم (وقتل داود جالوت) قيل كان ايشا في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله الى نبيهم انه الذي

شهيد على ما تعملون) فيجازيكم عليه (قل يا أهل الكتاب لم تصدون) تصرفون (عن سبيل الله) اي دينه (من آمن) بتكذيبكم النبي وكتم نعته (تبغونها) اي تطلبون السبيل (عوجا) مصدر بمعنى معوجة اي مائلة عن الحق (وانتم شهداء) عالمون بأن الدين المرضى القيم هو دين الاسلام كما في كتابكم (وما الله بغافل عما تعملون) من الكفر والتكذيب وانما يؤخركم الى وقتكم ليجازيكم * ونزل لما مر بعض اليهود على الاوس والخزرج فغاظه تألفهم فذكرهم بما كان بينهم في الجاهلية من الفتن فتشاجروا وكادوا يقتتلون (يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون) استفهام تعجيب وتوبيخ (وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم) يتمسك (بالله فقد هدى الى صراط مستقيم يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) بأن يطاع فلا يعصى ويشكر

يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد كلمه فى الطريق ثلاثة احجار وقالت له انك بنا تقتل جالوت فحملها فى مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته (وآتاه الله الملك) اى ملك بنى اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود على ملك (والحكمة) اى النبوة (وعلمه مما يشاء) كالسرد وكلام الدواب والطير (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين) ولولا ان الله تعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفار ويكف بهم فسادهم لغلبوا او افسدوا فى الارض او لفسدت الارض بشؤمهم وقرأ نافع هنا وفى الحج دفاع الله (تلك آيات الله) اشارة الى ماقص من حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت (نتلوها عليك بالحق) بالوجه المطابق الذى لايشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ (وانك لمن المرسلين) لما اخبرت بها من غير تعريف واستماع (تلك الرسل) اشارة الى الجماعة المذكورة قصصها فى التورية او المعلومة للرسول صلى الله عليه وسلم او جماعة الرسل واللام للاستغراق (فضلنا بعضهم على بعض) بان خصصنا بمنقبة ليست لغيره (منهم من كلم الله) تفصيل له وهو موسى وقيل موسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام كلم موسى ليلة الحيرة وفى الطور ومحمدا عليه السلام ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او أدنى وبينهما بون بعيد وقرىء كلم الله وكالم الله بالنصب فانه كلم الله كما ان الله كلمه ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه (ورفع بعضهم درجات) بان فضله على غيره من وجوه متعددة وبمراتب متباعدة وهو محمد صلى الله عليه وسلم فانه خص بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شأنه كأنه العلم المتعين لهذا الوصف المستغنى عن التعيين وقيل ابراهيم عليه السلام خصصه بالخلة التى هى اعلى المراتب وقيل ادريس عليه السلام لقوله تعالى * ورفعناه مكانا عليا * وقيل اولوا العزم من الرسل (وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس) خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى فى تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها آيات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره (ولو شاء الله) هدى الناس جميعا (ما اقتتل الذين من بعدهم) من بعد الرسل (من بعد

فلا يكفر ويذكر فلا ينسى فقالوا يارسول الله ومن يقوى على هذا فنسخ بقوله تعالى * فاتقوا الله ما استطعتم * (ولاتموتن الا وأنتم مسلمون) موحدون (واعتصموا) تمسكوا (بحبل الله) اى دينه (جميعا ولاتفرقوا) بعد الاسلام (واذكروا نعمت الله) انعامه (عليكم) يامعشر الاوس والخزرج (اذ كنتم) قبل الاسلام (أعداء فألف) جمع (بين قلوبكم) بالاسلام (فأصبحتم) فصرتم (بنعمته اخوانا) فى الدين والولاية (وكنتم على شفا) طرف (حفرة من النار) ليس بينكم وبين الوقوع فيها الا أن تموتوا كفارا (فأنقذكم منها) بالايمان (كذلك) كما بين لكم ماذكر (يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ولتكن منكم امة يدعون الى الخير) الاسلام (ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك) الداعون الآمرون الناهون (هم المفلحون) الفائزون ومن للتبعيض لان ماذكر

ماجاءتهم البينـات) المعجزات الواضحة لاختـلافهم فى الدين وتضليل بعضهم بعضا (ولكن اختلفوا فمنهم من آمن) بتوفيقـه التزام دين الانبياء تفضلا (ومنهم من كفر) لاعراضه عنه بخذلانه (ولوشاء الله مااقتتلوا) كرره للتأكيد (ولكن الله يفعل مايريد) فيوفق من يشـاء فضلا ويخذل من يشـاء عدلا والآية دليل على ان الانبياء عليهم الصلوة والسـلام متفاوتة الاقدام وانه يجوز تفصيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث بيدالله تعالى تابعة لمشيئته خيراكان اوشرا ايمانا اوكفرا (يا ايهـا الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم) ما اوجبنا عليكم انفاقه (من قبـل ان يأتى يوم لابيع فيه ولاخلة ولاشـفاعة) من قبل ان يأتى يوم لاتقدرون فيه على تدارك مافرطتم والخلاص من عذابه اذلابيع فيه فتحصلون ماتنفقونه اوتفتدون به من العـذاب ولاخلة حتى يعينكم عليـه اخلاؤكم اويسـامحوكم به ولاشـفاعة الالمن اذن له الرحمن ورضى له قولا حتى تتكلوا على شـفعاء تشـفع لكم فى حط مافى ذممكم وانما رفعت ثلاثتها مع قصد التعميم لانها فى التقدير جواب هل فيه بيع اوخلة اوشـفاعة وقد فتحها ابن كثير وابوعمرو ويعقوب على الاصل (والكافرون هم الظالمون) يريد التاركون للزكوة هم الذين ظلموا انفسهم اووضعوا المال فى غير موضعه وصرفوه على غير وجهه فوضع الكافرون موضعه تغليظا وتهديدا كقوله ومن كفر مكان من لم يحج وايذانا بان ترك الزكوة من صفات الكفار لقوله تعالى وويل للمشركين الذين لايؤتون الزكوة (الله لااله الا هو) مبتـدأ وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة لاغير وللنحاة خلاف فى انه هل يضمر للا خبر مثل فى الوجود او يصح ان يوجد (الحى) الذى يصح ان يعلم ويقدر وكل مايصح له فهو واجب لايزول لامتناعه عن القوة والامكان (القيوم) الدائم القيـام بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بالامر اذا حفظه وقرئ القيام والقيم (لاتأخذه سـنة ولانوم) السنة فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع * وسنان اقصد النعاس فرنقت * فى عينـه سنة وليس بنائم * والنوم حال تعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس رأسـا وتقديم السنة عليه وقيـاس المبالغة عكسـه على ترتيب الوجود

فرض كفاية لايلزم كل الامة ولايليق بكل أحد كالجاهل وقيـل زائدة أى لتكونوا أمة (ولاتكونوا كالذين تفرقوا) عـن دينهم (واختلفوا) فيه (من بعد ماجاءهم البينـات) وهم اليهود والنصارى (واولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) أى يوم القيمـة (فأما الذين اسـودت وجوههم) وهم الكافرون فيلقون فى النـار ويقال لهم توبيخا (اكفرتم بعد ايمانكم) يوم أخذ الميثاق (فذوقوا العـذاب بما كنتم تكفرون واما الذين ابيضت وجوههم) وهم المؤمنون (ففى رحمت الله) أى جنته (هم فيهـا خالدون تلك) أى هذه الآيات (آيات الله نتلوها عليك) يامحمد (بالحق وماالله يريد ظلما للعالمين) بأن يأخذهم بغير جرم (ولله مافى السموات ومافى الارض) ملكا وخلقا وعبيدا (والى الله ترجع) تصـير (الامور كنتم) ياأمة محمد فى عـلم الله تعالى (خير أمة أخرجت) أظهرت (للنـاس تأمرون

٦ والجملة)

والجملة نفي للتشبيه وتأكيد لكونه حيا قيوما فان من اخذه نعاس او نوم كان ماوف الحيوة قاصرا في الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف فيه وفي الجمل التي بعده له (له ما في السموات وما في الارض) تقرير لقيوميته واحتجاج به على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ماوجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو ابلغ من قوله له ملك السموات والارض ومافيهن (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) بيان لكبرياء شأنه وانه لا احد يساويه او يدانيه ليستقل بان يدفع مايريده شفاعة واستكانة فضلا عن ان يعاوقه عنادا ومناصبة اي مخاصمة (يعلم مابين ايديهم وماخلفهم) ماقبلهم ومابعدهم اوبالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور الآخرة اوعكسه اومايحسونه وما يعقلونه ومايدركونه ومالايدركونه والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء اولما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء (ولايحيطون بشيء من علمه) من معلوماته (الا بماشاء) ان يعلموا وعطفه على ماقبله لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته (وسع كرسيه السموات والارض) تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله تعالى * وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه * ولاكرسي في الحقيقة ولاقاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه اوملكه مأخوذ من كرسي العالم والملك وقيل جسم بين يدي العرش ولذلك سمي كرسيا محيط بالسموات السبع لقوله عليه الصلوة والسلام ماالسموات السبع والارضون السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وهو في الاصل اسم لمايقعد عليه ولايفضل عن مقعد القاعد وكأنه المنسوب الى الكرسي وهو الملبد (ولايؤده) اي ولايثقله مأخوذ من الأود وهو الاعوجاج (حفظهما) اي حفظ السموات والارض فحذف الفاعل واضاف المصدر الى المفعول (وهو العلي) المتعالي عن الانداد والاشباه (العظيم) المستحقر بالاضافة اليه كل ماسواه وهذه الآية مشتملة على امهات المسائل الالهية دالة على انه تعالى موجود واحد في الالوهية متصف بالحيوة وواجب الوجود لذاته موجد لغيره اذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور لايناسب الاشباح

بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان) الايمان (خيرا لهم منهم المؤمنون) كعبدالله بن سلام رضي الله عنه واصحابه (وأكثرهم الفاسقون) الكافرون (لن يضروكم) اي اليهود يامعشر المسلمين بشيء (الا اذى) باللسان من سب ووعيد (وان يقاتلوكم يولوكم الادبار) منهزمين (ثم لاينصرون) عليكم بل لكم النصر عليهم (ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا) حيثما وجدوا فلاعز لهم ولااعتصام (الا) كائنين (بحبل من الله وحبل من الناس) المؤمنين وهو عهدهم اليهم بالامان على اداء الجزية أي لاعصمة لهم غير ذلك (وباؤا) رجعوا (بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم) أي بسبب أنهم (كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك) تأكيد (بماعصوا) أمر الله (وكانوا يعتدون) يتجاوزون الحلال الى الحرام (ليسوا) أي أهل الكتاب (سواء

ولا يعتريه مايعترى الارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد الذى لايشفع عنده الامن اذن له العالم وحده بالاشياء كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة كل مايصح ان يملك ويقدر عليه لايأوده شاق ولايشغله شأن متعال عمايدركه وهم عظيم لايحيط به فهم ولذلك قال النبى صلى الله عليه السلام ان اعظم آية فى القرآن آية الكرسى من قرأها بعث الله ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة وقال من قرأ آية الكرسى فى دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ من مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله ﴿ لا اكراه فى الدين ﴾ اذ الاكراه فى الحقيقة الزام الغير فعلا لايرى فيه خيرا يحمله عليه ولكن ﴿ قد تبين الرشد من الغى ﴾ تميز الايمان من الكفر بالآيات الواضحة ودلت الدلائل على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غى يؤدى الى الشقاوة السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج الى الاكراه والالجاء وقيل اخبار بمعنى النهى اى لاتكرهوا فى الدين وهو اما عام منسوخ بقوله * جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم * او خاص باهل الكتاب لما روى ان انصاريا كان له ابنان تنصرا قبل البعث ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فأبيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصارى يارسول الله ايدخل بعضى النار وانا انظر اليه فنزلت فخلاهما ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ﴾ بالشيطان او الاصنام اوكل ماعبد من دون الله اوصد عن عبادة الله تعالى فعلوت من الطغيان قلب عينه ولامه ﴿ ويؤمن بالله ﴾ بالتوحيد وتصديق الرسل ﴿ فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ طلب الامساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهى مستعارة لمتمسك الحق من النظر الصحيح والرأى القويم ﴿ لا انفصام لها ﴾ لا انقطاع لها يقال فصمته فانفصم اذا كسرته ﴿ والله سميع ﴾ بالاقوال ﴿ عليم ﴾ بالنيات ولعله تهديد على النفاق ﴿ الله ولى الذين آمنوا ﴾ محبهم اومتولى امرهم والمراد بهم من اراد ايمانه وثبت فى علمه انه يؤمن ﴿ يخرجهم ﴾ بهدايته وتوفيقه ﴿ من الظلمات ﴾ ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس والشبه المؤدية الى الكفر ﴿ الى النور ﴾ الى الهدى الموصل

مستوين (من أهل الكتاب أمة قائمة) مستقيمة ثابتة على الحق كعبد الله بن سلام رضى الله عنه وأصحابه (يتلون آيات الله آناء الليل) أى فى ساعاته (وهم يسجدون) يصلون حال (يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك) الموصوفون بما ذكر (من الصالحين) ومنهم من ليسوا كذلك وليسوا من الصالحين (وما تفعلوا) بالتاء أيتها الامة والياء أى الامة القائمة (من خير فلن تكفروه) بالوجهين أى تعدموا ثوابه بل تجازون عليه (والله عليم بالمتقين ان الذين كفروا لن تغنى) تدفع (عنهم اموالهم ولا أولادهم من الله) أى من عذابه (شيئا) وخصهما بالذكر لان الانسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال وتارة بالاستعانة بالاولاد (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون مثل) صفة (ماينفقون) أى الكفار (فى هذه الحيوة

(الى)

والجملة خبر بعد خبر او حال من المستكن فى الخبر او من الموصول او منهما او استئناف مبين او مقرر للولاية (والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت) اى الشياطين او المضلات من الهوى والشياطين وغيرها (يخرجونهم من النور الى الظلمات) من النور الذى منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد والانهماك فى الشهوات اومن نور البينات الى ظلمات الشكوك والشبهات وقيل نزلت فى قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار السبب لايأبى تعلق قدرته تعالى وارادته به (اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم لشأنهم (الم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه) تعجيب من محاجة نمرود وحماقته (ان آتاه الله الملك) لان آتاه اى ابطره ايتاء الملك وحمله على المحاجة اوحاج لاجله شكرا له على طريقة العكس كقولك عاديتنى لانى احسنت اليك اووقت ان آتاه الله الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة (اذ قال ابراهيم) ظرف لحاج او بدل من ان آتاه الله على الوجه الثانى (ربى الذى يحيي ويميت) يخلق الحيوة والموت فى الاجساد وقرأ حمزة رب بحذف الياء (قال انا احيي واميت) بالعفو عن القتل والقتل وقرأ نافع انا بالالف (قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) اعرض ابراهيم عليه السلام عن الاعتراض على معارضته الفاسدة الى الاحتجاج بما لايقدر فيه على نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة وهو فى الحقيقة عدول عن مثال خفى الى مثال جلى من مقدوراته التى يعجز عن الاتيان بها غيره لاعن حجة الى اخرى ولعل نمرود زعم انه يقدر ان يفعل كل جنس يفعله الله فنقضه ابراهيم بذلك وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته اواعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابراهيم عليه السلام الاصنام سجنه اياما ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذى تدعو اليه وحاجه فيه (فبهت الذى كفر) فصار مبهوتا وقرئ فبهت اى فغلب ابراهيم الكافر (والله لايهدى القوم الظالمين) الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لايهديهم محجة الاحتجاج اوسبيل النجاة اوطريق الجنة يوم القيمة (اوكالذى مر على قرية) تقديره اوارأيت مثل الذى فحذف لدلالة الم تر الى الذى حاج عليه وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى بخلاف مدعى

الدنيا) فى عداوة النبى اوصدقه ونحوها (كمثل ريح فيها صر) حر أو برد شديد (اصابت حرث) زرع (قوم ظلموا انفسهم) بالكفر والمعصية (فاهلكته) فلم ينتفعوا به فكذلك نفقاتهم ذاهبة لاينتفعون بها (وماظلمهم الله) بضياع نفقاتهم (ولكن انفسهم يظلمون) بالكفر الموجب لضياعها (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة) اصفياء تطلعونهم على سركم (من دونكم) اى غيركم من اليهود والنصارى والمنافقين (لايألونكم خبالا) نصب بنزع الخافض اى لايقصرون لكم فى الفساد (ودوا) تمنوا (ماعنتم) اى عنتكم وهو شدة الضرر (قدبدت) ظهرت (البغضاء) العداوة لكم (من افواههم) بالوقيعة فيكم واطلاع المشركين على سركم (وماتخفى صدورهم) من العداوة (أكبر قدبينا لكم الآيات) على عداوتهم (ان كنتم تعقلون) ذلك فلاتوالوهم (ها) للتنبيه (أنتم) يا (أولاء) المؤمنين

الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام الم تر الى الذى حاج اوالذى مر وقيل انه عطف محمول على المعنى كأنه قيل الم تر كالذى حاج اوكالذى مر وقيل انه من كلام ابراهيم ذكره جوابا لمعارضته وتقديره اوان كنت تحيى فاحى كاحياء الله تعالى الذى مر وهو عزير بن شرحيا اوالخضر اوكافر بالبعث ويؤيده نظمه مع نمرود والقرية بيت المقدس حين خربه بخت نصر وقيل القرية التى خرج منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها من القرى وهو الجمع (وهى خاوية على عروشها) خالية ساقطة حيطانها على سقوفها (قال انى يحيى هذه الله بعد موتها) اعترافا بالقصور عن معرفة طريق الاحياء واستعظاما لقدرة المحيي ان كان القائل مؤمنا واستبعادا ان كان كافرا وانى فى موضع نصب على الظرف بمعنى متى اوعلى الحال بمعنى كيف (فاماته الله مائة عام) فالبثه ميتا مائة عام اواماته الله فلبث ميتا مائة عام (ثم بعثه) بالاحياء (قال كم لبثت) القائل هوالله وساغ ان يكلمه وان كان كافرا لانه آمن بعد البعثة اوشارف الايمان وقيل ملك اونبى (قال لبثت يوما او بعض يوم) كقول الظان وقيل انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية منها فقال او بعض يوم على الاضراب (قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه) لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة والهاء اصلية ان قدر لام السنة هاء وهاء سكت ان قدرت واوا وقيل اصله لم يتسنن من الحمأ المسنون فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضى البازى وانما افرد الضمير لان الطعام والشراب كالجنس الواحد قيل كان طعامه تينا اوعنبا وشرابه عصيرا اولبنا وكان الكل على حاله وحمزة والكسائى لم يتسن بغير الهاء فى الوصل (وانظر الى حمارك) كيف تفرقت عظامه اوانظر اليه سالما فى مكانه كما ربطته حفظناه بلاماء وعلف كما حفظنا الطعام والشراب من التغير والاول ادل على الحال واوفق لمابعده (ولنجعلك آية للناس) اى وفعلنا ذلك لنجعلك آية روى انه اتى قومه على حماره وقال انا عزير فكذبوه فقرأ التورية من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك وقالوا ابن الله وقيل لما رجع الى منزله كان شابا واولاده شيوخا فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة (وانظر الى العظام) يعنى عظام الحمار اوالاموات الذين تعجب من احيائهم (كيف ننشزها) نحييها

(او)

(تحبونهم) لقرابتهم منكم وصداقتهم (ولا يحبونكم) لمخالفتهم لكم فى الدين (وتؤمنون بالكتاب كله) اى بالكتب كلها ولا يؤمنون بكتابكم (واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل) اطراف الاصابع (من الغيظ) شدة الغضب لما يرون من ائتلافكم ويعبر عن شدة الغضب بعض الانامل مجازا وان لم يكن ثمه عض (قل موتوا بغيظكم) اى ابقوا عليه الى الموت فلن تروا مايسركم (ان الله عليم بذات الصدور) بما فى القلوب ومنه مايضمره هؤلاء (ان تمسسكم) تصبكم (حسنة) نعمة كنصر وغنيمة (تسؤهم) تحزنهم (وان تصبكم سيئة) كهزيمة وجدب (يفرحوا بها) وجملة الشرط متصلة بالشرط قبل ومابينهما اعتراض والمعنى انهم متناهون فى عداوتكم فلم توالونهم فاجتنبوهم (وان تصبروا) على اذاهم (وتتقوا الله) فى موالاتهم وغيرها (لايضركم) بكسر الضاد وسكون الراء وضمها

او نرفع بعضها الى بعض و نركبه عليه و كيف منصوب بننشزها والجملة
حال من العظام اى انظر اليها محياة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو
ويعقوب ننشرها من انشر الله الموتى وقرئ ننشرها من نشر بمعنى
انشر ﴿ ثم نكسوها لحما فلما تبين له ﴾ فاعل تبين مضمر يفسره مابعده
تقديره فلما تبين له ان الله على كل شئ قدير ﴿ قال اعلم ان الله على كل شئ قدير ﴾
فحذف الاول لدلالة الثانى عليه اوماقبله اى فلما تبين له مااشكل عليه وقرأ
حمزة والكسائى قال اعلم على الامر والآمر مخاطبه اوهو نفسه خاطبها به
على طريق التبكيت ﴿ واذقال ابراهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى ﴾ انما سأل
ذلك ليصير علمه عيانا وقيل لما قال نمرود انا احيي واميت قال له ان احياء
الله تعالى برد الروح الى بدنها فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم
وانتقل الى تقرير آخر ثم سأل ربه ان يريه ليطمئن قلبه على الجواب ان سئل
عنه مرة اخرى ﴿ قال او لم تؤمن ﴾ بانى قادر على الاحياء باعادة التركيب
والحيوة قال له ذلك وقد علم انه اعرف الناس فى الايمان ليجيب بما اجاب
به فيعلم السامعون غرضه ﴿ قال بلى ولكن ليطمئن قلبى ﴾ اى بلى آمنت
ولكن سألت ذلك لازيد بصيرة وسكون قلب بمضامة العيان الى الوحى
والاستدلال ﴿ قال فخذ اربعة من الطير ﴾ قيل طاوسا وديكا وغرابا
وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمامة وفيه ايماء الى ان احياء النفس
بالحيوة الابدية انما يتأتى باماتة حب الشهوات والزخارف الذى هو
صفة الطاوس والصولة المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الامل
المتصف بهما الغراب والترفع والمسارعة الى الهوى الموسوم بهما
الحمام وانما خص الطير لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص الحيوان
والطير مصدر سمى به او جمع كصحب ﴿ فصرهن اليك ﴾ فاملهن
واضممهن اليك لتتأملها وتعرف شياتها لئلا يلتبس عليك بعد الاحياء
وقرأ حمزة و يعقوب فصرهن بالكسر وهما لغتان قال * وماصيد الاعناق
فيهم جبلة * ولكن اطراف الرماح تصورها * وقال * وفرع يصير الجيد
وحف كأنه * على الليت قنوان الكروم الدوالح * وقرئ فصرهن بضم
الصاد وكسرها مشددة الراء من صره يصره اذا جمعه وفصرهن
من التصرية وهى الجمع ايضا ﴿ ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ ﴾
اى ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال التى بحضرتك قيل

وتشديدها ﴿ كيدهم شيئا
ان الله بما يعملون ﴾ بالياء والتاء
﴿ محيط ﴾ عالم فيجازيهم به ﴿ و
اذكر يا محمد ﴿ اذ غدوت
من اهلك ﴾ من المدينة ﴿ تبوئ ﴾
تنزل ﴿ المؤمنين مقاعد ﴾ مراكز
يقفون فيها ﴿ للقتال والله
سميع ﴾ لاقوالكم ﴿ عليم ﴾
باحوالكم وهو يوم احد
خرج صلى الله عليه وسلم
بالف او الاخمسين رجلا
والمشركون ثلاثة آلاف ونزل
بالشعب يوم السبت سابع شوال
سنة ثلاث من الهجرة وجعل
ظهره وعسكره الى احد
وسوى صفوفهم واجلس
جيشا من الرماة وامر عليهم
عبد الله بن جبير بسفح الجبل
وقال انضحوا عنا بالنبل
لايأتونا من ورائنا ولاتبرحوا
غلبنا او نصرنا ﴿ اذ ﴾ بدل
من اذ قبله ﴿ همت طائفتان
منكم ﴾ بنو سلمة وبنو حارثة
جناحا العسكر ﴿ ان تفشلا ﴾
تجبنا عن القتال وترجعا
لمارجع عبد الله بن أبى المنافق
واصحابه وقال علام نقتل
انفسنا واولادنا وقال لابى جابر
السلمى القائل له انشدكم الله
فى نبيكم وانفسكم لو نعلم قتالا

كانت اربعة وقيل سبعة وقرا ابو بكر جزأ وجزوأ بضم الزاى حيث وقع (ثم ادعهن) قل لهن تعالين باذن الله (يأتينك سعيا) ساعيات مسرعات طيرانا او مشيا روى انه امر بان يذبحها و ينتف ريشها ويقطعها ويمسك رؤسها ويخلط سائر اجزائها ويوزعها على الجبال ثم يناديهم ففعل فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن وفيه اشارة الى ان من اراد احياء نفسه بالحيوة الابدية فعليه ان يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات متى دعاهن بداعية العقل او الشرع وكفى لك شاهدا على فضل ابراهيم عليه السلام ويمن الضراعة فى الدعاء وحسن الادب فى السؤال انه تعالى اراه ما اراد ان يريه فى الحال على ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد ان اماته مائة عام (واعلم ان الله عزيز) لا يعجز عما يريده (حكيم) ذو حكمة بالغة فى كل ما يفعله ويذره (مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة) اى مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة على حذف المضاف (انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة) اسند الانبات الى الحبة لما كانت من الاسباب كما يسند الى الارض والماء والمنبت على الحقيقة هو الله والمعنى انه يخرج منها ساق يتشعب منها سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضى وقوعه وقد يكون فى الذرة والدخن وفى البر فى الاراضى المغلة (والله يضاعف) تلك المضاعفة (لمن يشاء) بفضله على حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن اجل ذلك تفاوتت الاعمال فى مقادير الثواب (والله واسع) لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة (عليم) بنية المنفق وقدر انفاقه (الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى) نزلت فى عثمان رضى الله تعالى عنه فانه جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف فانه اتى النبى صلى الله عليه وسلم باربعة آلاف درهم صدقة والمن ان يعتد باحسانه على من احسن اليه والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه وثم للتفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى (لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) لعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما اسند اليه معنى الشرط ايهاما بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا (قول معروف) رد جميل

(ومغفرة)

لا تبعناكم فثبتهما الله ولم ينصرفا (والله وليهما) ناصرهما (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) ليثقوا به دون غيره ونزل لما هزموا تذكيرا لهم بنعمة الله (ولقد نصركم الله ببدر) موضع بين مكة والمدينة (وانتم اذلة) بقلة العدد والسلاح (فاتقوا الله لعلكم تشكرون) نعمه (اذ) ظرف لنصركم (تقول للمؤمنين) توعدهم تطمينا (الن يكفيكم ان يمدكم) يعينكم (ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) بالتخفيف والتشديد (بلى) يكفيكم ذلك وفى الانفال الف لانه امدهم اولا بها ثم صارت ثلاثة ثم صارت خمسة كما قال تعالى (ان تصبروا) على لقاء العدو (وتتقوا) الله فى المخالفة (ويأتوكم) اى المشركون (من فورهم) وقتهم (هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) بكسر الواو وفتحها اى معلمين وقد صبروا وانجز الله وعدهم بان قاتلت معهم الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم صفر او بيض ارسلوها بين اكتافهم (وما جعله

(ومغفرة) وتجاوز عن السائل الحاحه او نيل مغفرة من الله بالرد الجميل
اوعفو من السائل بان يعذره ويغتفر رده (خير من صدقة يتبعها اذى)
خبر عنهما وانما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالصفة (والله غنى)
عن انفاق بمن و ايذاء (حليم) عن معاجلة من يمن و يؤذى بالعقوبة
(ياايها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى) لاتحبطوا اجرها بكل
واحد منهما (كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر)
كابطال المنافق الذى يرائى بانفاقه لايريد به رضاء الله تعالى ولاثواب
الآخرة او مماثلين الذى ينفق رئاء الناس فالكاف فى محل النصب على المصدر
او الحال ورياء نصب على المفعول له او الحال بمعنى مرائيا او المصدر اى انفاقا
رياء (فمثله) اى فمثل المرائى فى انفاقه (كمثل صفوان) كمثل حجر املس
(عليه تراب فاصابه وابل) مطر عظيم القطر (فتركه صلدا) املس
نقيا من التراب (لايقدرون على شئ مما كسبوا) لاينتفعون بما فعلوا رياء
ولايجدون له ثوابا والضمير للذى ينفق باعتبار المعنى لان المراد به الجنس
اى الجمع كما فى قوله * وان الذى حانت بفلج دماؤهم * هم القوم كل القوم
ياام خالد * (والله لايهدى القوم الكافرين) الى الخير والرشاد وفيه
تعريض بان الرياء والمن والاذى على الانفاق من صفات الكفار ولابد
للمؤمن ان يجتنب عنها (ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضاة الله
وتثبيتا من انفسهم) وتثبيتا بعض انفسهم على الايمان فان المال شقيق
الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه
ثبتها كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدأ من اصل انفسهم وفيه
تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية للنفس عن البخل وحب المال
(كمثل جنة بربوة) اى ومثل نفقة هؤلاء فى الزكوة كمثل بستان بموضع
مرتفع فان شجره يكون احسن منظرا وازكى ثمرا وقرأ ابن عامر وعاصم
بربوة بالفتح وقرئ بالكسر وثلاثتها لغات فيها (اصابها وابل) مطر
عظيم القطر (فآتت اكلها) ثمرتها وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بالسكون
للتخفيف (ضعفين) مثلى ماكانت تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل
كما اريد بالزوج الواحد فى قوله تعالى * من كل زوجين اثنين * وقيل
اربعة امثاله ونصبه على الحال اى مضاعفا (فان لم يصبها وابل فطل)
اى فيصيبها او فالذى يصيبها طل او فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة

الله) أى الامداد (الا بشرى
لكم) بالنصر (ولتطمئن)
تسكن (قلوبكم به) فلاتجزع
من كثرة العدو وقلتكم
(وما النصر الا من عند الله
العزيز الحكيم) يؤتيه من يشاء
وليس بكثرة الجند (ليقطع)
متعلق بنصركم أى ليهلك
(طرفا من الذين كفروا)
بالقتل والاسر (أو يكبتهم)
يذلهم بالهزيمة (فينقلبوا)
يرجعوا (خائبين) لم ينالوا
ماراموه ونزل لما كسرت رباعيته
صلى الله عليه وسلم وشج
وجهه يوم أحد وقال كيف
يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم
بالدم (ليس لك من الامر شئ)
بل الامر لله فاصبر (أو)
بمعنى الى أن (يتوب عليهم)
بالاسلام (أو يعذبهم فانهم
ظالمون) بالكفر (ولله
مافى السموات ومافى الأرض)
ملكا وخلقا وعبيدا (يغفر
لمن يشاء) المغفرة له (ويعذب
من يشاء) تعذيبه (والله غفور)
لاوليائه (رحيم) بأهل طاعته
(ياأيها الذين آمنوا لاتأكلوا
الربوا أضعافا مضاعفة)
بالف ودونها بان تزيدوا

في المال عند حلول الاجل وتؤخروا الطلب (واتقوا الله) بتركه (لعلكم تفلحون) تفوزون (واتقوا النار التى أعدت للكافرين) ان تعذبوا بها (واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وسارعوا) بواو ودونها(الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض) أى كعرضهما لو وصلت احداها بالاخرى والارض السبعة (اعدت للمتقين) الله بعمل الطاعات وترك المعاصى (الذين ينفقون) فى طاعة الله (فى السراء والضراء) اليسر والعسر (والكاظمين الغيظ) الكافين عن امضائه مع القدرة (والعافين عن الناس) ممن ظلمهم أى التاركين عقوبته (والله يحب المحسنين) بهذه الافعال أى يثيبهم (والذين اذا فعلوا فاحشة) ذنبا قبيحا كالزنا (او ظلموا انفسهم) بمادونه كالقبلة (ذكروا الله) أى وعيده (فاستغفروا لذنوبهم ومن) أى لا (يغفر الذنوب الا الله

هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير القطر والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله لاتضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ماينضم اليها من احواله ويجوز ان يكون التمثيل لحالهم عند الله تعالى بالجنة على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين فى زلفاهم بالوابل والطل (والله بما تعملون بصير) تحذير عن الرياء وترغيب فى الاخلاص (ايود احدكم) الهمزة فيه للانكار (ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات) جعل الجنة منهما مع فيها من سائر الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر ان فيها كل الثمرات ليدل على احتوائها على سائر انواع الاشجار ويجوز ان يكون المراد بالثمرات المنافع (واصابه الكبر) اى كبر السن فان الفاقة والعالة فى الشيخوخة اصعب والواو للحال او للعطف حملا على المعنى فكأنه قيل ايود احدكم لوكانت له جنة واصابه الكبر (وله ذرية ضعفاء) صغار لاقدرة لهم على الكسب (فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت) عطف على اصابه او تكون باعتبار المعنى والاعصار ريح عاصفة تنعكس من الارض الى السماء مستديرة كعمود والمعنى تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها مايحبطها كرياء وايذاء فى الحسرة والاسف اذا كان يوم القيمة واشتد حاجته اليها ووجدها محبطة بحال من هذا شانه واشبههم به من جال بسره فى عالم الملكوت وترقى بفكره الى جناب الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور والتفت الى ماسوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) اى تتفكرون فيها فتعتبرون بها (ياايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم) من حلاله او جياده (ومما اخرجنا لكم من الارض) اى ومن طيبات مااخرجنا من الحبوب والثمر والمعادن فحذف المضاف لتقدم ذكره (ولاتيمموا الخبيث) اى ولاتقصدوا الردئ (منه) اى من المال او مما اخرجنا لكم وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيه اكثر وقرئ ولاتأمموا ولاتيمموا بضم التاء (تنفقون) حال مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز ان يتعلق منه به ويكون الضمير للخبيث والجملة حال منه (ولستم بآخذيه) اى وحالكم انكم لاتأخذونه فى حقوقكم لرداءته (الا ان تغمضوا فيه) الا ان تتسامحوا مجاز من اغمض بصره اذا غضه وقرئ تغمضوا اى تحملوا على الاغماض او توجدوا مغمضين وعن ابن عباس

(رضى)

رضى الله عنه كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه (واعلموا ان الله غنى) عن انفاقكم وانما يأمركم به لانتفاعكم (حميد) بقبوله واثابته (الشيطان يعدكم الفقر) فى الانفاق والوعد فى الاصل شائع فى الخير والشر وقرئ الفقر بالضم والسكون وبضمتين وفتحتين (ويأمركم بالفحشاء) ويغريكم على البخل والعرب تسمى البخيل فاحشا وقيل المعاصى (والله يعدكم مغفرة منه) اى يعدكم فى الانفاق مغفرة ذنوبكم (وفضلا) خلفا افضل مما انفقتم فى الدنيا او فى الآخرة (والله واسع) اى واسع الفضل لمن انفق (عليم) بانفاقه (يؤتى الحكمة) تحقيق العلم واتقان العمل (من يشاء) مفعول اول اخر للاهتمام بالمفعول الثانى (ومن يؤت الحكمة) بناؤه للمفعول لانه المقصود وقرأ يعقوب بالكسر اى ومن يؤته الله (فقد اوتى خيرا كثيرا) اى اى خير كثير اذ حيزله خير الدارين (وما يذكر) ومايتعظ بما قص من الآيات او مايتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما اودع الله فى قلبه من العلوم بالقوة (الا اولوا الالباب) ذووا العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى (وما انفقتم من نفقة) قليلة اوكثيرة سرا اوعلانية فى حق او باطل (اونذرتم من نذر) بشرط او بغير شرط فى طاعة او معصية (فان الله يعلمه) فيجازيكم عليه (وماللظالمين) الذين ينفقون فى المعاصى وينذرون فيها اويمنعون الصدقات ولا يوفون بالنذور (من انصار) من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه (ان تبدوا الصدقات فنعماهى) فنعم شيئا ابداؤها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرأ ابو بكر وأبو عمرو وقالون بكسر النون وسكون العين وروى عنهم بكسر النون واخفاء حركة العين وهو أقيس (وان تخفوها وتؤتوها الفقراء) اى تعطوها مع الاخفاء (فهو خير لكم) وهذا فى التطوع ومن لم يعرف بالمال فان ابداء الفرض لغيره افضل لنفى التهمة عن ابن عباس صدقة السر فى التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا (ويكفر عنكم من سيئاتكم) قرأه ابن عامر وعاصم فى رواية حفص بالياء اى والله يكفر او الاخفاء وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم فى رواية ابن عياش ويعقوب بالنون مرفوعا على انه جملة فعلية مبتدأة او اسمية معطوفة على مابعد الفاء اى ونحن نكفر وقرأ نافع وحمزة

ولم يصروا) يديموا (على مافعلوا) بل أقلعوا عنه (وهم يعلمون) أن الذى أتوه معصية (اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) حال مقدرة اى مقدرين الخلود فيها اذا دخلوها (ونعم اجر العاملين) بالطاعة هذا الاجر * ونزل فى هزيمة أحد (قد خلت) مضت (من قبلكم سنن) طرائق فى الكفار بامهالهم ثم أخذهم (فسيروا) ايها المؤمنون (فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) الرسل أى آخر أمرهم من الهلاك فلا تحزنوا لغلبتهم فانا امهلهم لوقتهم (هذا) القرآن (بيان للناس) كلهم (وهدى) من الضلالة (وموعظة للمتقين) منهم (ولا تهنوا) تضعفوا عن قتال الكفار (ولا تحزنوا) على ما أصابكم بأحد (وانتم الاعلون) بالغلبة عليهم (ان كنتم مؤمنين) حقا وجوابه دل

والكسائى به مجزوما على محل الفاء ومابعده وقرىء بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات (والله بمـا تعملون خبير) ترغيب فى الاسرار (ليس عليك هداهم) لايجب عليك ان تجعل الناس مهديين وانما عليك الارشاد والحث على المحاسن والنهى عن القبائح كالمن والاذى وانفاق الخبيث (ولكن الله يهدى من يشاء) صريح بان الهداية من الله تعالى وبمشيئته وانما يخص بقوم دون قوم (وماتنفقوا من خير) من نفقة معروفة (فلانفسكم) فهو لانفسكم لاينتفع به غيركم فلاتمنوا عليه ولاتنفقوا الخبيث (وماتنفقون الاابتغاء وجه الله) حال وكأنه قال وماتنفقوا من خير فلانفسكم غير منفقين الا لابتغاء وجه الله وطلب ثوابه او عطف على ماقبله اى وليس نفقتكم الا لابتغاء وجهه فمابالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث وقيل نفى فى معنى النهى (وماتنفقوا من خير يوف اليكم) ثوابه اضعافا مضاعفة فهو تأكيد للشرطية السابقة او مايخلف المنفق استجابة لقوله عليه الصلوة والسلام اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا روى ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع فى اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا أن ينفقوهم فنزلت وهذا فى غير الواجب اما الواجب فلايجوز صرفه الى الكفار (وانتم لاتظلمون) اى لاتنقصون ثواب نفقتكم (للفقراء) متعلق بمحذوف اى اعمدوا للفقراء او اجعلوا ماتنفقونه للفقراء او صدقاتكم للفقراء (الذين احصروا فى سبيل الله) احصرهم الجهاد (لايستطيعون) لاشتغالهم به (ضربا فى الارض) ذهابا فيها للكسب وقيل هم اهل الصفة كانوا نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا يخرجون فى كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم (يحسبهم الجاهل) بحالهم وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين (اغنياء من التعفف) من اجل تعففهم عن السؤال (تعرفهم بسيماهم) من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم اولكل احد (لايسألون الناس الحافا) الحاحا وهو ان يلازم المسئول حتى يعطيه من قولهم لحفنى من فضل لحافه اى اعطانى من فضل ماعنده والمعنى انهم لايسألون وان سألوا للضرورة لم يلحوا وقيل هو نفى للامرين كقوله * على لاحب لايهتدى بمناره * ونصبه على المصدر فانه كنوع من السؤال او على الحال (وماتنفقوا من خير فان الله به عليم) ترغيب فى الانفاق

عليه مجموع ماقبله (ان يمسسكم) يصبكم بأحد (قرح) بفتح القاف وضمها جهد من جرح ونحوه (فقد مس القوم) الكفار (قرح مثله) ببدر (وتلك الايام نداولها) نصرفها (بين الناس) يوما لفرقة ويوما لاخرى ليتعظوا (وليعلم الله) علم ظهور (الذين آمنوا) أخلصوا فى ايمانهم من غيرهم (ويتخذ منكم شهداء) يكرمهم بالشهادة (والله لايحب الظالمين) الكافرين أى يعاقبهم وماينعم به عليهم استدراج (وليمحص الله الذين آمنوا) يطهرهم من الذنوب بما يصيبهم (ويمحق) يهلك (الكافرين أم) بل أ (حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما) لم (يعلم الله الذين جاهدوا منكم) علم ظهور (ويعلم الصابرين) فى الشدائد (ولقد كنتم تمنون) فيه حذف احدى التاءين فى الاصل (الموت من قبل أن تلقوه) حيث قلتم ليت لنا يوما كيوم بدر

وخصوصا على هؤلاء (الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) اى يعمون الاوقات والاحوال بالخير نزلت فى ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه حين تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وقيل فى امير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه لايملك الااربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا ودرهم نهارا ودرهم سرا ودرهم علانية وقيل فى ربط الخيل فى سبيل الله والانفاق عليها (فلهم اجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون) خبر الذين ينفقون والفاء للسببية وقيل للعطف والخبر محذوف اى ومنهم الذين ولذلك جوز الوقف على وعلانية (الذين يأكلون الربوا) اى الآخذون له وانماذكر الاكل لانه اعظم منافع المال ولان الربوا شائع فى المطعومات وهو زيادة فى الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم او نقد بنقد الى اجل او فى العوض بان يباع احدهما باكثر منه من جنسه وانما كتب بالواو كالصلوة للتفخيم على لغة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع (لايقومون) اذا بعثوا من قبورهم (الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان) الاقياما كقيام المصروع وهو وارد على مايزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشواء (من المس) اى الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجنى يمسه فيختلط عقله ولذلك قيل جن الرجل وهو متعلق بلايقومون اى لايقومون من المس الذى بهم بسبب اكل الربوا او بيقوم او بيتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقلهم ولكن لان الله اربى فى بطونهم مااكلوه من الربوا فاثقلهم (ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا) اى ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا والبيع فى سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وكان الاصل انما الربوا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كأنهم جعلوا الربوا اصلا وقاسوا به البيع والفرق بين فان من اعطى درهمين بدرهم ضيع درهما ومن اشترى سلعة تساوى درهما بدرهمين فلعل مساس الحاجة اليها او توقع رواجها يجبر هذا الغبن (واحل الله البيع وحرم الربوا) انكار لتسويتهم وابطالهم للقياس لمعارضته النص (فمن جاءه موعظة من ربه) فمن بلغه وعظ من الله تعالى وزجر بالنهى عن الربوا (فانتهى) فاتعظ وتبع النهى (فله ماسلف) تقدم اخذه التحريم ولايسترد منه ومافى موضع الرفع بالظرف ان جعل من موصولة وبالابتداء ان جعل شرطية على رأى سيبويه اذ الظرف

لتنال مانال شهداؤه (فقد رأيتموه) اى سببه الحرب (وأنتم تنظرون) أى بصراء تتأملون الحال كيف هى فلم انهزمتم * ونزل فى هزيمتهم لما أشيع أن النبى قتل وقال لهم المنافقون ان كان قتل فارجعوا الى دينكم (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افأن مات او قتل) كغيره (انقلبتم على اعقابكم) رجعتم الى الكفر والجملة الاخيرة محل الاستفهام الانكارى أى ماكان معبودا فترجعوا (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا) وانما يضر نفسه (وسيجزى الله الشاكرين) نعمه بالثبات (وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله) بقضائه (كتابا) مصدر أى كتب الله ذلك (مؤجلا) موقتا لايتقدم ولا يتأخر فلم انهزمتم والهزيمة لاتدفع الموت والثبات لايقطع الحيوة (ومن يرد) بعمله (ثواب الدنيا) أى جزاءه منها (نؤته منها) ماقسم له ولاحظ له فى الآخرة (ومن يرد ثواب الآخرة نؤته

غيرمعتمد على ماقبله (وامره الى الله) يجازيه على انتهائه انكان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم في شأنه ولااعتراض لكم عليه (ومن عاد) الى تحليل الربوا اذالكلام فيه (فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) لانهم كفروا به (يمحق الله الربوا) يذهب بركته ويهلك المال الذى يدخل فيه (ويربى الصدقات) يضاعف ثوابها ويبارك فيما اخرجت منه وعنه عليه الصلوة والسلام ان الله يقبل الصدقة فيربيها كما يربى احدكم مهره وعنه عليه الصلوة والسلام مانقصت زكوة من مال قط (والله لايحب) لايرضى ولايحب محبته للتوابين (كل كفار) مصر على تحليل المحرمات (أثيم) منهمك فى ارتكابه (ان الذين آمنوا) بالله ورسله وبما جاءهم منه (وعملوا الصالحات وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة) عطفهما على مايعمهما لانافتهما على سائر الاعمال الصالحة (لهم اجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم) من آت (ولاهم يحزنون) على فائت (ياايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربوا) واتركوا بقايا ماشرطتم على الناس من الربوا (ان كنتم مؤمنين) بقلوبكم فان دليله امتثال ماامرتم به روى انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فنزلت (فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله) اى فاعلموا بها من اذن بالشيء اذاعلم به وقرأ حمزة وعاصم فى رواية ابن عياش فآذنوا اى فأعلموا بها غيركم من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم وتنكير حرب للتعظيم وذلك يقتضى ان يقاتل المربى بعد الاستتابة حتى يفيء الى امر الله كالباغى ولايقتضى كفره روى انها لما نزلت قال ثقيف لايدى لنا بحرب الله ورسوله (وان تبتم) من الارتباء واعتقاد حله (فلكم رؤس اموالكم لاتظلمون) باخذ الزيادة (ولاتظلمون) بالمطل والنقصان ويفهم منه انهم ان لم يتوبوا فليس لهم رأس مالهم وهو سديد على ماقلناه اذالمصر على التحليل مرتد وماله فيء (وان كان ذوعسرة) وان وقع غريم ذوعسرة وقرىء ذاعسرة اى وان كان الغريم ذاعسرة (فنظرة) فالحكم نظرة أوفعليكم نظرة اوفليكن نظرة وهى الانظار وقرىء فناظره على الخبر اى فالمستحق ناظره بمعنى منتظره اوصاحب نظرته على طريق النسب وعلى الامر اى فسامحه بالنظرة (الى ميسرة) يسار وقرأ نافع وحمزة بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرىء بهما مضافين

منها) اى من ثوابها (وسنجزى الشاكرين وكأين) كم (من نبى قتل) وفى قراءة قاتل والفاعل ضميره (معه) خبر مبتدؤه (ربيون كثير) جموع كثيرة (فما وهنوا) جبنوا (لما اصابهم فى سبيل الله) من الجراح وقتل انبيائهم واصحابهم (وما ضعفوا) عن الجهاد (وما استكانوا) خضعوا لعدوهم كما فعلتم حين قيل قتل النبى (والله يحب الصابرين) على البلاء اى يثيبهم (وماكان قولهم) عند قتل نبيهم مع ثباتهم وصبرهم (الاان قالوا ربنا اغفرلنا ذنوبنا واسرافنا) تجاوزنا الحد (فى امرنا) ايذانا بأن مااصابهم لسوء فعلهم وهضما لانفسهم (وثبت اقدامنا) بالقوة على الجهاد (وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا) النصر والغنيمة (وحسن ثواب الآخرة) اى الجنة وحسنه التفضل فوق الاستحقاق (والله يحب

(بحذف)

بحذف التاء عند الاضافة كقوله * واخلفوك عدا الامر الذى وعدوا * (وأن
تصدقوا) بالابراء وقرأ عاصم بتخفيف الصاد (خير لكم) اكثر ثوابا
من الانظار اوخير مما تأخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد بالتصدق
الانظار لقوله عليه الصلوة والسلام لايحل دين رجل مسلم فيؤخره الاكان له
بكل يوم صدقة (ان كنتم تعلمون) مافيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل
(واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله) يوم القيمة اويوم الموت فتأهبوا
لمصيركم اليه وقرأ ابوعمرو ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم (ثم توفى كل
نفس ماكسبت) جزاء ماعملت من خير اوشر (وهم لايظلمون) بنقص
ثواب وتضعيف عقاب وعن ابن عباس رضى الله عنهما انها آخر آية نزل
بها جبريل عليه السلام وقال ضعها فى رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين
وقيل سبعة ايام وقيل ثلاث ساعات (ياايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين)
اى اذا داين بعضكم بعضا تقول داينته اذا عاملته نسيئة معطيا اوآخذا وفائدة
ذكر الدين ان لايتوهم من التداين المجازاة ويعلم تنوعه الى المؤجل والحال
وانه الباعث على الكتبة ويكون مرجع الضمير فاكتبوه (الى اجل مسمى)
معلوم بالايام والاشهر لابالحصاد وقدوم الحاج (فاكتبوه) لانه اوثق وادفع
للنزاع والجمهور على انه استحباب وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان المراد به
السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلف (وليكتب بينكم كاتب بالعدل) من يكتب
بالسوية لايزيد ولاينقص وهو فى الحقيقة امر للمتداينين باختيار كاتب
فقيه دين حتى يجىء مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع (ولايأب كاتب)
ولايمتنع احد من الكتاب (ان يكتب كما علمه الله) مثل ماعلمه من كتبة الوثائق
اولايأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله واحسن كما احسن
الله اليك (فليكتب) تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهى عن الاباء عنها
تأكيدا ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر فيكون النهى عن الامتناع منها
مطلقة ثم الامر بها مقيدة (وليملل الذى عليه الحق) وليكن المملى من عليه
الحق لانه المقر المشهود عليه والاملال والاملاء واحد (وليتق الله ربه)
اى المملى اوالكاتب (ولايبخس) ولاينقص (منه شيئا) اى من الحق
اوبما املى عليه (فان كان الذى عليه الحق سفيها) ناقص العقل مبذرا
(اوضعيفا) صبيا اوشيخا مختلا (اولايستطيع ان يمل هو) اوغير

المحسنين ياايها الذين آمنوا
ان تطيعوا الذين كفروا)
فيما يأمرونكم به (يردوكم
على أعقابكم) الى الكفر
(فتنقلبوا خاسرين بل الله
مولاكم) ناصركم (وهو
خير الناصرين) فأطيعوه
دونهم (سنلقى فى قلوب الذين
كفروا الرعب) بسكون
العين وضمها الخوف وقد
عزموا بعد ارتحالهم من
أحد على العود واستئصال
المسلمين فرعبوا ولم يرجعوا
(بما اشركوا) بسبب اشراكهم
(بالله ما لم ينزل به
سلطانا) حجة على عبادته
وهو الاصنام (ومأواهم
النار وبئس مثوى) مأوى
(الظالمين) الكافرين هى
(ولقد صدقكم الله وعده)
اياكم بالنصر (اذ تحسونهم)
تقتلونهم (باذنه) بارادته
(حتى اذا فشلتم) جبنتم
عن القتال (وتنازعتم)
اختلفتم (فى الامر) أى أمر
النبي بالمقام فى سفح الجبل
للرمى فقال بعضكم نذهب
فقد نصر أصحابنا وبعضكم
لانخالف أمر النبي صلى الله
عليه وسلم (وعصيتم)

مستطيع للاملاء بنفسه لخرس اوجهل باللغة (فليملل وليه بالعدل)
اى الذى يلى امره ويقوم مقامه من قيم ان كان صبيا اومختل عقل اووكيل
اومترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة فى الاقرار ولعله مخصوص
بما تعاطاه القيم اوالوكيل (واستشهدوا شهيدين) واطلبوا ان يشهد على
الدين شاهدان (من رجالكم) من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط اسلام
الشهود واليه ذهب عامة العلماء وقال ابو حنيفة تقبل شهادة الكفار بعضهم
على بعض (فان لم يكونا رجلين) فان لم يكن الشاهدان رجلين (فرجل وامرأتان)
فليشهد رجل او فالمستشهد رجل وامرأتان وهذا مخصوص بالاموال
عندنا و بما عدا الحدود والقصاص عند ابى حنيفة (ممن ترضون من الشهداء)
لعلمكم بعدالتهم (ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى) علة
اعتبار العدد اى لاجل ان احديهما ان ضلت الشهادة بان نسيتها ذكرتها
الاخرى والعلة فى الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزل منزلته كقولهم
اعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه وكأنه قيل ارادة ان تذكر احديهما
الاخرى ان ضلت وفيه اشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن وقرأ حمزة
ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب فتذكر
من الاذكار (ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا) لاداء الشهادة اوالتحمل
وسموا شهداء تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع وما مزيدة (ولا تسأموا
ان تكتبوه) ولا تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوا الدين
اوالحق اوالكتاب وقيل كنى بالسأم عن الكسل لانه صفة المنافق ولذلك
قال عليه السلام لا يقول المؤمن كسلت (صغيرا اوكبيرا) صغيرا كان الحق
اوكبيرا اومختصرا كان الكتاب اومشبعا (الى اجله) الى وقت حلوله
الذى اقر به المديون (ذلكم) اشارة الى ان تكتبوه (اقسط عند الله)
اكثر قسطا (واقوم للشهادة) واثبت لها واعون على اقامتها وهما
مبنيان من اقسط واقام على غير قياس اومن قاسط بمعنى ذى قسط وقويم
وانما صحت الواو فى اقوم كما صحت فى التعجب لجموده (وادنى ان لا ترتابوا)
واقرب فى ان لا تشكوا فى جنس الدين وقدره واجله والشهود ونحو ذلك
(الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ان
لا تكتبوها) استثناء عن الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين
اوعين وادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد اى الا ان تتبايعوا يدا بيد

(فلا)

أمره فتركتم المركز لطلب
الغنيمة (من بعد ما أراكم)
الله (ما تحبون) من النصر
وجواب اذا دل عليه ما قبله
أى منعكم نصره (منكم من
يريد الدنيا) فترك المركز
للغنيمة (ومنكم من يريد
الآخرة) فثبت به حتى قتل
كعبد الله بن جبير وأصحابه
(ثم صرفكم) عطف على
جواب اذا المقدر ردكم
بالهزيمة (عنهم) أى الكفار
(ليبتليكم) ليمتحنكم فيظهر
المخلص من غيره (ولقد عفا
عنكم) ما ارتكبتموه (والله
ذو فضل على المؤمنين)
بالعفو اذكروا (اذ تصعدون)
تبعدون فى الارض هاربين
(ولا تلوون) تعرجون
(على احد والرسول يدعوكم
فى أخراكم) أى من ورائكم
يقول الى عباد الله الى عباد الله
(فأثابكم) فجازاكم (غما)
بالهزيمة (بغم) بسبب غمكم
للرسول بالمخالفة وقيل الباء
بمعنى على أى مضاعفا على
غم فوت الغنيمة (لكيلا)
متعلق بعفا أو بأثابكم فلا زائدة
(تحزنوا على ما فاتكم)
من الغنيمة (ولا ما أصابكم)

فلا بأس ان لاتكتبوا لبعده عن التنازع والنسيان ونصب عاصم تجارة على انه الخبر والاسم مضمر تقديره الى ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله بنى اسد هل تعلمون بلاءنا * اذا كان يوما ذا كوا كب اشنعا * ورفعها الباقون على انها الاسم والخبر تديرونها اوعلى كان التامة (واشهدوا اذا تبايعتم) هذا التبايع اومطلقا لانه احوط والاوامر التى فى هذه الآية للاستحباب عند اكثر الائمة وقيل انها للوجوب ثم اختلف فى احكامها ونسخها (ولا يضار كاتب ولا شهيد) يحتمل البنائين ويدل عليه ان قرئ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتحريف والتغيير فى الكتبة والشهادة اوالنهى عن الضرار بهما مثل ان يعجلا عن مهم ويكلفا الخروج عما حدلهما ولا يعطى الكاتب جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان (وان تفعلوا) الضرار اومانهيتم عنه (فانه فسوق بكم) خروج عن الطاعة لاحق بكم (واتقوا الله) فى مخالفة امره ونهيه (ويعلمكم الله) احكامه المتضمنة لمصالحكم (والله بكل شئ عليم) كرر لفظة الله فى الجمل الثلاث لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشأنه ولانه ادخل فى التعظيم من الكناية (وان كنتم على سفر) اى مسافرين (ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة) فالذى يستوثق به رهان اوفعليكم رهان اوفليؤخذ رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر فى الارتهان كما ظنه مجاهد والضحاك رحمهما الله لانه عليه السلام رهن درعه فى المدينة من يهودى بعشرين صاعا من شعير اخذه لاهله بل لاقامة التوثيق بالارتهان مقام التوثيق بالكتبة فى السفر الذى هو مظنة اعوازها والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك وقرأ ابن كثير وابو عمرو فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ باسكان الهاء على التخفيف (فان أمن بعضكم بعضا) اى بعض الدائنين بعض المديونين واستغنى بامانته عن الارتهان (فليؤد الذى اؤتمن امانته) اى دينه سماه امانة لائتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ الذى ايتمن بقلب الهمزة ياء والذى تمن بادغام الياء فى التاء وهو خطأ لان المنقلبة عن الهمزة فى حكمها فلا تدغم (وليتق الله ربه) فى الخيانة وانكار الحق وفيه مبالغات (ولا تكتموا الشهادة) ايها الشهود اوالمديونون والشهادة شهادتهم على انفسهم (ومن يكتمها فانه آثم قلبه) اى يأثم قلبه اوقلبه يأثم والجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان يقترفه

من القتل والهزيمة (والله خبير بما تعملون ثم انزل عليكم من بعد الغم أمنة) أمنا (نعاسا) بدل (يغشى) بالياء والتاء (طائفة منكم) وهم المؤمنون فكانوا يميدون تحت الحجف وتسقط السيوف منهم (وطائفة قد اهمتهم انفسهم) اى حملتهم على الهم فلا رغبة لهم الا نجاتها دون النبى واصحابه فلم ينا موا وهم المنافقون (يظنون بالله) ظنا (غير) الظن (الحق ظن) اى كظن (الجاهلية) حيث اعتقدوا ان النبى قتل اولا ينصر (يقولون هل) ما (لنا من الامر) اى النصر الذى وعدناه (من) زائدة (شئ قل) لهم (ان الامر كله) بالنصب توكيد اوالرفع مبتدأ خبره (لله) اى القضاء له يفعل مايشاء (يخفون فى انفسهم مالا يبدون) يظهرون (لك يقولون) بيان لماقبله (لوكان لنا من الامر شئ ماقتلنا ههنا) اى لوكان الاختيار الينا لم نخرج فلم نقتل لكن اخرجنا كرها (قل) لهم

ونظيره العين زانية والاذن زانية اوللمبالغة فانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال وكأنه قيل تمكن الاثم فى نفسه واخذ اشرف اجزائه وفاق سائر ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه (والله بماتعملون عليم) تهديد (لله مافى السموات ومافى الارض) خلقا وملكا (وان تبدوا مافى انفسكم اوتخفوه) يعنى مافيها من السوء والعزم عليه لترتب المغفرة والعذاب عليه (يحاسبكم به الله) يوم القيمة وهو حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض (فيغفر لمن يشاء) مغفرته (ويعذب من يشاء) تعذيبه وهوصريح فى نفى وجوب التعذيب وقدرفعهما ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستئناف وجزمهما الباقون عطفا على جواب الشرط ومن جزم بغير فاء جعلهما بدلا عنه بدل البعض من الكل اوالاشتمال كقوله * متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا * وادغام الراء فى اللام لحن اذالراء لاتدغم الافى مثلها (والله على كل شئ قدير) فيقدر على الاحياء والمحاسبة (آمن الرسول بماانزل اليه من ربه) شهادة وتنصيص من الله تعالى على صحة ايمانه والاعتداد به وانه جازم امره غير شاك فيه (والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) لايخلو من ان يعطف المؤمنون على الرسول فيكون الضمير الذى ينوب عنه التنوين راجعا الى الرسول والمؤمنين اويجعل مبتدأ فيكون الضمير للمؤمنة وباعتبار يصح وقوع كل بخبره خبرالمبتدأ ويكون افراد الرسول بالحكم اما لتعظيمه اولان ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال وقرأ حمزة والكسائى وكتابه يعنى القرآن اوالجنس والفرق بينه وبين الجمع انه شائع فى وحدان الجنس والجمع فى جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب (لانفرق بين احد من رسله) اى يقولون لانفرق وقرأ يعقوب لايفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرئ لايفرقون حملا على معناه كقوله تعالى وكل اتوه داخرين واحد فى معنى الجمع لوقوعه فى سياق النفى كقوله تعالى فمامنكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين والمراد نفى الفرق بالتصديق والتكذيب (وقالوا سمعنا) اجبنا (واطعنا) امرك (غفرانك ربنا) اغفر غفرانك اونطلب غفرانك (واليك المصير) المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم بالبعث (لايكلف الله نفسا الاوسعها) الاماتسعه قدرتها فضلا ورحمة اومادون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها لقوله تعالى يريدالله بكم اليسر ولايريد بكم العسر فهو يدل

(لوكنتم فى بيوتكم) وفيكم من كتب الله عليه القتل (لبرز) خرج (الذين كتب) قضى (عليهم القتل) منكم (الى مضاجعهم) مصارعهم فيقتلوا ولم ينجهم قعودهم لان قضاءه تعالى كائن لامحالة (و) فعل مافعل بأحد (ليبتلى) يختبر (الله مافى صدوركم) قلوبكم من الاخلاص والنفاق (وليمحص) يميز (مافى قلوبكم والله عليم بذات الصدور) بمافى القلوب لايخفى عليه شئ وانما يبتلى ليظهر للناس (ان الذين تولوا منكم) عن القتال (يوم التقى الجمعان) جمع المسلمين وجمع الكفار بأحد وهم المسلمون الاثنى عشر رجلا (انما استزلهم) ازلهم (الشيطان) بوسوسته (ببعض ما كسبوا) من الذنوب وهو مخالفة امر النبى (ولقد عفاالله عنهم ان الله غفور) للمؤمنين (حليم) لايعجل على العصاة (ياايها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين كفروا)

(على)

على عدم وقوع التكليف بالمحال ولا يدل على امتناعه (لها ما كسبت) من خير (وعليها ما اكتسبت) من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعاصيها غيرها وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه النفس وتنجذب اليه فكانت اجد في تحصيله واعمل بخلاف الخير (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا) اى لا تؤاخذنا بما ادى بنا الى نسيان او خطأ من تفريط وقلة مبالاة او بانفسهما اذ لا تمتنع المؤاخذة بهما عقلا فان الذنوب كالسموم فكما ان تناولها يؤدى الى الهلاك وان كان خطأ فتعاطى الذنوب لا يبعد ان يفضى الى العقاب وان لم يكن عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة وفضلا فيجوز ان يدعو الانسان به استدامة واعتدادا بالنعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم قوله عليه الصلوة والسلام رفع عن امتى الخطأ والنسيان (ربنا ولا تحمل علينا اصرا) عبأ ثقيلا يأصر صاحبه اى يحبسه فى مكانه يريد به التكاليف الشاقة وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة (كما حملته على الذين من قبلنا) حملا مثل حملك اياه من قبلنا او مثل الذى حملته اياهم فيكون صفة لاصرا والمراد به ما كلف به بنى اسرائيل من قتل الانفس وقطع موضع النجاسة وخمسين صلوة فى اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكوة او ما اصابهم من الشدائد والمحن (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) من البلاء والعقوبة او من التكاليف التى لا تفى بها الطاقة البشرية وهو يدل على جواز التكليف بما لا يطاق والا لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل الى المفعول الثانى (واعف عنا) وامح ذنوبنا (واغفر لنا) واسترعيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة (وارحمنا) وتعطف بنا وتفضل علينا (انت مولانا) سيدنا (فانصرنا على القوم الكافرين) فان حق المولى ان ينصر مواليه على الاعداء والمراد به عامة الكفرة روى انه عليه الصلوة والسلام لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت وعنه عليه السلام انزل الله تعالى آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفى سنة من قرأهما بعد العشاء الاخيرة اجزأتاه عن قيام الليل وعنه عليه السلام * من قرأ آيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه وهو يرد قول من استكره ان يقال سورة البقرة وقال ينبغى ان يقال السورة التى يذكر فيها البقرة كما قال عليه السلام السورة التى يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل يارسول الله وما البطلة قال السحرة

اى المنافقين (وقالوا لاخوانهم) اى فى شانهم (اذا ضربوا) سافروا (فى الارض) فماتوا (اوكانوا غزى) جمع غاز فقتلوا (لوكانوا عندنا ماماتوا وماقتلوا) اى لا تقولوا كقولهم (ليجعل الله ذلك) القول فى عاقبة امرهم (حسرة فى قلوبهم والله يحيى ويميت) فلا يمنع عن الموت قعود (والله بما تعملون) بالتاء والياء (بصير) فيجازيكم به (ولئن) لام قسم (قتلتم فى سبيل الله) اى الجهاد (اومتم) بضم الميم وكسرها من مات يموت ويمات اى اتاكم الموت فيه (لمغفرة) كائنة (من الله) لذنوبكم (ورحمة) منه لكم على ذلك واللام ومدخولها جواب القسم وهو فى موضع الفعل مبتدأ خبره (خير مما يجمعون) من الدنيا بالتاء والياء (ولئن) لام قسم (متم) بالوجهين (اوقتلتم) فى الجهاد اوغيره (لالى الله) لا الى غيره (تحشرون) فى الآخرة فيجازيكم (فبما) مازائدة

سورة آل عمران مدنية وآيها مائتان

بسم الله الرحمن الرحيم

(الم الله لااله الاهو) انما فتح الميم فى المشهور وكان حقها ان يوقف عليها لالقاء حركة الهمزة عليها ليدل على انها فى حكم الثابت لانها اسقطت للتخفيف لالدرج فان الميم فى حكم الوقف كقولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة على الدال لا لالتقاء الساكنين فانه غير محذور فى باب الوقف ولذلك لم تحرك الميم فى لام وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرأ ابو بكر بسكونها والابتداء بمابعدها على الاصل (الحى القيوم) روى انه عليه الصلوة والسلام قال ان اسم الله الاعظم فى ثلاث سور فى البقرة * الله لااله الاهو الحى القيوم * وفى آل عمران الله لااله الاهو الحى القيوم * وفى طه وعنت الوجوه للحى القيوم (نزل عليك الكتاب) القرآن نجوما (بالحق) بالعدل او بالصدق فى اخباره اوبالحجج المحققة انه من عندالله وهو فى موضع الحال (مصدقا لما بين يديه) من الكتب (وانزل التورية والانجيل) جملة على موسى وعيسى واشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل تعسف لانهما اعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وهو ليس من ابنية العرب وقرأ ابوعمرو وابن ذكوان والكسائى التورية بالامالة فى جميع القرآن ونافع وحمزة بين اللفظين الاقالون فانه قرأ بالفتح كقراءة الباقين (من قبل) من قبل تنزيل القرآن (هدى للناس) على العموم ان قلنا انا متعبدون بشرائع من قبلنا والا فالمراد به قومهما (وانزل الفرقان) يريد به جنس الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلاثة ليعم ماعداها كأنه قال وانزل سائر مايفرق به بين الحق والباطل اوالزبور اوالقرآن وكرر ذكره بماهو نعت له مدحا وتعظيما واظهارا لفضله من حيث انه يشاركهما فى كونه وحيا منزلا ويتميز بانه معجز يفرق بين المحق والمبطل اوالمعجزات (ان الذين كفروا بآيات الله) من كتبه المنزلة وغيرها (لهم عذاب شديد) بسبب كفرهم (والله عزيز) غالب لايمنع من التعذيب (ذوانتقام) لايقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهووعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ماهو العمدة فى اثبات النبوة تعظيما

(رحمة من الله لنت) يامحمد (لهم) اى سهلت اخلاقك اذخالفوك (ولو كنت فظا) سيئ الخلق (غليظ القلب) جافيا فاغلظت لهم (لانفضوا) تفرقوا (من حولك فاعف) تجاوز (عنهم) ماأتوه (واستغفر لهم) ذنبهم حتى اغفر لهم (وشاورهم) استخرج آراءهم (فى الامر) اى شأنك من الحرب وغيره تطييبا لقلوبهم وليستن بك وكان صلى الله عليه وسلم كثير المشاورة لهم (فاذا عزمت) على امضاء ماتريد بعد المشاورة (فتوكل على الله) ثق به لا بالمشاورة (ان الله يحب المتوكلين) عليه (ان ينصركم الله) يعنكم على عدوكم كيوم بدر (فلا غالب لكم وان يخذلكم) يترك نصركم كيوم احد (فمن ذا الذى ينصركم من بعده) اى بعد خذلانه اى لاناصر لكم (وعلى الله) لاغيره (فليتوكل) ليثق (المؤمنون) ونزل لما فقدت قطيفة حمراء يوم بدر فقال بعض الناس لعل النبى اخذها (وماكان)

(للامر)

للامر وزجرا عن الاعراض عنه ﴿ ان الله لايخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء ﴾ اى شئ كائن فى العالم كليا كان او جزئيا ايمانا او كفرا فعبر عنه بالسماء والارض اذ الحس لايتجاوزها وانما قدم الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف فيها وهو كالدليل على كونه حيا وقوله ﴿ هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء ﴾ اى من الصور المختلفة كالدليل على القيومية والاستدلال على انه عالم باتقان فعله فى خلق الجنين وتصويره وقرئ تصوركم اى صوركم لنفسه وعبادته ﴿ لااله الاهو ﴾ اذلا يعلم غيره جملة مايعلمه ولايقدر على مثل مايفعله ﴿ العزيز الحكيم ﴾ اشارة الى كمال قدرته وتناهى حكمته قيل هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت السورة من اولها الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليهم واجاب عن شبههم ﴿ هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات ﴾ احكمت عبارتها بان حفظت من الاجمال والاحتمال ﴿ هن ام الكتاب ﴾ اصله ترد اليها غيرها والقياس امهات فافرد على تأويل كل واحدة او على ان الكل بمنزلة آية واحدة ﴿ واخر متشابهات ﴾ محتملات لايتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم على ان يجتهدوا فى تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها وباتعاب القرائح فى استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالى الدرجات واما قوله تعالى * الر كتاب احكمت آياته * فمعناه انها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ وقوله كتابا متشابها فمعناه انه يشبه بعضه بعضا فى صحة المعنى وجزالة اللفظ واخر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الآخر ولايلزم منه معرفته لان معناه ان القياس ان يعرف ولم يعرف لانه فى معنى المعرف اوعن آخر من ﴿ فاما الذين فى قلوبهم زيغ ﴾ عدول عن الحق كالمبتدعة ﴿ فيتبعون ماتشابه منه ﴾ فيتعلقون بظاهره او بتأويل باطل ﴿ ابتغاء الفتنة ﴾ طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه ﴿ وابتغاء تأويله ﴾ وطلب ان يؤلوه على مايشتهونه ويحتمل ان يكون الداعى الى الاتباع مجموع الطلبتين اوكل واحدة منهما على التعاقب والاول يناسب المعاند والثانى يلائم الجاهل ﴿ ومايعلم تأويله ﴾ الذى يجب ان يحمل عليه ﴿ الا الله

مايتبغى (لنبى أن يغل) يخون فى الغنيمة فلاتظنوا به ذلك وفى قراءة بالبناء للمفعول اى ينسب الى الغلول (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة) حاملا له على عنقه (ثم توفى كل نفس) الغال وغيره جزاء (ما كسبت) عملت (وهم لا يظلمون) شيئا (أفمن اتبع رضوان الله) فأطاع ولم يغل (كمن باء) رجع (بسخط من الله) لمعصيته وغلوله (ومأواه جهنم وبئس المصير) المرجع هى لا (هم درجات) أى أصحاب درجات (عند الله) أى مختلفوا المنازل فلمن اتبع رضوانه الثواب ولمن باء بسخطه العقاب (والله بصير بما يعملون) فيجازيهم به (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) أى عربيا مثلهم ليفهموا عنه ويشرفوا به لاملكا ولا عجميا (يتلو عليهم آياته) القرآن (ويزكيهم) يطهرهم من الذنوب (ويعلمهم الكتاب) القرآن (والحكمة) السنة (وان) مخففة أى انهم (كانوا من قبل) أى

والراسخون فى العلم ﴾ اى الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استأثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد ولم يدل على ماهو المراد ﴿ يقولون آمنا به ﴾ استئناف موضح لحال الراسخين او حال منهم اوخبر ان جعلته مبتدأ ﴿ كل من عند ربنا ﴾ اى كل من المتشابه والمحكم من عنده ﴿ وما يذكر الا اولوا الالباب ﴾ مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء الى تأويله وهو تجرد العقل عن غواشى الحس واتصال الآية بما قبلها من حيث انها فى تصوير الروح بالعلم وتزيينه وماقبلها فى تصوير الجسد وتسويته اوانها جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله تعالى * وكلمته القاها الى مريم وروح منه * كما انه جواب قولهم لا اب له غيرالله فتعين ان يكون هو ابا بانه مصور الاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة اب ومن غيرها وبانه صوره فى الرحم والمصور لايكون اب المصور ﴿ ربنا لاتزغ قلوبنا ﴾ من مقال الراسخين وقيل استئناف والمعنى لاتزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتأويل لاترتضيه قال عليه الصلوة والسلام * قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه * وقيل لاتبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا ﴿ بعد اذ هديتنا ﴾ الى الحق اوالايمان بالقسمين وبعد نصب على الظرف واذ فى موضع الجر باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان ﴿ وهب لنا من لدنك رحمة ﴾ تزلفنا اليك ونفوز بها عندك اوتوفيقا للثبات على الحق اومغفرة للذنوب ﴿ انك انت الوهاب ﴾ لكل سؤال وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله وانه متفضل بما ينعم على عباده لايجب عليه شئ ﴿ ربنا انك جامع الناس ليوم ﴾ لحساب يوم اولجزائه ﴿ لاريب فيه ﴾ فى وقوع اليوم ومافيه من الحشر والجزاء نبهوا به على ان معظم غرضهم من الطلبتين مايتعلق بالآخرة فانها المقصد والمآل ﴿ ان الله لايخلف الميعاد ﴾ فان الالهية تنافيه وللاشعار به وتعظيم الموعود لون الخطاب واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو لدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا ﴿ ان الذين كفروا ﴾ عام فى الكفرة وقيل المراد به وفد نجران اواليهود او مشركوا العرب ﴿ لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا ﴾ اى من رحمته اوطاعته على معنى البدلية

قبل بعثه ﴿ لفى ضلال مبين ﴾ بين ﴿ أولما أصابتكم مصيبة ﴾ بأحد بقتل سبعين منكم ﴿ قد أصبتم مثليها ﴾ ببدر بقتل سبعين وأسر سبعين منهم ﴿ قلتم ﴾ متعجبين ﴿ أنى ﴾ من أين لنا ﴿ هذا ﴾ الخذلان ونحن مسلمون ورسول الله فينا والجملة الاخيرة محل الاستفهام الانكارى ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ هو من عند أنفسكم ﴾ لانكم تركتم المركز فخذلتم ﴿ ان الله على كل شئ قدير ﴾ ومنه النصر ومنعه وقد جازاكم بخلافكم ﴿ وما أصابكم يوم التقى الجمعان ﴾ باحد ﴿ فباذن الله ﴾ بارادته ﴿ وليعلم ﴾ الله علم ظهور ﴿ المؤمنين ﴾ حقا ﴿ وليعلم الذين نافقوا و ﴾ الذين ﴿ قيل لهم ﴾ لما انصرفوا عن القتال وهم عبدالله بن أبى وأصحابه ﴿ تعالوا قاتلوا فى سبيل الله ﴾ أعداءه ﴿ أو ادفعوا ﴾ عنا القوم بتكثير سوادكم ان لم تقاتلوا ﴿ قالوا لو نعلم ﴾ نحسن ﴿ قتالا لاتبعناكم ﴾ قال تعالى تكذيبا لهم ﴿ هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان ﴾ بما أظهروا من خذلانهم للمؤمنين

او من عذابه (واولئك هم وقود النار) حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها (كدأب آل فرعون) متصل بما قبله اى لن تغنى عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم كما توقد باولئك اواستئناف مرفوع المحل وتقديره دأب هؤلاء كدأبهم فى الكفر والعذاب وهو مصدر دأب فى العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشان (والذين من قبلهم) عطف على آل فرعون وقيل استئناف (كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم) حال باضمار قد او استئناف بتفسير حالهم او خبران ابتدأت بالذين من قبلهم (والله شديد العقاب) تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف للكفرة (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم) اى قل لمشركى مكة ستغلبون يعنى يوم بدر وقيل لليهود فانه عليه الصلوة والسلام جمعهم بعد بدر فى سوق بنى قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلاء بنى النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرأ حمزة والكسائى بالياء فيهما على ان الامر بان يحكى لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه (وبئس المهاد) تمام ما يقال لهم او استئناف وتقديره وبئس المهاد جهنم اوما مهدوه لانفسهم (قد كان لكم آية) الخطاب لقريش او اليهود وقيل للمؤمنين (فى فئتين التقتا) يوم بدر (فئة تقاتل فى سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم) يرى المشركون المؤمنين مثلى عدد المشركين وكان قريب الف اومثلى عدد المسلمين وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر وذلك كان بعدما قللهم فى اعينهم حتى اجترأوا عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا فى اعينهم حتى غلبوا امددا من الله تعالى للمؤمنين او يرى المؤمنون المشركين مثلى المؤمنين وكانوا ثلاثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذى وعدهم الله به فى قوله * فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين * ويؤيده قراءة نافع ويعقوب بالتاء وقرئ بهما على البناء للمفعول اى يريهم الله او يريكم ذلك بقدرته وفئة بالجر على البدل من فئتين وبالنصب على الاختصاص او الحال من فاعل التقتا (رأى العين) رؤية ظاهرة معاينة (والله يؤيد بنصره من يشاء) نصره كما ايد اهل بدر (ان فى ذلك) اى التقليل والتكثير اوغلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكى السلاح وكون الوقعة آية ايضا يحتملها ويحتمل

وكانوا قبل أقرب الى الايمان من حيث الظاهر (يقولون بافواههم ماليس فى قلوبهم) ولو علموا قتالا لم يتبعوكم (والله أعلم بما يكتمون) من النفاق (الذين) بدل من الذين قبله أو نعت (قالوا لاخوانهم) فى الدين (و) قد (قعدوا) عن الجهاد (لو أطاعونا) أى شهداء أحد أو اخواننا فى القعود (ماقتلوا قل) لهم (فادرؤا) ادفعوا (عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين) فى أن القعود ينجى منه * ونزل فى الشهداء (ولا تحسبن الذين قتلوا) بالتخفيف والتشديد (فى سبيل الله) أى لاجل دينه (أمواتا بل) هم (أحياء عند ربهم) أرواحهم فى حواصل طيور خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت كما ورد فى الحديث (يرزقون) يأكلون من ثمار الجنة (فرحين) حال من ضمير يرزقون (بما آتاهم الله من فضله و) هم (يستبشرون) يفرحون (بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) من اخوانهم المؤمنين ويبدل من الذين

(أن) أى بان (لاخوف عليهم)أى الذين لم يلحقوا بهم (ولاهم يحزنون) فى الآخرة المعنى فرحون بامنهم وفرحهم (يستبشرون بنعمة) ثواب (من الله وفضل) زيادة عليه (وأن) بالفتح عطفا على نعمة والكسر استئنافا (الله لا يضيع أجر المؤمنين) بل يأجرهم (الذين) مبتدأ (استجابوا لله والرسول) دعاءه بالخروج للقتال لما أراد أبوسفيان وأصحابه العود وتواعدوا مع النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه سوق بدر العام المقبل من يوم أحد (من بعد ما أصابهم القرح) بأحد وخبر المبتدأ (للذين أحسنوا منهم) بطاعته (واتقوا) مخالفته (أجر عظيم) هو الجنة (الذين) بدل من الذين قبله أو نعت (قال لهم الناس) أى نعيم بن مسعود الاشجعى (ان الناس) أباسفيان وأصحابه (قد جمعوا لكم) الجموع ليستأصلوكم (فاخشوهم) ولا تأتوهم (فزادهم) ذلك القول (ايمانا) تصديقا

وقوع الامر على ما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم (لعبرة لاولى الابصار) اى لعظة لذوى البصائر وقيل لمن ابصرهم (زين للناس حب الشهوات) اى المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء الى انهم انهمكوا فى محبتها حتى احبوا شهوتها كقوله تعالى * احببت حب الخير * والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعى ولعله زينه ابتلاء اولانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله تعالى ولانه من اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الآية فى معرض الذم وفرق الجبائى بين المباح والمحرم (من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث) بيان للشهوات والقنطار المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملء مسك ثور واختلف فى انه فعلال اوفنعال والمقنطرة مأخوذة منه للتأكيد كقولهم بدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهى العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها او المطهمة والانعام الابل والبقر والغنم (ذلك متاع الحيوة الدنيا) اشارة الى ماذكر (والله عنده حسن المآب) اى المرجع وهو تحريض على استبدال ماعنده من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية (قل أؤنبئكم بخير من ذلكم) يريد به تقرير ان ثواب الله تعالى خير من مستلذات الدنيا (للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) استئناف لبيان ماهو خير ويجوز ان يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير (وازواج مطهرة) مما يستقذر من النساء (ورضوان من الله) قرأه عاصم بضم الراء وهما لغتان (والله بصير بالعباد) أى باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء او باحوال الذين اتقوا فلذلك اعدلهم جنات وقد نبه بهذه الآية على نعمه فادناها متاع الدنيا واعلاها رضوان الله تعالى * لقوله تعالى ورضوان من الله اكبر * واوسطها الجنة ونعيمها (الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار) صفة للمتقين اوللعباد اومدح منصوب اومرفوع وفى ترتيب السؤال على مجرد الايمان دليل على انه كاف فى استحقاق المغفرة اوالاستعداد لها (الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار) حصر لمقامات السالك على احسن ترتيب فان معاملته مع الله تعالى اماتوسل

واما طلب والتوسل اما بالنفس وهو منعهـا عن الرذائل وحبسـها على الفضائل والصبر يشملهمـا واما بالبدن وهو اما قولى وهو الصدق واما فعلى وهو القنوت الذى هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو الانفاق فى سبيل الخير واما الطلب فبالاستغفار لان المغفرة اعظم المطـالب بل الجامع لهـا وتوسيط الواو بينهـا للدلالة على استقلال كل واحدة منها وكالهم فيهـا اولتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة لان العبـادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروع اجمع سـيما للمتهجدين قيـل انهم كانوا يصلون الى السحر ثم يسـتغفرون ويدعون ﴿ شهد الله انه لااله الا هو ﴾ بين وحدانيتـه بنصب الدلائل الدالة عليهـا وانزال الآيات الناطقة بهـا ﴿ والملائكة ﴾ بالاقرار ﴿ واولوا العـلم ﴾ بالايمـان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك فى البيان والكشف بشهادة الشاهد ﴿ قائما بالقسط ﴾ مقيما للعدل فى قسمه وحكمه وانتصابه على الحال من الله وانما جاز افراده بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله تعالى *ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة * او من هو والعامل فيها معنى الجملة اى تفرد قائما او احقه لانها حال مؤكدة او على المدح او الصفة للمنفى وفيه ضعف للفصل وهو مندرج فى المشهود به اذا جعلته صفة او حالا من الضمير وقرئ القائم بالقسط على البدل من هو او الخبر لمحذوف ﴿ لااله الا هو ﴾ كرره للتأكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليبتنى عليه قوله ﴿ العزيز الحكيم ﴾ فيعلم انه الموصوف بهما وقدم العزيز لتقدم العـلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير اوالصفة لفاعل شهد وقد روى فى فضلها انه عليه الصلوة والسلام قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله تعـالى ان لعبدى هذا عنـدى عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدى الجنـة وهى دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله ﴿ ان الدين عند الله الاسلام ﴾ جملة مسـتأنفة مؤكدة للاولى اى لادين مرضى عند الله سوى الاسلام وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ الكسائى بالفتح على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمـان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ انه بالكسر وان بالفتح على وقوع الفعل على الثانى واعتراض ما بينهما او اجراء شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناها ﴿ وما اختلف الذين

بالله ويقينا ﴿ وقالوا حسبنا الله ﴾ كافينا أمرهم ﴿ ونعم الوكيل ﴾ المفوض اليه الامر وخرجوا مع النبي فوافوا سوق بدر وألقى الله الرعب فى قلب أبي سفيان وأصحابه فلم يأتوا وكان معهم تجارات فباعوا وربحوا قال تعالى ﴿ فانقلبوا ﴾ رجعوا من بدر ﴿ بنعمة من الله وفضـل ﴾ بسـلامة وربح ﴿ لم يمسسهم سوء ﴾ من قتل أو جرح ﴿ واتبعوا رضوان الله ﴾ بطـاعته ورسـوله فى الخروج ﴿ والله ذو فضل عظيم ﴾ على اهل طاعتـه ﴿ انما ذلكم ﴾ أى القائل لكم ان النـاس الخ ﴿ الشـيطان يخوف ﴾ كم ﴿ أولياءه ﴾ الكفار ﴿ فلا تخـافوهم وخافون ﴾ فى ترك أمرى ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ حقا ﴿ ولا يحزنك ﴾ بضم اليـاء وكسر الزاى وبفتحهـا وضم الزاى من حزنه لغة فى أحزنه ﴿ الذين يسارعون فى الكفر ﴾ يقعون فيـه سريعا بنصرته وهم أهل مكة أو المنـافقون أى لا تهتم بكفرهم ﴿ انهم لن يضروا الله شيئا ﴾ بفعلهم

اوتوا الكتاب) من اليهود والنصارى او من ارباب الكتب المتقدمة في دين الاسلام فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه آخرون مطلقا او في التوحيد فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده وقيل هم نصارى اختلفوا في امر عيسى عليه السلام (الا من بعد ماجاءهم العلم) اى من بعد ماعلموا حقيقة الامر او تمكنوا من العلم بها بالآيات والحجج (بغيا بينهم) حسدا بينهم وطلبا للرياسة لالشبهة وخفاء في الامر (ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب) وعيد لمن كفر منهم (فان حاجوك) في الدين وجادلوك فيه بعد ما اقمت الحجج (فقل اسلمت وجهي لله) اخلصت نفسي وجملتي له لااشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذي قامت عليه الحجج ودعت اليه الآيات والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس (ومن اتبعن) عطف على التاء وحسن للفصل او مفعول معه (وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين) الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب (ءاسلمتم) كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة ام انتم بعد على كفركم ونظيره قوله * فهل انتم منتهون * وفيه تعيير لهم بالبلادة او المعاندة (فان اسلموا فقد اهتدوا) فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها من الضلال (وان تولوا فانما عليك البلاغ) اى فلم يضروك اذ ماعليك الا ان تبلغ وقد بلغت (والله بصير بالعباد) وعد ووعيد (ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم) هم اهل الكتاب الذين في عصره عليه السلام قتل اولوهم الانبياء ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله في سورة البقرة وقرأ حمزة ويقاتلون الذين وقد منع سيبويه ادخال الفاء في خبر ان كليت ولعل ولذلك قيل الخبر (اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة) كقولك زيد فافهم رجل صالح والفرق انه لاتغير معنى الابتداء بخلافهما (٢) (ومالهم من ناصرين) يدفعون عنهم العذاب (الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب) اى التورية اوجنس الكتب السماوية ومن للتبعيض او للبيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير (يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم) الداعي محمد عليه الصلوة والسلام وكتاب الله القرآن والتورية

وانما يضرون انفسهم (يريد الله أن لايجعل لهم حظا) نصيبا (في الآخرة) أي الجنة فلذلك خذلهم (ولهم عذاب عظيم) في النار (ان الذين اشتروا الكفر بالايمان) أي أخذوه بدله (لن يضروا الله) بكفرهم (شيئا ولهم عذاب أليم) مؤلم (ولايحسبن) بالياء والتاء (الذين كفروا أنما نملي) أي املاءنا (لهم) بتطويل الاعمار وتأخيرهم (خير لأنفسهم) وان ومعمولاها سدت مسد المفعولين في قراءة التحتانية ومسد الثاني في الاخرى (انما نملي) نمهل (لهم ليزدادوا اثما) بكثرة المعاصي (ولهم عذاب مهين) ذو اهانة في الآخرة (ماكان الله ليذر) ليترك (المؤمنين على ما أنتم) أيها الناس (عليه) من اختلاط المخلص بغيره (حتى يميز) بالتخفيف والتشديد يفصل (الخبيث) المنافق (من الطيب) المؤمن بالتكاليف الشاقة المبينة لذلك وفعل ذلك يوم أحد (وماكان الله ليطلعكم على الغيب) فتعرفوا المنافق من غيره قبل التمييز (ولكن الله يجتبي)

(٢) لان لهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة

لماروى انه عليه الصلوة والسلام دخل مدراسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اى دين انت فقال على دين ابراهيم فقالا له ان ابراهيم كان يهوديا فقال هلموا الى التورية فانها بيننا وبينكم فأبيا فنزلت وقيل نزلت فى الرجم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما بينهم وفيه دليل على ان الادلة السمعية حجة فى الاصول (ثم يتولى فريق منهم) استبعاد لتوليهم مع علمهم بان الرجوع اليه واجب (وهم معرضون) وهم قوم عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق وانما ساغ لتخصصه بالصفة (ذلك) اشارة الى التولى والاعراض (بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات) بسبب تسهيلهم امر العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ (وغرهم فى دينهم ماكانوا يفترون) من ان النار لن تمسهم الا اياما قلائل اوان آباءهم الانبياء يشفعون لهم اوانه تعالى وعد يعقوب عليه السلام ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم (فكيف اذا جمعناهم ليوم لاريب فيه) استعظام لما يحيق بهم فى الآخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودات روى ان اول راية ترفع يوم القيمة من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله تعالى على رؤس الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار (ووفيت كل نفس ما كسبت) جزاء ما كسبت وفيه دليل على ان العبادة لاتحبط وان المؤمن لا يخلد فى النار لان توفية ايمانه وعمله لاتكون فى النار ولا قبل دخولها فاذا هى بعد الخلاص منها (وهم لا يظلمون) الضمير لكل نفس على المعنى لانه فى معنى كل انسان (قل اللهم) الميم عوض عن يا ولذلك لا يجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم كدخولها عليه مع لام التعريف وقطع همزته وتاء القسم وقيل اصله يا الله امنا بخير فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته (مالك الملك) تتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية (تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء) تعطى منها ماتشاء لمن تشاء وتسترد فالملك الاول عام والآخران بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم (وتعز من تشاء وتذل من تشاء) فى الدنيا اوفى الآخرة اوفيهما بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان (بيدك الخير انك على كل شئ قدير) ذكر الخير وحده لانه المقضى بالذات والشر

يختار (من رسله من يشاء) فيطلعه على غيبه كما اطلع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على حال المنافقين (فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا) النفاق (فلكم أجر عظيم ولا يحسبن) بالياء والتاء (الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله) أى بركاته (هو) أى بخلهم (خيرا لهم) مفعول ثان والضمير للفصل والاول بخلهم مقدر قبل الموصول على الفوقانية وقبل الضمير على التحتانية (بل هو شر لهم سيطوقون مابخلوا به) أى بزكوته من المال (يوم القيمة) بأن يجعل حية فى عنقه تنهشه كما ورد فى الحديث (ولله ميراث السموات والارض) يرثهما بعد فناء أهلهما (والله بما يعملون) بالياء والتاء (خبير) فيجازيكم به (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء) وهم اليهود قالوه لما نزل من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا وقالوا لوكان غنيا مااستقرضنا (سنكتب) نأمر بكتب (ماقالوا) فى صحائف أعمالهم ليجازوا عليه وفى قراءة بالياء مبنيا للمفعول (و) نكتب (قتلهم) بالنصب

مقضى بالعرض اذ لايوجد شر جزئى مالم يتضمن خيرا كليا او لمراعات الادب فى الخطاب اولان الكلام وقع فيه اذ روى انه عليه السلام لما خط الخندق وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء عليه السلام فاخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها و برق منها برق اضاء مابين لابتيها لكأن مصباحا فى جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لى منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لى منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لى منها قصور صنعاء واخبرنى جبريل عليه السلام ان امتى ظاهرة على كلها فأبشروا فقال المنافقون ألاتعجبون يمنيكم و يعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق فنزلت ونبه على ان الشر ايضا بيده بقوله انك على كل شىء قدير ﴿ تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب ﴾ عقب ذلك بيان قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت والحيوة وسعة فضله دلالة على ان من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه والولوج الدخول فى مضيق وايلاج الليل والنهار ادخال احدهما فى الآخر بالتعقيب اوالزيادة والنقص واخراج الحى من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات من موادها واماتتها اوانشاء الحيوان من النطفة والنطفة منه وقيل اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر الميت بالتخفيف ﴿ لايتخذ المؤمنون الكافرين اولياء ﴾ نهوا عن موالاتهم لقرابة اوصداقة جاهلية ونحوها حتى لايكون حبهم وبغضهم الا فى الله اوعن الاستعانة بهم فى الغزو وسائر الامور الدينية ﴿ من دون المؤمنين ﴾ اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان فى موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة ﴿ ومن يفعل ذلك ﴾ اى اتخاذهم اولياء ﴿ فليس من الله فى شىء ﴾ من ولايته فى شىء يصح ان يسمى ولاية فان موالاة المتعاديين لايجتمعان قال * تودعدوى ثم تزعم اننى * صديقك ليس النوك عنك بعازب * ﴿ الا ان تتقوا منهم تقاة ﴾ الا ان تخافوا من جهتهم مايجب اتقاؤه اواتقاء والفعل معدى بمن لانه فى معنى تحذروا وتخافوا وقرأ يعقوب تقية منع من موالاتهم ظاهرا وباطنا فى الاوقات كلها الاوقت المخافة

والرفع ﴿ الانبياء بغير حق ونقول ﴾ بالنون والياء أى الله لهم فى الآخرة على لسان الملائكة ﴿ ذوقوا عذاب الحريق ﴾ النار ويقال لهم اذا ألقوا فيها ﴿ ذلك ﴾ العذاب ﴿ بماقدمت أيديكم ﴾ عبر بها عن الانسان لان اكثر الافعال تزاول بها ﴿ وأن الله ليس بظلام ﴾ أى بذى ظلم ﴿ للعبيد ﴾ فيعذبهم بغير ذنب ﴿ الذين ﴾ نعت للذين قبله ﴿ قالوا ﴾ لمحمد ﴿ ان الله ﴾ قد ﴿ عهد الينا ﴾ فى التورية ﴿ أن لا نؤمن لرسول ﴾ نصدقه ﴿ حتى يأتينا بقربان تأكله النار ﴾ فلا نؤمن لك حتى تأتينا به وهو مايتقرب به الى الله من نعم وغيرها فان قبل جاءت نار بيضاء من السماء فأحرقته والابقى مكانه وعهد الى بنى اسرائيل ذلك الا فى المسيح ومحمد قال تعالى ﴿ قل ﴾ لهم توبيخا ﴿ قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات ﴾ بالمعجزات ﴿ وبالذى قلتم ﴾ كزكريا ويحيى فقتلتموهم والخطاب لمن فى زمن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وان كان الفعل لاجدادهم لرضاهم به

(فان)

فان اظهار الموالاة حينئذ جائز كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا (ويحذركم الله نفسه والى الله المصير) فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه وموالاة اعدائه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهى المنهى فى القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذر منه عقاب يصدر منه تعالى فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة (قل ان تخفوا مافى صدوركم او تبدوه يعلمه الله) اى انه يعلم ضمائركم من ولاية الكفار وغيرها ان تخفوها او تبدوها (ويعلم مافى السموات ومافى الارض) فيعلم سركم وعلنكم (والله على كل شئ قدير) فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه والآية بيان لقوله ويحذركم الله نفسه فكأنه قال ويحذركم نفسه لانها متصفة بعلم ذاتى محيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات باسرها فلا تجسروا على عصيانه اذ ما من معصية الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها (يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا وماعملت من سوء تودلوان بينها وبينه امدا بعيدا) يوم منصوب بتود اى يتمنى كل نفس يوم تجد صحائف اعمالها اوجزاء اعمالها من الخير والشر حاضرة لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا او بمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير فى عملت او خبر لما عملت من سوء وتجد مقصور على ماعملت من خير ولا يكون ماشرطية لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا يصح ان تكون شرطية ولكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانه حكاية كائن واوفق للقراءة المشهورة (ويحذركم الله نفسه) كرر للتأكيد والتذكير (والله رؤف بالعباد) اشارة الى انه تعالى انما نهاهم وحذرهم رأفة بهم ومراعاة لصلاحهم اوانه لذو مغفرة وذو عقاب فيرجى رحمته ويخشى عذابه (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى) المحبة ميل النفس الى الشئ لكمال ادرك فيه بحيث يحملها على مايقربها اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقى ليس الا لله وان كل مايراه كمالا من نفسه اوغيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفى الله وذلك يقتضى ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول فى عبادته والحرص على مطاوعته (يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) جواب للامر اى يرض عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم فى جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة او المقابلة (والله غفور رحيم) لمن تحبب اليه بطاعته واتباع نبيه روى انها نزلت لما قالت اليهود نحن

(فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين) فى انكم تؤمنون عند الاتيان به (فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات) المعجزات (والزبر) كصحف ابراهيم (والكتاب) وفى قراءة باثبات الباء فيهما (المنير) الواضح وهو التورية والانجيل فاصبر كما صبروا (كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم) جزاء أعمالكم (يوم القيمة فمن زحزح) بعد (عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) نال غاية مطلوبه (وما الحيوة الدنيا) أى العيش فيها (الامتاع الغرور) الباطل يتمتع به قليلا ثم يفنى (لتبلون) حذف منه نون الرفع لتوالى النونات والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين لتختبرن (فى أموالكم) بالفرائض فيها والجوائح (وأنفسكم) بالعبادات والبلاء (ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم) اليهود والنصارى (ومن الذين أشركوا) من العرب (أذى كثيرا) من السب والطعن

ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت فى وفد نجران لماقالوا انما نعبد المسيح حبا لله
وقيل فى اقوام زعموا على عهده صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فامروا
ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل (قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا) يحتمل
المضى والمضارعة بمعنى فان تتولوا (فان الله لايحب الكافرين) لا يرضى عنهم
ولا يثنى عليهم وانما لم يقل لايحبهم لقصد العموم والدلالة على ان التولى كفر
وانه من هذه الحيثية ينفى محبة الله وان محبته مخصوصة بالمؤمنين (ان الله
اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين) بالرسالة
والخصائص الروحانية والجسمانية ولذلك قووا على مالم يقو عليه غيرهم
لما اوجب طاعة الرسل وبين انها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان مناقبهم
تحريضا عليها وبه استدل على فضلهم على الملائكة وآل ابراهيم اسماعيل
واسحق واولادهما وقد دخل فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم وآل عمران موسى
وهارون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب اوعيسى وامه مريم
بنت عمران بن ماثان بن ابيعازار بن يوذ بن رب بابل بن سالثان بن يوحنا بن
اوشا بن اموزر بن ميشك بن حارقيا بن احاذ بن يوثام بن عزريا بن يورام
بن ساقط بن ايشا بن راجعيم بن سليمان بن داود بن ايشا بن عرند بن سلمون
ابن باعر بن يحشون بن عمياد بن رام بن خضروم بن فارض بن يهوذا
ابن يعقوب عليه السلام وكان بين العمرانين الف وثمانمائة سنة (ذرية بعضها
من بعض) حال او بدل من الآلين او منهما ومن نوح اى انهم ذرية واحدة
متشعبة بعضها من بعض وقيل بعضها من بعض فى الدين والذرية الولد
يقع على الواحد والجمع فعلية من الذر اوفعولة من الذرء ابدلت همزتها ياء
ثم قلبت الواو ياء وادغمت (والله سميع عليم) باقوال الناس واعمالهم فيصطفى
من كان مستقيم القول والعمل اوسميع بقول امرأة عمران عليم بنيتها
(اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك مافى بطنى) فينتصب به اذ على
التنازع وقيل نصبه باضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذا جدة عيسى وكانت
لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون فظن انه المراد
وزوجته ويرده كفالة زكريا فانه كان معاصر الابن ماثان وتزوج بنته ايشاع
وكان يحيى وعيسى عليهما السلام ابنى خالة من الاب روى انها كانت
عاقرا عجوزا فبينما هى فى ظل شجرة اذ رأت طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد
وتمنته فقالت اللهم ان لك على نذرا ان رزقتنى ولدا ان اتصدق به على بيت

(المقدس)

والتشبيب بنسائكم (وان تصبروا) على ذلك (وتتقوا الله (فان ذلك من عزم الامور) اى من معزوماتها التى يعزم عليها لوجوبها (و) اذكر (اذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب) أى العهد عليهم فى التورية (لتبيننه) أى الكتاب (للناس ولا يكتمونه) أى الكتاب بالياء والتاء فى الفعلين (فنبذوه) طرحوا الميثاق (وراء ظهورهم) فلم يعملوا به (واشتروا به) أخذوا بدله (ثمنا قليلا) من الدنيا من سفلتهم برياستهم فى العلم فكتموه خوف فوته عليهم (فبئس ما يشترون) شراؤهم هذا (لاتحسبن) بالتاء والياء (الذين يفرحون بما أتوا) فعلوا من اضلال الناس (ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا) من التمسك بالحق وهم على ضلال (فلاتحسبنهم) بالوجهين تأكيد (بمفازة) بمكان ينجون فيه (من العذاب) فى الآخرة بل هم فى مكان يعذبون فيه وهو جهنم (ولهم عذاب أليم) مؤلم فيها ومفعولا يحسب الاولى

المقدس فيكون من خدمته فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا النذر
مشروعا عندهم في الغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير وطلبت
ذكرا (محررا) معتقا لخدمته لا اشغله بشئ او مخلصا للعبادة ونصبه
على الحال (فتقبل مني) مانذرته (انك انت السميع العليم) لقولي ونيتي
(فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى) الضمير لما في بطنها وتأنيثه لانه كان
انثى وجاز انتصاب انثى حالا منه لان تأنيثها علم منه فان الحال وصاحبها
بالذات واحد او على تأويل مؤنث كالنفس والحبلة وانما قالته تحسرا وتحزنا
الى ربها لانها كانت ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره (والله اعلم
بما وضعت) اى بالشئ الذى وضعت وهو استئناف من الله تعالى تعظيما
لموضوعها وتجهيلا لها بشأنها وقرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب
وضعت على انه من كلامها تسلية لنفسها اى ولعل لله فيه سرا او الانثى
كان خيرا وقرئ بما وضعت على خطاب الله تعالى لها (وليس الذكر كالانثى)
بيان لقوله والله اعلم اى وليس الذكر الذى طلبت كالانثى التى وهبت
واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والانثى
سيين فيما نذرت فتكون اللام للجنس (واني سميتها مريم) عطف
على ماقبلها من مقالها ومابينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه
وطلبا لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم
في لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل على ان الاسم والمسمى والتسمية امور
متغايرة (واني اعيذها بك) اجيرها بحفظك (وذريتها من الشيطان الرجيم)
المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم
مامن مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل من مسه الا مريم
وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث يتأثر منه الا مريم
وابنها فان الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة (فتقبلها ربها) فرضي بها
في النذر مكان الذكر (بقبول حسن) بوجه حسن يقبل به النذائر وهو
اقامتها مقام الذكر او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة
روى ان حنة لما ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند
الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم
وصاحب قربانهم فان بني ماثان كانت رؤس بني اسرائيل وملوكهم فقال
زكريا انا احق بها عندي خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين

دل عليهما مفعولا الثاني على
قراءة التحتانية وعلى الفوقانية
حذف الثاني فقط (ولله ملك
السموات والارض) خزائن
المطر والرزق والنبات وغيرها
(والله على كل شئ قدير)
ومنه تعذيب الكافرين وانجاء
المؤمنين (ان في خلق السموات
والارض) ومافيهما من
العجائب (واختلاف الليل
والنهار) بالمجئ والذهاب
والزيادة والنقصان (لآيات)
دلالات على قدرته تعالى
(لاولي الالباب) لذوي
العقول (الذين) نعت لماقبله
او بدل (يذكرون الله قياما
وقعودا وعلى جنوبهم)
مضطجعين اى في كل حال
وعن ابن عباس يصلون
كذلك حسب الطاقة
(ويتفكرون في خلق
السموات والارض) ليستدلوا
به على قدرة صانعهما
يقولون (ربنا ماخلقت هذا)
الخلق الذى نراه (باطلا)
حال عبثا بل دليلا على كمال
قدرتك (سبحانك) تنزيها
لك عن العبث (فقنا
عذاب النار ربنا انك
من تدخل النار) للخلود فيها

فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفاقلم زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها زكريا ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير مضاف اى بذى قبول حسن وان يكون تقبل بمعنى استقبل كتقضى وتعجل اى فأخذها فى اول امرها حين ولدت بقبول حسن (وانبتها نباتا حسنا) مجاز عن تربيتها بمايصلحها فى جميع احوالها (وكفلها زكريا) شدد الفاء حمزة والكسائى وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم فى رواية ابن عياش على ان الفاعل هوالله تعالى وزكريا مفعول اى جعله كافلا لها وضامنا بمصالحها وخفف الباقون ومدوا زكرياء مرفوعا (كلما دخل عليها زكريا المحراب) اى الغرفة التى بنيت لها اوالمسجد اواشرف مواضعه ومقدمها سمى به لانه محل محاربة الشيطان كأنها وضعت فى اشرف موضع من بيت المقدس (وجد عندها رزقا) جواب كلما وناصبه روى انه كان لايدخل عليها غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب فكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وبالعكس (قال يامريم انى لك هذا) من اين لك هذا الرزق الآتى فى غير اوانه والابواب مغلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة للاولياء وجعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الامر عليه (قالت هو من عندالله) فلاتستبعد قيل تكلمت صغيرة كعيسى عليه السلام ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة (ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا به وهو يحتمل ان يكون من كلامها وان يكون من كلام الله تعالى روى ان فاطمة رضى الله تعالى عنها اهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها فقال هلمى يابنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا فقالت هو من عندالله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمدلله الذى جعلك شبيهة سيدة نساء بنى اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين وجميع اهل بيته حتى شبعوا وبقى الطعام كما هو فأوسعته على جيرانها (هنالك دعا زكريا ربه) فى ذلك المكان اوالوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان لمارأى كرامة مريم ومنزلتها من الله تعالى (قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة) كما وهبتها لحنة العجوز العاقر وقيل لمارأى الفواكه فى غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ فسأل وقال هب لى من لدنك ذرية لانه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة (انك سميع الدعاء) مجيبه (فنادته الملائكة) اى

فقد أخزيته) أهنته (وماللظالمين) الكافرين فيه وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بتخصيص الخزى بهم (من) زائدة (انصار) يمنعونهم من عذاب الله تعالى (ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى) يدعو الناس (للايمان) أى اليه وهو محمد أوالقرآن (ان) اى بان (آمنوا بربكم فآمنا) به (ربنا فاغفرلنا ذنوبنا وكفر) حط (عنا سيئاتنا) فلاتظهرها بالعقاب عليها (وتوفنا) اقبض ارواحنا (مع) فى جملة (الابرار) الانبياء والصالحين (ربنا وآتنا) اعطنا (ماوعدتنا) به (على) السنة (رسلك) من الرحمة والفضل وسؤالهم ذلك وان كان وعده تعالى لايخلف سؤال ان يجعلهم من مستحقيه لانهم لم يتيقنوا استحقاقهم له وتكرير ربنا مبالغة فى التضرع (ولاتخزنا يوم القيمة انك لاتخلف الميعاد) الوعد بالبعث والجزاء (فاستجاب لهم ربهم)

من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادى كان جبرائيل وحده وقرأ حمزة والكسائى فناداه بالامالة والتذكير (وهو قائم يصلى فى المحراب) اى قائم فى الصلوة ويصلى صفة قائم اوخبر اوحال آخر اوحال من الضمير فى قائم (ان الله يبشرك بيحيى) اى بان الله وقرأ نافع وابن عامر بالكسر على ارادة القول اولان النداء نوع منه وقرأ حمزة والكسائى يبشرك ويحيى اسم اعجمى وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل (مصدقا بكلمة من الله) اى بعيسى سمى بذلك لانه وجد بامره تعالى دون اب فشابه البدعيات التى هى عالم الامر اوبكتاب الله سمى كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته (وسيدا) يسود قومه ويفوقهم وكان فائقا للناس كلهم فى انه ماهم بمعصية (وحصورا) مبالغا فى حبس النفس عن الشهوات والملاهى روى انه مر فى صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ماللعب خلقت (ونبيا من الصالحين) ناشئا منهم اوكائنا من عدادهم لم يأت كبيرة ولا صغيرة (قال رب انى يكون لى غلام) استبعادا من حيث العادة اواستعظاما اوتعجبا اواستفهاما عن كيفية حدوثه (وقد بلغنى الكبر) ادركنى كبر السن واثر فى وكانت له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون (وامرأتى عاقر) لاتلد من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من الاولاد (قال كذلك الله يفعل مايشاء) اى يفعل مايشاء من العجائب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر اوكما انت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل مايشاء من خلق الولد اوكذلك الله مبتدأ وخبر اى الله على مثل هذه الصفة ويفعل مايشاء بيان له اوكذلك خبر مبتدأ محذوف اى الامر كذلك والله يفعل مايشاء بيان (قال رب اجعل لى آية) علامة اعرف بها الحبل لأستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار (قال آيتك ان لاتكلم الناس ثلاثة ايام) ان لاتقدر على تكليم الناس ثلاثا وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة لتخلص المدة لذكر الله تعالى وشكره قضاء لحق النعمة وكأنه قال آيتك ان تحبس لسانك الاعن الشكر واحسن الجواب مااشتق عن السؤال (الارمزا) اشارة بنحويد اورأس واصله التحرك ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام مادل على الضمير وقرئ رمزا كخدم جمع رامز ورمزا كرسل جمع رموز على انه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله * متى ماتلقنى فردين ترجف * روانف اليتيك وتستطارا * (واذكر ربك كثيرا)

دعاء هم (انى) اى بانى (لااضيع عمل عامل منكم من ذكر اوانثى بعضكم) كائن (من بعض) اى الذكور من الاناث وبالعكس والجملة مؤكدة لماقبلها اى هم سواء فى المجازاة بالاعمال وترك تضييعها نزلت لما قالت أم سلمة يارسول الله انى لاأسمع ذكر النساء فى الهجرة بشىء (فالذين هاجروا) من مكة الى المدينة (واخرجوا من ديارهم واوذوا فى سبيلى) دينى (وقاتلوا) الكفار (وقتلوا) بالتخفيف والتشديد وفى قراءة بتقديمه (لأكفرن عنهم سيآتهم) استرها بالمغفرة (ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا) مصدر من معنى لأكفرن مؤكد له (من عند الله) فيه التفات عن التكلم (والله عنده حسن الثواب) الجزاء * ونزل لما قال المسلمون اعداء الله فيما نرى من الخير ونحن فى الجهد (لايغرنك تقلب الذين كفروا) تصرفهم (فى البلاد) بالتجارة

في ايام الجبسة وهو مؤكد لماقبله مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل على انه لايفيد التكرار (وسبح بالعشى) من الزوال الى الغروب وقيل من العصر اوالغروب الى ذهاب صدر الليل (والابكار) من طلوع الفجر الى الضحى وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار (واذقالت الملائكة يامريم انالله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) كلموها شفاها كرامة لها ومن انكر الكرامة زعم ان ذلك كانت معجزة لزكريا اوارهاصا لنبوة عيسى عليه السلام فان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امرأة لقوله تعالى وماارسلنا قبلك الارجالا وقيل الهموها والاصطفاء الاول تقبلها من امها ولم تقبله قبلها انثى وتفريغها للعبادة واغناؤها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها عما يستقذر من النساء والثانى هدايتها وارسال الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير اب وتبرئتها مما قذفته اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين (يامريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين) امرت بالصلوة فى الجماعة بذكر اركانها مبالغة فى المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع امالكونه كذلك فى شريعتهم اوللتنبيه على ان الواو لاتوجب الترتيب اوليقترن اركعى بالراكعين للايذان بان من ليس فى صلوتهم ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلوة كقوله تعالى وادبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات (ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك) اى ماذكرنا من القصص من الغيوب التى لم تعرفها الابالوحى (وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم) اقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم التى كانوا يكتبون بها التورية تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم بمنكريه فان طريق معرفة الوقائع المشاهدة اوالسماع وعدم السماع معلوم لاشبهة فيه عندهم فبقى ان يكون الاتهام باحتمال العيان ولايظن به عاقل (ايهم يكفل مريم) متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اى يلقونها ليعلموا اويقولون ايهم يكفل مريم (وما كنت لديهم اذ يختصمون) تنافسا فى كفالتها (اذقالت الملائكة) بدل من اذقالت الاولى ومابينهما اعتراض اومن اذ يختصمون على ان وقوع الاختصام والبشارة فى زمان متسع كما تقول لقيته سنة كذا (يامريم انالله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى

والكسب هو (متاع قليل) يتمتعون به يسيرا فى الدنيا ويفنى (ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) الفراش هى (لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين) اى مقدرين الخلود (فيها نزلا) هو مايعد للضيف ونصبه على الحال من جنات والعامل فيها معنى الظرف (من عندالله وماعندالله) من الثواب (خير للابرار) من متاع الدنيا (وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله) كعبدالله بن سلام واصحابه والنجاشى (وماأنزل اليكم) اى القرآن (وماانزل اليهم) اى التورية والانجيل (خاشعين) حال من ضمير يؤمن مراعى فيه معنى من اى متواضعين (لله لايشترون بآيات الله) التى عندهم فى التورية والانجيل من نعت النبى (ثمنا قليلا) من الدنيا بان يكتموها خوفا على الرياسة كفعل غيرهم من اليهود (اولئك لهم اجرهم) ثواب اعمالهم (عند ربهم) يؤتونه مرتين كما فى القصص

(ابن)

ابن مريم) المسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسح لانه مسح بالبركة او بما طهره من الذنوب أو مسح الارض ولم يقم فى موضع او مسحه جبريل ومن العيس وهو بياض يعلوه حمرة تكلف لاطائل تحته وابن مريم لما كانت صفة تميز تمييز الاسماء نظمت فى سلكها ولا ينافى تعدد الخبر افراد المبتدأ فانه اسم جنس مضاف ويحتمل ان يراد ان الذى يعرف به ويتميز عن غيره هذه الثلاثة فان الاسم علامة المسمى والمميز له ممن سواه ويجوز ان يكون عيسى خبر مبتدأ محذوف وابن مريم صفة له وانما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيها على انه يولد من غير أب اذ الاولاد تنسب الى الآباء ولا تنسب الى الام الا اذا فقد الاب (وجيها فى الدنيا والآخرة) حال مقدرة من كلمة وهى وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيرها للمعنى والوجاهة فى الدنيا النبوة وفى الآخرة الشفاعة (ومن المقربين) من الله وقيل اشارة الى علو درجته فى الجنة او رفعه الى السماء وصحبته الملائكة (ويكلم الناس فى المهد وكهلا) اى يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمى به مايمهد للصبى من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وذكر احواله المختلفة المتنافية ارشاد الى انه بمعزل عن الالوهية (ومن الصالحين) حال ثالث من كلمة او ضميرها الذى فى يكلم (قالت رب انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر) تعجب او استبعاد عادى او استفهام عن انه يكون بتزوج اوغيره (قال كذلك الله يخلق مايشاء) القائل جبريل او الله تعالى وجبريل حكى لها وقول الله تعالى (اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون) اشارة الى انه تعالى كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك (ونعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل) كلام مبتدأ ذكر تطيبا لقلبها وازاحة لما همها من خوف اللوم لما علمت انها تلد من غير زواج اوعطف على يبشرك او وجيها والكتاب الكتبة او جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما وقرأ نافع وعاصم ويعلمه بالياء (ورسولا الى بنى اسرائيل انى قد جئتكم بآية من ربكم) منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره ويقول ارسلت رسولا بانى قد جئتكم او بالعطف على الاحوال المتقدمة مضمنا معنى النطق فكأنه قال وناطقا بأنى قد جئتكم وتخصيص بنى اسرائيل لخصوص بعثته اليهم او للرد على من زعم انه مبعوث

(ان الله سريع الحساب) يحاسب الخلق فى قدر نصف نهار من أيام الدنيا (يا أيها الذين آمنوا اصبروا) على الطاعات والمصائب وعن المعاصى (وصابروا) الكفار فلا يكونوا أشد صبرا منكم (ورابطوا) أقيموا على الجهاد (واتقوا الله) فى جميع أحوالكم (لعلكم تفلحون) تفوزون بالجنة وتنجون من النار

(سورة النساء مدنية مائة وخمس أو ست أو سبع وسبعون آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(يا أيها الناس) أى أهل مكة (اتقوا ربكم) أى عقابه بأن تطيعوه (الذى خلقكم من نفس واحدة) آدم (وخلق منها زوجها) حواء بالمد من ضلع من اضلاعه اليسرى (وبث) فرق ونشر (منهما) من آدم وحواء (رجالا كثيرا ونساء) كثيرة (واتقوا الله الذى تساءلون) فيه ادغام التاء فى الاصل فى السين وفى قراءة بالتخفيف بحذفها أى تتساءلون (به) فيما بينكم

الى غيرهم (انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير) نصب بدل من انى قد جئتكم اوجر بدل من آية او رفع على هى انى اخلق لكم والمعنى اقدر لكم واصور شيئا مثل صورة الطير وقرأ نافع انى بالكسر (فانفخ فيه) الضمير للكاف اى فى ذلك الشىء المماثل (فيكون طيرا باذن الله) فيصير حيا طيارا بامر الله نبه به على ان احياءه من الله تعالى لا منه وقرأ نافع هنا وفى المائدة طائرا بالالف والهمزة (وابرىء الاكمه والابرص) الاكمه الذى ولد اعمى او الممسوح العين روى انه ربما كان يجتمع عليه ألوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى عليه السلام ومايداوى الا بالدعاء (واحيى الموتى باذن الله) كرر باذن الله دفعا لتوهم الالوهية فان الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية (وانبئكم بما تأكلون وماتدخرون فى بيوتكم) بالمغيبات من احوالكم التى لاتشكون فيها (ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين) موفقين للايمان فان غيرهم لاينتفع بالمعجزات او مصدقين للحق غير معاندين (ومصدقا لما بين يدى من التورية) عطف على رسولا على الوجهين او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اى وجئتكم مصدقا (ولاحل لكم) مقدر باضماره اومردود على قوله انى قد جئتكم بآية او معطوف على معنى مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولأطيب قلبك (بعض الذى حرم عليكم) اى فى شريعة موسى عليه السلام كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل فى السبت وهو يدل على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى عليه السلام ولايخل ذلك بكونه مصدقا للتورية كما لايعود نسخ القرآن بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ فى الحقيقة بيان وتخصيص فى الازمان (وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) اى جئتكم بآية اخرى الهمنيها ربكم وهى قولى ان الله ربى وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارقة بين النبى والساحر او جئتكم بآية على ان الله ربى وربكم وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لقوله قد جئتكم بآية من ربكم اى جئتكم بآية بعد اخرى مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثانى لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى فاتقوا الله اى لما جئتكم بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة فاتقوا الله فى المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه ثم شرع فى الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربى وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية

(بالاعتقاد)

حيث يقول بعضكم لبعض أسالك بالله وانشدك بالله (و) اتقوا (الارحام) أن تقطعوها وفى قراءة بالجر عطفا على الضمير فى به وكانوا يتناشدون بالرحم (ان الله كان عليكم رقيبا) حافظا لاعمالكم فمجازيكم بها اى لم يزل متصفا بذلك * ونزل فى يتيم طلب من وليه ماله فمنعه (وآتوا اليتامى) الصغار اللائى لا أب لهم (أموالهم) اذا بلغوا (ولاتتبدلوا الخبيث) الحرام (بالطيب) الحلال أى تأخذوه بدله كما تفعلون من أخذ الجيد من مال اليتيم وجعل الردىء من مالكم مكانه (ولاتأكلوا أموالهم) مضمومة (الى أموالكم انه) أى أكلها (كان حوبا) ذنبا (كبيرا) عظيما ولما نزلت تحرجوا من ولاية اليتامى وكان فيهم من تحته العشر أو الثمان من الازواج فلايعدل بينهن فنزل (وان خفتم ألاتقسطوا) تعدلوا (فى اليتامى) فتحرجتم من أمرهم فخافوا أيضا أن لا تعدلوا بين النساء

بالاعتقاد الحق الذى غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التى هى الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهى ثم قرر ذلك بأن بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه السلام قل آمنت بالله ثم استقم (فلما احس عيسى منهم الكفر) تحقق كفرهم عنده تحقق مايدرك بالحواس (قال من انصارى الى الله) ملتجئا الى الله تعالى اوذاهبا اوضاما اليه ويجوز ان يتعلق الجار بانصارى مضمنا معنى الاضافة اى من الذين يضيفون انفسهم الى الله فى نصرتى وقيل الى هنا بمعنى مع او فى اواللام (قال الحواريون) حوارى الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن سمى به اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نيتهم ونقاء سريرتهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى عليه السلام من اليهود وقيل قصارون يحورون الثياب اى يبيضونها (نحن انصار الله) اى انصار دين الله (آمنا بالله واشهد بانا مسلمون) لتشهد لنا يوم القيمة حين يشهد الرسل لقومهم وعليهم (ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) اى مع الشاهدين بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فانهم شهداء على الناس (ومكروا) اى الذين احس منهم الكفر من اليهود بان وكلوا عليه من يقتله غيلة (ومكر الله) حين رفع عيسى عليه السلام والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه فى الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لايسند الى الله تعالى الا على سبيل المقابلة والازدواج (والله خير الماكرين) اقواهم مكرا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لايحتسب (اذ قال الله) ظرف لمكر الله او خير الماكرين اولمضمر مثل وقع ذلك (ياعيسى انى متوفيك) اى مستوفى اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالى او متوفيك نائما اذ روى انه رفع نائما او مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه ذهبت النصارى (ورافعك الى) الى محل كرامتى ومقر ملائكتى (ومطهرك من الذين كفروا) من سوء جوارهم او قصدهم (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة) يعلونهم بالحجة او السيف فى غالب الامر ومتبعوه من آمن بنبوته من المسلمين والنصارى

نكحتموهن (فانكحوا) تزوجوا (ما) بمعنى من (طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) أى اثنتين اثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا ولاتزيدوا على ذلك (فان خفتم ألا تعدلوا) فيهن بالنفقة والقسم (فواحدة) انكحوها (أو) اقتصروا على (ما ملكت أيمانكم) من الاماء اذ ليس لهن من الحقوق ماللزوجات (ذلك) أى نكاح الاربع فقط أو الواحدة أو التسرى (أدنى) أقرب الى (ألا تعولوا) تجوروا (وآتوا) أعطوا (النساء صدقاتهن) جمع صدقة مهورهن (نحلة) مصدر عطية عن طيب نفس (فان طبن لكم عن شئ منه نفسا) تمييز محول عن الفاعل أى طابت أنفسهن لكم عن شئ من الصداق فوهبنه لكم (فكلوه هنيئا) طيبا (مريئا) محمود العاقبة لاضرر فيه عليكم فى الآخرة نزل ردا على من كره ذلك (ولاتؤتوا) أيها الاولياء (السفهاء) المبذرين من الرجال

والى الآن لم يسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة (ثم الى مرجعكم) الضمير لعيسى عليه السلام ومن تبعه ومن كفر به وغلب المخاطب على الغائبين (فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) من امر الدين (فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والآخرة ومالهم من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فنوفيهم اجورهم) تفسير للحكم وتفصيل له وقرأ حفص بالياء (والله لا يحب الظالمين) تقرير لذلك (ذلك) اشارة الى ماسبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره (نتلوه عليك) وقوله (من الآيات) حال من الهاء ويجوز ان يكون الخبر ونتلوه حالا على ان العامل معنى الاشارة وان يكونا خبرين وأن ينتصب بمضمر يفسره نتلوه (والذكر الحكيم) المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع عن تطرق الخلل اليه يريد به القرآن وقيل اللوح (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم) ان شأنه الغريب كشأن آدم عليه السلام (خلقه من تراب) جملة مفسرة للتمثيل مبينة لماله الشبه وهو انه خلق بلا اب كما خلق آدم من التراب بلا اب وام شبه حاله بما هو اغرب افحاما للخصم وقطعا لمواد الشبه والمعنى خلق قالبه من التراب (ثم قال له كن) اى انشاه بشرا كقوله ثم انشأناه خلقا آخر وقدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز ان يكون ثم لتراخى الخبر لا المخبر (فيكون) حكاية حال ماضية (الحق من ربك) خبر مبتدأ محذوف اى هو الحق وقيل الحق مبتدأ ومن ربك خبره اى الحق المذكور من الله تعالى (فلا تكن من الممترين) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم على طريقة التهييج لزيادة الثبات اولكل سامع (فمن حاجك) من النصارى (فيه) فى عيسى (من بعد ماجاءك من العلم) اى من البينات الموجبة للعلم (فقل تعالوا) هلموا بالرأى والعزم (ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم) اى يدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم على النفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم (ثم نبتهل) اى نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصله الترك من قولهم بهلت الناقة اذا تركتها بلا صرار (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) عطف فيه بيان روى انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم ماترى فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل فى امر صاحبكم والله ماباهل قوم نبيا الاهلكوا فان ابيتم الا الف

١ دينكم)

والنساء والصبيان (أموالكم) أى أموالهم التى فى أيديكم (التى جعل الله لكم قياما) مصدر قام أى تقوم بمعاشكم وصلاح أودكم فيضيعوها فى غير وجهها وفى قراءة قيما جمع قيمة ماتقوم به الامتعة (وارزقوهم فيها) أطعموهم منها (واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا) عدوهم عدة جميلة باعطائهم اموالهم اذا رشدوا (وابتلوا) اختبروا (اليتامى) قبل البلوغ فى دينهم وتصرفهم فى أحوالهم (حتى اذا بلغوا النكاح) أى صاروا أهلا له بالاحتلام أو السن وهو استكمال خمس عشرة سنة عند الشافعى (فان آنستم) أبصرتم (منهم رشدا) صلاحا فى دينهم ومالهم (فادفعوا اليهم أموالهم ولا تأكلوها) أيها الاولياء (اسرافا) بغير حق حال (وبدارا) أى مبادرين الى انفاقها مخافة (أن يكبروا) رشداء فيلزمكم تسليمها اليهم (ومن كان) من الاولياء (غنيا فليستعفف) أى يعف عن مال اليتيم ويمتنع من أكله

دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فأتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقدغدامحتضنا الحسين آخذا بيدالحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى رضى الله عنه خلفها وهو يقول اذا انادعوت فأمنوا فقال اسقفهم يامعشر النصارى انى لأرى وجوها لو سألوا الله تعالى ان يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا له الجزية التى حلة حمراء وثلاثين درعا من حديد فقال عليه السلام والذى نفسى بيده لو تباهلوا المسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل من اتى بهم من اهل بيته (ان هذا) اى ماقص من نبأ عيسى ومريم (لهو القصص الحق) بجملتها خبران وهو فصل يفيد أن ماذكره فى شأن عيسى ومريم حق دون ماذكروه ومابعده خبر واللام دخلت فيه لانه اقرب الى المبتدأ من الخبر واصلها ان تدخل على المبتدأ (ومامن اله الاالله) صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق تأكيدا للرد على النصارى فى تثليثهم (وان الله لهو العزيز الحكيم) لااحد سواه يساويه فى القدرة التامة والحكمة البالغة ليشاركه فى الالوهية (فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين) وعيدلهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان التولى عن الحجج والاعراض عن التوحيد إفساد للدين والاعتقاد المؤدى الى فساد النفس بل والى فساد العالم (قل ياأهل الكتاب) يعم اهل الكتابين وقيل يريد به وفد نجران اويهود المدينة (تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم) لايختلف فيها الرسل والكتب وتفسيرها مابعدها (ان لانعبد الاالله) اى نوحده بالعبادة ونخلص فيها (ولا نشرك به شيئا) ولانجعل غيره شريكاله فى استحقاق العبادة ولانراه اهلالان يعبد (ولايتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله) ولانقول عزير ابن الله ولاالمسيح ابن الله ولانطيع الاحبار فيما أحدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم بعضنا بشر مثلنا روى انها لمانزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدى بن حاتم ماكنا نعبدهم يارسول الله قال أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك (فان تولوا) عن التوحيد فقولوا اشهدوا باناامسلمون) اى لزمتكم الحجة فاعترفوا بأنامسلمون دونكم

(ومن كان فقيرا فليأكل) منه (بالمعروف) بقدر أجرة عمله (فاذا دفعتم اليهم) أى الى اليتامى (اموالهم فاشهدوا عليهم) أنهم تسلموها وبرئتم لئلا يقع اختلاف فترجعوا الى البينة وهذا أمر ارشاد (وكفى بالله) الباء زائدة (حسيبا) حافظا لاعمال خلقه ومحاسبهم * ونزل ردا لما كان عليه الجاهلية من عدم توريث النساء والصغار (للرجال) الاولاد والاقرباء (نصيب) حظ (مما ترك الوالدان والاقربون) المتوفون (وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه) أى المال (أو كثر) جعله الله (نصيبا مفروضا) مقطوعا بتسليمه اليهم (واذا حضر القسمة) للميراث (أولوا القربى) ذوو القرابة ممن لايرث (واليتامى والمساكين فارزقوهم منه) شيئا قبل القسمة (وقولوا) أيها الاولياء (لهم) اذا كان الورثة صغارا (قولا معروفا) جميلا بأن تعتذروا اليهم أنكم لاتملكونه وأنه لصغار وهذا قيل انه منسوخ وقيل لا ولكن

اواعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل ﴿ تنبيه ﴾
انظر الى ماراعى فى هذه القصة من المبالغة فى الارشاد وحسن التدرج فى الحجاج
بين اولا احوال عيسى عليه السلام وماتعاوره عليه من الاطوار المنافية للالوهية
ثم ذكر مايحل عقدتهم ويزيح شبهتهم فلما راى عنادهم ولجاجهم دعاهم الى
المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد عاد
عليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزم بان دعاهم الى ماوافق عليه
عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك ايضا عليهم وعلم
ان الآيات والنذر لاتغنى عنهم اعرض عن ذلك وقال اشهدوا
بأنا مسلمون ﴿ ياأهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وماانزلت التورية
والانجيل الامن بعده ﴾ تنازعت اليهود والنصارى فى ابراهيم عليه السلام
وزعم كل فريق انه منهم وترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
والمعنى ان اليهودية والنصرانية حدثتا بنزول التورية والانجيل على موسى
وعيسى عليهما السلام وكان ابراهيم قبل موسى بالف سنة
وعيسى بألفين فكيف يكون عليهما ﴿ افلاتعقلون ﴾ فتدعون المحال
﴿ هاانتم هؤلاء حاججتم فيمالكم به علم فلم تحاجون فيماليس لكم به علم ﴾
ها حرف تنبيه نبهوا بها على حالهم التى غفلوا عنها وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره
وحاججتم جملة اخرى مبينة للاولى اى انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم
جادلتم فيمالكم به علم مما وجدتموه فى التورية والانجيل عنادا اوتدعون
وروده فيه فلم تجادلون فيمالاعلم لكم به ولاذكر فى كتابكم من دين ابراهيم وقيل
هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل هاانتم اصله آأنتم على الاستفهام
للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء وقرأنافع وابوعمرو هاانتم حيث
وقع بالمد من غيرهمزة وورش اقل مدا وقنبل بالهمزة من غير الف بعد الهاء
والباقون بالمد والهمزة والبزى يقتصر على المد على اصله ﴿ والله يعلم ﴾
ماحاججتم فيه ﴿ وانتم لاتعلمون ﴾ وانتم جاهلون به ﴿ ماكان ابراهيم يهوديا
ولانصرانيا ﴾ تصريح بمقتضى ماقرره من البرهان ﴿ ولكن كان حنيفا ﴾ مائلا
عن العقائد الزائغة ﴿ مسلما ﴾ منقادالله وليس المراد انه كان على ملة الاسلام
والالاشترك الالزام ﴿ وماكان من المشركين ﴾ تعريض بانهم مشركون
لاشراكهم به عزيزا والمسيح ورد لادعاء المشركين انهم على ملة ابراهيم

تهاون الناس فى تركه وعليه
فهو ندب وعن ابن عباس
واجب (وليخش) أى ليخف
على اليتامى (الذين لو تركوا)
أى قاربوا أن يتركوا (من
خلفهم) أى بعد موتهم (ذرية
ضعافا) أولادا صغارا
(خافوا عليهم) الضياع
(فليتقوا الله) فى أمر اليتامى
وليأتوا اليهم مايحبون
ان يفعل بذريتهم من بعدهم
(وليقولوا) للميت (قولا
سديدا) صوابا بان يأمروه
أن يتصدق بدون ثلثه ويدع
الباقى لورثته ولايتركهم عالة
(ان الذين يأكلون اموال
اليتامى ظلما) بغير حق
(انما يأكلون فى بطونهم)
أى ملأها (نارا) لانه يؤول
اليها (وسيصلون) بالبناء
للفاعل والمفعول يدخلون
(سعيرا) نارا شديدة يحترقون
فيها (يوصيكم) يأمركم
(الله فى) شأن (أولادكم)
بمايذكر (للذكر) منهم
(مثل حظ) نصيب (الانثيين)
اذا اجتمعتا معه فله نصف
المال ولهما النصف فان كان
معه واحدة فلها الثلث وله
الثلثان وان انفرد حاز المال

عليه السلام ﴿ ان اولى الناس بابراهيم ﴾ ان اخصهم به واقربهم منه من الولى وهو القرب ﴿ للذين اتبعوه ﴾ من امته ﴿ وهذا النبي والذين آمنوا ﴾ لموافقتهم له فى اكثر ماشرع لهم على الاصالة وقرئ بالنصب عطفا على الهاء فى اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم ﴿ والله ولى المؤمنين ﴾ ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم ﴿ ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم ﴾ نزلت فى اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان ﴿ ومايضلون الاانفسهم ﴾ ومايتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الاعليهم اذيضاعف به عذابهم اومايضلون الاامثالهم ﴿ ومايشعرون ﴾ وزره واختصاص ضرره بهم ﴿ ياأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله ﴾ بمانطقت به التورية والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وانتم تشهدون ﴾ انها آيات الله اوبالقرآن وانتم تشهدون نعته فى الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق ﴿ ياأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل ﴾ بالتحريف وابراز الباطل فى صورته اوبالتقصير فى الميز بينهما وقرئ تلبسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء اى تكتسون الحق مع الباطل كقوله عليه السلام كلابس ثوبى زور ﴿ وتكتمون الحق ﴾ نبوة محمد عليه السلام ونعته ﴿ وانتم تعلمون ﴾ عالمين بماتكتمونه ﴿ وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذى انزل على الذين آمنوا وجه النهار ﴾ اى اظهروا الايمان بالقرآن اول النهار ﴿ واكفروا آخره لعلهم يرجعون ﴾ واكفروا به آخره لعلهم يشكون فى دينهم ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لماحولت القبلة آمنوا بماانزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقدرجعوا فيرجعون وقيل اثناعشر من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا فى الاسلام اول النهار ويقولوا آخره نظرنا فى كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا عليه الصلوة والسلام بالنعت الذى ورد فى التورية لعل اصحابه يشكون فيه ﴿ ولاتؤمنوا الالمن تبع دينكم ﴾ ولاتقروا عن تصديق قلب الالاهل دينكم اولا تظهروا ايمانكم وجه النهار الالمن كان على دينكم فان رجوعهم أرجى واهم ﴿ قل ان الهدى هدى الله ﴾ هو يهدى من يشاء الى الايمان ويثبته عليه ﴿ ان يؤتى احد مثل مااوتيتم ﴾ متعلق بمحذوف اى دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد والمعنى ان الحسد حملكم على ذلك او بلا تؤمنوا اى ولاتظهروا ايمانكم بان يؤتى احد

﴿فان كن﴾ أى الاولاد ﴿نساء﴾ فقط ﴿فوق اثنتين فلهن ثلثا ماترك﴾ الميت وكذا الاثنتان لانه للاختين بقوله فلهما الثلثان مماترك فهما أولى ولان البنت تستحق الثلث مع الذكر فمع الانثى أولى وفوق قيل صلة وقيل لدفع توهم زيادة النصيب بزيادة العدد لمافهم استحقاق البنتين الثلثين من جعل الثلث للواحدة مع الذكر ﴿وان كانت﴾ المولودة ﴿واحدة﴾ وفى قراءة بالرفع فكان تامة ﴿فلها النصف ولابويه﴾ أى الميت ويبدل منهما ﴿ لكل واحد منهما السدس مماترك ان كان له ولد﴾ ذكر أو أنثى ونكتة البدل افادة أنهما لايشتركان فيه وألحق بالولد ولد الابن وبالاب الجد ﴿فان لم يكن له ولد وورثه أبواه﴾ فقط أو مع زوج ﴿فلأمه﴾ بضم الهمزة وكسرها فرارا من الانتقال من ضمة الى كسرة لثقله فى الموضعين ﴿ الثلث ﴾ اى ثلث المال أو مايبقى بعد الزوج والباقى للاب ﴿فان كان له اخوة ﴾ اى اثنان فصاعدا ذكور او اناث ﴿ فلأمه

مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى
المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض
يدل على ان كيدهم لا يجدى بطائل اوخبر ان على ان هدى الله بدل من الهدى
وقراءة ابن كثير ءان يؤتى على الاستفهام للتقريع تؤيد الوجه الاول اى لان
يؤتى احد دبرتم وقرئ ان على انها النافية فيكون من كلام الطائفة
اى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم
(او يحاجوكم عند ربكم) عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى
الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم عند ربكم والواو ضمير
احد لانه فى معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم (قل ان الفضل بيد الله يؤتيه
من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم)
ردوابطال لما زعموه بالحجة الواضحة (ومن اهل الكتاب من ان تأمنه
بقنطار يؤده اليك) كعبد الله بن سلام استودعه قرشى ألفا ومأتى اوقية
ذهبا فاداه اليه (ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك) كفنحاص بن عازوراء
استودعه قرشى آخر دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى
اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون فى القليل اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة
وقرأ حمزة وابو بكر وابو عمرو يؤده اليك باسكان الهاء وقالون باختلاس الهاء
وكذا روى عن حفص والباقون باشباع الكسرة (الا مادمت عليه قائما)
الا مدة دوامك قائما على رأسه مبالغا فى مطالبته بالتقاضى والترافع واقامة
البينة (ذلك) اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله لا يؤده (بانهم قالوا)
بسبب قولهم (ليس علينا فى الاميين سبيل) اى ليس علينا فى شأن من ليسوا
من اهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا عتاب وذم (ويقولون على الله الكذب)
بادعائهم ذلك (وهم يعلمون) انهم كاذبون وذلك لانهم استحلوا ظلم
من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم فى التورية حرمة وقيل عامل اليهود رجالا
من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم
وزعموا انه كذلك فى كتابهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها
كذب اعداء الله ما من شئ فى الجاهلية الا وهو تحت قدمى الا الامانة فانها
مؤداة الى البر والفاجر (بلى) اثبات لما نفوه اى بلى عليهم فيهم سبيل
(من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين) استئناف مقرر للجملة التى
سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن اوالله وعموم المتقين ناب مناب

السدس) والباقى للاب ولا شئ
للاخوة وارث من ذكر ماذكر
(من بعد) تنفيذ (وصية يوصى)
بالبناء للفاعل والمفعول (بها أو)
قضاء (دين) عليه وتقديم
الوصية على الدين وان كانت
مؤخرة عنه فى الوفاء للاهتمام
بها (آباؤكم وأبناؤكم) مبتدأ
خبره (لا تدرون أيهم أقرب
لكم نفعا) فى الدنيا والآخرة
فظان أن ابنه أنفع له فيعطيه
الميراث فيكون الاب انفع
وبالعكس وانما العالم بذلك
الله ففرض لكم الميراث
(فريضة من الله ان الله كان
عليما) بخلقه (حكيما) فيما
دبره لهم اى لم يزل متصفا بذلك
(ولكم نصف ما ترك أزواجكم
ان لم يكن لهن ولد) منكم
أو من غيركم (فان كان لهن ولد
فلكم الربع مما تركن من بعد
وصية يوصين بها أو دين)
وألحق بالولد فى ذلك ولد الابن
بالاجماع (ولهن) أى الزوجات
تعددن أو لا (الربع مما تركتم
ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم
ولد) منهن أو من غيرهن (فلهن
الثمن مما تركتم من بعد وصية

الراجع من الجزاء الى من واشعر بان التقوى ملاك الامر وهو يعم الوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب من المناهى (ان الذين يشترون) يستبدلون (بعهد الله) بما عاهدوا الله عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات (وايمانهم) وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه (ثمنا قليلا) متاع الدنيا (اولئك لاخلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله) بما يسرهم او بشئ اصلا وان الملائكة يسألونهم يوم القيمة اولا ينتفعون بكلمات الله وآياته والظاهر انه كناية عن غضبه عليهم لقوله (ولا ينظر اليهم يوم القيمة) فان من سخط عن غيره واستهان به اعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه كما ان من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر اليه (ولا يزكيهم) ولا يثنى عليهم بالجميل (ولهم عذاب اليم) على مافعلوه قيل انها نزلت فى احبار حرفوا التورية وبدلوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وحكم الامانات وغيرها واخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت فى رجل اقام سلعة فى السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به وقيل نزلت فى ترافع كان بين الاشعث بن قيس ويهودى فى بئر اوارض وتوجه الحلف على اليهودى (وان منهم لفريقا) يعنى المحرفين ككعب ومالك وحيى بن اخطب (يلوون السنتهم بالكتاب) يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلون على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها (لتحسبوه من الكتاب وماهو من الكتاب) الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله يلوون وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير ايضا للمسلمين (ويقولون هو من عند الله وماهو من عند الله) تأكيد لقوله وماهو من الكتاب وتشنيع عليهم وبيان لانهم يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا اى ليس هو نازلا من عنده وهذا لا يقتضى ان لا يكون فعل العبد فعل الله تعالى (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه (ماكان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله) تكذيب ورد على عبدة عيسى عليه السلام وقيل ان أبارافع القرظى والسيد النجرانى قالا يامحمد أتريدان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله وان نأمر بعبادة غير الله فما بذلك بعثنى ولا بذلك امرنى فنزلت وقيل قال رجل يارسول الله نسلم عليك كما يسلم

توصون بها أودين) وولد الابن فى ذلك كالولد اجماعا (وان كان رجل يورث) صفة والخبر (كلالة) أى لاوالد له ولاولد (أوامرأة) تورث كلالة (وله) أى للموروث كلالة (أخ أوأخت) أى من أم وقرأبه ابن مسعود وغيره (فلكل واحد منهما السدس) مما ترك (فان كانوا) أى الاخوة والاخوات من الام (أكثر من ذلك) أى من واحد (فهم شركاء فى الثلث) يستوى فيه ذكرهم وأنثاهم (من بعد وصية يوصى بها أودين غير مضار) حال من ضمير يوصى أى غير مدخل الضرر على الورثة بأن يوصى باكثر من الثلث (وصية) مصدر مؤكد ليوصيكم (من الله والله عليم) بما دبره لخلقه من الفرائض (حليم) بتأخير العقوبة عمن خالفه وخصت السنة توريث من ذكر بمن ليس فيه مانع من قتل أواختلاف دين أورق (تلك) الاحكام المذكورة من أمر اليتامى وما بعده (حدود الله) شرائعه التى حدها لعباده

بعضنا على بعض افلا نسجدلك قال لاينبغى ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله (ولكن كونوا ربانيين) ولكن يقول كونوا ربانيين والربانى منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحيانى والرقبانى وهو الكامل فى العلم والعمل (بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون من ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم ويجوز ان تكون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير وبما كنتم تدرسونه على الناس (ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا) نصبه ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب عطفا على ثم يقول وتكون لا مزيدة لتأكيد معنى النفى فى قوله ماكان اى ماكان لبشر ان يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا اوغير مزيدة على معنى انه ليس له ان يأمر بعبادته ولا يأمر باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة ورفعه الباقون على الاستئناف ويحتمل الحال وقرأ ابو بكر على اصله برواية الدورى باختلاس الضم (أيأمركم بالكفر) انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله (بعد اذ انتم مسلمون) دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون لان يسجدوا له (واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) قيل انه على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم به اولى وقيل معناه انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافته الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذى وثقه الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنوا اسرائيل اوسماهم نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام فى لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما تحتمل الشرطية ولتؤمنن سادمسد جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية وقرأ حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية اى لاجل ايتائى اياكم بعض الكتاب ثم مجئ رسول مصدق اخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه اوموصولة والمعنى اخذه للذى آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له

(وقرئ)

ليعملوا بها ولا يعتدوها (ومن يطع الله ورسوله) فيما حكم به (يدخله) بالياء والنون التفاتا (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله) بالوجهين (نارا خالدا فيها وله) فيها (عذاب مهين) ذواهانة روعى فى الضمائر فى الآيتين لفظ من وفى خالدين معناها (واللاتى يأتين الفاحشة) الزنا (من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم) أى من رجالكم المسلمين (فان شهدوا) عليهن بها (فامسكوهن) احبسوهن (فى البيوت) وامنعوهن من مخالطة الناس (حتى يتوفاهن الموت) أى ملائكته (أو) الى أن (يجعل الله لهن سبيلا) طريقا الى الخروج منها أمروا بذلك أول الاسلام ثم جعل لهن سبيلا بجلد البكر مائة وتغريبها عاما ورجم المحصنة وفى الحديث لما بين الحد قال خذوا عنى خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا رواه مسلم (واللذان) بتخفيف النون وتشديدها

وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم اولمن اجل ما آتيتكم على ان اصله لمن مابالادغام فحذف احدى الميمات الثلاث استثقالا وقرأ نافع آتيناكم بالنون والالف جميعا (قال ءاقررتم واخذتم على ذلكم اصرى) اى عهدى سمى به لانه يؤصر اى يشد وقرئ بالضم وهو امالغة فيه كعبر وعبر اوجمع اصار وهو مايشد به (قالوا اقررنا قال فاشهدوا) اى فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة (وانا معكم من الشاهدين) وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو توكيد وتحذير عظيم (فمن تولى بعد ذلك) بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة (فاولئك هم الفاسقون) المتمردون من الكفرة (افغير دين الله يبغون) عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار اومحذوف تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظ الغيبة عند ابى عمرو وعاصم فى رواية حفص ويعقوب وبالتاء عند الباقين على تقدير وقل لهم (وله اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها) اى طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة مايلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت اومختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فانهم لايقدرون ان يمتنعوا عماقضى عليهم (واليه ترجعون) وقرئ بالياء على ان الضمير لمن (قل آمنا بالله وماانزل علينا وماانزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم) امر للرسول صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقرآن كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه اليهم وايضا المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم اوبان يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا له والنزول كما يعدى بالى لانه ينتهى الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق وانما قدم المنزل عليه على المنزل على سائر الرسل لانه المعرف له والعيار عليه (لانفرق بين احد منهم) بالتصديق والتكذيب (ونحن له مسلمون) منقادون اومخلصون فى عبادته (ومن يبتغ غير الاسلام دينا) اى غير التوحيد والانقياد لحكم الله (فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) الواقعين فى الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع فى الخسران بابطال الفطرة السليمة التى فطر الناس عليها واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذلو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفى قبول كل دين يغايره لاقبول كل مايغايره

(يأتيانها) اى الفاحشة الزنا اواللواط (منكم) الرجال (فآذوهما) بالسب والضرب بالنعال (فان تابا) منهما (واصلحا) العمل (فاعرضوا عنهما) ولاتؤذوهما (ان الله كان توابا) على من تاب (رحيما) به وهذا منسوخ بالحد ان اريد بها الزنا وكذا ان اريد بها اللواط عند الشافعى لكن المفعول به لايرجم عنده وان كان محصنا بل يجلد ويغرب وارادة اللواط اظهر بدليل تثنية الضمير والاول قال اراد الزانى والزانية ويرده تبيينهما بمن المتصلة بضمير الرجال واشتراكهما فى الاذى والتوبة والاعراض وهو مخصوص بالرجال لماتقدم فى النساء من الحبس (انما التوبة على الله) اى التى كتب على نفسه قبولها بفضله (للذين يعملون السوء) المعصية (بجهالة) حال اى جاهلين اذ عصوا ربهم (ثم يتوبون من) زمن (قريب) قبل ان يغرغروا (فاولئك يتوب الله عليهم) يقبل توبتهم (وكان الله عليما) بخلقه

ولعل الذين ايضا للاعمال (كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات) استبعاد لان يهديهم الله فان الحائد عن الحق بعدما وضح له منهمك فى الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفى وانكار له وذلك يقتضى ان لا يقبل توبة المرتد وشهدوا عطف على ما فى ايمانهم من معنى الفعل ونظيره فأصدق واكن او حال باضمار قد من كفروا وهو على الوجهين دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان (والله لا يهدى القوم الظالمين) اى الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه (أولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين) يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه ينفى جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى مأيوسون عن الرحمة رأسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او العموم فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه (خالدين فيها) فى اللعنة او العقوبة او النار وان لم يجرد ذكرها لدلالة الكلام عليهما (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك) اى من بعد الارتداد (واصلحوا) ما افسدوا ويجوز ان لا يقدر له مفعول بمعنى ودخلوا فى الصلاح (فان الله غفور) يقبل توبته (رحيم) يتفضل عليه وقيل انها نزلت فى الحارث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان اسألوا هل لى من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالآية فرجع الى المدينة فتاب (ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا) كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتورية ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقرآن او كفروا بمحمد بعدما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع اليه وننافقه باظهاره (لن تقبل توبتهم) لانهم لا يتوبون او لا يتوبون الا اذا اشرفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا فى شانهم وابرازا لحالهم فى صورة حال الآيسين من الرحمة او لان توبتهم لا تكون الا نفاقا لا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم تدخل الفاء فيه (واولئك هم الضالون) الثابتون على الضلال (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا) لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول

(حكيما) فى صنعه بهم (وليست التوبة للذين يعملون السيئات) الذنوب (حتى اذا حضر احدهم الموت) واخذ فى النزع (قال) عند مشاهدة ماهو فيه (انى تبت الآن) فلا ينفعه ذلك ولا يقبل منه (ولا الذين يموتون وهم كفار) اذا تابوا فى الآخرة عند معاينة العذاب لا تقبل منهم (اولئك اعتدنا) أعددنا (لهم عذابا أليما) مؤلما (يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء) اى ذاتهن (كرها) بالفتح والضم لغتان اى مكرهيهن على ذلك كانوا فى الجاهلية يرثون نساء أقربائهم فان شاؤا تزوجوها بلا صداق او زوجوها واخذوا اصداقها او عضلوها حتى تفتدى بما ورثته او تموت فيرثوها فنهوا عن ذلك (ولا) ان (تعضلوهن) اى تمنعوا ازواجكم عن نكاح غيركم بامساكهن ولا رغبة لكم فيهن ضرارا (لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) من المهر (الا ان يأتين بفاحشة مبينة)

الفدية ادخل الفاء ههنا للاشعار به وملء الشئ مايملؤه وذهبا نصب على التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء اوالخبر لمحذوف ﴿ولو افتدى به﴾ محمول على المعنى كأنه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تقرب به فى الدنيا ولو افتدى به من العذاب فى الآخرة اوالمراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما فى الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين فى حكم شئ واحد ﴿اولئك لهم عذاب اليم﴾ مبالغة فى التحذير واقناط لان من لايقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكرما ﴿ومالهم من ناصرين﴾ فى دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق ﴿لن تنالوا البر﴾ اى لن تبلغوا حقيقة البر الذى هو كمال الخير اولن تنالوا بر الله الذى هو الرحمة والرضى والجنة ﴿حتى تنفقوا مما تحبون﴾ اى من المال او مايعمه وغيره كبذل الجاه فى معاونة الناس والبدن فى طاعة الله والمهجة فى سبيله روى انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يارسول الله ان احب اموالى الى بيرحى (٢) فضعها حيث اراك الله فقال بخ بخ ذلك مال رابح اورايح وانى ارى ان تجلعها فى الاقربين وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبها فقال هذه فى سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد فقال زيد انما اردت ان اتصدق بها فقال عليه السلام ان الله قد قبلها منك وذلك يدل على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وان الآية تعم الانفاق الواجب والمستحب وقرئ بعض ماتحبون وهو يدل على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين ﴿ وما تنفقوا من شئ﴾ اى من اى شئ محبوب اوغيره ومن لبيان ما ﴿فان الله به عليم﴾ فيجازيكم بحسبه ﴿كل الطعام﴾ اى المطعومات والمراد اكلها ﴿كان حلا لبنى اسرائيل ﴾ حلالا لهم وهو مصدر نعت به ولذلك يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى لاهن حل لهم ﴿الا ماحرم اسرائيل﴾ يعقوب ﴿على نفسه﴾ كلحوم الابل والبانها قيل كان به عرق النسا فنذر ان شفى لم يأكل احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوى باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبى ان يجتهد وللمانع ان يقول ذلك باذن من الله فهو كتحريمه ابتداء ﴿ من قبل ان تنزل التورية﴾ اى من قبل انزالها مشتملة على تحريم ماحرم عليهم لظلمهم وبغيهم

بفتح الباء وكسرها اى بينت اوهى بينة اى زنا او نشوز فلكم ان تضاروهن حتى يفتدين منكم ويختلعن (وعاشروهن بالمعروف) اى بالاجمال فى القول والنفقة والمبيت (فان كرهتموهن) فاصبروا (فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) ولعله يجعل فيهن ذلك بان يرزقكم منهن ولدا صالحا (وان اردتم استبدال زوج مكان زوج) اى اخذها بدلها بان طلقتموها (و) قد (آتيتم احداهن) اى الزوجات (قنطارا) مالا كثيرا صداقا (فلا تأخذوا منه شيئا اتأخذونه بهتانا) ظلما (واثما مبينا) بينا و نصبهما على الحال والاستفهام للتوبيخ وللانكار فى (وكيف تأخذونه) اى باى وجه (وقد افضى) وصل (بعضكم الى بعض) بالجماع المقرر للمهر (واخذن منكم ميثاقا) عهدا (غليظا) شديدا وهو ما امر الله به من امساكهن بمعروف او تسريحهن باحسان (ولاتنكحوا ما)

(٢) على وزن فيعلى من البراح وهى الارض الظاهرة على ما قاله الزمخشرى وصحف المحدثون فقالوا بئر حاء بالمد والقصر وقد قيل انه اسم موضع بالمدينة المنورة واسم رجل نسب اليه البئر الكائنة فى المدينة الشريفة المسماة المعروفة الآن ببئرحاء قاله المصحح طاهر

عقوبة وتشديدا وذلك رد على اليهود فى دعوى البراءة عما نعى عليهم فى قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآيتان بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفى منع النسخ والطعن فى دعوى الرسول عليه السلام موافقة ابراهيم عليه السلام بتحليله لحوم الابل والبانها (قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين) امر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم مالم يكن محرما روى انه عليه السلام لما قال لهم بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية وفيه دليل على نبوته (فمن افترى على الله الكذب) ابتدعه على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التورية على بنى اسرائيل ومن قبلهم (من بعد ذلك) من بعد ما الزمتهم الحجة (فاولئك هم الظالمون) الذين لا ينصفون من انفسهم ويكابرون الحق من بعد ما وضح لهم (قل صدق الله) تعريض بتكذيبهم اى ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون (فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا) اى ملة الاسلام التى هى فى الاصل ملة ابراهيم اومثل ملته حتى تخلصوا من اليهودية التى اضطرتكم الى التحريف والمكابرة لتسوية الاعراض الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات احلها الله لابراهيم ومن تبعه (وما كان من المشركين) فيه اشارة الى ان اتباعه واجب فى التوحيد الصرف والاستقامة فى الدين والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود (ان اول بيت وضع للناس) اى وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويدل عليه انه قرئ على البناء للفاعل (للذى ببكة) للبيت الذى ببكة وهى لغة فى مكة كالنبيط والنميط وامر راتب وراتم ولازب ولازم وقيل هى موضع المسجد ومكة البلد من بكه اذا زحمه اومن بكه اذا دقه فانها تبك اعناق الجبابرة روى انه عليه السلام سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول من بناه ابراهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش وقيل هو اول بيت بناه آدم فانطمس فى الطوفان ثم بناه ابراهيم وقيل كان فى موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح ويطوف به الملائكة فلما اهبط آدم امر بان يحجه ويطوف حوله ورفع فى الطوفان الى السماء الرابعة يطوف به ملائكة

(السموات)

يعنى من (نكح آباؤكم من النساء الا) لكن (ماقد سلف) من فعلكم ذلك فانه معفو عنه (انه) اى نكاحهن (كان فاحشة) قبيحا (ومقتا) سببا للمقت من الله وهو اشد البغض (وساء) بئس (سبيلا) طريقا ذلك (حرمت عليكم امهاتكم) ان تنكحوهن وشملت الجدات من قبل الاب اوالام (وبناتكم) وشملت بنات الاولاد وان سفلن (واخواتكم) من جهة الاب اوالام (وعماتكم) اى اخوات آبائكم واجدادكم (وخالاتكم) اى اخوات امهاتكم وجداتكم (وبنات الاخ وبنات الاخت) ويدخل فيهن اولادهم (وامهاتكم اللاتى ارضعنكم) قبل استكمال الحولين خمس رضعات كما بينه الحديث (واخواتكم من الرضاعة) ويلحق بذلك بالسنة البنات منها وهن من ارضعتهن موطوأته والعمات والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت منها لحديث يحرم من الرضاع مايحرم من النسب رواه البخارى ومسلم (وامهات نسائكم وربائبكم) جمع ربيبة وهى

السموات وهو لايلائم ظاهر الآية وقيل المراد به اول بيت بالشرف لابالزمان (مباركا) كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال من المستكن فى الظرف (وهدى للعالمين) لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه ايات عجيبة كما قال (فيه آيات بينات) كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار وان ضوارى السباع تخالط الصيود فى الحرم ولاتتعرض لها وان كل جبار قصده بسوء قهره كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى اوحال اخرى (مقام ابراهيم) مبتدأ محذوف خبره اى منها مقام ابراهيم اوبدل من آيات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان على ان المراد بالآيات اثر القدم فى الصخرة الصماء وغوصها فيها الى الكعبين وتخصيصها بهذه الالانة من بين الصخار وابقاؤه دون سائر آثار الانبياء وحفظه مع كثرة اعدائه الوف سنة ويؤيده انه قرئ آية بينة على التوحيد وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه (ومن دخله كان آمنا) جملة ابتدائية اوشرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه فى معنى امن من دخله اى ومنها امن من دخله اوفيه آيات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله اقتصر بذكرها من الآيات الكثيرة وطوى ذكر غيرها كقوله عليه السلام حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلوة لان فيهما غنية عن غيرها فى الدارين بقاء الاثر مدى الدهر والأمن من العذاب يوم القيمة قال عليه الصلوة والسلام من مات فى احد الحرمين بعث يوم القيمة آمنا وعند ابى حنيفة من لزمه القتل بردة اوقصاص اوغيرهما لم يتعرض له ولكن الجأ الى الخروج (ولله على الناس حج البيت) قصد للزيارة على الوجه المخصوص وقرأ حمزة والكسائى وعاصم فى رواية حفص حج بالكسر وهو لغة نجد (من استطاع اليه سبيلا) بدل من الناس بدل البعض من الكل مخصص له وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يؤيد قول الشافعى رضى الله تعالى عنه انها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد اجرة من ينوب عنه وقال مالك رحمه الله تعالى انها بالبدن فيجب على من قدر على المشى والكسب فى الطريق وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى انها بمجموع الامرين والضمير فى اليه للبيت او الحج وكل مأتى الى الشئ فهو سبيله (ومن كفر فان الله غنى العالمين) وضع كفر موضع من لم يحج تأكيدا لوجوبه

بنت الزوجة من غيره (اللاتى فى حجوركم) تربونهما صفة موافقة للغالب فلامفهوم لها (من نسائكم اللاتى دخلتم بهن) اى جامعتموهن (فان لم تكونوا دخلتم بهن فلاجناح عليكم) فى نكاح بناتهن اذا فارقتموهن (وحلائل) ازواج (ابنائكم الذين من اصلابكم) بخلاف من تبنيتموهم فلكم نكاح حلائلهم (وان تجمعوا بين الاختين) من نسب اورضاع بالنكاح ويلحق بهما بالسنة الجمع بينها وبين عمتها اوخالتها ويجوز نكاح كل واحدة على الانفراد وملكهما معا ويطأ واحدة (الا) لكن (ماقد سلف) فى الجاهلية من نكاحكم بعض ماذكر فلاجناح عليكم فيه (ان الله كان غفورا) لما سلف منكم قبل النهى (رحيما) بكم فى ذلك (و) حرمت عليكم (المحصنات) اى ذوات الازواج (من النساء) ان تنكحوهن قبل مفارقة ازواجهن حرائر مسلمات كن اولا (الا ماملكت ايمانكم) من الاماء بالسبى فلكم وطؤهن وان كان لهن ازواج فى دار

الحرب بعد الاستبراء (كتاب الله) نصب على المصدر أى كتب ذلك (عليكم واحل) بالبناء للفاعل والمفعول (لكم ماوراء ذلكم) اى سوى ماحرم عليكم من النساء ا (ان تبتغوا) تطلبوا النساء (بأموالكم) بصداق او ثمن (محصنين) متزوجين (غير مسافحين) زانين (فما) فمن (استمتعتم) تمتعتم (به منهن) ممن تزوجتم بالوطء (فآتوهن أجورهن) مهورهن التى فرضتم لهن (فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم) انتم وهن (به من بعد الفريضة) من حطها او بعضها او زيادة عليها (ان الله كان عليما) بخلقه (حكيما) فيما دبره لهم (ومن لم يستطع منكم طولا) اى غنى ا (أن ينكح المحصنات) الحرائر (المؤمنات) هو جرى على الغالب فلا مفهوم له (فمما ملكت ايمانكم) ينكح (من فتياتكم المؤمنات والله اعلم بايمانكم) فاكتفوا بظاهره وكلوا السرائر اليه فانه العالم بتفضيلها ورب امة تفضل الحرة فيه وهذا تأنيس بنكاح الاماء (بعضكم من بعض)

وتغليظا على تاركه ولذلك قال عليه الصلوة والسلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وقد اكد امر الحج فى هذه الآية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وابرازه فى الصورة الاسمية وايراده على وجه يفيد انه حق واجب لله تعالى فى رقاب الناس وتعميم الحكم اولا ثم تخصيصه ثانيا فانه كايضاح بعد ابهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء فانه فى هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن العالمين يدل عليه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس واتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله روى انه لما نزل صدر الآية جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزل ومن كفر (قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) بآياته السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب دليل على ان كفرهم اقبح وانهم وان زعموا انهم مؤمنون بالتورية والانجيل فهم كافرون بهما (والله شهيد على ماتعملون) والحال انه شهيد مطلع على اعمالكم فيجازيكم عليها لاينفعكم التحريف والاستسرار (قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن) كرر الخطاب والاستفهام مبالغة فى التقريع ونفى العذر لهم واشعارا بأن كل واحد من الامرين مستقبح فى نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق المأمور بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروهم مابينهم فى الجاهلية من التعادى والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه (تبغونها عوجا) حال من الواو اى باغين طالبين لها اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيه عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحوهما اوبان تحرشوا بين المؤمنين لتختلف كلمتهم ويختل امر دينهم (وانتم شهداء) انها سبيل الله والصد عنها ضلال واضلال اوانتم عدول عند اهل ملتكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم فى القضايا (وما الله بغافل عما تعملون) وعيد لهم ولما كان المنكر فى الآية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد على

(ماتعملون)

ماتعملون ولما كان فى هذه الآية صدهم للمؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال * وما الله بغافل عما تعملون ﴿ ياأيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين ﴾ نزلت فى نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودى فغاظه تألفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ماقيل فيه وكان الظفر فى ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد ان اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بين قلوبكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما خاطبهم الله بنفسه بعد ماامر الرسول بان يخاطب اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بانهم هم الاحقاء بان يخاطبهم الله ويكلمهم ﴿ وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ﴾ انكار وتعجب لكفرهم فى حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر ﴿ ومن يعتصم بالله ﴾ ومن يتمسك بدينه او يلتجئ اليه فى مجامع اموره ﴿ فقد هدى الى صراط مستقيم ﴾ فقد اهتدى لامحالة ﴿ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ﴾ حق تقواه ومايجب منها وهو استفراغ الوسع فى القيام بالمواجب والاجتناب عن المحارم كقوله فاتقوا الله مااستطعتم وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه هو ان يطاع فلايعصى ويشكر فلايكفر ويذكر فلاينسى وقيل ان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة عليها وفى هذا الامر تأكيد للنهى عن طاعة اهل الكتاب واصل تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة كما فى تؤدة وتخمة والياء الفا ﴿ ولاتموتن الا وانتم مسلمون ﴾ اى ولاتكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت فان النهى عن المقيد بحال او غيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد اخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك النفى ﴿ واعتصموا بحبل الله ﴾ بدين الاسلام او بكتابه لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث ان التمسك به سبب للنجاة من الردى كما ان التمسك بالحبل سبب للسلامة عن التردى

أى أنتم وهن سواء فى الدين فلا تستنكفوا من نكاحهن ﴿ فانكحوهن باذن أهلهن ﴾ مواليهن ﴿ وآتوهن ﴾ اعطوهن ﴿ أجورهن ﴾ مهورهن ﴿بالمعروف﴾ من غير مطل ونقص ﴿ محصنات ﴾ عفائف حال ﴿ غير مسافحات ﴾ زانيات جهرا ﴿ ولامتخذات أخدان ﴾ أخلاء يزنون بهن سرا ﴿ فاذا أحصن ﴾ زوجن وفى قراءة بالبناء للفاعل تزوجن ﴿ فان اتين بفاحشة ﴾ زنا ﴿ فعليهن نصف ماعلى المحصنات ﴾ الحرائر الابكار اذا زنين ﴿من العذاب﴾ الحد فيجلدن خمسين ويغربن نصف سنة ويقاس عليهن العبيد ولم يجعل الاحصان شرطا لوجوب الحد بل لافادة أنه لارجم عليهن أصلا ﴿ذلك﴾ أى نكاح المملوكات عند عدم الطول ﴿ لمن خشى ﴾ خاف ﴿ العنت ﴾ الزنا وأصله المشقة سمى به الزنا لانه سببها بالحد فى الدنيا والعقوبة فى الآخرة ﴿ منكم ﴾ بخلاف من لايخافه من الاحرار فلايحل له نكاحها وكذا من استطاع طول حرة وعليه الشافعى

وللوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا للمجاز (جميعا) مجتمعين عليه (ولا تفرقوا) ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او لا تتفرقوا تفرقكم فى الجاهلية يحارب بعضكم بعضا او لا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة (واذكروا نعمة الله عليكم) التى من جملتها الهداية والتوفيق للاسلام المؤدى الى التألف وزوال الغل (اذ كنتم اعداء) فى الجاهلية متقاتلين (فالف بين قلوبكم) بالاسلام (فاصبحتم بنعمته اخوانا) متحابين مجتمعين على الاخوة فى الله وقيل كان الاوس والخزرج اخوين لابوين فوقع بين اولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفأها الله بالاسلام والف بينهم برسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (وكنتم على شفا حفرة من النار) مشفين على الوقوع فى نار جهنم لكفركم اذ لو ادركم الموت فى تلك الحال لوقعتم فى النار (فانقذكم منها) بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا وتأنيثه لتأنيث ما اضيف اليه او لانه بمعنى الشفة فان شفا البئر وشفتها طرفها كالجانب والجانبة واصله شفو فقلبت الواو فى المذكر وحذفت فى المؤنث (كذلك) مثل ذلك التبيين (يبين الله لكم آياته) دلائله (لعلكم تهتدون) ارادة ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض من فروض الكفاية ولانه لا يصلح له كل احد اذ للمتصدى له شروط لا يشترك فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها والتمكن من القيام بها خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب على الكل حتى لو تركوه رأسا اثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو فرض كفاية او للتبيين بمعنى وكونوا امة تأمرون بالمعروف كقوله تعالى * كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف * والدعاء الى الخير يعم الدعاء الى ما فيه صلاح دينى او دنيوى وعطف الامر بالمعروف والنهى عن المنكر عليه عطف الخاص على العام للايذان بفضله (واولئك هم المفلحون) المخصوصون بكمال الفلاح روى انه عليه السلام سئل من خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يؤمر به والنهى عن المنكر واجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والاظهر ان العاصى يجب عليه ان ينهى عما يرتكبه

(لانه)

وخرج بقوله من فتياتكم المؤمنات الكافرات فلا يحل له نكاحها ولو عدم وخاف (وأن تصبروا) عن نكاح المملوكات (خير لكم) لئلا يصير الولد رقيقا (والله غفور رحيم) بالتوسعة فى ذلك (يريد الله ليبين لكم) شرائع دينكم ومصالح أمركم (ويهديكم سنن) طرائق (الذين من قبلكم) من الانبياء فى التحليل والتحريم فتتبعوهم (ويتوب عليكم) يرجع بكم عن معصية التى كنتم عليها الى طاعته (والله عليم) بكم (حكيم) فيما دبره لكم (والله يريد أن يتوب عليكم) كرره ليبنى عليه (ويريد الذين يتبعون الشهوات) اليهود والنصارى أو المجوس أو الزناة (أن تميلوا ميلا عظيما) تعدلوا عن الحق بارتكاب ما حرم عليكم فتكونوا مثلهم (يريد الله أن يخفف عنكم) يسهل عليكم أحكام الشرع (وخلق الانسان ضعيفا) لا يصبر عن النساء والشهوات (يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) بالحرام فى الشرع كالربوا

لانه يجب عليه تركه وانكاره فلايسقط بترك احدها وجوب الآخر (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا) كاليهود والنصارى اختلفوا فى التوحيد والتنزيه واحوال الآخرة على ماعرفت (من بعد ماجاءهم البينات) الآيات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهى فيه مخصوص بالتفرق فى الاصول دون الفروع لقوله عليه السلام اختلاف امتى رحمة ولقوله عليه الصلوة والسلام من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطأ فله اجر واحد (واولئك لهم عذاب عظيم) وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) نصب بمافى لهم من معنى الفعل اوباضمار اذكر وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعى النور بين يديه ويمينه واهل الباطل باضداد ذلك (فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم) على ارادة القول اى فيقال لهم أكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم وهم المرتدون اواهل الكتاب كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم به قبل مبعثه اوجميع الكفار كفروا بعدما اقروا حين اشهدهم على انفسهم او تمكنوا من الايمان بالنظر فى الدلائل والآيات (فذوقوا العذاب) امر اهانة (بما كنتم تكفرون) بسبب كفركم اوجزاء لكفركم (واما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله) يعنى الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره فى طاعة الله تعالى لايدخل الجنة الا برحمته وفضله وكان حق الترتيب ان يقدم ذكرهم لكن قصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم (هم فيها خالدون) اخرجه مخرج الاستئناف للتأكيد كأنه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون (تلك آيات الله) الواردة فى وعده ووعيده (نتلوها عليك بالحق) ملتبسة بالحق لاشبهة فيها (وما الله يريد ظلما للعالمين) اذ يستحيل الظلم منه لانه لايحق عليه شئ فيظلم بنقصه ولايمنع عن شئ فيظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق كما قال (ولله مافى السموات ومافى الارض والى الله ترجع الامور) فيجازى كلا بما وعدله واوعده (كنتم خير امة) دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرأ كقوله تعالى * وكان الله غفوراً رحيما * وقيل كنتم فى علم الله اوفى اللوح المحفوظ اوفيما بين الامم

والنصب (الا) لكن (أن تكون) تقع (تجارة) وفى قراءة بالنصب أى تكون الاموال أموال تجارة صادرة (عن تراض منكم) وطيب نفس فلكم أن تأكلوها (ولا تقتلوا أنفسكم) بارتكاب مايؤدى الى هلاكها أياكان فى الدنيا اوالآخرة بقرينة (ان الله كان بكم رحيما) فى منعه لكم من ذلك (ومن يفعل ذلك) أى مانهى عنه (عدوانا) تجاوزا للحلال حال (وظلما) تأكيد (فسوف نصليه) ندخله (نارا) يحترق فيها (وكان ذلك على الله يسيرا) هينا (ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه) وهى ماورد عليها وعيد كالقتل والزنا والسرقة وعن ابن عباس هى الى السبعمائة أقرب (نكفر عنكم سيئاتكم) الصغائر بالطاعات (وندخلكم مدخلا) بضم الميم وفتحها أى ادخالا أو موضعا (كريما) هو الجنة (ولا تتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض) من جهة الدنيا أوالدين لئلا

المتقدمين (اخرجت للناس) اى اظهرت لهم (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) استئناف بين به كونهم خير امة اوخبر ثان لكنتم (وتؤمنون بالله) يتضمن الايمان بكل مايجب ان يؤمن به لان الايمان به انما يحق ويعتد به اذا حصل الايمان بكل ما امر ان يؤمن به وانما اخره وحقه ان يقدم لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه واستدل بهذه الآية على ان الاجماع حجة لانها تقتضى كونهم آمرين بكل معروف وناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما للاستغراق فلو اجمعوا على باطل كان امرهم على خلاف ذلك (ولو آمن اهل الكتاب) ايمانا كما ينبغى (لكان خيرا لهم) لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه (منهم المؤمنون) كعبدالله بن سلام واصحابه (واكثرهم الفاسقون) المتمردون فى الكفر وهذه الجملة والتى بعدها واردتان على سبيل الاستطراد (لن يضروكم الا اذى) ضررا يسيرا كطعن وتهديد (وان يقاتلوكم يولوكم الادبار) ينهزموا ولا يضروكم بقتل واسر (ثم لا ينصرون) ثم لا يكون احد ينصرهم عليكم اويدفع بأسكم عنهم نفى اضرارهم سوى مايكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاموا الى القتال كانت الدبرة عليهم ثم اخبر بانه يكون عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ لا ينصروا عطفا على يولوا على ان ثم للتراخى فى المرتبة فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الآية من المغيبات التى وافقها الواقع اذ كان كذلك حال قريظة والنضير وبنى قينقاع ويهود خيبر (ضربت عليهم الذلة) هدر النفس والمال والاهل اوذل التمسك بالباطل والجزية (اينما ثقفوا) وجدوا (الا بحبل من الله وحبل من الناس) استثناء من اعم عام الاحوال اى ضربت عليهم الذلة فى عامة الاحوال الا معتصمين او ملتبسين بذمة الله او كتابه الذى آتاهم وذمة المسلمين اوبدينه الاسلام واتباع سبيل المؤمنين (وباؤا بغضب من الله) رجعوا به مستوجبين له (وضربت عليهم المسكنة) فهى محيطة بهم احاطة البيت المضروب على اهله واليهود فى غالب الامر فقراء مساكين (ذلك) اشارة الى ماذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب (بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق) بسبب كفرهم بالآيات وقتلهم الانبياء والتقييد بغير حق مع انه كذلك فى نفس الامر للدلالة على انه لم يكن حقا بحسب اعتقادهم ايضا (ذلك) اى الكفر والقتل (بما عصوا وكانوا يعتدون) بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله فان الاصرار على الصغائر يفضى

(الى)

يؤدى الى التحاسد والتباغض (للرجال نصيب) ثواب (مما اكتسبوا) بسبب ماعملوا من الجهاد وغيره (وللنساء نصيب مما اكتسبن) من طاعة أزواجهن وحفظ فروجهن نزلت لما قالت أم سلمة ليتنا كنا رجالا فجاهدنا وكان لنا مثل أجر الرجال (واسئلوا) بهمزة ودونها (الله من فضله) مااحتجتم اليه يعطكم (ان الله كان بكل شئ عليما) ومنه محل الفضل وسؤلكم (ولكل) من الرجال والنساء (جعلنا موالى) عصبة يعطون (مما ترك الوالدان والاقربون) لهم من المال (والذين عاقدت) بالف ودونها (ايمانكم) جمع يمين بمعنى القسم أو اليد أى الحلفاء الذين عاهدتموهم فى الجاهلية على النصرة والارث (فآتوهم) الآن (نصيبهم) حظوظهم من الميراث وهو السدس (ان الله كان على كل شئ شهيدا) مطلعا ومنه حالكم وهذا منسوخ بقوله وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض (الرجال

الى الكبائر والاستمرار عليها يؤدى الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة فى الدنيا واستيجاب الغضب فى الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضا (ليسوا سواء) فى المساوى والضمير لاهل الكتاب (من اهل الكتاب امة قائمة) استئناف لبيان نفى الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام وهم الذين اسلموا منهم (يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) يتلون القرآن فى تهجدهم عبر منه بالتلاوة فى ساعات الليل مع السجود ليكون ابين وابلغ فى المدح وقيل المراد صلاة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روى انه عليه الصلوة والسلام أخرها ثم خرج فاذ الناس ينتظرون الصلاة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم (يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات) صفات أخر لامة وصفهم بخصائص ماكانت فى اليهود فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين فى الليل مشركون بالله ملحدون فى صفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف وصفه مداهنون فى الاحتساب متباطئون عن الخيرات (واولئك من الصالحين) اى الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت احوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمى ذلك كفرانا كما سمى توفية الثواب شكرا وتعديته الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان وقرأ حفص وحمزة والكسائى وما يفعلوا من خير فلن يكفروه بالياء والباقون بالتاء (والله عليم بالمتقين) بشارة لهم واشعار بان التقوى مبدأ الخير وحسن العمل وان الفائز عند الله هو اهل التقوى (ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا) من العذاب او من الغناء فيكون مصدرا (واولئك اصحاب النار) ملازموها (هم فيها خالدون مثل ما ينفقون) ما ينفق الكفرة قربة اومفاخرة وسمعة اوالمنافقون رياء وخوفا (فى هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر) برد شديد والشائع اطلاقه للريح الباردة كالصرصر فهو فى الاصل مصدر نعت به اونعت وصف به البرد للمبالغة كقولك برد بارد (اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم) بالكفر والمعاصى (فاهلكته) عقوبة لهم لان الاهلاك عن سخط اشد والمراد تشبيه ما انفقوا فى ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما فى الدنيا والآخرة

قوامون) مسلطون (على النساء) يؤدبونهن ويأخذون على ايديهن (بما فضل الله بعضهم على بعض) أى بتفضيله لهم عليهن بالعلم والعقل والولاية وغير ذلك (وبما انفقوا) عليهن (من اموالهم فالصالحات) منهن (قانتات) مطيعات لازواجهن (حافظات للغيب) أى لفروجهن وغيرها فى غيبة ازواجهن (بما حفظ) هن (الله) حيث أوصى عليهن الازواج (واللاتى تخافون نشوزهن) عصيانهن لكم بأن ظهرت أماراته (فعظوهن) فخوفوهن الله (واهجروهن فى المضاجع) اعتزلوا الى فراش آخر ان أظهرن النشوز (واضربوهن) ضربا غير مبرح ان لم يرجعن بالهجران (فان أطعنكم) فيما يراد منهن (فلا تبغوا) تطلبوا (عليهن سبيلا) طريقا الى ضربهن ظلما (ان الله كان عليا كبيرا) فاحذروه أن يعاقبكم ان ظلمتموهن (وان خفتم) علمتم (شقاق) خلاف

وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث ﴿ وماظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون ﴾ اى ماظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها اوماظلم اصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب مااستحقوا به العقوبة وقرئ ولكن اى ولكن انفسهم يظلمونها ولايجوز ان يقدر ضمير الشان لانه لايحذف الافى ضرورة الشعر كقوله * ولكن من يبصر جفونك يعشق * ﴿ ياايها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة ﴾ وليجة وهو الذى يعرفه الرجل اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه الصلوة والسلام الانصار شعار والناس دثار ﴿ من دونكم ﴾ من دون المسلمين وهو متعلق بلاتتخذوا او بمحذوف وهو صفة بطانة اى بطانة كائنة من دونكم ﴿ لايألونكم خبالا ﴾ اى لايقصرون لكم الفساد والالو التقصير واصله ان يعدى بالحرف وعدى الى مفعولين كقولك لاآلوك نصحا على تضمين معنى المنع او النقص ﴿ ودواماعنتم ﴾ تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية ﴿ قد بدت البغضاء من افواههم ﴾ اى فى كلامهم لانهم لايتمالكون انفسهم لفرط بغضهم ﴿ وماتخفى صدورهم اكبر ﴾ مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار ﴿ قد بينا لكم الآيات ﴾ الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة المؤمنين وبمعاداة الكافرين ﴿ ان كنتم تعقلون ﴾ مابين لكم والجمل الاربع جاءت مستأنفات على التعليل ويجوز ان تكون الثلاث الاول صفات لبطانة ﴿ ها انتم اولاء تحبونهم ولايحبونكم ﴾ اى انتم اولاء الخاطئون فى موالاة الكفار وتحبونهم ولايحبونكم بيان لخطأهم فى موالاتهم وهو خبر ثان او خبر لاولاء والجملة خبر لانتم كقولك انت تحبه اوصلته او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينصب اولاء بفعل مضمر يفسره مابعده وتكون الجملة خبرا ﴿ وتؤمنون بالكتاب كله ﴾ بجنس الكتاب كله وهو حال من لايحبونكم والمعنى انهم لايحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم ايضا فما بالكم تحبونهم وهم لايؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم فى باطلهم اصلب منكم فى حقكم ﴿ واذا لقوكم قالوا آمنا ﴾ نفاقا وتغريرا ﴿ واذاخلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ ﴾ من اجله تأسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفى سبيلا ﴿ قل موتوا بغيظكم ﴾ دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام واهله حتى يهلكوا به ﴿ ان الله عليم بذات الصدور ﴾ فيعلم

(بينهما) بين الزوجين والاضافة للاتساع أى شقاقا بينهما (فابعثوا) اليهما برضاهما (حكما) رجلا عدلا (من أهله) أقاربه (وحكما من أهلها) ويوكل الزوج حكمه فى طلاق وقبول عوض عليه وتوكل هى حكمها فى الاختلاع ويجتهدان ويأمران الظالم بالرجوع أو يفرقان ان رأياه قال تعالى (ان يريدا) أى الحكمان (اصلاحا يوفق الله بينهما) بين الزوجين أى يقدرهما على ماهو الطاعة من اصلاح أوفراق (ان الله كان عليما) بكل شئ (خبيرا) بالبواطن كالظواهر (واعبدوا الله) وحدوه (ولاتشركوا به شيئا و) أحسنوا (بالوالدين احسانا) برا ولين جانب (وبذى القربى) القرابة (واليتامى والمساكين والجار ذى القربى) القريب منك فى الجوار أوالنسب (والجار الجنب) البعيد عنك فى الجوار أو النسب (والصاحب بالجنب) الرفيق فى سفر أو صناعة وقيل الزوجة (وابن

مافى صدورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول اى وقل لهم ان الله عليم بماهو اخفى مما تخفون من عض الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعى اياك على اسرارهم فانى عليم بالاخفى من ضمائرهم (ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوابها) بيان لتناهى عداوتهم الى حد حسدوا مانالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة والمس مستعار للاصابة (وان تصبروا) على عداوتهم اوعلى مشاق التكاليف (وتتقوا) موالاتهم اوماحرم الله جل جلاله عليكم (لايضركم كيدهم شيئا) بفضل الله عزوجل وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان المجد فى الامر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريا على الخصم وضمة الراء للاتباع كضمة مدوقرأ ابن كثير ونافع وابوعمرو ويعقوب لايضركم من ضاره يضيره (ان الله بماتعملون) من الصبر والتقوى وغيرها (محيط) اى محيط علمه فيجازيكم بما انتم اهله وقرىء بالياء اى بمايعملون فى عداوتكم عالم فيعاقبهم عليه (واذغدوت) اى واذكر اذغدوت (من اهلك) اى من حجرة عائشة رضى الله عنها (تبوىء المؤمنين) تنزلهم اوتسوى وتهيىء لهم ويؤيده القراءة باللام (مقاعد للقتال) مواقف واماكن له وقديستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع كقوله تعالى فى مقعد صدق وقوله تعالى قبل ان تقوم من مقامك (والله سميع) لاقوالكم (عليم) بنياتكم روى ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء ثانى عشر شوال سنة ثلاث من الهجرة فاستشار الرسول عليه السلام اصحابه وقد دعا عبدالله ابن ابى بن سلول ولم يدعه من قبل فقال هووا كثر الانصار أقم يارسول الله بالمدينة ولاتخرج اليهم فوالله ماخرجنا منها الى عدوالا اصاب منا ولادخلها علينا الااصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين واشار بعضهم الى الخروج فقال عليه السلام رأيت فى منامى بقرة مذبوحة حولى فاولتها خيراورأيت فى ذباب سيفى ثلما فأولته هزيمة ورأيت كأنى ادخلت يدى فى درع حصينة فأولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا وبالغوا حتى دخل فلبس لامته فلما رأوا ذلك ندموا على مبالغتهم وقالوا اصنع يارسول الله مارأيت

السبيل) المنقطع فى سفره (وماملكت أيمانكم) من الارقاء (ان الله لايحب من كان مختالا) متكبرا (فخورا) على الناس بما أوتى (الذين) مبتدأ (يبخلون) بما يجب عليهم (ويأمرون الناس بالبخل) به (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) من العلم والمال وهم اليهود وخبر المبتدأ لهم وعيد شديد (وأعتدنا للكافرين) بذلك وبغيره (عذابا مهينا) ذا اهانة (والذين) عطف على الذين قبله (ينفقون أموالهم رئاء الناس) مرائين لهم (ولا يؤمنون بالله ولاباليوم الآخر) كالمنافقين وأهل مكة (ومن يكن الشيطان له قرينا) صاحبا يعمل بأمره كهؤلاء (فساء) بئس (قرينا) هو (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله) أى أى ضرر عليهم فى ذلك والاستفهام للانكار ولو مصدرية أى لاضرر فيه وانما الضرر فيما هم عليه (وكان الله بهم عليما) فيجازيهم بما عملوا (ان الله

فقال لاينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعدصلوة الجمعة
واصبح بشعب احديوم السبت ونزل فى عدوة الوادى وجعل ظهره
وعسكره الى احد وسوى صفهم وامر عبدالله بن جبير على الرماة وقال
انضحوا عنا بالنبل لايأتونا من ورائنا (اذهمت) متعلق بقوله سميع عليم
اوبدل من اذغدوت (طائفتان منكم) بنوسلمة من الخزرج وبنوحارثة
من الأوس وكاناجناحى العسكر (ان تفشلا) ان تجبنا وتضعفا روى انه عليه
السلام خرج فى زهاء الف رجل ووعد لهم النصر ان صبروا فلما بلغوا
الشوط انخزل ابن ابى فى ثلاثمائة رجل وقال علام نقتل انفسنا واولادنا
فتبعهم عمرو بن حزم الانصارى وقال انشدكم الله فى نبيكم وانفسكم فقال
ابن ابى لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم والظاهر انه ماكانت عزيمة لقوله تعالى (والله وليهما) اى عاصمهما
عن اتباع تلك الخطرة ويجوز ان يراد والله ناصرهما فمالهما تفشلان (وعلى الله
فليتوكل المؤمنون) اى فليتوكلوا عليه ولايتوكلوا على غيره لينصرهم
كما نصرهم ببدر (ولقد نصركم الله ببدر) تذكير ببعض ماافادهم التوكل وبدر
ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمى به (وانتم اذلة) حال
من الضمير وانما قال اذلة ولم يقل اذلاء ليدل على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال وقلة
المراكب والسلاح (فاتقوا الله) فى الثبات (لعلكم تشكرون) ماانعم به عليكم
بتقواكم من نصرة اولعلكم ينعم الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع
الانعام لانه سببه (اذتقول للمؤمنين) ظرف لنصركم وقيل بدل ثان
من اذغدوت على ان قوله لهم كان يوم احد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى
عن المخالفة فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا امر الرسول صلى الله عليه وسلم
لم تنزل الملائكة (الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين)
انكار ان لايكفيهم ذلك وانما جيء بلن اشعارا بانهم كانوا كالآيسين من النصر
لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم قيل امدهم الله يوم بدر اولا بألف
من الملائكة ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف وقرأ ابن عامر منزلين
بالتشديد للتكثير اوللتدريج (بلى) ايجاب لما بعدلن اى بلى يكفيكم ثم
وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم
فقال (ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم) اى المشركون (من فورهم هذا)
من ساعتهم هذه وهو فى الاصل مصدر فارت القدر اذا غلبت فاستعير

لايظلم) أحدا (مثقال) وزن
(ذرة) أصغر نملة بان ينقصها
من حسناته أو يزيدها فى سيآته
(وان تك) الذرة (حسنة)
من مؤمن وفى قراءة بالرفع
فكان تامة (يضاعفها) من عشر
الى أكثر من سبعمائة وفى قراءة
يضعفها بالتشديد (ويؤت
من لدنه) من عنده مع المضاعفة
(أجرا عظيما) لايقدره أحد
(فكيف) حال الكفار (اذا جئنا
من كل أمة بشهيد) يشهد عليها
بعملها وهو نبيها (وجئنا
بك) يا محمد (على هؤلاء شهيدا
يومئذ) يوم المجيء (يود الذين
كفروا وعصوا الرسول لو)
أى أن (تسوى) بالبناء للمفعول
والفاعل مع حذف احدى
التاءين فى الاصل ومع ادغامها
فى السين أى تتسوى (بهم الارض)
بأن يكونوا ترابا مثلها لعظم
هوله كما فى آية أخرى ويقول
الكافر ياليتنى كنت ترابا (ولا
يكتمون الله حديثا) عما عملوه
وفى وقت آخر يكتمونه
ويقولون والله ربنا ماكنا

للسرعة ثم اطلق للحال التي لاريث فيها ولا تراخي والمعنى ان يأتوكم في الحال (يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة) في حال اتيانهم بلاتراخ ولاتأخير (مسومين) معلمين من التسويم الذي هو اظهار سيما الشيء لقوله عليه الصلوة والسلام لاصحابه تسوموا فان الملائكة قدتسومت اومرسلين من التسويم بمعنى الاسامة وقرأ ابن كثير وابوعمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو (وما جعله الله) وما جعل امدادكم بالملائكة (الابشرى لكم) الا بشارة لكم بالنصر (ولتطمئن قلوبكم به) ولتسكن اليه من الخوف (وماالنصر الامن عندالله) لامن العدة والعدد وهو تنبيه على انه لاحاجة في نصرهم الى مدد وانما امدهم ووعدلهم به بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب اكثر وحث على ان لايبالوا بمن تأخر عنهم (العزيز) الذي لايغالب في اقضيته (الحكيم) الذي ينصر ويخذل بوسط وغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة (ليقطع طرفا من الذين كفروا) متعلق بنصركم اووماالنصر ان كان اللام فيه للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعض واسر آخرين وهو ماكان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من صناديدهم (او يكبتهم) اويخزيهم والكبت شدة الغيظ اووهن يقع في القلب وأوللتنويع دون الترديد (فينقلبوا خائبين) فينهزموا منقطعي الآمال (ليس لك من الامر شيء) اعتراض (اويتوب عليهم اويعذبهم) عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله مالك امرهم فاماان يهلكهم او يكبتهم اويتوب عليهم ان اسلموا اويعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شيء وانماانت عبد مأمور لانذارهم وجهادهم ويحتمل ان يكون معطوفا على الامر اوشيء باضمار ان اي ليس لك من امرهم اومن التوبة عليهم اومن تعذيبهم شيء اوليس لك من امرهم شيء اوالتوبة عليهم اوتعذيبهم وان يكون او بمعنى الاان اي ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتسر به اويعذبهم فتشفى منهم وروى ان عتبة بن ابي وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم ان يدعوعليهم فنهاه الله لعلمه بان فيهم من يؤمن (فانهم ظالمون) قداستحقوا التعذيب بظلمهم (ولله مافي السموات ومافي الارض) خلقا وملكا فله الامر كله (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) صريح

مشركين (ياايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة) اي لا تصلوا (وانتم سكارى) من الشراب لان سبب نزولها صلوة جماعة في حال السكر (حتى تعلموا ما تقولون) بان تصحوا (ولا جنبا) بايلاج او انزال ونصبه على الحال وهو يطلق على المفرد وغيره (الاعابري) مجتازي (سبيل) طريق اي مسافرين (حتى تغتسلوا) فلكم ان تصلوا واستثناء المسافر لان له حكما آخر سيأتي وقيل المراد النهي عن قربان مواضع الصلوة اي المساجد الا عبورها من غير مكث (وان كنتم مرضى) مرضا يضره الماء (اوعلى سفر) اي مسافرين وانتم جنب اومحدثون (اوجاء احدمنكم من الغائط) هو المكان المعد لقضاء الحاجة اي احدث (اولامستم النساء) وفي قراءة بلاألف وكلاهما بمعنى اللمس وهو الجس باليد قاله ابن عمر وعليه الشافعي وألحق به الجس بباقي البشرة وعن ابن عباس هو الجماع (فلم تجدوا ماء)

في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له (والله غفور رحيم) لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم (يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا اضعافا مضاعفة) لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع اذ كان الرجل منهم يربي الى اجل ثم يزيد فيه بزيادة اخرى حتى يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة (واتقوا الله) فيما نهيتم عنه (لعلكم تفلحون) راجين الفلاح (واتقوا النار التي أعدت للكافرين) بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي افعالهم وفيه تنبيه على ان النار بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة (واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في امثال ذلك دليل عزة التوصل الى ما جعل خبراله (وسارعوا) بادروا واقبلوا (الى مغفرة من ربكم) الى ما يستحق به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص وقرأ نافع وابن عامر سارعوا بلا واو (وجنة عرضها السموات والارض) اى عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة على طريقة التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض (اعدت للمتقين) هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم (الذين ينفقون) صفة مادحة للمتقين او مدح منصوب او مرفوع (في السراء والضراء) في حالتي الرخاء والشدة او الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة او مضرة والمعنى لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير (والكاظمين الغيظ) الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة من كظمت القربة اذا ملأتها وشددت رأسها وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا (والعافين عن الناس) التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته وعن النبي عليه الصلوة والسلام ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت (والله يحب المحسنين) يحتمل الجنس ويدخل تحته هؤلاء والعهد فتكون الاشارة اليهم (والذين اذا فعلوا فاحشة) فعلة بالغة في القبح كالزنى (اوظلموا انفسهم) بان اذنبوا اى ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك (ذكروا الله) تذكروا وعيده او حكمه او حقه العظيم (فاستغفروا لذنوبهم) بالندم والتوبة (ومن يغفر الذنوب الا الله) استفهام بمعنى

(النفي)

تتطهرون به للصلوة بعد الطلب والتفتيش وهو راجع الى ماعدا المرضى (فتيمموا) اقصدوا بعد دخول الوقت (صعيدا طيبا) ترابا طاهرا فاضربوا به ضربتين (فامسحوا بوجوهكم وايديكم) مع المرفقين منه ومسح يتعدى بنفسه وبالحرف (ان الله كان عفوا غفورا الم تر الى الذين اوتوا نصيبا) حظا (من الكتاب) وهم اليهود (يشترون الضلالة) بالهدى (ويريدون ان تضلوا السبيل) تخطئوا طريق الحق لتكونوا مثلهم (والله اعلم باعدائكم) منكم يخبركم بهم لتجتنبوهم (وكفى بالله وليا) حافظا لكم منهم (وكفى بالله نصيرا) مانعا لكم من كيدهم (من الذين هادوا) قوم (يحرفون) يغيرون (الكلم) الذى انزل الله في التورية من نعت محمد صلى الله عليه وسلم (عن مواضعه) التي وضع عليها (ويقولون) للنبي صلى الله عليه وسلم اذا امرهم بشيء (سمعنا) قولك

النفي معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة (ولم يصروا على مافعلوا) ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله صلى الله عليه وسلم ماأصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة (وهم يعلمون) حال من يصروا اى ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به (اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) خبر للذين ان ابتدأت به وجملة مستأنفة مبينة لما قبلها ان عطفت على المتقين او على الذين ينفقون ولا يلزم من اعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها المصرون كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين جزآء لهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول يدل على ان مالهم ادون مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الآية المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلين انه فصل آيتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى التخصيص بمكارمه وفصل آية هؤلاء بقوله (ونعم اجر العاملين) لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض مافوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات (قد خلت من قبلكم سنن) وقائع سنها الله في الامم المكذبة كقوله تعالى وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل امم قال ماان الناس من فضل كفضلكمو * ولا رأوا مثله في سالف السنن (فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) لتعتبروا بما ترون من آثار هلاكهم (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) اشارة الى قوله قد خلت اومفهوم قوله فانظروا اى انه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين او الى مالخص من امر المتقين والتائبين وقوله قد خلت اعتراض للبعث على الايمان والتوبة وقيل الى القرآن (ولا تهنوا ولا تحزنوا) تسلية لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما اصابكم ولا تحزنوا على من قتل منكم (وانتم الاعلون) وحالكم انكم اعلى منهم شأنا فانكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار اولانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم او وانتم الاعلون في العاقبة فيكون بشارة

(وعصينا) أمرك (واسمع غير مسمع) حال بمعنى الدعاء أي لاسمعت (و) يقولون له (راعنا) وقد نهى عن خطابه بها وهي كلمة سب بلغتهم (ليا) تحريفا (بالسنتهم وطعنا) قدحا (في الدين) الاسلام (ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا) بدل وعصينا (واسمع) فقط (وانظرنا) انظر الينا بدل راعنا (لكان خيرا لهم) مما قالوه (وأقوم) أعدل منه (ولكن لعنهم الله) أبعدهم عن رحمته (بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا) منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا) من القرآن (مصدقا لما معكم) من التورية (من قبل أن نطمس وجوها) نمحو مافيها من العين والانف والحاجب (فنردها على أدبارها) فنجعلها كالاقفاء لوحا واحدا (أو نلعنهم) نمسخهم قردة (كما لعنا) مسخنا (أصحاب السبت) منهم (وكان امر الله) قضاؤه (مفعولا) ولما نزلت أسلم عبد الله بن سلام

فقيل كان وعيدا بشرط فلما أسلم بعضهم رفع وقيل يكون طمس ومسخ قبل قيام الساعة (ان الله لا يغفر أن يشرك) أى الاشراك (به ويغفر مادون)سوى (ذلك) من الذنوب (لمن يشاء) المغفرة له بأن يدخله الجنة بلاعذاب ومن شاء عذبه من المؤمنين بذنوبه ثم يدخله الجنة (ومن يشرك بالله فقد افترى اثما) ذنبا (عظيما) كبيرا (ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم) وهم اليهود حيث قالوا نحن أبناء الله واحباؤه أى ليس الامر بتزكيتهم أنفسهم (بل الله يزكى) يطهر (من يشاء) بالايمان (ولا يظلمون) ينقصون من أعمالهم (فتيلا) قدر قشرة النواة (انظر) متعجبا (كيف يفترون على الله الكذب) بذلك (وكفى به اثما مبينا) بينا * ونزل فى كعب بن الاشرف ونحوه من علماء اليهود لما قدموا مكة وشاهدوا قتلى بدر وحرضوا المشركين على الاخذ بثأرهم ومحاربة النبى صلى الله عليه وسلم (ألم تر

لهم بالنصر والغلبة (ان كنتم مؤمنين) متعلق بالنهى اى لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضى قوة القلب بالوثوق على الله او بالاعلون (ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله) قرأ حمزة والكسائى وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم ألمها والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله مالا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول صلى الله عليه وسلم (وتلك الايام نداولها بين الناس) نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله فيوما علينا ويوما لنا * ويوم نساء ويوم نسر * والمداولة كالمعاودة يقال داولت الشئ بينهم فتداولوه والايام تحتمل الوصف والخبر ونداولها يحتمل الخبر والحال والمراد بها اوقات النصر والغلبة (وليعلم الله الذين آمنوا) عطف على علة محذوفة اى نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير واحدة وان مايصيب المؤمن فيه من المصالح مالا يعلم او الفعل المعلل به محذوف تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك والقصد فى امثاله ونقائضه ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه على طريقة البرهان وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشئ موجودا (ويتخذ منكم شهداء) ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء احد او يتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدائد (والله لا يحب الظالمين) الذين يضمرون خلاف مايظهرون او الكافرين وهو اعتراض وفيه تنبيه على انه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين (وليمحص الله الذين آمنوا) ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم (ويمحق الكافرين) ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق نقص الشئ قليلا قليلا (ام حسبتم ان تدخلوا الجنة) بل أحسبتم ومعناه الانكار (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) ولما تجاهدوا وفيه دليل على ان الجهاد فرض كفاية والفرق بين لما ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت النون (ويعلم الصابرين) نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ بالرفع على ان الواو للحال كأنه قال

ولما تجاهدوا وانتم صابرون (ولقد كنتم تمنون الموت) اى الحرب فانها
من اسباب الموت اوالموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا
وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا مانال
شهداء بدر من الكرامة فالحوا يوم احد على الخروج (من قبل ان تلقوه)
من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته (فقد رأيتموه وانتم تنظرون) اى فقد
رأيتموه معاينين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على
انهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا عنها او على الشهادة فان فى تمنيها
تمنى غلبة الكفار (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل) فسيخلو كما خلوا
بالموت او القتل (افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم) انكار لارتدادهم
وانقلابهم على اعقابهم عن الدين لخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل
قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا اخلو الرسل
قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد وفاته روى انه لما رمى عبد الله بن
قمئة الحارثى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه
فذب عنه مصعب بن عمير رضى الله عنه وكان صاحب الراية حتى قتله ابن
قمئة وهو يرى انه قتل النبى عليه السلام فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ
ألا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول عليه السلام يدعو الىّ
عباد الله فانحاز اليه ثلاثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين
وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابى يأخذ لنا امانا من ابى سفيان وقال
ناس من المنافقين لوكان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال
انس بن النضر عم انس بن مالك ياقوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حى
لايموت ولاتصنعون بالحيوة بعده فقاتلوا على ماقاتل عليه ثم قال اللهم
انى اعتذر اليك مما يقولون وابرأ منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت
(ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا) بارتداده بل يضر نفسه
(وسيجزى الله الشاكرين) على نعمة الاسلام بالثبات عليه كأنس واضرابه
(وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله) الا بمشيئة الله تعالى او باذنه لملك الموت
عليه السلام فى قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى فى علمه تعالى
وقضائه لايستأخرون عنه ساعة ولايستقدمون بالاحجام عن القتال
والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول صلى الله
عليه وسلم بالحفظ وتأخير الاجل (كتابا) مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت

الى الذين أوتوا نصيبا من
الكتاب يؤمنون بالجبت
والطاغوت) صنمان لقريش
(ويقولون للذين كفروا)
أبى سفيان وأصحابه حين قالوا
لهم أنحن أهدى سبيلا ونحن
ولاة البيت نسقى الحاج ونقرى
الضيف ونفك العانى ونفعل
أم محمد وقد خالف دين آبائه
وقطع الرحم وفارق الحرم
(هؤلاء) أى أنتم (أهدى
من الذين آمنوا سبيلا) أقوم
طريقا (أولئك الذين لعنهم الله
ومن يلعن) ه (الله فلن تجد له
نصيرا) مانعا من عذابه
(أم) بل أ (لهم نصيب من
الملك) أى ليس لهم شئ
منه ولوكان (فاذا لا يؤتون
الناس نقيرا) أى شيأ تافها قدر
النقرة فى ظهر النواة لفرط
بخلهم (أم) بل أ (يحسدون
الناس) أى النبى صلى الله
عليه وسلم (على ما آتاهم الله
من فضله) من النبوة وكثرة
النساء أى يتمنون زواله عنه
ويقولون لوكان نبيا لاشتغل
عن النساء (فقد آتينا آل
ابراهيم) جده كموسى وداود
وسليمان (الكتاب والحكمة)

كتابا(مؤجلا) صفةله اى موقتالايتقدمولايتأخر (ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها) تعريض لمشغلتهم الغنائم يوم احد فان المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم واخذوا ينهبون فلما رأى الرماةذلك اقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم (ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها) اى من ثوابها (وسنجزى الشاكرين) الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شئ عن الجهاد (وكأين) اصله اى دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين اثبت فى الخط على غير قياس وقرأ ابن كثير وكائن ككاعن ووجهه انه قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملى فى لعمرى فصار كيأن ثم حذف الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى الفا كما ابدلت من طائى (من نبى) بيان له (قاتل معه ربيون كثير) ربانيون علماء اتقياء اوعابدون لربهم وقيل جماعات والربى منسوب الى ربة وهى الجماعة للمبالغة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب قتل واسناده الى ربيون اوضمير النبى ومعه ربيون حال منه ويؤيد الاول انه قرئ بالتشديد وقرئ ربيون بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر (فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله) فما فتروا ولم ينكسر حدتهم لما اصابهم من قتل النبى او بعضهم (وماضعفوا) عن العدو اوفى الدين (وما استكانوا) وماخضعوا للعدو واصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به مايريده والالف من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب من نفسه ان تكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم عند الارجاف بقتله عليه الصلوة والسلام (والله يحب الصابرين) فينصرهم ويعظم قدرهم (وماكان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفرلنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) اى وماكان قولهم مع ثباتهم وقوتهم فى الدين وكونهم ربانيين الاهذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم هضمالها واضافة لما اصابهم الى سوء اعمالها والاستغفار عنها ثم طلب التثبيت فى مواطن الحرب لله والنصر على العدو ليكون عن خضوع وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خبرا لا ن ان قالوا اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث (فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين) فآتاهم الله بسبب الاستغفار واللجأ

(الى)

والنبوة (وآتيناهم ملكا عظيما) فكان لداود تسع وتسعون امرأة ولسليمان ألف مابين حرة وسرية (فمنهم من آمن به) بمحمد صلى الله عليه وسلم (ومنهم من صد) أعرض (عنه) فلم يؤمن (وكفى بجهنم سعيرا) عذابالمن لايؤمن (ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم) ندخلهم (نارا) يحترقون فيها (كلما نضجت) احترقت (جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) بأن تعاد الى حالها الاول غير محترقة (ليذوقوا العذاب) ليقاسوا شدته (ان الله كان عزيزا) لايعجزه شئ (حكيما) فى خلقه (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة) من الحيض وكل قذر (وندخلهم ظلا ظليلا) دائما لاتنسخه شمس هو ظل الجنة (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات) أى ماأؤتمن عليه من الحقوق (الى أهلها) نزلت لما أخذ على رضى الله عنه مفتاح

الى الله النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر فى الدنيا والجنة والنعيم فى الآخرة وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتدبه عند الله (يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين) نزلت فى قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولوكان محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا لابى سفيان واشياعه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل عام فى مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم (بل الله مولاكم) ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله مولاكم (وهو خير الناصرين) فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره (سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) يريد ماقذف فى قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه الصلوة والسلام ان شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم ليستأصلوهم فالقى الله الرعب فى قلوبهم وقرأ ابن عامر والكسائى ويعقوب بالضم على الاصل فى كل القرآن (بما اشركوا بالله) بسبب اشراكهم به (ما لم ينزل به سلطانا) اى آلهة ليس على اشراكها حجة ولم ينزل عليهم به سلطانا وهو كقوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * واصل السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان (ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين) اى مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل (ولقد صدقكم الله وعده) اى وعده اياهم بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف الرماة فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم بالنبل والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم (اذ تحسونهم باذنه) تقتلونهم من حسه اذا ابطل حسه (حتى اذا فشلتم) جبنتم وضعف رأيكم اوملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف العقل (وتنازعتم فى الامر) يعنى اختلاف الرماة حين انهزم المشركون فقال بعضهم فما موقفنا ههنا وقال آخرون لانخالف أمر الرسول فثبت مكانه اميرهم فى نفر دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعنى بقوله (وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون) من الظفر والغنيمة وانهزام العدو وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم (منكم من يريد الدنيا) وهم التاركون المركز للغنيمة (ومنكم من يريد الآخرة)

الكعبة من عثمان بن طلحة الحجبى سادنها قسرا لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح ومنعه وقال لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم برده اليه وقال هاك خالدة تالدة فعجب من ذلك فقرأ له على الآية فاسلم وأعطاه عند موته لأخيه شيبة فبقى فى ولده والآية وان وردت على سبب خاص فعمومها معتبر بقرينة الجمع (واذا حكمتم بين الناس) يامركم (أن تحكموا بالعدل ان الله نعما) فيه ادغام ميم نعم فى ما النكرة الموصوفة أى نعم شيئا (يعظكم به) تأدية الامانة والحكم بالعدل (ان الله كان سميعاً) لما يقال (بصيرا) بما يفعل (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى) أصحاب (الامر) أى الولاة (منكم) اذا أمروكم بطاعة الله ورسوله (فان تنازعتم) اختلفتم (فى شئ فردوه الى الله) أى الى كتابه (والرسول) مدة حيوته وبعده الى سنته أى اكشفوا عليه منهما (ان كنتم تؤمنون

وهم الثابتون محافظة على امر الرسول عليه السلام (ثم صرفكم عنهم) ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم (ليبتليكم) على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها (ولقد عفا عنكم) تفضلا ولما علم من ندمهم على المخالفة (والله ذو فضل على المؤمنين) يتفضل عليهم بالعفو او فى الاحوال كلها سواء اديل لهم او عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة (اذ تصعدون) متعلق بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر كاذكر والاصعاد الذهاب والابعاد فى الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة (ولا تلوون على احد) ولا يقف احد لاحد ولا ينتظره (والرسول يدعوكم) كان يقول الى عباد الله الى عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة (فى اخراكم) فى ساقتكم وجماعتكم الاخرى (فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على مافاتكم ولا ما اصابكم) عطف على صرفكم والمعنى فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم او فجازاكم غما بسبب غم اذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له لتتمرنوا على الصبر فى الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت وضر لاحق وقيل لا مزيدة والمعنى لتأسفوا على مافاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير فى فاثابكم للرسول صلى الله عليه وسلم اى فآساكم فى الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم كيلا تحزنوا على مافاتكم من النصر ولا على ما اصابكم من الهزيمة (والله خبير بما تعملون) عالم باعمالكم وبما قصدتم بها (ثم انزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا) انزل الله عليكم الامن حتى اخذكم النعاس وعن ابى طلحة غشينا النعاس فى المصاف حتى كان السيف يسقط من يد احدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه والامنة الامن نصب على المفعول ونعاسا بدل منها او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة او مفعول له او حال من المخاطبين بمعنى ذوى امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة وقرئ امنة بسكون الميم كأنها المرة من الامن (يغشى طائفة منكم) اى النعاس وقرأ حمزة والكسائى بالتاء ردا على الامنة والطائفة المؤمنون حقا (وطائفة) هم المنافقون (قد اهمتهم انفسهم) اوقعتهم انفسهم فى الهموم او مايهمهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) صفة اخرى لطائفة او حال او استئناف على

بالله واليوم الآخر ذلك) أى الرد اليهما (خير) لكم من التنازع والقول بالرأى (وأحسن تأويلا) مآلا *ونزل لما اختصم يهودى ومنافق فدعا الى كعب بن الاشرف ليحكم بينهما ودعا اليهودى الى النبى صلى الله عليه وسلم فأتياه فقضى لليهودى فلم يرض المنافق وأتيا عمر فذكر له اليهودى ذلك فقال للمنافق أكذلك فقال نعم فقتله (ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت) الكثير الطغيان وهو كعب بن الاشرف (وقد أمروا أن يكفروا به) ولا يوالوه (ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيدا) عن الحق (واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله) فى القرآن من الحكم (والى الرسول) ليحكم بينكم (رأيت المنافقين يصدون) يعرضون (عنك) الى غيرك (صدودا فكيف) يصنعون (اذا أصابتهم مصيبة) عقوبة (بما قدمت ايديهم)

وجه البيان لماقبله وغير الحق نصب على المصدر اى يظنون بالله غير الظن الحق الذى يحق ان يظن به وظن الجاهلية بدله وهو الظن المختص بالملة الجاهلية واهلها (يقولون) اى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بدل من يظنون (هل لنا من الامر من شئ) هل لنا مما امر الله ووعد من النصر والظفر نصيب قط وقيل اخبر ابن ابى بقتل بنى الخزرج فقال ذلك والمعنى انا منعنا تدبير انفسنا وتصريفها باختيار فلم يبق لنا من الامر شئ اوهل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر شئ (قل ان الامر كله لله) اى الغلبة الحقيقية لله تعالى واوليائه فان حزب الله هم الغالبون اذ القضاء له يفعل مايشاء ويحكم مايريد وهو اعتراض وقرأ ابو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء (يخفون فى انفسهم مالا يبدون لك) حال من ضمير يقولون اى يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون للنصرة مبطنين الانكار والتكذيب (يقولون) اى فى انفسهم او اذا خلا بعضهم الى بعض وهو بدل من يخفون اواستئناف على وجه البيان له (لوكان لنا من الامر شئ) كما وعد محمد اوزعم ان الامر كله لله ولاوليائه اولوكان لنا اختيار وتدبير لم نبرح كما كان رأى ابن ابى وغيره (ماقتلنا ههنا) ماغلبنا ولماقتل من قتل منافى هذه المعركة (قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) اى لخرج الذين قدر الله عليهم القتل وكتب فى اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم ينفعهم الاقامة بالمدينة ولم ينج منه احد فانه قدر الامور ودبرها فى سابق قضائه لامعقب لحكمه (وليبتلى الله مافى صدوركم) وليمتحن الله مافى صدوركم ويظهر سرائرها من الاخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف اى وفعل ذلك ليبتلى اوعطف على محذوف اى ابرز لنفاذ القضاء او لمصالح جمة اوللابتلاء اوعلى قوله لكيلا تحزنوا (وليمحص مافى قلوبكم) وليكشفه ويميزه اويخلصه من الوساوس (والله عليم بذات الصدر) بخفياتها قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه غنى عن الابتلاء وانما فعل ذلك لتميز المؤمنين واظهار حال المنافقين (ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ماكسبوا) يعنى ان الذين انهزموا يوم احد انما كان السبب فى انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا ذنوبا لمخالفة النبى صلى الله عليه وسلم بترك المركز والحرص على الغنيمة او الحيوة فمنعوا التأييد وقوة القلب

من الكفر والمعاصى اى ايقدرون على الاعراض والفرار منهالا (ثم جاؤك) معطوف على يصدون (يحلفون بالله ان) ما (اردنا) بالمحاكمة الى غيرك (الا احسانا) صلحا (وتوفيقا) تأليفا بين الخصمين بالتقريب فى الحكم دون الحمل على مر الحق (أولئك الذين يعلم الله مافى قلوبهم) من النفاق وكذبهم فى عذرهم (فاعرض عنهم) بالصفح (وعظهم) خوفهم الله (وقل لهم فى) شان (أنفسهم قولا بليغا) مؤثرا فيهم اى ازجرهم ليرجعوا عن كفرهم (وما ارسلنا من رسول الا ليطاع) فيما يأمر به ويحكم (باذن الله) بأمره لا ليعصى ويخالف (ولوانهم اذظلموا انفسهم) بتحاكمهم الى الطاغوت (جاؤك) تائبين (فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول) فيه التفات عن الخطاب تفخيما لشأنه (لوجدوا الله توابا) عليهم (رحيما) بهم (فلاوربك) لازائدة (لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر) اختلط (بينهم ثم لايجدوا فى انفسهم

وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم فان المعاصى يجر بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم فكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة (ولقد عفا الله عنهم) لتوبتهم واعتذارهم (ان الله غفور) للذنوب (حليم) لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب (ياايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا) يعنى المنافقين (وقالوا لاخوانهم) لاجلهم وفيهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم فى النسب اوالمذهب (اذا ضربوا فى الارض) اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة اوغيرها وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية (اوكانوا غزى) جمع غاز كعاف وعفى (لوكانوا عندنا ماماتوا وماقتلوا) مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به (ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم) متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة مثلها فى ليكون لهم عدوا وحزنا اولا تكونوا اى لا تكونوا مثلهم فى النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة فى قلوبهم خاصة فذلك اشارة الى مادل عليه قولهم من الاعتقاد وقيل الى مادل عليه النهى اى لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة فى قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم (والله يحيى ويميت) رد لقولهم اى هو المؤثر فى الحيوة والمماة لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيى المسافر والغازى ويميت المقيم والقاعد (والله بما تعملون بصير) تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى بالياء على انه وعيد للذين كفروا (ولئن قتلتم فى سبيل الله اومتم) اى متم فى سبيله وقرأ نافع وحمزة والكسائى بكسر الميم من مات يمات (لمغفرة من الله ورحمة خير مما تجمعون) جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء والمعنى ان السفر والغزاء ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل وان وقع ذلك فى سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لولم تموتوا وقرأ حفص بالياء (ولئن متم اوقتلتم) على اى وجه اتفق هلاككم (لالى الله تحشرون) لا الى معبودكم الذى توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لوجهه لا الى غيره لا محالة تحشرون فيوفى جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرأ نافع وحمزة والكسائى متم بالكسر (فبما رحمة من الله لنت لهم) اى فبرحمة وما مزيدة للتأكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله وهو ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه (ولو كنت فظا) سيء الخلق جافيا (غليظ القلب) قاسيه (لانفضوا من حولك) لتفرقوا عنك

حرجا) ضيقا اوشكا (مما قضيت) به (ويسلموا) ينقادوا لحكمك (تسليما) من غير معارضة (ولو انا كتبنا عليهم ان) مفسرة (اقتلوا انفسكم اواخرجوا من دياركم) كما كتبنا على بنى اسرائيل (مافعلوه) اى المكتوب عليهم (الا قليل) بالرفع على البدل والنصب على الاستثناء (منهم ولو انهم فعلوا مايوعظون به) من طاعة الرسول (لكان خيرا لهم واشد تثبيتا) تحقيقا لايمانهم (واذا) اى لو ثبتوا (لآتيناهم من لدنا) من عندنا (اجرا عظيما) هو الجنة (ولهديناهم) (صراطا مستقيما) قال بعض الصحابة للنبى صلى الله عليه وسلم كيف نراك فى الجنة وانت فى الدرجات العلا ونحن اسفل منك فنزل (ومن يطع الله والرسول) فيما امر به (فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين) افاضل اصحاب الانبياء لمبالغتهم فى الصدق والتصديق (والشهداء) القتلى فى سبيل الله (والصالحين) غير من

ولم يسكنوا اليك (فاعف عنهم) فيما يختص بك (واستغفر لهم) فيما لله (وشاورهم فى الامر) اى فى امر الحرب اذالكلام فيه او فيما يصح ان يشاور فيه استظهارا برأيهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة (فاذا عزمت) فاذا وطنت نفسك على شئ بعدالشورى (فتوكل على الله) فى امضاء امرك على ماهواصلح لك فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم اى فاذا عزمت لك على شئ وعينته لك فتوكل على ولا تشاور فيه احدا (ان الله يحب المتوكلين) فينصرهم ويهديهم الى الصلاح (ان ينصركم الله) كما نصركم يوم بدر (فلا غالب لكم) فلا احد يغلبكم (وان يخذلكم) كما خذلكم يوم احد (فمن ذا الذى ينصركم من بعده) من بعد خذلانه او من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضى للتوكل وتحريض على مايستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب خذلانه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر سواه وآمنوا به (وما كان لنبى ان يغل) وما صح لنبى ان يخون فى الغنائم فان النبوة تنافى الخيانة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه خفية والمراد منه ابراءة الرسول عليه السلام عما اتهم به اذروى ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها اوظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئا فهوله ولا يقسم الغنائم واما المبالغة فى النهى للرسول صلى الله عليه وسلم على ماروى انه بعث طلائع فغنم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم على من معه ولم يقسم للطلائع فنزلت فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى ويعقوب ان يغل على البناء للمفعول والمعنى وما صح له ان يوجد غالا اوان ينسب الى الغلول (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة) يأت بالذى غله يحمله على عنقه كما جاء فى الحديث او بما احتمل من وباله واثمه (ثم توفى كل نفس ما كسبت) يعنى تعطى جزاء ما كسبت وافيا وكان اللائق بماقبله ان يقال ثم يوفى ما كسبت لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب بعمله مجزيا فالغال مع عظم جرمه بذلك اولى (وهم لا يظلمون) فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد فى عقاب عاصيهم (افمن اتبع رضوان الله) بالطاعة (كمن باء)

ذكر (وحسن أولئك رفيقا) رفقاء فى الجنة بان يستمتع فيها برؤيتهم وزيارتهم والحضور معهم وان كان مقرهم فى الدرجات العالية بالنسبة الى غيرهم (ذلك) أى كونهم مع من ذكر مبتدأ خبره (الفضل من الله) تفضل به عليهم لأنهم نالوه بطاعتهم (وكفى بالله عليما) بثواب الآخرة أى فثقوا بما أخبركم به ولا ينبئك مثل خبير (ياأيها الذين آمنوا خذوا حذركم) من عدوكم أى احترزوا منه وتيقظوا له (فانفروا) انهضوا الى قتاله (ثبات) متفرقين سرية بعد أخرى (أو انفروا جميعا) مجتمعين (وان منكم لمن ليبطئن) ليتأخرن عن القتال كعبد الله بن ابى المنافق وأصحابه وجعله منهم من حيث الظاهر واللام فى الفعل للقسم (فان أصابتكم مصيبة) كقتل وهزيمة (قال قد أنعم الله على اذ لم أكن معهم شهيدا) حاضرا فأصاب (ولئن) لام قسم (أصابكم فضل من الله) كفتح وغنيمة (ليقولن) نادما (كأن)

محففة واسمها محذوف أى كأنه (لم يكن) بالياء والتاء (بينكم وبينه مودة) معرفة وصداقة وهـذا راجع الى قوله قدأنعم الله على اعترض به بين القول ومقوله وهو (يا) للتنبيه (ليتنى كنت معهم فافوز فوزا عظيما) آخذ حظا وافرا من الغنيمة قال تعالى (فليقاتل فى سبيل الله) لاعلاء دينه (الذين يشرون) يبيعون (الحيوة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل) يستشهد (أو يغلب) يظفر بعدوه (فسوف نؤتيه أجرا عظيما) ثوابا جزيـلا (ومالـكم لاتقاتلون) استفهام توبيخ أى لامانع لكم من القتـال (فى سبيل الله و) فى تخليص (المستضعفين من الرجال والنساء والولدان) الذين حبسهم الكفار عن الهجرة وآذوهم قال ابن عبـاس رضى الله عنهمـا كنت أنا وامى منهم (الذين يقولون) داعين يا (ربنـا أخرجنـا من هذه القرية) مكة (الظالم أهلهـا) بالكفر (واجعل لنا من لدنك) من

رجع ﴿ بسخط من الله ﴾ بسبب المعاصى ﴿ ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾ الفرق بينه وبين المرجع ان المسير يجب ان يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع ﴿ هم درجات عند الله ﴾ شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت فى الثواب والعقاب اوهم ذوو درجات ﴿ والله بصير بما يعملون ﴾ عالم باعمالهم ودرجاتها صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها ﴿ لقد من الله على المؤمنين ﴾ انعم على من آمن مع الرسول صلى الله عليه وسلم من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة البعثـة عامة لزيادة انتفاعهم بها وقرىء لمن من الله على انه خبر مبتدأ محذوف مثل منه او بعثه ﴿ اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم ﴾ من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله فى الصدق والامانة مفتخرين به وقرىء من أنفسهم اى من اشرفهم لانه عليه السلام كان من اشرف قبائل العرب وبطونهم ﴿ يتلو عليهم آياته ﴾ اى القرآن بعدما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحى ﴿ ويزكيهم ﴾ يطهرهم من دنس الطباع وسوء الاعتقاد والاعمال ﴿ ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ اى القرآن والسنة ﴿ وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين ﴾ ان هى المخففة من المثقلة واللام هى الفارقة اى وان الشأن كانوا من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم فى ضلال ظاهر ﴿ اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا ﴾ الهمزة للتقرير والتقريع والواو عاطفة للجملة على ماسبق من قصة احد او على محذوف مثل أفعلتم كذا وقلتم ولما ظرفه المضاف الى أصابتكم اى حين اصابتكم مصيبة وهى قتل سبعين منكم يوم احد والحال انكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من اين هذا اصابنا وقد وعدنا الله النصر ﴿ قل هو من عند انفسكم ﴾ اى مما اقترفته انفسكم من مخالفة الامر بترك المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة او اختيار الخروج من المدينة وعن على رضى الله تعالى عنه باختياركم الفداء يوم بدر ﴿ ان الله على كل شىء قدير ﴾ فيقدر على النصر ومنعه وعلى ان يصيب بكم ويصيب منكم ﴿ ومااصابكم يوم التقى الجمعان ﴾ جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم احد ﴿ فباذن الله ﴾ فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه ﴿ وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا ﴾ وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء ﴿ وقيل لهم ﴾ عطف على نافقوا داخل فى الصلة اوكلام مبتدأ ﴿ تعالوا قاتلوا فى سبيل الله اوادفعوا ﴾ تقسيم للامر عليهم وتخيير بين ان يقاتلوا للآخرة او للدفع عن الانفس والاموال وقيل معناه قاتلوا الكفرة

او ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه (قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم) لو نعلم مايصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه لكن ماانتم عليه ليس بقتال بل القاء بالانفس الى التهلكة او لو نحسن قتالا لاتبعناكم وانما قالوه دغلا واستهزاء (هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان) لانخزالهم وكلامهم هذا فانهما اول امارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان انخزالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين (يقولون بافواههم ماليس فى قلوبهم) يظهرون خلاف مايضمرون لاتواطئ قلوبهم ألسنتهم بالايمان واضافة القول الى الافواه تأكيد وتصغير (والله اعلم بمايكتمون) من النفاق ومايخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم تعلمونه مجملا بأمارات (الذين قالوا) رفع بدلا من واو يكتمون او نصب على الذم او الوصف للذين نافقوا اوجر بدلا من الضمير فى بافواههم او قلوبهم كقوله * على جوده اضن بالماء حاتم (لاخوانهم) اى لاجلهم يريد من قتل يوم احد من اقاربهم او من جنسهم (وقعدوا) حال مقدرة بقد اى قالوا قاعدين عن القتال (لو اطاعونا) فى القعود (ماقتلوا) كما لم نقتل وقرأ هشام ماقتلوا كما لم نقتل وقرأ هشام ماقتلوا بالتشديد فى التاء (قل فادرأوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين) اى ان كنتم صادقين انكم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت واسبابه فانه احرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن عن الموت فان اسباب الموت كثيرة وكما أن القتال يكون سببا للهلاك والقعود يكون سببا للنجاة فقد يكون الامر بالعكس (ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا) نزلت فى شهداء احد وقيل فى شهداء بدر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد وقرئ بالياء على اسناده الى ضمير الرسول او من يحسب او الى الذين قتلوا او المفعول الاول محذوف لانه فى الاصل مبتدأ جائز الحذف عند القرينة وقرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين (بل احياء) اى بل هم احياء وقرئ بالنصب على بل احسبهم احياء (عند ربهم) ذوو زلفى منه (يرزقون) من الجنة وهو تأكيد لكونهم احياء (فرحين بما آتاهم الله من فضله) وهو شرف الشهادة والفوز بالحيوة الابدية والقرب من الله تعالى والتمتع بنعيم الجنة (ويستبشرون) يسرون بالبشارة (بالذين لم يلحقوا بهم) اى باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا

عندك (وليا) يتولى أمورنا (واجعل لنا من لدنك نصيرا) يمنعنا منهم وقد استجاب الله دعاءهم فيسر لبعضهم الخروج وبقى بعضهم الى ان فتحت مكة وولى صلى الله عليه وسلم عتاب بن اسيد فانصف مظلومهم من ظالمهم (الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت) الشيطان (فقاتلوا أولياء الشيطان) انصار دينه تغلبوهم لقوتكم بالله (ان كيد الشيطان) بالمؤمنين (كان ضعيفا) واهيا لايقاوم كيد الله بالكافرين (ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم) عن قتال الكفار لما طلبوه بمكة لاذى الكفار لهم وهم جماعة من الصحابة (وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فلما كتب) فرض (عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون) يخافون (الناس) الكفار اى عذابهم بالقتل (كخشية) هم عذاب (الله او اشد خشية) من خشيتهم له ونصب اشد على الحال وجواب لما دل عليه اذا وما

فيلحقوا بهم ﴿ من خلفهم ﴾ اى الذين من خلفهم زمانا أو رتبة ﴿ الا خوف عليهم ولاهم يحزنون ﴾ بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر الآخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذاماتوا او قتلوا كانوا احياء حيوة لايكدرها خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب والآية تدل على ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لايفنى بخراب البدن ولايتوقف عليه ادراكه وتألمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى فى آل فرعون * النار يعرضون عليها * الآية وماروى ابن عباس رضى الله عنهما انه عليه الصلوة والسلام قال ارواح الشهداء فى اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل معلقة فى ظل العرش ومن انكر ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم احياء يوم القيمة وانما وصفوا به فى الحال لتحققه ودنوه او احياء بالذكر او بالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب فى الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة واحماد لمن يتمنى لاخوانه مثل ماانعم عليه وبشرى للمؤمنين بالفلاح ﴿ يستبشرون ﴾ كرره للتأكيد وليعلق به ماهو بيان لقوله الا خوف ويجوز ان يكون الاول بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم ﴿ بنعمة من الله ﴾ ثوابا لاعمالهم ﴿ وفضل ﴾ زيادة عليه كقوله تعالى * للذين احسنوا الحسنى وزيادة * وتنكيرهما للتعظيم ﴿ وان الله لايضيع اجر المؤمنين ﴾ من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرأ الكسائى بالكسر على انه استئناف معترض دال على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم مشعر بان من لاايمان له اعماله محبطة واجوره مضيعة ﴿ الذين استجابوا لله والرسول من بعد مااصابهم القرح ﴾ صفة للمؤمنين او نصب على المدح اومبتدأ خبره ﴿ للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم ﴾ بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لاالتقييد لان المستجيبين كلهم محسنون متقون روى ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء فندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب اصحابه للخروج فى طلبه وقال لايخرجن معنا احد الامن حضر يومنا بالامس فخرج عليه الصلوة والسلام مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهو على ثمانية اميال من المدينة وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لايفوتهم الاجر وألقى الله الرعب فى قلوب المشركين فذهبوا فنزلت ﴿ الذين قال لهم الناس ﴾ يعنى الركب الذين استقبلهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعى واطلق

(عليه)

بعدها اى فاجأهم الخشية (وقالوا) جزعا من الموت (ربنا لم كتبت علينا القتال لولا) هلا (أخرتنا الى اجل قريب قل) لهم (متاع الدنيا) مايتمتع به فيها او الاستمتاع بها (قليل) آئل الى الفناء (والآخرة) اى الجنة (خير لمن اتقى) عقاب الله بترك معصيته (ولاتظلمون) بالتاء والياء تنقصون من اعمالكم (فتيلا) قدر قشر النواة فجاهدوا (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج) حصون (مشيدة) مرتفعة فلاتخشوا القتال خوف الموت (وان تصبهم) أى اليهود (حسنة) خصب وسعة (يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة) جدب وبلاء كما حصل لهم عند قدوم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة (يقولوا هذه من عندك) يامحمد أى بشؤمك (قل) لهم (كل) من الحسنة والسيئة (من عند الله) من قبله (فمال هؤلاء القوم لايكادون يفقهون) أى

عليه الناس من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل وماله الافرس واحد اولانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه (ان الناس قدجمعوا لكم فاخشوهم) يعني اباسفيان واصحابه روى انه نادى عند انصرافه من احد يامحمدموعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله تعالى فلما كان القابل خرج فى اهل مكة حتى نزل مرالظهران فانزل الله الرعب فى قلبه وبداله ان يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقى نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم فى دياركم فلم يفلت منكم احدالاشريد أفترون ان تخرجوا وقدجمعوا لكم ففتروا فقال عليه السلام والذى نفسى بيده لاخرجن ولولم يخرج معى واحدفخرج فى سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله (فزادهم ايمانا) الضمير المستكن للمقول اولمصدر قال اولفاعله ان اريدبه نعيم وحده والبارز للمقول لهم والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازداد ايمانهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهودليل على ان الايمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر رضى الله عنهما قلنا يارسول الله الايمان يزيدوينقص قال نعم يزيدحتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر ان جعل الطاعة من جملة الايمان وكذا ان لم يجعل فان اليقين يزداد بالالف وكثرة التأمل وتناصر الحجج (وقالوا حسبنا الله) محسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه ويدل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا فى قولك هذا رجل حسبك (ونعم الوكيل) ونعم الموكول اليه هو (فانقلبوا) فرجعوا من بدر (بنعمة من الله) عافية وثبات على الايمان وزيادة فيه (وفضل) ربح فى التجارة فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا (لم يمسسهم سوء) من جراحة وكيدعدو (واتبعوا رضوان الله) الذى هومناط الفوز بخير الدارين بجراءتهم وخروجهم (والله ذو فضل عظيم) قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب فى الدين واظهار الجراءة على العدو وبالحفظ عن كل مايسوءهم واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة منه تعالى وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رايه حيث حرم نفسه مافازوا به (انما ذلكم الشيطان) يريد به المثبط نعيما اواباسفيان والشيطان خبر

لايقاربون ان يفهموا (حديثا) يأتى اليهم وما استفهام تعجيب من فرط جهلهم ونفى مقاربة الفعل اشد من نفيه (ماأصابك) أيها الانسان (من حسنة) خير (فمن الله) أتتك فضلا منه (وماأصابك من سيئة) بلية (فمن نفسك) اتتك حيث ارتكبت مايستوجبها من الذنوب (وارسلناك) يامحمد (للناس رسولا) حال مؤكدة (وكفى بالله شهيدا) على رسالتك (من يطع) الرسول فقد اطاع الله ومن تولى) اعرض عن طاعته فلا يهمنك (فما ارسلناك عليهم حفيظا) حافظا لاعمالهم بل نذيرا والينا أمرهم فنجازيهم وهذا قبل الامر بالقتال (ويقولون) أى المنافقون اذا جاؤك أمرنا (طاعة) لك (فاذا برزوا) خرجوا (من عندك بيت طائفة منهم) بادغام التاء فى الطاء وتركه أى أضمرت (غيرالذى تقول) لك فى حضورك من الطاعة اى عصيانك (والله يكتب) يأمر بكتب (مايبيتون)

ذلكم وما بعده بيان لشيطنته او صفة وما بعده خبره ويجوز ان تكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اى انما ذلكم قول الشيطان يعنى ابليس عليه اللعنة (يخوف اولياءه) القاعدين عن الخروج مع الرسول او يخوفكم اولياؤه الذين هم ابو سفيان و اصحابه (فلا تخافوهم) الضمير للناس الثانى على الاول والى الاولياء على الثانى (وخافون) فى مخالفة امرى فجاهدوا مع رسولى (ان كنتم مؤمنين) فان الايمان يقتضى ايثار خوف الله على خوف الناس (ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر) يقعون فيه سريعا حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين اوقوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك ويعينوا عليك لقوله (انهم لن يضروا الله شيئا) اى لن يضروا اولياء الله بمسارعتهم فى الكفر وانما يضرون بها انفسهم وشيئا يحتمل المفعول والمصدر وقرأ نافع يحزنك بضم الياء وكسر الزاى حيث وقع ماخلا قوله فى الانبياء لايحزنهم الفزع الاكبر فانه فتح الياء وضم الزاى فيه والباقون كذلك فى الكل (يريد الله ان لا يجعل لهم حظا فى الآخرة) نصيبا من الثواب فى الآخرة وهو يدل على تمادى طغيانهم وموتهم على الكفر وفى ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من رحمته وان مسارعتهم الى الكفر لانه تعالى لم يرد لهم ان يكون لهم حظ فى الآخرة (ولهم عذاب عظيم) مع الحرمان عن الثواب (ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم) تكرير للتأكيد او تعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين او ارتد من الاعراب (ولا تحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم) خطاب للرسول عليه السلام اولكل من يحسب والذين مفعول وانما نملى لهم بدل منه وانما اقتصر على مفعول واحد لان التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين كقوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او المفعول الثانى على تقدير مضاف مثل ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم أو ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وما مصدرية وكان حقها ان تفصل فى الخط ولكنها وقعت متصلة فى الامام فاتبع وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو عاصم والكسائى ويعقوب بالياء على ان الذين فاعل وان مع ما فى حيزه مفعول وفتح سينه فى جميع القرآن ابن عامر وحمزة وعاصم والاملاء الامهال واطالة العمر وقيل تخليتهم وشأنهم من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء

(انما)

فى صحائفهم ليجازوا عليه (فاعرض عنهم) بالصفح (وتوكل على الله) ثق به فانه كافيك (وكفى بالله وكيلا) مفوضا اليه (أفلا يتدبرون) يتأملون (القرآن) ومافيه من المعانى البديعة (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) تناقضا فى معانيه وتباينا فى نظمه (واذا جاءهم أمر) عن سرايا النبى صلى الله عليه وسلم بما حصل لهم (من الامن) بالنصر (او الخوف) بالهزيمة (اذا عوا به) افشوه نزل فى جماعة من المنافقين أو فى ضعفاء المؤمنين كانوا يفعلون ذلك فتضعف قلوب المؤمنين ويتأذى النبى (ولو ردوه) أى الخبر (الى الرسول والى أولى الامر منهم) أى ذوى الرأى من أكابر الصحابة اى لو سكتوا عنه حتى يخبروا به (لعلمه) هل هو مما ينبغى ان يذاع أو لا (الذين يستنبطونه) يتبعونه ويطلبون علمه وهم المذيعون (منهم) من الرسول وأولى الامر (ولولا فضل الله عليكم) بالاسلام

﴿ انما نملى لهم ليزدادوا اثما ﴾ استئناف بما هو العلة للحكم قبلها و ما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرىء انما بالفتح هنا وبكسر الاولى ولايحسبن بالياء على معنى ولايحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم لازدياد الاثم بل للتوبة والدخول فى الايمان وانما نملى لهم خير اعتراض معناه ان املاءنا لهم خير ان انتبهوا وتداركوا فيه مافرط منهم ﴿ ولهم عذاب مهين ﴾ على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو اى ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين ﴿ ماكان الله ليذر المؤمنين على ماانتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ﴾ الخطاب لعامة المسلمين والمنافقين فى عصره والمعنى لايترككم مختلطين لايعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحى الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف الشاقة التى لايصبر عليها ولايذعن لها الا الخلص المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس فى سبيل الله ليختبر به بواطنكم ويستدل به على عقائدكم وقرأ حمزة والكسائى حتى يميز هنا وفى الانفال بضم الياء وفتح الميم وكسر الياء وتشديدها والباقون بفتح الياء وكسر الميم وسكون الياء ﴿ وماكان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء ﴾ وماكان الله ليؤتى احدكم علم الغيب فيطلع على مافى القلوب من كفر وايمان ولكن الله يجتبى لرسالته من يشاء فيوحى اليه ويخبره ببعض المغيبات او ينصب له مايدل عليها ﴿ فآمنوا بالله ورسله ﴾ بصفة الاخلاص اوبان تعلموا لله وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين لايعلمون الا ماعلمهم الله ولايقولون الا مااوحى اليهم روى ان الكفرة قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وعن السدى انه عليه السلام قال عرضت على امتى واعلمت من يؤمن بى ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم انه يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولايعرفنا فنزلت ﴿ وان تؤمنوا ﴾ حق الايمان ﴿ وتتقوا ﴾ النفاق ﴿ فلكم اجر عظيم ﴾ لايقادر قدره ﴿ ولايحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ﴾ القرآت فيه ماسبق ومن قرأ بالتاء قدر مضافا ليتطابق مفعولاه اى ولاتحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرأ بالياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم او من يحسب وان جعله الموصول كان المفعول الاول محذوفا لدلالة يبخلون عليه اى ولايحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم ﴿ بل هو ﴾ اى البخل ﴿ شر لهم ﴾ لاستجلاب العقاب عليهم ﴿ سيطوقون مابخلوا به يوم القيمة ﴾ بيان لذلك والمعنى

(ورحمته) لكم بالقرآن (لاتبعتم الشيطان) فيما يأمركم به من الفواحش (الا قليلا فقاتل) يامحمد (فى سبيل الله لاتكلف الا نفسك) فلا تهتم بتخلفهم عنك المعنى قاتل ولو وحدك فانك موعود بالنصر (وحرض المؤمنين) حثهم على القتال ورغبهم فيه (عسى الله أن يكف بأس) حرب (الذين كفروا والله اشد بأسا) منهم (واشد تنكيلا) تعذيبا منها فقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لاخرجن ولو وحدى فخرج بسبعين راكبا الى بدر الصغرى فكف الله بأس الكفار بالقاء الرعب فى قلوبهم ومنع ابى سفيان عن الخروج كما تقدم فى آل عمران (من يشفع) بين الناس (شفاعة حسنة) موافقة للشرع (يكن له نصيب) من الاجر (منها) بسببها (ومن يشفع شفاعة سيئة) مخالفة له (يكن له كفل) نصيب من الوزر (منها) بسببها (وكان الله على كل شئ مقيتا) مقتدرا

سيلزمون وبال مابخلوا به الزام الطوق وعنه عليه الصلوة والسلام مامن رجل لايؤدى زكوة ماله الا جعل الله له شجاعا فى عنقه يوم القيمة ﴿ ولله ميراث السموات والارض ﴾ وله مافيهما ممايتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله ولاينفقونه فى سبيله او أنه يرث منهم مايمسكونه ولاينفقون فى سبيله بهلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والعقوبة ﴿ والله بما يعملون ﴾ من المنع والاعطاء ﴿ خبير ﴾ فيجازيكم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى بالتاء على الالتفات وهو ابلغ فى الوعيد ﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء ﴾ قاله اليهود لما سمعوا من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا وروى انه عليه الصلوة والسلام كتب مع ابى بكر رضى الله تعالى عنه الى يهود بنى قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء ان الله فقير حتى سأل القرض فلطمه ابوبكر رضى الله عنه على وجهه وقال لولا مابيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ماقاله فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه وانه اعد لهم العقاب عليه ﴿ سنكتب ماقالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ﴾ اى سنكتبه فى صحائف الكتبة او سنحفظه فى علمنا لانهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله واستهزاء بالقرآن والرسول ولذلك نظمه مع قتل الانبياء وفيه تنبيه على انه ليس اول جريمة ارتكبوها وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذا القول وقرأ حمزة سيكتب بالياء وضمها وفتح التاء وقتلهم بالرفع ويقول بالياء ﴿ ونقول ذوقوا عذاب الحريق ﴾ اى وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه مبالغات فى الوعيد والذوق ادارك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك سائر المحسوسات والحالات وذكره ههنا لان العذاب مرتب على قولهم الناشئ عن البخل والتهالك على المال وغالب حاجة الانسان اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى العذاب ﴿ بما قدمت ايديكم ﴾ من قتل الانبياء وقولهم هذا وسائر معاصيهم عبر بالايدى عن الانفس لان اكثر اعمالها بهن ﴿ وان الله ليس بظلام للعبيد ﴾ عطف على ماقدمت وسببيته للعذاب من حيث ان نفى الظلم يستلزم العدل المقتضى اثابة المحسن ومعاقبة المسيء ﴿ الذين قالوا ﴾ هم كعب بن الاشرف ومالك وحيي وفنحاص ووهب بن يهوذا ﴿ ان الله عهد الينا ﴾ امرنا فى التورية

(واوصانا)

فيجازى كل أحد بما عمل (واذا حييتم بتحية) كأن قيل لكم سلام عليكم (فحيوا) المحيي (باحسن منها) بأن تقولوا له وعليك السلام ورحمة الله وبركاته (او ردوها) بان تقولوا له كما قال اى الواجب احدهما والاول أفضل (ان الله كان على كل شئ حسيبا) محاسبا فيجازى عليه ومنه رد السلام وخصت السنة الكافر والمبتدع والفاسق والمسلم على قاضى الحاجة ومن فى الحمام والآكل فلايجب الرد عليهم بل يكره فى غير الاخير ويقال للكافر وعليك (الله لااله الا هو) والله (ليجمعنكم) من قبوركم (الى) فى (يوم القيمة لاريب) شك (فيه ومن) اى لا أحد (اصدق من الله حديثا) قولا * ولما رجع ناس من أحد اختلف الناس فيهم فقال فريق اقتلهم وقال فريق لا فنزل (فما لكم) أى ماشأنكم صرتم (فى المنافقين فئتين) فرقتين (والله اركسهم) ردهم (بما كسبوا) من الكفر والمعاصى

واوصانا (ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار) بان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لانبياء بني اسرائيل وهو ان يقرب بقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار سماوية فتأكله اي تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات شرع في ذلك (قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين) تكذيب والزام بان رسلا جاؤهم قبله كزكريا ويحيى بمعجزات اخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان به وكان توقفهم وامتناعهم عن الايمان لاجله فمالهم لم يؤمنوا بمن جاء به في معجزات اخر واجترأوا على قتله (فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير) تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه واليهود والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت الشيء اذا حسنته والكتاب في عرف القرآن ما يتضمن الشرائع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة القرآن وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته وقرأ ابن عامر وبالزبر باعادة الجار للدلالة على انها مغايرة للبينات بالذات (كل نفس ذائقة الموت) وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالنصب مع التنوين وعدمه كقوله * ولا ذاكر الله الا قليلا (وانما توفون اجوركم) تعطون جزاء اعمالكم خيرا كان او شرا تاما وافيا (يوم القيمة) يوم قيامكم عن القبور ولفظ التوفية يشعر بانه قد يكون قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله عليه الصلوة والسلام القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران (فمن زحزح عن النار) بعد عنها والزحزحة في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة (وادخل الجنة فقد فاز) بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه (وما الحيوة الدنيا) اي لذاتها وزخارفها (الا متاع الغرور) شبهها بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب بها الآخرة فهي له متاع بلاغ والغرور مصدر او جمع غار (لتبلون) اي والله لتختبرن (في اموالكم) بتكليف الانفاق وما يصيبه من الآفات (وانفسكم) بالجهاد والقتل والاسر والجراح

(أتريدون ان تهدوا من اضل) ه (الله) أي تعدوهم من جملة المهتدين والاستفهام في الموضعين للانكار (ومن يضلل) ه (الله فلن تجد له سبيلا) طريقا الى الهدى (ودوا) تمنوا (لو تكفرون كما كفروا فتكونون) انتم وهم (سواء) في الكفر (فلا تتخذوا منهم أولياء) توالونهم وان أظهروا الايمان (حتى يهاجروا في سبيل الله) هجرة صحيحة تحقق ايمانهم (فان تولوا) وأقاموا على ماهم عليه (فخذوهم) بالاسر (واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا) توالونه (ولا نصيرا) تنتصرون به على عدوكم (الا الذين يصلون) يلجؤن (الى قوم بينكم وبينهم ميثاق) عهد بالامان لهم ولمن وصل اليهم كما عاهد النبي صلى الله عليه وسلم هلال بن عويمر الاسلمي (أو) الذين (جاؤكم) وقد (حصرت) ضاقت (صدورهم) عن (أن يقاتلوكم) مع قومهم (أو يقاتلوا قومهم) معكم

وما يرد عليها من المخاوف والامراض والمتاعب ﴿ ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا ﴾ من هجاء الرسول صلى الله عليه وسلم والطعن فى الدين واغراء الكفرة على المسلمين اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها ﴿ وان تصبروا ﴾ على ذلك ﴿ وتتقوا ﴾ مخالفة امر الله ﴿ فان ذلك ﴾ يعنى الصبر والتقوى ﴿ من عزم الامور ﴾ من معزومات الامور التى يجب العزم عليها او مما عزم الله عليه اى امر به وبالغ فيه والعزم فى الاصل ثبات الرأى على الشئ نحو امضائه ﴿ واذ اخذ الله ﴾ اى اذكر وقت اخذه ﴿ ميثاق الذين اوتوا الكتاب ﴾ يريد به العلماء ﴿ لتبيننه للناس ولا تكتمونه ﴾ حكاية لمخاطبتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم فى رواية ابن عياش بالياء لانهم غيب واللام جواب القسم الذى ناب عنه قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب ﴿ فنبذوه ﴾ اى الميثاق ﴿ وراء ظهورهم ﴾ فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل فى ترك الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه جعله نصب عينيه والقاؤه بين عينيه ﴿ واشتروا به ﴾ واخذوا بدله ﴿ ثمنا قليلا ﴾ من حطام الدنيا واعراضها ﴿ فبئس ما يشترون ﴾ يختارون لانفسهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن على رضى الله تعالى عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا ﴿ لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ﴾ الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين والمفعول الاول الذين يفرحون والثانى بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق بمفازة بمنجاة من العذاب اى فائزين بالنجاة منه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء وفتح الباء فى الاول وضمها فى الثانى على ان الذين فاعل ومفعولا لا يحسبن محذوفان يدل عليهما مفعولا مؤكده فكأنه قيل ولا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا فلا يحسبن انفسهم بمفازة او المفعول الاول محذوف وقوله فلا تحسبنهم تأكيد للفعل وفاعله ومفعوله الاول ﴿ ولهم عذاب اليم ﴾ بكفرهم وتدليسهم روى انه عليه السلام سأل اليهود عن شئ مما فى التورية فاخبروه بخلاف ما كان فيها واروه انهم قد صدقوه

(وفرحوا)

أى ممسكين عن قتالكم وقتالهم فلا تتعرضوا اليهم بأخذ ولا قتل وهذا وما بعده منسوخ بآية السيف (ولو شاء الله) تسليطهم عليكم (لسلطهم عليكم) بان يقوى قلوبهم (فلقاتلوكم) ولكنه لم يشأ فالقى فى قلوبهم الرعب (فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم) الصلح أى انقادوا (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) طريقا بالاخذ والقتل (ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم) باظهار الايمان عندكم (ويأمنوا قومهم) بالكفر اذا رجعوا اليهم وهم أسد وغطفان (كلما ردوا الى الفتنة) دعوا الى الشرك (أركسوا فيها) وقعوا أشد وقوع (فان لم يعتزلوكم) بترك قتالكم (و) لم (يلقوا اليكم السلم و) لم (يكفوا أيديهم) عنكم (فخذوهم) بالاسر (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) وجدتموهم (وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) برهانا بينا ظاهرا على قتلهم وسبيهم لغدرهم (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا) أى

وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت فى قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم رأوا المصلحة فى التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت فى المنافقين فانهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الذى لم يفعلوه على الحقيقة (ولله ملك السموات والارض) فهو يملك امرهم (والله على كل شئ قدير) فيقدر على عقابهم وقيل هورد لقولهم ان الله فقير (ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب) لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوى العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم كما سبق فى سورة البقرة ولعل الاقتصار على الثلاثة فى هذه الآية لان مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجملة انواعه فانه اما ان يكون فى ذات الشئ كتغير الليل والنهار اوجزئه كتغير العناصر بتبدل صورها او الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها وعن النبى صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) اى يذكرونه دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين وعنه عليه الصلوة والسلام من احب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه تصلون على الهيئات الثلاث حسب طاقتهم لقوله عليه الصلوة والسلام لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومى ايماء فهو حجة للشافعى رضى الله عنه فى ان المريض يصلى مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا بمقاديم بدنه (ويتفكرون فى خلق السموات والارض) استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال عليه الصلوة والسلام لاعبادة كالتفكر لانه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه عليه الصلوة والسلام بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفرلى فنظر الله اليه فغفرله وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله (ربنا ماخلقت هذا باطلا) على ارادة القول اى يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه او الخلق على انه اريد به المخلوق من السموات والارض او اليهما لانهما فى معنى المخلوق والمعنى ماخلقته عبثا ضائعا من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها ان يكون مبدأ لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحيوة الابدية والسعادة السرمدية فى جوارك

مايبنغى ان يصدر منه قتل له (الا خطأ) مخطئا فى قتله من غير قصد (ومن قتل مؤمنا خطأ) بان قصد رمى غيره كصيد اوشجرة فاصابه أوضربه بما لايقتل غالبا (فتحرير) عتق (رقبة) نسمة (مؤمنة) عليه (ودية مسلمة) مؤداة (الى أهله) أى ورثة المقتول (الا أن يصدقوا) يتصدقوا عليه بها بان يعفوا عنها وبينت السنة انها مائة من الابل عشرون بنت مخاض وكذا بنات لبون وبنو لبون وحقاق وجذاع وانها على عاقلة القاتل وهم عصبته الا الاصل والفرع موزعة عليهم على ثلاث سنين على الغنى منهم نصف دينار والمتوسط ربع كل سنة فان لم يفوا فمن بيت المال فان تعذر فعلى الجانى) فان كان) المقتول (من قوم عدو) حرب (لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) على قاتله كفارة ولادية تسلم الى أهله لحرابتهم (وان كان) المقتول (من قوم بينكم وبينهم ميثاق) عهد كأهل الذمة (فدية) له (مسلمة

(سبحانك) تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض (فقنا عذاب النار) للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفائدة الفاء هي الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات والارض حملهم على الاستعاذة (ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته) غاية الاخزاء وهو نظير قولهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار بان العذاب الروحاني افظع (وما للظالمين من انصار) اراد بهم المدخلين ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم تسبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة لان النصرة دفع بقهر (ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان) اوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليست في ايقاعه على نفس المسموع وفي تنكير المنادي واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشأنه والمراد به الرسول عليه الصلوة والسلام وقيل القرآن والنداء والدعاء ونحوهما يعدى بالى واللام لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص (ان آمنوا بربكم فآمنا) اي آمنوا او بان آمنوا فامتثلنا (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا) كبائرنا فانها ذات تبعة (وكفر عنا سيئاتنا) صغائرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكبائر (وتوفنا مع الابرار) مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم وفيه تنبيه على انهم يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بر اوبار كارباب واصحاب (ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك) اي ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما اظهر امتثاله لما امر به سأل ما وعد عليه لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا يكون من الموعودين لسوء عاقبة او قصور في الامتثال او تعبدا واستكانة ويجوز ان يتعلق على بمحذوف تقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا عليهم وقيل معناه على السنة رسلك (ولا تخزنا يوم القيمة) بان تعصمنا عما يقتضيه (انك لا تخلف الميعاد) باثابة المؤمن واجابة الداعي وعن ابن عباس رضي الله عنهما الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة في الابتهال والدلالة على استقلال المطالب وعلو شانها وفي الآثار من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف (فاستجاب لهم ربهم) الى طلبتهم وهو اخص من اجاب يعدى بنفسه وباللام (اني لا اضيع عمل عامل منكم) اي باني لا اضيع وقرئ بالكسر على ارادة القول (من ذكر

(او)

الى أهله) وهي ثلث دية المؤمن ان كان يهوديا أو نصرانيا وثلثا عشرها ان كان مجوسيا (وتحرير رقبة مؤمنة) على قاتله (فمن لم يجد) الرقبة بان فقدها وما يحصلها به (فصيام شهرين متتابعين) عليه كفارة ولم يذكر الله تعالى الانتقال الى الطعام كالظهار وبه أخذ الشافعي في اصح قوليه (توبة من الله) مصدر منصوب بفعله المقدر (وكان الله عليما) بخلقه (حكيما) فيما دبره لهم (ومن يقتل مؤمنا متعمدا) بان يقصد قتله بما يقتل غالبا عالما بايمانه (فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه) أبعده من رحمته (وأعد له عذابا عظيما) في النار وهذا مؤول بمن يستحله أو بان هذا جزاؤه ان جوزي ولا بدع في خلف الوعيد لقوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وعن ابن عباس انها على ظاهرها وانها ناسخة لغيرها من آيات المغفرة وبينت آية البقرة ان قاتل العمد يقتل به وان عليه الدية ان عفي عنه وسبق

اواثى) بيان عامل (بعضكم من بعض) لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر اولانهما من اصل واحد اولفرط الاتصال والاتحاد وللاجتماع والاتفاق فى الدين وهى جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روى ان ام سلمة رضى الله عنها قالت يارسول الله انى اسمع الله يذكر الرجال فى الهجرة ولايذكر النساء فنزلت (فالذين هاجروا) الخ تفصيل لاعمال العمال وما اعدلهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا الشرك اوالاوطان والعشائر للدين (واخرجوا من ديارهم واوذوا فى سبيلى) اى بسبب ايمانهم بالله ومن اجله (وقاتلوا) الكفار (وقتلوا) فى الجهاد وقرأ حمزة والكسائى بالعكس لان الواو لاتوجب ترتيبا والثانى افضل اولان المراد لماقتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير (لاكفرن عنهم سيئاتهم) لامحونها (ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عندالله) اى اثيبنهم بذلك اثابة من عندالله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد (والله عنده حسن الثواب) على الطاعات قادر عليه (لايغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد) والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد امته اوتثبيته على ماكان عليه كقوله فلاتطع المكذبين اولكل احد والنهى فى المعنى للمخاطب وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لاتنظر الى ماكان الكفرة عليه من السعة والحظ ولاتغتر بظاهر ماترى من تبسطهم فى مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم روى ان بعض المسلمين كانوا يرون المشركين فى رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله فيمانرى من الخير وقدهلكنا من الجوع والجهد فنزلت (متاع قليل) خبر مبتدأ محذوف اى ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته فى جنب ما اعدالله للمؤمنين قال عليه الصلوة والسلام ماالدنيا فى الآخرة الامثل مايجعل احدكم اصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع (ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) اى مامهدوا لانفسهم (لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عندالله) النزل والنزل مايعد للنازل من طعام وشراب وصلة قال ابوالسعد الضبى وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا * جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيه الظرف وقيل انه مصدر

قدرها وبينت السنة أن بين العمد والخطأ قتلا يسمى شبه العمد وهو أن يقتله بمالايقتل غالبا فلاقصاص فيه بل دية كالعمد فى الصفة والخطأ فى التأجيل والحمل وهو والعمد أولى بالكفارة من الخطأ * ونزل لما مر نفر من الصحابة برجل من بنى سليم وهو يسوق غنما فسلم عليهم فقالوا ماسلم علينا الاتقية فقتلوه واستاقوا غنمه (ياأيها الذين آمنوا اذا ضربتم) سافرتم للجهاد (فى سبيل الله فتبينوا) وفى قراءة بالمثلثة فى الموضعين (ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام) بألف ودونها أى التحية أو الانقياد بقول كلمة الشهادة التى هى أمارة على الاسلام (لست مؤمنا) وانما قلت هذا تقية لنفسك ومالك فتقتلوه (تبتغون) تطلبون بذلك (عرض الحيوة الدنيا) متاعها من الغنيمة (فعندالله مغانم كثيرة) تغنيكم عن قتل مثله لماله (كذلك كنتم من قبل) تعصم دماؤكم وأموالكم بمجرد قولكم الشهادة (فمن الله عليكم) بالاشتهار بالايمان والاستقامة

مؤكدو التقدير انزلوها نزلا (وماعندالله) لكثرته ودوامه (خير للابرار) مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله (وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله) نزلت فى عبدالله بن سلام واصحابه وقيل فى اربعين من نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل فى اصحمة النجاشى لمانعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فصلى عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على علج نصرانى لم يره قط وانما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين ان بالظرف (ومانزل اليكم) من القرآن (ومانزل اليهم) من الكتابين (خاشعين لله) حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعنى (لايشترون بآيات الله ثمنا قليلا) كما يفعله المحرفون من احبارهم (اولئك لهم اجرهم عند ربهم) ماخص بهم من الاجر ووعدوه فى قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين (ان الله سريع الحساب) لعلمه بالاعمال ومايستوجبه من الجزاء واستغنائه عن التأمل والاحتياط والمراد ان الاجر الموعود سريع الوصول فان سرعة الحساب تستدعى سرعة الجزاء (يا أيها الذين آمنوا اصبروا) على مشاق الطاعات ومايصيبكم من الشدائد (وصابروا) وغالبوا اعداء الله بالصبر على شدائد الحرب واعدى عدوكم فى الصبر على مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا اشدته (ورابطوا) ابدانكم وخيولكم فى الثغور مترصدين للغزو وانفسكم على الطاعة كما قال عليه الصلوة والسلام من الرباط انتظار الصلوة بعد الصلوة وعنه عليه السلام من رابط يوما وليلة فى سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لايفطر ولاينفتل عن صلوته الالحاجة (واتقوا الله لعلكم تفلحون) فاتقوا بالتبرىء مماسواه لكى تفلحوا غاية الفلاح اواتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلاثة المترتبة التى هى الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس فى رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران اعطى بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه عليه الصلوة والسلام من قرأ السورة التى يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس

(فتبينوا) أن تقتلوا مؤمنا وافعلوا بالداخل فى الاسلام كما فعل بكم (ان الله كان بما تعملون خبيرا) فيجازيكم به (لايستوى القاعدون من المؤمنين) عن الجهاد (غير أولى الضرر) بالرفع صفة والنصب استثناء من زمانة أوعمى أونحوه (والمجاهدون فى سبيل الله باموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين) لغير ضرر (درجة) فضيلة لاستوائهما فى النية وزيادة المجاهدين بالمباشرة (وكلا) من الفريقين (وعد الله الحسنى) الجنة (وفضل الله المجاهدين على القاعدين) لغير ضرر (أجرا عظيما) ويبدل منه (درجات منه) منازل بعضها فوق بعض من الكرامة (ومغفرة ورحمة) منصوبان بفعلهما المقدر (وكان الله غفورا) لاوليائه (رحيما) باهل طاعته* ونزل فى جماعة أسلموا ولم يهاجروا فقتلوا يوم بدر مع الكفار (ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم) بالمقام مع الكفار وترك الهجرة (قالوا)

﴿ سورة النساء مدنية وآيها مائة وسبعون وخمس آيات ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(ياايها الناس) خطاب يعم بنى آدم (اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة) هى آدم (وخلق منها زوجها) عطف على خلقكم اى خلقكم من شخص واحد وخلق منها امكم حواء من ضلع من اضلاعها او محذوف تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقدير لخلقهم من نفس واحدة (وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) بيان لكيفية تولدهم منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة تقتضى ان يكن اكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع وترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التى من حقها ان يخشى والنعمة الباهرة التى توجب طاعة موليها اولان المراد به تمهيد الامر بالتقوى فيما يتصل بحقوق اهل منزله وبنى جنسه على مادلت عليه الآيات التى بعدها وقرئ وخالق وباث على حذف مبتدأ تقديره وهو خالق وباث (واتقوا الله الذى تساءلون به) اى يسأل بعضكم بعضا فيقول اسألك بالله واصله تتساءلون فادغمت التاء الثانية فى السين وقرأ عاصم وحمزة والكسائى بطرحها (والارحام) بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا اوعلى الله اى اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها وقرأ حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف لانه كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اى مما يتقى او يتساءل به وقد نبه سبحانه وتعالى اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها بمكان منه وعنه عليه الصلوة والسلام الرحم معلقة بالعرش تقول الامن وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله (ان الله كان عليكم رقيبا) حافظا مطلعا (واتوا اليتامى اموالهم) اى اذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذى مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة اما على انه لما جرى مجرى الاسماء كفارس وصاحب جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى او على انه جمع يتمى كاسرى لانه من باب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى كاسرى واسارى والاشتقاق يقتضى وقوعه على الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ وروده فى الآية اما للبلغ على الاصل

لهم موبخين (فيم كنتم) أى فى أى شئ كنتم فى أمر دينكم (قالوا) معتذرين (كنا مستضعفين) عاجزين عن اقامة الدين (فى الارض) أرض مكة (قالوا) لهم توبيخا (ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها) من أرض الكفر الى بلد آخر كما فعل غيركم قال تعالى (فاولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا) هى (الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان) الذين (لا يستطيعون حيلة) لاقوة لهم على الهجرة ولا نفقة (ولا يهتدون سبيلا) طريقا الى ارض الهجرة (فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما) مهاجرا (كثيرا وسعة) فى الرزق (ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت) فى الطريق كما وقع لجندع بن ضمرة الليثى (فقد وقع) ثبت (أجره على الله وكان الله غفورا رحيما واذا ضربتم) سافرتم (فى الارض

او الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على ان يدفع اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم ان اونس منهم الرشد ولذلك امر بابتلائهم صغارا اولغير البلغ والحكم مقيدوكأنه قال وآتوهم اذا بلغوا ويؤيد الاول ماروى ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله نعوذ بالله من الحوب الكبير (ولاتتبدلوا الخبيث بالطيب) ولاتستبدلوا الحرام من اموالهم بالحلال من اموالكم اوالامر الخبيث وهو اختزال اموالهم بالامر الطيب الذى هو حفظها وقيل ولاتأخذوا الرفيع من اموالهم وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل (ولاتأكلوا اموالهم الى اموالكم) ولاتأكلوها مضمومة الى اموالكم اى لاتنفقوهما معاولاتسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وهو فيما زاد على قدر اجره لقوله تعالى فليأكل بالمعروف (انه) الضمير للاكل (كان حوبا كبيرا) ذنباعظيماوقرئ حوبا وهومصدر حاب حوباوحابا كقال قولا وقالا (وان خفتم ان لاتقسطوا فى اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء) اى ان خفتم ان لاتعدلوا فى يتامى النساء اذا تزوجتم بهن فتزوجوا ماطاب لكم من غيرهن اذا كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنابها فربما يجتمع عنده منهن عدد لايقدر على القيام بحقوقهن او ان خفتم ان لاتعدلوا حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ان لاتعدلوا بين النساء فانكحوا مقدارا يمكنكم الوفاء بحقه لان المتحرج من الذنب ينبغى ان يتحرج من الذنوب كلها على ماروى انه تعالى لما عظم امر اليتامى تحرجوا من ولايتهم وماكانوا يتحرجون من تكثير النساء واضاعتهن فنزلت وقيل كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولايتحرجون من الزنى فقيل لهم ان خفتم ان لاتعدلوا فى امر اليتامى فخافوا الزنى فانكحوا ماحل لكم وانما عبر عنهن بماذهابا الى الصفة اواجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره اوماملكت ايمانكم وقرئ تقسطوا بفتح التاء على ان لامزيدة اى وان خفتم ان تجوروا (مثنى وثلاث ورباع) معدولة عن اعداد مكررة هى ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا وهى غير منصرفة للعدل والصفة فانها بنيت صفات وان كانت اصولها لم تبن لها وقيل لتكرير العدل فانها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها الاذن لكل ناكح يريد

فليس عليكم جناح) فى (أن تقصروا من الصلوة) بأن تردوها من أربع الى اثنتين (ان خفتم أن يفتنكم) أى ينالكم بمكروه (الذين كفروا) بيان للواقع اذ ذاك فلا مفهوم له وبينت السنة أن المراد بالسفر الطويل وهو أربعة برد وهى مرحلتان ويؤخذ من قوله فليس عليكم جناح أنه رخصة لاواجب وعليه الشافعى (ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) بين العداوة (واذا كنت) يامحمد حاضرا (فيهم) وأنتم تخافون العدو (فاقمت لهم الصلوة) وهذا جرى على عادة القرآن فى الخطاب فلا مفهوم له (فلتقم طائفة منهم معك) وتتأخر طائفة (وليأخذوا) أى الطائفة التى قامت معك (أسلحتهم) معهم (فاذا سجدوا) أى صلوا (فليكونوا) أى الطائفة الاخرى (من ورائكم) يحرسون الى أن تقضوا الصلوة وتذهب هذه الطائفة تحرس (ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا

الجمع ان ينكح ماشاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة ولو افردت كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت باو لذهب تجويز الاختلاف فى العدد (فان خفتم الا تعدلوا) بين هذه الاعداد ايضا (فواحدة) فاختاروا او فانكحوا واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع على انه فاعل محذوف او خبره تقديره فيكفيكم واحدة او فالمقنع واحدة (او ما ملكت ايمانكم) سوى بين الواحدة من الازواج والعدد من السرارى لخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم بينهن (ذلك) اى التقليل منهن اواختيار الواحدة اوالتسرى (ادنى الا تعولوا) اقرب من ان لا تميلوا يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار وعول الفريضة الميل عن حد السهام المسماة وفسر بان لا تكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال الازواج وان اريد الاولاد فلان التسرى مظنة قلة الولد بالاضافة الى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع (وآتوا النساء صدقاتهن) مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة فى ظلامة (نحلة) اى عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا اعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظر الى مفهوم الآية لا الى موضوع اللفظ ونصبها على المصدر لانها فى معنى الايتاء او الحال من الواو اوالصدقات اى آتوهن صدقاتهن ناحلين او منحولة وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلا منه عليهن فتكون حالا من الصدقات وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان كذا اذا دان به على انه مفعول له او حال من الصدقات اى دينا من الله تعالى شرعه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهور مولياتهم (فان طبن لكم عن شئ منه نفسا) الضمير للصداق حملا على المعنى او يجرى مجرى اسم الاشارة كقول رؤبة فى قوله * كأنه فى الجلد توليع البهق * اذ سئل فقال اردت كأن ذاك وقيل للايتاء ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد والمعنى فان وهبن لكم من الصدقات عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب النفس

فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم) معهم الى ان تقضوا الصلوة وقد فعل صلى الله عليه وسلم كذلك ببطن نخل رواه الشيخان (ود الذين كفروا لو تغفلون) اذا قمتم الى الصلوة (عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) بان يحملوا عليكم فيأخذوكم وهذا علة الامر بأخذ السلاح (ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر اوكنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم) فلا تحملوها وهذا يفيد ايجاب حملها عند عدم العذر وهو احد قولين للشافعى والثانى انه سنة ورجح (وخذوا حذركم) من العدو اى احترزوا منه ما استطعتم (ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا) ذا اهانة (فاذا قضيتم الصلوة) فرغتم منها (فاذكروا الله) بالتهليل والتسبيح (قياما وقعودا وعلى جنوبكم) مضطجعين اى فى كل حال (فاذا اطمأننتم) امنتم (فاقيموا الصلوة) ادوها بحقوقها (ان الصلوة كانت

للمبالغة وعداه بعن لتضمين معنى التجافى والتجاوز وقال منه بعثا لهن على تقليل الموهوب (فكلوه هنيئا مريئا) فخذوه وانفقوه حلالا بلاتبعة والهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا ساغ من غير غص اقيمتا مقام مصدريهما اووصف بهما المصدر اوجعلتا حالا من الضمير وقيل الهنيء مايلذه الانسان والمريء ما يحمد عاقبته روى ان ناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت (ولا تؤتوا السفهاء اموالكم) نهى للاولياء عن ان يؤتوا الذين لارشد لهم اموالهم فيضيعوها وانما اضاف الاموال الى الاولياء لانها فى تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم للآيات المتقدمة والمتأخرة وقيل نهى لكل احد ان يعمد الى ماخوله الله تعالى من المال فيعطى امرأته واولاده ثم ينظر الى ايديهم وانما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم واستهجانا لجعلهم قواما على انفسهم وهو اوفق لقوله (التى جعل الله لكم قياما) اى تقومون بها وتنتعشون وعلى الاول يأول بانها التى من جنس ماجعل الله لكم قياما سمى مابه القيام قياما للمبالغة وقرىء قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقواما وهو مايقام به (وارزقوهم فيها واكسوهم) واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ماتحتاجون اليه (وقولوا لهم قولا معروفا) عدة جميلة تطيب بها نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع او العقل بالحسن والمنكر ماانكره احدهما لقبحه (وابتلوا اليتامى) اختبروهم قبل البلوغ بتتبع احوالهم فى صلاح الدين والتهدى الى ضبط المال وحسن التصرف بان يكل اليه مقدمات العقد وعند ابى حنيفة بان يدفع اليه مايتصرف فيه (حتى اذا بلغوا النكاح) حتى اذا بلغوا حد البلوغ بان يحتلم او يستكمل خمس عشرة سنة عندنا لقوله عليه الصلوة والسلام اذا استكمل المولود خمس عشرة سنة كتب ماله وماعليه واقيمت عليه الحدود وثمانى عشرة عند ابى حنيفة وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده (فان آنستم منهم رشدا) فان ابصرتم منهم رشدا وقرىء احستم بمعنى احسستم (فادفعوا اليهم اموالهم) من غير تأخير عن حد البلوغ ونظم الآية ان ان الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء فكأنه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وهو دليل على انه لايدفع اليهم مالم يونس منهم الرشد وقال ابو حنيفة

على المؤمنين كتابا) مكتوبا اى مفروضا (موقوتا) اى مقدرا وقتها فلا تؤخر عنه * ونزل لما بعث صلى الله عليه وسلم طائفة فى طلب ابى سفيان واصحابه لما رجعوا من احد فشكوا الجراحات (ولا تهنوا) تضعفوا (فى ابتغاء) طلب (القوم) الكفار لتقاتلوهم (ان تكونوا تألمون) تجدون الم الجراح (فانهم يألمون كما تألمون) اى مثلكم ولا يجبنوا عن قتالكم (وترجون) انتم (من الله) من النصر والثواب عليه (مالا يرجون) هم فانتم تزيدون عليهم بذلك فينبغى ان تكونوا ارغب منهم فيه (وكان الله عليما) بكل شىء (حكيما) فى صنعه * وسرق طعمة بن ابيرق درعا وخباها عنديهودى فوجدت عنده فرماه طعمة بها وحلف انه ماسرقها فسأل قومه النبى صلى الله عليه وسلم انه يجادل عنه ويبرئه فنزل (انا انزلنا اليك الكتاب) القرآن (بالحق) متعلق بانزل (لتحكم بين الناس بما اراك) اعلمك (الله) فيه (ولا تكن للخائنين) كطعمة (خصيما)

اذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهى مدة معتبرة فى تغير الاحوال اذالطفل يميز بعدها ويؤمر بالعبادة دفع اليه المال وان لم يونس منه الرشد (ولاتأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا) مسرفين ومبادرين كبرهم اولاسرافكم ومبادرتكم كبرهم (ومن كان غنيا فليستعفف) من اكلها (ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف) بقدر حاجته واجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف مشعر بان الولى له حق فى مال الصبى وعنه عليه الصلوة والسلام ان رجلا قال له ان فى حجرى يتيما افآكل من ماله قال كل بالمعروف غير متأثل مالا ولاواق مالك بماله وايراد هذا التقسيم بعد قوله ولاتأكلوها يدل على انه نهى للاولياء ان يأخذوا وينفقوا على انفسهم اموال اليتامى (فاذادفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم) بانهم قبضوهافانه انفى للتهمة وابعد من الخصومة ووجوب الضمان وظاهره يدل على ان القيم لايصدق فى دعواه الابالبينة وهو المختار عندنا وهو مذهب مالك خلافالابى حنيفة (وكفى بالله حسيبا) محاسبا فلاتخالفوا ما امرتم به ولاتتجاوزوا ماحد لكم (للرجال نصيب مماترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مماترك الوالدان والاقربون) يريد بهم المتوارثين بالقرابة (مماقل منه اوكثر) بدل مماترك باعادة العامل (نصيبامفروضا) نصب على انه مصدر مؤكد كقوله تعالى فريضة من الله اوحال اذالمعنى ثبت لهم مفروضا نصيب اوعلى الاختصاص بمعنى اعنى نصيبامقطوعا واجبالهم وفيه دليل على ان الوارث لواعرض عن نصيبه لم يسقط حقه روى ان اوس بن صامت الانصارى خلف زوجته ام كحة وثلاث بنات فزوى ابناعمه سويد وعرفطة اوقتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم ماكانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انمايرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعى حتى انظر مايحدث الله فنزلت فبعث اليهما لاتفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقى ابنى العم وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب (واذاحضر القسمة اولوا القربى) ممن لايرث (واليتامى والمساكين فارزقوهم منه) فاعطوهم شيئا من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو امر ندب للبلغ من الورثة وقيل امر وجوب ثم اختلف فى نسخه والضمير لماترك اومادل

مخاصما عنهم (واستغفر الله) مما هممت به (ان الله كان غفورا رحيما ولاتجادل عن الذين يختانون أنفسهم) يخونونها بالمعاصى لان وبال خيانتهم عليهم (ان الله لايحب من كان خوانا) كثير الخيانة (اثيما) اى يعاقبه (يستخفون) اى طعمة وقومه حياء (من الناس ولايستخفون من الله وهو معهم) بعلمه (اذيبيتون) يضمرون (مالايرضى من القول) من عزمهم على الحلف على نفى السرقة ورمى اليهودى بها (وكان الله بمايعملون محيطا) علما (هاانتم) يا (هؤلاء) خطاب لقوم طعمة (جادلتم) خاصمتم (عنهم) اى عن طعمة وذويه وقرىء عنه (فى الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة) اذا عذبهم (ام من يكون عليهم وكيلا) يتولى امرهم ويذب عنهم اى لااحد يفعل ذلك (ومن يعمل سوأ) ذنبا يسؤبه غيره كرمى طعمة اليهودى (او يظلم نفسه) بعمل ذنب قاصر عليه (ثم يستغفر الله) منه اى يتب (يجد الله غفورا)

عليه القسمة (وقولوا لهم قولا معروفا) وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا مااعطوهم ولايمنوا عليهم (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم) امر للاوصياء بان يخشوا الله تعالى ويتقوه فى امر اليتامى فيفعلوا بهم مايحبون ان يفعل بذراريهم الصغار بعد وفاتهم اوللحاضرين المريض عند الايصاء بان يخشوا ربهم اويخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلايتركوه ان يضربهم بصرف المال عنهم اوللورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لوكانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم اوللموصين بان ينظروا للورثة فلايسرفوا فى الوصية ولو بما فى حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع وفى ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره مايحب لاولاده وتهديد للمخالفة بحال اولاده (فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا) امرهم بالتقوى التى هى غاية الخشية بعد ماامرهم بها مراعاة للمبدأ والمنتهى اذلاينفع الاول دون الثانى ثم امرهم ان يقولوا لليتامى مثل مايقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب اوللمريض مايصده عن الاسراف فى الوصية وتضييع الورثة وتذكره التوبة وكلمة الشهادة اولحاضرى القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا اوان يقولوا فى الوصية مالايؤدى الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة (ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما) ظالمين اوعلى وجه الظلم (انما يأكلون فى بطونهم) ملأ بطونهم (نارا) مايجر الى النار ويؤول اليها وعن ابى بردة رضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال يبعث الله قوما من قبورهم تتأجج افواههم نارا فقيل من هم فقال الم تر ان الله يقول ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا (وسيصلون سعيرا) سيدخلون نارا واى نار وقرأ ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم الياء مخففا وقرئ به مشددا يقال صلى النار قاسى حرها وصليته شويته وصليته القيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها (يوصيكم الله) يأمركم ويعهد اليكم (فى اولادكم) فى شأن ميراثهم وهو اجمال تفصيله (للذكر مثل حظ الانثيين) اى يعد كل ذكر بانثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص

(الذكر)

له (رحيما) به (ومن يكسب اثما) ذنبا (فانما يكسبه على نفسه) لان وباله عليها ولايضر غيره (وكان الله عليما حكيما) فى صنعه (ومن يكسب خطيئة) ذنبا صغيرا (أو اثما) ذنبا كبيرا (ثم يرم به بريئا) منه (فقد احتمل) تحمل (بهتانا) برميه (واثما مبينا) بينا بكسبه (ولولا فضل الله عليك) يا محمد (ورحمته) بالعصمة (لهمت) اضمرت (طائفة منهم) من قوم طعمة (ان يضلوك) عن القضاء بالحق بتلبيسهم عليك (ومايضلون الا انفسهم ومايضرونك من) زائدة (شيء) لان وبال اضلالهم عليهم (وانزل الله عليك الكتاب) القرآن (والحكمة) مافيه من الاحكام (وعلمك مالم تكن تعلم) من الاحكام والغيب (وكان فضل الله عليك) بذلك وغيره (عظيما لاخير فى كثير من نجواهم) أى الناس أى مايتناجون فيه ويتحدثون (الا) نجوى (من أمر بصدقة أومعروف) عمل بر (اواصلاح بين

الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد الى بيان فضله والتنبيه على ان التضعيف كان للتفضيل فلايحرمن بالكلية فقداشتركا فى الجهة والمعنى للذكر منهم فحذف للعلم به (فان كن نساء) اى ان كان الاولاد نساء خلصا ليس معهن ذكر فانث الضمير باعتبار الخبر اوعلى تأويل المولودات (فوق اثنتين) خبر ثان اوصفة للنساء اى نساء زائدات على اثنتين (فلهن ثلثا ما ترك) المتوفى منكم ويدل عليه المعنى (وان كانت واحدة فلها النصف) اى وان كانت المولودة واحدة وقرأ نافع بالرفع على كان التامة واختلف فى البنتين فقال ابن عباس رضى الله عنهما حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لمافوقهما وقال الباقون حكمهما حكم مافوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين ان كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها فبالحرى ان تستحقه مع اخت مثلها وان البنتين امس رحما من الاختين وقد فرض لهما الثلثين بقوله فلهما الثلثان مما ترك (ولابويه) ولابوى الميت (لكل واحد منهما) بدل منه بتكرير العامل وفائدته التنصيص على استحقاق كل منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال تأكيدا (السدس مما ترك ان كان له) اى للميت (ولد) ذكر او انثى غير ان الاب يأخذ السدس مع الانثى بالفرضية ومابقى من ذوى الفروض ايضا بالعصوبة (فان لم يكن له ولد وورثه ابواه) فحسب (فلامه الثلث) مما ترك وانما لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث ابواه فقط وعين نصيب الام علم ان الباقى للاب وكأنه قال فلهما ماترك اثلاثا وعلى هذا ينبغى ان يكون لها حيث معهما احد الزوجين ثلث مابقى من فرضه كما قاله الجمهور لاثلث المال كما قاله ابن عباس فانه يفضى الى تفضيل الانثى على الذكر المساوى لها فى الجهة والقرب وهو خلاف وضع الشرع (فان كان له اخوة فلامه السدس) باطلاقه يدل على ان الاخوة يردونها من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انهم يأخذون السدس الذى حجبوا عنه الام والجمهور على ان المراد بالاخوة عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كان من الاخوة او الاخوات وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لا يحجب الام من الثلث مادون الثلاثة ولا الاخوات الخلص اخذا بالظاهر وقرأ حمزة والكسائى فلامه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التى قبلها (من بعد وصية

الناس ومن يفعل ذلك) المذكور (ابتغاء) طلب (مرضاة الله) لاغيره من أمور الدنيا (فسوف نؤتيه) بالنون والياء أى الله (اجرا عظيما ومن يشاقق) يخالف (الرسول) فيما جاء به من الحق (من بعد ماتبين له الهدى) ظهر له الحق بالمعجزات (ويتبع) طريقا (غير سبيل المؤمنين) أى طريقهم الذى هم عليه من الدين بان يكفر (نوله ماتولى) نجعله واليا لما تولاه من الضلال بان نخلى بينه وبينه فى الدنيا (ونصله) ندخله فى الآخرة (جهنم) فيحترق فيها (وساءت مصيرا) مرجعا هى (ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) عن الحق (ان) ما (يدعون) يعبد المشركون (من دونه) أى الله أى غيره (الا اناثا) أصناما مؤنثة كاللات والعزى ومناة (وان) ما (يدعون) يعبدون بعبادتها (الا شيطانا مريدا) خارجا

يوصى بها او دين) متلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها اى هذه الانصباء للورثة من بعد ماكان من وصية او دين وانما قال باو التى للاباحة دون الواو للدلالة على انهما متساويان فى الوجوب متقدمان فى القسمة مجموعين ومنفردين وقدم الوصية على الدين وهى متأخرة فى الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على الندور وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر بفتح الصاد (آباؤكم وابناؤكم لاتدرون ايهم اقرب لكم نفعا) اى لاتعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم فى عاجلكم وآجلكم فتحروا فيهم ماوصاكم الله به ولاتعمدوا الى تفضيل بعض وحرمانه روى ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الآخر فى الجنة سأل ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته او من مورثيكم منهم او من اوصى منهم فعرضكم للثواب بامضاء وصيته ام من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض مؤكد لامر القسمة او تنفيذ الوصية (فريضة من الله) مصدر مؤكد او مصدر يوصيكم الله لانه فى معنى يأمركم ويفرض عليكم (ان الله كان عليما) بالمصالح والرتب (حكيما) فيما قضى وقدر (ولكم نصف ماترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن) اى ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها او بنى بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم (من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين) فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما للمرأة كما فى النسب وهكذا قياس كل رجل وامرأة اشتركا فى الجهة والقرب ولا يستثنى منه الاولاد الام والمعتق والمعتقة وتستوى الواحدة والعدد منهن فى الربع والثمن (وان كان رجل) اى الميت (يورث) اى يورث من ورث صفة رجل (كلالة) خبر كان او يورث خبره وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز ان يكون الرجل الوارث ويورث من اورث وكلالة من ليس بوالد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت وكلالة تحتمل المعانى الثلاثة وعلى الاول خبر او حال وعلى الثانى مفعول له وعلى الثالث مفعول به وهى فى الاصل مصدر بمعنى الكلال قال الاعشى

فآليت لاارثى لها من كلالة * ولا من حفى حتى الاقى محمدا

عن الطاعة لطاعتهم له فيها وهو ابليس (لعنه الله) أبعده عن رحمته (وقال) اى الشيطان (لأتخذن) لاجعلن لى (من عبادك نصيبا) حظا (مفروضا) مقطوعا أدعوهم الى طاعتى (ولاضلنهم) عن الحق بالوسوسة (ولأمنينهم) ألقى فى قلوبهم طول الحيوة وان لابعث ولاحساب (ولآمرنهم فليبتكن) يقطعن (آذان الانعام) وقد فعل ذلك بالبحائر (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) دينه بالكفر واحلال ماحرم وتحريم ماأحل (ومن يتخذ الشيطان وليا) يتولاه ويطيعه (من دون الله) أى غيره (فقد خسر خسرانا مبينا) بينا لمصيره الى النار المؤبدة عليه (يعدهم) طول العمر (ويمنيهم) نيل الآمال فى الدنيا وأن لابعث ولاجزاء (ومايعدهم الشيطان) بذلك (الاغرورا) باطلا (أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا) معدلا (والذين آمنوا وعملوا

فاستعيرت لقرابة ليست بالبعضية لانها كالة بالاضافة اليهـا ثم وصف بهـا المورث والوارث بمعنى ذى كلالة كقولك فلان من قرابتى ﴿اوامرأة﴾ عطف على رجل ﴿وله﴾ اى وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركهما فيه ﴿اخ اواخت﴾ اى من الام ويدل عليه قراءة ابى وسعد بن مالك وله اخ اواخت من الام فانه ذكر فى آخر السورة ان للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو لايليق باولاد الام وان ماقدر ههنا فرض الام فيناسب ان يكون لاولادها ﴿فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث﴾ سوى بين الذكر والانثى فى القسمة لان الادلاء بمحض الانوثة ومفهوم الآية انهم لايرثون ذلك مع الام والجدة كمالايرثون مع البنت وبنت الابن فخص فيه بالاجماع ﴿من بعد وصية يوصى بهـا اودين غير مضار﴾ اى غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث اوقصد المضـارة بالوصيـة دون القرابة والاقرار بدين لايلزمه وهو حال من فاعل يوصى المذكور فى هذه القراءة والمدلول عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول فى قراءة ابن كثير وابن عامر وابن عياش عن عاصم ﴿وصية من الله﴾ مصدر مؤكد اومنصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده ان قرئ غير مضار وصية بالاضافة اى لايضار وصية من الله وهو الثلث فمـادونه بالزيادة اووصية منـه بالاولاد بالاسراف فى الوصية والاقرار الكاذب ﴿والله عليم﴾ بالمضار وغيره ﴿حليم﴾ لايعاجل بعقوبته ﴿تلك﴾ اشارة الى الاحكام التى قدمت فى امر اليتامى والوصـايا والمواريث ﴿حدود الله﴾ شرائعه التى هى كالحدود المحدودة التى لايجوز مجاوزتهـا ﴿ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين﴾ توحيـد الضمير فى يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا وكذلك خالدا وليستا صفتين لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير لانهما جريا على غير من هماله ﴿واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم﴾ اى يفعلنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها اذا فعلهـا والفاحشـة الزنى لزيادة قبحها وشناعتها ﴿فاستشهدوا عليهن اربعة منكم﴾ فاطلبوا ممن قذفهن اربعة من رجال المؤمنين ليشهدوا عليهن ﴿فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت﴾ فاحبسوهن

الصالحـات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا) أى وعدهم الله ذلك وحقه حقا (ومن) أى لاأحد (أصدق من الله قيـلا) أى قولا ونزل لمـا افتخر المسلمون وأهل الكتـاب (ليس) الامر منوطا (بامانيكم ولا أمانى أهل الكتاب) بل بالعمل الصالح (من يعمل سـوأ يجزبه) اما فى الآخرة أو فى الدنيـا بالبلاء والمحن كما ورد فى الحديث (ولا يجد له من دون الله) أى غـيره (وليا) يحفظه (ولا نصيرا) يمنعه منه (ومن يعمل) شيئا (من الصـالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخـلون) بالبناء للمفعول والفاعل (الجنة ولا يظلمون نقيرا) قـدر نقرة النواة (ومن) أى لاأحد (أحسن دينا ممن أسلم وجهه) أى انقاد وأخلص عمـله (لله وهو محسن) موحد (واتبع ملة ابراهيم) الموافقـة لملة الاسلام (حنيفا) حال أى مائلا عن الاديان كلهـا الى الدين القيم (واتخـذ الله

في البيوت واجعلوها سجنا عليهن (حتى يتوفاهن الموت) يستوفي ارواحهن الموت او يتوفاهن ملائكة الموت قيل كان ذلك عقوبتهن في اوائل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون المراد التوصية بامساكهن بعد ان يجلدن كيلا يجري عليهن ماجرى بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله تعالى الزانية والزاني (او يجعل الله لهن سبيلا) كتعيين الحد المخلص عن الحبس او النكاح المغني عن السفاح (واللذان يأتيانها منكم) يعني الزانية والزاني وقرأ ابن كثير واللذان بتشديد النون وتمكين مد الالف والباقون بالتخفيف من غير تمكين (فآذوهما) بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعيير والجلد (فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما) فاقطعوا عنهما الايذاء او اعرضوا عنهما بالاغماض والستر (ان الله كان توابا رحيما) علة الامر بالاعراض وترك المذمة قيل هذه الآية سابقة على الاولى نزولا وكان عقوبة الزنا الاذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين والزانية والزاني في الزناة (انما التوبة على الله) اى ان قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل توبته (للذين يعملون السوء بجهالة) ملتبسين بها سفها فان ارتكاب الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته (ثم يتوبون من قريب) من زمان قريب اى قبل حضور الموت لقوله تعالى حتى اذا حضر احدهم الموت وقوله عليه الصلوة والسلام ان الله يقبل توبة عبده مالم يغرغر وسماه قريبا لان امد الحيوة قريب لقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل او قبل ان يشرب في قلوبهم حبه فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض اى يتوبون في اى جزء من الزمان القريب الذي هو ماقبل ان ينزل بهم سلطان الموت وتزين السوء (فاولئك يتوب الله عليهم) وعد بالوفاء بماوعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله (وكان الله عليما) فهو يعلم باخلاصهم في التوبة (حكيما) والحكيم لايعاقب التائب (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار) سوى بين من سوف التوبة الى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر في نفي التوبة للمبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة وكانه قال وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين وبالذين يعملون السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين يموتون

(الكفار)

ابراهيم خليلا) صفيا خالص المحبة له (ولله ما في السموات وما في الارض) ملكا وخلقا وعبيدا (وكان الله بكل شيء محيطا) علما وقدرة أي لم يزل متصفا بذلك (ويستفتونك) يطلبون منك الفتوى (في) شان (النساء) وميراثهن (قل) لهم (الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب) القرآن من آية الميراث يفتيكم أيضا (في يتامى النساء اللاتي لاتؤتونهن ما كتب) فرض (لهن) من الميراث (وترغبون) أيها الاولياء عن (ان تنكحوهن) لدمامتهن وتعضلوهن أن يتزوجن طمعا في ميراثهن يفتيكم أن لاتفعلوا ذلك (و) في (المستضعفين) الصغار (من الولدان) أن تعطوهم حقوقهم (و) يأمركم (أن تقوموا لليتامى بالقسط) بالعدل في الميراث والمهر (وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما) فيجازيكم به (وان امرأة) مرفوع بفعل يفسره (خافت) توقعت (من بعلها) زوجها

الكفار (اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما) تأكيد لعدم قبول توبتهم وبيان ان العذاب اعدهلهم ولايعجزه عذابهم متى شاء والاعتاد التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل اصله اعددنا فابدلت الدال الاولى تاء (يا أيها الذين آمنوا لايحل لكم ان ترثوا النساء كرها) كان الرجل اذا مات وله عصبة القى ثوبه على امرأته وقال انا احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها وان شاء عضلها لتفتدى بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لايحل لكم ان تأخذوهن على سبيل الارث فتزوجوهن كارهات لذلك اومكرهات عليه وقرأ حمزة والكسائى كرها بالضم فى مواضعه وهما لغتان وقيل بالضم المشقة و بالفتح مايكره عليه (ولاتعضلوهن لتذهبوا ببعض ماآتيتموهن) عطف على ان ترثوا ولالتأكيد النفى اى ولاتمنعوهن من التزوج واصل العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب مع الازواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن او يختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل (الا ان يأتين بفاحشة مبينة) كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف والاستثناء من اعم عام الظرف او المفعول له وتقديره لاتعضلوهن للافتداء الا وقت ان يأتين بفاحشة اولا تعضلوهن لعلة الا ان يأتين بفاحشة وقرأ ابن كثير وابو بكر مبينة هنا وفى الاحزاب والطلاق بفتح الياء والباقون بكسرها فيهن (وعاشروهن بالمعروف) بالانصاف فى الفعل والاجمال فى القول (فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) اى فلاتفارقوهن لكراهة النفس فانها قدتكره ماهو اصلح دينا واكثر خيرا وقدتحب ماهو بخلافه وليكن نظركم الى ماهو اصلح للدين وادنى الى الخير وعسى فى الاصل علة الجزاء فاقيم مقامه والمعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم (وان اردتم استبدال زوج مكان زوج) تطليق امرأة وتزوج اخرى (وآتيتم احديهن) اى احدى الزوجات جمع الضمير لانه اراد بالزوج الجنس (قنطارا) مالا كثيرا (فلاتأخذوا منه شيئا) اى من القنطار (اتأخذونه بهتانا واثما مبينا) استفهام انكار وتوبيخ اى اتأخذونه باهتين وآثمين ويحتمل النصب على العلة كما فى قولك قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب بهتانهم واقترافهم المآثم قيل كان الرجل منهم اذا اراد امرأة جديدة بهت التى تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء

(نشوزا) ترفعا عليها بترك مضاجعتها و التقصير فى نفقتها لبغضها وطموح عينه الى أجمل منها (اواعراضا) عنها بوجهه (فلاجناح عليهما أن يصالحا) فيه ادغام التاء فى الاصل فى الصاد وفى قراءة يصلحا من أصلح (بينهما صلحا) فى القسم والنفقة بان تترك له شيئا طلبا لبقاء الصحبة فان رضيت بذلك والافعلى الزوج أن يوفيها حقها أو يفارقها (والصلح خير) من الفرقة والنشوز والاعراض قال تعالى فى بيان ماجبل عليه الانسان (وأحضرت الانفس الشح) شدة البخل أى جبلت عليه فكأنها حاضرته لاتغيب عنه المعنى ان المرأة لاتكاد تسمح بنصيبها زوجها والرجل لايكاد يسمح عليها بنفسه اذا أحب غيرها (وان تحسنوا) عشرة النساء (وتتقوا) الجور عليهن (فان الله كان بماتعملون خبيرا) فيجازيكم به (ولن تستطيعوا أن تعدلوا) تسووا (بين النساء) فى المحبة (ولو حرصتم) على ذلك (فلاتميلوا كل الميل)

منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذى يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل فى الفعل الباطل ولذلك فسر ههنا بالظلم (وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض) انكار لاسترداد المهر والحال انه وصل اليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر (واخذن منكم ميثاقا غليظا) عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة او ما اوثق الله عليهم فى شأنهن بقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار اليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم) ولا تنكحوا التى نكحها آباؤكم وانما ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر (من النساء) بيان ما نكح على الوجهين (الا ما قد سلف) استثناء من المعنى اللازم للنهى فكأنه قيل تستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم الا ما قد سلف او من اللفظ للمبالغة فى التحريم والتعميم كقوله * ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب * والمعنى ولا تنكحوا حلائل آبائكم الا ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوهن وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ما قد سلف فانه لا مؤاخذة عليه لانه مقرر (انه كان فاحشة ومقتا) علة للنهى اى ان نكاحهن كان فاحشة عند الله ما رخص فيه لامة من الامم ممقوتا عند ذوى المروآت ولذلك سمى ولد الرجل من زوجة ابيه المقتى (وساء سبيلا) سبيل من يراه ويفعل (حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت) ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن لانه معظم ما تقصد منهن ولانه المتبادر الى الفهم كتحريم الاكل من قوله حرمت عليكم الميتة ولان ما قبله وما بعده فى النكاح وامهاتكم تعم من ولدتك او ولدت من ولدك وان علت وبناتكم تتناول من ولدتها او ولدت من ولدها وان سفلت واخواتكم الاخوات من الاوجه الثلاثة وكذلك الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد ذكرا ولدك والخالة كل انثى ولدها من ولد انثى ولدتك قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت تتناول القربى والبعدى (وامهاتكم اللاتى ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة) نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المراضعة اما والمراضعة اختا وامرها على قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل الذى در عليه اللبن قال عليه الصلاة والسلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب واستثناء اخت ابن الرجل وام اخته

الى التى تحبونها فى القسم والنفقة (فتذروها) أى تتركوا المال عنها (كالمعلقة) التى لا هى أيم ولا ذات بعل فى القسم (وان تصلحوا) بالعدل بالقسم (وتتقوا) الجور (فان الله كان غفورا) لما فى قلوبكم من الميل (رحيما) بكم فى ذلك (وان يتفرقا) أى الزوجان بالطلاق (يغن الله كلا) عن صاحبه (من سعته) أى فضله بأن يرزقها زوجا غيره ويرزقه غيرها (وكان الله واسعا) لخلقه فى الفضل (حكيما) فيما دبره لهم (ولله ما فى السموات وما فى الارض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب) بمعنى الكتب (من قبلكم) أى اليهود والنصارى (واياكم) يا أهل القرآن (أن) أى بان (اتقوا الله) خافوا عقابه بان تطيعوه (و) قلنا لهم ولكم (ان تكفروا) بما وصيتم به (فان لله ما فى السموات وما فى الارض) خلقا وملكا وعبيدا فلا يضره كفركم (وكان الله غنيا) عن خلقه وعبادتهم (حميدا) محمودا فى صنعه بهم (ولله ما فى السموات

من الرضاع من هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتهما فى النسب بالمصاهرة دون النسب ﴿ وامهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن ﴾ ذكر اولا محرمات النسب ثم محرمات الرضاعة لان لهـا لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن عارض لمصلحة الزواج والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المرأة من آخر سمى به لانه يربه كما يرب ولده فى غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقه التاء لانه صار اسما ومن نسائكم متعلق بربائبكم واللاتى بصلتها صفة لها مقيدة للفظ والحكم بالاجماع قضية للنظم ولا يجوز تعليقها بالامهات ايضا لان من اذا علقتهـا بالربائب كانت ابتدائية فان علقتها بالامهات لم يجز ذلك بل وجب ان يكون بيانا لنسائكم والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين عند جمهور الادباء اللهم الا اذا جعلتها للاتصال كقوله * فانى لست منك ولست منى * على معنى ان امهات النساء وبناتهن متصلات بهن لكن الرسول صلى الله عليه وسلم فرق بينهما فقال فى رجل تزوج امرأة فطلقها قبل ان يدخل بها انه لا بأس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها واليه ذهب عامة العلماء غير انه روى عن على رضى الله تعالى عنه تقييد التحريم فيهما ولا يجوز ان يكون الموصول الثانى صفة للنساءين لان عامليهما مختلف وفائدة قوله * فى حجوركم * تقوية العلة وتكميلها والمعنى ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهن وهن فى احتضانكم او بصدده قوى الشبه بينها وبين اولادكم فصارت احقاء بان تجروهـا مجراهم لا تقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء وقد روى عن على رضى الله تعالى عنه انه جعله شرطا والامهات والربائب تتناولان القريبة والبعيدة وقوله * دخلتم بهن * اى دخلتم معهن الستر وهى كناية عن الجماع ويؤثر فى حرمة المصاهرة ماليس بزنى كالوطىء بشبهة او ملك يمين وعند ابى حنيفة لمس المنكوحة ونحوه كالدخول ﴿ فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم ﴾ تصريح بعد اشعار دفعا للقياس ﴿ وحلائل ابنائكم ﴾ زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها او لحلولها مع الزوج ﴿ الذين من اصلابكم ﴾ احتراز عن المتبنين لا عن ابناء الولد ﴿ وان تجمعوا بين الاختين ﴾ فى موضع الرفع عطفا على المحرمات والظاهر ان الحرمة غير مقصورة على النكاح فان المحرمات المعدودة كما هى محرمة فى النكاح فهى محرمة فى ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلى رضى الله تعالى عنهما حرمتهما آية واحلتهما آية يعنيان

وما فى الارض) كرره تأكيدا لتقرير موجب التقوى (وكفى بالله وكيلا) شهيدا بان ما فيهما له (ان يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين) بدلكم (وكان الله على ذلك قديرا من كان يريد) بعمله (ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) لمن أراده لا عند غيره فلم يطلب أحدهما الاخس وهلا طلب الاعلى باخلاصه له حيث كان مطلبه لا يوجد الا عنده (وكان الله سميعا بصيرا يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين) قائمين (بالقسط) بالعدل (شهداء) بالحق (لله ولو) كانت الشهادة (على أنفسكم) فاشهدوا عليها بان تقروا بالحق ولا تكتموه (أو) على (الوالدين والاقربين ان يكن) المشهود عليه (غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما) منكم وأعلم بمصالحهما (فلا تتبعوا الهوى) فى شهادتكم بان تحابوا الغنى لرضاه أو الفقير رحمة له (ان) لا (تعدلوا) تميلوا عن الحق (وان تلووا) تحرفوا الشهادة وفى قراءة بحذف الواو الاولى تخفيفا

هذه الآية وقوله * او ماملكت ايمانكم * فرجح على كرم الله وجهه التحريم وعثمان رضى الله عنه التحليل وقول على اظهر لان آية التحليل مخصوصة فى غير ذلك ولقوله عليه الصلوة والسلام مااجتمع الحلال والحرام الاغلب الحرام (الا ماقد سلف) استثناء من لازم المعنى او منقطع معناه لكن ماقد سلف مغفور لقوله (ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء) ذوات الازواج احصنهن التزوج او الازواج وقرأ الكسائى بكسر الصاد لانهن احصن فروجهن (الا ماملكت ايمانكم) يريد ماملكت ايمانهم من اللاتى سبين ولهن ازواج كفار فهن حلال للسابين والنكاح مرتفع بالسبى لقول ابى سعيد رضى الله تعالى عنه اصبنا سبايا يوم اوطاس ولهن ازواج كفار فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فاستحللنا هن واياه عنى الفرزدق بقوله * وذات حليل انكحتها رماحنا * حلال لمن يبنى بها لم تطلق * وقال ابو حنيفة لو سبى الزوجات لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابى واطلاق الآية والحديث حجة عليه (كتاب الله عليكم) مصدر مؤكد اى كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اى هذه فرائض الله عليكم وكتب الله بلفظ الفعل (واحل لكم) عطف على الفعل المضمر الذى نصب كتاب الله وقرأ حمزة والكسائى وحفص على البناء للمفعول عطفا على حرمت (ماوراء ذلكم) ماسوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة مافى معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها (ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين) مفعول له والمعنى احل لكم ماوراء ذلكم ارادة ان تبتغوا النساء باموالكم بالصرف فى مهورهن او اثمانهن فى حال كونكم محصنين غير مسافحين ويجوز ان لايقدر مفعول تبتغوا فكانه قيل ارادة ان تصرفوا اموالكم محصنين غير مسافحين او بدل من ماوراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفية على ان المهر لابد وان يكون مالا ولاحجة فيه والاحصان العفة فانها تحصين للنفس عن اللوم والعقاب والسفاح الزنى من السفح وهو صب المنى فانه الغرض منه (فما استمتعتم به منهن) فمن تمتعتم به من المنكوحات او فما استمتعتم به منهن من جماع او عقد عليهن (فآتوهن اجورهن) مهورهن فان المهر فى مقابلة الاستمتاع (فريضة) حال من الاجور بمعنى مفروضة اوصفة مصدر محذوف اى ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد (ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة) فيما يزاد على

(أو تعرضوا) عن أدائها (فان الله كان بما تعملون خبيرا) فيجازيكم به (يا أيها الذين آمنوا آمنوا) داوموا على الايمان (بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله) محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن (والكتاب الذى أنزل من قبل) على الرسل بمعنى الكتب وفى قراءة بالبناء للفاعل فى الفعلين (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا) عن الحق (ان الذين آمنوا) بموسى وهم اليهود (ثم كفروا) بعبادة العجل (ثم آمنوا) بعده (ثم كفروا) بعيسى (ثم ازدادوا كفرا) بمحمد (لم يكن الله ليغفر لهم) ما أقاموا عليه (ولا ليهديهم سبيلا) طريقا الى الحق (بشر) أخبر يا محمد (المنافقين بان لهم عذابا أليما) مؤلما هو عذاب النار (الذين) بدل أو نعت للمنافقين (يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) لما يتوهمون فيه من القوة (أيبتغون) يطلبون (عندهم العزة) استفهام انكار أى لا يجدونها عندهم

المسمى اويحط عنه بالتراضى اوفيما تراضيابه من نفقة اومقام اوفراق وقيل نزلت الآية فى المتعة التى كانت ثلاثة ايام حين فتحت مكة ثم نسخت كما روى انه عليه الصلوة والسلام اباحها ثم اصبح يقول ايها الناس انى كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء ألا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وهى النكاح الموقت بوقت معلوم سمى بها اذا الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمرأة وتمتيعها بما يعطى وجوزها ابن عباس رضى الله عنهما ثم رجع عنه (ان الله كان عليما) بالمصالح (حكيما) فيما شرع من الاحكام (ومن لم يستطع منكم طولا) غنى واعتلاء واصله الفضل والزيادة (ان ينكح المحصنات المؤمنات) فى موضع النصب بطولا او بفعل مقدر صفة له اى ومن لم يستطع منكم ان يعتلى نكاح المحصنات اومن لم يستطع غنى يبلغ به نكاح المحصنات يعنى الحرائر لقوله (فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات) يعنى الاماء المؤمنات وظاهر الآية حجة للشافعى رضى الله تعالى عنه فى تحريم نكاح الامة على من ملك مايجعله صداق حرة ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقا واول ابو حنيفة رحمه الله تعالى طول المحصنات بان يملك فراشهن على ان النكاح هو الوطىء وحمل قوله من فتياتكم المؤمنات على الافضل كما حمل عليه فى قوله المحصنات المؤمنات ومن اصحابنا من حمله ايضا على التقييد وجوز نكاح الامة لمن قدر على الحرة الكتابية دون المؤمنة حذرا عن مخالفة الكفار وموالاتهم والمحذور فى نكاح الامة رق الولد ومافيه من المهانة ونقصان حق الزوج (والله اعلم بايمانكم) فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر وبتفاضل مابينكم فى الايمان فرب امة تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا فضل الايمان لافضل النسب والمراد تأنيسهم بنكاح الاماء ومنعهم عن الاستنكاف منه ويؤيده (بعضكم من بعض) انتم وارقاؤكم متناسبون نسبكم من آدم ودينكم الاسلام (فانكحوهن بأذن اهلهن) يريد اربابهن واعتبار اذنهم مطلقا لااشعار له على ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن حتى يحتج به الحنفية (وآتوهن اجورهن) اى ادوا اليهن مهورهن باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره اوالى مواليهن فحذف المضاف للعلم بان المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يؤدى اليه وقال مالك رضى الله عنه المهر للأمة ذهابا الى الظاهر (بالمعروف) بغير مطل واضرار ونقصان (محصنات) عفائف (غير مسافحات) غير مجاهرات بالسفاح (ولا متخذات اخدان) اخلاء فى السر

(فان العزة لله جميعا) فى الدنيا والآخرة ولاينالها الاأولياؤه (وقد نزل) بالبناء للفاعل والمفعول (عليكم فى الكتاب) القرآن فى سورة الانعام (أن) مخففة واسمها محذوف أى انه (اذا سمعتم آيات الله) القرآن (يكفر بها ويستهزؤ بها فلاتقعدوا معهم) اى الكافرين والمستهزئين (حتى يخوضوا فى حديث غيره انكم اذا) ان قعدتم معهم (مثلهم) فى الاثم (ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا) كما اجتمعوا فى الدنيا على الكفر والاستهزاء (الذين) بدل من الذين قبله (يتربصون) ينتظرون (بكم) الدوائر (فان كان لكم فتح) ظفر وغنيمة (من الله قالوا) لكم (ألم نكن معكم) فى الدين والجهاد فأعطونا من الغنيمة (وان كان للكافرين نصيب) من الظفر عليكم (قالوا) لهم (ألم نستحوذ) نستول (عليكم) ونقدر على اخذكم وقتلكم فابقينا عليكم (و) ألم (نمنعكم من المؤمنين) ان يظفروا بكم بتخذيلهم ومراسلتكم باخبارهم فلنا عليكم المنة قال تعالى

(فالله يحكم بينكم) وبينهم (يوم القيمة) بان يدخلكم الجنة ويدخلهم النار (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) طريقا بالاستئصال (ان المنافقين يخادعون الله) باظهارهم خلاف ماابطنوه من الكفر ليدفعوا عنهم احكامه الدنيوية (وهو خادعهم) مجازيهم على خداعهم فيفتضحون فى الدنيا باطلاع الله نبيه على ماابطنوه ويعاقبون فى الآخرة (واذا قاموا الى الصلوة) مع المؤمنين (قاموا كسالى متثاقلين (يراؤن الناس) بصلوتهم (ولايذكرون الله) يصلون (الاقليلا) رياء (مذبذبين) مترددين (بين ذلك) الكفر والايمان (لا) منسوبين (الى هؤلاء) اى الكفار (ولا الى هؤلاء) اى المؤمنين (ومن يضلل الله فلن تجدله سبيلا) طريقا الى الهدى (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم) بموالاتهم (سلطانا مبينا) برهانا بينا على نفاقكم (ان المنافقين فى الدرك) المكان

فاذا احصن) بالتزوج وقرأ ابوبكر وحمزة والكسائى بفتح الهمزة والباقون بضم الهمزة وكسر الصاد (فان اتين بفاحشة) زنى (فعليهن نصف ماعلى المحصنات) يعنى الحرائر (من العذاب) من الحد لقوله تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وهويدل على ان حد العبد نصف حد الحر وانه لايرجم لان الرجم لايتنصف (ذلك) اى نكاح الاماء (لمن خشى العنت منكم) لمن خاف الوقوع فى الزنى وهو فى الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر ولاضرر اعظم من مواقعة الاسم بافحش القبائح وقيل المراد به الحد وهذا شرط آخر لنكاح الاماء (وان تصبروا خير لكم) اى وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم قال عليه الصلوة والسلام الحرائر صلاح البيت والاماء هلاكه (والله غفور) لمن لم يصبر (رحيم) بان رخص له (يريد الله ليبين لكم) ماتعبدكم به من الحلال والحرام اوماخفى عليكم من مصالحكم ومحاسن اعمالكم وليبين مفعول يريد واللام زيدت لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة كما فى قول قيس بن سعد * اردت لكيما يعلم الناس انه * سراويل قيس والوفود شهود * وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له اى يريد الحق لاجله (ويهديكم سنن الذين من قبلكم) مناهج من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طريقهم (ويتوب عليكم) ويغفر لكم ذنوبكم اويرشدكم الى مايمنعكم عن المعاصى ويحثكم على التوبة اوالى مايكون كفارة لسيئاتكم (والله عليم) بها (حكيم) فى وضعها (والله يريد ان يتوب عليكم) كرره للتأكيد والمبالغة (ويريد الذين يتبعون الشهوات) يعنى الفجرة فان اتباع الشهوات الائتمار لهـا واما المتعاطى لماسوغه الشرع منها دون غيره فهو متبع له فى الحقيقة لالها وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ والاخت (ان تميلوا) عن الحق (ميلا) بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات (عظيما) بالاضافة الى ميل من اقترف خطيئة على ندور غير مستحل لها (يريد الله ان يخفف عنكم) فلذلك شرع لكم الشرعة الحنيفية السمحة السهلة البيضاء ورخص لكم فى المضايق كاحلال نكاح الامة (وخلق الانسان ضعيفا) لايصبر عن الشهوات ولايتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ثمان آيات فى سورة النساء هى خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلاث وان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه وان الله لايغفر

ان يشرك به وان الله لا يظلم مثقال ذرة و ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ومايفعل الله بعذابكم (ياايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل) بما لم يبحه الشرع كالغصب والربوا والقمار (الا ان تكون تجارة عن تراض منكم) استثناء منقطع اى ولكن كون تجارة عن تراض غير منهى عنه اواقصدوا كون تجارة وعن تراض صفة لتجارة اى تجارة صادرة عن تراضى المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه التى بها يحل تناول مال الغير لانها اغلب واوفق لذوى المروءات ويجوز ان يراد بها الانتقال مطلقا وقيل المراد بالنهى المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرأ الكوفيون تجارة بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم اى الا ان تكون التجارة اوالجهة تجارة (ولا تقتلوا انفسكم) بالبخع كما يفعله جهلة الهند أو بالقاء النفس الى التهلكة و يؤيده مارُوى ان عمرو بن العاص تأوله فى التيمم لخوف البرد فلم ينكره النبى صلى الله عليه وسلم اوبارتكاب مايؤدى الى قتلها اوباقتراف مايذلها ويرديها فانه القتل الحقيقى للنفس وقيل المراد بالانفس من كان من اهل دينهم فان المؤمنين كنفس واحدة جمع فى التوصية بين حفظ النفس والمال الذى هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس و تستوفى فضائلها رأفة بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله (ان الله كان بكم رحيما) اى امر ما امر و نهى عمانهى لفرط رحمته عليكم معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما لما امر بنى اسرائيل بقتل الانفس ونهاكم عنه (ومن يفعل ذلك) اشارة الى القتل اوماسبق من المحرمات (عدوانا وظلما) افراطا فى التجاوز عن الحق واتيانا بما لا يستحقه وقيل اراد بالعدوان التعدى على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب (فسوف نصليه نارا) ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى و بفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله تعالى اولذلك من حيث انه سبب الصلى (وكان ذلك على الله يسيرا) لا عسر فيه ولا صارف عنه (ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه) كبائر الذنوب التى نهاكم الله ورسوله عنها وقرئ كبير على ارادة الجنس (نكفر عنكم سيئاتكم) نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف فى الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حدا اوصرح بالوعيد فيه وقيل ماعلم حرمته بقاطع وعن النبى صلى الله عليه وسلم انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس التى حرم الله وقذف المحصنة واكل مال

(الاسفل من النار) وهو قعرها (ولن تجد لهم نصيرا) مانعا من العذاب (الا الذين تابوا) من النفاق (واصلحوا) عملهم (واعتصموا) وثقوا (بالله واخلصوا دينهم لله) من الرياء (فاولئك مع المؤمنين) فيما يؤتونه (وسوف يؤت الله المؤمنين اجراً عظيما) فى الآخرة هو الجنة (مايفعل الله بعذابكم ان شكرتم) نعمه (وآمنتم) به والاستفهام بمعنى النفى اى لا يعذبكم (وكان الله شاكرا) لاعمال المؤمنين بالاثابة (عليما) بخلقه (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول) من احد اى يعاقبه عليه (الا من ظلم) فلا يؤاخذه بالجهر به بان يخبر عن ظلم ظالمه ويدعو عليه (وكان الله سميعاً) لما يقال (عليما) بما يفعل (ان تبدوا) تظهروا (خيرا) من أعمال البر (او تخفوه) تعملوه سرا (او تعفوا عن سوء) ظلم (فان الله كان عفواً قديرا ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله) بان يؤمنوا به دونهم (ويقولون نؤمن ببعض) من الرسل

(ونكفر ببعض) منهم (ويريدون أن يتخذوا بين ذلك) الكفر والايمان (سبيلا) طريقا يذهبون اليه (أولئك هم الكافرون حقا) مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله (وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا) ذا اهانة هوعذاب النار (والذين آمنوا بالله ورسله) كلهم (ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف نؤتيهم) بالنون والياء (أجورهم) ثواب أعمالهم (وكان الله غفورا) لاوليائه (رحيما) بأهل طاعته (يسئلك) يامحمد (أهل الكتاب) اليهود (أن تنزل عليهم كتابا من السماء) جملة كما أنزل على موسى تعنتا فان استكبرت ذلك (فقد سألوا) أى آباؤهم (موسى أكبر) أعظم (من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة) عيانا (فأخذتهم الصاعقة) الموت عقابا لهم (بظلمهم) حيث تعنتوا فى السؤال (ثم اتخذوا العجل) الها (من بعدما جاءتهم البينات) المعجزات

اليتيم والربوا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الكبائر الى سبعمائة اقرب منها الى سبع وقيل اراد به ههنا انواع الشرك لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به و يغفر مادون ذلك وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى مافوقها وماتحتها فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس ومابينهما وسائط يصدق عليها الامران فمن عن له امران منها ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ماارتكبه لما استحق من الثواب على اجتناب الاكبر ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال الاترى انه تعالى عاتب نبيه فى كثير من خطراته التى لم يعدها على غيره خطيئة فضلا ان يؤاخذه عليها (وندخلكم مدخلا كريما) الجنة وماوعد من الثواب اوادخالا مع كرامة وقرأ نافع بفتح الميم وهوايضا يحتمل المكان والمصدر (ولا تتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض) من الامور الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضى للمنع كونه ذريعة الى التحاسد والتعادى معربة عن عدم الرضى بماقسم الله له وانه تشهى لحصول الشىء له من غير طلب وهو مذموم لان تمنى مالم يقدر معارضة لحكمة القدر وتمنى ماقدر له بكسب بطالة وتضييع حظ وتمنى ماقدر له بغير كسب ضائع ومحال (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) بيان لذلك اى لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب مااكتسب ومن اجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد والتمنى كما قال عليه الصلوة والسلام ليس الايمان بالتمنى وقيل المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل ماقسم الله لكل منهم على حسب ماعرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب له (واسألوا الله من فضله) اى لا تتمنوا ماللناس واسألوا الله مثله من خزائنه التى لا تنفد وهو يدل على ان المنهى عنه هو الحسد ولا تتمنوا واسألوا الله من فضله بمايقرب به ويسوقه اليكم وقرأ ابن كثير والكسائى وسلوا الله من فضله وسلهم فسل الذين وشبهه اذا كان امرا مواجها به وقبل السين واو اوفاء بغير همز فى الوقف على اصله والباقون بالهمز (ان الله كان بكل شىء عليما) فهو يعلم مايستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبيان روى ان ام سلمة قالت يارسول الله يغزو الرجال ولا نغزو وانما لنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت (ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والاقربون) اى ولكل تركة جعلنا وراثا يلونها ويحرزونها

ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل او ولكل ميت جعلنا ورانا مما ترك على ان من صلة موالى لانه فى معنى الوراث وفى ترك ضمير كل والوالدان والاقربون استئناف مفسر للموالى وفيه خروج الاولاد فان الاقربون لايتناولهم كما لايتناول الوالدين اولكل قوم جعلناهم موالى حظ مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالى صفة كل والراجع اليه محذوف وعلى هذا فالجملة من مبتدأ وخبر (والذين عاقدت ايمانكم) موالى الموالاة كان الحليف يرث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعن ابى حنيفة رحمه الله تعالى لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث اوالازواج على ان العقد عقد النكاح وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط وخبره (فآتوهم نصيبهم) اومنصوب بمضمر يفسره مابعده كقولك زيدا فاضربه اومعطوف على الوالدين وقوله فآتوهم جملة مسببة عن الجملة المتقدمة مؤكدة لها والضمير للموالى وقرأ الكوفيون عقدت بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم فحذف العهود واقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف فى القراءة الاخرى (ان الله كان على كل شئ شهيدا) تهديد على منع نصيبهم (الرجال قوامون على النساء) يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين وهبى وكسبى فقال (بما فضل الله بعضهم على بعض) بسبب تفضيله تعالى الرجال على النساء بكمال العقد وحسن التدبير ومزيد القوة فى الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة فى مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم فى الميراث والاستبداد بالفراق (وبما انفقوا من اموالهم) فى نكاحهن كالمهر والنفقة روى ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابى زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقتص منه فنزلت فقال عليه السلام اردنا امرا واراد الله امرا والذى اراد الله خير (فالصالحات قانتات) مطيعات لله قائمات بحقوق الازواج (حافظات للغيب) اى يحفظن فى غيبة الازواج مايجب حفظه فى النفس والمال وعنه عليه الصلوة والسلام خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك وان غبت عنها حفظتك فى مالها ونفسها وتلا الآية وقيل لاسرارهم (بما حفظ الله) بحفظ الله اياهن

على وحدانية الله (فعفونا عن ذلك) ولم نستأصلهم (وآتينا موسى سلطانا مبينا) تسلطا بينا ظاهرا عليهم حيث امرهم بقتل انفسهم توبة فأطاعوه (ورفعنا فوقهم الطور) الجبل (بميثاقهم) بسبب أخذ الميثاق عليهم ليخافوا فيقبلوه (وقلنا لهم) وهو مظل عليهم (ادخلوا الباب) باب القرية (سجدا) سجود انحناء (وقلنا لهم لاتعدوا) وفى قراءة بفتح العين وتشديد الدال وفيه ادغام التاء فى الاصل فى الدال اى لاتعتدوا (فى السبت) باصطياد الحيتان فيه (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) على ذلك فنقضوه (فبما نقضهم) مازائدة والباء للسببية متعلقة بمحذوف اى لعناهم بسبب نقضهم (ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم) للنبى صلى الله عليه وسلم (قلوبنا غلف) لاتعى كلامك (بل طبع) ختم (الله عليها بكفرهم) فلاتعى

بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له اوبالذى حفظه الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة فانها لوكانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر الذى حفظ حق الله او طاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال (واللاتى تخافون نشوزهن) عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز (فعظوهن واهجروهن فى المضاجع) فى المراقد فلاتدخلوهن تحت اللحف اولا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايت لاتبايتوهن (واضربوهن) يعنى ضربا غير مبرح ولاشائن والامور الثلاثة مترتبة ينبغى ان يدرج فيها (فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) بالتوبيخ والايذاء والمعنى فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ماكان منهن كأن لم يكن فان التائب من الذنب كمن لاذنب له (ان الله كان عليا كبيرا) فاحذروه فانه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم اوانه على علوشانه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم فانتم احق بالعفو عن ازواجكم اوانه يتعالى ويكبر ان يظلم احدا او ينقص حقه (وان خفتم شقاق بينهما) خلافا بين المرأة وزوجها اضمرهما وان لم يجر ذكرهما لجرى مايدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما لاجرائه مجرى المفعول به كقوله ياسارق الليلة اوالفاعل كقولهم نهارك صائم (فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها) فابعثوا ايها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين الامر اواصلاح ذات البين رجلا وسطا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله وآخر من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج والزوجات واستدل به على جواز التحكيم والاظهر ان النصب لاصلاح ذات البين اولتبيين الامر ولايليان الجمع والتفريق الاباذن الزوجين وقال مالك لهما ان يتخالعا ان وجدا الصلاح فيه (ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما) الضمير الاول للحكمين والثانى للزوجين اى ان قصدا الاصلاح اوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين وقيل كلاهما للحكمين اى ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما ليتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اى ان ارادا الاصلاح وزوال الشقاق اوقع الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله مبتغاه (ان الله كان عليما خبيرا) بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا) صنما اوغيره اوشيئا من الاشراك جليا

وعظا (فلا يؤمنون الا قليلا) منهم كعبدالله بن سلام واصحابه (وبكفرهم) ثانيا بعيسى وكرر الباء للفصل بينه وبين ماعطف عليه (وقولهم على مريم بهتانا عظيما) حيث رموها بالزنا (وقولهم) مفتخرين (انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) فى زعمهم أى بمجموع ذلك عذبناهم قال تعالى تكذيبا لهم فى قتله (وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم) المقتول والمصلوب وهوصاحبهم بعيسى أى ألقى الله عليه شبهه فظنوه اياه (وان الذين اختلفوا فيه) أى فى عيسى (لفى شك منه) من قتله حيث قال بعضهم لما رأوا المقتول الوجه وجه عيسى والجسد ليس بجسده فليس به وقال آخرون بل هو هو (مالهم به) بقتله (من علم الا اتباع الظن) استثناء منقطع اى لكن يتبعون فيه الظن الذى تخيلوه (وما قتلوه يقينا) حال مؤكدة لنفى القتل (بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا)

اوخفيا (وبالوالدين احسانا) واحسنوا بهما احسانا (وبذى القربى)
وبصاحب القرابة (واليتامى والمساكين والجار ذى القربى) اى الذى قرب
جواره وقيل الذى له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب
على الاختصاص تعظيما لحقه (والجار الجنب) البعيد او الذى لا قرابة له
وعنه عليه الصلوة والسلام الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار
وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له
حق واحد حق الجوار وهو المشرك من اهل الكتاب (والصاحب بالجنب)
الرفيق فى امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل
بجنبك وقيل المرأة (وابن السبيل) المسافر او الضيف (وماملكت ايمانكم)
العبيد والاماء (ان الله لا يحب من كان مختالا) متكبرا يأنف عن اقاربه وجيرانه
واصحابه ولا يلتفت اليهم (فخورا) يتفاخر عليهم (الذين يبخلون ويأمرون
الناس بالبخل) بدل من قوله من كان او نصب على الذم او رفع عليه اى هم الذين
او مبتدأ خبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما منحوا به ويأمرون
الناس بالبخل به وقرأ حمزة والكسائى ههنا وفى الحديد بالبخل بفتح الحرفين
وهى لغة (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) الغنى والعلم فهم احقاء بكل ملامة
(واعتدنا للكافرين عذابا مهينا) وضع الظاهر فيه موضع المضمر اشعارا
بان من هذا شانه فهو كافر لنعمة الله ومن كان كافرا لنعمة الله فله عذاب يهينه
كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والآية نزلت فى طائفة من اليهود كانوا
يقولون للانصار تنصحا لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل
فى الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم (والذين ينفقون اموالهم
رئاء الناس) عطف على الذين يبخلون او الكافرين وانما شاركهم فى الذم
والوعيد لان البخل والسرف الذى هو الانفاق لا على ما ينبغى من حيث
انهما طرفا افراط وتفريط سواء فى القبح واستجلاب الذم او مبتدأ خبره
محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان له قرينا (ولا يؤمنون بالله
ولا باليوم الآخر) ليتحروا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركو مكة وقيل
المنافقون (ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا) تنبيه على ان الشيطان
قرينهم فحملهم على ذلك وزينه لهم كقوله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان
الشياطين والمراد ابليس واعوانه الداخلة والخارجة ويجوز ان يكون
وعيدا لهم بان يقرن بهم الشيطان فى النار (وماذا عليهم لو آمنوا بالله

فى ملكه (حكيما) فى صنعه
(وان) ما (من اهل الكتاب)
احد (الا ليؤمنن به) بعيسى
(قبل موته) أى الكتابى
حين يعاين ملائكة الموت
فلا ينفعه ايمانه أو قبل موت
عيسى لما ينزل قرب الساعة
كما ورد فى حديث (ويوم
القيمة يكون) عيسى
(عليهم شهيدا) بما فعلوه
لما بعث اليهم (فبظلم) اى
فبسبب ظلم (من الذين
هادوا) هم اليهود (حرمنا
عليهم طيبات احلت لهم)
هى التى فى قوله تعالى حرمنا كل
ذى ظفر الآية (وبصدهم)
الناس (عن سبيل الله) دينه
صدا (كثيرا واخذهم
الربوا وقد نهوا عنه)
فى التورية (وأكلهم اموال
الناس بالباطل) بالرشا
فى الحكم (واعتدنا للكافرين
منهم عذابا أليما) مؤلما (لكن
الراسخون) الثابتون
(فى العلم منهم) كعبدالله
بن سلام (والمؤمنون)
المهاجرون والانصار
(يؤمنون بما انزل اليك
وما انزل من قبلك)
من الكتب (والمقيمين الصلوة)

والیوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله) ای وما الذی علیهم ای تبعة تحیق بهم بالایمان وانفاق فی سبیل الله وهو توبیخ لهم علی الجهل بمکان المنفعة والاعتقاد فی الشیء علی خلاف ماهو علیه وتحریض علی الفکر لطلب الجواب لعله یؤدی بهم الی العلم بما فیه من الفوائد الجلیلة والعوائد الجمیلة وتنبیه علی ان المدعو الی امر لاضرر فیه ینبغی ان یجیب الیه احتیاطا فکیف اذا تضمن المنافع وانما قدم الایمان ههنا واخره فی الآیة الاخری لان القصد بذکره الی التحضیض ههنا والتعلیل ثمه (وکان الله بهم علیما) وعیدلهم (ان الله لایظلم مثقال ذرة) لاینقص من الاجر ولایزید فی العقاب اصغر شیء کالذرة وهی النملة الصغیرة ویقال لکل جزء من اجزاء الهباء والمثقال مفعال من الثقل وفی ذکره ایماء الی انه وان صغر قدره عظم جزاؤه (وان تك حسنة) وان یکن مثقال الذرة حسنة وانث الضمیر لتأنیث الخبر اولاضافة المثقال الی مؤنث وحذف النون من غیر قیاس تشبیها بحروف العلة وقرأ ابن کثیر ونافع حسنة بالرفع علی کان التامة (یضاعفها) یضاعف ثوابها وقرأ ابن کثیر وابن عامر ویعقوب یضعفها وکلاهما بمعنی (ویؤت من لدنه) ویعط صاحبها من عنده علی سبیل التفضل زائدا علی ماوعد فی مقابلة العمل (اجرا عظیما) عطاء جزیلا وانما سماه اجرا لانه تابع للاجر مزید علیه (فکیف اذا جئنا من کل امة بشهید) حال هؤلاء الکفرة من الیهود والنصاری وغیرهم اذا جئنا من کل امة بشهید یعنی نبیهم یشهد علی فساد عقائدهم وقبح اعمالهم والعامل فی الظرف مضمون المبتدأ والخبر من هول الامر وتعظیم الشان (وجئنابك) یامحمد (علی هؤلاء شهیدا) تشهد علی صدق هؤلاء الشهداء لعلمك بعقائدهم واستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقیل هؤلاء اشارة الی الکفرة المستفهم عن حالهم وقیل الی المؤمنین لقوله تعالی لتکونوا شهداء علی الناس ویکون الرسول علیکم شهیدا (یومئذ یود الذین کفروا وعصوا الرسول لو تسوی بهم الارض) بیان لحالهم حینئذ ای یود الذین جمعوا بین الکفر وعصیان الامر اوالکفرة والعصاة فی ذلك الوقت ان یدفنوا فتسوی بهم الارض کالموتی اولم یبعثوا اولم یخلقوا وکانوهم والارض سواء (ولایکتمون الله حدیثا) ولایقدرون علی کتمانه لان جوارحهم تشهد علیهم وقیل الواو للحال ای یودون ان تسوی بهم الارض وحالهم انهم لایکتمون من الله حدیثا ولایکذبونه بقولهم والله ربنا ما کنا مشرکین

نصب علی المدح وقرئ بالرفع (والمؤتون الزکوة والمؤمنون بالله والیوم الآخر اولئك سنؤتیهم) بالنون والیاء (اجرا عظیما) هو الجنة (انا اوحینا الیك کما أوحینا الی نوح والنبیین من بعده و) کما (اوحینا الی ابراهیم واسمعیل واسحق) ابنیه (ویعقوب) بن اسحق (والاسباط) أولاده (وعیسی وایوب ویونس وهرون وسلیمان وآتینا) أباه (داود زبورا) بالفتح اسم للکتاب المؤتی والضم مصدر بمعنی مزبورا ای مکتوبا (و) ارسلنا (رسلا قدقصصناهم علیك من قبل ورسلا لم نقصصهم علیك) روی انه تعالی بعث ثمانیة آلاف نبی اربعة آلاف من بنی اسرائیل واربعة آلاف من سائر الناس قاله الشیخ فی سورة غافر (وکلم الله موسی) بلاواسطة (تکلیما رسلا) بدل من رسلا قبله (مبشرین) بالثواب من آمن (ومنذرین) بالعقاب من کفر ارسلناهم (لئلا یکون للناس علی الله حجة)

(اذروی)

اذروى انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فيشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرأ نافع وابن عامر تسوى على ان اصله تتسوى فادغمت التاء فى السين وقرأ حمزة والكسائى تسوى على حذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى (يا ايها الذين آمنوا الا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون) اى لاتقوموا اليها وانتم سكارى من نحو نوم او خمر حتى تنبهوا وتعلموا ماتقولون فى صلوتكم روى ان عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه صنع مأدبة ودعا نفرا من الصحابة حين كانت الخمر مباحة فأكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب فتقدم احدهم ليصلى بهم فقرأ اعبد ماتعبدون فنزلت وقيل اراد بالصلوة مواضعها وهى المساجد وليس المراد منه نهى السكران عن قربان الصلوة وانما المراد منه النهى عن الافراط فى الشرب والسكر من السكر وهو السد وقرئ سكارى بالفتح وسكرى على انه جمع كهلكى اومفرد بمعنى وانتم قوم سكرى وسكرى كحبلى على انها صفة للجماعة (ولاجنبا) عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة فى موضع النصب على الحال والجنب الذى اصابه الجنابة يستوى فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه يجرى مجرى المصدر (الاعابرى سبيل) متعلق بقوله ولاجنبا استثناء من اعم الاحوال اى لاتقربوا الصلوة جنبا فى عامة الاحوال الا فى السفر وذلك اذا لم يجد الماء وتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم اوصفة لقوله جنبا اى جنبا غير عابرى سبيل وفيه دليل على ان التيمم لايرفع الحدث ومن فسر الصلوة بمواضعها فسر عابرى سبيل بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعى رضى الله عنه وقال ابو حنيفة رضى الله تعالى عنه لايجوز له المرور فى المسجد الا اذا كان فيه الماء او الطريق (حتى تغتسلوا) غاية النهى عن القربان حال الجنابة وفى الآية تنبيه على ان المصلى ينبغى له ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكى نفسه عما يجب تطهيرها عنه (وان كنتم مرضى) مرضا يخاف معه عن استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد اومرضا يمنعه عن الوصول اليه (اوعلى سفر) لاتجدونه فيه (اوجاء احد منكم من الغائط) فاحدث بخروج الخارج من احد السبيلين واصل الغائط الموضع المطمئن من الارض (اولامستم النساء) اوماسستم بشرتهن ببشرتكم وبه استدل الشافعى على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل اوجامعتموهن وقرأ حمزة والكسائى ههنا وفى المائدة لمستم واستعماله كناية

فقال (بعد) ارسال (الرسل) اليهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين فبعثناهم لقطع عذرهم (وكان الله عزيزا) فى ملكه (حكيما) فى صنعه ونزل لما سئل اليهود عن نبوته صلى الله عليه وسلم فانكروه (لكن الله يشهد) يبين نبوتك (بما أنزل اليك) من القرآن المعجز (أنزله) ملتبسا (بعلمه) أى عالما به أو وفيه علمه (والملائكة يشهدون) لك أيضا (وكفى بالله شهيدا) على ذلك (ان الذين كفروا) بالله (وصدوا) الناس (عن سبيل الله) دين الاسلام بكتمهم نعت محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود (قد ضلوا ضلالا بعيدا) عن الحق (ان الذين كفروا) بالله (وظلموا) نبيه بكتمان نعته (لم يكن الله ليغفر لهم ولاليهديهم طريقا) من الطرق (الاطريق جهنم) أى الطريق المؤدى اليها (خالدين) مقدرين الخلود (فيها) اذا دخلوها (أبدا وكان

ذلك على الله يسيرا) هينا (يا أيها الناس) أي أهل مكة (قد جاءكم الرسول) محمد صلى الله عليه وسلم (بالحق من ربكم فآمنوا) به واقصدوا (خيرا لكم) مما أنتم فيه (وان تكفروا) به (فان لله ما في السموات والارض) ملكا وخلقا وعبيدا فلا يضره كفركم (وكان الله عليما) بخلقه (حكيما) في صنعه بهم (يا أهل الكتاب) الانجيل (لا تغلوا) تجاوزوا الحد (في دينكم ولا تقولوا على الله الا) القول (الحق) من تنزيهه عن الشريك والولد (انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها) أوصلها الله (الى مريم وروح) أي ذو روح (منه) اضيف اليه تعالى تشريفا له وليس كما زعمتم ابن الله أو الها معه أو ثالث ثلاثة لان ذا الروح مركب والاله منزه عن التركيب وعن نسبة المركب اليه (فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا) الآلهة (ثلاثة) الله وعيسى وأمه (انتهوا) عن ذلك

عن الجماع اقل من الملامسة (فلم تجدوا ماء) فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان المترخص بالتيمم اما محدث او جنب والحالة المقتضية له في غالب الامر مرض او سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر اسباب ما يحدث له بالذات وما يحدث بالعرض واستغنى عن تفصيل احواله بتفصيل احوال الجنب وبيان العذر مجملا فكأنه قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر او محدثين جئتم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء (فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم) اى فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا ولذلك قالت الحنفية لو ضرب المتيمم يده على حجر صلد ومسح اجزأه وقال اصحابنا لابد من ان يعلق باليد شيء من التراب لقوله تعالى في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اى من بعضه وجعل من لابتداء الغاية تعسف اذ لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض واليد اسم للعضو الى المنكب وماروى انه عليه الصلوة والسلام تيمم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على ان المراد ههنا وايديكم الى المرافق (ان الله كان عفوا غفورا) فلذلك يسر الامر عليكم ورخص لكم (ألم تر الى الذين اوتوا) من رؤية البصر اى ألم تنظر اليهم او القلب وعدى بالى لتضمين معنى الانتهاء (نصيبا من الكتاب) حظا يسيرا من علم التورية لان المراد احبار اليهود (يشترون الضلالة) يختارونها على الهدى او يستبدلونها به بعد تمكنهم منه او حصوله لهم بانكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يأخذون الرشى ويحرفون التورية (ويريدون ان تضلوا) ايها المؤمنون (السبيل) سبيل الحق (والله اعلم) منكم (باعدائكم) وقد اخبركم بعداوة هؤلاء وبما يريدون بكم فاحذروهم (وكفى بالله وليا) يلي امركم (وكفى بالله نصيرا) يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره والباء تزاد في فاعل كفى لتأكيد الاتصال الاسنادى بالاتصال الاضافى (من الذين هادوا) بيان للذين اوتوا نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض او بيان لأعدائكم او صلة لنصيرا اى ينصركم من الذين هادوا ويحفظكم منهم او خبر محذوف صفته (يحرفون الكلم عن مواضعه) اى من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اى يميلونه عن مواضعه التى وضعه الله فيها بازالته عنها واثبات غيره فيها او يؤولونه على ما يشتهون فيميلونه عما انزل الله فيه وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة (ويقولون

(سمعنا)

سمعنا) قولك (وعصينا) امرك (واسمع غير مسمع) اى مدعوا عليك بلا سمعت
بصمم او موت او اسمع غير مجاب الى ماتدعو اليه او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه
او اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به او اسمع
غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا سبه وانما قالوه نفاقا (وراعنا)
انظرنا نكلمك او نفهم كلامك (ليا بالسنتهم) فتلا بها وصرفا للكلام الى
مايشبه السب حيث وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا وغير
مسمع موضع لا اسمعت مكروها او فتلا بها وضما مايظهرون من الدعاء والتوقير
الى مايضمرون من السب والتحقير نفاقا (وطعنا فى الدين) استهزاء به
وسخرية (ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا) ولو ثبت قولهم هذا
مكان ماقالوه (لكان خيرا لهم واقوم) لكان قولهم ذلك خيرا لهم واعدل وانما
يجب حذف الفعل بعد لو فى مثل ذلك لدلالة ان عليه ووقوعه موقعه (ولكن
لعنهم الله بكفرهم) ولكن خذلهم الله وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم
(فلا يؤمنون الا قليلا) اى الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الآيات
والرسل ويجوز ان يراد بالقلة العدم كقوله ٭ قليل التشكي للمهم يصيبه ٭ او الا قليلا
منهم آمنوا او سيؤمنون (ياايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم
من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها) من قبل ان نمحو تخطيط
صورها ونجعلها على هيئة ادبارها يعنى الاقفاء او ننكسها الى ورائها فى الدنيا
او فى الآخرة واصل الطمس ازالة الاعلام الماثلة وقد يطلق بمعنى الطلس
فى ازالة الصورة ولمطلق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل ان نغير وجوها
فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها الصغار والادبار او نردها الى حيث
جاءت منه وهى اذرعات الشام يعنى اجلاء بنى النضير ويقرب منه قول
من قال ان المراد بالوجوه الرؤساء او من قبل ان نطمس وجوها بان نعمى
الابصار عن الاعتبار ونصم الاسماع عن الاصغاء الى الحق بالطبع ونردها
من الهداية الى الضلالة (او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت) او نخزيهم بالمسخ
كما اخزينا به اصحاب السبت او مسخا مثل مسخهم او نلعنهم على لسانك كما
لعناهم على لسان داود والضمير لاصحاب الوجوه او للذين على طريقة
الالتفات او للوجوه ان اريد به الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى
الاول يدل على ان المراد به ليس مسخ الصورة فى الدنيا ومن حمل الوعيد
على تغيير الصورة فى الدنيا قال انه بعد مترقب او كان وقوعه مشروطا بعدم

وأتوا (خيرا لكم) منه
وهو التوحيد (انما الله اله
واحد سبحانه) تنزيها له
عن (أن يكون له ولد له مافى
السموات ومافى الارض) خلقا
وملكا وعبيدا والملكية تنافى
النبوة (وكفى بالله وكيلا) شهيدا
على ذلك (لن يستنكف)
يتكبر ويأنف (المسيح) الذى
زعمتم انه اله عن (أن يكون
عبدا لله ولا الملائكة المقربون)
عند الله لا يستنكفون أن
يكونوا عبيدا وهذا من
أحسن الاستطراد ذكر للرد
على من زعم أنها آلهة أو بنات
الله كما رد بماقبله على النصارى
الزاعمين ذلك المقصود خطابهم
(ومن يستنكف عن عبادته
ويستكبر فسيحشرهم اليه
جميعا) فى الآخرة (فاما
الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فيوفيهم أجورهم) ثواب أعمالهم
(ويزيدهم من فضله) مالا
عين رأت ولا اذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر (واما
الذين استنكفوا واستكبروا)
عن عبادته (فيعذبهم عذابا
اليما) مؤلما (هو عذاب النار

ولا يجدون لهم من دون الله) أى غيره (وليا) يدفعه عنهم (ولا نصيرا) يمنعهم منه (ياأيها الناس قد جاءكم برهان) حجة (من ربكم) عليكم وهو النبي صلى الله عليه وسلم (وأنزلنا اليكم نورا مبينا) بينا وهو القرآن (فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا) طريقا (مستقيما) هو دين الإسلام (يستفتونك) فى الكلالة (قل الله يفتيكم فى الكلالة ان امرؤ) مرفوع بفعل يفسره (هلك) مات (ليس له ولد) أى ولا والد وهو الكلالة (وله أخت) من أبوين أوأب (فلها نصف ماترك وهو) أى الاخ كذلك (يرثها) جميع ماتركت (ان لم يكن لها ولد) فان كان لها ولد ذكر فلا شئ له أوانثى فله مافضل عن نصيبها ولو كانت الاخت أو الاخ من أم ففرضه السدس كما تقدم أول السورة (فان كانتا) أى الاختان (اثنتين)

ايمانهم وقد آمن منهم طائفة (وكان امر الله) بايقاع شئ اووعيده او ماحكم به وقضاه (مفعولا) نافذا وكائنا فيقع لامحالة ماأوعدتم به ان لم تؤمنوا (ان الله لا يغفر ان يشرك به) لانه بت الحكم على خلود عذابه اولان ذنبه لاينمحى عنه اثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره (ويغفر مادون ذلك) اى مادون الشرك صغيرا كان او كبيرا (لمن يشاء) تفضلا عليه واحسانا وعلقه المعتزلة بالفعلين على معنى ان الله لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة اولى منه ونقض لمذهبهم فان تعليق الامر بالمشيئة ينافى وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها فالآية كما هى حجة عليهم فهى حجة على الخوارج الذين زعموا ان كل ذنب شرك وان صاحبه خالد فى النار (ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما) ارتكب مايستحقر دونه الآثام وهو اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق (الم تر الى الذين يزكون انفسهم) يعنى اهل الكتاب قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله مانحن الا كهيئتهم ماعملنا بالنهار كفر عنا بالليل وماعملنا بالليل كفر عنا بالنهار وفى معناهم من زكى نفسه واثنى عليها (بل الله يزكى من يشاء) تنبيه على ان تزكيته تعالى هى المعتد بها دون تزكية غيره فانه العالم بما ينطوى عليه الانسان من حسن اوقبح وقد ذمهم وزكى المرتضين من عباده المؤمنين واصل التزكية نفى مايستقبح فعلا اوقولا (ولا يظلمون) بالذم اوالعقاب على تزكيتهم انفسهم بغير حق (فتيلا) ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذى فى شق النواة يضرب به المثل فى الحقارة (انظر كيف يفترون على الله الكذب) فى زعمهم انهم ابناء الله وازكياء عنده (وكفى به) بزعمهم هذا اوبالافتراء (اثما مبينا) ولايخفى كونه مأثما من بين آثامهم (الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) نزلت فى يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام ارضى عند الله مما يدعو اليه محمد وقيل فى حيى بن اخطب وكعب بن الاشرف فى جمع من اليهود خرجوا الى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن

(اليكم)

اليكم ففعلوا والجبت في الاصل اسم صنم فاستعمل في كل ماعبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو الذي لاخير فيه فقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود اوغيره ﴿ ويقولون للذين كفروا ﴾ لاجلهم وفيهم ﴿ هؤلاء ﴾ اشارة اليهم ﴿ اهدى من الذين آمنوا سبيلا ﴾ اقوم دينا وارشد طريقا ﴿ اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجدله نصيرا ﴾ يمنع عنه العذاب بشفاعة اوغيرها ﴿ ام لهم نصيب من الملك ﴾ ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك وجحد لمازعمت اليهود من ان الملك سيصير اليهم ﴿فاذا لايؤتون الناس نقيرا﴾ اى لوكان لهم نصيب من الملك فاذا لايؤتون احدا مايوازى نقيرا وهو النقرة في ظهر النواة وهذا هو الاغراق في بيان شحهم فانهم بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا اذلاء متفاقرين ويجوز ان يكون المعنى انكار انهم اوتوا نصيبا من الملك على الكناية وانهم لايؤتون الناس شيئا واذا اذا وقع بعد الواو والفاء لالتشريك مفرد جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرىء فاذا لايؤتوا على النصب ﴿ ام يحسدون الناس ﴾ بل ايحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه اوالعرب اوالناس جميعا لان من حسد على النبوة فكأنما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم وبخهم وانكر عليهم الحسد كاذمهم على البخل وهما شر الرذائل فكان بينهما تجاذبا وتلازما ﴿على ماآتاهم الله من فضله﴾ يعني النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز وجعل النبي الموعود منهم ﴿ فقد آتينا آل ابراهيم ﴾ الذين هم اسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وابناء عمه ﴿ الكتاب والحكمة﴾ النبوة ﴿وآتيناهم ملكا عظيما﴾ فلا يبعد ان يؤتيه الله مثل ماآتاهم ﴿ فمنهم ﴾ فمن اليهود ﴿ من آمن به ﴾ بمحمد صلى الله عليه وسلم او بما ذكر من حديث آل ابراهيم ﴿ومنهم من صد عنه﴾ اعرض عنه ولم يؤمن به وقيل معناه فمن آل ابراهيم من آمن به ومنهم من كفر ولم يكن في ذلك توهين امره فكذلك لايوهن كفر هؤلاء امرك ﴿ وكفى بجهنم سعيرا ﴾ نارا مسعورة يعذبون بها اى ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم مااعد لهم من سعير جهنم ﴿ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا ﴾ كالبيان والتقرير لذلك ﴿ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها﴾ بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى كقولك بدلت الخاتم قرطا اوبان يزال عنه اثر الاحراق ليعود احساسه للعذاب كما قال ﴿ليذوقوا العذاب﴾ اى ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه جلد

أى فصاعدا لانها نزلت في جابر وقدمات عن أخوات ﴿ فلهما الثلثان مماترك﴾ الاخ ﴿وان كانوا﴾ أى الورثة ﴿اخوة رجالا ونساء فللذكر ﴾ منهم ﴿ مثل حظ الانثيين يبين الله لكم﴾ شرائع دينكم ا﴿أن﴾ لا ﴿تضلوا والله بكل شئ عليم﴾ ومنه الميراث روى الشيخان عن البراء أنها آخر آية نزلت اى من الفرائض

سورة المائدة مدنية مائة وعشرون أو وثنتان أو وثلاث آية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ﴿ ياأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾ العهود المؤكدة التى بينكم وبين الله والناس ﴿أحلت لكم بهيمة الانعام﴾ الابل والبقر والغنم أكلا بعد الذبح ﴿ الا مايتلى عليكم ﴾ تحريمه فى حرمت عليكم الميتة الآية فالاستثناء منقطع ويجوز أن يكون متصلا والتحريم لماعرض من الموت ونحوه ﴿ غير محلى الصيد وأنتم حرم ﴾ أى محرمون ونصب غير على الحال من ضمير لكم ﴿ ان الله يحكم

آخر والعذاب فى الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا لآلة ادراكها فلا محذور (ان الله كان عزيزا) لا يمتنع عليه ما يريده (حكيما) يعاقب على وفق حكمته (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا) قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض (لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا) فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وهو اشارة الى النعمة التامة الدائمة والظليل صفة مشتقة من الظل لتأكيده كقولهم شمس شامس وليل أليل ويوم أيوم (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها) خطاب يعم المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح فى عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما اغلق باب الكعبة وأبى ان يدفع المفتاح ليدخل فيها وقال لو علمت انه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم امنعه فلوى على كرم الله وجهه يده واخذه منه وفتح فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس رضى الله عنه ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامره الله ان برده اليه فامر عليا رضى الله عنه بان يرد ويعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه ونزل الوحى بان السدانة فى اولاده ابدا (واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) اى وان تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم ولان الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم (ان الله نعما يعظكم به) اى نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذى يعظكم به فما منصوبة موصوفة بيعظكم به او مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المأمور به من اداء الامانات والعدل فى الحكومات (ان الله كان سميعا بصيرا) باقوالكم واحكامكم وما تفعلون فى الامانات (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم) يريد بهم امراء المسلمين فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية امر الناس بطاعتهم بعدما امرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ما داموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم (فان تنازعتم) انتم واولوا الامر منكم (فى شيء) من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد فى حكمه بخلاف المرؤس الا ان يقال الخطاب لاولى الامر على طريقة الالتفات (فردوه) فراجعوا فيه (الى الله)

ما يريد) من التحليل وغيره لا اعتراض عليه (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله) جمع شعيرة أى معالم دينه بالصيد فى الاحرام (ولا الشهر الحرام) بالقتال فيه (ولا الهدى) ما اهدى الى الحرم من النعم بالتعرض له (ولا القلائد) جمع قلادة وهى ما كان يقلد به من شجر الحرم ليأمن أى فلا تتعرضوا لها ولا لاصحابها (ولا) تحلوا (آمين) قاصدين (البيت الحرام) بأن تقاتلوهم (يبتغون فضلا) رزقا (من ربهم) بالتجارة (ورضوانا) منه بقصده بزعمهم الفاسد وهذا منسوخ بآية براءة (واذا حللتم) من الاحرام (فاصطادوا) أمر اباحة (ولا يجرمنكم) يكسبنكم (شنآن) بفتح النون وسكونها بغض (قوم) لاجل (أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا) عليهم بالقتل وغيره (وتعاونوا على البر) فعل ما أمرتم به (والتقوى) بترك ما نهيتم عنه (ولا تعاونوا) فيه حذف احدى التاءين فى الاصل (على الاثم)

الى كتابه (والرسول) بالسؤال عنه فى زمانه والمراجعة الى سنته بعده واستدل به منكروا القياس وقالوا انه تعالى اوجب رد المختلف الى الكتاب والسنة دون القياس واجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة رسوله فانه يدل على ان الاحكام ثلاثة مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) فان الايمان يوجب ذلك (ذلك) اى الرد (خير) لكم (واحسن تأويلا) عاقبة اواحسن تأويلا من تأويلكم بلارد (الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت) عن ابن عباس رضى الله عنهما ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودى الى النبى صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودى ولم يرض المنافق بقضائه وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودي لعمر قضى لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر رضى الله تعالى عنه للمنافق اكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا اقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبرائيل ان عمر قد فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق والطاغوت على هذا كعب بن الاشرف وفى معناه من يحكم بالباطل ويؤثر لاجله فسمى بذلك لفرط طغيانه او للتشبيه بالشيطان او لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل عليه كما قال (وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا) وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع لقوله تعالى * اولياءهم الطاغوت يخرجونهم (واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول) وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير (رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) هو مصدر اواسم للمصدر الذى هو الصد والفرق بينه وبين السد انه غير محسوس والسد محسوس ويصدون فى موضع الحال (فكيف) تكون حالهم (اذا اصابتهم مصيبة) كقتل عمر المنافق او النقمة من الله تعالى (بما قدمت ايديهم) من التحاكم الى غيرك وعدم الرضى بحكمك (ثم جاؤك) حين يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل على يصدون وما بينهما اعتراض

المعاصى (والعدوان) التعدى فى حدود الله (واتقوا الله) خافوا عقابه بأن تطيعوه (ان الله شديد العقاب) لمن خالفه (حرمت عليكم الميتة) أى أكلها (والدم) أى المسفوح كما فى الانعام (ولحم الخنزير وماأهل لغيرالله به) بان ذبح على اسم غيره (والمنخنقة) الميتة خنقا (والموقوذة) المقتولة ضربا (والمتردية) الساقطة من علو الى سفل فماتت (والنطيحة) المقتولة بنطح أخرى لها (وماأكل السبع) منه (الاماذكيتم) أى أدركتم فيه الروح من هذه الاشياء فذبحتموه (وماذبح على) اسم (النصب) جمع نصاب وهى الاصنام (وأن تستقسموا) تطلبوا القسم والحكم (بالازلام) جمع زلم بفتح الزاى وضمها مع فتح اللام قدح بكسر القاف صغير لاريش له ولانصل وكانت سبعة عند سادن الكعبة عليها أعلام وكانوا يحكمونها فان أمرتهم ائتمروا وان نهتهم انتهوا (ذلكم فسق) خروج عن الطاعة * ونزل بعرفة

(يحلفون بالله) حال (ان اردنا الا احسانا و توفيقا) ما اردنا بذلك الا الفصل بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء اصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا مااردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه (اولئك الذين يعلم الله مافى قلوبهم) من النفاق فلايغنى عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب (فاعرض عنهم) اى عن عقابهم لمصلحة فى استبقائهم اوعن قبول معذرتهم (وعظهم) بلسانك وكفهم عماهم عليه (وقل لهم فى انفسهم) اى فى معنى انفسهم او خاليا بهم فان النصح فى السر انجع (قولا بليغا) يبلغ منهم ويؤثر فيهم امره بالتجافى عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الانبياء عليهم السلام وتعليق الظرف ببليغا على معنى بليغا فى انفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان معمول الصفة لايتقدم على الموصوف والقول البليغ فى الاصل هو الذى يطابق مدلوله المقصود به (وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) بسبب اذنه فى طاعته وامره المبعوث اليهم بان يطيعوه وكأنه احتج بذلك على ان الذى لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كان كافرا مستوجب القتل وتقريره ان ارسال الرسول لما لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل (ولو انهم اذ ظلموا انفسهم) بالنفاق او التحاكم الى الطاغوت (جاؤك) تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق به (فاستغفروا الله) لذنوبهم بالتوبة والاخلاص (واستغفر لهم الرسول) واعتذروا اليك حتى انتصبت لهم شفيعا وانما عدل عن الخطاب تفخيما لشأنه وتنبيها على ان من حق الرسول ان يقبل اعتذار التائب وان عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه ان يشفع فى كبائر الذنوب (لوجدوا الله توابا رحيما) لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف كان توابا حالا ورحيما بدلا منه اوحالا من الضمير فيه (فلاوربك) اى فوربك ولامزيدة لتأكيد القسم لالتظاهر لافى قوله (لايؤمنون) لانها تزاد ايضا فى الاثبات كقوله تعالى * لااقسم بهذا البلد (حتى يحكموك فيما شجر بينهم) فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه (ثم لايجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت) ضيقا مما حكمت به او من حكمك اوشكا من اجله فان الشاك

عام حجة الوداع (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم) أن ترتدوا عنه بعد طمعهم فى ذلك لما رأوا من قوته (فلاتخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم) أحكامه وفرائضه فلم ينزل بعدها حلال ولاحرام (وأتممت عليكم نعمتى) باكماله وقيل بدخول مكة آمنين (ورضيت) أى اخترت (لكم الاسلام دينا فمن اضطر فى مخمصة) مجاعة الى أكل شئ مما حرم عليه فاكله (غير متجانف) مائل (لاثم) معصية (فان الله غفور) له ما أكل (رحيم) به فى اباحته له بخلاف المائل لاثم أى المتلبس به كقاطع الطريق والباغى مثلا فلايحل له الاكل (يسألونك) يامحمد (ماذا احل لهم) من الطعام (قل أحل لكم الطيبات) المستلذات (و) صيد (ماعلمتم من الجوارح) الكواسب من الكلاب والسباع والطير (مكلبين) حال من كلبت الكلب بالتشديد أى أرسلته على الصيد (تعلمونهن) حال من ضمير مكلبين أى تؤدبونهن (مما علمكم الله) من آداب

فى ضيق من امره (ويسلموا تسليما) وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم (ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم) تعرضوا بها للقتل بالجهاد او اقتلوها كما قتل بنوا اسرائيل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا فى معنى امرنا (او اخرجوا من دياركم) خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل وقرأ ابو عمرو ويعقوب ان اقتلوا بكسر النون على اصل التحريك او اخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع فى نحو قوله تعالى ولا تنسوا الفضل وقرأ حمزة وعاصم بكسرهما على الاصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل (مافعلوه الاقليل منهم) الاناس قليل وهم المخلصون لما بين ان ايمانهم لايتم الابان يسلموا حق التسليم نبه على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا او لاحد مصدرى الفعلين وقرأ ابن عامر بالنصب على الاستثناء او على الافعلا قليلا (ولو انهم فعلوا مايوعظون به) من متابعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومطاوعته طوعا ورغبة (لكان خيرا لهم) فى عاجلهم وآجلهم (واشد تثبيتا) فى دينهم لانه اشد لتحصيل العلم ونفى الشك او تثبيتا لثواب اعمالهم ونصبه على التميز والآية ايضا مما نزلت فى شأن المنافق واليهودى وقيل انها والتى قبلها نزلتا فى حاطب بن ابى بلتعة خاصم زبيرا فى شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخيل فقال عليه الصلوة والسلام اسق يازبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال حاطب لان كان ابن عمتك فقال عليه الصلوة والسلام اسق يازبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك (واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما) جواب لسؤال مقدر كأنه قيل ومايكون لهم بعد التثبيت فقال واذا لو ثبتوا لآتيناهم لان اذا جواب وجزاء (ولهديناهم صراطا مستقيما) يصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح عليهم ابواب الغيب قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم (ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم) مزيد ترغيب فى الطاعة بالوعد عليها مرافقة اكرم الخلائق واعظمهم قدرا (من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) بيان للذين او حال منه او من ضمير عليهم قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم فى العلم والعمل وحث كافة الناس على ان لايتأخروا عنهم وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقى النظر

الصيد (فكلوا مما أمسكن عليكم) وان قتلنه بان لم يأكلن منه بخلاف غير المعلمة فلا يحل صيدها وعلامتها أن تسترسل اذا ارسلت وتنزجر اذا زجرت وتمسك الصيد ولا تأكل منه واقل مايعرف به ذلك ثلاث مرات فان أكلت منه فليس مما امسكن على صاحبها فلا يحل أكله كما فى حديث الصحيحين وفيه ان صيد السهم اذا ارسل وذكر اسم الله عليه كصيد المعلم من الجوارح (واذكروا اسم الله عليه) عند ارساله (واتقوا الله ان الله سريع الحساب اليوم احل لكم الطيبات) المستلذات (وطعام الذين أوتوا الكتاب) اى ذبائح اليهود والنصارى (حل) حلال (لكم وطعامكم) اياهم (حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات) الحرائر (من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم) حل لكم ان تنكحوهن (اذا آتيتموهن أجورهن) مهورهن (محصنين) متزوجين (غير مسافحين) معلنين

في الحجج والآيات واخرى بمعارج التصفية والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا عنها على ماهي عليها ثم الشهداء الذين ادى بهم الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم في اعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته ولك ان تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله وهؤلاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين في مقام الاستدلال والبرهان والاولون اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشئ قريبا وهم الانبياء عليهم الصلوة والسلام او لا فيكونون كمن يرى الشئ من بعيد وهم الصديقون والآخرون اما ان يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم شهداء الله في ارضه واما ان يكون بامارات واقناعات تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون (وحسن اولئك رفيقا) في معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز او الحال ولم يجمع لانه يقال للواحد والجمع كالصديق او لانه اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روى ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فسأله عن حاله فقال مابي من وجع غير اني اذا لم اراك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان دخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت (ذلك) مبتدأ اشارة الى ماللمطيعين من الاجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم او الى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم (الفضل) صفته (من الله) خبره او الفضل خبر ومن الله حال والعامل فيه معنى الاشارة (وكفى بالله عليما) بجزاء من اطاعه او بمقادير الفضل واستحقاق اهله (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم) تيقظوا واستعدوا للاعداء والحذر والحذر كالاثر والاثر وقيل مايحذر به كالحزم والسلاح (فانفروا) فاخرجوا الى الجهاد (ثبات) جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبيت على فلان تثبية اذا ذكرت متفرق محاسنه وتجمع ايضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه (او انفروا جميعا) مجتمعين كوكبة واحدة والآية وان نزلت في الحرب لكن يقتضى اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات كلها كيفما امكن قبل الفوات (وان منكم لمن ليبطئن) الخطاب لعسكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطأ بمعنى ابطأ وهو لازم او ثبطوا

بالزنا بهم (ولا متخذى أخدان) منهن تسرون بالزنا بهن (ومن يكفر بالايمان) اى يرتد (فقد حبط عمله) الصالح قبل ذلك فلا يعتد به ولا يثاب عليه (وهو في الآخرة من الخاسرين) اذا مات عليه (يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم) اى اردتم القيام (الى الصلوة) وانتم محدثون (فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق) اى معها كما بينته السنة (وامسحوا برؤسكم) الباء للالصاق اى ألصقوا المسح بها من غير اسالة ماء وهو اسم جنس فيكفى اقل مايصدق عليه وهو مسح بعض شعرة وعليه الشافعى (وارجلكم) بالنصب عطفا على ايديكم وبالجر على الجوار (الى الكعبين) اى معهما كما بينته السنة وهما العظمان الناتئان في كل رجل عند مفصل الساق والقدم والفصل بين الايدى والارجل المغسولة بالرأس الممسوح يفيد وجوب الترتيب في طهارة هذه الاعضاء وعليه الشافعى ويؤخذ من

غيرهم كما ثبط ابن ابى اناسا يوم احد من بطأ منقولا من بطؤ كثقل من ثقل واللام الاولى للابتداء دخلت على اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه مااستكن فى ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن (فان اصابتكم مصيبة) كقتل وهزيمة (قال) اى المبطئ (قد انعم الله على اذ لم اكن معهم شهيدا) حاضرا فى تلك الغزاة فيصيبنى مااصابهم (ولئن اصابكم فضل من الله) كفتح وغنيمة (ليقولن) اكده تنبيها على فرط تحسرهم وقرئ بضم اللام اعادة للضمير على معنى من (كأن لم يكن بينكم وبينه مودة) اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو (ياليتنى كنت معهم فافوز فوزا عظيما) للتنبيه على ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه وانما يريد ان يكون معكم لمجرد المال او حال من الضمير فى ليقولن او داخل فى المقول اى يقول المبطئ لمن ثبطه من المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا وحسدا كان لم يكن بينكم وبين محمد مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز ياليتنى كنت معهم وقيل انه متصل بالجملة الاولى وهو ضعيف اذ لا يفصل ابعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وهو محذوف وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب تكن بالتاء لتأنيث لفظ المودة والمنادى فى ياليتنى محذوف اى ياقوم وقيل ياأطلق للتنبيه على الاتساع فافوز نصب على جواب التمنى وقرئ بالرفع على تقدير فانا افوز فى ذلك الوقت او العطف على كنت (فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة) اى الذين يبيعونها بها والمعنى ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم فى طلب الآخرة او الذين يشترونها ويختارونها على الآخرة وهم المبطؤن والمعنى حثهم على ترك ما حكى عنهم (ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما) وعده الاجر العظيم غلب او غلب ترغيبا فى القتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله على اذ لم اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد ينبغى ان يثبت فى المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة وان لايكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين (ومالكم) مبتدأ وخبر (لاتقاتلون فى سبيل الله) حال والعامل فيها مافى الظرف من معنى الفعل (والمستضعفين) عطف على اسم الله اى وفى سبيل

السنة وجوب النية فيه كغيره من العبادات (وان كنتم جنبا فاطهروا) فاغتسلوا (وان كنتم مرضى) مرضا يضره الماء (اوعلى سفر) اى مسافرين (اوجاء أحد منكم من الغائط) اى أحدث (اولامستم النساء) سبق مثله فى آية النساء (فلم تجدوا ماء) بعد طلبه (فتيمموا) اقصدوا (صعيدا طيبا) ترابا طاهرا (فامسحوا بوجوهكم وايديكم) مع المرفقين (منه) بضربتين والباء للالصاق وبينت السنة ان المراد استيعاب العضوين بالمسح (مايريد الله ليجعل عليكم من حرج) ضيق بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم (ولكن يريد ليطهركم) من الاحداث والذنوب (وليتم نعمته عليكم) بالاسلام ببيان شرائع الدين (لعلكم تشكرون) نعمه (واذكروا نعمة الله عليكم) بالاسلام (وميثاقه) عهده (الذى واثقكم به) عاهدكم عليه (اذ قلتم) للنبى

المستضعفين وهو تخليصهم من الاسر وصونهم عن العدو اوعلى سبيل
بحذف المضاف اى وفى خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص
فان سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من ايدى الكفار اعظمها
واخصها (من الرجال والنساء والولدان) بيان للمستضعفين وهم المسلمون
الذين بقوا بمكة لصد المشركين اوضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين
وانما ذكر الولدان مبالغة فى الحث وتنبيها على تناهى ظلم المشركين
بحيث بلغ اذاهم الصبيان وان دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم فى الدعاء
حتى يشاركوا فى استنزال الرحمة واستدفاع البلية وقيل المرابه العبيد
والاماء وهو جمع وليد (الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها
واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا) فاستجاب الله دعاءهم بان يسر
لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقى منهم خير ولى و ناصر ففتح مكة على يد
نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم و نصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد
فحماهم و نصرهم حتى صاروا أعزاء اهلها والقرية مكة والظالم صفتها
تذكيره لتذكير ما استداليه فان اسم الفاعل اوالمفعول اذا جرى على غير
من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث على حسب ما عمل فيه (الذين آمنوا يقاتلون
فى سبيل الله) فيما يصلون به الى الله (والذين كفروا يقاتلون فى سبيل
الطاغوت) فيما يبلغ بهم الى الشيطان (فقاتلوا اولياء الشيطان) لما ذكر
مقصد الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله
(ان كيد الشيطان كان ضعيفا) اى ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله
للكافرين ضعيف لايؤ به به فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم على اضعف
شئ واوهنه (الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم) اى عن القتال (واقيموا
الصلوة وآتوا الزكوة) واشتغلوا بما امرتم به (فلما كتب عليهم القتال اذا فريق
منهم يخشون الناس كخشية الله) يخشون الكفار ان يقتلوهم كما يخشون الله
ان ينزل عليهم بأسه واذا للمفاجأة جواب لما وفريق مبتدأ ومنهم صفته
ويخشون خبره كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر
اوالحال من فاعل يخشون على معنى يخشون الناس مثل اهل خشية الله منه
(او اشد خشية) عطف عليه ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا فلا
لان افعل التفضيل اذا نصب مابعده لم يكن من جنسه بل هو معطوف
على اسم الله تعالى اى كخشية الله او كخشية اشد خشية منه على الفرض

صلى الله عليه وسلم حين بايعتموه (سمعنا وأطعنا) فى كل ماتأمر به وتنهى ومما تحب وتكره (واتقوا الله) فى ميثاقه أن تنقضوه (ان الله عليم بذات الصدور) بما فى القلوب فبغيره أولى (ياايها الذين آمنوا كونوا قوامين) قائمين (لله) بحقوقه (شهداء بالقسط) بالعدل (ولا يجرمنكم) يحملنكم (شنآن) بغض (قوم) أى الكفار (على ألا تعدلوا) فتنالوا منهم لعداوتهم (اعدلوا) فى العدو والولى (هو) اى العدل (أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) فيجازيكم به (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وعدا حسنا (لهم مغفرة واجر عظيم) هو الجنة (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم ياايها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذهم قوم) هم قريش (ان يبسطوا) يمدوا (اليكم ايديهم) ليفتكوا بكم (فكف ايديهم عنكم) وعصمكم مما ارادوا

اللهم الا ان يجعل الخشية ذات خشية كقولهم جدجده على معنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله اوخشية اشدخشية من خشية الله (وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب) استزادة فى مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت ويحتمل انهم ماتفوهوا به ولكن قالوه فى انفسهم فحكى الله عنهم (قل متاع الدنيا قليل) سريع التقضى (والاخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا) ولا تنقصون ادنى شئ من ثوابكم فلا ترغبوا عنه اومن آجالكم المقدرة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى ولا يظلمون لتقدم الغيبة (اينما تكونوا يدرككم الموت) وقرئ بالرفع على حذف الفاء كما فى قوله * من يفعل الحسنات الله يشكرها * اوعلى انه كلام مبتدأ وايما متصل بلا تظلمون (ولو كنتم فى بروج مشيدة) فى قصور اوحصون مرتفعة والبروج فى الاصل بيوت على اطراف القصر من تبرجت المرأة اذاظهرت وقرئ مشيدة بكسر الياء وصفا لها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه (وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك) كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية تقعان على النعمة والبلية وهما المراد فى الآية اى ان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى الله وان تصبهم بلية كقحط اضافوها اليك وقالوا ان هى الا بشؤمك كما قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها (قل كل من عند الله) اى يبسط ويقبض حسب ارادته (فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا) يوعظون به وهو القرآن فانهم لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا ان الكل من عند الله اوحديثا ما كبهائم لا افهام لهم اوحادثا من صروف الزمان فيتفكروا فيها فيعلموا ان الباسط والقابض هو الله تعالى (ما اصابك) يا انسان (من حسنة) من نعمة (فمن الله) تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافى نعمة الوجود فكيف يقضى غيره ولذلك قال عليه السلام ما يدخل الجنة احد الا برحمة الله تعالى قيل ولا انت قال ولا انا (وما اصابك من سيئة) من بلية (فمن نفسك) لانها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصى وهو لا ينافى قوله تعالى قل كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان الحسنة احسان وامتحان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رضى الله تعالى عنها ما من مسلم يصيبه وصب

بكم (واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل) مما يذكر بعد (وبعثنا) فيه التفات عن الغيبة اقتنا (منهم اثنى عشر نقيبا) من كل سبط نقيب يكون كفيلا على قومه بالوفاء بالعهد توثقة عليهم (وقال) لهم (الله انى معكم) بالعون والنصرة (لئن) لام قسم (أقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلى وعزرتموهم) نصرتموهم (وأقرضتم الله قرضا حسنا) بالانفاق فى سبيله (لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك) الميثاق (منكم فقد ضل سواء السبيل) أخطأ طريق الحق والسواء فى الاصل الوسط فنقضوا الميثاق قال تعالى (فبما نقضهم) ما زائدة (ميثاقهم لعناهم) ابعدناهم عن رحمتنا (وجعلنا قلوبهم قاسية) لا تلين لقبول الايمان (يحرفون الكلم) الذى فى التورية من نعت محمد وغيره (عن مواضعه) التى

ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر والآيتان كما ترى لاحجة فيهما لنا وللمعتزلة ﴿وارسلناك للناس رسولا﴾ حال قصد بها التأكيد ان علق الجار بالفعل والتعميم ان علق بها اى رسولا للناس جميعا كقوله تعالى * وما ارسلناك الا كافة للناس * ويجوز نصبه على المصدر كقوله * ولا خارجا من فى زور كلام *﴿ وكفى بالله شهيدا ﴾ على رسالتك بنصب المعجزات ﴿من يطع الرسول فقد اطاع الله﴾ لانه عليه الصلوة والسلام فى الحقيقة مبلغ والآمر هو الله روى انه عليه السلام قال من احبنى فقد احب الله ومن اطاعنى فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ﴿ومن تولى﴾ عن طاعته ﴿ فما ارسلناك عليهم حفيظا ﴾ تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال من الكاف ﴿ ويقولون ﴾ اذا امرتهم بامر ﴿ طاعة ﴾ اى امرنا طاعة او منا طاعة واصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة على الثبات ﴿ فاذا برزوا من عندك ﴾ خرجوا ﴿ بيت طائفة منهم غير الذى تقول ﴾ اى زورت خلاف ما قلت لها او ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة لان الامور تدبر بالليل او من بيت الشعر او البيت المبنى لانه يسوى ويدبر وقرأ ابو عمرو وحمزة بيت طائفة بالادغام لقربهما فى المخرج ﴿ والله يكتب ما يبيتون ﴾ يثبته فى صحائفهم للمجازاة او فى جملة ما يوحى اليك لتطلع على اسرارهم ﴿ فاعرض عنهم ﴾ قلل المبالاة بهم او تجاف عنهم ﴿ وتوكل على الله ﴾ فى الامور كلها سيما فى شأنهم ﴿ وكفى بالله وكيلا ﴾ يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم ﴿افلا يتدبرون القرآن﴾ يتأملون فى معانيه ويتبصرون ما فيه واصل التدبر النظر فى ادبار الشيء ﴿ ولو كان من عند غير الله ﴾ اى ولو كان كلام البشر كما زعم الكفار ﴿ لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه يصعب معارضته وبعضه تسهل ومطابقة بعض اخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض احكامه دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية ولعل ذكره ههنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض فى الحكم بل لاختلاف الاحوال فى الحكم والمصالح ﴿واذا جاءهم امر من الامن او الخوف﴾

وضعه الله عليها أى يبدلونه (ونسوا) تركوا (حظا) نصيبا (مما ذكروا) أمروا (به) فى التورية من اتباع محمد (ولا تزال) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (تطلع) تظهر (على خائنة) اى خيانة (منهم) بنقض العهد وغيره (الا قليلا منهم) ممن أسلم (فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين) وهذا منسوخ بآية السيف (ومن الذين قالوا انا نصارى) متعلق بقوله (أخذنا ميثاقهم) كما أخذنا على بنى اسرائيل اليهود (فنسوا حظا مما ذكروا به) فى الانجيل من الايمان وغيره ونقضوا الميثاق (فأغرينا) أوقعنا (بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة) بتفرقهم واختلاف أهوائهم فكل فرقة تكفر الاخرى (وسوف ينبئهم الله) فى الآخرة (بما كانوا يصنعون) فيجازيهم عليه (ياأهل الكتاب) اليهود والنصارى (قد جاءكم رسولنا) محمد (يبين لكم

مما يوجب الامن اوالخوف (اذاعوا به) افشوه كما يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اواخبرهم الرسول بما اوحى اليه من وعد بالظفر اوتخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم جزمهم وكانت اذاعتهم مفسدة والباء مزيدة اولتضمين الاذاعة معنى التحدث (ولو ردوه) ولو ردوا ذلك الخبر (الى الرسول والى اولى الامر منهم) الى رأيه ورأى كبار اصحابه البصراء بالامور اوالامراء (لعلمه) اى لعلمه على اى وجه يذكره (الذين يستنبطونه منهم) يستخرجون تدبيره بتجاربهم وانظارهم وقيل كانوا يسمعون اراجيف المنافقين فيذيعونها فيعود وبالا على المسلمين ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم حتى سمعوه منهم وتعرفوا انه هل يذاع اولا يذاع لعلم ذلك هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول واولى الامر اى يستخرجون علمه من جهتهم واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر اول ماتحفر (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) بارسال الرسول وانزال الكتاب (لاتبعتم الشيطان) بالكفر والضلال (الاقليلا) الاقليلا منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به الى الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل اوالااتباعا قليلا على الندور (فقاتل فى سبيل الله) ان تثبطوا وتركوك وحدك (لاتكلف الانفسك) الافعل نفسك لايضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك لاالجنود روى انه عليه الصلوة والسلام دعا الناس فى بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج عليه السلام وما معه الاسبعون لم يلو على احد وقرئ لاتكلف بالجزم ولانكلف بالنون على بناء الفاعل اى لانكلفك الأفعل نفسك لانا لانكلف احدا الانفسه لقوله (وحرض المؤمنين) على القتال اذ ما عليك فى شأنهم الاالتحريض (عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا) يعنى قريشا وقد فعل بان القى فى قلوبهم الرعب حتى رجعوا (والله اشد بأسا) من قريش (واشد تنكيلا) تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه (من يشفع شفاعة حسنة) راعى بها حق مسلم ودفع بها عنه ضررا اوجلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله تعالى ومنها الدعاء للمسلم قال صلى الله تعالى عليه وسلم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك (يكن له نصيب منها) وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها (ومن

كثيرا مما كنتم تخفون) تكتمون (من الكتاب) التورية والانجيل كآية الرجم وصفته (ويعفو عن كثير) من ذلك فلايبينه اذا لم يكن فيه مصلحة الا افتضاحكم (قدجاءكم من الله نور) هو النبى صلى الله عليه وسلم (وكتاب) قرآن (مبين) بين ظاهر (يهدى به) اى بالكتاب (الله من اتبع رضوانه) بان آمن (سبل السلام) طرق السلامة (ويخرجهم من الظلمات) الكفر (الى النور) الايمان (باذنه) بارادته (ويهديهم الى صراط مستقيم) دين الاسلام (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) حيث جعلوه الها وهم اليعقوبية فرقة من النصارى (قل فمن يملك) ان يدفع (من) عذاب (الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن فى الارض جميعا) اى لااحد يملك ذلك ولوكان المسيح الها لقدر عليه (ولله ملك السموات

يشفع شفاعة سيئة) يريد بها محرما (يكن له كفل منها) نصيب من وزرها
مساو لها فى القدر (وكان الله على كل شئ مقيتا) مقتدرا من اقات على الشئ
اذا قدر قال * وذى ضغن كففت الضغن عنه * وكنت على اساءته مقيتا *
او شهيدا حافظا واشتقاقه من القوت فانه يقوى البدن ويحفظه (واذا حييتم
بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها) الجمهور على انه فى السلام ويدل على وجوب
الجواب اما باحسن منه وهو ان يزيد عليه ورحمة الله فان قاله المسلم زاد وبركاته
وهى النهاية واما برد مثله لما روى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال الآخر السلام عليك
ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك
ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتنى فاين ما قال الله تعالى
وتلا الآية فقال انك لم تترك لى فضلا فرددت عليك مثله وذلك لاستجماعه
اقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها ومنه قيل او للترديد
بين ان يحيي المسلم ببعض التحية وبين ان يحيي بتمامها وهذا الوجوب على الكفاية
وحيث السلام مشروع فلا يرد فى الخطبة وقراءة القرآن وفى الحمام وعند
قضاء الحاجة ونحوها والتحية فى الاصل مصدر حياك الله على الاخبار من الحيوة
ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب فى السلام وقيل المراد
بالتحية العطية واوجب الثواب او الرد على المتهب وهو قول قديم
للشافعى رضى الله تعالى عنه (ان الله كان على كل شئ حسيبا) يحاسبكم
على التحية وغيرها (الله لا اله الا هو) مبتدأ وخبر او الله مبتدأ والخبر
(ليجمعنكم الى يوم القيمة) اى الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيمة
او مفضين اليه او فى يوم القيمة ولا اله الا هو اعتراض والقيام والقيمة
كالطلاب والطلابة وهى قيام الناس من القبور او للحساب (لاريب فيه)
فى اليوم او الجمع فهو حال من اليوم او صفة للمصدر (ومن اصدق من الله
حديثا) انكار ان يكون احد اكثر صدقا منه فانه لا يتطرق الكذب
الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله محال (فما لكم فى المنافقين) فما لكم تفرقتم
فى امر المنافقين (فئتين) اى فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك ان ناسا
منهم استأذنوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الخروج الى البدو
لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا
بالمشركين فاختلف المسلمون فى اسلامهم وقيل نزلت فى المتخلفين يوم

(احد)

والارض ومابينهما يخلق
مايشاء والله على كل شئ
شاء (قدير وقالت اليهود
والنصارى) اى كل منهما
(نحن أبناء الله) اى كابنائه
فى القرب والمنزلة وهو
كأبينا فى الرحمة والشفقة
(وأحباؤه قل) لهم يامحمد
(فلم يعذبكم بذنوبكم)
ان صدقتم فى ذلك ولا يعذب
الاب ولده ولا الحبيب حبيبه
وقد عذبكم فأنتم كاذبون
(بل انتم بشر ممن) جملة
من (خلق) من البشر
لكم مالهم وعليكم ما عليهم
(يغفر لمن يشاء) المغفرة له
(ويعذب من يشاء) تعذيبه
لا اعتراض عليه (ولله ملك
السموات والارض ومابينهما
واليه المصير) المرجع
(ياأهل الكتاب قد جاءكم
رسولنا) محمد (يبين لكم)
شرائع الدين (على فترة)
انقطاع (من الرسل)
اذ لم يكن بينه وبين عيسى
رسول ومدة ذلك خمسمائة
وتسع وستون سنة ا (ان)
لا (تقولوا) اذا عذبتم
(ماجاءنا من) زائدة (بشير
ولانذير فقد جاءكم بشير

احداوفى قوم هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشتياق الى الوطن اوقوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها لكم كقولك مالك قائما وفى المنافقين حال من فئتين اى متفرقين فيهم اومن الضمير اى فمالكم تفترقون فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين (والله اركسهم بما كسبوا) ردهم الى حكم الكفرة اونكسهم بان صيرهم للنار واصل الركس رد الشئ مقلوبا (اتريدون ان تهدوا من اضل الله) ان تجعلوه من المهتدين (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) الى الهدى (ودوا لو تكفرون كما كفروا) تمنوا ان تكفروا ككفرهم (فتكونون سواء) فتكونون معهم سواء فى الضلال وهو عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمنى لجاز (فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله) فلا توالوهم حتى يؤمنوا اويحققوا ايمانهم بهجرة هى لله ولرسوله لا لاغراض الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه (فان تولوا) عن الايمان الظاهر بالهجرة اوعن اظهار الدين (فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم) كسائر الكفرة (ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا) اى جانبوهم رأسا ولا تقبلوا منهم ولاية ونصرة (الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق) استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم اى الا الذين يتصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربتكم والقوم هم خزاعة وقيل هم الاسلميون فانه عليه الصلوة والسلام وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمى على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن لجأ اليه فله من الجوار مثل ماله وقيل بنو بكر بن زيد مناة (او جاؤكم) عطف على الصلة اى والذين جاؤكم كافين من قتالكم وقتال قومهم استثنى من المأمور باخذهم وقتلهم من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين او اتى الرسول وكف عن قتال الفريقين اوعلى صفة قوم وكأنه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين اوقوم كافين عن القتال لكم وعليكم والاول اظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على انه صفة بعد صفة اوبيان ليصلون اواستئناف (حصرت صدورهم) حال باضمار قد ويدل عليه انه قرئ حصرة صدورهم وحصرات صدورهم اوبيان لجاؤكم وقيل صفة محذوف اى جاؤكم قوما حصرت صدورهم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض (ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم) اى عن ان اولان اوكراهة ان يقاتلوكم

ونذير) فلا عذر لكم اذا (والله على كل شئ قدير) ومنه تعذيبكم ان لم تتبعوه (و) اذكر (اذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمت الله عليكم اذ جعل فيكم) أى منكم (انبياء وجعلكم ملوكا) أصحاب خدم وحشم (وآتاكم مالم يؤت أحدا من العالمين) من المن والسلوى وفلق البحر وغير ذلك (ياقوم ادخلوا الارض المقدسة) المطهرة (التى كتب الله لكم) أمركم بدخولها وهى الشام (ولا ترتدوا على أدباركم) تنهزموا خوف العدو (فتنقلبوا خاسرين) فى سعيكم (قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين) من بقايا عاد طوالا ذوى قوة (وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون) لها (قال) لهم (رجلان من الذين يخافون) مخالفة أمر الله وهما يوشع وكالب من النقباء الذين بعثهم موسى فى كشف احوال الجبابرة (أنعم الله عليهما

(ولو شاء الله لسلطهم عليكم) بان قوى قلوبهم وبسط صدورهم وازال
الرعب عنهم (فلقاتلوكم) ولم يكفوا عنكم (فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم)
فان لم يتعرضوا لكم (والقوا اليكم السلم) الاستسلام والانقياد (فما جعل الله
لكم عليهم سبيلا) فما اذن لكم فى اخذهم وقتلهم (ستجدون آخرين
يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم) هم اسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار اتوا
المدينة واظهروا الاسلام ليأمنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا (كلما ردوا
الى الفتنة) دعوا الى الكفر او الى قتال المسلمين (اركسوا فيها) عادوا
اليها وقلبوا فيها اقبح قلب (فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم) وينبذوا
اليكم العهد (ويكفوا ايديهم) عن قتالكم (فخذوهم واقتلوهم حيث
ثقفتموهم) حيث تمكنتم منهم فان مجرد الكف لا يوجب نفى التعرض (واولئكم
جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) حجة واضحة فى التعرض لهم بالقتل والسبى
لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم او تسلطا ظاهرا حيث اذن لكم
فى قتلهم (وما كان لمؤمن) وما صح له وليس من شأنه (ان يقتل مؤمنا) بغير حق
(الا خطأ) فانه على عرضته ونصبه على الحال او المفعول له اى لا يقتله فى شئ
من الاحوال الا حال الخطأ او لا يقتله لعلة الا للخطأ او على انه صفة مصدر
محذوف اى الا قتلا خطأ وقيل ما كان نفى فى معنى النهى والاستثناء منقطع اى
لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يصاحبه القصد الى الفعل
او الشخص او ما لا يقصد به زهوق الروح غالبا او ما لا يقصد به محظور كرمى
المسلم فى صف الكفار مع الجهل باسلامه او يكون فعل غير المكلف وقرئ
خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والآية نزلت فى عياش بن ابى
ربيعة اخى ابى جهل من الام لقى حارث بن زيد فى طريق وكان قد اسلم
ولم يشعر به عياش فقتله (ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة) اى فعليه
او فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر كالعتيق للكريم من الشئ
ومنه حر الوجه لا كرم موضع منه سمى به لان الكرم فى الاحرار واللؤم
فى العبيد والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر عنها بالرأس (مؤمنة) محكوم
باسلامها وان كانت صغيرة (ودية مسلمة الى اهله) مؤداة الى ورثته
يقتسمونها كسائر المواريث لقول ضحاك بن سفيان الكلابى كتب
الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يأمرنى ان اورث امرأة اشيم الضبابى
من عقل زوجها وهى على العاقلة فان لم تكن فعلى بيت المال فان لم يكن

بالعصمة فكتما ما اطلعا عليه
من حالهم الا عن موسى
بخلاف بقية النقباء فافشوه
فجبنوا (ادخلوا عليهم
الباب) باب القرية
ولا تخشوهم فانهم اجساد
بلا قلوب (فاذا دخلتموه
فانكم غالبون) قالا ذلك
تيقنا بنصر الله وانجاز وعده
(وعلى الله فتوكلوا ان كنتم
مؤمنين قالوا ياموسى انا لن
ندخلها أبدا ماداموا فيها
فاذهب انت وربك فقاتلا)
هم (انا ههنا قاعدون)
عن القتال (قال) موسى
حينئذ (رب انى لا أملك
الا نفسى و) الا (أخى)
ولا أملك غيرهما فاجبرهم على
الطاعة (فافرق) فافصل
(بيننا وبين القوم الفاسقين
قال) تعالى له (فانها) اى
الارض المقدسة (محرمة
عليهم) ان يدخلوها (اربعين
سنة يتيهون) يتحيرون
فى الارض (فى الارض) وهى
تسعة فراسخ قاله ابن عباس
(فلا تأس) تحزن (على القوم
الفاسقين) روى انهم كانوا
يسيرون الليل جادين فاذا

ففى ماله (الا ان يصدقوا) يتصدقوا عليه بالدية سمى العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه او بمسامة اى تجب الدية عليه او يسلمها الى اهله الا حال تصدقهم عليه او زمانه فهو فى محل النصب على الحال من القاتل اوالاهل اوالظرف (فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) اى ان كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين او فى تضاعيفهم ولم يعلم ايمانه فعلى قاتله الكفارة دون الدية لاهله اذلاوراثة بينه وبينهم ولانهم محاربون (وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة) اى وان كان من قوم كفرة معاهدين اواهل الذمة فحكمه حكم المسلم فى وجوب الكفارة والدية ولعله فيما اذا كان المقتول معاهدا اوكان له وارث مسلم (فمن لم يجد) رقبة بان لم يملكها ولامايتوصل به اليها (فصيام شهرين متتابعين) فعليه او فالواجب عليه صيام شهرين (توبة) نصب على المفعول له اى شرع ذلك له توبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته اوعلى المصدر اى تاب الله عليكم توبة او حال بحذف مضاف اى فعليه صيام شهرين ذا توبة (من الله) صفتها (وكان الله عليما) بحاله (حكيما) فيما امر فى شأنه (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما) لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس رضى الله عنهما لاتقبل توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله اراد به التشديد اذ روى عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب لقوله تعالى * وانى لغفار لمن تاب * ونحوه وهو عندنا اما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره ويؤيده انه نزل فى مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاما قتيلا فى بنى النجار ولم يظهر قاتله فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدفعوا اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا او المراد بالخلود المكث الطويل فان الدلائل متظاهرة على ان عصاة المسلمين لايدوم عذابهم (ياأيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله) سافرتم وذهبتم الى الغزو (فتبينوا) فاطلبوا بيان الامر وثباته ولاتعجلوا (ولاتقولوا لمن القى اليكم السلام) لمن حياكم بتحية الاسلام وقرأ نافع وابن عامر وحمزة السلم بغير الالف اى الاستسلام والانقياد وفسر به السلام ايضا (لست مؤمنا) وانما فعلت ذلك متعوذا وقرئ مؤمنا بالفتح اى مبذولا له

أصبحوا اذاهم فى الموضع الذى ابتدؤا منه ويسيرون النهار كذلك حتى انقرضوا كلهم الا من لم يبلغ العشرين قيل وكانوا ستمائة ألف ومات هرون وموسى فى التيه وكان رحمة لهما وعذابا لأولئك وسأل موسى ربه عند موته ان يدنيه من الارض المقدسة رمية بحجر فادناه كما فى الحديث ونبئ يوشع بعد الاربعين وأمر بقتال الجبارين فسار بمن بقى معه وقاتلهم وكان يوم الجمعة ووقفت له الشمس ساعة حتى فرغ من قتالهم وروى أحمد فى مسنده حديث ان الشمس لم تحبس على بشر الا ليوشع ليالى سار الى بيت المقدس (واتل) يامحمد (عليهم) على قومك (نبأ) خبر (ابنى آدم) هابيل وقابيل (بالحق) متعلق باتل (اذ قربا قربانا) الى الله وهو كبش لهابيل وزرع لقابيل (فتقبل من أحدهما) وهو هابيل بأن نزلت نار من السماء فاكلت قربانه (ولم يتقبل من الآخر)

الامان (تبتغون عرض الحيوة الدنيا) تطلبون ماله الذى هو حطام الدنيا
سريع النفاد وهو حال من الضمير فى تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة
وترك التثبت (فعند الله مغانم كثيرة) تغنيكم عن قتل امثاله لماله (كذلك
كنتم من قبل) اى اول مادخلتم فى الاسلام تفوهتم بكلمتى الشهادة
فحصنت بهما دماءكم واموالكم من غير ان يعلم مواطأة قلوبكم السنتكم
(فمن الله عليكم) بالاشتهار بالايمان والاستقامة فى الدين (فتبينوا) وافعلوا
بالداخلين فى الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا
فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء الف كافر اهون عند الله من قتل امرئ مسلم
وتكريره تأكيد لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ماذكر من حالهم
(ان الله كان بما تعملون خبيرا) عالم به وبالغرض منه فلا تتهافتوا فى القتل
واحتاطوا فيه روى ان سرية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غزت
اهل فدك فهربوا وبقى مرداس ثقة باسلامه فلما رأى الخيل الجأ غنمه الى عاقول
من الجبل وصعد فلما تلاحقوا به وكبر واكبر ونزل وقال لا اله الا الله
محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل نزلت
فى المقداد مر برجل فى غنيمة فاراد قتله فقال لا اله الا الله فقتله اسامة وقال
ود لو فر باهله وماله وفيه دليل على صحة ايمان المكره وان المجتهد قد يخطئ
وان خطأه مغتفر (لا يستوى القاعدون) عن الحرب (من المؤمنين)
فى موضع الحال من القاعدين او من الضمير الذى فيه (غير اولى الضرر)
بالرفع صفة للقاعدين لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرأ نافع
وابن عامر والكسائى بالنصب على الحال او الاستثناء وقرئ بالجر على انه
صفة للمؤمنين او بدل منه وعن زيد بن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها
غير اولى الضرر فقال ابن ام مكتوب وكيف وانا اعمى فغشى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى مجلسه الوحى فوقعت فخذه على فخذى فخشيت ان ترضها
ثم سرى عنه فقال اكتب لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر
(والمجاهدون فى سبيل الله باموالهم وانفسهم) اى لا مساواة بينهم وبين
من قعد عن الجهاد من غير علة وفائدته تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب
القاعد فى الجهاد رفعا لرتبته وانفة عن انحطاط منزلته (فضل الله المجاهدين
باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة) جملة موضحة لما نفى الاستواء فيه
والقاعدون على التقييد السابق ودرجة نصب بنزع الخافض اى بدرجة او على

وهو قابيل فغضب وأضمر
الحسد فى نفسه الى ان حج
آدم (قال) له (لاقتلنك) قال
لم قال لتقبل قربانك دونى
(قال انما يتقبل الله من المتقين
لئن) لام قسم (بسطت)
مددت (الى يدك لتقتلنى ما أنا
بباسط يدى اليك لاقتلك
انى أخاف الله رب العالمين)
فى قتلك (انى أريد أن تبوء)
ترجع (باثمى) باثم قتلى
(واثمك) الذى ارتكبته
من قبل (فتكون من أصحاب
النار) ولا أريد أن أبوء
باثمك اذا قتلتك فأكون
منهم قال تعالى (وذلك جزاء
الظالمين فطوعت) زينت
(له نفسه قتل اخيه فقتله
فاصبح) فصار (من الخاسرين)
بقتله ولم يدر مايصنع به لانه
أول ميت على وجه الارض
من بنى آدم فحمله على ظهره
(فبعث الله غرابا يبحث
فى الارض) ينبش التراب
بمنقاره وبرجليه ويثيره
على غراب ميت معه
حتى واراه (ليريه كيف
يوارى) يستر (سوأة)
جيفة (أخيه قال ياويلتى
أعجزت) عن (أن أكون

(المصدر)

المصدر لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه او الحال بمعنى ذوى درجة (وكلا) من القاعدين والمجاهدين (وعد الله الحسنى) المثوبة الحسنى وهى الجنـة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت فى زيادة العمل المقتضى لمزيد الثواب (وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما) نصب على المصدر لان فضل بمعنى اجر او المفعول الثانى له لتضمنه معنى الاعطاء كأنه قيل واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما (درجات منه ومغفرة ورحمة) كل واحد منها بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته اسواطا واجرا على الحال منها تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعلهما كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبـا فيه وقيـل الاول ماخولهم فى الدنيـا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثـانى ماجعل لهم فى الآخرة وقيل الدرجة ارتفاع منزلتهم عند الله والدرجات منازلهم فى الجنة وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والقاعدون الثانى هم الذين اذن لهم فى التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والآخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عليه الصلوة والسلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر (وكان الله غفورا) لما عسى ان يفرط منهم (رحيما) بما وعدلهم (ان الذين توفيهم الملائكة) يحتمل الماضى والمضـارع وقرئ توفتهم وتوفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفى الملائكة انفسهم فيتـوفونها اى يمكنهم من اسـتيفائها فيستوفونها (ظالمى انفسهم) فى حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت فى ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة (قالوا) اى الملائكة توبيخا لهم (فيم كنتم) اى فى اى شئ كنتم من امر دينكم (قالوا كنا مستضعفين فى الارض) اعتذروا بما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة اوعن اظهار الدين واعلاء كلمته (قالوا) الملائكة تكذيبا لهم او تبكيتا لتركهم الواجب (الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها) الى قطر آخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة (فاولئك مأواهم جهنم) لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر ان والفاء فيه لتضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد او الخبر قالوا والعـائد محذوف اى قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة قبلهـا

مثل هذا الغراب فاوارى سوأة أخى فأصبح من النادمين) عـلى حمله وحفره له وواراه (من أجل ذلك) الذى فعله قابيل (كتبنا على بنى اسرائيل أنه) أى الشان (من قتل نفسا بغير نفس) قتلها (أو) بغير (فساد) أتاه (فى الارض) من كفر أو زنا أو قطع طريق أو نحوه (فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياهـا) بأن امتنع من قتلها (فكأنما أحيى الناس جميعا) قال ابن عباس من حيث انتهـاك حرمتها وصونها (ولقد جاءتهم) أى بنى اسرائيل (رسلنـا بالبينات) المعجزات (ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك فى الارض لمسرفون) مجـاوزون الحد بالكفر والقتل وغير ذلك ✽ ونزل فى العرنيين لما قدموا المدينة وهم مرضى فاذن لهم النبى صلى الله عليه وسـلم ان يخرجوا الى الابل ويشربوا من أبوالهـا وألبانهـا فلما صحوا قتلوا راعى النبى صلى الله عليـه وسلم واستاقوا الابل (انما جزاء الذين يحـاربون الله

مستنتجة منها (وساءت مصيرا) مصيرهم اوجهنم وفى الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لايتمكن الرجل فيه من اقامة دينه وعن النبى صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد عليهما الصلوة والسلام (الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان) استثناء منقطع لعدم دخولهم فى الموصول وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان ان اريد به المماليك فظاهر وان اريد به الصبيان فللمبالغة فى الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة فانهم اذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت (لايستطيعون حيلة ولايهتدون سبيلا) صفة للمستضعفين اذلاتوقيت فيه اوحال عنه اوعن المستكن فيه واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة ومايتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه او بدليل (فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم) ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لايأمن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه (وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا) متحولا من الرغام وهو التراب وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه اى يفارقهم على رغم انوفهم وهو ايضا من الرغام (وسعة) فى الرزق واظهار الدين (ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت) وقرئ يدركه بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار ان كقوله * والحق بالحجاز فاستريحا * (فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما) الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره عند الله تعالى ثبوت الامر الواجب والآية الكريمة نزلت فى جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله وقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على مابايع عليه رسولك فمات فيه (واذا ضربتم فى الارض) سافرتم (فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة) بتنصيف ركعاتها ونفى الحرج فيه يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده انه صلى الله تعالى عليه وسلم اتم فى السفر وان عائشة رضى الله تعالى عنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يارسول الله قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت ياعائشة واوجبه أبو حنيفة لقول عمر رضى الله تعالى عنه

ورسوله) بمحاربة المسلمين (ويسعون فى الارض فسادا) بقطع الطريق (ان يقتلوا او يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف) أى أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى (أو ينفوا من الارض) أو لترتيب الاحوال فالقتل لمن قتل فقط والصلب لمن قتل وأخذ المال والقطع لمن أخذ المال ولم يقتل والنفى لمن أخاف فقط قاله ابن عباس وعليه الشافعى وأصح قوليه أن الصلب ثلاثا بعد القتل وقيل قبله قليلا ويلحق بالنفى ما أشبهه فى التنكيل من الحبس وغيره (ذلك) الجزاء المذكور (لهم خزى) ذل (فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) هو عذاب النار (الا الذين تابوا) من المحاربين والقطاع (من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور) لهم ما أتوه (رحيم) بهم عبر بذلك دون فلاتحدوهم ليفيد أنه لا يسقط عنه بتوبته الاحدود الله دون حقوق الآدميين كذا ظهر لى ولم أر من تعرض له والله اعلم

صلوة السفر ركعتان تام غير قصر على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم ولقول عائشة رضى الله عنها اول مافرضت الصلوة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت فى السفر وزيدت فى الحضر وظاهرهما يخالف الآية الكريمة فان صحا فالاول مؤول بانه كالتام فى الصحة والاجزاء والثانى لاينفى جواز الزيادة فلا حاجة الى تأويل الآية بانهم الفوا الاربع فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان ركعتى السفر قصر ونقصان فسمى الاتيان بهما قصرا على ظنهم ونفى الجناح فيه لتطيب به نفوسهم واقل سفر يقصر فيه اربعة برد عندنا وستة عند ابى حنيفة وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى قصر ومن الصلوة صفة محذوف اى شيئا من الصلوة عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش (ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) شرطية باعتبار الغالب فى ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر قوله تعالى فإن خفتم ان لايقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت السنن على جوازه ايضا فى حال الامن وقرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة ان يفتنكم وهو القتال والتعرض بما يكره (واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلوة) تعلق بمفهومه من خص صلوة الخوف بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على انه تعالى علم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم كيفيتها ليأتم به الائمة بعده فانهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره (فلتقم طائفة منهم معك) فاجعلهم طائفتين فلتقم احديهما معك تصلون وتقوم الطائفة الاخرى تجاه العدو (وليأخذوا اسلحتهم) اى المصلون حزما وقيل الضمير للطائفة الاخرى وذكر الطائفة الاولى يدل عليهم (فاذا سجدوا) يعنى المصلين (فليكونوا) اى غير المصلين (من ورائكم) يحرسونكم يعنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومن يصلى معه فغلب المخاطب على الغائب (ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا) لاشتغالهم بالحراسة (فليصلوا معك) ظاهره يدل على ان الامام يصلى مرتين بكل طائفة مرة كافعله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ببطن النخل وان اريد به ان يصلى بكل ركعة ان كانت الصلوة ركعتين فكيفيته ان يصلى بالاولى ركعة وينتظر قائما حتى يتموا صلوتهم منفردين ويذهبوا الى وجه العدو وتأتى الاخرى فيتم بهم الركعة الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلوتهم ويسلم بهم كافعله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذات الرقاع وقال ابو حنيفة رحمه الله

فاذا قتل وأخذ المال يقتل ويقطع ولا يصلب وهو أصح قولى الشافعى ولاتفيد توبته بعد القدرة عليه شيئا وهو أصح قوليه أيضا (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله) خافوا عقابه بان تطيعوه (وابتغوا) اطلبوا (اليه الوسيلة) مايقربكم اليه من طاعته (وجاهدوا فى سبيله) لاعلاء دينه (لعلكم تفلحون) تفوزون (ان الذين كفروا لو) ثبت (أن لهم مافى الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة ماتقبل منهم ولهم عذاب أليم يريدون) يتمنون (أن يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم) دائم (والسارق والسارقة) أل فيهما موصولة مبتدأ ولشبهه بالشرط دخلت الفاء فى خبره وهو (فاقطعوا أيديهما) أى يمين كل منهما من الكوع وبينت السنة أن الذى يقطع فيه ربع دينار فصاعدا وأنه اذا عاد قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم ثم اليد اليسرى ثم الرجل اليمنى وبعد

يصلى بالاولى ركعة ثم تذهب هذه وتقف بازاء العدو وتأتى الاخرى فتصلى معه ركعة ويتم صلوتها ثم تعود الى وجه العدو وتأتى اولى فتؤدى الركعة الثانية بغير قراءة وتتم صلوتها (وليأخذوا حذرهم واسلحتهم) جعل الحذر آلة يتحصن بها الغازى فجمع بينه وبين الاسلحة فى وجوب الاخذ ونظيره قوله تعالى والذين تبوأوا الدار والايمان (ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) تمنوا ان ينالوا منكم غرة فى صلوتكم فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان ما لاجله امروا باخذ السلاح (ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم) رخصة لهم فى وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب مطر او مرض وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب (وخذوا حذركم) امرهم مع ذلك باخذ الحذر كيلا يهجم عليهم العدو (ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا) وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر بالحذر ليقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحذر ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب ان يحافظوا فى الامور على مراسم التيقظ والتدبر فيتوكلوا على الله (فاذا قضيتم الصلوة) اديتم وفرغتم منها (فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) فدوموا على الذكر فى جميع الاحوال او اذا اردتم اداء الصلوة واشتد الخوف فادوها كيف ما امكن قياما مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين وعلى جنوبكم مثخنين (فاذا اطمأننتم) سكنت قلوبكم من الخوف (فاقيموا الصلوة) فعدلوا واحفظوا اركانها وشرائطها وائتوا بها تامة (ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) فرضا محدودا الاوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها فى شئ من الاحوال وهذا دليل على ان المراد بالذكر الصلوة وانها واجبة الاداء حال المسابقة والاضطراب فى المعركة وتعليل للامر بالاتيان بها كيف ما امكن وقال ابو حنيفة لا يصلى المحارب حتى يطمئن (ولا تهنوا) ولا تضعفوا (فى ابتغاء القوم) فى طلب الكفار بالقتال (ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون) الزام لهم وتقريع على التوانى فيه بان ضرر القتال دائر بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله بسببه من اظهار الدين واستحقاق الثواب ما لا يرجو عدوهم فينبغى ان يكونوا ارغب منهم فى الحرب واصبر عليها وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تألمون ويكون قوله فانهم يألمون علة للنهى من الوهن لاجله والآية نزلت فى بدر الصغرى (وكان الله عليما) باعمالكم

ذلك يعزر (جزاء) نصب على المصدر (بما كسبا نكالا) عقوبة لهما (من الله والله عزيز) غالب على أمره (حكيم) فى خلقه (فمن تاب من بعد ظلمه) رجع عن السرقة (واصلح) عمله (فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم) فى التعبير بهذا ما تقدم فلا يسقط بتوبته حق الآدمى من القطع ورد المال نعم بينت السنة أنه ان عفا عنه قبل الرفع الى الامام سقط القطع وعليه الشافعى (ألم تعلم) الاستفهام فيه للتقرير (أن الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء) تعذيبه (ويغفر لمن يشاء) المغفرة له (والله على كل شئ قدير) ومنه التعذيب والمغفرة (يا أيها الرسول لا يحزنك) صنع (الذين يسارعون فى الكفر) يقعون فيه بسرعة أى يظهرونه اذا وجدوا فرصة (من) للبيان (الذين قالوا آمنا بأفواههم) بألسنتهم متعلق بقالوا (ولم تؤمن قلوبهم) وهم المنافقون (ومن الذين هادوا) قوم

(وضمائركم)

وضمائركم (حكيما) فيما يأمر وينهى (انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم
بين الناس) نزلت فى طعمة بن ابيرق من بنى ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن
النعمان فى جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند
زيد بن السمين اليهودى فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف
ما اخذها وماله بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل
اليهودى فاخذوها فقال دفعها الى طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت
بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسألوه ان يجادل
عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودى فهم
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يفعل (بما اراك الله) بما عرفك الله
واوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى ثلاثة مفاعيل
(ولا تكن للخائنين) اى لاجلهم والذب عنهم (خصيما) للبراء (واستغفر الله)
مما هممت به (ان الله كان غفورا رحيما) لمن استغفره (ولا تجادل عن الذين
يختانون انفسهم) يخونونها فان وبال خيانتهم يعود عليها او جعل المعصية
خيانة لها كما جعلت ظلما عليها والضمير لطعمة وامثاله اوله ولقومه فانهم
شاركوه فى الاثم حين شهدوا على براءته وخاصموا عنه (ان الله لا يحب من كان
خوانا) مبالغا فى الخيانة مصرا عليها (اثيما) منهمكا فيه روى ان طعمة هرب
الى مكة وارتد ونقب حائطا بها ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله
(يستخفون من الناس) يستترون منهم حياء وخوفا (ولا يستخفون من الله)
وهو احق بان يستحيى ويخاف منه (وهو معهم) لا يخفى عليه سرهم فلا طريق
معه الا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه (اذ يبيتون) يدبرون ويزورون
(ما لا يرضى من القول) من رمى البراء والحلف الكاذب وشهادة الزور
(وكان الله بما يعملون محيطا) لا يفوت عنه شئ (هاانتم هؤلاء) مبتدأ وخبر
(جادلتم عنهم فى الحيوة الدنيا) جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا عنه او صلة عند
من يجعله موصولا (فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا)
محاميا يحميهم من عذاب الله (ومن يعمل سوأ) قبيحا يسوء به غيره (او يظلم
نفسه) بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد بالسوء ما دون الشرك وبالظلم
الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة (ثم يستغفر الله) بالتوبة (يجد الله غفورا)
لذنوبه (رحيما) متفضلا عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة
والاستغفار (ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه) فلا يتعداه وباله لقوله
وان اسأتم فلها (وكان الله عليما حكيما) فهو عالم بفعله حكيم فى مجازاته

(سماعون للكذب) الذى
افترته أحبارهم سماع قبول
(سماعون) منك (لقوم)
لاجل قوم (آخرين)
من اليهود (لم يأتوك) وهم
أهل خيبر زنى فيهم محصنان
فكرهوا رجمهما فبعثوا قريظة
ليسألوا النبى صلى الله عليه
وسلم عن حكمهما (يحرفون
الكلم) الذى فى التورية كآية
الرجم (من بعد مواضعه) التى
وضعه الله عليها أى يبدلونه
(يقولون) لمن ارسلوهم
(ان أوتيتم هذا) الحكم المحرف
أى الجلد أى أفتاكم به محمد
(فخذوه) فاقبلوه (وان لم تؤتوه)
بل أفتاكم بخلافه (فاحذروا)
أن تقبلوه (ومن يرد الله فتنته)
اضلاله (فلن تملك له من الله
شيئا) فى دفعها (أولئك الذين
لم يرد الله أن يطهر قلوبهم)
من الكفر ولو أراده لكان
(لهم فى الدنيا خزى) ذل
بالفضيحة والجزية (ولهم
فى الآخرة عذاب عظيم)
هم (سماعون للكذب
أكالون للسحت) بضم الحاء
وسكونها أى الحرام كالرشا
(فان جاؤك) لتحكم بينهم

(فاحكم بينهم اوأعرض عنهم) هذا التخيير منسوخ بقوله وأن احكم بينهم الآية فيجب الحكم بينهم اذا ترافعوا الينا وهو أصح قولي الشافعي فلو ترافعوا الينا مع مسلم وجب اجماعا (وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت بينهم (فاحكم بينهم بالقسط) بالعدل (ان الله يحب المقسطين) العادلين في الحكم أي يثيبهم (وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله) بالرجم استفهام تعجيب أي لم يقصدوا بذلك معرفة الحق بل ماهو أهون عليهم (ثم يتولون) يعرضون عن حكمك بالرجم الموافق لكتابهم (من بعد ذلك) التحكيم (وما أولئك بالمؤمنين انا انزلنا التورية فيها هدى) من الضلالة (ونور) بيان للاحكام (يحكم بها النبيون) من بني اسرائيل (الذين أسلموا) انقادوا لله (للذين هادوا والربانيون) العلماء منهم (والاحبار) الفقهاء (بما) أي بسبب الذى (استحفظوا) استودعوه أي

ومن يكسب خطيئة) صغيرة اوما لاعمد فيه (اواثما) كبيرة اوما كان عن عمد (ثم يرم به بريئا) كما رمى طعمة زيدا ووحد الضمير لمكان او (فقد احتمل بهتانا واثما مبينا) بسبب رمي البريء وتبرئة النفس الخاطئة ولذلك سوى بينهما وان كان مقترف احدهما دون مقترف الآخر (ولولا فضل الله عليك ورحمته) باعلام ماهم عليه بالوحي والضمير لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لهمت طائفة منهم) من بني ظفر (ان يضلوك) عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى نفي همهم بل الى نفي تأثيره فيه (وما يضلون الا انفسهم) لانه مازلك عن الحق وعاد وباله عليهم (ومايضرونك من شيء) فان الله عصمك وماخطر ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر الامر لاميلا في الحكم ومن شيء في موضع النصب على المصدر اي شيئا من الضر (وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم) من خفيات الامور اومن امور الدين والاحكام (وكان فضل الله عليك عظيما) اذ لافضل اعظم من النبوة (لاخير في كثير من نجواهم) من متناجيهم كقوله تعالى واذهم نجوى اومن تناجيهم فقوله (الامن امر بصدقة اومعروف) على حذف مضاف اي الانجوى من امر اوعلى الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير والمعروف كل مايستحسنه الشرع ولاينكره العقل وفسر ههنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع وسائر مافسر به (اواصلاح بين الناس) اواصلاح ذات بين (ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما) بنى الكلام على الامر ورتب الجزاء على الفعل ليدل على انه لما دخل الآمر في زمرة الخيرين كان الفاعل أدخل فيهم فان العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الامر من حيث انه وصلة اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب مرضاة الله تعالى لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق به من الله اجرا ووصف الاجر بالعظم تنبيها على حقارة مافات في جنبه من اعراض الدنيا وقرأ حمزة وابو عمرو يؤتيه بالياء (ومن يشاقق الرسول) يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين في شق غير شق الآخر (من بعد ماتبين له الهدى) ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات (ويتبع غير سبيل المؤمنين) غير ماهم عليه من اعتقاد اوعمل (نوله ماتولى) نجعله واليا لما تولى من الضلال ونخلي بينه وبين مااختاره (ونصله جهنم) وندخله فيها وقرئ بفتح النون من صلاه (وساءت مصيرا)

جهنم والآية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما اواحدها اوالجمع بينهما والثانى باطل اذيقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحد وكذا الثالث لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها اولم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم واجبا لان ترك سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد استقصيت الكلام فيه فى مرصاد الافهام الى مبادى الاحكام (ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) كرره للتأكيد اولقصة طعمة وقيل جاء شيخ الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال انى شيخ منهمك فى الذنوب الا انى لم اشرك بالله شيئا منذعرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصى جراءة على الله ولا مكابرة له وماتوهمت طرفة عين انى اعجز الله هربا وانى لنادم تائب فماترى حالى عندالله فنزلت (ومن يشرك بالله فقدضل ضلالا بعيدا) عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة وانما ذكر فى الآية الاولى فقد افترى لانها متصلة بقصة اهل الكتاب ومنشأ شركهم نوع افتراء وهو دعوى التبنى على الله عزوجل (ان يدعون من دونه الا اناثا) يعنى اللات والعزى ومنات ونحوها كان لكل حى صنم يعبدونه ويسمونه انثى بنى فلان وذلك اما لتأنيث اسمائها كاقال * وماذكر فان يسمن فانثى * شديد الازم ليس له ضروس * فانه عنى القراد وهو ماكان صغيرا سمى قرادا فاذا كبر سمى حلمة اولانها كانت جمادات والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها ولعله تعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيها على انهم يعبدون مايسمونه اناثا لانه ينفعل ولايفعل ومن حق المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهى جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب وربى وقرئ انثى على التوحيد وانثا على انه جمع انيث كخبث وخبيث ووثنا بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن كاسدواسد واثنا بهما على قلب الواو لضمتها همزة (وان يدعون) وان يعبدون بعبادتها (الا شيطانا مريدا) لانه الذى امرهم بعبادتها واغراهم عليها فكان طاعته فى ذلك عبادة له والمارد والمريد الذى لايعلق بخير واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وغلام امرد وشجرة مرداء للتى تناثر ورقها (لعنه الله) صفة ثانية للشيطان

استحفظهم الله اياه (من كتاب الله) ان يبدلوه (وكانوا عليه شهداء) انه حق (فلاتخشوا الناس) أيها اليهود فى اظهار ماعندكم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم والرجم وغيرهما (واخشونى) فى كتمانه (ولا تشتروا) تستبدلوا (بآياتى ثمنا قليلا) من الدنيا تأخذونه على كتمانها (ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون) به (وكتبنا) فرضنا (عليهم فيها) اى التورية (ان النفس) تقتل (بالنفس) اذا قتلتها (والعين) تفقأ (بالعين والانف) تجدع (بالانف والاذن) تقطع (بالاذن والسن) تقلع (بالسن) وقراة بالرفع فى الاربعة (والجروح) بالوجهين (قصاص) اى يقتص فيها اذا أمكن كاليد والرجل والذكر ونحو ذلك وما لايمكن فيه الحكومة وهذا الحكم وان كتب عليهم فهو مقرر فى شرعنا (فمن تصدق به) أى بالقصاص بان مكن من نفسه (فهو كفارة له) لما أتاه (ومن لم يحكم بما انزل

الله) فى القصاص وغيره (فأولئك هم الظالمون وقفينا) اتبعنا (على آثارهم) اى النبيين (بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه) قبله (من التورية وآتيناه الانجيل فيه هدى) من الضلالة (ونور) بيان للاحكام (ومصدقا) حال (لما بين يديه من التورية) لمافيها من الاحكام (وهدى وموعظة للمتقين و) قلنا (ليحكم اهل الانجيل بما أنزل الله فيه) من الاحكام وفى قراءة بنصب يحكم وكسر لامه عطفا على معمول آتيناه (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون وأنزلنا اليك) يامحمد (الكتاب) القرآن (بالحق) متعلق بأنزلنا (مصدقا لما بين يديه) قبله (من الكتاب ومهيمنا) شاهدا (عليه) والكتاب بمعنى الكتب (فاحكم بينهم) بين اهل الكتاب اذا ترافعوا اليك (بما أنزل الله) اليك (ولاتتبع اهواءهم) عادلا (عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم) ايها الامم (شرعة) شريعة (ومنهاجا) طريقا واضحا فى الدين

(وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا) عطف عليه اى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن سبحانه اولا على ان الشرك ضلال فى الغاية على سبيل التعليل بان مايشركون به ينفعل ولايفعل فعلا اختياريا وذلك ينافى الالوهية غاية المنافاة فان الاله ينبغى ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان وهى افظع الضلال لثلاثة اوجه الاول انه مريد منهمك فى الضلال لايعلق بشىء من الخير والهدى فتكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثانى انه ملعون لضلاله فلاتستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن والثالث انه فى غاية العداوة والسعى فى اهلاكهم وموالاة من هذا شأنه غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اى نصيبا قدرلى وفرض من قولهم فرض له فى العطاء (ولاضلنهم) عن الحق (ولأمنينهم) الامانى الباطلة كطول الحيوة وان لابعث ولاعقاب (ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام) يشقونها لتحريم مااحله الله وهو عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحائر والسوائب واشارة الى تحريم كل مااحل ونقص كل ماخلق كاملا بالفعل اوالقوة (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) عن وجهه صورة اوصفة ويندرج فيه ماقيل من فقء عين الحامى وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواط والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله التى هى الاسلام واستعمال الجوارح والقوى فيما لايعود على النفس كمالا ولايوجب لها من الله زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا فى خصاء البهائم للحاجة والجمل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقا اواتاه فعلا (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله) بايثار مايدعوه اليه على ماامره الله به ومجاوزته عن طاعة الله الى طاعته (فقد خسر خسرانا مبينا) اذضيع رأس ماله وبدل مكانه من الجنة بمكانه من النار (يعدهم) مالاينجز (ويمنيهم) مالاينالون (ومايعدهم الشيطان الاغرورا) وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد امابالخواطر الفاسدة اوبلسان اوليائه (اولئك مأواهم جهنم ولايجدون عنها محيصا) معدلا ومهربا من حاص يحيص اذا عدل وعنها حال منه وليس صلة له لانه اسم مكان وان جعل مصدرا فلايعمل ايضا فيما قبله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا) اى وعده وعدا

(وحق)

وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية التي قبله وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز ان ينصب الموصول بفعل يفسره مابعده ووعدالله بقوله سندخلهم لانه بمعنى ونعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر (ومن اصدق من الله قيلا) جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه بوعدالله الصادق لاوليائه والمبالغة في توكيده ترغيبا للعباد في تحصيله (ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب) اى ليس ماوعدالله من الثواب ينال بامانيكم ايها المسلمون ولا باماني اهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمني ولكن ماوقر في القلب وصدقه العمل روى ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نحن اولى بالله منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضى على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم اى ليس الامر باماني المشركين وهو قولهم لاجنة ولانار وقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الامن كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الااياما معدودة ثم قرر ذلك وقال (من يعمل سوأ يجزبه) عاجلا او آجلا لماروى انها لمانزلت قال ابوبكر فمن ينجو مع هذا يارسول الله فقال عليه الصلوة والسلام اماتحزن اماتمرض امايصيبك اللأواء قال بلى يارسول الله قال هو ذلك (ولايجدله من دون الله وليا ولانصيرا) ولايجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره في دفع العذاب عنه (ومن يعمل) من الصالحات بعضها اوشيئا منها فان كل احد لايتمكن من كلها وليس مكلفا بها (من ذكر اوانثى) في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان اومن الصالحات اى كائنة من ذكر اوانثى ومن للابتداء (وهو مؤمن) حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لااعتداد به دونه فيه (فاولئك يدخلون الجنة ولايظلمون نقيرا) بنقص شئ من الثواب واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحرى ان لايزاد عقاب العاصي لان المجازى ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب وقرأ ابن كثير وابوعمرو يدخلون الجنة هنا وفي غافر ومريم بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم الخاء (ومن احسن دينا ممن اسلم

يمشون عليه (ولوشاء الله لجعلكم أمة واحدة) على شريعة واحدة (ولكن) فرقكم فرقا (ليبلوكم) ليختبركم (فيما آتاكم) من الشرائع المختلفة لينظر المطيع منكم والعاصي (فاستبقوا الخيرات) سارعوا اليها (الى الله مرجعكم جميعا) بالبعث (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) من أمر الدين ويجزى كلا منكم بعمله (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم واحذرهم) ا (أن) لا (يفتنوك) يضلوك (عن بعض ماأنزل الله اليك فان تولوا) عن الحكم المنزل وأرادوا غيره (فاعلم أنما يريدالله أن يصيبهم) بالعقوبة في الدنيا (ببعض ذنوبهم) التي أتوها ومنها التولي ويجازيهم على جميعها في الاخرى (وان كثيرا من الناس لفاسقون أفحكم الجاهلية يبغون) بالياء والتاء يطلبون من المداهنة والميل اذاتولوا استفهام انكاري (ومن) أي لاأحد (أحسن من الله حكما لقوم

وجهه لله) اخلص نفسه لله لايعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وفي هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى ماتبلغه القوة البشرية (وهو محسن) آت بالحسنات تارك للسيئات (واتبع ملة ابراهيم) الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها (حنيفا) مائلا عن سائر الاديان الى دين الاسلام وهو حال من المتبع اوالملة اوابراهيم (واتخذ الله ابراهيم خليلا) اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وانما اعاد ذكره ولم يضمره تفخيما لشأنه وتنصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ودتخلل النفس وتخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان في الطريقة او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال والجملة استئناف جيء بها للترغيب في اتباع ملته عليه السلام والايذان بانه نهاية في الحسن وغاية الكمال البشري روى ان ابراهيم عليه الصلوة والسلام بعث غلمانه الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس من يمتار منه فقال خليله لوكان ابراهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريد للاضياف وقد اصابنا مااصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملأوا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابراهيم ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام وقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت حوارى واختبزت فاستيقظ ابراهيم عليه السلام فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم هذا فقالت من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله خليلا (ولله مافي السموات ومافي الارض) خلقا وملكا يختار منهما من يشاء ومايشاء وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والارض وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال (وكان الله بكل شيء محيطا) احاطة علم وقدرة فكان عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها (ويستفتونك في النساء) في ميراثهن اذ سبب نزوله ان عيينة بن حصين اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنا انك تعطى الابنة النصف والاخت النصف وانا كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عليه الصلوة والسلام بذلك امرت (قل الله يفتيكم فيهن) يبين الله لكم حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهم (وما يتلى عليكم في الكتاب) عطف على اسم الله او ضميره المستكن في يفتيكم وساغ للفصل فيكون الافتاء مسندا الى الله تعالى والى ما في القرآن من قوله يوصيكم الله ونحوه باعتبارين مختلفين ونظيره اغناني زيد وعطاؤه

(او)

عند قوم (يوقنون) به خصوا بالذكر لانهم الذين يتدبرونه (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) توالونهم وتوادونهم (بعضهم أولياء بعض) لاتحادهم في الكفر (ومن يتولهم منكم فانه منهم) من جملتهم (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) بموالاتهم الكفار (فترى الذين في قلوبهم مرض) ضعف اعتقاد كعبد الله بن أبي المنافق (يسارعون فيهم) في موالاتهم (يقولون) معتذرين عنها (نخشى أن تصيبنا دائرة) يدوربها الدهر علينا من جدب اوغلبة ولا يتم أمر محمد فلا يميرونا قال تعالى (فعسى الله أن يأتى بالفتح) بالنصر لنبيه باظهار دينه (أو أمر من عنده) بهتك ستر المنافقين وافتضاحهم (فيصبحوا على ما أسروا في انفسهم) من الشك وموالاة الكفار (نادمين ويقول) بالرفع استئنافا بواو ودونها وبالنصب عطفا على يأتى (الذين آمنوا) لبعضهم اذاهتك

اواستئناف معترض لتعظيم المتلو عليهم على ان مايتلى عليكم مبتدأ وفى الكتاب خبره والمراد به اللوح المحفوظ ويجوز ان ينصب على معنى ويبين لكم مايتلى عليكم اويخفض على القسم كأنه قيل واقسم بمايتلى عليكم فى الكتاب ولايجوز عطفه على المجرور فى فيهن لاختلاله لفظا ومعنى (فى يتامى النساء) صلة يتلى ان عطف الموصول على ماقبله اى يتلى عليكم فى شأنهن والافبدل من فيهن اوصلة اخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول كلمتك اليوم فى زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشئ الى جنسه وقرئ ييامى بياءين على انه ايامى فقلبت همزته ياء (اللاتى لاتؤتونهن ما كتب لهن) اى فرض لهن من الميراث (وترغبون ان تنكحوهن) فى ان تنكحوهن اوعن ان تنكحوهن فان اولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات ويأكلون مالهن والا كانوا يعضلونهن طمعا فى ميراثهن والواو يحتمل الحال والعطف. وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة اذ لايلزم من الرغبة فى نكاحها جريان العقد فى صغرها (والمستضعفين من الولدان) عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما لايورثون النساء (وان تقوموا لليتامى بالقسط) ايضا عطف عليه اى ويفتيكم اومايتلى فى ان تقوموا هذا اذا جعلت فى يتامى صلة لاحدها فان جعلته بدلا فالوجه نصبهما عطفا على موضع فيهن ويجوز ان ينصب وان تقوموا باضمار فعل اى ويأمركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة فى ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم اوللقوام بالنصفة فى شأنهم (وماتفعلوا من خير فان الله كان به عليما) وعد لمن آثر الخير فى ذلك (وان امرأة خافت من بعلها) توقعت منه لما ظهر لها من المخايل وامرأة فاعل فعل يفسره الظاهر (نشوزا) تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها (اواعراضا) بان يقل مجالستها ومحادثتها (فلاجناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا) ان يتصالحا بان تحط له بعض المهر اوالقسم اوتهب له شيئا تستميله به وقرأ الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين وعلى هذا جاز ان ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما ظرف اوحال منه اوعلى المصدر كما فى القراءة الاولى والمفعول بينهما اوهو محذوف وقرئ يصلحا من اصلح بمعنى اصطلح (والصلح خير) من الفرقة وسوء العشرة اومن الخصومة ويجوز ان لايراد به التفضيل بل بيان انه من الخيور كما ان الخصومة من الشرور وهو اعتراض

سترهم تعجبا (أهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم) غاية اجتهادهم فيها (انهم لمعكم) فى الدين قال تعالى (حبطت) بطلت (اعمالهم) الصالحة (فاصبحوا) صاروا (خاسرين) الدنيا بالفضيحة والآخرة بالعقاب (ياايها الذين آمنوا من يرتد) بالفك والادغام يرجع (منكم عن دينه) الى الكفر اخبار بما علم الله تعالى وقوعه وقد ارتد جماعة بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم (فسوف يأت الله) بدلهم (بقوم يحبهم ويحبونه) قال صلى الله عليه وسلم هم قوم هذا واشار الى ابى موسى الاشعرى رواه الحاكم فى صحيحه (أذلة) عاطفين (على المؤمنين أعزة) اشداء (على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولايخافون لومة لائم) فيه كما يخاف المنافقون لوم الكفار (ذلك) المذكور من الاوصاف (فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع) كثير الفضل (عليم) بمن هو اهله * ونزل لما قال ابن سلام

وكدا قوله (واحضرت الانفس الشح) ولذلك اغتفر عدم تجانسها والاول للترغيب فى المصالحة والثانى لتمهيد العذر فى المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلاتكاد المرأة تسمح بالاعراض عنها والتقصير فى حقها ولاالرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على ماينبغى اذا كرهها اواحب غيرها (وان تحسنوا) فى العشرة (وتتقوا) النشوز والاعراض ونقض الحق (فان الله كان بما تعملون) من الاحسان والخصومة (خبيرا) عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه اقام كونه عالما باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذى هو فى الحقيقة جواب الشرط اقامة السبب مقام المسبب (ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء) لان العدل ان لايقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمى فيما املك فلاتؤاخذنى فيما تملك ولااملك (ولو حرصتم) على تحرى ذلك وبالغتم فيه (فلاتميلوا كل الميل) بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها فان مالايدرك كله لايترك كله (فتذروها كالمعلقة) التى ليست ذات بعل ولامطلقة وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من كانت له امرأتان يميل مع احديهما جاء يوم القيمة واحدشقيه مائل (وان تصلحوا) ما كنتم تفسدون من امورهن (وتتقوا) فيمايستقبل من الزمان (فان الله كان غفورا رحيما) يغفر لكم مامضى من ميلكم (وان يتفرقا) وقرئ وان يتفارقا اى وان يفارق كل منهما صاحبه (يغن الله كلا) منهما عن الآخر ببدل اوسلو (من سعته) غناه وقدرته (وكان الله واسعا حكيما) مقتدرا متقنا فى افعاله واحكامه (ولله مافى السموات ومافى الارض) تنبيه على كمال سعته وقدرته (ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم) يعنى اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او بأوتوا ومساق الآية لتأكيد الامر بالاخلاص (واياكم) عطف على الذين (ان اتقوا الله) بان اتقوا الله ويجوز ان تكون ان مفسرة لان التوصية فى معنى القول (وان تكفروا فان لله مافى السموات ومافى الارض) على ارادة القول اى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان الله مالك الملك كله لايتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لاينتفع بشكركم وتقواكم وانما وصاكم لرحمته لالحاجته ثم قرر ذلك بقوله (وكان الله غنيا) عن الخلق وعباداتهم (حميدا) فى ذاته حمدا ولم يحمد (ولله مافى السموات ومافى الارض) ذكره ثالثا للدلالة

يارسول الله ان قومنا هجرونا (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون) خاشعون اويصلون صلوة التطوع (ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا) فيعينهم وينصرهم (فان حزب الله هم الغالبون) لنصره اياهم اوقعه موقع فانهم بيانا لانهم من حزبه اى اتباعه (ياايها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا) مهزوا به (ولعبا من) للبيان (الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار) المشركين بالجر والنصب (اولياء واتقوا الله) بترك موالاتهم (ان كنتم مؤمنين) صادقين فى ايمانكم (و) الذين (اذا ناديتم) دعوتم (الى الصلوة) بالاذان (اتخذوها) اى الصلوة (هزوا ولعبا) بان يستهزؤا بها ويتضاحكوا (ذلك) الاتخاذ (بأنهم) اى بسبب انهم (قوم لايعقلون) * ونزل لما قال اليهود للنبى صلى الله عليه وسلم بمن نؤمن من الرسل

على كونه غنيا حميدا فان جميع المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما افاض عليها من الوجود وانواع الخصائص والكمالات على كونه حميدا (وكفى بالله وكيلا) راجع الى قوله يغن الله كلا من سعته فانه توكل بكفايتهما ومابينهما تقرير لذلك (ان يشأ يذهبكم ايها الناس) يفنكم ومفعول يشأ محذوف دل عليه الجواب (ويأت بآخرين) ويوجد قوما آخرين مكانكم اوخلقا آخرين مكان الانس (وكان الله على ذلك) من الاعدام والايجاد (قديرا) بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا ايضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفر به وخالف امره وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب ومعناه معنى قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم لما روى انه لما نزل ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا (من كان يريد ثواب الدنيا) كالمجاهد يجاهد للغنيمة (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) فماله يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة اوليطلب الاشرف منهما فان من جاهد خالصا لله لم تخطئه الغنيمة وله فى الآخرة ماهى فى جنبه كلا شئ اوفعند الله ثواب الدارين فيعطى كلا مايريده كقوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه الآية (وكان الله سميعا بصيرا) عارفا بالاغراض فيجازى كلا بحسب قصده (ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط) مواظبين على العدل مجتهدين فى اقامته (شهداء لله) اى بالحق يقيمون شهاداتكم لوجه الله وهو خبر ثان او حال (ولو على انفسكم) ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها لان الشهادة بيان الحق سواء كان عليه او على غيره (او الوالدين والاقربين) ولو كانت على والديكم واقاربكم (ان يكن) اى المشهود عليه اوكل واحد منه ومن المشهود له (غنيا او فقيرا) فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة او لا تجوروا فيها ميلا او ترحما (فالله اولى بهما) بالغنى والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما اولهما صلاحا لماشرعها وهو علة الجواب اقيمت مقامه والضمير فى بهما راجع الى مادل عليه المذكور وهو جنسا الغنى والفقير لا اليه والا لوحد ويشهد عليه انه قرئ فالله اولى بهم (فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا) لان تعدلوا عن الحق اوكراهة ان تعدلوا من العدل (وان تلووا) السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل قرأ نافع وابن كثير وابو بكر وابو عمرو وعاصم والكسائى

فقال بالله وما أنزل الينا الآية فلما ذكر عيسى قالوا لا نعلم دينا شرا من دينكم (قل ياأهل الكتاب هل تنقمون) تنكرون (منا الا ان آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل) الى الانبياء (وأن أكثركم فاسقون) عطف على أن آمنا المعنى ماتنكرون الا ايماننا ومخالفتكم فى عدم قبوله المعبر عنه بالفسق اللازم عنه وليس هذا مما ينكر (قل هل أنبئكم) أخبركم (بشر من) أهل (ذلك) الذى تنقمونه (مثوبة) ثوابا بمعنى جزاء (عند الله) هو (من لعنه الله) أبعده عن رحمته (وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير) بالمسخ (و) من (عبد الطاغوت) الشيطان بطاعته وراعى فى منهم معنى من وفيما قبله لفظها وهم اليهود وفى قراءة بضم باء عبد واضافته الى مابعده اسم جمع لعبد ونصبه بالعطف على القردة (أولئك شر مكانا) تمييز لان مأواهم النار (وأضل عن سواء السبيل) طريق الحق وأصل السواء الوسط وذكر شر

باسكان اللام وبعدها واوان الاولى مضمومة والثانية ساكنة وقرأ حمزة وابن عامر وان تلوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة فأديتموها (او تعرضوا) عن ادائها (فان الله كان بما تعملون خبيرا) فيجازيكم عليه (يا أيها الذين آمنوا) خطاب للمسلمين او المنافقين او لمؤمنى اهل الكتاب اذ روى ان ابن سلام واصحابه قالوا يارسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتورية وعزير ونكفر بما سواه فنزلت (آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى انزل من قبل) اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه اوآمنوا به بقلوبكم كما آمنتم بلسانكم اوآمنوا ايمانا عاما يعم الكتب والرسل فان الايمان بالبعض كلا ايمان والكتاب الاول القرآن والثانى الجنس وقرأ نافع والكوفيون الذى نزل انزل بفتح الهمزة والنون والزاى والباقون بضم النون والهمزة وكسر الزاى (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر) اى ومن يكفر بشئ من ذلك (فقد ضل ضلالا بعيدا) عن المقصد بحيث لايكاد يعود الى طريقه (ان الذين آمنوا) يعنى اليهود آمنوا بموسى (ثم كفروا) حين عبدوا العجل (ثم آمنوا) بعد عوده اليهم (ثم كفروا) بعيسى (ثم ازدادوا كفرا) بمحمد صلى الله عليه وسلم اوقوما تكرر منهم الارتداد ثم اصروا على الكفر وازدادوا تماديا فى الغى (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا) اذ يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق لا انهم لواخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان فى امثال ذلك محذوف تعلق به اللام مثل لم يكن الله مريدا ليغفر لهم (بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما) يدل على ان الآية فى المنافقين وهم قد آمنوا فى الظاهر وكفروا فى السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وافساد الامر على المؤمنين ووضع بشر موضع انذرتهم تهكم بهم (الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين) فى محل النصب او الرفع على الذم بمعنى اريد الذين اوهم الذين (ايبتغون عندهم العزة) ايتعززون بموالاتهم (فان العزة لله جميعا) لايتعزز الا من اعزه وقد كتب العزة لاوليائه فقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين لايؤبه بعزة غيرهم بالاضافة اليهم (وقد نزل عليكم فى الكتاب) يعنى القرآن وقرأ عاصم وقد نزل والقائم مقام فاعله (ان اذا سمعتم آيات الله) وهى المخففة والمعنى انه اذا سمعتم (يكفر بها ويستهزؤ بها) حالان من الآيات جئ بهما لتقييد النهى عن المجالسة فى قوله (فلا تقعدوا

(معهم)

وأضل فى مقابلة قولهم لانعلم دينا شرا من دينكم (واذا جاؤكم) أى منافقو اليهود (قالوا آمنا وقد دخلوا) اليكم متلبسين (بالكفر وهم قد خرجوا) من عندكم متلبسين (به) ولم يؤمنوا (والله أعلم بما كانوا يكتمون) ه من النفاق (وترى كثيرا منهم) أى اليهود (يسارعون) يقعون سريعا (فى الاثم) الكذب (والعدوان) الظلم (وأكلهم السحت) الحرام كالرشا (لبئسما كانوا يعملون) ه عملهم هذا (لولا) هلا (ينهاهم الربانيون والاحبار) منهم (عن قولهم الاثم) الكذب (وأكلهم السحت لبئسما كانوا يصنعون) ه ترك نهيهم (وقالت اليهود) لما ضيق عليهم بتكذيبهم النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن كانوا أكثر الناس مالا (يد الله مغلولة) مقبوضة عن ادرار الرزق علينا كنوا به عن البخل تعالى الله عن ذلك قال تعالى (غلت) أمسكت (أيديهم) عن فعل الخيرات دعاء عليهم (ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان)

معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره) الذى هوجزاء الشرط بما اذا كان
من يجالسه هازئامعاندا غيرمرجو ويؤيده الغاية وهذا تذكار لما نزل
عليهم بمكة من قوله واذارأيت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم
الآية والضمير فى معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفربها ويستهزأ بها
(انكم اذامثلهم) فى الاثم لانكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار
عليهم اوالكفران رضيتم بذلك اولان الذين يقاعدون الخائضين فى القرآن
من الاحبار كانوا منافقين ويدل عليه (ان الله جامع المنافقين والكافرين
فى جهنم جميعا) يعنى القاعدين والمقعود معهم واذا ملغاة لوقوعها
بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافرادمثلهم لانه كالمصدر
اوللاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرىء بالفتح على البناء لاضافته الى مبنى
كقوله مثل ماانكم تنطقون (الذين يتربصون بكم) ينتظرون وقوع امر بكم
وهو بدل من الذين يتخذون اوصفة للمنافقين والكافرين اوذم مرفوع
اومنصوب اومبتدأ خبره (فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم)
مظاهرين لكم فاسهموا لنافيما غنمتم (وان كان للكافرين نصيب) من الحرب
فانها سجال (قالوا الم نستحوذ عليكم) اى قالوا للكفرة الم نغلبكم ونتمكن
من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس ان يقال استحاذ
يستحيذ استحاذة فجاءت على الاصل (ونمنعكم من المؤمنين) بان خذلناهم
بتخييل ماضعفت به قلوبهم وتوانينا فى مظاهرتهم فاشركونا فيما
اصبتم وانماسمى ظفر المسلمين فتحاوظفر الكافرين نصيبا لخسة حظهم فانه
مقصور على امر دنيوى سريع الزوال (فالله يحكم بينكم يوم القيمة
ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) حينئذ اوفى الدنيا والمراد
بالسبيل الحجة واحتج به اصحابنا على فساد شرى الكافر المسلم والحنفية
على حصول البينونة بنفس الارتداد وهوضعيف لانه لاينفى ان يكون اذاعاد
الى الايمان قبل مضى العدة (ان المنافقين يخادعون الله وهوخادعهم)
سبق الكلام فيه اول سورة البقرة (واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى)
متثاقلين كالمكره على الفعل وقرىء كسالى بالفتح وهاجمعا كسلان (يراؤن الناس)
ليخالوهم مؤمنين والمراآة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم اوللمقابلة فان
المرائى يرى من يرائيه عمله وهو يريه استحسانه (ولايذكرون الله الاقليلا)
اذالمرائى لايفعل الابحضرة من يرائيه وهواقل احواله اولان ذكرهم

مبالغة فى الوصف بالجود وثنى
اليد لافادة الكثرة اذغاية
مايبذله السخى من ماله أن
يعطى بيديه (ينفق كيف
يشاء) من توسيع وتضييق
لااعتراض عليه (وليزيدن
كثيرا منهم ماانزل اليك من
ربك) من القرآن (طغيانا
وكفرا) لكفرهم به (وألقينا
بينهم العداوة والبغضاء
الى يوم القيمة) فكل فرقة منهم
تخالف اخرى (كلما أوقدوا
نارا للحرب) اى لحرب النبى
صلى الله عليه وسلم (أطفأها
الله) أى كلما أرادوه ردهم
(ويسعون فى الارض
فسادا) أى مفسدين بالمعاصى
(والله لايحب المفسدين)
بمعنى انه يعاقبهم (ولوأن
أهل الكتاب آمنوا) بمحمد
صلى الله عليه وسلم (واتقوا)
الكفر (لكفرنا عنهم سيئاتهم
ولادخلناهم جنات النعيم
ولوأنهم أقاموا التورية
والانجيل) بالعمل بمافيهما
ومنه الايمان بالنبى صلى الله
عليه وسلم (وماأنزل اليهم)
من الكتب (من ربهم لأكلوا
من فوقهم ومن تحت
أرجلهم) بان يوسع عليهم

باللسان قايل بالاضافة الى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلوة وقيل الذكر فيها فانهم لايذكرون فيها غير التكبير والتسليم ﴿ مذبذبين بين ذلك ﴾ حال من واو يراؤون كقوله ولايذكرون اى يراؤونهم غير ذاكرين مذبذبين او واو يذكرون او منصوب على الذم والمعنى مرددين بين الايمان والكفر من الذبذبة وهو جعل الشيء مضطربا واصله الذب بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم اويتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال الغير المعجمة بمعنى اخذوا تارة فى دبة وتارة فى دبة وهى الطريقة ﴿ لاالى هؤلاء ولاالى هؤلاء ﴾ لامنسوبين الى المؤمنين ولاالى الكافرين اولاصائرين الى احد الفريقين بالكلية ﴿ ومن يضلل الله فلن تجدله سبيلا ﴾ الى الحق والصواب ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور ﴿ ياايها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين ﴾ فانه صنيع المنافقين وديدنهم فلاتتشبهوا بهم ﴿ اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ﴾ حجة بينة فان موالاتهم دليل على النفاق اوسلطانا يسلط عليكم عقابه ﴿ ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار ﴾ وهى الطبقة التى فى قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم اخبث الكفرة اذضموا الى الكفر استهزاء بالاسلام وخداعا للمسلمين واماقوله عليه الصلوة والسلام ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان ونحوه فمن باب التشبيه والتغليظ. وانماسميت طبقاتها السبع دركات لانها متداركة ومتتابعة بعضها فوق بعض وقرأ الكوفيون بسكون الراء وهو لغة كالسطر والسطر والتحريك اوجه لانه يجمع على ادراك ﴿ ولن تجدلهم نصيرا ﴾ يخرجهم منه ﴿ الا الذين تابوا ﴾ عن النفاق ﴿ واصلحوا ﴾ ماافسدوا من اسرارهم واحوالهم فى حال النفاق ﴿ واعتصموا بالله ﴾ وثقوا به وتمسكوا بدينه ﴿ واخلصوا دينهم لله ﴾ لايريدون بطاعتهم غير وجهه ﴿ فاولئك مع المؤمنين ﴾ ومن عدادهم فى الدارين ﴿ وسوف يؤتى الله المؤمنين اجراً عظيما ﴾ فيساهمونهم فيه ﴿ مايفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم ﴾ ايتشفى به غيظا اويدفع به ضرا او يستجلب به نفعا وهو الغنى المتعالى عن النفع والضر وانمايعاقب المصر بكفره لان اصراره عليه كسوء مزاج يؤدى الى مرض فاذا ازاله بالايمان والشكر ونقى عنه نفسه تخلص من تبعته وانما قدم الشكر لان الناظر يدرك النعمة

الرزق ويفيض من كل جهة (منهم أمة) جماعة (مقتصدة) تعمل به وهم من آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم كعبدالله بن سلام واصحابه (وكثير منهم ساء) بئس (ما) شيئا (يعملون) ه (ياأيها الرسول بلغ) جميع (ماأنزل اليك من ربك) ولاتكتم شيئا منه خوفا أن تنال بمكروه (وان لم تفعل) أى لم تبلغ جميع ماأنزل اليك (فمابلغت رسالته) بالافراد والجمع لان كتمان بعضها ككتمان كلها (والله يعصمك من الناس) أن يقتلوك وكان صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فقال انصرفوا فقد عصمنى الله رواه الحاكم (ان الله لايهدى القوم الكافرين قل ياأهل الكتاب لستم على شيء) من الدين معتد به (حتى تقيموا التورية والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم) بأن تعملوا بما فيه ومنه الايمان بى (وليزيدن كثيرا منهم ماأنزل اليك من ربك) من القرآن (طغيانا وكفرا) لكفرهم به (فلاتأس) تحزن (على

(اولا)

اولا فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به ﴿وكان الله
شاكرا﴾ مثيبا يقبل اليسير ويعطي الجزيل ﴿عليما﴾ بحق شكركم وايمانكم
﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم﴾ الا جهر من ظلم بالدعاء على
الظالم والتظلم منه روى ان رجلا ضاف قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب
عليه فنزلت وقرئ من ظلم على البناء للفاعل فيكون الاستثناء منقطعا اى
ولكن الظالم يفعل مالا يحبه الله ﴿وكان الله سميعا﴾ لكلام المظلوم ﴿عليما﴾ بالظالم
﴿ان تبدوا خيرا﴾ طاعة وبرا ﴿او تخفوه﴾ او تفعلوه سرا ﴿او تعفوا عن سوء﴾
لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر ابداء الخير واخفائه تشبيب له ولذلك
رتب عليه قوله ﴿فان الله كان عفوا قديرا﴾ اى يكثر العفو عن العصاة مع كمال
قدرته على الانتقام فانتم اولى بذلك وهو حث المظلوم على تمهيد العفو بعد
مارخص له فى الانتصار حملا على مكارم الاخلاق ﴿ان الذين يكفرون بالله
ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله﴾ بان يؤمنوا بالله ويكفروا برسله
﴿ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض﴾ نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم
﴿ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا﴾ طريقا وسطا بين الايمان والكفر
ولا واسطة اذ الحق لا يختلف فان الايمان بالله انما يتم بالايمان برسله وتصديقهم
فيما بلغوا عنه تفصيلا او اجمالا فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل فى الضلال
كما قال تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال ﴿اولئك هم الكافرون﴾ هم الكاملون
فى الكفر لا عبرة بايمانهم هذا ﴿حقا﴾ مصدر مؤكد لغيره او صفة لمصدر
الكافرين بمعنى هم الذين كفروا حقا اى يقينا محققا ﴿واعتدنا للكافرين
عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم﴾ اضدادهم
ومقابلوهم وانما دخل بين على احد وهو يقتضى متعددا لعمومه
من حيث انه وقع فى سياق النفى ﴿اولئك سوف نؤتيهم اجورهم﴾ الموعودة
لهم وتصديره بسوف لتأكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة
وان تأخر وقرأ حفص عن عاصم وقالون عن يعقوب بالياء على تلوين الخطاب
﴿وكان الله غفورا﴾ لما فرط منهم ﴿رحيما﴾ عليهم بتضعيف حسناتهم ﴿يسألك
اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء﴾ نزلت فى احبار اليهود قالوا
ان كنت صادقا فائتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى عليه السلام
وقيل كتابا محررا بخط سماوى على الواح كما كانت التورية او كتابا نعاينه
حين ينزل او كتابا الينا باعياننا بانك رسول الله ﴿فقد سألوا موسى اكبر من ذلك﴾

القوم الكافرين) ان
لم يؤمنوا بك أى لاتهتم بهم
(إن الذين آمنوا والذين
هادوا) هم اليهود مبتدأ
(والصابئون) فرقة منهم
(والنصارى) ويبدل
من المبتدأ (من آمن) منهم
(بالله واليوم الآخر
وعمل صالحا فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون)
فى الآخرة خبر المبتدأ ودال
على خبر ان (لقد أخذنا
ميثاق بنى اسرائيل)
على الايمان بالله ورسله
(وأرسلنا اليهم رسلا كلما
جاءهم رسول) منهم (بما
لاتهوى أنفسهم) من الحق
كذبوه (فريقا) منهم
(كذبوا) ه (وفريقا) منهم
(يقتلون) كزكريا ويحيي
والتعبير به دون قتلوا حكاية
للحال الماضية للفاصلة
(وحسبوا) ظنوا (الا
تكون) بالرفع فان مخففة
والنصب فهى ناصبة أى
تقع (فتنة) عذاب بهم على
تكذيب الرسل وقتلهم
(فعموا) عن الحق فلم
يبصروه (وصموا) عن
استماعه (ثم تاب الله عليهم)

جواب شرط مقدر اى ان استكبرت ماسألوه منك فقد سألوا موسى عليه السلام اكبر منه وهذا السؤال وان كان من آبائهم اسند اليهم لانهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لهديهم والمعنى ان عرقهم راسخ فى ذلك وان مااقترحوه عليك ليس باول جهالاتهم وخيالاتهم (فقالوا ارنا الله جهرة) عيانا اى ارناه نره جهرة او مجاهرين معاينين له (فاخذتهم الصاعقة) نار جاءت من السماء فاهلكتهم (بظلمهم) بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل فى تلك الحال التى كانوا عليها وذلك لايقتضى امتناع الرؤية مطلقا (ثم اتخذوا العجل من بعد ماجاءتهم البينات) هذه الجناية الثانية التى اقترفها ايضا اوائلهم والبينات المعجزات ولايجوز حملها على التورية اذ لم تأتهم بعد (فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا) تسلطا ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم) بسبب ميثاقهم ليقبلوه (وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا) على لسان موسى والطور مظل عليهم (وقلنا لهم لاتعدوا فى السبت) على لسان داود ويحتمل ان يراد على لسان موسى حين ظلل الجبل عليهم فانه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به فى زمن داود وقرأ ورش عن نافع لاتعدوا على ان اصله لاتعتدوا فادغمت التاء فى الدال وقرأ قالون باخفاء حركة العين وتشديد الدال والنص عنه بالاسكان (واخذنا منهم ميثاقا غليظا) على ذلك وهو قولهم سمعنا واطعنا (فبما نقضهم ميثاقهم) اى فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم مافعلنا بنقضهم ومامزيدة للتأكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف ويجوز ان يتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض وماعطف عليه الى قوله فبظلم لا بما يدل عليه قوله بل طبع الله عليها مثل لايؤمنون لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة وقولهم المعطوف على المجرور فلايعمل فى جاره (وكفرهم بآيات الله) بالقرآن او بما فى كتابهم (وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف) اوعية للعلوم او فى اكنة مما تدعونا اليه (بل طبع الله عليها بكفرهم) فجعلها محجوبة عن العلم او خذلها ومنعها التوفيق للتدبر فى الآيات والتذكر بالمواعظ (فلايؤمنون الا قليلا) منهم كعبدالله بن سلام او ايمانا قليلا لاعبرة به لنقصانه (وبكفرهم) بعيسى وهو معطوف على بكفرهم لانه من اسباب الطبع او على قوله فبما نقضهم ويجوز ان يعطف مجموع هذا

(وما)

لما تابوا (ثم عموا وصموا) ثانيا (كثير منهم) بدل من الضمير (والله بصير بما يعملون) فيجازيهم به (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) سبق مثله (وقال) لهم (المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم) فانى عبد ولست باله (انه من يشرك بالله) فى العبادة غيره (فقد حرم الله عليه الجنة) منعه ان يدخلها (ومأواه النار ومالظالمين من) زائدة (أنصار) يمنعونهم من عذاب الله (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث) آلهة (ثلاثة) أى أحدها والآخران عيسى وامه وهم فرقة من النصارى (ومامن اله الااله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون) من التثليث ويوحدوا (ليمسن الذين كفروا) أى ثبتوا على الكفر (منهم عذاب أليم) مؤلم وهو النار (أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه) مما قالوه استفهام توبيخ (والله غفور) لمن تاب (رحيم) به (ماالمسيح ابن مريم الارسول قد خلت)

وماعطف عليه على مجموع ماقبله ويكون تكرير ذكر الكفر ايذانا بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم الصلوة والسلام (وقولهم على مريم بهتانا عظيما) يعنى نسبتها الى الزنا (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) اى بزعمهم ويحتمل انهم قالوه استهزاء ونظيره ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون وان يكون استئنافا من الله بمدحه اووضعا للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح (وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم) روى ان رهطا من اليهود سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم الله تعالى قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله تعالى بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافقه فخرج ليدل عليه فألقى الله عليه شبهه فاخذ وصلب وقتل وقيل دخل طيطانوس اليهودى بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق التى لاتستبعد فى زمان النبوة وانما ذمهم الله تعالى بمادل عليه الكلام من جراءتهم على الله وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم به لابقولهم هذا على حسب حسبانهم وشبه مسند الى الجار والمجرور وكأنه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول اوفى الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثم قتيلا (وان الذين اختلفوا فيه) فى شأن عيسى عليه السلام فانه لماوقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعنى الى السماء انه رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت (لفى شك منه) لفى تردد والشك كما يطلق على مالايترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى مايقابل العلم ولذلك اكده بقوله (مالهم به من علم الا اتباع الظن) استثناء منقطع اى ولكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذى تسكن اليه النفس جزما كان اوغيره فيتصل الاستثناء (وماقتلوه يقينا) قتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح او متيقنين وقيل معناه ماعلموه يقينا

مضت (من قبله الرسل) فهو يمضى مثلهم وليس باله كما زعموا والا لمامضى (وأمه صديقة) مبالغة فى الصدق (كانا يأكلان الطعام) كغيرهما من الحيوانات ومن كان كذلك لايكون الها لتركيبه وضعفه ومايىشأ منه من البول والغائط (انظر) متعجبا (كيف نبين لهم الآيات) على وحدانيتنا (ثم انظر انى) كيف (يؤفكون) يصرفون عن الحق مع قيام البرهان (قل اتعبدون من دون الله) أى غيره (مالايملك لكم ضرا ولانفعا والله هو السميع) لاقوالكم (العليم) باحوالكم والاستفهام للانكار (قل ياأهل الكتاب) اليهود والنصارى (لاتغلوا) تجاوزوا الحد (فى دينكم) غلوا (غير الحق) بأن تضعوا عيسى اوترفعوه فوق حقه (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل) بغلوهم وهم أسلافهم (وأضلوا كثيرا) من الناس (وضلوا عن سواء السبيل) طريق

كقول الشاعر * كذاك يخبر عنها العالمات بها * وقد قتلت بمامى ذلكم يقنا
من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك فيه (بل رفعه الله اليه)
رد وانكار لقتله واثبات لرفعه (وكان الله عزيزا) لا يغلب على مايريد
(حكيما) فيما دبر لعيسى لا يعبث (وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته)
اى ومامن اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به فقوله ليؤمنن جملة قسمية وقعت صفة
لاحد ويعود اليه الضمير الثانى والاول لعيسى والمعنى مامن اليهود والنصارى
احد الا ليؤمنن بان عيسى عبد الله ورسوله قبل ان يموت ولو حين ان تزهق
روحه ولا ينفعه ايمانه ويؤيد ذلك انه قرئ الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم
النون لان احدا فى معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة
الايمان به قبل ان يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران لعيسى
والمعنى انه اذا نزل من السماء آمن به اهل الملل جميعا روى انه ينزل من السماء
حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى احد من اهل الكتاب الا ليؤمنن به حتى
تكون الملة واحدة وهى ملة الاسلام وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع
الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث
فى الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه (ويوم القيمة
يكون عليهم شهيدا) فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم
دعوه ابن الله (فبظلم من الذين هادوا) اى فباى ظلم منهم (حرمنا عليهم
طيبات احلت لهم) يعنى ماذكره فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا (وبصدهم
عن سبيل الله كثيرا) ناسا كثيرا اوصدا كثيرا (واخذهم الربوا وقدنهوا
عنه) كان الربوا محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على دلالة النهى
على التحريم (واكلهم اموال الناس بالباطل) بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة
(واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما) دون من تاب وآمن (لكن الراسخون
فى العلم منهم) كعبد الله بن سلام واصحابه (والمؤمنون) اى منهم او
من المهاجرين والانصار (يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك) خبر للمبتدأ
(والمقيمين الصلوة) نصب على المدح ان جعل يؤمنون الخبر لاولئك او عطف
على ما انزل اليك والمراد بهم الانبياء اى يؤمنون بالكتب وبالانبياء وقرئ بالرفع
عطفا على الراسخون او على الضمير فى يؤمنون او على انه مبتدأ والخبر اولئك
سنؤتيهم (والمؤتون الزكوة) رفعه لاحد الاوجه المذكورة (والمؤمنون بالله
واليوم الآخر) قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب ومايصدقه من اتباع

(الشرائع)

الحق والسواء فى الاصل
الوسط (لعن الذين كفروا
من بنى اسرائيل على لسان
داود) بأن دعا عليهم فمسخوا
قردة وهم أصحاب أيلة
(وعيسى ابن مريم) بأن دعا
عليهم فمسخوا خنازير وهم
أصحاب المائدة (ذلك) اللعن
(بما عصوا وكانوا يعتدون
كانوا لايتناهون) أى لاينهى
بعضهم بعضا (عن) معاودة
(منكر فعلوه لبئسما كانوا يفعلون) ه
فعلهم هذا (ترى) يامحمد
(كثيرا منهم يتولون الذين
كفروا) من أهل مكة بغضا
لك (لبئسما قدمت لهم
أنفسهم) من العمل لمعادهم
الموجب لهم (أن سخط الله
عليهم وفى العذاب هم خالدون
ولوكانوا يؤمنون بالله والنبى)
محمد (وما أنزل اليه ما اتخذوهم)
أى الكفار (أولياء ولكن
كثيرا منهم فاسقون) خارجون
عن الايمان (لتجدن) يامحمد
(اشد الناس عداوة للذين
آمنوا اليهود والذين أشركوا)
من أهل مكة لتضاعف كفرهم
وجهلهم وانهماكهم فى اتباع
الهوى (ولتجدن أقربهم

الشرائع لانه المقصود بالآية (اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما) على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح وقرأ حمزة سيؤتيهم بالياء (انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده) جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان امره بالوحى كسائر الانبياء (واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان) خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيما لهم فان ابراهيم اول اولى العزم منهم وعيسى آخرهم والباقين اشراف الانبياء ومشاهيرهم (وآتينا داود زبورا) وقرأ حمزة زبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور (ورسلا) نصب بمضمر دل عليه اوحينا اليك كارسلنا او فسره (قد قصصناهم عليك من قبل) اى من قبل هذه السورة او اليوم (ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما) وهو منتهى مراتب الوحى خص به موسى من بينهم وقد فضل الله محمدا صلى الله عليه وسلم بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم (رسلا مبشرين ومنذرين) نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال ويكون رسلا موطأ لما بعده كقولك مررت بزيد رجلا صالحا (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فينبهنا ويعلمنا ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس ضرورة لقصور الكل عن ادراك جزئيات المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها واللام متعلقة بارسلنا او بقوله * مبشرين ومنذرين * وحجة اسم كان وخبره للناس او على الله والآخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر وبعد ظرف لها او صفة (وكان الله عزيزا) لا يغلب فيما يريده (حكيما) فيما دبر من امر النبوة وخص كل نبى بنوع من الوحى والاعجاز (لكن الله يشهد) استدراك عن مفهوم ما قبله وكأنه لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله * انا اوحينا اليك * قال انهم لا يشهدون ولكن الله يشهد او انهم انكروه ولكن الله يثبته ويقرره (بما انزل اليك) من القرآن المعجز الدال على نبوتك روى انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك فنزلت (انزله بعلمه) انزله ملتبسا بعلمه الخاص به وهو العلم بتأليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ او بحال من يستعد للنبوة ويستأهل نزول الكتاب عليه او بعلمه الذى يحتاج اليه الناس فى معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور على الاولين حال من الفاعل وعلى الثالث حال من المفعول

مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك) أى قرب مودتهم للمؤمنين (بان) بسبب أن (منهم قسيسين) علماء (ورهبانا) عبادا (وأنهم لا يستكبرون) عن اتباع الحق كما يستكبر اليهود وأهل مكة نزلت فى وفد النجاشى القادمين عليهم من الحبشة قرأ صلى الله عليه وسلم سورة يس فبكوا وأسلموا وقالوا ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى قال تعالى (واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول) من القرآن (ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا) صدقنا بنبيك وكتابك (فاكتبنا مع الشاهدين) المقرين بتصديقهما (و) قالوا فى جواب من عيرهم بالاسلام من اليهود (ما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق) القرآن أى لا مانع لنا من الايمان مع وجود مقتضيه (ونطمع) عطف على نؤمن (أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) المؤمنين الجنة قال تعالى

والجملة كالتفسير لما قبلها ﴿ والملائكة يشهدون ﴾ ايضا بنبوتك وفيه تنبيه على انهم يودون ان يعلموا صحة دعوى النبوة على وجه يستغنى عن النظر والتأمل وهذا النوع من خواص الملك ولاسبيل للانسان الى العلم بامثال ذلك سوى الفكر والنظر فلو اتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها كما عرفت الملائكة وشهدوا عليها ﴿ وكفى بالله شهيدا ﴾ وكفى بما اقام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره ﴿ ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا ﴾ لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اغرق فى الضلال وابعد من الانقلاع عنه ﴿ ان الذين كفروا وظلموا ﴾ محمدا صلى الله عليه وسلم بانكار نبوته او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم او باعم من ذلك والآية تدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم ﴿ لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا ﴾ لجرى حكمه السابق ووعده المحتوم على ان من مات على كفره فهو خالد فى النار وخالدين حال مقدرة ﴿ وكان ذلك على الله يسيرا ﴾ لا يعسر عليه ولا يستعظمه ﴿ يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم ﴾ لما قرر امر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم بها ووعيد من انكرها خاطب الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد ﴿ فآمنوا خيرا لكم ﴾ اى ايمانا خيرا لكم اوائتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه وقيل تقديره يكن الايمان خيرا لكم ومنعه البصريون لان كان لا يحذف مع اسمه الا فيما لابد منه ولانه يؤدى الى حذف الشرط وجوابه ﴿ وان تكفروا فان لله مافى السموات والارض ﴾ يعنى وان تكفروا فهو غنى عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم ونبه على غناه بقوله * لله مافى السموات والارض * وهو يعم مااشتملتا عليه وماتركبتا منه ﴿ وكان الله عليما ﴾ باحوالهم ﴿ حكيما ﴾ فيما دبر لهم ﴿ يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ﴾ الخطاب للفريقين غلت اليهود فى حط عيسى عليه السلام حتى رموه بانه ولد لغير رشدة والنصارى فى رفعه حتى اتخذوه الها وقيل للنصارى خاصة فانه اوفق لقوله ﴿ ولا تقولوا على الله الا الحق ﴾ يعنى تنزيهه عن الصاحبة والولد ﴿ انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم ﴾ اوصلها اليها وحصلها فيها ﴿ وروح منه ﴾ وذو روح صدر منه لا بتوسط مايجرى مجرى الاصل والمادة له وقيل

(سمى)

(فاثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين) بالايمان (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم) ونزل لماهم قوم من الصحابة أن يلازموا الصوم والقيام ولايقربوا النساء والطيب ولايأكلوا اللحم ولاينامو على الفراش (يا أيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ماأحل الله لكم ولا تعتدوا) تجاوزوا أمر الله (ان الله لايحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) مفعول والجار والمجرور قبله حال متعلق به (واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون لايؤاخذكم الله باللغو) الكائن (فى أيمانكم) هو مايسبق اليه اللسان من غير قصد الحلف كقول الانسان لاوالله وبلى والله (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم) بالتخفيف والتشديد وفى قراءة عاقدتم (الايمان) عليه بان حلفتم عن قصد (فكفارته) اى اليمين اذا حنثتم فيه (اطعام عشرة مساكين) لكل مسكين مد (من أوسط

سمى روحا لانه كان يحيي الاموات او القلوب (فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة) اى الآلهة ثلاثة الله والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله تعالى ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله اوالله ثلاثة ان صح انهم يقولون الله ثلاثة اقانيم الاب والابن وروح القدس ويريدون بالاب الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحيوة (انتهوا) عن التثليث (خيرا لكم) نصبه لما سبق (انما الله اله واحد) واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما (سبحانه ان يكون له ولد) اى اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد فانه يكون لمن يعادله مثل ويتطرق اليه فناء (له ما فى السموات وما فى الارض) ملكا وخلقا لا يماثله شئ من ذلك فيتخذه ولدا (وكفى بالله وكيلا) تنبيه على غناه عن الولد فان الحاجة اليه ليكون وكيلا لابيه والله سبحانه قائم بحفظ الاشياء كاف فى ذلك مستغن عمن يخلفه او يعينه (لن يستنكف المسيح) لن يأنف من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك كى لا يرى اثره عليك (ان يكون عبدا لله) من ان يكون عبدا له فان عبوديته شرف يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف فى عبودية غيره روى ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال صلى الله تعالى عليه وسلم ومن صاحبكم قالوا عيسى عليه السلام قال عليه السلام واى شئ اقول قالوا تقول انه عبدالله ورسوله قال انه ليس بعار ان يكون عبدالله قالوا بلى فنزلت (ولا الملائكة المقربون) عطف على المسيح اى ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا واحتج به من زعم فضل الملائكة على الانبياء وقال مساقه لرد النصارى فى رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضى ان يكون المعطوف اعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه ان الآية للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وان سلم اختصاصها بالنصارى فلعله اراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس وان اراد به التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون الذين هم حول العرش او من اعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الانبياء وذلك لا يستلزم فضل احد الجنسين على الآخر مطلقا والنزاع فيه (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر) ويترفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وانما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون

ماتطعمون)منه (أهليكم)اى أقصده وأغلبه لاأعلاه ولاأدناه (او كسوتهم) بمايسمى كسوة كقميص وعمامة وازار ولايكفى دفع ماذكر الى مسكين واحد وعليه الشافعى (أو تحرير) عتق(رقبة)أى مؤمنة كافى كفارة القتل والظهار حملا للمطلق على المقيد (فمن لم يجد) واحدا مماذكر (فصيام ثلاثة أيام) كفارته وظاهره انه لايشترط التتابع وعليه الشافعى (ذلك) المذكور (كفارة أيمانكم اذا حلفتم) وحنثتم (واحفظوا أيمانكم) ان تنكثوها ما لم تكن على فعل بر أو اصلاح بين الناس كما فى سورة البقرة (كذلك) أى مثل مابين لكم ماذكر (يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون) ه على ذلك (ياأيها الذين آمنوا انما الخمر) المسكر الذى يخامر العقل (والميسر) القمار (والانصاب) الاصنام (والازلام) قداح الاستقسام (رجس) خبيث مستقذر (من عمل الشيطان) الذى يزينه (فاجتنبوه)

باستحقاق (فسيحشرهم اليه جميعا) فيجازيهم (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) تفضيل للمجازاة العامة المدلول عليها من فحوى الكلام وكأنه قال فسيحشرهم اليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة او لمجازاتهم فان اثابة مقابليهم بالاحسان اليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة (ياأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا) عنى بالبرهان المعجزات وبالنور القرآن اى قد جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل البرهان الدين او رسول الله صلى الله عليه وسلم او القرآن (فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه) فى ثواب قدره بازاء ايمانه وعمله رحمة منه لاقضاء لحق واجب (وفضل) احسان زائد عليه (ويهديهم اليه) الى الله وقيل الى الموعود (صراطا مستقيما) هو الاسلام والطاعة فى الدنيا وطريق الجنة فى الآخرة (يستفتونك) اى فى الكلالة حذفت لدلالة الجواب عليها روى ان جابر ابن عبدالله كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال انى كلالة فكيف اصنع فى مالى فنزلت وهى آخر مانزلت فى الاحكام (قل الله يفتيكم فى الكلالة) سبق تفسيرها فى اوائل السورة (ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ماترك) ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس له ولد صفة له او حال من المستكن فى هلك والواو فى وله يحتمل الحال والعطف والمراد بالاخت الاخت من الابوين او الاب لانه جعل اخوها عصبة وابن الام لايكون عصبة والولد على ظاهره فان الاخت وان ورثت مع البنت عند عامة العلماء غير ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لكنها لاترث النصف (وهو يرثها) اى والمرء يرث اخته ان كان الامر بالعكس (ان لم يكن لها ولد) ذكرا كان او انثى ان اريد بيرثها يرث جميع مالها والا فالمراد به الذكر اذ البنت لاتحجب الاخ والآية كما لم تدل على سقوط الاخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم به وقد دلت السنة على انهم لايرثون مع الاب وكذا مفهوم قوله قل الله يفتيكم فى الكلالة ان فسرت بالميت (فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك) الضمير لمن يرث بالاخوة وتثنيته محمولة على المعنى وفائدة الاخبار عنه باثنتين التنبيه على ان الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما (وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين)

أى الرجس المعبر به عن هذه الاشياء أن تفعلوه (لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر) اذا اتيتموهما لما يحصل فيهما من الشر والفتن (ويصدكم) بالاشتغال بهما (عن ذكر الله وعن الصلوة) خصهما بالذكر تعظيما لهما (فهل أنتم منتهون) عن اتيانهما أى انتهوا (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا) المعاصى (فان توليتم) عن الطاعة (فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين) الابلاغ البين وجزاؤكم علينا (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) أكلوا من الخمر والميسر قبل التحريم (اذا ما اتقوا) المحرمات (وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا) ثبتوا على التقوى والايمان (ثم اتقوا وأحسنوا) العمل (والله يحب المحسنين) بمعنى أنه يثيبهم (ياأيها الذين آمنوا ليبلونكم) ليختبرنكم (الله بشىء) يرسله لكم (من الصيد تناله) أى الصغار منه (أيديكم

اصله وان كانوا اخوة واخوات فغلب المذكر (يبين الله لكم ان تضلوا) اى يبين لكم ضلالكم الذى من شأنكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتحروا خلافه اويبين لكم الحق والصواب كراهة ان تضلوا وقيل لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين (والله بكل شئ عليم) فهو عالم بمصالح العباد فى المحيا والممات * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطى من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان فى مشيئة الله تعالى من الذين تجاوز عنهم

سورة المائدة مدنية وهى مائة وثلاث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(ياايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود) الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الايفاء والعقد العهد الموثق قال الحطيئة * قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم * شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا * وأصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود مايعم العقود التى عقدها الله تعالى على عباده والزمها اياهم من التكاليف ومايعقدون بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به اويحسن ان حملنا الامر على المشترك بين الوجوب والندب (احلت لكم بهيمة الانعام) تفصيل للعقود والبهيمة كل حى يميز وقيل كل ذات اربع قوائم واضافتها الى الانعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناه البهيمة من الانعام وهى الازواج الثمانية والحق بها الظباء وبقر الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الانعام فى الاجترار وعدم الانياب واضافتها الى الانعام لملابسة الشبه (الامايتلى عليكم) الامحرم مايتلى عليكم كقوله تعالى حرمت عليكم الميتة اوالامايتلى عليكم آية تحريمه (غير محلى الصيد) حال من الضمير فى لكم وقيل من واو اوفوا وقيل استثناء وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول (وانتم حرم) حال مما استكن فى محلى والحرم جمع حرام وهو المحرم (ان الله يحكم مايريد) من تحليل اوتحريم (ياايها الذين آمنوا لاتحلوا شعائر الله) يعنى مناسك الحج جمع شعيرة وهى اسم مااشعر اى جعل شعارا سمى به اعمال الحج ومواقفه لانها علامات الحج واعلام النسك وقيل دين الله لقوله تعالى ومن يعظم شعائر الله اى دينه وقيل فرائضه التى حدها لعباده (ولاالشهر الحرام) بالقتال فيه اوبالنسئ (ولاالهدى) مااهدى الى الكعبه جمع هدية

و رماحكم) الكبار منه وكان ذلك بالحديبية وهم محرمون فكانت الوحش والطير تغشاهم فى رحالهم (ليعلم الله) علم ظهور (من يخافه بالغيب) حال اى غائبا لم يره فيجتنب الصيد (فمن اعتدى بعد ذلك) النهى عنه فاصطاده (فله عذاب اليم ياايها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وأنتم حرم) محرمون بحج اوعمرة (ومن قتله منكم متعمدا فجزاء) بالتنوين ورفع مابعده اى فعليه جزاء هو (مثل ماقتل من النعم) اى شبهه فى الخلقة وفى قراءة باضافة جزاء (يحكم به) اى بالمثل رجلان (ذوا عدل منكم) لهما فطنة يميزان بها أشبه الاشياء به وقد حكم ابن عباس وعمر وعلى فى النعامة ببدنة وابن عباس وابو عبيدة فى بقر الوحش وحماره ببقرة وابن عمر وابن عوف فى الظبى بشاة وحكم بها ابن عباس وعمر وغيرهما فى الحمام لانه يشبهها فى العب (هديا) حال من جزاء (بالغ الكعبة) اى يبلغ به الحرم فيذبح فيه ويتصدق به على مساكينه

لجدى في جمع جدية السرج ﴿ ولا القلائد ﴾ اى ذوات القلائد من الهدى وعطفها على الهدى للاختصاص فانها اشرف الهدى او القلائد انفسها والنهى عن احلالها مبالغة فى النهى عن التعرض للهدى و نظيره قوله تعالى ولا يبدين زينتهن والقلائد جمع قلادة وهو ماقلد به الهدى من نعل او لحاء شجر اوغيرها ليعلم به انه هدى فلا يتعرض له ﴿ ولاآمين البيت الحرام ﴾ قاصدين لزيارته ﴿ يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ﴾ ان يثيبهم و يرضى عنهم والجملة فى موضع الحال من المستكن فى آمين وليست صفة له لانه عامل والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفائدته استنكار تعرض من هذا شأنه والتنبيه على المانع له وقيل معناه يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذروى ان الآية نزلت عام القضية فى حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يتعرضوا لهم بسبب انه كان فيهم الحطيم شريح بن ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة وعلى هذا فالآية منسوخة وقرئ تبتغون على خطاب المؤمنين ﴿ واذا حللتم فاصطادوا ﴾ اذن فى الاصطياد بعد زوال الاحرام ولا يلزم من ارادة الاباحة ههنا من الامر دلالة الامر الآتى بعد الحظر على الاباحة مطلقا وقرئ بكسر الفاء على القاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا وقرئ احللتم يقال حل المحرم واحل ﴿ ولا يجرمنكم ﴾ اى لا يحملنكم او لا يكسبنكم ﴿ شنآن قوم ﴾ شدة بغضهم وعداوتهم او هو مصدر اضيف الى المفعول او الفاعل وقرأ ابن عامر واسماعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون وهو ايضا مصدر كليان او نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان فى النعت اكثر كعطشان وسكران ﴿ ان صدوكم عن المسجد الحرام ﴾ لان صدوكم عام الحديبية وقرأ ابن كثير وابو عمرو بكسر الهمزة على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم ﴿ ان تعتدوا ﴾ بالانتقام ثانى مفعولى يجرمنكم فانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب ومن قرأ يجرمنكم بضم الياء جعله منقولا من المتعدى الى مفعول بالهمزة الى مفعولين ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى ﴿ ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ﴾ للتشفى والانتقام ﴿ واتقوا الله ان الله شديد العقاب ﴾ فانتقامه اشد ﴿ حرمت عليكم الميتة ﴾ بيان ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير تذكية ﴿ والدم ﴾ اى الدم المسفوح لقوله او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه فى الامعاء ويشوونها ﴿ ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به

ولا يجوز ان يذبح حيث كان ونصبه نعتا لما قبله وان اضيف لان اضافته لفظية لا تفيد تعريفا فان لم يكن للصيد مثل من النعم كالعصفور والجراد فعليه قيمته ﴿ أو ﴾ عليه ﴿ كفارة ﴾ غير الجزاء وان وجده هى ﴿ طعام مساكين ﴾ من غالب قوت البلد مايساوى قيمة الجزاء لكل مسكين مد وفى قراءة باضافة كفارة لما بعده وهى للبيان ﴿ او ﴾ عليه ﴿ عدل ﴾ مثل ﴿ ذلك ﴾ الطعام ﴿ صياما ﴾ يصومه عن كل مد يوما وان وجده وجب ذلك عليه ﴿ ليذوق وبال ﴾ ثقل جزاء ﴿ أمره ﴾ الذى فعله ﴿ عفا الله عما سلف ﴾ من قتل الصيد قبل تحريمه ﴿ ومن عاد ﴾ اليه ﴿ فينتقم الله منه والله عزيز ﴾ غالب على امره ﴿ ذو انتقام ﴾ ممن عصاه والحق بقتله متعمدا فيما ذكر الخطأ ﴿ احل لكم ﴾ ايها الناس حلالا كنتم او محرمين ﴿ صيد البحر ﴾ ان تأكلوه وهو ما لا يعيش الا فيه كالسمك بخلاف مايعيش فيه وفى البر كالسرطان ﴿ وطعامه ﴾ مايقذفه

اى رفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه
(والمنخنقة) التى ماتت بالخنق (والموقوذة) المضروبة بنحو خشب أو حجر
حتى تموت من وقذته اذا ضربته (والمتردية) التى تردت من علو او فى بئر
فماتت (والنطيحة) التى نطحتها اخرى فماتت والتاء فيها للنقل (وما اكل
السبع) اى وما اكل منه السبع فمات وهو يدل على ان جوارح الصيد
اذا اكلت مما اصطادته لم يحل (الاماذكيتم) الا ما ادركتم ذكاته وفيه حيوة
مستقرة من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكاة فى الشرع
بقطع الحلقوم والمرىء بمحدد (وماذبح على النصب) النصب واحد
الانصاب وهى احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون
ذلك قربة وقيل هى الاصنام وعلى بمعنى اللام اوعلى اصلها بتقدير وماذبح
مسمى على الاصنام وقيل هو جمع والواحد نصاب (وان تستقسموا بالازلام)
اى وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا
ثلاثة اقداح مكتوب على احدها امرنى ربى وعلى الآخر نهانى والثالث
غفل فان خرج الآمر مضوا على ذلك وان خرج الناهى تجنبوا عنه
وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ماقسم لهم دون
مالم يقسم لهم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء
المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل وزلم كصرد (ذلكم فسق) اشارة الى
الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول فى علم الغيب وضلال باعتقاد ان ذلك
طريق اليه وافتراء على الله ان اريد ربى الله وجهالة وشرك ان اريد به صنم
او الميسر المحرم اوالى تناول ماحرم عليهم (اليوم) لم يرد به يوما بعينه وانما
المراد الزمن الحاضر ومايتصل به من الازمنة الآتية وقيل اراد يوم نزولها
وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع (يئس الذين كفروا
من دينكم) اى من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيره اومن
ان يغلبوكم عليه (فلاتخشوهم) ان يظهروا عليكم (واخشون) واخلصوا
الخشية لى (اليوم اكملت لكم دينكم) بالنصر والاظهار على الاديان كلها
اوبالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على اصول الشرائع وقوانين
الاجتهاد (واتممت عليكم نعمتى) بالهداية والتوفيق اوباكمال الدين اوبفتح
مكة وهدم منار الجاهلية (ورضيت لكم الاسلام) اخترته لكم (دينا) من بين
الاديان وهو الدين عندالله لاغير (فمن اضطر) متصل بذكر المحرمات

ميتا (متاعا) تمتيعا (لكم) تأكلونه (وللسيارة) المسافرين منكم يتزودونه (وحرم عليكم صيدالبر) وهومايعيش فيه من الوحش المأكول أن تصيدوه (مادمتم حرما) فلوصاده حلال فللمحرم أكله كما بينته السنة (واتقوا الله الذى اليه تحشرون جعل الله الكعبة البيت الحرام) المحرم (قياماللناس) يقوم به أمر دينهم بالحج اليه ودنياهم بأمن داخله وعدم التعرض له وجبى ثمرات كل شيء اليه وفى قراءة قيما بلاألف مصدر قام غير معل (والشهر الحرام) بمعنى الاشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب قياما لهم بأمنهم من القتال فيها (والهدى والقلائد) قياما لهم بأمن صاحبهما من التعرض له (ذلك) الجعل المذكور (لتعلموا أن الله يعلم مافى السموات وما فى الارض وان الله بكل شيء عليم) فان جعله ذلك لجلب المصالح لكم ودفع المضار عنكم قبل وقوعها دليل على علمه بماهو فى الوجود وما هو كائن

وماينهما اعتراض بمايوجب التجنب عنها وهوان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضى والمعنى فمن اضطر الى تناول شىء من هذه المحرمات (فى مخمصة) مجاعة (غير متجانف لاثم) غير مائل له و منحرف اليه بان يأكلها تلذذا او متجاوزا حد الرخصة لقوله غير باغ ولاعاد (فان الله غفور رحيم) لايؤخذه بأكله (يسألونك ماذا احل لهم) لما تضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة وقد سبق الكلام فى ماذا وانما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان يسألونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين سائغ فى امثاله والمسؤل مااحل لهم من المطاعم كأنهم لما تلى عليهم ماحرم عليهم سألوا عما احل لهم (قل احل لكم الطيبات) مالم يستخبثه الطباع السليمة ولم تتنفر عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب او مالم يدل نص او قياس على حرمته (وماعلمتم من الجوارح) عطف على الطيبات ان جعلت ماموصولة على تقدير وصيد ماعلمتم وجملة شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد على اهلها من سباع ذوات الاربع والطير (مكلبين) معلمين اياه الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التأديب يكون اكثر فيه وآثر اولان كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه الصلوة والسلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه على الحال من علمتم وفائدتها المبالغة فى التعليم (تعلمونهن) حال ثانية او استئناف (مما علمكم الله) من الحيل وطرق التأديب فان العلم بها الهام من الله تعالى او مكتسب بالعقل الذى هو منحة منه اومما علمكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وينزجر بزجره وينصرف بدعائه ويمسك عليه الصيد ولايأكل منه (فكلوا مما امسكن عليكم) وهو مالم يأكل منه لقوله عليه الصلوة والسلام لعدى بن حاتم وان اكل منه فلا تأكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لايشترط ذلك فى سباع الطير لان تأديبها الى هذا الحد متعذر وقال آخرون لايشترط مطلقا (واذكروا اسم الله عليه) الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند ارساله اولما امسكن بمعنى سموا عليه اذا ادركتم ذكاته (واتقوا الله) فى محرماته (ان الله سريع الحساب) فيؤاخذكم بما جل ودق (اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم) يتناول الذبائح وغيرها ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واستثنى على رضى الله تعالى عنه بنى تغلب وقال ليسوا

(اعلموا ان الله شديد العقاب) لاعدائه (وان الله غفور) لاوليائه (رحيم) بهم (ماعلى الرسول الاالبلاغ) الابلاغ لكم (والله يعلم ماتبدون) تظهرون من العمل (وما تكتمون) تخفون منه فيجازيكم به (قل لايستوى الخبيث) الحرام (والطيب) الحلال (ولو أعجبك) اى سرك (كثرة الخبيث فاتقوا الله) فى تركه (ياأولى الالباب لعلكم تفلحون) تفوزون * ونزل لما اكثروا سؤاله صلى الله عليه وسلم (ياأيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشياء ان تبد) تظهر (لكم تسؤكم) لما فيها من المشقة (وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن) اى فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم (تبدلكم) المعنى اذا سألتم عن اشياء فى زمنه ينزل القرآن بابدائها ومتى أبدأها ساءتكم فلا تسألوا عنها قد (عفا الله عنها) عن مسئلتكم فلا تعودوا (والله غفور حليم قد سألها) اى الاشياء (قوم من قبلكم) انبياءهم فاجيبوا ببيان احكامها (ثم اصبحوا)

على النصرانيــة ولم يأخذوا منهــا الاشرب الخمر ولا يلحق بهم المجوس في ذلك وان الحقوا بهم في التقرير على الجزية لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحى نسائهم ولا آكلى ذبائحهم (وطعامكم حل لهم) فلا حرج عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك (والمحصنات من المؤمنات) اى الحرائر العفــائف وتخصيصهن بعث على ماهو الاولى (والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم) وان كن حربيات وقال ابن عباس رضي الله عنهمــا لاتحل الحربيــات (اذا آتيتموهن اجورهن) مهورهن وتقييد الحل بايتائها لتأكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد بايتائها التزامها (محصنين) اعفاء بالنكاح (غير مسافحين) غير مجاهرين بالزنى (ولا متخذى اخدان) مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى (ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين) يريد بالايمان شرائع الاسلام وبالكفر به انكاره والامتناع عنه (ياأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة) اذا اردتم القيام كقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان من اراد العبادة ينبغي ان يبادر اليهــا بحيث لاينفك الفعل عن الارادة اواذا قصدتم الصلوة لان التوجه الى الشيء والقيام اليه قصدله وظــاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلوة وان لم يكن محدثا والاجماع على خلافــه لماروى انه عليه الصلوة والسلام صلى الصلوات الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر رضي الله تعالى عنه صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته فقيل مطلق اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلوة محدثين وقيل الامر فيه للندب وقيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله صلى الله عليه وسلم المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها (فاغسلوا وجوهكم) امروا الماء عليها ولاحاجة الى الدلك خلافا لمالك (وايديكم الى المرافق) الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله تعالى ويزدكم قوة الى قوتكم او متعلقة بمحذوف تقديره وايديكم مضافة الى المرافق ولو كان كذلك لم يبق معنى للتحديد ولالذكره مزيد فائدة لان مطلق اليد يشتمل عليها وقيل الى تفيد الغاية مطلقا واما دخولها في الحكم او خروجها منه فلادلالة لها عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن في الآية وكان الايدى متناولة لها فحكم بدخولها احتياطا وقيل الى من حيث انها تفيد الغاية

صاروا (بهــا كافرين) بتركهم العمل بها (ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) كما كان أهل الجاهلية يفعلونه روى البخاري عن سعيد بن المسيب قال البحيرة التي يمنع درهــا للطواغيت فلا يحلبها أحد من النــاس والســائبة التي كانوا يسيبونهــا لآلهتهم فلا يحمل عليها شيء والوصيلة الناقة البكر تبكر في اول نتاج الابل بأنثى ثم تثنى بعد بأنثى وكانوا يسيبونهــا لطواغيتهم ان وصلت احداهما بأخرى ليس بينهما ذكر والحام فحل الابل يضرب الضراب المعدود فاذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأعفوه من الحمل عليه فلا يحمل عليه شيء وسموه الحــامي (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) في ذلك وفي نسبته اليه (واكثرهم لا يعقلون) ان ذلك افتراء لأنهم قلدوا فيه آباءهم (واذا قيل لهم تعالوا الى ماأنزل الله والى الرســول) أي الى حكمه من تحليل ماحرمتم (قالوا حسبنــا) كافينــا

تقتضى خروجها والا لم تكن غاية كقوله فنظرة الى ميسرة وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل لكن لما لم تميز الغاية ههنا عن ذى الغاية وجب ادخالها احتياطا (وامسحوا برؤسكم) الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل ومسحت بالمنديل ووجهه ان يقال انها تدل على تضمن الفعل معنى الالصاق فكأنه قيل وألصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضى الاستيعاب بخلاف مالو قيل وامسحوا رؤوسكم فانه كقوله فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء فى قدر الواجب فاوجب الشافعى رضى الله تعالى عنه اقل مايقع عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة رضى الله تعالى عنه مسح ربع الرأس لانه عليه الصلوة والسلام مسح على ناصيته وهو قريب من الربع ومالك رضى الله عنه مسح كله اخذا بالاحتياط . (وارجلكم الى الكعبين) نصبه نافع وابن عامر وحفص والكسائى ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يحدد وجره الباقون على الجوار ونظيره كثير فى القرآن والشعر كقوله تعالى عذاب يوم اليم وحور عين بالجر فى قراءه حمزة والكسائى وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب فى ذلك وفائدته التنبيه على انه ينبغى ان يقتصد فى صب الماء عليها ويغسل غسلا يقرب من المسح وفى الفصل بينه وبين اخواته ايماء الى وجوب الترتيب وقرئ بالرفع على وارجلكم مغسولة (وان كنتم جنبا فاطهروا) فاغتسلوا (وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه) سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل الكلام فى بيان انواع الطهارة (مايريد الله ليجعل عليكم من حرج) اى مايريد الامر بالطهارة للصلوة اوالامر بالتيمم تضييقا عليكم (ولكن يريد ليطهركم) لينظفكم اوليطهركم من الذنوب فان الوضوء تكفير للذنوب اوليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهير بالماء فمفعول يريد فى الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى مايريد الله ان يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم فى التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو ضعيف لان ان لا تقدر بعد المزيدة . (وليتم نعمته عليكم) ليتم بشرعه ماهو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم فى الدين اوليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه (لعلكم تشكرون) نعمته والآية مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان

(ماوجدنا عليه آباءنا) من الدين والشريعة قال تعالى (أ) حسبهم ذلك (ولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون) الى الحق والاستفهام للانكار (ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) أى احفظوها وقوموا باصلاحها (لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) قيل المراد لا يضركم من ضل من أهل الكتاب وقيل المراد غيرهم لحديث أبى ثعلبة الخشنى سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك نفسك رواه الحاكم وغيره (الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم به (ياأيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت) أى أسبابه (حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم) خبر بمعنى الامر اى ليشهد واضافة شهادة لبين على الاتساع

مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان آلتهما مائع وجامد وموجبهما حدث اصغر او اكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض اوسفر وان الموعود عليها تطهير الذنوب واتمام النعمة (واذكروا نعمة الله عليكم) بالاسلام لتذكركم المنعم وترغبكم في شكره (وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا) يعني الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره اوميثاق ليلة العقبة او بيعة الرضوان (واتقوا الله) في انساء نعمه ونقض ميثاقه (ان الله عليم بذات الصدور) اي بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات اعمالكم (ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا) عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب مالا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما في قلوبكم (اعدلوا هو اقرب للتقوى) اي العدل اقرب للتقوى صرح لهم الامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعد مانهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان هذا العدل مع الكفار فماظنك بالعدل مع المؤمنين (واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم امالاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود اولمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء نائرة الغيظ (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم) انما حذف ثاني مفعولي وعد استغناء بقوله لهم مغفرة فانه استئناف يبينه وقيل الجملة في موقع المفعول فان الوعد ضرب من القول فكأنه قال وعدهم هذا القول (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم) هذا من عادته تعالى ان يتبع حال احد الفريقين حال الآخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم (ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) روي ان المشركين رأوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه بعسفان قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندموا ان لا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله كيدهم بان انزل صلوة الخوف والآية اشارة الى ذلك وقيل اشارة الى ماروي انه عليه الصلوة والسلام اتى قريظة ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو

وحين بدل من اذا أو ظرف لحضر (أو آخران من غيركم) أي غير ملتكم (ان أنتم ضربتم) سافرتم (في الارض فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما) توقفونهما صفة آخران (من بعد الصلوة) أي صلوة العصر (فيقسمان) يحلفان (بالله ان ارتبتم) شككتم فيهما ويقولان (لانشتري به) بالله (ثمنا) عوضا نأخذه بدله من الدنيا بأن نحلف به أو نشهد كاذبا لاجله (ولو كان) المقسم له أو المشهود له (ذا قربى) قرابة منا (ولانكتم شهادة الله) التي أمرنا بها (انا اذا) ان كتمناها (لمن الآثمين فان عثر) اطلع بعد حلفهما (على أنهما استحقا اثما) أي فعلا مايوجبه من خيانة أو كذب في الشهادة بان وجد عندهما مثلا مااتهما به وادعيا انهما ابتاعاه من الميت أو وصى لهما به (فآخران يقومان مقامهما) في توجه اليمين عليهما (من الذين استحق عليهم) الوصية وهم الورثة ويبدل من آخران (الاوليان)

ابن امية الضمرى خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم ياابا القاسم اجلس حتى نطعمك و نقرضك فاجلسوه وهموا بقتله فعمد عمر بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده فنزل جبريل فاخبره فخرج عليه السلام وقيل نزل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاء اعرابى فسل سيفه فقال من يمنعك منى فقال الله فاسقطه جبريل من يده فاخذه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك منى فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فنزلت (اذهم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم) بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به و بسط اليه لسانه اذا شتمه (فكف ايديهم عنكم) منعها ان تمد اليكم ورد مضرتها عنكم (واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فانه الكافى لايصال الخير ودفع الشر (ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل و بعثنا منهم اثنى عشر نقيبا) شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها او كفيلا يتكفل عليهم بالوفاء بما امروا به روى ان بنى اسرائيل لما فرغوا من فرعون واستقروا بمصر امرهم الله بالمسير الى اريحاء ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال انى كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فانى ناصركم وامر موسى ان يأخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا به فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم فرأوا أجراما عظيمة و بأسا شديدا فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم الا كالب بن يوقنا من سبط يهودا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف (وقال الله انى معكم) بالنصرة (لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلى وعزرتموهم) اى نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب ومنه التعزير (واقرضتم الله قرضا حسنا) بالانفاق فى سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر والمفعول (لاكفرن عنكم سيئاتكم) جواب للقسم المدلول عليه باللام فى لئن ساد مسد جواب الشرط (ولادخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك) بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم (منكم فقد ضل سواء السبيل) ضلالا لاشبهة فيه ولاعذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم) طردناهم من رحمتنا او مسخناهم اوضربنا عليهم الجزية (وجعلنا قلوبهم قاسية)

بالميت أى الاقربان اليه وفى قراءة الاولين جمع أول صفة أو بدل من الذين (فيقسمان بالله) على خيانة الشاهدين ويقولان (لشهادتنا) يميننا (أحق)أصدق(من شهادتهما) يمينهما (وما اعتدينا) تجاوزنا الحق باليمين (انا اذا لمن الظالمين) المعنى ليشهد المحتضر على وصيته اثنين أو يوصى اليهما من أهل دينه أوغيرهم ان فقدهم لسفر ونحوه فان ارتاب الورثة فيهما فادعوا أنهما خانا بأخذ شئ أودفعه الى شخص زعما أن الميت أوصى له به فليحلفا الى آخره فان اطلع على امارة تكذيبهما فادعيا دافعا له حلف أقرب الورثة على كذبهما وصدق ماادعوه والحكم ثابت فى الوصيين منسوخ فى الشاهدين وكذا شهادة غير أهل الملة منسوخة واعتبار صلوة العصر للتغليط وتخصيص الحلف فى الآية باثنين من أقرب الورثة لخصوص الواقعة التى نزلت لها وهى مارواه البخارى أن رجلا من بنى سهم

لاتنفعل عن الآيات والنذر وقرا حمزة والكسائى قسية وهى امامبالغة قاسية او بمعنى رديئة من قولهم درهم قسى اذاكان مغشوشا وهو ايضا من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ قسية باتباع القاف للسين (يحرفون الكلم عن مواضعه) استئناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لاقسوة اشد من تغيير كلام الله تعالى والافتراء عليه ويجوز ان يكون حالا من مفعول لعناهم لامن القلوب اذلاضمير له فيه (ونسوا حظا) وتركوا نصيبا وافيا (مما ذكروا به) من التورية اومن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم حرفوا التورية وتركوا حظهم مما انزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها فزلت بشؤمه اشياء منها عن حفظهم روى ان ابن مسعود قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية (ولاتزال تطلع على خائنة منهم) خيانة منهم اوفرقة خائنة اوخائن والهاء للمبالغة والمعنى ان الخيانة والغدر من عادتهم وعادة اسلافهم لاتزال ترى ذلك منهم (الاقليلا منهم) لم يخونوا وهم الذين آمنوا منهم وقيل الاستثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية (فاعف عنهم واصفح) ان تابوا وآمنوا اوان عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ بآية السيف (ان الله يحب المحسنين) تعليل للامر بالصفح وحث عليه وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن احسان فضلا عن غيره (ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم) اى واخذنا من النصارى ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا انا نصارى قوم اخذنا وانما قال قالوا انا نصارى ليدل على انهم سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله (فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا) فالزمنا من غرى بالشئ اذا لصق به (بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) بين فرق النصارى وهم نسطورية ويعقوبية وملكائية اوبينهم وبين اليهود (وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) بالجزاء والعقاب (ياأهل الكتاب) يعنى اليهود والنصارى ووحد الكتاب لانه للجنس (قدجاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) كنعت محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وآية الرجم فى التورية وبشارة عيسى باحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فى الانجيل (ويعفوعن كثير) مماتخفونه لايخبر به اذا لم يضطر اليه فى امر دينى اوعن كثير منكم فلايؤاخذه بجرمه (قدجاءكم من الله نور وكتاب مبين) يعنى القرآن فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الاعجاز وقيل يريد بالنور محمدا صلى الله تعالى

خرج مع تميم الدارى وعدى بن بداء أى وهما نصرانيان فمات السهمى بارض ليس فيها مسلم فلما قدما بتركته فقدوا جاما من فضة مخوصا بالذهب فرفعا الى النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت فاحلفهما ثم وجد الجام بمكة فقالوا ابتعناه من تميم وعدى فنزلت الآية الثانية فقام رجلان من أولياء السهمى فحلفا وفى رواية الترمذى فقام عمرو بن العاص ورجل آخر منهم فحلفا وكانا أقرب اليه وفى رواية فمرض فاوصى اليهما وأمرهما أن يبلغا ماترك أهله فلما مات أخذا الجام ودفعا الى أهله مابقى (ذلك) الحكم المذكور من رد اليمين على الورثة (أدنى) أقرب الى (أن يأتوا) أى الشهود أوالاوصياء (بالشهادة على وجهها) الذى يحملوها عليه من غير تحريف ولاخيانة (أو) أقرب الى أن (يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم) على الورثة المدعين فيحلفون على خيانتهم وكذبهم فيفتضحون و يغرمون فلا يكذبوا

عليه وسلم (يهدى به الله) وحد الضمير لان المراد بهما واحد او لانهما فى حكم الواحد (من اتبع رضوانه) من اتبع رضاه بالايمان منهم (سبل السلام) طرق السلامة من العذاب اوسبل الله (ويخرجهم من الظلمات الى النور) من انواع الكفر الى الاسلام (باذنه) بارادته او بتوفيقه (ويهديهم الى صراط مستقيم) طريق هو اقرب الطرق الى الله تعالى ومؤد اليه لامحالة (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) هم الذين قالوا بالاتحاد منهم قيل لم يصرح به احد منهم ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لااله الا الواحد لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم (قل فمن يملك من الله شيئا) فمن يمنع من قدرته شيئا (ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن فى الارض جميعا) احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره ان المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية (ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شئ قدير) ازاحة لما عرض لهم من الشبهة فى امره والمعنى انه تعالى قادر على الاطلاق يخلق من غير اصل كما خلق السموات والارض ومن اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كآدم خلقه من تراب وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه امامن ذكر وحده كما خلق حواء او من انثى وحدها كعيسى او منهما كسائر الناس (وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه) اشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابن الزبير الخبيبون اومقربون عنده قرب الاولاد من والدهم وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان فى سورة آل عمران (قل فلم يعذبكم بذنوبكم) اى فان صح مازعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان بهذا المنصب لايفعل مايوجب تعذيبه وقد عذبكم فى الدنيا بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم انه سيعذبكم بالنار اياما معدودة (بل انتم بشر ممن خلق) مما خلقه الله تعالى (يغفر لمن يشاء) وهم من آمن به وبرسله (ويعذب من يشاء) وهم من كفر والمعنى انه يعاملكم معاملة سائر الناس لامزية لكم عليه (ولله ملك السموات والاض ومابينهما) كلها سواء فى كونه خلقا وملكا له (واليه المصير) فيجازى المحسن باحسانه والمسئ باساءته (ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم) اى الدين وحذف لظهوره او ماكتمتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز ان يقدر مفعول على معنى يبذل لكم البيان والجملة فى موضع

(واتقوا الله) بترك الخيانة والكذب (واسمعوا) ماتؤمرون به سماع قبول (والله لايهدى القوم الفاسقين) الخارجين عن طاعته الى سبيل الخير اذكر (يوم يجمع الله الرسل) هو يوم القيمة (فيقول) لهم توبيخا لقومهم (ماذا) أى الذى (أجبتم) به حين دعوتم الى التوحيد (قالوا لاعلم لنا) بذلك (انك انت علام الغيوب) ماغاب عن العباد وذهب عنهم علمه لشدة هول يوم القيمة وفزعهم ثم يشهدون على اممهم لما يسكتون اذكر (اذقال الله ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك) بشكرها[٢] (اذأيدتك) قويتك (بروح القدس) جبريل (تكلم الناس) حال من الكاف فى أيدتك (فى المهد) اى طفلا (وكهلا) يفيد نزوله قبل الساعة لانه رفع قبل الكهولة كما سبق فى آل عمران (واذعلمتك الكتاب والحكمة والتورية والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة) كصورة (الطير) والكاف

(٢) اشكرها نسخه

الحال اى جاءكم رسولنا مبينا لكم (على فترة من الرسل) متعلق بجاءكم اى جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع زمن الوحى او يبين حال من الضمير فيه (ان تقولوا ماجاءنا من بشير ولا نذير) كراهة ان تقولوا ذلك وتعتذروا به (فقد جاءكم بشير ونذير) متعلق بمحذوف اى لا تعتذروا فقد جاءكم (والله على كل شئ قدير) فيقدر على الارسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما الصلوة والسلام اذ كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبى وعلى الارسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام بينهما ستمائة سنة او خمسمائة وتسع وستون سنة واربعة انبياء ثلاثة من بنى اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسى وفى الآية امتنان عليهم بان بعث اليهم حين انطمست آثار الوحى وكانوا احوج مايكون اليه (واذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء) فارشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث فى امة مابعث فى بنى اسرائيل من الانبياء (وجعلكم ملوكا) اى وجعل منكم او فيكم وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى وهموا بقتل عيسى عليهما الصلوة والسلام وقيل لما كانوا مملوكين فى ايدى القبط فانقذهم الله وجعلهم مالكين لانفسهم وامورهم سماهم ملوكا (وآتاكم مالم يؤت احدا من العالمين) من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحوها مما آتاهم الله وقيل المراد بالعالمين عالمى زمانهم (ياقوم ادخلوا الارض المقدسة) ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل الطور وماحوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل الشام (التى كتب الله لكم) قسمها لكم اوكتب فى اللوح المحفوظ انها تكون مسكنا لكم ولكن ان آمنتم واطعتم لقوله لهم بعد ماعصوا فانها محرمة عليهم (ولا ترتدوا على ادباركم) ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة قيل لما سمعوا حالهم من النقباء بكوا قالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا رأسا ينصرف بنا الى مصر اولا ترتدوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله تعالى (فتنقلبوا خاسرين) ثواب الدارين ويجوز فى فتنقلبوا الجزم على العطف والنصب على الجواب (قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين) متغلبين لاتتأتى مقاومتهم والجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذى يجبر الناس على مايريده (وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا

اسم بمعنى مثل مفعول (باذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى) بارادتى (وتبرئ الاكمه والابرص باذنى واذ تخرج الموتى) من قبورهم أحياء (باذنى واذ كففت بنى اسرائيل عنك) حين هموا بقتلك (اذ جئتهم بالبينات) المعجزات (فقال الذين كفروا منهم ان) ما (هذا) الذى جئت به (الا سحر مبين) وفى قراءة ساحر اى عيسى (واذ أوحيت الى الحواريين) امرتهم على لسانه (أن) اى بان (آمنوا بى وبرسولى) عيسى (قالوا آمنا) بهما (واشهد بأننا مسلمون) اذكر (اذ قال الحواريون ياعيسى ابن مريم هل يستطيع) اى يفعل (ربك) وفى قراءة بالفوقانية ونصب مابعده اى تقدر ان تسأله (أن ينزل علينا مائدة من السماء قال) لهم عيسى (اتقوا الله) فى اقتراح الآيات (ان كنتم مؤمنين قالوا نريد) سؤالها من اجل (أن نأكل منها وتطمئن) تسكن (قلوبنا) بزيادة اليقين (ونعلم) نزداد علما (أن) مخففة اى أنك

منهـا فانا داخلون) اذ لاطاقة لنـا بهم (قال رجلان) كالب ويوشع (من الذين يخافون) اى يخافون الله ويتقونه وقيل كانا رجلين من الجبابرة اسلما وسارا الى موسى فعلى هذا الواو لبنى اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف اى من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويشهد له ان قرئ الذين يخافون بالضم اى المخوفين وعلى المعنى الاول يكون من الاخافة اى من الذين يخوفون من الله بالتذكير او يخوفهم الوعيد (انعم الله عليهما) بالايمان والتثبيت وهو صفة ثانية لرجلين اواعتراض (ادخلوا عليهم الباب) باب قريتهم اى باغتوهم وضاغطوهم فى المضيق وامنعوهم من الاصحـار (فاذا دخلتموه فانكم غالبون) لتعسر الكر عليهم فى المضايق من عظم اجسامهم ولانهم اجسـام لاقلوب فيهـا ويجوز ان يكون علمهما بذلك من اخبـار موسى وقوله * كتب الله لكم * او مما علما من عادته تعـالى فى نصرة رسله وماعهدا من صنيعه لموسى فى قهر اعدائه (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) اى مؤمنـين به ومصدقين لوعده (قالوا ياموسى انا لن ندخلها ابدا) نفوا دخولهم على التأكيد والتأبيد (ماداموا فيها) بدل من ابدا بدل البعض (فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون) قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهمـا وقيل تقديره اذهب انت وربك يعينك (قال رب انى لاأملك الا نفسى واخى) قاله شكوى بثه وحزنه الى الله تعالى لما خالفه قومه وأيس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هرون عليهما السلام والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق بهما لما كابد من تلون قومه ويجوز ان يراد باخى من يواخينى فى الدين فيدخلان فيه ويحتمل نصبه عطفا على نفسى او على اسم ان ورفعه عطفا على الضمير فى لااملك او على محل ان واسمها وجره عند الكوفيين عطفا على الضمير فى نفسى (فافرق بيننا وبين القوم الفـاسقين) بان تحكم لنـا بما نستحقه وتحكم عليهم بمايستحقون او بالتبعيد بيننـا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم (قال فانها) فان الارض المقدسة (محرمة عليهم) لايدخلونها ولايملكونها بسبب عصيانهم (اربعين سنة يتيهون فى الارض) عامل الظرف اما محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلايخالف ظاهر قوله * التى كتب الله لكم * ويؤيد ذلك ماروى ان موسى عليه الصلوة والسـلام سار بعده بمن بقى من بنى اسرائيل ففتح اريحاء واقام فيها ماشـاء الله ثم قبض وقيل انه قبض

(قد صدقتنا) فى ادعاء النبوة (ونكون عليها من الشاهدين قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا) اى يوم نزولهـا (عيدا) نعظمه ونشرفه (لاولنا) بدل من لنا باعادة الجـار (وآخرنا) ممن يأتى بعدنا (وآية منك) على قدرتك ونبوتى (وارزقنا) اياهـا (وأنت خير الرازقين قال الله) مستجيبا له (انى منزلهـا) بالتخفيف والتشديد (عليكم فمن يكفر بعد) اى بعد نزولها (منكم فانى أعذبه عـذابا لاأعذبه أحدا من العالمين) فنزلت الملائكة بها من السماء عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات فأكلوا منها حتى شبعوا قاله ابن عباس وفى حديث أنزلت المائدة من السماء خبزا ولحما فامروا أن لايخونوا ولايدخروا لغـد فخـانوا وادخروا فمسخوا قردة وخنازير (و) اذكر (اذ قال) أى يقول (الله) لعيسى فى القيمة توبيخا لقومه (ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للنـاس اتخذونى وأمى الهين

فى التيه ولما احتضر اخبرهم بان يوشع بعده نبى وان الله تعالى امره بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام كله لبنى اسرائيل واما يتيهون اى يسيرون فيها متحيرين لايرون طريقا فيكون التحريم مطلقا وقد قيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها بل هلكوا فى التيه وانما قاتل الجبابرة اولادهم روى انهم لبثوا اربعين سنة فى ستة فراسخ يسيرون من الصباح الى المساء فاذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من الشمس وعمود من نور يطلع بالليل فيضىء لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذى يحملونه والاكثر على ان موسى وهرون كانا معهم فى التيه الا انه كان ذلك روحا لهما وزيادة فى درجتهما وعقوبة لهم وانهما ماتا فيه مات هرون وموسى عليهما السلام بعده بسنة ثم دخل يوشع اريحاء بعد ثلاثة اشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع ﴿ فلا تأس على القوم الفاسقين ﴾ خاطب به موسى لما ندم على الدعاء عليهم وبين انهم احقاء بذلك لفسقهم ﴿ واتل عليهم نبأ ابنى آدم ﴾ قابيل وهابيل اوحى الله تعالى الى آدم عليه السلام ان يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر فسخط منه قابيل لان توأمته كانت اجمل فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما قبل يزوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل وقيل لم يردبهما ابنى آدم لصلبه وانهما رجلان من بنى اسرائيل ولذلك قال كتبنا على بنى اسرائيل ﴿ بالحق ﴾ صفة مصدر محذوف اى تلاوة ملتبسة بالحق اوحال من الضمير فى اتل اومن نبأ اى ملتبسا بالصدق موافقا لما فى كتب الاولين ﴿ اذقربا قربانا ﴾ ظرف للنبأ اوحال منه او بدل على حذف المضاف اى اتل عليهم نبأ هما نبأ ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب به الى الله تعالى من ذبيحة اوغيرها كما ان الحلوان اسم ما يحلى اى يعطى وهو فى الاصل مصدر ولذلك لم يثن وقيل تقديره اذقرب كل واحد منهما قربانا قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب اردأ قمح عنده وهابيل صاحب ضرع وقرب جملا سمينا ﴿ فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر ﴾ لانه سخط حكم الله ولم يخلص النية فى قربانه وقصد الى اخس ما عنده ﴿ قال لاقتلنك ﴾ توعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه ولذلك ﴿ قال انما يتقبل الله من المتقين ﴾ فى جوابه اى انما اوتيت من قبل نفسك بترك التقوى لامن قبلى فلم تقتلنى وفيه اشارة الى ان الحاسد ينبغى ان يرى حرمانه

من دون الله قال ﴾ عيسى وقد أرعد ﴿ سبحانك ﴾ تنزيها لك عما لايليق بك من الشريك وغيره ﴿ مايكون ﴾ ماينبغى ﴿ لى أن أقول ماليس لى بحق ﴾ خبر ليس ولى للتبيين ﴿ ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما ﴾ أخفيه ﴿ فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك ﴾ أى ما تخفيه من معلوماتك ﴿ انك أنت علام الغيوب ماقلت لهم الاما أمرتنى به ﴾ وهو ﴿ أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ﴾ رقيبا امنعهم مما يقولون ﴿ مادمت فيهم فلما توفيتنى ﴾ قبضتنى بالرفع الى السماء ﴿ كنت أنت الرقيب عليهم ﴾ الحفيظ لاعمالهم ﴿ وأنت على كل شىء ﴾ من قولى لهم وقولهم بعدى وغير ذلك ﴿ شهيد ﴾ مطلع عالم به ﴿ ان تعذبهم ﴾ أى من أقام على الكفر منهم ﴿ فانهم عبادك ﴾ وانت مالكهم تتصرف فيهم كيف شئت لااعتراض عليك ﴿ وان تغفر لهم ﴾ اى لمن آمن منهم ﴿ فانك أنت العزيز ﴾ الغالب على امره ﴿ الحكيم ﴾ فى صنعه ﴿ قال الله هذا ﴾ اى يوم القيمة ﴿ يوم ينفع

من تقصيره ويجتهد فى تحصيل ما به صار المحسود محظوظا لا فى ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وان الطاعة لا تقبل الا من مؤمن متق (لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك لاقتلك انى اخاف الله رب العالمين) قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج من قتله واستسلم له خوفا من الله تعالى لان الدفع لم يبح بعد او تحريا لما هو الافضل قال عليه الصلوة والسلام كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وانما قال ما انا بباسط فى جواب لئن بسطت للتبرى عن هذا الفعل الشنيع رأسا والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك اكد النفى بالباء (انى اريد ان تبوء باثمى واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين) تعليل ثان للامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى انما استسلم لك ارادة ان تحمل اثمى لو بسطت اليك يدى واثمك ببسطك يدك الى ونحوه المستبان ما قالا فعلى البادى ما لم يعتد المظلوم وقيل باثمى باثم قتلى وباثمك الذى لم يتقبل من اجله قربانك وكلاهما فى موضع الحال اى ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله لم يرد معصية اخيه وشقاوته بل قصده بهذا الكلام الى ان ذلك ان كان لامحالة واقعا فاريد ان يكون الاثم لك لالى فالمراد بالذات ان لا يكون له لا ان يكون لاخيه ويجوز ان يكون المراد بالاثم عقوبته وارادة عقاب العاصى جائزة (فطوعت له نفسه قتل اخيه) فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كأنه دعاه الى الاقدام عليه فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله (فقتله فاصبح من الخاسرين) دينا ودنيا اذ بقى مدة عمره مطرودا محزونا قيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حراء وقيل بالبصرة فى موضع المسجد الاعظم (فبعث الله غرابا يبحث فى الارض ليريه كيف يوارى سوأة اخيه) روى انه لما قتله تحير فى امره ولم يدر ما يصنع به اذ كان اول ميت من بنى آدم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه فى الحفرة والضمير فى ليرى لله تعالى او للغراب وكيف حال من الضمير فى يوارى والجملة ثان مفعولى يرى والمراد بسوأة اخيه جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى (قال ياويلتا) كلمة جزع وتحسر والالف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى ياويلتى احضرى فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة (اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاوارى سوأة اخى)

(لااهتدى)

الصادقين) فى الدنيا كعيسى (صدقهم) لانه يوم الجزاء (لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم) بطاعته (ورضوا عنه) بثوابه (ذلك الفوز العظيم) ولا ينفع الكاذبين فى الدنيا صدقهم فيه كالكفار لما يؤمنون عند رؤية العذاب (لله ملك السموات والارض) خزائن المطر والنبات والرزق وغيرها (وما فيهن) اتى بما تغليبا لغير العاقل (وهو على كل شئ قدير) ومنه اثابة الصادق وتعذيب الكاذب وخص العقل ذاته فليس عليها بقادر

سورة الانعام مكية الا وما قدروا الله الآيات الثلاث والا قل تعالوا الآيات الثلاث وهى مائة وخمس أو ست وستون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم) (الحمد) وهو الوصف بالجميل ثابت (لله) وهل المراد الاعلام بذلك للايمان به او الثناء به اوهما احتمالات افيدها الثالث قاله الشيخ فى سورة الكهف (الذى خلق السموات والارض) خصهما بالذكر

لااهتدى الى مثل مااهتدى اليه فاوارى عطف على انا كون وليس جواب الاستفهام اذليس المعنى ان عجزت لواريت وقرئ بالسكون على فانا اوارى اوعلى تسكين المنصوب تخفيفا (فاصبح من النادمين) على قتله لما كابدفيه من التحير فى امره وحمله على رقبته سنة اوا كثر على ماقيل وتلمذه للغراب واسوداد لونه وتبرئ ابويه منه اذروى انه لماقتله اسود جسده فسأله آدم عن اخيه فقال ماكنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وتبرأ منه ومكث بعد ذلك مائة سنة لايضحك وعدم الظفر بمافعله من اجله (من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل) بسببه قضينا عليهم واجل فى الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه استعمل فى تعليل الجنايات كقولهم من جراك فعلته اى من ان جررته اى جنيته ثم اتسع فيه فاستعمل فى كل تعليل ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا اى ابتداء الكتب وانشاؤه من اجل ذلك (انه من قتل نفسا بغير نفس) اى بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص (اوفساد فى الارض) اوبغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق (فكانما قتل الناس جميعا) من حيث انه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرأ الناس عليه اومن حيث ان قتل الواحد والجميع سواء فى استجلاب غضب الله والعذاب العظيم (ومن احياها فكانما احيى الناس جميعا) اى ومن تسبب لبقاء حيوتها بعفو اومنع عن القتل واستنقاذ من بعض اسباب الهلكة فكأنما فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم قتل النفس واحيائها فى القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا فى المحاماة عليها (ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك فى الارض لمسرفون) اى بعدما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم الرسل بالآيات الواضحة تأكيدا للامر وتجديدا للعهد كى يتحاموا عنها كثير منهم يسرفون فى الارض بالقتل ولايبالون به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها والاسراف التباعد عن حد الاعتدال فى الامر (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) اى يحاربون اولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما واصل الحرب السلب والمراد به ههنا قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية وان كانت فى مصر (ويسعون فى الارض فسادا) اى مفسدين ويجوز نصبه على العلة او المصدر لان سعيهم كان فسادا فكأنه قيل ويفسدون فى الارض فسادا (ان يقتلوا) اى قصاصا من غير صلب

لانهما أعظم المخلوقات للناظرين (وجعل) خلق (الظلمات والنور) اى كل ظلمة ونور وجمعها دونه لكثرة اسبابها وهذا من دلائل وحدانيته (ثم الذين كفروا) مع قيام هذا الدليل (بربهم يعدلون) يسوون غيره فى العبادة (هو الذى خلقكم من طين) بخلق ابيكم آدم منه (ثم قضى اجلا) لكم تموتون عند انتهائه (واجل مسمى) مضروب (عنده) لبعثكم (ثم انتم) أيها الكفار (تمترون) تشكون فى البعث بعد علمكم انه ابتدأ خلقكم ومن قدر على الابتداء فهو على الاعادة اقدر (وهو الله) مستحق للعبادة (فى السموات والارض يعلم سركم وجهركم) ماتسرون وماتجهرون به بينكم (ويعلم ماتكسبون) تعملون من خير وشر (وماتأتيهم) اى اهل مكة (من) زائدة (آية من آيات ربهم) من القرآن (الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق) بالقرآن (لما جاءهم فسوف يأتيهم انباء) عواقب (ماكانوا به يستهزؤن الم يروا) فى اسفارهم الى الشام وغيرها

ان افرودا القتل (او يصلبوا) اى يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء خلاف فى انه يقتل ويصلب او يصلب حيا ويترك او يطعن حتى يموت (او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف) اى تقطع ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اخذوا المال ولم يقتلوا (او ينفوا من الارض) او ينفوا من بلد الى بلد بحيث لايمكنون من القرار فى موضع ان اقتصروا على الاخافة وفسر ابو حنيفة النفى بالحبس واو فى الآية على هذا للتفصيل وقيل انه للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات فى كل قاطع طريق (ذلك لهم خزى فى الدنيا) ذل وفضيحة (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) لعظم ذنوبهم (الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم) استثناء مخصوص بما هو حق الله تعالى ويدل عليه قوله تعالى (فاعلموا ان الله غفور رحيم) اما القتل قصاصا فالى الاولياء يسقط بالتوبة وجوبه لاجوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على انها بعد القدرة لاتسقط الحدوان اسقطت العذاب وان الآية فى قطاع المسلمين لان توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) اى مايتوسلون به والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصى من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفى الحديث الوسيلة منزلة فى الجنة (وجاهدوا فى سبيله) بمحاربة اعدائه الظاهرة والباطنة (لعلكم تفلحون) بالوصول الى الله تعالى والفوز بكرامته (ان الذين كفروا لو ان لهم مافى الارض) من صنوف الاموال (جميعا ومثله معه ليفتدوا به) ليجعلوه فدية لانفسهم (من عذاب يوم القيمة) واللام متعلقة بمحذوف تستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت ان لهم مافى الارض وتوحيد الضمير فى به والمذكور شيئان اما لاجرائه مجرى اسم الاشارة فى نحو قوله تعالى عوان بين ذلك اولأن الواو فى ومثله بمعنى مع (ماتقبل منهم) جواب لو ولو بما فى حيزه خبر ان والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لاسبيل لهم الى الخلاص منه (ولهم عذاب اليم) تصريح بالمقصود منه وكذلك قوله (يريدون ان يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم) وقرئ يخرجوا من اخرج انما قال وماهم بخارجين بدل ومايخرجون للمبالغة (والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما) جملتان عند سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اى حكمهما وجملة عند المبرد والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنها معنى الشرط اذ المعنى والذى

(سرق)

(كم) خبرية بمعنى كثيرا (اهلكنا من قبلهم من قرن) أمة من الامم الماضية (مكناهم) اعطيناهم مكانا (فى الارض) بالقوة والسعة (مالم نمكن) نعط (لكم) فيه التفات عن الغيبة (وارسلنا السماء) المطر (عليهم مدرارا) متتابعا (وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم) تحت مساكنهم (فاهلكناهم بذنوبهم) بتكذيبهم الانبياء (وانشأنا من بعدهم قرنا آخرين ولو نزلنا عليك كتابا) مكتوبا (فى قرطاس) رق كما اقترحوه (فلمسوه بايديهم) ابلغ من عاينوه لانه انفى للشك (لقال الذين كفروا ان) ما (هذا الا سحر مبين) تعنتا وعنادا (وقالوا لولا) هلا (انزل عليه) على محمد صلى الله عليه وسلم (ملك) يصدقه (ولو انزلنا ملكا) كما اقترحوا فلم يؤمنوا (لقضى الامر) بهلاكهم (ثم لاينظرون) يمهلون لتوبة او معذرة كعادة الله فيمن قبلهم من اهلاكهم عند وجود مقترحهم اذا لم يؤمنوا (ولو جعلناه) اى المنزل اليهم (ملكا لجعلناه) اى الملك (رجلا) اى على صورته

سرق والتى سرقت وقرئ بالنصب وهوالمختار فى امثاله لان الانشاء لايقع خبرا الاباضمار وتأويل والسرقة اخذ مال الغير فى خفية وانما توجب القطع اذا كانت من حرز والمأخوذ ربع دينار اومايساويه لقوله عليه الصلوة والسلام القطع فى ربع دينار فصاعدا وللعلماء خلاف فى ذلك للاحاديث وردت فيه وقد استقصيت الكلام فيه فى شرح المصابيح والمراد بالايدى الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود ايمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما فى قوله تعالى فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام العضو ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه عليه الصلوة والسلام اتى بسارق فامر بقطع يمينه منه (جزاء بما كسبا نكالا من الله) منصوبان على المفعول له او المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا (والله عزيز حكيم فمن تاب) من السراق (من بعد ظلمه) اى سرقته (واصلح) امره بالتفصى عن التبعات والعزم على ان لايعود اليها (فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم) يقبل توبته فلا يعذبه فى الآخرة اما القطع فلا يسقط بها عند الاكثرين لان فيه حق المسروق منه (الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض) الخطاب للنبى عليه الصلوة والسلام اولكل احد (يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شئ قدير) قدم التعذيب على المغفرة آتيا على ترتيب ماسبق اولان استحقاق التعذيب مقدم اولان المراد به القطع وهو فى الدنيا (ياايها الرسول لايحزنك الذين يسارعون فى الكفر) صنيع الذين يقعون فى الكفر سريعا اوفى اظهاره اذا وجدوا منه فرصة (من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم) اى من المنافقين والباء متعلقة بقالوا لابآمنا والواو تحتمل الحال والعطف (ومن الذين هادوا) عطف على من الذين قالوا (سماعون للكذب) خبر مبتدأ محذوف اى هم سماعون والضمير للفريقين او للذين يسارعون ويجوز ان يكون مبتدأ ومن الذين خبره اى ومن اليهود قوم سماعون واللام فى للكذب اما مزيدة للتأكيد اولتضمين السماع معنى القبول اى قابلون لما يفتريه الاحبار اوللعلة والمفعول محذوف اى سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيه (سماعون لقوم آخرين لم يأتوك) اى لجمع آخرين من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا وافراطا فى البغضاء والمعنى على الوجهين اى مصغون لهم قابلون كلامهم اوسماعون منك لاجلهم وللانهاء

ليتمكنوا من رؤيته اذلاقوة للبشر على رؤية الملك (و) لوأنزلناه وجعلناه رجلا (للبسنا) شبهنا (عليهم مايلبسون) على انفسهم بان يقولوا ماهذا الابشر مثلكم (ولقد استهزئ برسل من قبلك) فيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (فحاق) نزل (بالذين سخروا منهم ماكانوا به يستهزؤن) وهو العذاب فكذا يحيق بمن استهزأ بك (قل) لهم (سيروا فى الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) الرسل من هلاكهم بالعذاب ليعتبروا (قل لمن مافى السموات والارض قل لله) ان لم يقولوه لاجواب غيره (كتب) قضى (على نفسه الرحمة) فضلا منه وفيه تلطف فى دعائهم الى الايمان (ليجمعنكم الى يوم القيمة) ليجازيكم باعمالكم (لاريب) شك (فيه الذين خسروا انفسهم) بتعريضها للعذاب مبتدأ خبره (فهم لايؤمنون وله) تعالى (ماسكن) حل (فى الليل والنهار) أى كل شئ فهو ربه وخالقه ومالكه (وهو السميع) لما يقال (العليم) بما يفعل

(قل) لهم (اغير الله اتخذ وليا) اعبده (فاطر السموات والارض) مبدعهما (وهو يطعم) يرزق (ولا يطعم) يرزق لا (قل انى أمرت انأ كون أول من أسلم) لله من هذه الامة (و) قيل لى (لاتكونن من المشركين) به (قل انى اخاف ان عصيت ربى) بعبادة غيره (عذاب يوم عظيم) هو يوم القيمة (من يصرف) بالبناء للمفعول أى العذاب وللفاعل أى الله والعائد محذوف (عنه يومئذ فقد رحمه) تعالى أى أراد له الخير (وذلك الفوز المبين) النجاة الظاهرة (وان يمسسك الله بضر) بلاء كمرض وفقر (فلا كاشف)رافع (له الا هو وان يمسسك بخير) كصحة وغنى (فهو على كل شئ قدير) ومنه مسك به ولا يقدر على رده عنك غيره (وهو القاهر) القادر الذى لا يعجزه شئ مستعليا (فوق عباده وهو الحكيم) فى خلقه (الخبير) ببواطنهم كظواهرهم * ونزل لما قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ائتنا بمن يشهد لك بالنبوة فان أهل الكتاب انكروك

اليهم ويجوز ان يتعلق اللام بالكذب لان سماعون الثانى مكرر للتأكيد اى سماعون ليكذبوا لقوم آخرين (يحرفون الكلم من بعد مواضعه) اى يميلونه عن مواضعه التى وضعه الله فيهـا اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه فى غير مورده والجملة صفة اخرى لقوم اوصفة لسماعون اوحال من الضمير فيه اواستئناف لاموضع له اوفى موضع الرفع خبر لمحذوف اى هم يحرفون وكذلك (يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه) اى ان اوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به (وان لم تؤتوه) بل افتاكم محمد بخلافه (فاحذروا) اى فاحذروا واقبول ما افتاكم به روى ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين فكرهوا رجمهما فارسلوهما مع رهط منهم الى بنى قريظـة ليسألوا رسـول الله صلى الله عليـه وسـلم عنه وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا حكما بينه وبينهم وقال له انشدك الله الذى لا اله الا هو الذى فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذى انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجد فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب فامر رسول الله صلى الله عليه وسـلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد (ومن يرد الله فتنته) ضلالته او فضيحته (فلن تملك له من الله شيئا) فلن تستطيع له من الله شيئا فى دفعها (اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم) من الكفر وهو كما ترى نص على فساد قول المعتزلة (لهم فى الدنيا خزى) هوان بالجزية والخوف عن المؤمنين (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) وهو الخلود فى النار والضمير للذين هـادوا ان استأنفت بقوله ومن الذين والا فللفريقين (سماعون للكذب) كرره للتأكيد (اكالون للسحت) اى الحرام كالرشى من سحته اذا استأصله لانه مسحوت البركة وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائى ويعقوب بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر (فان جاؤك فاحكم بينهم اواعرض عنهم) تخيير لرسـول الله صلى الله عليـه وسلم اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان الى القاضى لم يجب عليه الحكم وهو قول الشافعى والاصح وجوبه اذا كان المترافعان او احدهما ذميا لانا التزمنا الذب عنهم ورفع الظلم منهم والآية ليست فى اهل الذمة وعند ابى حنيفة يجب مطلقا (وان تعرض عنهم فلن يضروك

(شيئا)

شيئا) بان يعادوك لاعراضك عنهم فان الله يعصمك من الناس (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) اى بالعدل الذى امر الله به (ان الله يحب المقسطين) فيحفظهم و يعظم شأنهم (وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله) تعجيب من تحكيمهم من لايؤمنون به والحال ان الحكم منصوص عليه فى الكتاب الذى هو عندهم وتنبيه على انهم ماقصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به مايكون اهون عليهم وان لم يكن حكم الله تعالى فى زعمهم وفيها حكم الله حال من التورية ان رفعتها بالظرف وان جعلتها مبتدأ فمن ضميرها المستكن فيه وتأنيثها لكونها نظيرة المؤنث فى كلامهم لفظا كموماة ودوداة (ثم يتولون من بعد ذلك) ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل فى حكم التعجيب (وما اولئك بالمؤمنين) بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعما يوافقه ثانيا او بك وبه (انا انزلنا التورية فيها هدى) يهدى الى الحق (ونور) يكشف مااشتبه من الاحكام (يحكم بها النبيون) يعنى انبياء بنى اسرائيل او موسى ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرع لنا مالم ينسخ وبهذه الآية تمسك القائل به (الذين اسلموا) صفة اجريت على النبيين مدحا لهم وتنويها بشأن المسلمين وتعريضا باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء واقتفاء هديهم (للذين هادوا) متعلق بانزل او بيحكم اى يحكمون بها فى تحاكمهم وهو يدل على ان النبيون انبياؤهم (والربانيون والاحبار) زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة انبيائهم عطف على النبيون (بما استحفظوا من كتاب الله) بسبب امر الله اياهم بان يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين (وكانوا عليه شهداء) رقباء لايتركون ان يغيروا او شهداء يبينون مايخفى منه كما فعل ابن صوريا (فلا تخشوا الناس واخشونى) للحكام ان يخشوا غير الله فى حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة كبير (ولا تشتروا بآياتى) ولا تستبدلوا باحكامى التى انزلتها (ثمنا قليلا) هو الرشوة والجاه (ومن لم يحكم بما انزل الله) مستهينا به منكرا له (فاولئك هم الكافرون) لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك وصفهم بقوله الظالمون والفاسقون فكفرهم لانكاره وظلمهم بالحكم بخلافه وفسقهم بالخروج عنه ويجوز ان يكون كل واحدة من الصفات الثلاث باعتبار حال انضمت الى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها او لطائفة كما قيل هذه

(قل) لهم (اى شئ أكبر شهادة) تميز محول عن المبتدأ (قل الله) ان لم يقولوه لاجواب غيره هو (شهيد بينى وبينكم) على صدقى (وأوحى الى هذا القرآن لانذركم) اخوفكم يااهل مكة (به ومن بلغ) عطف على ضمير انذركم اى بلغه القرآن من الانس والجن (أئنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى) استفهام انكار (قل) لهم (لا أشهد) بذلك (قل انما هو اله واحد وانى برئ مما تشركون)معه من الاصنام (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه) اى محمدا بنعته فى كتابهم (كما يعرفون ابناءهم الذين خسروا انفسهم) منهم (فهم لايؤمنون) به (ومن)اى لااحد (أظلم ممن افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك اليه (او كذب بآياته) القرآن (انه) اى الشأن (لايفلح الظالمون) بذلك (و) اذكر (يوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا) توبيخا (اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون) انهم شركاء الله (ثم لم تكن) بالتاء والياء

في المسلمين لاتصالها بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى (وكتبنا عليهم) وفرضنا على اليهود (فيها) في التورية (ان النفس بالنفس) اي ان النفس تقتل بالنفس (والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن) رفعها الكسائي على انها جمل معطوفة على ان وما في حيزها باعتبار المعنى وكأنه قيل وكتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين فان الكتبة والقراءة تقعان على الجمل كالقول اوجمل مستأنفة ومعناها وكذلك العين مفقوءة بالعين والانف مجدوعة بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن اوعلى ان المرفوع منها معطوف على المستكن في قوله بالنفس وانما ساغ لانه في الاصل مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور في فيها حال مبينة للمعنى وقرأ نافع والاذن بالاذن باسكان الذال وفي اذنيه حيث وقع (والجروح قصاص) اي ذات قصاص وقرأ الكسائي ايضا بالرفع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر على انه اجمال للحكم بعد التفصيل (فمن تصدق) من المستحقين (به) بالقصاص اي فمن عفا عنه (فهو) فالتصدق (كفارة له) للمتصدق فيكفر الله به ذنوبه وقيل للجاني تسقط عنه مالزمه وقرئ فهو كفارته له اي فالمتصدق كفارته التي يستحقها بالتصدق له لاينقص منها شيء (ومن لم يحكم بما انزل الله) من القصاص وغيره (فاولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم) اي واتبعناهم على آثارهم فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيون (بعيسى ابن مريم) مفعول ثان عدى اليه الفعل بالباء (مصدقا لما بين يديه من التورية وآتيناه الانجيل) وقرئ بفتح الهمزة (فيه هدى ونور) في موضع النصب بالحال (ومصدقا لما بين يديه من التورية) عطف عليه وكذا قوله (وهدى وموعظة للمتقين) ويجوز نصبهما على المفعول لهما عطفا على محذوف اوتعليقا به وعطف (وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه) عليه في قراءة حمزة وعلى الاول اللام متعلقة بمحذوف اي وآتيناه ليحكم بما انزل الله وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كقوله امرتك بان قم اي وامرنا بان ليحكم (ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون) عن حكمه اوعن الايمان ان كان مستهينا به والآية تدل على ان الانجيل مشتملة على الاحكام وان اليهودية منسوخة ببعثة عيسى عليه السلام وانه كان مستقلا بالشرع وحملها على وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التورية خلاف الظاهر (وانزلنا اليك الكتاب) اي القرآن (بالحق مصدقا لما بين

(فتنتهم) النصب والرفع اي معذرتهم (الا ان قالوا) اي قولهم (والله ربنا) بالجر نعت والنصب نداء (ما كنا مشركين) قال تعالى (انظر) يا محمد (كيف كذبوا على انفسهم) بنفي الشرك عنهم (وضل) غاب (عنهم ما كانوا يفترون) ه على الله من الشركاء (ومنهم من يستمع اليك) اذا قرأت (وجعلنا على قلوبهم اكنة) اغطية ل(ان) لا (يفقهوه) يفهموا القرآن (وفي آذانهم وقرا) صمما فلا يسمعونه سماع قبول (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا ان) ما (هذا) القرآن (الا اساطير) اكاذيب (الاولين) كالاضاحيك والاعاجيب جمع اسطورة بالضم (وهم ينهون) الناس (عنه) عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم (وينأون) يتباعدون (عنه) فلا يؤمنون به وقيل نزلت في ابي طالب كان ينهى عن اذاه ولا يؤمن به (وان) ما (يهلكون) بالنأي عنه (الا انفسهم) لان ضرره عليهم (وما يشعرون

يديه من الكتاب) من جنس الكتب المنزلة فاللام الاولى للعهد والثانية للجنس (ومهيمنا عليه) ورقيبا على سائر الكتب يحفظها عن التغير ويشهد لها بالصحة والثبات وقرئ على بنية المفعول اى هو من عليه وحوفظ من التحريف والحافظ له هو الله تعالى اوالحفاظ فى كل عصر (فاحكم بينهم بما انزل الله) اى بما انزل الله اليك (ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق) بالانحراف عنه الى مايشتهونه وعن صلة للاتتبع لتضمنه معنى لاتنحرف اوحال من فاعله اى لاتتبع اهواءهم مائلا عما جاءك (لكل جعلنا منكم) ايها الناس (شرعة) شريعة وهى الطريقة الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى ماهو سبب الحيوة الابدية وقرئ بفتح الشين (ومنهاجا) وطريقا واضحا فى الدين من نهج الامر اذا وضح واستدل به على انا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة (ولوشاء الله لجعلكم امة واحدة) جماعة متفقة على دين واحد فى جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل ومفعول لوشاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لوشاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه (ولكن ليبلوكم فيما آتاكم) من الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها مقتضى الحكمة الالهية ام تزيغون عن الحق وتفرطون فى العمل (فاستبقوا الخيرات) فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة لفضل السبق والتقدم (الى الله مرجعكم جميعا) استئناف فيه تعليل الامر بالاستباق ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر (وان احكم بينهم بما انزل الله) عطف على الكتاب اى انزلنا اليك الكتاب والحكم اوعلى الحق اى انزلناه بالحق وبان احكم ويجوز ان يكون جملة بتقدير وامرنا ان احكم (ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك) اى بان يضلوك ويصرفوك عنه وان بصلته بدل من هم بدل الاشتمال اى احذرهم فتنتهم اومفعول له اى احذرهم مخافة ان يفتنوك روى ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يامحمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضى لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (فان تولوا) عن الحكم المنزل وارادوا غيره (فاعلم انما يريد الله

بذلك (ولوترى) يامحمد (اذ وقفوا) عرضوا (على النار فقالوا يا) للتنبيه (ليتنا نرد) الى الدنيا (ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) برفع الفعلين استئنافا ونصبهما فى جواب التمنى ورفع الاول ونصب الثانى وجواب لو لرأيت امرا عظيما قال تعالى (بل) للاضراب عن ارادة الايمان المفهوم من التمنى (بدا) ظهر (لهم ما كانوا يخفون من قبل) يكتمون بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين بشهادة جوارحهم فتمنوا ذلك (ولوردوا) الى الدنيا فرضا (لعادوا لما نهوا عنه) من الشرك (وانهم لكاذبون) فى وعدهم بالايمان (وقالوا) أى منكر والبعث (ان) ما (هى) أى الحيوة (الا حياتنا الدنيا ومانحن بمبعوثين ولوترى اذ وقفوا) عرضوا (على ربهم) لرأيت امرا عظيما (قال) لهم قال على لسان الملائكة توبيخا (أليس هذا) البعث والحساب (بالحق قالوا بلى وربنا) انه الحق (قال فذوقوا العذاب بما كنتم

ان يصيبهم ببعض ذنوبهم) يعنى ذنب التولى عن حكم الله تعالى فعبر عنه
بذلك تنبيها على ان لهم ذنوبا كثيرة وهذا مع عظمه واحد منها معدود
من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما فى التنكير ونظيره قول لبيد * او يرتبط
بعض النفوس حمامها (وان كثيرا من الناس لفاسقون) لمتمردون فى الكفر
معتدون فيه (افحكم الجاهلية يبغون) الذى هو الميل والمداهنة فى الحكم والمراد
بالجاهلية الملة الجاهلية التى هى متابعة الهوى وقيل نزلت فى بنى قريظة والنضير
طلبوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يحكم بما كان يحكم به اهل
الجاهلية من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ ويبغون خبره
والراجع محذوف حذفه فى الصلة فى قوله تعالى اهذا الذى بعث الله رسولا
واستضعف ذلك فى غير الشعر وقرئ افحكم الجاهلية اى يبغون حاكما كحكام
الجاهلية يحكم بحسب شهيتهم وقرأ ابن عامر تبغون بالتاء على قل لهم افحكم
الجاهلية تبغون (ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون) اى عندهم واللام
للبيان كما فى قوله تعالى هيت لك اى هذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم
هم الذين يتدبرون الامور ويتحققون الاشياء بانظارهم فيعلمون ان لا احسن
حكما من الله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى
اولياء) فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب (بعضهم اولياء
بعض) ايماء الى علة النهى اى فانهم متفقون على خلافكم يوالى بعضهم
بعضا لاتحادهم فى الدين واجتماعهم على مضادتكم (ومن يتولهم منكم فانه
منهم) اى ومن والاهم منكم فانه من جملتهم وهذا التشديد فى وجوب
مجانبتهم كما قال عليه الصلوة والسلام لا تترااى ناراهما اولان الموالين لهم
كانوا منافقين (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) اى الذين ظلموا انفسهم بموالاة
الكفار او المؤمنين بموالاة اعدائهم (فترى الذين فى قلوبهم مرض) يعنى
ابن ابى واضرابه (يسارعون فيهم) اى فى موالاتهم ومعاونتهم (يقولون
نخشى ان تصيبنا دائرة) ويعتذرون بانهم يخافون ان يصيبهم دائرة من
الدوائر بان ينقلب الامر وتكون الدولة للكفار روى ان عبادة بن الصامت
قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان لى موالى من اليهود كثيرا عددهم
انى ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم واوالى الله ورسوله فقال ابن ابى انى
رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية موالى فنزلت (فعسى الله ان يأتى بالفتح)
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على اعدائه واظهار المسلمين (اوامر

تكفرون) به فى الدنيا
(قد خسر الذين كذبوا
بلقاء الله) بالبعث (حتى)
غاية للتكذيب (اذا جاءتهم
الساعة) القيمة (بغتة)
فجأة (قالوا يا حسرتنا)
هى شدة التألم ونداؤها
مجاز أى هذا أوانك فاحضرى
(على ما فرطنا) قصرنا
(فيها) أى الدنيا (وهم
يحملون أوزارهم على
ظهورهم) بأن تأتيهم عند
البعث فى اقبح شئ صورة
وأنتنه ريحا فتركبهم (ألا ساء
بئس (ما يزرون) يحملونه
حملهم ذلك (وما الحيوة الدنيا)
أى الاشتغال بها (الا لعب
ولهو) وأما الطاعات وما
يعين عليها فمن أمور الآخرة
(وللدار الآخرة) وفى قراءة
ولدار الآخرة أى الجنة
(خير للذين يتقون) الشرك
(أفلا يعقلون) بالياء والتاء
ذلك فيؤمنون (قد) للتحقيق
(نعلم انه) أى الشأن (ليحزنك
الذى يقولون) لك من
التكذيب (فانهم لا يكذبونك)
فى السر لعلمهم أنك صادق
وفى قراءة بالتخفيف أى
لا ينسبونك الى الكذب

من عنده) يقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء اوالامر باظهار اسرار المنافقين وقتلهم (فيصبحوا) اى هؤلاء المنافقون (على ما اسروا فى انفسهم نادمين) على مااستبطنوه من الكفر والشك فى امر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فضلا عما اظهروه مما اشعر على نفاقهم (ويقول الذين آمنوا) بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائى على انه كلام مبتدأ ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو على انه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ وبالنصب قراءة ابى عمرو ويعقوب عطفا على ان يأتى باعتبار المعنى وكأنه قال عسى ان يأتى الله بالفتح ويقول الذين آمنوا او يجعله بدلا من اسم الله داخلا فى اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث او على الفتح بمعنى عسى الله ان يأتى بالفتح وبقول المؤمنين فان الاتيان بما يوجبه كالاتيان به (أهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم) يقوله المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين وتبجحا بما من الله عليهم من الاخلاص او يقولون لليهود فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله تعالى عنهم وان قوتلتم لننصرنكم وجهد الايمان اغلظها وهو فى الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا بالله يجهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة او على المصدر لانه بمعنى اقسموا (حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين) امامن جملة المقول او من قول الله تعالى شهادة لهم بحبوط اعمالهم وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما احبط اعمالهم وما اخسرهم (ياايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) قرأه على الاصل نافع وابن عامر وهو كذلك فى الامام والباقون بالادغام وهذا من الكائنات التى اخبر الله عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب فى اواخر عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاث فرق بنو امدلج وكان رئيسهم ذو الحمار الاسود العنسى تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمى ليلة قبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من غدها واخبر الرسول فى تلك الليلة فسر المسلمون واتى الخبر فى اواخر ربيع الاول وبنوا حنيفة اصحاب مسيلمة الكذاب تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله امابعد فان الارض نصفها لى ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب امابعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضى الله عنه بجند المسلمين

(ولكن الظالمين) وضعه موضع المضمر (بآيات الله) القرآن (يجحدون) يكذبون (ولقد كذبت رسل من قبلك) فيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا) باهلاك قومهم فاصبر حتى يأتيك النصر باهلاك قومك (ولا مبدل لكلمات الله) مواعيده (ولقد جاءك من نبأ المرسلين) مايسكن به قلبك (وان كان كبر) عظم (عليك اعراضهم) عن الاسلام لحرصك عليهم (فان استطعت أن تبتغى نفقا) سربا (فى الارض أو سلما) مصعدا (فى السماء فتأتيهم بآية) مما اقترحوا فافعل المعنى أنك لاتستطيع ذلك فاصبر حتى يحكم الله (ولو شاء الله) هدايتهم (لجمعهم على الهدى) ولكن لم يشأ ذلك فلم يؤمنوا (فلا تكونن من الجاهلين) بذلك (انما يستجيب) دعاءك الى الايمان (الذين يسمعون) سماع تفهم واعتبار (والموتى) أى الكفار شبههم بهم فى عدم السماع (يبعثهم الله) فى الآخرة (ثم اليه يرجعون)

وقتله الوحشى قاتل حمزة وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خالدا فهرب بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وفى خلافة ابى بكر سبع فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة وبنو سليم قوم الفجاءة ابن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله امرهم على يده وفى امرة عمر رضى الله عنه غسان قوم جبلة بن الايهم تنصر وسار الى الشام (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه) قيل هم اهل اليمن لما روى انه عليه الصلوة والسلام اشار الى ابى موسى الاشعرى وقال هم قوم هذا وقيل الفرس لانه عليه السلام سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان فقال هذا وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية الفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من افناء الناس والراجع الى من محذوف تقديره فسوف يأتى الله بقوم مكانهم ومحبة الله تعالى للعباد ارادة الهدى والتوفيق لهم فى الدنيا وحسن الثواب فى الآخرة ومحبة العباد له ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه (اذلة على المؤمنين) عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل واستعماله مع على اما لتضمين معنى العطف والحنو او للتنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم او للمقابلة (اعزة على الكافرين) شداد متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال (يجاهدون فى سبيل الله) صفة اخرى لقوم او حال من الضمير فى اعزة (ولا يخافون لومة لائم) عطف على يجاهدون بمعنى انهم الجامعون بين المجاهدة فى سبيل الله والتصلب فى دينه او حال بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين فانهم يخرجون فى جيش المسلمين خائفين ملامة اوليائهم من اليهود فلا يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفى تنكير لائم مبالغتان (ذلك) اشارة الى ما تقدم من الاوصاف (فضل الله يؤتيه من يشاء) يمنحه ويوفق له (والله واسع) كثير الفضل (عليم) بمن هو اهله (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بها وانما قال وليكم الله ولم يقل اولياؤكم للتنبيه على ان الولاية لله على الاصالة ولرسوله وللمؤمنين على التبع (الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة) صفة للذين (آمنوا)

يريدون فيجازيهم باعمالهم (وقالوا) اى كفار مكة (لولا) هلا (نزل عليه آية من ربه) كالناقة والعصا والمائدة (قل) لهم (ان الله قادر على ان ينزل) بالتشديد والتخفيف (آية) مما اقترحوا (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن نزولها بلاء عليهم لوجوب هلاكهم ان جحدوها (وما من) زائدة (دابة) تمشى (فى الارض ولا طائر يطير) فى الهواء (بجناحيه الا أمم أمثالكم) فى تدبير خلقها ورزقها واحوالها (ما فرطنا) تركنا (فى الكتاب) اللوح المحفوظ (من) زائدة (شئ) فلم نكتبه (ثم الى ربهم يحشرون) فيقضى بينهم ويقتص للجماء من القرناء ثم يقول لهم كونوا ترابا (والذين كذبوا بآياتنا) القرآن (صم) عن سماعها سماع قبول (وبكم) عن النطق بالحق (فى الظلمات) الكفر (من يشأ الله) اضلاله (يضلله ومن يشأ) هدايته (يجعله على صراط) طريق (مستقيم) دين الاسلام (قل) يا محمد لاهل مكة (أرأيتكم) أخبرونى خبر (ان أتاكم عذاب الله) فى الدنيا

آمنوا فانه جرى مجرى الاسم او بدل منه ويجوز رفعه ونصبه على المدح (وهم راكعون) متخشعون فى صلوتهم وزكوتهم وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون اى يؤتون الزكوة فى حال ركوعهم فى الصلوة حرصا على الاحسان ومسارعة اليه فانها نزلت فى على رضى الله تعالى عنه حين سأله سائل وهو راكع فى صلوته فطرح له خاتمه واستدل بها الشيعة على امامته زاعمين ان المراد بالولى المتولى للامور والمستحق للتصرف فيها والظاهر ماذكرناه مع ان حمل الجمع على الواحد ايضا خلاف الظاهر وان صح انه نزل فيه فلعله جئ بلفظ الجمع لترغيب الناس فى مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل القليل فى الصلوة لا يبطلها وان صدقة التطوع تسمى زكوة (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا) ومن يتخذهم اولياء (فان حزب الله هم الغالبون) اى فانهم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه وكأنه قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشانهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا بمن يوالى غير هؤلاء بانه حزب الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزؤا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء) نزلت فى رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما وقد رتب النهى عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزؤا ولعبا ايماء على العلة وتنبيها على ان من هذا شأنه بعيد عن الموالاة جدير بالمعادات وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار على قراءة من جره وهم ابوعمرو والكسائى ويعقوب والكفار وان عم اهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على ان النهى عن موالاة من ليس على الحق رأسا سواء من كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين (واتقوا الله) بترك المناهى (ان كنتم مؤمنين) لان الايمان حقا يقتضى ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده (واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا) اى اتخذوا الصلوة او المناداة وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلوة روى ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام فتطاير شررها

أو أتتكم الساعة) القيمة المشتملة عليه بغتة (أغير الله تدعون) لا (ان كنتم صادقين) فى ان الاصنام تنفعكم فادعوها (بل اياه) لاغيره (تدعون) فى الشدائد (فيكشف ماتدعون اليه) أن يكشف عنكم من الضر ونحوه (ان شاء) كشفه (وتنسون) تتركون (ماتشركون) معه من الاصنام فلاتدعونه (ولقد أرسلنا الى امم من) زائدة (قبلك) رسلا فكذبوهم (فأخذناهم بالبأساء) شدة الفقر (والضراء) المرض (لعلهم يتضرعون) يتذللون فيؤمنون (فلولا) فهلا (اذ جاءهم بأسنا) عذابنا (تضرعوا) اى لم يفعلوا ذلك مع قيام المقتضى له (ولكن قست قلوبهم) فلم تلن للايمان (وزين لهم الشيطان ماكانوا يعملون) من المعاصى فأصروا عليها (فلما نسوا) تركوا (ماذكروا) وعظوا وخوفوا (به) من البأساء والضراء فلم يتعظوا (فتحنا) بالتخفيف والتشديد (عليهم أبواب كل شئ) من النعم استدراجا

في البيت فاحرقه واهله (ذلك بانهم قوم لا يعقلون) فان السفه يؤدي الى الجهل بالحق والهزؤ به والعقل يمنع منه (قل ياأهل الكتاب هل تنقمون منا) هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه كذا اذا انكره وانتقم اذا كافأه وقرئ تنقمون بفتح القاف وهو لغة (الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل) الايمان بالكتب المنزلة كلها (وان اكثركم فاسقون) عطف على ان آمنا وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة اى ماتنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون منه اوكان الاصل واعتقاد ان اكثركم فاسقون فحذف المضاف اوعلى مااى وماتنقمون منا الاالايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم فاسقون اوعلى علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا الا ان آمنا لقلة انصافكم وفسقكم او نصب باضمار فعل يدل عليه تنقمون اى ولاتنقمون ان اكثركم فاسقون او رفع على الابتداء والخبر محذوف اى وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم عن الانصاف والآية خطاب اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن يؤمن به * فقال اومن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون * فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى عليه السلام لانعلم دينا شرا من دينكم (قل هل انبئكم بشر بذلك) اى من ذلك المنقوم (مثوبة عند الله) جزاء ثابتا عند الله والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت ههنا موضعها على طريقة قوله * تحية بينهم ضرب وجيع * ونصبها على التمييز من بشر (من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير) بدل من بشر على حذف مضاف اى بشر من اهل ذلك من لعنه الله او بشر من ذلك دين من لعنه الله اوخبر مبتدأ محذوف اى هو من لعنه الله وهم اليهود ابعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات ومسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار اهل مائدة عيسى عليه السلام وقيل كلا المسخين في اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير (وعبد الطاغوت) عطف على صلة من وكذا عبد الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت وعبد كظرف بمعنى صار معبودا فيكون الراجع محذوفا اى فيهم او بينهم ومن قرأ عابد الطاغوت اوعبد على انه نعت كفطن ويقظ او عبدة اوعبد الطاغوت على انه جمع كخدم او ان اصله عبدة فحذفت التاء للاضافة عطفه على القردة ومن قرأ وعبد الطاغوت بالجر عطفه على من والمراد من الطاغوت

(العجل)

لهم (حتى اذا فرحوا بما أوتوا) فرح بطر (أخذناهم) بالعذاب (بغتة) فجأة (فاذاهم مبلسون) آيسون من كل خير (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) أى آخرهم بأن استؤصلوا (والحمد لله رب العالمين) على نصر الرسل واهلاك الكافرين (قل) لاهل مكة (أرأيتم) أخبروني (ان أخذ الله سمعكم) أصمكم (وأبصاركم) اعماكم (وختم) طبع (على قلوبكم) فلا تعرفون شيئا (من اله غير الله يأتيكم به) بما أخذه منكم بزعمكم (انظر كيف نصرف) نبين (الآيات) الدالات على وحدانيتنا (ثم هم يصدفون) يعرضون عنها فلا يؤمنون (قل) لهم (أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله بغتة أوجهرة) ليلا أونهارا (هل يهلك الا القوم الظالمون) الكافرون أى ما يهلك الاهم (وما نرسل المرسلين الامبشرين) من آمن بالجنة (ومنذرين) من كفر بالنار (فمن آمن) بهم (واصلح) عمله (فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون) في الآخرة (والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب

العجل وقيل الكهنة وكل من اطاعوه فى معصية الله تعالى (اولئك) اى الملعونون (شر مكانا) جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ فى الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا (واضل عن سواء السبيل) قصد الطريق المتوسط بين غاو النصارى وقدح اليهود والمراد من صيغتى التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة الى المؤمنين فى الشرارة والضلال (واذا جاؤكم قالوا آمنا) نزلت فى يهود نافقوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او فى عامة المنافقين (وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) اى يخرجون من عندك كما دخلوا لا يؤثر فيهم ماسمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعل دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضى من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا لما فيها من التوقع ان امارات النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يظنه ولذلك قال (والله اعلم بما كانوا يكتمون) اى من الكفر وفيه وعيد لهم (وترى كثيرا منهم) اى من اليهود او المنافقين (يسارعون فى الاثم) اى فى الحرام وقيل الكذب لقوله تعالى عن قولهم الاثم (والعدوان) الظلم او مجاوزة الحد فى المعاصى وقيل الاثم مايختص بهم والعدوان مايتعدى الى غيرهم (واكلهم السحت) اى الحرام خصه بالذكر للمبالغة (لبئس ماكانوا يعملون) لبئس شيئا عملوه (لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت) تحضيض لعلمائهم على النهى عن ذلك فان لولا اذا دخل على الماضى افاد التوبيخ واذا دخل على المستقبل افاد التحضيض (لبئس ماكانوا يصنعون) ابلغ من قوله لبئس ماكانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل الانسان بعد تدرب فيه وترو وتحرى اجادة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تستلذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ الذم (وقالت اليهود يد الله مغلولة) اى هو ممسك يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل او بسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله * جاد الحمى بسط اليدين بوابل * شكرت نداه تلاعه ووهاده * ونظيره من المجازات المركبة شابت لمة الليل وقيل معناه انه فقير لقوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء (غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا) دعاء عليهم بالبخل والنكد او بالفقر والمسكنة او بغل الايدى حقيقة يغلون اسارى فى الدنيا ومسحبين

بما كانوا يفسقون) يخرجون عن الطاعة (قل) لهم (لا اقول لكم عندى خزائن الله) التى منها يرزق (ولا) انى (أعلم الغيب) ماغاب عنى ولم يوح الى (ولا أقول لكم انى ملك) من الملائكة (ان) ما (أتبع الا مايوحى الى قل هل يستوى الاعمى) الكافر (والبصير) المؤمن لا (أفلا تتفكرون) فى ذلك فتؤمنون (وانذر) خوف (به) أى بالقرآن (الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه) أى غيره (ولى) ينصرهم (ولا شفيع) يشفع لهم وجملة النفى حال من ضمير يحشروا وهى محل الخوف والمراد بهم المؤمنون العاصون (لعلهم يتقون) الله باقلاعهم عماهم فيه وعمل الطاعات (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون) بعبادتهم (وجهه) تعالى لا شيئا من أعراض الدنيا وهم الفقراء وكان المشركون طعنوا فيهم وطلبوا أن يطردهم ليجالسوه وأراد النبى صلى الله عليه وسلم ذلك طمعا فى اسلامهم (ماعليك

الى النار فى الآخرة فتكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الاصل كقولك سبنى سب الله دابره (بل يداه مبسوطتان) ثنى اليد مبالغة فى الرد ونفى البخل عنه تعالى واثباتا لغاية الجود فان غاية مايبذله السخى من ماله ان يعطيه بيديه وتنبيها على منح الدنيا والآخرة وعلى مايعطى للاستدراج ومايعطى للاكرام (ينفق كيف يشاء) تأكيد لذلك اى هو مختار فى انفاقه يوسع تارة ويضيق اخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته لاعلى تعاقب سعة وضيق فى ذوات يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولانها مضاف اليها ولامن اليدين اذلا ضمير لهما فيه ولامن ضميرهما لذلك والآية نزلت فى فنحاص بن عازوراء فانه قال ذلك لما كف الله عن اليهود مابسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم واشرك فيه الآخرون لانهم رضوا بقوله (وليزيدن كثيرا منهم ماانزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) اى هم طاغون كافرون ويزدادون طغيانا وكفرا مما يسمعون من القرآن كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح للاصحاء (والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة) فلا تتوافق قلوبهم ولا تتطابق افواههم (كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله) كلما ارادوا حرب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم واثارة شر عليه ردهم الله بان اوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرهم اوكلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التورية سلط الله تعالى عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط الله عليهم قطرس الرومى ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط الله عليهم المسلمين وللحرب صلة اوقدوا اوصفة نارا (ويسعون فى الارض فسادا) اى للفساد وهو اجتهادهم فى الكيد واثارة الحروب والفتن وهتك المحارم (والله لايحب المفسدين) فلا يجازيهم الاشرا (ولوان اهل الكتاب آمنوا) بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وبما جاء به (واتقوا) ماعددنا معاصيهم ونحوه (لكفرنا عنهم سيئاتهم) التى فعلوها ولم نؤاخذهم بها (ولادخلناهم جنات النعيم) ولجعلناهم من الداخلين فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وان الاسلام يجب ماقبله وان جل وان الكتابى لايدخل الجنة مالم يسلم (ولو انهم اقاموا التورية والانجيل) باذاعة مافيهما من نعت محمد عليه الصلوة والسلام والقيام باحكامهما (وماانزل اليهم من ربهم) يعنى سائر الكتب المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون بالايمان بها كالمنزل اليهم اوالقرآن (لأكلوا من

(فوقهم)

من حسابهم من) زائدة (شئ) ان كان باطنهم غير مرضى (ومامن حسابك عليهم من شئ فتطردهم) جواب النفى (فتكون من الظالمين) ان فعلت ذلك (وكذلك فتنا) ابتلينا (بعضهم ببعض) أى الشريف بالوضيع والغنى بالفقير بأن قدمناه بالسبق الى الايمان (ليقولوا) أى الشرفاء والاغنياء منكرين (أهؤلاء) الفقراء (من الله عليهم من بيننا) بالهداية أى لوكان ماهم عليه هدى ماسبقونا اليه قال تعالى (أليس الله بأعلم بالشاكرين) له فيهديهم بلى (واذاجاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل) لهم (سلام عليكم كتب) قضى (ربكم على نفسه الرحمة انه) أى الشأن وفى قراءة بالفتح بدل من الرحمة (من عمل منكم سوأ بجهالة) منه حيث ارتكبه (ثم تاب) رجع (من بعده) بعد عمله عنه (وأصلح) عمله (فانه) أى الله (غفور) له (رحيم) به وفى قراءة بالفتح أى فالمغفرة له (وكذلك) كما بينا ماذكر (نفصل) نبين (الآيات) القرآن ليظهر

فوقهم ومن تحت ارجلهم) لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات من السماء والارض اويكثر ثمرة الاشجار وغلة الزروع اويرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنونها من رأس الشجر ويلتقطون ماتساقط على الارض بين بذلك انما كف عنهم بشؤم كفرهم ومعاصيهم لالقصور الفيض ولوانهم آمنوا واقاموا ماامروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين (منهم امة مقتصدة) عادلة غير غالية ولامقصرة وهم الذين آمنوا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل مقتصدة متوسطة فى عداوته (وكثير منهم ساء مايعملون) اى بئس مايعملونه وفيه معنى التعجب اى ماأسوأ عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والاعراض عنه اوالافراط فى العداوة (ياأيها الرسول بلغ ماانزل اليك من ربك) جميع ماانزل اليك غير مراقب احدا ولاخائف مكروها (وان لم تفعل) وان لم تبلغ جميعه كما امرتك (فما بلغت رسالته) فما اديت شيئا منها لان كتمان بعضها يضيع ماادى منها كترك بعض اركان الصلوة فان غرض الدعوة ينتقض به اوفكأنك مابلغت شيئا منها كقوله فكأنما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء فى الشناعة واستجلاب العقاب وقرأنافع وابن عامر وابوبكر رسالاته بالجمع وكسر التاء (والله يعصمك من الناس) عدة وضمان من الله بعصمة روحه من تعرض الاعادى وازاحة لمعاذيره (ان الله لايهدى القوم الكافرين) لايمكنهم ممايريدون بك وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعثنى الله برسالته فضقت بها ذرعا فاوحى الله تعالى الى ان لم تبلغ رسالتى عذبتك وضمن لى العصمة فقويت وعن انس رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحرس حتى نزلت فاخرج رأسه من قبة ادم فقال انصرفوا ياأيها الناس فقد عصمنى الله من الناس وظاهر الآية يوجب تبليغ كل ماانزل ولعل المراد تبليغ مايتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية مايحرم افشاؤه (قل ياأهل الكتاب لستم على شئ) اى دين يعتدبه ويصح ان يسمى شيئا لانه باطل (حتى تقيموا التورية والانجيل وماانزل اليكم من ربكم) ومن اقامتها الايمان بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم والاذعان بحكمه فان الكتب الالهية بامبرها آمرة بالايمان لمن صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد اقامة اصولها وما لم ينسخ من فروعها (وليزيدن كثيرا منهم ماانزل اليك من ربك طغيانا وكفرا

الحق فيعمل به (ولتستبين) تظهر (سبيل) طريق (المجرمين) فتجتنب وفى قراءة بالتحتانية وفى أخرى بالفوقانية ونصب سبيل خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون) تعبدون (من دون الله قل لاأتبع أهواءكم) فى عبادتها (قد ضللت اذا) ان اتبعتها (وماأنا من المهتدين قل انى على بينة) بيان (من ربى و) قد (كذبتم به) بربى حيث أشركتم (ماعندى ماتستعجلون به) من العذاب (ان) ما (الحكم) فى ذلك وغيره (الالله يقضى) القضاء (الحق وهو خير الفاصلين) الحاكمين وفى قراءة يقص أى يقول (قل) لهم (لو أن عندى ماتستعجلون به لقضى الامر بينى وبينكم) بأن أعجله لكم وأستريح ولكنه عندالله (والله أعلم بالظالمين) متى يعاقبهم (وعنده) تعالى (مفاتح الغيب) خزائنه أوالطرق الموصلة الى علمه (لايعلمها الاهو) وهى الخمسة التى فى قوله ان الله عنده علم الساعة

فلا تأس على القوم الكافرين) فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفى المؤمنين مندوحة لك عنهم (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى) سبق تفسيره فى سورة البقرة والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية فيه التأخير عما فى حيزان والتقدير ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله * فانى وقيار بها لغريب * وقوله * والافاعلموا اناوانتم * بغاة مابقينا فى شقاق * اى فاعلموا انا بغاة وانتم كذلك وهو كاعتراض دل به على انه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الاديان كلها يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح كان غيرهم اولى بذلك ويجوز ان يكون والنصارى معطوفا عليه ومن آمن خبرها وخبران مقدر دل عليه مابعده كقوله * نحن بما عندنا وانت بما * عندك راض والرأى مختلف * ولا يجوز عطفه على محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدأ وخبران معا فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير فى هادوا لعدم التأكيد والفصل ولانه يوجب كون الصابئين هودا وقيل ان بمعنى نعم ومابعدها فى موضع الرفع بالابتداء وقيل الصابئون منصوب بالفتح وذلك كما جوز بالياء جوز بالواو (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا) فى محل الرفع بالابتداء وخبره (فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون) والجملة خبران او خبر المبتدأ كما مر والراجع محذوف اى من آمن منهم اوالنصب على البدل من اسم ان وماعطف عليه وقرىء والصابئين وهوالظاهر والصابيون بقلب الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبا بابدال الهمزة الفا اومن صبوت لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا (لقد اخذنا ميثاق بنى اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا) ليذكروهم وليبينوا لهم امر دينهم (كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم) بما يخالف هواهم من الشرائع ومشاق التكاليف (فريقا كذبوا وفريقا يقتلون) جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع محذوف اى رسول منهم وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استئناف وانما جئ بيقتلون موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها على ان ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رؤوس الآى (وحسبوا ان لاتكون فتنة) اى وحسب بنوا اسرائيل ان لا يصيبهم

الآية كما رواه البخارى (ويعلم ما) يحدث (فى البر) القفار (والبحر) القرى التى على الانهار (وما تسقط من) زائدة (ورقة الايعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس) عطف على ورقة (الا فى كتاب مبين) هو اللوح المحفوظ والاستثناء بدل اشتمال من الاستثناء قبله (وهو الذى يتوفاكم بالليل) يقبض أرواحكم عند النوم (ويعلم ماجرحتم) كسبتم (بالنهار ثم يبعثكم فيه) أى النهار برد أرواحكم (ليقضى أجل مسمى) هو أجل الحيوة (ثم اليه مرجعكم) بالبعث (ثم ينبئكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم به (وهو القاهر) مستعليا (فوق عباده ويرسل عليكم حفظة) ملائكة تحصى أعمالكم (حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته) وفى قراءة توفاه (رسلنا) الملائكة الموكلون بقبض الارواح (وهم لايفرطون) يقصرون فيما يؤمرون به (ثم ردوا) أى الخلق (الى الله مولاهم) مالكهم (الحق) الثابت العدل ليجازيهم (ألا له الحكم) القضاء النافذ فيهم

بلاء وعذاب بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرأ ابوعمرو وحمزة والكسائى ويعقوب ان لاتكون بالرفع على ان أن هى المخففة من الثقيلة واصله انه لاتكون فتنة فخففت ان وحذف ضمير الشأن وادخال فعل الحسبان عليها وهى للتحقيق تنزيلا له منزلة العلم لتمكنه فى قلوبهم وان او أن بما فى حيزها سادمسد مفعوليه (فعموا) عن الدين او الدلائل والهدى (وصموا) عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل (ثم تاب الله عليهم) اى ثم تابوا فتاب الله عليهم (ثم عموا وصموا) مرة اخرى وقرئ بالضم فيهما على ان الله عماهم وصمهم اى رماهم بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية اعمى وأصم (كثير منهم) بدل من الضمير اوفاعل والواو علامة الجمع كقولهم اكلونى البراغيث اوخبر مبتدأ محذوف اى العمى والصم كثير منهم وقيل مبتدأ والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقديم الخبر فى مثله ممتنع (والله بصير بما يعملون) فيجازيهم وفق اعمالهم (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم) اى انى عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقى وخالقكم (انه من يشرك بالله) اى فى عبادته او فيما يختص به من الصفات والافعال (فقد حرم الله عليه الجنة) يمنع من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين (ومأواه النار) فانها المعدة للمشركين (وماللظالمين من انصار) اى ومالهم احد ينصرهم من النار فوضع الظاهر موضع الضمير تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل ان يكون من تمام كلام عيسى عليه السلام وان يكون من كلام الله تعالى تنبيها على انهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى وتقربا اليه وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه فماظنك بغيره (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) اى احد ثلاثة وهو حكاية عما قاله النسطورية والملكانية منهم القائلون بالاقانيم الثلاثة وماسبق قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد (ومامن اله الااله واحد) ومافى الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الاالله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق (وان لم ينتهوا عما يقولون) ولم يوحدوا (ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم) اى ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر اوليمسن الذين كفروا من النصارى وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم وتنبيها على ان العذاب

(وهو أسرع الحاسبين) يحاسب الخلق كلهم فى قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك (قل) يامحمد لاهل مكة (من ينجيكم من ظلمات البر والبحر) أهوالهما فى أسفاركم حين (تدعونه تضرعا) علانية (وخفية) سرا تقولون (لئن) لام قسم (أنجيتنا) وفى قراءة انجانا أى الله (من هذه) الظلمات والشدائد (لنكونن من الشاكرين) المؤمنين (قل) لهم (الله ينجيكم) بالتخفيف والتشديد (منها ومن كل كرب) غم سواها (ثم انتم تشركون) به (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) من السماء كالحجارة والصيحة (أو من تحت أرجلكم) كالخسف (أو يلبسكم) يخلطكم (شيعا) فرقا مختلفة الاهواء (ويذيق بعضكم بأس بعض) بالقتال قال صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذا أهون وأيسر ولما نزل ماقبله أعوذ بوجهك رواه البخارى وروى مسلم حديث سألت ربى أن لايجعل بأس أمتى بينهم فمنعنيها وفى حديث لما نزلت قال أما انها كائنة ولم يأت تأويلها بعد (انظر كيف نصرف)

على من دام على الكفر ولم ينقطع عنه فلذلك عقبه بقوله (افلايتوبون الى الله ويستغفرونه) اى افلايتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد والاقوال الزائغة ويستغفرون بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعدهذا التقرير والتهديد (والله غفور رحيم) يغفرلهم ويمنحهم من فضله ان تابوا وفى هذا الاستفهام تعجيب من اصرارهم (ماالمسيح ابن مريم الا رسول قدخلت من قبله الرسل) اى ماهو الا رسول كالرسل قبله خصه الله بآيات كما خصهم بها فان احيى الموتى على يده فقد احيى العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى عليه السلام وهو اعجب وان خلقه من غيراب فقد خلق آدم من غيراب وام وهو اغرب (وامه صديقة) كسائر النساء اللاتى يلازمن الصدق او يصدقن الانبياء (كانا يأكلان الطعام) ويفتقران اليه افتقار الحيوانات بين او لااقصى مالهما من الكمال ودل على انه لايوجب لهما الوهية لان كثيرا من الناس يشاركهما فى مثله ثم نبه على نقصهما وذكر ماينافى الربوبية ويقتضى ان يكونا من عداد المركبات الكائنة الفاسدة ثم عجب ممن يدعى الربوبية لهما مع امثال هذه الادلة الظاهرة فقال (انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون) كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله وثم لتفاوت مابين العجبين اى ان بياننا للآيات عجب واعراضهم عنها اعجب (قل اتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا) يعنى عيسى وان ملك ذلك بتمليك الله اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل مايضر الله تعالى به من البلايا والمصائب وماينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما نظرا الى ماهو عليه فى ذاته توطئة لنفى القدرة عنه رأسا وتنبيها على انه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وانما قدم الضر لان التحرز عنه اهم من تحرى النفع (والله هو السميع العليم) بالاقوال والعقائد فيجازى عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر (قل ياأهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم غير الحق) اى غلوا باطلا فترفعوا عيسى الى ان تدعوا له الالهية او تضعوه فتزعموا انه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة (ولاتتبعوا اهواء قوم قدضلوا من قبل) يعنى اسلافهم وائمتهم الذين ضلوا قبل مبعث محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فى شريعتهم (واضلوا كثيرا) ممن شايعهم على بدعهم وضلالهم (وضلوا عن سواء السبيل) عن قصد السبيل الذى هو الاسلام بعد مبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة

نبين لهم (الآيات) الدالات على قدرتنا (لعلهم يفقهون) يعلمون أن ماهم عليه باطل (وكذب به) بالقرآن (قومك وهو الحق) الصدق (قل) لهم (لست عليكم بوكيل) فاجازيكم انما أنامنذر وأمركم الى الله وهذا قبل الامر بالقتال (لكل نبأ) خبر (مستقر) وقت يقع فيه ويستقرونه عذابكم (وسوف تعلمون) تهديدلهم (واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا) القرآن بالاستهزاء (فأعرض عنهم) ولاتجالسهم (حتى يخوضوا فى حديث غيره واما) فيه ادغام نون ان الشرطية فى ما المزيدة (ينسينك) بسكون النون والتخفيف وفتحها والتشديد (الشيطان) فقعدت معهم (فلاتقعد بعدالذكرى) اى تذكره (مع القوم الظالمين) فيه وضع الظاهر موضع المضمر وقال المسلمون ان قمنا كلما خاضوا لم نستطع أن نجلس فى المسجد وأن نطوف فنزل (وماعلى الذين يتقون) الله (من حسابهم) اى الخائضين (من) زائدة (شئ) اذا جالسوهم (ولكن) عليهم

الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثانى اشارة الى ضلالهم عما جاء به الشرع (لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم) اى لعنهم الله فى الزبور والانجيل على لسانهما وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا فى السبت لعنهم داود عليه السلام فسخهم الله تعالى قردة واصحاب المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى عليه السلام ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) اى ذلك اللعن الشنيع المقتضى للمسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم عليهم (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) اى لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه اوعن مثل منكر فعلوه اوعن منكر ارادوا فعله وتهيئوا له اولا ينتهون عنه من قولهم تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع (لبئس ما كانوا يفعلون) تعجيب من سوء فعلهم مؤكد بالقسم (ترى كثيرا منهم) من اهل الكتاب (يتولون الذين كفروا) يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين (لبئس ما قدمت لهم انفسهم) اى لبئس شيئا قدموه ليردوا عليه يوم القيمة (ان سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون) هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله والخلود فى العذاب اوعلة الذم والمخصوص محذوف اى لبئس شيئا ذلك لان كسبهم السخط والخلود (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى) يعنى نبيهم وان كانت الآية فى المنافقين فالمراد نبينا عليه الصلوة والسلام (وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء) اذ الايمان يمنع ذلك (ولكن كثيرا منهم فاسقون) خارجون عن دينهم اومتمردون فى نفاقهم (لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا) لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم فى اتباع الهوى وركونهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم (ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى) للين جانبهم ورقة قلوبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل واليه اشار بقوله (ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون) عن قبول الحق اذا فهموه اويتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وفيه دليل على ان التواضع والاقبال فى العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمودة وان كانت فى كافر (واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع) عطف

(ذكرى) تذكرة لهم وموعظة (لعلهم يتقون) الخوض (وذر) اترك (الذين اتخذوا دينهم) الذى كلفوه (لعبا ولهوا) باستهزائهم به (وغرتهم الحيوة الدنيا) فلا تتعرض لهم وهذا قبل الامر بالقتال (وذكر) عظ (به) بالقرآن الناس ا (أن) لا (تبسل نفس) تسلم الى الهلاك (بما كسبت) عملت (ليس لها من دون الله) أى غيره (ولى) ناصر (ولا شفيع) يمنع عنها العذاب (وان تعدل كل عدلا) تفد كل فداء (لا يؤخذ منها) ما تفدى به (اولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم) ماء بلغ نهاية الحرارة (وعذاب أليم) مؤلم (بما كانوا يكفرون) بكفرهم (قل أندعو) أنعبد (من دون الله ما لا ينفعنا) بعبادته (ولا يضرنا) بتركها وهو الاصنام (ونرد على أعقابنا) نرجع مشركين (بعد اذ هدانا الله) الى الاسلام (كالذى استهوته) أضلته (الشياطين فى الارض حيران) متحيرا لا يدرى أين يذهب حال من الهاء (له أصحاب)

على لايستكبرون هو بيان لرقةقلوبهم وشدةخشيتهم ومسارعتهم الىقبول الحق وعدم تأبيهم عنه والفيض انصباب عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكاء كانها تفيض بانفسها (مماعرفوا من الحق) من الاولى للابتداء والثانية لتبيين ماعرفوا اوللتبعيض فانه بعض الحق والمعنى انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذاعرفوا كله (يقولون ربنا آمنا) بذلك او بمحمد صلى الله عليه وسلم (فاكتبنا مع الشاهدين) من الذين شهدوا بانه حق او بنبوته او من امته الذين هم شهداء الله على الامم يوم القيمة (ومالنا لانؤمن بالله وماجاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) استفهام انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام الداعى وهو الطمع فى الانخراط مع الصالحين والدخول فى مداخلهم او جواب سائل قال لم آمنتم ولانؤمن حال من الضمير والعامل ما فى اللام من معنى الفعل اى اى شىء حصل لنا غير مؤمنين بالله اى بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين او بكتابه ورسوله فان الايمان بهما ايمان به حقيقة وذكره توطئة وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن او خبر محذوف والواو للحال اى ونحن نطمع والعامل فيها عامل الاولى مقيدا بها او نؤمن (فاثابهم الله بما قالوا) اى عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اى معتقده (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين) الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان فى الامور والآيات الاربع روى انها نزلت فى النجاشى واصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بكتابه فقرأ ثم دعا جعفر بن ابى طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان والقسيسين فامر جعفر ان يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل نزلت فى ثلاثين اوسبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقرأ عليهم سورة يس فبكوا وآمنوا (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم) عطف التكذيب بآيات الله على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم فى معرض المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب (ياايها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما احل الله لكم) اى ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ماقبله مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه النهى عن الافراط فى ذلك والاعتداء عما حد الله بجعل الحلال حراما فقال (ولاتعتدوا ان الله لايحب المعتدين) ويجوز

(ان)

رفقة (يدعونه الى الهدى) اى ليهدوه الطريق يقولون له (ائتنا) فلايجيبهم فيهلك والاستفهام للانكار وجملة التشبيه حال من ضمير نرد (قل ان هدى الله) الذى هو الاسلام (هو الهدى) وماعداه ضلال (وأمرنا لنسلم) اى بأن نسلم (لرب العالمين وأن) اى بان (أقيموا الصلوة واتقوه) تعالى (وهو الذى اليه تحشرون) تجمعون يوم القيمة للحساب (وهو الذى خلق السموات والارض بالحق) اى محقا (و) اذكر (يوم يقول للشىء (كن فيكون) هو يوم القيمة يقول للخلق قوموا فيقومون (قوله الحق) الصدق الواقع لامحالة (وله الملك يوم ينفخ فى الصور) القرن النفخة الثانية من اسرافيل لاملك فيه لغيره لمن الملك اليوم لله (عالم الغيب والشهادة) ماغاب وماشوهد (وهو الحكيم) فى خلقه (الخبير) بباطن الاشياء كظاهرها (و) اذكر (اذقال ابراهيم لابيه آزر) هو لقبه واسمه تارح (أتتخذ أصناما

ان يرادبه ولاتعتدوا حدود مااحل لكم الى ماحرم عليكم فتكون الآية ناهية عن تحريم مااحل وتحليل ماحرم داعية الى القصد بينهما روى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وصف القيمة لاصحابه يوما وبالغ فى انذارهم فرقوا واجتمعوا فى بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لايزالوا صائمين وان لايناموا على الفرش وان لايأكلوا اللحم والودك ولايقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا فى الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم انى لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فانى اقوم وانام واصوم وافطر وآكل اللحم والدسم وآتى النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى ونزلت ﴿ فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ﴾ اى وكلوا مااحل لكم وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالا مفعول كلوا ومما رزقكم الله حالا منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان يكون من ابتدائية متعلقة بكلوا ويجوز ان يكون مفعولا لكلوا وحلالا حالا من الموصول او العائد المحذوف اوصفة لمصدر محذوف وعلى الوجوه لولم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة ﴿ واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون لايؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ﴾ هو مايبدو من المرء بلاقصد كقول الرجل لاوالله وبلى والله واليه ذهب الشافعى رحمه الله وقيل الحلف على مايظن انه كذلك ولم يكن واليه ذهب ابو حنيفة رحمه الله تعالى وفى ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر او حال منه ﴿ ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان ﴾ بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم او بنكث ماعقدتم فحذف للعلم به وقرأ حمزة والكسائى وابن عياش عقدتم بالتخفيف وابن عامر فى رواية ابن ذكوان عاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل ﴿ فكفارته ﴾ فكفارة نكثه اى الفعلة التى تذهب اثمه وتستره واستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله عليه السلام من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت بالذى هو خير ﴿ اطعام عشرة مساكين من اوسط ماتطعمون اهليكم ﴾ من اقصده فى النوع او القدر وهو مد لكل مسكين عندنا و نصف صاع عند الحنفية ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما من اوسط ماتطعمون او الرفع على البدل من اطعام واهلون كارضون وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة

آلهة) تعبدها استفهام توبيخ (انى أراك وقومك) باتخاذها (فى ضلال) عن الحق (مبين) بين (وكذلك) كما اريناه ضلال أبيه وقومه (نرى ابراهيم ملكوت) ملك (السموات والارض) ليستدل به على وحدانيتنا (وليكون من الموقنين) بها وجملة وكذلك ومابعدها اعتراض وعطف على قال (فلما جن) أظلم (عليه الليل رأى كوكبا) قيل هو الزهرة (قال) لقومه وكانوا نجامين (هذا ربى) فى زعمكم (فلما أفل) غاب (قال لااحب الآفلين) أن أتخذهم أربابا لان الرب لايجوز عليه التغير والانتقال لانهما من شؤن الحوادث فلم ينجع فيهم ذلك (فلما رأى القمر بازغا قال) لهم (هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى) يثبتنى على الهدى (لأكونن من القوم الضالين) تعريض لقومه بانهم على ضلال فلم ينجع فيهم ذلك (فلما رأى الشمس بازغة قال هذا) ذكره لتذكير خبره (ربى هذا أكبر) من الكوكب والقمر (فلما

من يسكنهـا فى الاحوال الثلاثة كالالف وهو جمع اهل كالليالى فى جمع ليل والاراضى فى جمع ارض وقيل جمع اهلاة (اوكسوتهم) عطف على اطعام اومن اوسط ان جعل بدلا وهوثوب يغطى العورة وقيل ثوب جامع قميص اورداء وازار وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدوة وقدوة اوكاسوتهم بمعنى اوكمثـل ماتطعمون اهليكم اسرافا اوتقتيرا تواسـون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف فى محـل الرفع وتقديره اواطعـامهم كاسوتهم (اوتحرير رقبة) او اعتاق انسـان وشرط الشـافعى رحمه الله فيه الايمان قياسا على كفارة القتـل ومعنى اوايجاب احدى الخصال الثلاث مطلقا وتخيير المكلف فى التعيين (فمن لم يجد) اى واحدا منهـا (فصيام ثلاثة ايام) فكفارته صيام ثلاثة ايام وشرط ابوحنيفة رحمه الله فيه التتابع لانه قرئ ثلاثة ايام متتابعات والشواذ ليست بحجة عندنا اذلم تثبت كتابا ولم ترو سنة (ذلك) اى المذكور (كفارة ايمانكم اذا حلفتم) وحنثتم (واحفظوا ايمانكم) بان تضنوا بها ولاتبذلوها لكل امر اوبان تبروا فيها مااستطعتم ولم يفت بها خير اوبان تكفروها اذا حنثتم (كذلك) اى مثـل ذلك البيان (يبين الله لكم آياته) اعلام شرائعه (لعلكم تشكرون) نعمة التعليم اونعمه الواجب شكرها فان مثل هذا التبيين يسـهل لكم المخرج منه (ياايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب) اى الاصنام التى نصبت للعبادة (والازلام) سبق تفسيره فى اول السورة (رجس) قذر يعـاف عنه العقول وافراده لانه للخمر وخبر المعطوفات محذوف اوالمضاف المحذوف كأنه قال انمـا تعاطى الخمر والميسر (من عمل الشيطان) لانه مسبب عن تسويله وتزيينه (فاجتنبوه) الضمير للرجس اوللماذكر اوللتعاطى (لعلكم تفلحون) لكى تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم انه تعالى اكد تحريم الخمر والميسر فى هذه الآية بان صـدر الجملة بانما وقرنهما بالاصنام والازلام وسماها رجسا وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على ان الاشتغال بهما شر بحت اوغالب وامر بالاجتناب عن عينهما وجعـله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بان بين مافيهمـا من المفاسد الدينية والدنيوية والمقتضية للتحريم فقال تعالى (انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصـدكم عن ذكر الله وعن الصلوة) وانمـا خصهما باعادة الذكر وشرح مافيهما من الوبال تنبيها على انهما المقصود بالبيـان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على

(انهما)

أفلت) وقويت عليهم الحجة ولم يرجعوا (قال ياقوم انى برئ مما تشركون) بالله من الاصنام والاجرام المحدثة المحتاجة الى محدث فقالوا له ماتعبد قال (انى وجهت وجهى) قصدت بعبادتى (للذى فطر) خلق (السموات والارض) اى الله (حنيفـا) مائلا الى الدين القيم (وما أنا من المشركين) به (وحاجـه قـومه) جادلوه فى دينـه وهددوه بالاصنام أن تصيبه بسوء ان تركها (قال أتحاجونى) بتشـديد النون وتخفيفهـا بحذف احدى النونين وهى نون الرفع عند النحاة ونون الوقاية عند القراء اتجادلونى (فى) وحدانية (الله وقد هدان) تعالى اليها (ولا أخاف ماتشركـون) ه (به) من الاصنـام أن تصيبنى بسـوء لعدم قدرتها على شئ (الا) لكـن (أن يشـاء ربى شـيئا) من المكروه يصيبنى فيكون (وسـع ربى كل شئ علما) اى وسع علمه كل شئ (أفلا تتذكرون) هذا فتؤمنون (وكيف أخاف ما أشركـتم) بالله وهى

انهما مثلهما فى الحرمة والشرارة لقوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلوة من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان من حيث انها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ماتقدم من انواع الصوارف وقال (فهل انتم منتهون) ايذانا بان الامر فى المنع والتحذير بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت (واطيعوا الله واطيعوا الرسول) فيما امرا به (واحذروا) مانهيا عنه او مخالفتهما (فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين) اى فاعلموا انكم لم تضروا الرسول عليه السلام بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم به انفسكم (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) مما لم يحرم عليهم لقوله (اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات) اى اتقوا المحرم وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة (ثم اتقوا) ما حرم عليهم بعد كالخمر (وآمنوا) بتحريمه (ثم اتقوا) ثم استمروا وثبتوا على اتقاء المعاصى (واحسنوا) وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روى انه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يارسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فنزلت ويحتمل ان يكون هذا التكرار باعتبار الاوقات الثلاثة او باعتبار الحالات الثلاث استعمال الانسان التقوى والايمان بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله تعالى ولذلك بدل الايمان بالاحسان فى الكرة الثالثة اشارة الى ماقاله عليه الصلوة والسلام فى تفسيره او باعتبار المراتب الثلاث المبدأ والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغى ان يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات تحرزا عن الوقوع فى الحرام وبعض المباحات تحفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة (والله يحب المحسنين) فلا يؤاخذهم بشىء وفيه دليل على ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوبا (يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشىء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم) نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم فى رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير فى بشىء للتنبيه على انه ليس من العظائم التى تدحض الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عند ماهو اشد منه (ليعلم الله من يخافه بالغيب) ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب منتظر لقوة ايمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة

لا تضر ولا تنفع (ولا تخافون أنتم من الله) (أنكم أشركتم بالله) فى العبادة (ما لم ينزل به) بعبادته (عليكم سلطانا) حجة وبرهانا وهو القادر على كل شىء (فأى الفريقين أحق بالامن) أنحن أم أنتم (ان كنتم تعلمون) من الاحق به اى وهو نحن فاتبعوه قال تعالى (الذين آمنوا ولم يلبسوا) يخلطوا (ايمانهم بظلم) اى شرك كما فسر بذلك فى حديث الصحيحين (أولئك لهم الامن) من العذاب (وهم مهتدون وتلك) مبتدأ ويبدل منه (حجتنا) التى احتج بها ابراهيم على وحدانية الله من أفول الكوكب وما بعده والخبر (آتيناها ابراهيم) أرشدناه لها حجة (على قومه نرفع درجات من نشاء) بالاضافة والتنوين فى العلم والحكمة (ان ربك حكيم) فى صنعه (عليم) بخلقه (ووهبنا له اسحق ويعقوب) ابنه (كلا) منهما (هدينا ونوحا هدينا من قبل) اى قبل ابراهيم (ومن ذريته) اى نوح (داود وسليمان) ابنه (وايوب ويوسف)

ابن يعقوب (وموسى وهرون وكذلك) كما جزيناهم (نجزى المحسنين وزكريا ويحيي) ابنه (وعيسى) ابن مريم يفيد أن الذرية تتناول أولاد البنت (والياس) ابن أخي هرون أخي موسى (كل) منهم (من الصالحين واسمعيل) بن ابراهيم (واليسع) اللام زائدة (ويونس ولوطا) ابن هاران أخي ابراهيم (وكلا) منهم (فضلنا على العالمين) بالنبوة (ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم) عطف على كلا أو نوحا و من للتبعيض لان بعضهم لم يكن له ولد و بعضهم كان فى ولده كافر (واجتبيناهم) اخترناهم (وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك) الدين الذى هدوا اليه (هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ولو أشركوا) فرضا (لحبط عنهم ما كانوا يعملون أولئك الذين آتيناهم الكتاب) بمعنى الكتب (والحكم) الحكمة (والنبوة فان يكفر بها) اى بهذه الثلاثة (هؤلاء) اى أهل مكة (فقد وكلنا بها) أرصدنا لها (قوما ليسوا بها

ايمانه فذكر العلم واراد وقوع المعلوم وظهوره اوتعلق العلم (فمن اعتدى بعد ذلك) الابتلاء بالصيد (فله عذاب اليم) فالوعيد لاحق به فان من لا يملك جاشه فى مثل ذلك ولا يراعى حكم الله فيه فكيف به فيما تكون النفس اميل اليه واحرص عليه (يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم) اى محرمون جمع حرام كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكوة للتعميم واراد بالصيد مايؤكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله عليه الصلوة والسلام خمس يقتلن فى الحل والحرم الحدأة والغراب والعقرب والفارة والكلب العقور وفى رواية اخرى الحية بدل العقرب مع مافيه من التنبيه على جواز قتل كل موذ واختلف فى ان هذا النهى هل يلغى حكم الذبائح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثنى اولا فيكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب (ومن قتله منكم متعمدا) ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قبل مايقتله والاكثر على ان ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف العامد والمخطىء واحد فى ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه ولان الآية نزلت فيمن تعمد اذ روى انه عن لهم فى عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه ابو اليسر برمحه فقتله فنزلت (فجزاء مثل ماقتل من النعم) برفع الجزاء والمثل قرأه الكوفيون ويعقوب بمعنى فعليه او فواجبه جزاء يماثل ماقتل من النعم وعليه لايتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما بالصفة فان متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف مالم يتم بها وقرأ الباقون على اضافة المصدر الى المفعول واقحام مثل كما فى قولهم مثلى لايقول كذا والمعنى فعليه ان يجزى مثل ماقتل وقرئ فجزاء مثل ماقتل بنصبهما على فليجز جزاء اوفعليه ان يجزى جزاء يماثل ما قتل اوفجزاؤه مثل ماقتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعى والقيمة عند ابى حنيفة وقال يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت ثمن هدى يخير بين ان يهدى ماقيمته قيمته وبين ان يشترى بها طعاما فيعطى كل مسكين نصف صاع من بر اوصاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم يبلغ يخير بين الاطعام والصوم واللفظ الاول اوفق (يحكم به ذوا عدل منكم) صفة جزاء ويحتمل ان يكون حالا من ضميره فى خبره اومنه اذا اضفته اووصفته ورفعته بخبر مقدر لمن وكما ان التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد تحتاج المماثلة فى الخلقة والهيئة

اليهما فان الانواع تتشابه كثيرا وقرئ ذوعدل على ارادة الجنس اوالامام (هديا) حال من الهاء فى به اومن جزاء وان نون لتخصصه بالصفة اوبدل من مثل باعتبار محله اولفظه فيمن نصبه (بالغ الكعبة) وصف به هديا لان اضافته لفظية ومعنى بلوغ الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به ثمه وقال ابوحنيفة يذبح بالحرم ويتصدق به حيث شاء (اوكفارة) عطف على جزاء ان رفعته وان نصبته فخبر محذوف (طعام مساكين) عطف بيان اوبدل منه اوخبر محذوف اى هى طعام وقرأ نافع وابن عامر كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك خاتم فضة والمعنى عند الشافعى ان يكفر باطعام مساكين مايساوى قيمة الهدى من غالب قوت البلد فيعطى كل مسكين مدا (اوعدل ذلك صياما) اوماسواه من الصوم فيصوم عن اطعام كل مسكين يوما وهو فى الاصل مصدر اطلق للمفعول وقرئ بكسر العين وهو ماعدل بالشئ فى المقدار كعدلى الحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل (ليذوق وبال امره) متعلق بمحذوف اى فعليه الجزاء اوالطعام اوالصوم ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبته بهتكه لحرمة الاحرام اوالثقل الشديد على مخالفة امر الله واصل الوبل الثقل ومنه الطعام الوبيل (عفا الله عما سلف) من قتل الصيد محرما فى الجاهلية اوقبل التحريم اوفى هذه المرة (ومن عاد) الى مثل هذا (فينتقم الله منه) فهو ينتقم الله منه وليس فيه مايمنع الكفارة عن العائد كما حكى عن ابن عباس وشريح (والله عزيز ذوانتقام) ممن اصر على عصيانه (احل لكم صيد البحر) ماصيد منه مما لايعيش الا فى الماء وهو حلال كله لقوله عليه السلام فى البحر هو الطهور ماؤه والحل ميتته وقال ابوحنيفة لايحل منه الا السمك وقيل يحل السمك وما يوكل نظيره فى البر (وطعامه) ماقذفه او نضب عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه اكله (متاعا لكم) تمتيعا لكم نصب على الغرض (وللسيارة) اى ولسيارتكم تتزودونه قديدا (وحرم عليكم صيد البر) اى ماصيد فيها اوالصيد فيها فعلى الاول يحرم على المحرم ايضا ماصاده الحلال وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور على حله لقوله عليه السلام لحم الصيد حلال لكم مالم تصطادوه اولم يصدلكم (مادمتم حرما) اى محرمين وقرى بكسر الدال من دام يدام (واتقوا الله الذى اليه تحشرون جعل الله الكعبة) صيرها وانما سمى البيت

بكافرين) هم المهاجرون والانصار (اولئك الذين هدى) هم (الله فبهداهم) طريقهم من التوحيد والصبر (اقتده) بهاء السكت وقفا ووصلا وفى قراءة بحذفها وصلا (قل) لاهل مكة (لاأسألكم عليه) اى القرآن (أجرا) تعطونيه (ان هو) ماالقرآن (الاذكرى) عظة (للعالمين) الانس والجن (وماقدروا) اى اليهود (الله حق قدره) اى ماعظموه حق عظمته أوما عرفوه حق معرفته (اذقالوا) للنبى صلى الله عليه وسلم وقد خاصموه فى القرآن (ما أنزل الله على بشر من شئ قل) لهم (من أنزل الكتاب الذى جاءبه موسى نورا وهدى للناس يجعلونه) بالياء والتاء فى المواضع الثلاثة (قراطيس) اى يكتبونه دفاتر مقطعة (يبدونها) اى مايحبون ابداءه منها (ويخفون كثيرا) مما فيها كنعت محمد صلى الله عليه وسلم (وعلمتم) أيها اليهود فى القرآن (مالم تعلموا أنتم ولاآباؤكم) من التورية

كعبة لتكعبه (البيت الحرام) عطف بيان على جهة المدح او المفعول الثانى (قياما للناس) انتعاشا لهم اى سبب انتعاشهم فى امر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار اوما يقوم به امر دينهم ودنياهم وقرأ ابن عامر قيما على انه مصدر على فعل كالشبع اعل عينه كما اعل فى فعله ونصبه على المصدر او الحال (والشهر الحرام والهدى والقلائد) سبق تفسيرها والمراد بالشهر الشهر الذى يؤدى فيه الحج وهو ذوالحجة لانه المناسب لقرنائه وقيل الجنس (ذلك) اشارة الى الجعل او الى ماذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره (لتعلموا ان الله يعلم مافى السموات ومافى الارض) فان شرع الاحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها دليل حكمة الشارع وكمال علمه (وان الله بكل شئ عليم) تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق (اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم) وعيد ووعد لمن انتهك محارمه ولمن حافظ عليها اولمن اصر عليه ولمن انقلع عنه (ماعلى الرسول الا البلاغ) تشديد فى ايجاب القيام بما امر اى الرسول اتى بما امر به من التبليغ ولم يبق لكم عذر فى التفريط (والله يعلم ماتبدون وماتكتمون) من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة (قل لا يستوى الخبيث والطيب) حكم عام فى نفى المساواة عند الله بين الردئ من الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها رغب به فى صالح العمل وحلال المال (ولو اعجبك كثرة الخبيث) فان العبرة بالرداءة والجودة دون القلة والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك قال (فاتقوا الله يااولى الالباب) اى فاتقوه فى تحرى الخبيث وان كثر وآثروا الطيب وان قل (لعلكم تفلحون) راجين ان تبلغوا الفلاح روى انها نزلت فى حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين (ياأيها الذين آمنوا لاتسألوا عن اشياء ان تبدلكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكم) الشرطية وماعطف عليها صفتان لاشياء والمعنى لاتسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم وان تسألوا عنها فى زمان الوحى تظهر لكم وهما كمقدمتين تنتجان مايمنع السؤال وهو انه مما يغمكم والعاقل لايفعل مايغمه واشياء اسم جمع كطرفاء غير انه قلبت لامه فجعلت لفعاء وقيل افعلاء حذفت لامه جمع لشئ على ان اصله شئ كهين اوشيئ

(كصديق)

بيان ماالتبس عليكم واختلفتم فيه (قل الله) أنزله ان لم يقولوه لاجواب غيره (ثم ذرهم فى خوضهم) باطلهم (يلعبون وهذا) القرآن (كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه) قبله من الكتب (ولتنذر) بالتاء والياء عطف على معنى ماقبله أى أنزلناه للبركة والتصديق ولتنذر به (أم القرى ومن حولها) اى أهل مكة وسائر الناس (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلوتهم يحافظون) خوفا من عقابها (ومن) أى لا احد (أظلم ممن افترى على الله كذبا) بادعاء النبوة ولم ينبأ (اوقال أوحى الى ولم يوح اليه شئ) نزلت فى مسيلمة (و) من (من قال سأنزل مثل ماأنزل الله) وهم المستهزؤن قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا (ولو ترى) يا محمد (اذ الظالمون) المذكورون (فى غمرات) سكرات (الموت والملائكة باسطوا أيديهم) اليهم بالضرب والتعذيب يقولون لهم تعنيفا (أخرجوا أنفسكم) الينا

كصديق فخفف وقيل افعال جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه (عفا الله عنها) صفة اخرى اى عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها اذروى انه لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال سراقة بن مالك اكل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اعاد ثلاثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فاتركونى ما تركتكم فنزلت اواستئناف اى عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها (والله غفور حليم) لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه عليه الصلوة والسلام كان يخطب ذات يوم غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال لا اسأل عن شئ الا اجبت فقال رجل اين ابى فقال فى النار وقال آخر من ابى فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت (قد سألها قوم) الضمير للمسألة التى دل عليها لا تسألوا ولذلك لم يعد بعن اوللاشياء بحذف الجار (من قبلكم) متعلق بسألها وليس صفة لقوم فان ظرف الزمان لا يكون صفة للجثة ولا حالا لها ولا خبرا عنها (ثم اصبحوا بها كافرين) اى بسببها حيث لم يأتمروا بما سألوا جحودا (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) رد وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو انهم اذا انتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اى شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتى سائبة ويجعلها كالبحيرة فى تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة انثى فهى لهم واذا ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما قالوا وصلت الانثى اخاها فلا يذبح لها الذكر واذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره ومعنى ما جعل ما شرع ووضع ولذلك تعدى الى مفعول واحد وهو البحيرة ومن مزيدة (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) بتحريم ذلك ونسبته اليه (واكثرهم لا يعقلون) اى الحلال من الحرام والمبيح من المحرم اوالامر من النهى ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه ان منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن منعهم حب الرياسة وتقليد الآباء ان يعترفوا به (واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) بيان لقصور عقلهم وانهماكهم فى التقليد وان لا سند لهم سواه (اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون) الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل على هذه الحال اى احسبهم

لنقبضها (اليوم تجزون عذاب الهون) الهوان (بما كنتم تقولون على الله غير الحق) بدعوى النبوة والايحاء كذبا (وكنتم عن آياته تستكبرون) تتكبرون عن الايمان بها وجواب لو لرأيت أمرا فظيعا (و) يقال لهم اذا بعثوا (لقد جئتمونا فرادى) منفردين عن الاهل والمال والولد (كما خلقناكم أول مرة) اى حفاة عراة غرلا (وتركتم ما خولناكم) أعطيناكم من الاموال (وراء ظهوركم) فى الدنيا بغير اختياركم (و) يقال لهم توبيخا (ما نرى معكم شفعاءكم) الاصنام (الذين زعمتم أنهم فيكم) اى فى استحقاق عبادتكم (شركاء) لله (لقد تقطع بينكم) وصلكم أى تشتت جمعكم وفى قراءة بالنصب ظرف أى وصلكم بينكم (وضل) ذهب (عنكم ما كنتم تزعمون) فى الدنيا من شفاعتها (ان الله فالق) شاق (الحب) عن النبات (والنوى) عن النخل (يخرج الحى من الميت) كالانسان والطائر من النطفة

ماوجدوا عليه آباءهم ولوكانوا جهلة ضالين والمعنى ان الاقتداء انما يصح بمن علم انه عالم مهتد وذلك لايعرف الا بالحجة فلايكفي التقليد (ياايها الذين امنوا عليكم انفسكم) اى احفظوها والزموا اصلاحها والجار مع المجرور جعل اسما لالزموا ولذلك نصب انفسكم وقرئ بالرفع على الابتداء (لايضركم من ضل اذا اهتديتم) لايضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء ان ينكر المنكر حسب طاقته كما قال عليه السلام من رأى منكم منكرا واستطاع ان يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت آباءك ولاموه فنزلت ولايضركم يحتمل الرفع على انه مستأنف ويؤيده ان قرئ لايضيركم والجزم على الجواب او النهى لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة وينصره قراءة من قرأ لايضركم بالفتح ولايضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره (الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون) وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لايؤاخذ بذنب غيره (ياايها الذين آمنوا شهادة بينكم) اى فيما امرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد في الوصية واضافتها الى الظرف للاتساع وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ليقم (اذا حضر احدكم الموت) اذا شارفه وظهرت اماراته وهو ظرف للشهادة (حين الوصية) بدل منه وفي ابداله تنبيه على ان الوصية مما ينبغي ان لايتهاون فيه او ظرف حضر (اثنان) فاعل شهادة ويجوز ان يكون خبرها على حذف المضاف (ذوا عدل منكم) اى من اقاربكم ومن المسلمين وهما صفتان لاثنان (او آخران من غيركم) عطف على اثنان ومن فسر الغير باهل الذمة جعله منسوخا فان شهادته على المسلم لاتسمع اجماعا (ان انتم ضربتم في الارض) اى سافرتم فيها (فاصابتكم مصيبة الموت) اى قاربتم الاجل (تحبسونهما) تقفونهما وتصبرونهما صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله اوآخران من غيركم اعتراض فائدته الدلالة على انه ينبغي ان يشهد اثنان منكم فان تعذر كما في السفر فمن غيركم او استئناف كأنه قيل كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما (من بعد الصلوة) صلوة العصر لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل اى صلوة كانت (فيقسمان بالله ان ارتبتم)

والبيضة (ومخرج الميت) النطفة والبيضة (من الحى ذلكم) الفالق المخرج (الله فانى تؤفكون) فكيف تصرفون عن الايمان مع قيام البرهان (فالق الاصباح) مصدر بمعنى الصبح أى شاق عمود الصبح وهو أول مايبدو من نور النهار عن ظلمة الليل (وجاعل الليل سكنا) تسكن فيه الخلق من التعب (والشمس والقمر) بالنصب عطفا على محل الليل (حسبانا) حسابا للاوقات أو الباء محذوفة وهو حال من مقدر أى يجريان بحسبان كما في آية الرحمن (ذلك) المذكور (تقدير العزيز) في ملكه (العليم) بخلقه (وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر) في الاسفار (قد فصلنا) بينا (الآيات) الدلالات على قدرتنا (لقوم يعلمون) يتدبرون (وهو الذى أنشأكم) خلقكم (من نفس واحدة) هى آدم (فمستقر) منكم في الرحم (ومستودع) منكم في الصلب وفي قراءة بفتح القاف اى مكان قرار لكم (قد فصلنا الآيات

ان ارتاب الوارث منكم (لا نشترى به ثمنا) مقسم عليه وان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى لا نستبدل بالقسم اوبالله عرضا من الدنيا اى لانحلف بالله كاذبين بالطمع (ولوكان ذاقربى) ولوكان المقسم له قريبامنا وجوابه ايضا محذوف اى لا نشترى (ولا نكتم شهادة الله) اى الشهادة التى امرنا باقامتها وعن الشعبى انه وقف على شهادة ثم ابتدأ الله بالمد على حذف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروى عنه بغيره كقولهم الله لأفعلن (أنا اذا لمن الآثمين) اى ان كتمنا وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها (فان عثر) فان اطلع (على انهما استحقا اثما) اى فعلا مااوجب اثما كتحريف (فآخران) فشاهدان آخران (يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم) من الذين جنى عليهم وهم الورثة وقرأ حفص استحق على البناء للفاعل وهو (الاوليان) الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر محذوف اى هما الاوليان اوخبر آخران اومبتدأ خبره آخران اوبدل منهما اومن الضمير فى يقومان وقرأ حمزة ويعقوب وابوبكر عن عاصم الاولين على انه صفة للذين اوبدل منه أى من الاولين الذين استحق عليهم وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح والاولان واعرابه اعراب الاوليان (فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما) اصدق منهما واولى بان تقبل (وما اعتدينا) اى وما تجاوزنا فيها الحق (انا اذا لمن الظالمين) الواضعين الباطل موضع الحق او الظالمين انفسهم ان اعتدينا ومعنى الآيتين ان المحتضر اذا اراد الوصية ينبغى ان يشهد عدلين من ذوى نسبه اودينه على وصيته اويوصى اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان كان فى سفر فآخران من غيرهم ثم ان وقع نزاع اوارتياب اقسما على صدق مايقولان بالتغليظ فى الوقت فان اطلع على انهما كذبا بامارة ومظنة حلف آخران من اولياء الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لايحلف الشاهد ولا يعارض يمينه يمين الوارث وثابت ان كانا وصيين ورد اليمين الى الورثة اما لظهور خيانة الوصيين فان تصديق الوصى باليمين لامانته اولتغير الدعوى اذ روى ان تميما الدارى وعدى بن زيد خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدون مامعه فى صحيفة وطرحها

لقوم يفقهون) مايقال لهم (وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا) فيه التفات عن الغيبة (به) بالماء (نبات كل شئ) ينبت (فأخرجنا منه) اى النبات شيئا (خضرا) بمعنى أخضر (نخرج منه) من الخضر (حبا متراكبا) يركب بعضه بعضا كسنابل الحنطة ونحوها (ومن النخل) خبر ويبدل منه (من طلعها) أول مايخرج منها والمبتدأ (قنوان) عراجين (دانية) قريب بعضها من بعض (و) أخرجنا به (جنات) بساتين (من أعناب والزيتون والرمان مشتبها) ورقهما حال (وغير متشابه) ثمرها (انظروا) يامخاطبين نظر اعتبار (الى ثمره) بفتح الثاء والميم وبضمهما وهو جمع ثمرة كشجرة وشجر وخشبة وخشب (اذا أثمر) أول مايبدو كيف هو (و) الى (ينعه) نضجه اذا أدرك كيف يعود (ان فى ذلكم لآيات) دلالات على قدرته تعالى على البعث وغيره (لقوم يؤمنون) خصوا

في متاعه ولم يخبرهما به واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه واخذا منه اناء من فضة فيه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب اهله الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت يا أيها الذين آمنوا الآية فحلفهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد صلوة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء في ايديهما فاتاهما بنو سهم في ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت فان عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابى رفاعة السهميان وحلفا ولعل تخصيص العدد لخصوص الواقعة (ذلك) اى الحكم الذى تقدم اوتحليف الشاهد (ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها) على نحو ماتحملوها من غير تحريف وخيانة فيها (اويخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم) ان ترد اليمين على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير لانه حكم يعم الشهود كلهم (واتقوا الله واسمعوا) ماتوصون به سمع اجابة (والله لايهدى القوم الفاسقين) اى ان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لايهدى القوم الفاسقين اى لايهديهم الى حجة اوالى طريق الجنة فقوله تعالى (يوم يجمع الله الرسل) ظرف له وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل اشتمال اومفعول واسمعوا على حذف المضاف اى واسمعوا خبر يوم جمعهم اومنصوب باضمار اذكر (فيقول) اى للرسل (ماذا اجبتم) اى اجابة اجبتم على ان ماذا فى موضع المصدر اوباى شئ اجبتم فحذف الجار وهذا السؤال لتوبيخ قومهم كما ان سؤال الموؤدة لتوبيخ الوائد ولذلك (قالوا لاعلم لنا) اى لاعلم لنا بما كنت تعلمه (انك انت علام الغيوب) فتعلم مانعلمه مما اجابونا واظهروا لنا ومالم نعلم مما اضمروا فى قلوبهم وفيه التشكى عنهم ورد الامر الى علمه بما كابدوا منهم وقيل لاعلم لنا الى جنب علمك اولاعلم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام بالنصب على ان الكلام قدتم بقوله انك انت اى انك الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام منصوب على الاختصاص اوالنداء وقرأ ابوبكر وحمزة الغيوب بكسر الغين حيث وقع (اذ قال الله ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك) بدل من يوم يجمع وهو على طريقة ونادى اصحاب الجنة والمعنى انه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل

بالذكر لانهم المنتفعون بها فى الايمان بخلاف الكافرين (وجعلوا لله) مفعول ثان (شركاء) مفعول أول ويبدل منه (الجن) حيث اطاعوهم فى عبادة الاوثان (و) قد (خلقهم) فكيف يكونون شركاءه (وخرقوا) بالتخفيف والتشديد اى اختلقوا (له بنين وبنات بغير علم) حيث قالوا عزير ابن الله والملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيها له (وتعالى عما يصفون) بأن له ولدا هو (بديع السموات والارض) مبدعهما من غير مثال سبق (أنى) كيف (يكون له ولد ولم تكن له صاحبة) زوجة (وخلق كل شئ) من شأنه أن يخلق (وهو بكل شئ عليم ذلكم الله ربكم لااله الا هو خالق كل شئ فاعبدوه) وحدوه (وهو على كل شئ وكيل) حفيظ (لاتدركه الابصار) اى لاتراه وهذا مخصوص لرؤية المؤمنين له فى الآخرة لقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وحديث الشيخين انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر وقيل المراد لاتحيط

(عن)

عن اجابتهم وتعديد ماالظهر عليهم من الآيات فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة وغلا آخرون فاتخذوهم آلهة او نصب باضمار اذكر (اذ أيدتك) قويتك وهو ظرف لنعمتى او حال منه وقرئ آيدتك (بروح القدس) بجبريل عليه السلام او بالكلام الذى يحيى به الدين او النفس بحيوة ابدية وتطهر من الآثام ويؤيده قوله (تكلم الناس فى المهد وكهلا) اى كائنا فى المهد وكهلا والمعنى تكلمهم فى الطفولة والكهولة على سواء والمعنى الحاق حاله فى الطفولة بحال الكهولة فى كمال العقل والتكلم وبه استدل على انه سينزل فانه رفع قبل ان اكتهل (واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير بأذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا بأذنى وتبرئ الاكمه والابرص بأذنى واذ تخرج الموتى بأذنى) سبق تفسيره فى سورة آل عمران وقرأ نافع ويعقوب طائرا ويحتمل الافراد والجمع كالباقر (واذ كففت بنى اسرائيل عنك) يعنى اليهود حين هموا بقتله (اذ جئتهم بالبينات) ظرف لكففت (فقال الذين كفروا منهم ان هذا الاسحر مبين) اى ماهذا الذى جئت به الا سحر وقرأ حمزة والكسائى الا ساحر فالاشارة الى عيسى عليه السلام (واذ أوحيت الى الحواريين) اى امرتهم على السنة رسلى (ان آمنوا بى وبرسولى) يجوز ان تكون ان مصدرية وان تكون مفسرة (قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون) مخلصون (اذ قال الحواريون ياعيسى ابن مريم) منصوب باذكر او ظرف لقالوا فيكون تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص مع قولهم (هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء) لم يكن بعد عن تحقيق واستحكام معرفة وقيل هذه الاستطاعة على مايقتضيه الحكمة والارادة لاعلى مايقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك اى هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب واجاب وقرأ الكسائى هل تستطيع ربك اى سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام من ماد الماء يميد اذا تحرك او من ماده اذا اعطاه كأنها تميد من تقدم اليها ونظيرها قولهم شجرة مطعمة (قال اتقوا الله) من امثال هذا السؤال (ان كنتم مؤمنين) بكمال قدرته وصحة نبوتى او صدقتم فى ادعائكم الايمان (قالوا نريد ان نأكل منها) تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال وهو ان يتمتعوا بالاكل منها (وتطمئن قلوبنا) بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته

به (وهو يدرك الابصار) أى يراها ولاتراه ولايجوز فى غيره أن يدرك البصر وهو لايدركه أو يحيط به علما (وهو اللطيف) باوليائه (الخبير) بهم قل يامحمد لهم (قد جاءكم بصائر) حجج (من ربكم فمن أبصر) هافآمن (فلنفسه) أبصر لان ثواب ابصاره له (ومن عمى) عنها فضل (فعليها) وبال ضلاله (وماأنا عليكم بحفيظ) رقيب لاعمالكم انما أنانذير (وكذلك) كما بينا ماذكر (نصرف) نبين (الآيات) ليعتبروا (وليقولوا) اى الكفار فى عاقبة الامر (دارست) ذكرت أهل الكتاب وفى قراءة درست اى كتب الماضين وجئت بهذا منها (ولنبينه لقوم يعلمون اتبع ماأوحى اليك من ربك) اى القرآن (لااله الاهو وأعرض عن المشركين ولو شاء الله ماأشركوا وماجعلناك عليهم حفيظا) رقيبا فتجازيهم بأعمالهم (وماأنت عليهم بوكيل) فتجبرهم على الايمان وهذا قبل الامر بالقتال (ولاتسبوا الذين يدعوا) هم

(من دون الله) اى الاصنام (فيسبوا الله عدوا) اعتداء وظلما (بغير علم) اى جهلا منهم بالله (كذلك) كما زينا لهؤلاء ماهم عليه (زينا لكل أمة عملهم) من الخير والشر فأتوه (ثم الى ربهم مرجعهم) فى الآخرة (فينبئهم بما كانوا يعملون) فيجازيهم به (وأقسموا) اى كفار مكة (بالله جهد أيمانهم) اى غاية اجتهادهم فيها (لئن جاءتهم آية) مما اقترحوا (ليؤمنن بها قل) لهم (انما الآيات عند الله) ينزلها كما يشاء وانما أنا نذير (وما يشعركم) يدريكم بايمانهم اذا جاءت أى أنتم لاتدرون ذلك (انها اذا جاءت لايؤمنون) لما سبق فى علمى وفى قراءة بالتاء خطابا للكفار وفى أخرى بفتح أن بمعنى لعل أو معمولة لما قبلها (ونقلب أفئدتهم) نحول قلوبهم عن الحق فلا يفهمونه (وأبصارهم) عنه فلايبصرونه فلايؤمنون (كما لم يؤمنوا به) اى بما أنزل من الآيات (أول مرة ونذرهم) نتركهم (فى طغيانهم)

(ونعلم ان قدصدقتنا) فى ادعاء النبوة او ان الله يجيب دعوتنا (ونكون عليها من الشاهدين) اذا استشهدتنا او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر (قال عيسى ابن مريم) لما رأى ان لهم غرضا صحيحا فى ذلك او انهم لايقلعون عنه فاراد الزامهم الحجة بكمالها (اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا) اى يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمى يوم العيد عيدا وقرئ تكن على جواب الامر (لاولنا وآخرنا) بدل من لنا باعادة العامل اى عيدا لمتقدمينا ومتأخرينا روى انها نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل يأكل منه اولنا وآخرنا وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة او الطائفة (وآية) عطف على عيدا (منك) صفة لها اى آية كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتى (وارزقنا) المائدة او الشكر عليها (وانت خير الرازقين) اى خير من يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلا غرض (قال الله انى منزلها عليكم) اجابة الى سؤالكم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم منزلها بالتشديد (فمن يكفر بعد منكم فانى اعذبه عذابا) اى تعذيبا ويجوز ان يجعل مفعولا به على السعة (لااعذبه) الضمير للمصدر او للعذاب ان اريد به مايعذب به على حذف حرف الجر (احدا من العالمين) اى من عالمى زمانهم او العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم روى انها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولاتجعلها مثلة وعقوبة ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس وشوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ماخلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون ياروح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه شئ اخترعه الله تعالى بقدرته كلوا ماسألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا ياروح الله لو أريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال ياسمكة احيى باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودى كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تأتيهم اربعين

(يوما)

يوما غبا ويجتمع عليها الفقراء والاغنياء والضعفاء والصغار والكبار يأكلون حتى اذفاء الفئ طارت وهم ينظرون فى ظلها ولم يأكل منها فقير الاغنى مدة عمره ولا مريض الابرئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله الى عيسى عليه السلام ان اجعل مائدتى فى الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلاثة وثمانون رجلا وقيل لما وعد الله تعالى انزالها بهذه الشريطة استعفوا وقالوا لانريد فلم تنزل وعن مجاهدان هذا مثل ضربه الله لمقترحى المعجزات وعن بعض الصوفية المائدة ههنا عبارة عن حقائق المعارف فانها غذاء الروح كما ان الاطعمة غذآء البدن وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا فى حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى عليه السلام ان حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السؤال والحوا فيه فسأل لاجل اقتراحهم فبين الله تعالى ان انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف له ماهو اعلى من مقامه لعله لايحتمله ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا (واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله) يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله صفة لالهين او صلة اتخذونى ومعنى دون اما المغايرة فيكون فيه تنبيه ان عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما فكأنه عبدهما ولم يعبده او القصور فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعموا ان عبادتهما توصل الى عبادة الله عزوجل وكأنه قيل اتخذونى وامى آلهين متوصلين بنا الى الله تعالى (قال سبحانك) اى انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك (مايكون لى ان اقول ماليس لى بحق) ماينبغى لى ان اقول قولا لايحق لى ان اقوله (ان كنت قلته فقد علمته تعلم مافى نفسى ولا اعلم مافى نفسك) تعلم ما اخفيه فى نفسى كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ماتخفيه من معلوماتك وقوله فى نفسك للمشاكلة اوالمراد بالنفس الذات (انك انت علام الغيوب) تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه (ماقلت لهم الامالمرتنى به) تصريح بنفى المستفهم عنه بعد تقديم مايدل عليه (ان اعبدوا الله ربى وربكم) عطف بيان للضمير فى به او بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع او خبر لمضمر او مفعوله مثل هو او اعنى ويجوز ابداله من ماامرتنى به فان المصدر لايكون مفعول القول ولا ان يكون

ضلالهم (يعمهون) يترددون متحيرين (ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى) كما اقترحوا (وحشرنا) جمعنا (عليهم كل شئ قبلا) بضمتين جمع قبيل اى فوجا فوجا وبكسر القاف وفتح الباء اى معاينة فشهدوا بصدقك (ما كانوا ليؤمنوا) لما سبق فى علم الله (الا) لكن (أن يشاء الله) ايمانهم فيؤمنون (ولكن أكثرهم يجهلون) ذلك (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا) كما جعلنا هؤلاء اعداءك ويبدل منه (شياطين) مردة (الانس والجن يوحى) يوسوس (بعضهم الى بعض زخرف القول) مموهه من الباطل (غرورا) اى ليغروهم (ولو شاء ربك مافعلوه) اى الايحاء المذكور (فذرهم) دع الكفار (ومايفترون) من الكفر وغيره مما زين لهم وهذا قبل الامر بالقتال (ولتصغى) عطف على غرورا اى تميل (اليه) الزخرف (أفئدة) قلوب (الذين لايؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا) يكتسبوا (ماهم مقترفون)

ان مفسرة لان الامر مسند الى الله تعالى وهو لايقول اعبدوا الله ربى وربكم والقول لايفسر بل الجملة تحكى بعده الا ان يأول القول بالامر فكان ماامرتهم الامثل ماامرتنى به ان اعبدوا الله (وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم) اى رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك و يعتقدوه او مشاهدا لاحوالهم من كفر و ايمان (فلما توفيتنى) بالرفع الى السماء لقوله تعالى انى متوفيك و رافعك الى و التوفى اخذ الشىء وافيا والموت نوع منه قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها (كنت انت الرقيب عليهم) المراقب لاحوالهم فتمنع من اردت عصمته من القول به بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الآيات (وانت على كل شىء شهيد) مطلع عليه مراقب له (ان تعذبهم فانهم عبادك) اى ان تعذبهم فانك تعذب عبادك ولااعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك (وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم) فلاعجز ولااستقباح فانك القادر القوى على الثواب والعقاب الذى لايثيب ولايعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك مقتضى الوعيد فلاامتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد والتعليق بان (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) وقرأ نافع يوم بالنصب على انه ظرف لقال وخبر هذا محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى هذا الذى من كلام عيسى عليه السلام واقع يوم ينفع وقيل انه خبر ولكن بنى على الفتح لاضافته الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد بالصدق الصدق فى الدنيا فان النافع ما كان حال التكليف (لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم) بيان للنفع (لله ملك السموات والارض ومافيهن وهو على كل شىء قدير) تنبيه على كذب النصارى وفساد دعواهم فى المسيح وامه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء وقال ومافيهن اتباعا لهم غير أولى العقل فى غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة المعبودية واهانة لهم وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية ولان مايطلق متناولا للاجناس كلها فهو اولى بارادة العموم وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة اعطى من الاجر عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودى ونصرانى يتنفس فى الدنيا

(سورة)

من الذنوب فيعاقبوا عليه * ونزل لما طلبوا من النبى صلى الله عليه وسلم أن يجعل بينه وبينهم حكما قل (أفغير الله أبتغى) أطلب (حكما) قاضيا بينى بينكم (وهو الذى أنزل اليكم الكتاب) القرآن (مفصلا) مبينا فيه الحق والباطل (والذين آتيناهم الكتاب) التورية كعبد الله بن سلام وأصحابه (يعلمون أنه منزل) بالتخفيف والتشديد (من ربك بالحق فلاتكونن من الممترين) الشاكين فيه والمراد بذلك التقرير للكفار انه حق (وتمت كلمات ربك) بالاحكام والمواعد (صدقا وعدلا) تمييز (لامبدل لكلماته) بنقض أو خلف (وهو السميع) لما يقال (العليم) بما يفعل (وان تطع أكثر من فى الارض) اى الكفار (يضلوك عن سبيل الله) دينه (ان) ما (يتبعون الا الظن) فى مجادلتهم لك فى أمر الميتة اذ قالوا ماقتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم (وان) ما (هم الا يخرصون) يكذبون فى ذلك (ان ربك هو أعلم) اى عالم (من يضل عن سبيله

﴿ سورة الانعام مكية الاست آيات او ثلاث من قوله قل تعالوا وهى ﴾
﴿ مائة وخمس وستون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الحمد لله الذى خلق السموات والارض) اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق له على هذه النعم الجسام حمد اولم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات دون الارض وهى مثلهن لان طبقاتهما مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها (وجعل الظلمات والنور) انشأها والفرق بين خلق وجعل الذى له مفعول واحد ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين ولذلك عبر عن احداث النور والظلمة بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان بانفسهما كازعمت الثنوية وافرد النور للقصد الى الجنس وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها او لان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الآية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ماخلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته ويكون بربهم تنبيها على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد عليها ولا يكفر اوعلى قوله خلق على معنى انه خلق مالا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به مالا يقدر على شئ منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء على الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة اى يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى الثانى متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان اى يسوونها به (هو الذى خلقكم من طين) اى ابتدأ خلقكم منه فانه المادة الاولى وان آدم الذى هو اصل البشر خلق منه او خلق اباكم فحذف المضاف (ثم قضى اجلا) اجل الموت (واجل مسمى عنده) اجل القيمة وقيل الاول مابين الخلق والموت والثانى مابين الموت والبعث فان الاجل كما يطلق لآخر المدة يطلق لجملتها وقيل الاول النوم والثانى الموت وقيل الاول لمن مضى والثانى لمن بقى ولمن يأتى واجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم الخبر والاستئناف به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف

وهو أعلم بالمهتدين) فيجازى كلا منهم (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) اى ذبح على اسمه (ان كنتم بآياته مؤمنين وما لكم ان لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه) من الذبائح (وقد فصل) بالبناء للمفعول وللفاعل فى الفعلين (لكم ماحرم عليكم) فى آية حرمت عليكم الميتة (الا ما اضطررتم اليه) منه فهو أيضا حلال لكم المعنى لا مانع لكم من أكل ماذكر وقد بين لكم المحرم أكله وهذا ليس منه (وان كثيرا ليضلون) بفتح الياء وضمها (بأهوائهم) بما تهواه انفسهم من تحليل الميتة وغيرها (بغير علم) يعتمدونه فى ذلك (ان ربك هو اعلم بالمعتدين) المتجاوزين الحلال الى الحرام (وذروا) اتركوا (ظاهر الاثم وباطنه) علانيته وسره والاثم قيل الزنا وقيل كل معصية (ان الذين يكسبون الاثم سيجزون) فى الآخرة (بما كانوا يقترفون) يكتسبون (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) بان مات او ذبح على اسم غيره والا فما ذبحه المسلم ولم يسم

بانه مسمى اى مثبت معين لايقبل التغيير واخبرعنه بانه عندالله لامدخل لغيره فيه بعلم ولاقدرة ولانه المقصود بيانه ﴿ ثم انتم تمترون ﴾ استبعاد لامترائهم بعد ماثبت انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى آجالهم فان من قدر على خالق المواد وجمعها وايداع الحيات فيها وابقائها ماشاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالآية الاولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث والامتراء الشدة واصله المرى وهو استخراج اللبن من الضرع ﴿ وهو الله ﴾ الضمير لله والله خبره ﴿ فى السموات والارض ﴾ متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لاغير كقوله تعالى وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله او بقوله ﴿ يعلم سركم وجهركم ﴾ والجملة خبر ثان او هى الخبر والله بدل ويكفى لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد فى الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه اوظرف مستقر وقع خبرا بمعنى انه تعالى لكمال علمه بما فيهما كأنه فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلق المصدر لان صلته لاتتقدم عليه ﴿ ويعلم ماتكسبون ﴾ من خير وشر فيثيب عليه ويعاقب ولعله اريد بالسر والجهر مايخفى ومايظهر من احوال الانفس وبالمكتسب اعمال الجوارح ﴿ وماتأتيهم من آية من آيات ربهم ﴾ من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض اى مايظهر لهم دليل قط من الادلة او معجزة من المعجزات اوآية من آيات القرآن ﴿ الا كانوا عنها معرضين ﴾ تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه ﴿ فقد كذبوا بالحق لماجاءهم ﴾ يعنى القرآن وهو كاللازم لما قبله كأنه قيل انهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا به لماجاءهم اوكالدليل عليه على انهم لما اعرضوا عن القرآن وكذبوا به وهو اعظم الآيات فكيف لايعرضون عن غيرها ولذلك رتب عليه بالفاء ﴿ فسوف يأتيهم انباء ماكانوا به يستهزؤن ﴾ اى سيظهر لهم ماكانوا به يستهزؤن عند نزول العذاب بهم فى الدنيا والآخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع امره ﴿ الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن ﴾ اى من اهل زمان والقرن مدة اغلب اعمار الناس وهى سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القرن اهل عصر فيه نبى اوفائق فى العلم قلت المدة او كثرت واشتقاقه من قرنت ﴿ مكناهم فى الارض ﴾ جعلنالهم فيهامكانا وقررناهم فيها اواعطيناهم من القوى والآلات ماتمكنوا بها من انواع التصرف فيها ﴿ مالم نمكن لكم ﴾ مالم نجعل لكم فى السعة وطول المقام

فيه عمدا أو نسيانا فهو حلال قاله ابن عباس وعليه الشافعى ﴿ وانه ﴾ اى الاكل منه ﴿ لفسق ﴾ خروج عما يحل ﴿ وان الشياطين ليوحون ﴾ يوسوسون ﴿ الى أوليائهم ﴾ الكفار ﴿ ليجادلوكم ﴾ فى تحليل الميتة ﴿ وان أطعتموهم ﴾ فيه ﴿ انكم لمشركون ﴾ ونزل فى أبى جهل وغيره ﴿ أومن كان ميتا ﴾ بالكفر ﴿ فأحييناه ﴾ بالهدى ﴿ وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس ﴾ يتبصر به الحق من غيره وهو الايمان ﴿ كمن مثله ﴾ مثل زائدة اى كمن هو ﴿ فى الظلمات ليس بخارج منها ﴾ وهو الكافر لا ﴿ كذلك ﴾ كما زين للمؤمنين الايمان ﴿ زين للكافرين ماكانوا يعملون ﴾ من الكفر والمعاصى ﴿ وكذلك ﴾ كما جعلنا فساق مكة أكابرها ﴿ جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها ﴾ بالصد عن الايمان ﴿ ومايمكرون الا بأنفسهم ﴾ لان وباله عليهم ﴿ ومايشعرون ﴾ بذلك ﴿ واذا جاءتهم ﴾ اى أهل مكة ﴿ آية ﴾ على صدق النبى

﴿ ياأهل ﴾

ياهل مكة اوما لم نعطكم من القوة والسعة فى المال والاستظهار بالعدد والاسباب ﴿ وارسلنا السماء عليهم ﴾ اى المطر او السحاب او المظلة فان مبدأ المطر منها ﴿ مدرارا ﴾ مغزارا ﴿ وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم ﴾ فعاشوا فى الخصب والريف بين الانهار والثمار ﴿ فاهلكناهم بذنوبهم ﴾ اى لم يغن ذلك عنهم شيئا ﴿ وانشأنا ﴾ واحدثنا ﴿ من بعدهم قرنا آخرين ﴾ بدلا منهم والمعنى انه تعالى كما قدر ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده قدر ان يفعل ذلك بكم ﴿ ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس ﴾ مكتوبا فى ورق ﴿ فلمسوه بايديهم ﴾ فمسوه وتخصيص اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت ابصارنا ولانه يتقدمه الابصار حيث لا مانع وتقييده بالايدى لدفع التجوز فانه قد يتجوز به للفحص كقوله وانا لمسنا السماء ﴿ لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ﴾ تعنتا وعنادا ﴿ وقالوا لولا انزل عليه ملك ﴾ هلا انزل معه ملك يكلمنا انه نبى كقوله تعالى لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ﴿ ولو انزلنا ملكا لقضى الامر ﴾ جواب لقولهم وبيان لما هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه والمعنى ان الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق اهلاكهم فان سنة الله جرت بذلك فيمن قبلهم ﴿ ثم لا ينظرون ﴾ بعد نزوله طرفة عين ﴿ ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ﴾ جواب ثان ان جعل الهاء للمطلوب وان جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا انزل عليه ملك وتارة يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة والمعنى ولو جعلنا قرينا لك ملكا يعاينونه او الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبرائيل عليه السلام فى صورة دحية الكلبى فان القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك فى صورته وانما رآهم كذلك الافراد من الانبياء عليهم السلام بقوتهم القدسية وللبسنا جواب محذوف اى ولو جعلناه رجلا للبسنا اى لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فيقولون ماهذا الا بشر مثلكم وقرئ ولبسنا بلام وللبسنا بالتشديد للمبالغة ﴿ ولقد استهزئ برسل من قبلك ﴾ تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ما يرى من قومه ﴿ فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن ﴾ فاحاط بهم الذى كانوا يستهزؤن به حيث اهلكوا لاجله او فنزل بهم وبال استهزائهم ﴿ قل سيروا فى الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ كيف اهلكهم الله بعذاب الاستئصال كى تعتبروا والفرق بينه وبين قوله قل سيروا فى الارض فانظروا ان السير ثمه لاجل

صلى الله عليه وسلم ﴿ قالوا لن نؤمن ﴾ به ﴿ حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله ﴾ من الرسالة والوحى الينا الا انا اكثر مالا واكبر سنا قال تعالى ﴿ الله اعلم حيث يجعل رسالته ﴾ بالجمع والافراد وحيث مفعول به لفعل دل عليه اعلم اى يعلم الموضع الصالح لوضعها فيه فيضعها وهؤلاء ليسوا اهلا لها ﴿ سيصيب الذين اجرموا ﴾ بقولهم ذلك ﴿ صغار ﴾ ذل ﴿ عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون ﴾ اى بسبب مكرهم ﴿ فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ﴾ بان يقذف فى قلبه نورا فينفسح له ويقبله كما ورد فى حديث ﴿ ومن يرد ﴾ الله ﴿ ان يضله يجعل صدره ضيقا ﴾ بالتخفيف والتشديد عن قبوله ﴿ حرجا ﴾ شديد الضيق بكسر الراء صفة وفتحها مصدر وصف به مبالغة ﴿ كأنما يصعد ﴾ وفى قراءة يصاعد وفيهما ادغام التاء فى الاصل فى الصاد وفى اخرى بسكونها ﴿ فى السماء ﴾ اذا كلف الايمان لشدته عليه ﴿ كذلك ﴾ الجعل

النظر ولا كذلك ههنا ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة وغيرها وايجاب النظر في آثار الهالكين (قل لمن ما في السموات والارض) خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت (قل لله) تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم ان يذكروا غيره (كتب على نفسه الرحمة) التزمها تفضلا واحسانا والمراد بالرحمة مايعم الدارين ومن ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفر (ليجمعنكم الى يوم القيمة) استئناف وقسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اى ليجمعنكم في القبور مبعوثين الى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم او في يوم القيمة والى بمعنى في وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فان من رحمته بعثه اياكم وانعامه عليكم (لاريب فيه) في اليوم او الجمع (الذين خسروا انفسهم) بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم وموضع الذين نصب على الذم او رفع على الخبر اى وانتم الذين او على الابتداء والخبر (فهم لا يؤمنون) والفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع عن الايمان (وله) عطف على لله (ماسكن في الليل والنهار) من السكنى وتعديته بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم * والمعنى ما اشتملا عليه او من السكون اى ماسكن فيهما او تحرك فاكتفى باحد الضدين على الآخر (وهو السميع) لكل مسموع (العليم) بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم وافعالهم (قل اغير الله اتخذ وليا) انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولي فلذلك قدم واولى الهمزة والمراد بالولي المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك (فاطر السموات والارض) مبدعهما وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اى ابتدأتها وجره على الصفة لله فانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر وقرئ بالرفع والنصب على المدح (وهو يطعم ولا يطعم) يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام لشدة الحاجة اليه وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك بمن هو فاطر السموات والارض ماهو نازل عن رتبة الحيوانية وبنائهما للفاعل على ان الثاني من اطعم بمعنى استطعم او على معنى انه يطعم تارة

(يجعل الله الرجس) العذاب او الشيطان اى يسلطه (على الذين لا يؤمنون وهذا) الذي انت عليه يامحمد (صراط) طريق (ربك مستقيما) لاعوج فيه ونصبه على الحال المؤكدة للجملة والعامل فيها معنى الاشارة (قد فصلنا) بينا (الآيات لقوم يذكرون) فيه ادغام التاء في الاصل في الذال اى يتعظون وخصوا بالذكر لانهم المنتفعون (لهم دار السلام) اى السلامة وهي الجنة (عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون و) اذكر (يوم نحشرهم) بالنون والياء اى الله الخالق (جميعا) ويقال لهم (يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس) باغوائهم (وقال اولياؤهم) الذين اطاعوهم (من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض) انتفع الانس بتزيين الجن لهم الشهوات والجن بطاعة الانس لهم (وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا) وهو يوم القيمة وهذا تحسر منهم (قال) تعالى لهم على لسان الملائكة (النار مثواكم) مأواكم (خالدين فيها الا ماشاء الله)

ولا يطمع اخرى كقوله يقبض ويبسط ﴿ قل انى امرت ان اكون اول من اسلم ﴾ لان النبي صلى الله عليه وسلم سابق امته فى الدين ﴿ ولا تكونن من المشركين ﴾ وقيل لى ولا تكونن ويجوز عطفه على قل ﴿ قل انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم ﴾ مبالغة اخرى فى قطع اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجملة ﴿ من يصرف عنه يومئذ ﴾ اى يصرف العذاب عنه وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وابو بكر عن عاصم يصرف على ان الضمير فيه لله تعالى وقد قرئ باظهاره والمفعول به محذوف اويومئذ بحذف المضاف ﴿ فقد رحمه ﴾ نجاه وانعم عليه ﴿ وذلك الفوز المبين ﴾ اى الصرف او الرحمة ﴿ وان يمسسك الله بضر ﴾ ببلية كمرض وفقر ﴿ فلا كاشف له ﴾ فلا قادر على كشفه ﴿ الا هو وان يمسسك بخير ﴾ بنعمة كصحة وغنى ﴿ فهو على كل شئ قدير ﴾ فكان قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر غيره على دفعه كقوله فلا راد لفضله ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة ﴿ وهو الحكيم ﴾ فى امره وتدبيره ﴿ الخبير ﴾ بالعباد وخفايا احوالهم ﴿ قل اى شئ اكبر شهادة ﴾ نزل حين قال قريش يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول الله والشئ يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه فى سورة البقرة ﴿ قل الله ﴾ اى الله اكبر شهادة ثم ابتدأ ﴿ شهيد بينى وبينكم ﴾ اى هو شهيد ويجوز ان يكون الله شهيد هو الجواب لانه تعالى اذا كان الشهيد كان اكبر شئ شهادة ﴿ واوحى الى هذا القرآن لانذركم به ﴾ اى بالقرآن واكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة ﴿ ومن بلغ ﴾ عطف على ضمير المخاطبين اى لانذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر او من الثقلين اولانذركم به ايها الموجودون ومن بلغه الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام القرآن تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم وانه لا يؤاخذ بها من لم يبلغه ﴿ ءانكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى ﴾ تقرير لهم مع انكار واستبعاد ﴿ قل لا اشهد ﴾ بما تشهدون ﴿ قل انما هو اله واحد ﴾ اى بل اشهد ان لا اله الا هو ﴿ واننى برئ مما تشركون ﴾ يعنى الاصنام ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه ﴾ اى يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته المذكورة فى التورية والانجيل ﴿ كما يعرفون ابناءهم ﴾ بحلاهم ﴿ الذين خسروا

من الاوقات التى يخرجون فيها لشرب الحميم فانه خارجها كما قال ثم ان مرجعهم لالى الجحيم وعن ابن عباس أنه فيمن علم الله انهم يؤمنون فما بمعنى من ﴿ ان ربك حكيم ﴾ فى صنعه ﴿ عليم ﴾ بخلقه ﴿ وكذلك ﴾ كما متعنا عصاة الانس والجن بعضهم ببعض ﴿ نولى ﴾ من الولاية ﴿ بعض الظالمين بعضا ﴾ أى على بعض ﴿ بما كانوا يكسبون ﴾ من المعاصى ﴿ يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم ﴾ أى من مجموعكم أى بعضكم الصادق بالانس أورسل الجن نذرهم الذين يستمعون كلام الرسل فيبلغون قومهم ﴿ يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا ﴾ أن قد بلغنا قال تعالى ﴿ وغرتهم الحيوة الدنيا ﴾ فلم يؤمنوا ﴿ وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ذلك ﴾ أى ارسال الرسل ﴿ أن ﴾ اللام مقدرة وهى مخففة اى لانه ﴿ لم يكن ربك مهلك القرى بظلم ﴾ منها ﴿ وأهلها غافلون ﴾ لم يرسل اليهم رسول يبين لهم

انفسهم) من اهل الكتاب والمشركين (فهم لا يؤمنون) لتضييعهم مابه
يكتسب الايمان (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) كقولهم الملائكة بنات الله
وهؤلاء شفعاؤنا عندالله (او كذب بآياته) كان كذبوا القرآن والمعجزات
وسموها سحرا وانما ذكراو وهم قدجمعوا بين الامرين تنبيها على ان كلا
منهما وحده بالغ غاية الافراط في الظلم على النفس (انه) الضمير للشان
(لايفلح الظالمون) فضلا عمن لا احد اظلم منه (ويوم نحشرهم جميعا) منصوب
بمضمر تهويلا للامر (ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم) اى آلهتكم
التى جعلتموها شركاء الله وقرأ يعقوب يحشرهم ويقول بالياء (الذين كنتم
تزعمون) اى تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان والمراد من الاستفهام
التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوها فى الساعة التى
علقوابها الرجاء فيها ويحتمل ان يشاهدوهم ولكن لمالم ينفعوهم فكأنهم
غيب عنهم (ثم لم يكن فتنتهم الا ان قالوا) اى كفرهم والمراد عاقبته وقيل
معذرتهم التى يتوهمون ان يتخلصوابها من فتنت الذهب اذا خلصته وقيل
جوابهم وانما سماه فتنة لانه كذب اولانهم قصدوابه الخلاص وقرأ ابن كثير
وابن عامر وحفص لم تكن بالتاء وفتنتهم بالرفع على انها الاسم ونافع وابو عمرو
وابو بكر بالتاء والنصب على ان الاسم ان قالوا والتأنيث للخبر كقولهم
من كانت امك والباقون بالياء والنصب (والله ربنا ماكنا مشركين)
يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بانه لاينفع من فرط الحيرة والدهشة
كما يقولون ربنا اخرجنا منها وقدايقنوا بالخلود وقيل معناه ماكنا مشركين
عند انفسنا وهو لايوافق قوله (انظر كيف كذبوا على انفسهم) اى بنفى الشرك
عنها وحمله على كذبهم فى الدنيا تعسف يخل بالنظم ونظير ذلك قوله
يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم وقرأ حمزة والكسائى
ربنا بالنصب على النداء او المدح (وضل عنهم ماكانوا يفترون) من الشركاء
(ومنهم من يستمع اليك) حين تتلو القرآن والمراد ابو سفيان والوليد
والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يقرأ القرآن فقالوا للنضر مايقول فقال والذى جعلها بيته
ماادرى مايقول الاانه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ماحدثتكم
(وجعلنا على قلوبهم اكنة) اغطية جمع كنان وهو مايستر الشئ (ان يفقهوه)
كراهة ان يفقهوه (وفى آذانهم وقرا) يمنع من استماعه وقدمر تحقيق ذلك

(ولكل) من العاملين (درجات)
جزاء (مما عملوا) من خير
وشر (وماربك بغافل عما
يعملون) بالياء والتاء (وربك
الغنى) عن خلقه وعبادتهم
(ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم)
يا اهل مكة بالاهلاك
(ويستخلف من بعدكم مايشاء)
من الخلق (كما أنشأكم من ذرية
قوم آخرين) أذهبهم ولكنه
أبقاكم رحمة لكم (انما توعدون)
من الساعة والعذاب
(لآت) لامحالة (وما أنتم
بمعجزين) فائتين عذابنا (قل)
لهم (ياقوم اعملوا على مكانتكم)
حالتكم (انى عامل) على حالتى
(فسوف تعلمون من) موصولة
مفعول العلم (تكون له عاقبة الدار)
أى العاقبة المحمودة فى الدار
الآخرة أنحن أم أنتم (انه لايفلح)
يسعد (الظالمون) الكافرون
(وجعلوا) أى كفار مكة
(لله مما ذرأ) خلق (من الحرث)
الزرع (والانعام نصيبا)
يصرفونه الى الضيفان والمساكين
ولشركائهم نصيبا يصرفون
الى سدنتها (فقالوا هذا لله
بزعمهم) بالفتح والضم

فى اول سورة البقرة (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها) لفرط عنادهم واستحكام
التقليد فيهم (حتى اذا جاؤك يجادلونك) اى بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم
جاؤك يجادلونك وحتى هى التى تقع بعدها الجمل التى لا عمل لها والجملة اذا
وجوابه وهو (يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين) فان جعل
اصدق الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب ويجادلونك حال لمجيئهم
ويجوز ان تكون الجارة واذا جاؤك فى موضع الجر ويجادلونك جواب ويقول
تفسيرله والاساطير الاباطيل جمع اسطورة او اسطارة او اسطار جمع سطر
واصله السطر بمعنى الخط (وهم ينهون عنه) اى ينهون الناس عن القرآن
اوالرسول والايمان به (وينأون عنه) بانفسهم او ينهون عن التعرض
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وينأون عنه فلا يؤمنون به كابى طالب
(وان يهلكون) ومايهلكون بذلك (الا انفسهم ومايشعرون) ان ضرره
لايتعداهم الى غيرهم (ولو ترى اذ وقفوا على النار) جوابه محذوف اى
ولو تريهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها او يطلعون عليها او يدخلونها
فيعرفون مقدار عذابها لرأيت امرا شنيعا وقرئ وقفوا على البناء للفاعل
من وقف عليه وقوفا (فقالوا ياليتنا نرد) تمنيا للرجوع الى الدنيا (ولا نكذب
بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) استئناف كلام منهم على وجه الاثبات
كقولهم دعنى ولا اعود اى انا لا اعود تركتنى اولم تتركنى اوعطف
على نرد او حال من الضمير فيه فيكون فى حكم التمنى وقوله وانهم لكاذبون
راجع الى ما تضمنه التمنى من الوعد ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص على
الجواب باضمار ان بعد الواو اجراء لها مجرى الفاء وقرأ ابن عامر برفع الاول
على العطف ونصب الثانى على الجواب (بل بدا لهم ماكانوا يخفون من قبل)
الاضراب عن ارادة الايمان المفهوم من التمنى والمعنى انه ظهر لهم ماكانوا
يخفون من نفاقهم او قبائح اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا
لآمنوا (ولو ردوا) اى الى الدنيا بعد الظهور والوقوف (لعادوا
لما نهوا عنه) من الكفر والمعاصى (وانهم لكاذبون) فيما وعدوا من انفسهم
(وقالوا) عطف على لعادوا او على انهم لكاذبون او على نهوا او استئناف
بذكر ماقالوه فى الدنيا (ان هى الا حيوتنا الدنيا) الضمير للحيوة (ومانحن
بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم) مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ
وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم او جزائه او عرفوه حق التعريف

(وهذا لشركائنا) فكانوا
اذا سقط فى نصيب الله شئ من
نصيبها التقطوه أو فى نصيبها
شئ من نصيبه تركوه وقالوا
ان الله غنى عن هذا كما قال
تعالى (فما كان لشركائهم
فلا يصل الى الله) أى لجهته
(وما كان لله فهو يصل
الى شركائهم ساء) بئس
(مايحكمون) حكمهم هذا
(وكذلك) كما زين لهم ماذكر
(زين لكثير من المشركين قتل
اولادهم) بالوأد (شركاؤهم)
من الجن بالرفع فاعل زين
وفى قراءة ببنائه للمفعول
ورفع قتل ونصب الاولاد به
وجر شركائهم باضافته وفيه
الفصل بين المضاف والمضاف
اليه بالمفعول ولا يضر
واضافة القتل الى الشركاء
لامرهم به (ليردوهم)
يهلكوهم (وليلبسوا) يخلطوا
(عليهم دينهم ولو شاء الله
مافعلوه فذرهم ومايفترون
وقالوا هذه أنعام وحرث
حجر) حرام (لايطعمها
الا من نشاء) من خدمة الاوثان
وغيرهم (بزعمهم) أي
لاحجة لهم فيه (وأنعام
حرمت ظهورها) فلا تركب

(قال اليس هذا بالحق) كأنه جواب قائل قال ماذا قال ربهم حينئذ والهمزة للتقريع على التكذيب والاشارة الى البعث ومايتبعه من الثواب والعقاب (قالوا بلى وربنا) اقرار مؤكد باليمين لانجلاء الامر غاية الانجلاء (قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) بسبب كفركم او ببدله (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) اذفاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله البعث ومايتبعه (حتى اذا جاءتهم الساعة) غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لاغاية له (بغتة) فجأة ونصبها على الحال او المصدر فانها نوع من المجيء (قالوا ياحسرتنا) اى تعالى فهذا اوانك (على مافرطنا) قصرنا (فيها) فى الحيوة الدنيا اضمرت وان لم يجر ذكرها للعلم بها او فى الساعة يعنى فى شانها والايمان بها (وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم) تمثيل لاستحقاقهم آصار الآثام (ألاساء مايزرون) بئس شيئا وزرهم (وما الحيوة الدنيا الالعب ولهو) اى وما اعمالها الالعب ولهو يلهى الناس ويشغلهم عمايعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم ان هى الاحيوتنا الدنيا (وللدار الآخرة خير للذين يتقون) لدوامها وخلوص منافعها ولذائها وقوله للذين يتقون تنبيه على ان ماليس من اعمال المتقين لعب ولهو وقرأ ابن عامر ولدار الآخرة (افلا يعقلون) اى الامرين خير وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين به او تغليب الحاضرين على الغائبين (قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون) معنى قد زيادة الفعل وكثرته كما فى قوله * ولكنه قد يهلك المال نائله * والهاء فى انه للشان وقرئ ليحزنك من احزن (فانهم لايكذبونك) فى الحقيقة وقرأ نافع والكسائى لايكذبونك من اكذبه اذا وجده كاذبا او نسبه الى الكذب (ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) ولكنهم يجحدون آيات الله ويكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على انهم ظلموا بجحودهم او جحدوا لتمرنهم على الظلم والباء لتضمين الجحود معنى التكذيب روى ان اباجهل كان يقول ماتكذبك وانك عندنا لصادق وانما نكذب ماجئتنا به فنزلت (ولقد كذبت رسل من قبلك) تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه دليل على ان قوله لايكذبونك ليس بنفى تكذيبه مطلقا (فصبروا على ماكذبوا واوذوا) على تكذيبهم وايذائهم فتأس بهم واصبر (حتى اتاهم نصرنا) فيه ايماء بوعد النصر للصابرين (ولا مبدل لكلمات الله) لمواعيده من قوله

كالسوائب والحوامى (وأنعام لايذكرون اسم الله عليها) عند ذبحها بل يذكرون اسم أصنامهم ونسبوا ذلك الى الله (افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون) عليه (وقالوا ما فى بطون هذه الانعام) المحرمة وهى السوائب والبحائر (خالصة) حلال (لذكورنا ومحرم على أزواجنا) أى النساء (وان يكن ميتة) بالرفع والنصب مع تأنيث الفعل وتذكيره (فهم فيه شركاء سيجزيهم) الله (وصفهم) ذلك بالتحليل والتحريم أى جزاءه (انه حكيم) فى صنعه (عليم) بخلقه (قد خسر الذين قتلوا) بالتخفيف والتشديد (أولادهم) بالوأد (سفها) جهلا (بغير علم وحرموا مارزقهم الله) مما ذكر (افتراء على الله قد ضلوا وماكانوا مهتدين وهو الذى أنشأ) خلق (جنات) بساتين (معروشات) مبسوطات على الارض كالبطيخ (وغير معروشات) بأن ارتفعت على ساق كالنخل (و) أنشأ (النخل

ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الآيات (ولقد جاءك من نبأ المرسلين)
اى من قصصهم وما كابدوا من قومهم (وان كان كبر عليك) عظم وشق
(اعراضهم) عنك وعن الايمان بما جئت به (فان استطعت ان تبتغى نفقا
فى الارض اوسلما فى السماء فتأتيهم بآية) منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض
فتطلع لهم آية او مصعدا تصعد به الى السماء فتنزل منها آية وفى الارض
صفة لنفقا وفى السماء صفة لسلما ويجوز ان يكونا متعلقين بتبتغى او حالين
من المستكن وجواب الشرط الثانى محذوف تقديره فافعل والجملة جواب
الاول والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام قومه وانه لوقدر ان يأتيهم
بآية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم (ولو شاء الله
لجمعهم على الهدى) اى ولو شاء الله جمعهم على الهدى لوفقهم للايمان حتى
يؤمنوا ولكن لم يتعلق به مشيئته فلا تتهالك عليه والمعتزلة اولوه بانه لو شاء الله
لجمعهم على الهدى بان يأتيهم بآية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة
(فلا تكونن من الجاهلين) بالحرص على مالا يكون والجزع فى مواطن الصبر
فان ذلك من دأب الجهلة (انما يستجيب الذين يسمعون) انما يجيب الذين
يسمعون بفهم وتأمل كقوله او القى السمع وهو شهيد وهؤلاء كالموتى الذين
لا يسمعون (والموتى يبعثهم الله) فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان (ثم اليه
يرجعون) للجزاء (وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه) اى آية مما اقترحوه
اوآية اخرى سوى ما انزل من الآيات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا (قل
ان الله قادر على ان ينزل آية) مما اقترحوه او آية تضطرهم الى الايمان كنتق
الجبل اوآية ان جحدوها هلكوا (ولكن اكثرهم لا يعلمون) ان الله قادر على
انزالها وان انزالها يستجلب عليهم البلاء وان لهم فيما انزل مندوحة عن غيره
وقرأ ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد (ومامن دابة فى الارض)
تدب على وجهها (ولا طائر) وقرئ ولا طائر بالرفع على المحل (يطير
بجناحيه) فى الهواء وصفه به قطعا لمجاز السرعة ونحوها (الا امم امثالكم) محفوظة
احوالها مقدرة ارزاقها وآجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته
وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل آية
وجمع الامم للحمل على المعنى (مافرطنا فى الكتاب من شئ) يعنى اللوح المحفوظ
فانه مشتمل على ما يجرى فى العالم من جليل ودقيق لم يهمل فيه امر حيوان
ولا جماد او القرآن فانه قد دون فيه ما يحتاج اليه من امر الدين مفصلا

والزرع مختلفا أكله) ثمره
وحبه فى الهيئة والطعم
(والزيتون والرمان متشابها)
ورقهما حال (وغير متشابه)
طعمهما (كلوا من ثمره اذا
أثمر) قبل النضج (وآتوا
حقه) زكوته (يوم حصاده)
بالفتح والكسر من العشر
أو نصفه (ولا تسرفوا) باعطاء
كله فلا يبقى لعيالكم شئ
(انه لا يحب المسرفين)
المتجاوزين ماحد لهم (و)
أنشأ (من الانعام حمولة) صالحة
للحمل عليها كالابل الكبار
(وفرشا) لا تصلح له كالابل
الصغار والغنم سميت فرشا لانها
كالفرش للارض لدنوها منها
(كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا
خطوات الشيطان) طرائقه
فى التحريم والتحليل (انه
لكم عدو مبين) بين العداوة
(ثمانية أزواج) أصناف بدل
من حمولة وفرشا (من الضأن)
زوجين (اثنين) ذكر وأنثى
(ومن المعز) بالفتح والسكون
(اثنين قل) يامحمد لمن حرم
ذكور الانعام تارة واناثها اخرى
ونسب ذلك الى الله (آلذكرين)
من الضأن والمعز (حرم)

او مجملا ومن مزيدة وشئ فى موضع المصدر لا المفعول به فان فرط لا يتعدى بنفسه وقد عدى بفى الى الكتاب وقرئ ما فرطنا بالتخفيف (ثم الى ربهم يحشرون) يعنى الامم كلها فينصف بعضها من بعض كما روى انه يأخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس حشرها موتها (والذين كذبوا بآياتنا صم) لا يسمعون مثل هذه الآيات الدالة على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته سماعا تتأثر به نفوسهم (وبكم) لا ينطقون بالحق (فى الظلمات) خبر ثالث اى خابطون فى ظلمات الكفر او فى ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز ان يكون حالا من المستكن فى الخبر (من يشأ الله يضلله) من يشأ الله اضلاله يضلله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) بان يرشده الى الهدى ويحمله عليه (قل ارأيتكم) استفهام تعجيب والكاف حرف خطاب اكد به الضمير للتأكيد لا محل له من الاعراب لانك تقول ارأيتك زيدا ما شأنه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعديت الفعل الى ثلاثة مفاعيل وللزم فى الآية ان يقال ارأيتموكم بل الفعل معلق او المفعول محذوف تقديره ارأيتكم آلهتكم تنفعكم اذ تدعونها وقرأ نافع ارأيتكم وارأيت وارأيتم وافرأيتم وافرأيت وشبهه اذا كان قبل الراء همزة بتسهيل الهمزة التى بعد الراء والكسائى يحذفها اصلا والباقون يخففونها وحمزة اذا وقف يوافق نافعا (ان اتاكم عذاب الله) كما اتى من قبلكم (او اتتكم الساعة) وهو لها ويدل عليه (اغير الله تدعون) وهو تبكيت لهم (ان كنتم صادقين) ان الاصنام آلهة وجوابه محذوف اى فادعوه (بل اياه تدعون) بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم فى مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص (فيكشف ما تدعون اليه) اى ما تدعون الى كشفه (ان شاء) ان يتفضل عليكم ولا يشاء فى الآخرة (وتنسون ما تشركون) وتتركون آلهتكم فى ذلك الوقت لما ركز فى العقول من انه القادر على كشف الضر دون غيره او تنسونه من شدة الامر وهوله (ولقد ارسلنا الى امم من قبلك) اى قبلك ومن زائدة (فاخذناهم) اى فكفروا وكذبوا المرسلين فأخذناهم (بالبأساء) بالشدة والفقر (والضراء) الضر والآفات وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما (لعلهم يتضرعون) يتذللون ويتوبون عن ذنوبهم (فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا) معناه نفى تضرعهم فى ذلك الوقت مع قيام مايدعوهم (ولكن قست قلوبهم وزين لهم

(الشيطان)

الله عليكم (أم الانثيين) منهما (أما اشتملت عليه أرحام الانثيين) ذكرا كان أو انثى (نبؤنى بعلم) عن كيفية تحريم ذلك (ان كنتم صادقين) فيه المعنى من أين جاء التحريم فان كان من قبل الذكورة فجميع الذكور حرام أو الانوثة فجميع الاناث او اشتمال الرحم فالزوجان فمن أين التخصيص والاستفهام للانكار (ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين أم) بل (كنتم شهداء) حضورا (اذ وصاكم الله بهذا) التحريم فاعتمدتم ذلك لا بل انتم كاذبون فيه (فمن) أى لا أحد (أظلم ممن افترى على الله كذبا) بذلك (ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدى القوم الظالمين قل لا أجد فيما اوحى الى) شيئا (محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون) بالياء والتاء (ميتة) بالنصب وفى قراءة بالرفع مع التحتانية (أو دما مسفوحا) سائلا بخلاف غيره كالكبد والطحال (أو لحم خنزير فانه رجس) حرام

الشيطان ماكانوا يعملون) استدراك على المعنى وبيان للصارف لهم عن التضرع وانه لا نع لهم الا قساوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التى زينها الشيطان لهم (فلما نسوا ما ذكروا به) من البأساء والضراء ولم يتعظوا به (فتحنا عليهم ابواب كل شئ) من انواع النعم مراوحة عليهم واستدراجا بين نوبتى الضراء والسراء وامتحانا لهم بالشدة والرخاء الزاما للحجة وازاحة للعلة اومكرا بهم لما روى انه عليه الصلوة والسلام قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرأ ابن عامر فتحنا بالتشديد فى جميع القرآن ووافقه يعقوب فيما عدا هذا والذى فى الاعراف (حتى اذا فرحوا) اعجبوا (بما اوتوا) من النعم ولم يزيدوا على البطر والاشتغال بالنعمة عن المنعم والقيام بحقه (اخذناهم بغتة فاذاهم مبلسون) متحسرون آيسون (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) اى آخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا اذا تبعه (والحمد لله رب العالمين) على اهلاكهم فان هلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شؤم عقائدهم واعمالهم نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها (قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم) اصمكم واعماكم (وختم على قلوبكم) بان يغطى عليها ما يزول به عقلكم وفهمكم (من اله غير الله يأتيكم به) اى بذاك او بما اخذ وختم عليه او باحد هذه المذكورات (انظر كيف نصرف الآيات) نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال المتقدمين (ثم هم يصدفون) يعرضون عنها وثم لاستبعاد الاعراض بعد تصريف الآيات وظهورها (قل ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة) من غير مقدمة (اوجهرة) يتقدمها امارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا او نهارا وقرئ بغتة وجهرة (هل يهلك) اى ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب (الا القوم الظالمون) ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه وقرئ يهلك بفتح الياء (وما نرسل المرسلين الا مبشرين) المؤمنين بالجنة (ومنذرين) الكافرين بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم (فمن آمن واصلح) ما يجب اصلاحه على ما شرع لهم (فلا خوف عليهم) من العذاب (ولا هم يحزنون) بفوات الثواب (والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب) جعل العذاب ماسا لهم كأنه الطالب للوصول اليهم واستغنى بتعريفه عن التوصيف (بما كانوا يفسقون) بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة (قل لا اقول

(او) الا ان يكون (فسقا اهل لغير الله به) اى ذبح على اسم غيره (فمن اضطر) الى شئ مما ذكر فاكله (غير باغ ولا عاد فان ربك غفور) له ما اكل (رحيم) به ويلحق بما ذكر بالسنة كل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير (وعلى الذين هادوا) اى اليهود (حرمنا كل ذى ظفر) وهو ما لم تفرق أصابعه كالابل والنعام (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) الثروب وشحم الكلى (الا ما حملت ظهورهما) اى ما علق بها منه (أو) حملته (الحوايا) الامعاء جمع حاوياء او حاوية (او ما اختلط بعظم) منه وهو شحم الالية فانه أحل لهم (ذلك) التحريم (جزيناهم) به (ببغيهم) بسبب ظلمهم بما سبق فى سورة النساء (وانا لصادقون) فى اخبارنا ومواعيدنا (فان كذبوك) فيما جئت به (فقل) لهم (ربكم ذو رحمة واسعة) حيث لم يعاجلكم بالعقوبة وفيه تلطف بدعائهم الى الايمان (ولا يرد بأسه) عذابه اذا جاء (عن القوم

المجرمين سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما أشركنا نحن (ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ) فاشراكنا وتحريمنا بمشيئته فهو راض به قال تعالى (كذلك) كما كذب هؤلاء (كذب الذين من قبلهم) رسلهم (حتى ذاقوا بأسنا) عذابنا (قل هل عندكم من علم) بان الله راض بذلك (فتخرجوه لنا) اى لاعلم عندكم (ان) ما (تتبعون) فى ذلك (الا الظن وان) ما (أنتم الا تخرصون) تكذبون فيه (قل) ان لم تكن لكم حجة (فلله الحجة البالغة) التامة (فلو شاء) هدايتكم (لهداكم أجمعين قل هلم) أحضروا (شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا) الذى حرمتموه (فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون) يشركون (قل تعالوا أتل) أقرأ (ماحرم ربكم عليكم ان) مفسرة (لا تشركوا به شيئا و) احسنوا (بالوالدين احسانا

لكم عندى خزائن الله) مقدوراته اوخزائن رزقه (ولا اعلم الغيب) مالم يوح الى ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول (ولا اقول لكم انى ملك) اى من جنس الملائكة اواقدر على مايقدرون عليه (ان اتبع الا مايوحى الى) تبرأ عن دعوى الالوهية والملكية وادعى النبوة التى هى من كمالات البشر ردا لاستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد مدعاه (قل هل يستوى الاعمى والبصير) مثل للضال والمهتدى اوالجاهل والعالم اومدعى المستحيل كالالوهية والملكية ومدعى المستقيم كالنبوة (افلا تتفكرون) فتهتدوا اوفتميزوا بين ادعاء الحق والباطل اوفتعلموا ان اتباع الوحى ممالامحيص عنه (وانذر به) الضمير لمايوحى الى (الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم) هم المؤمنون المفرطون فى العمل اوالمجوزون للحشر مؤمنا كان اوكافرا مقرابه اومترددا فيه فان الانذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته (ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع) فى موضع الحال من يحشروا فان المخوف هوالحشر على هذه الحال (لعلهم يتقون) لكى يتقوا (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداوة والعشى) بعد ماامره بانذار غير المتقين ليتقوا امره باكرام المتقين وتقريبهم وان لايطردهم ترضية لقريش روى انهم قالوا لوطردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان رضى الله عنهم جلسنا اليك وحادثناك فقال ماانا بطارد المؤمنين قالوا فاقمهم عنا اذا جئناك قال نعم وروى ان عمر رضى الله تعالى عنه قال له لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلى رضى الله تعالى عنه ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداوة والعشى الدوام وقيل صلوتا الصبح والعصر وقرأ ابن عامر بالغدوة هنا وفى الكهف (يريدون وجهه) حال من يدعون اى يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه ملاك الامر ورتب النهى عليه اشعارا بانه يقتضى اكرامهم وينافى ابعادهم (ماعليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ) اى ليس عليك حساب ايمانهم فلعل ايمانهم عندالله كان اعظم من ايمان من تطردهم بسؤالهم طمعا فى ايمانهم لوآمنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم واخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين فان كان لهم باطن غير مرضى كما ذكره المشركون وطعنوا فى دينهم فحسابهم عليهم لايتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لايتعداك اليهم وقيل ماعليك من حساب رزقهم اى من فقرهم وقيل الضمير

(للمشركين)

للمشركين والمعنى لاتؤاخذ بحسابهم ولاهم بحسابك حتى يهمك ايمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا فى ايمانهم (فتطردهم) فتبعدهم وهو جواب النفى (فتكون من الظالمين) جواب النهى ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبيب وفيه نظر (وكذلك فتنا بعضهم ببعض) ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس فى امور الدنيا فتنا اى ابتلينا بعضهم ببعض فى امر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء على اشراف قريش بالسبق الى الايمان (ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا) اى اهؤلاء من انعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا ونحن الاكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء وهو انكار لان يخص هؤلاء من بينهم باصابة الحق والسبق الى الخير كقولهم لوكان خيرا ماسبقونا اليه واللام للعاقبة اوللتعليل على ان فتنا متضمن معنى خذلنا (أليس الله باعلم بالشاكرين) بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه وبمن لايقع منه فيخذله (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة) الذين يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان بالقرآن واتباع الحجج بعدما وصفهم بالمواظبة على العبادة وامره بان يبدأ بالتسليم اويبلغ سلام الله اليهم ويبشرهم بسعة رحمته وفضله بعد النهى عن طردهم ايذانا بانهم الجامعون لفضيلتى العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغى ان يقرب ولايطرد ويعز ولايذل ويبشر من الله بالسلامة فى الدنيا والرحمة فى الآخرة وقيل ان قوما جاؤا الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت (انه من عمل منكم سوأ) استئناف بتفسير الرحمة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل منها (بجهالة) فى موضع الحال اى من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة مايتبعه من المضار والمفاسد كعمر رضى الله تعالى عنه فيما اشار اليه اوملتبسا بفعل الجهلة فان ارتكاب مايؤدى الى الضرر من افعال اهل السفه والجهل (ثم تاب من بعده) من بعد العمل اوالسوء (واصلح) بالتدارك والعزم على ان لايعود اليه (فانه غفور رحيم) فتحه من فتح من الاول غير نافع على اضمار مبتدأ اوخبر اى فامره اوفعله غفرانه (وكذلك) ومثل ذلك التفصيل الواضح (نفصل الآيات) آيات القرآن فى صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم والاوابين (ولتستبين سبيل المجرمين) قرأ نافع بالتاء ونصب السبيل على معنى

ولاتقتلوا اولادكم) بالوأد (من) أجل (املاق) فقر تخافونه (نحن نرزقكم واياهم ولاتقربوا الفواحش) الكبائر كالزنا (ماظهر منها ومابطن) اى علانيتها وسرها (ولاتقتلوا النفس التى حرم الله الابالحق) كالقود وحد الردة ورجم المحصن (ذلكم) المذكور (وصاكم به لعلكم تعقلون) تتدبرون (ولاتقربوا مال اليتيم الابالتى) اى بالخصلة التى (هى أحسن) وهى مافيه صلاحه (حتى يبلغ أشده) بان يحتلم (واوفوا الكيل والميزان بالقسط) بالعدل وترك البخس (لانكلف نفسا الاوسعها) طاقتها فى ذلك فان أخطأ فى الكيل والوزن والله يعلم صحة نيته فلا مؤاخذة عليه كما ورد فى حديث (واذا قلتم) فى حكم اوغيره (فاعدلوا) بالصدق (ولوكان) المقول له اوعليه (ذاقربى) قرابة (وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون) بالتشديد تتعظون والسكون (وان) بالفتح على تقدير

ولتستوضح يامحمد سبيلهم فتعامل كلامنهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل وابن كثير وابن عامر وابوعمرو ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى ولتبين سبيلهم والباقون بالياء والرفع على تذكير السبيل فانه يذكر ويؤنث ويجوز ان يعطف على علة مقدرة اى نفصل الآيات ليظهر الحق وليستبين (قل انى نهيت) صرفت وزجرت بما نصب لى من الادلة وانزل على من الآيات فى امر التوحيد (ان اعبد الذين تدعون من دون الله) عن عبادة ماتعبدون من دون الله اوماتدعونها آلهة اى تسمونها (قل لااتبع اهواءكم) تأكيد لقطع اطماعهم واشارة الى الموجب للنبى وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم وبيان لمبدأ ضلالهم وان ماهم عليه هوى وليس بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق على ان يتبع الحجة ولايقلد (قدضللت اذا) اى ان اتبعت اهواءكم فقدضللت (ومااانا من المهتدين) اى ومااانا فى شئ من الهدى حتى اكون من عدادهم وفيه تعريض بانهم كذلك (قل انى على بينة) تنبيه على مايجب اتباعه بعد مابين مالايجوز اتباعه والبينة الدلالة الواضحة التى تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القرآن والوحى اوالحجج العقلية اومايعمهما (من ربى) من معرفته وانه لامعبود سواه ويجوز ان يكون صفة لبينة (وكذبتم به) الضمير لربى اى كذبتم به حيث اشركتم به غيره اوللبينة باعتبار المعنى (ماعندى ماتستعجلون به) يعنى العذاب الذى استعجلوه بقولهم فامطر علينا حجارة من السماء اوائتنا بعذاب اليم (ان الحكم الالله) فى تعجيل العذاب وتأخيره (يقضى الحق) اى القضاء الحق او يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذاصنعها فيمايقضى من تعجيل وتأخير واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكأنه منع الباطل وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم يقص من قص الاثر اوقص الخبر (وهو خير الفاصلين) القاضين (قل لو ان عندى) اى فى قدرتى ومكنتى (ماتستعجلون به) من العذاب (لقضى الامر بينى وبينكم) لاهلكتكم عاجلا غضبا لربى وانقطع مابينى وبينكم (والله اعلم بالظالمين) فى معنى الاستدراك كأنه قال ولكن الامر الى الله تعالى وهو اعلم بمن ينبغى ان يؤخذ وبمن ينبغى ان يمهل منهم (وعنده مفاتح الغيب) خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن اومايتوصل به الى المغيبات مستعار من المفاتيح التى هو جمع مفتح بالكسر وهو المفتاح ويؤيده ان قرئ مفاتيح والمعنى انه

(المتوصل)

اللام والكسر استئنافا (هذا) الذى وصيتكم به (صراطى مستقيما) حال (فاتبعوه ولاتتبعوا السبل) الطرق المخالفة له (فتفرق) فيه حذف احدى التاءين تميل (بكم عن سبيله) دينه (ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ثم آتينا موسى الكتاب) التورية وثم لترتيب الاخبار (تماما) للنعمة (على الذى أحسن) بالقيام به (وتفصيلا) بيانا (لكل شئ) يحتاج اليه فى الدين (وهدى ورحمة لعلهم) اى بنى اسرائيل (بلقاء ربهم) بالبعث (يؤمنون وهذا) القرآن (كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه) يااهل مكة بالعمل بما فيه (واتقوا) الكفر (لعلكم ترحمون) انزلناه ل (أن) لا (تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين) اليهود والنصارى (من قبلنا وان) مخففة واسمها محذوف اى انا (كنا عن دراستهم) قراءتهم (لغافلين) لعدم معرفتنا لها اذ ليست بلغتنا (اوتقولوا لوأنا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم) لجودة

المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها (لا يعلمها الا هو) فيعلم اوقاتها وما فى تعجيلها او تأخيرها من الحكم فيظهرها على مااقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها (ويعلم مافى البر والبحر) عطف الاخبار عن تعلق علمه تعالى بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات به (وماتسقط من ورقة الا يعلمها) مبالغة فى احاطة علمه بالجزئيات (ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس) معطوفات على ورقة وقوله (الا فى كتاب مبين) بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين علم الله او بدل الاشتمال ان اريد به اللوح وقرئت بالرفع للعطف على محل من ورقة اورفعا للابتداء والخبر الا فى كتاب مبين (وهو الذى يتوفاكم بالليل) ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفى من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة فى زوال الاحساس والتميز فان اصله قبض الشئ بتمامه (ويعلم ماجرحتم بالنهار) كسبتم فيه خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على المعتاد (ثم يبعثكم) يوقظكم اطلق البعث ترشيحا للتوفى (فيه) فى النهار (ليقضى اجل مسمى) ليبلغ المتيقظ آخر اجله المسمى له فى الدنيا (ثم اليه مرجعكم) بالموت (ثم ينبئكم بما كنتم تعملون) بالمجازاة عليه وقيل الآية خطاب للكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون للآثام بالنهار وانه تعالى يطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور فى شأن ذلك الذى قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضى الاجل الذى سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة) ملائكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب عليه وتعرض على رؤس الاشهاد كان ازجر عن المعاصى وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المتطلعين عليه (حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا) ملك الموت واعوانه وقرأ حمزة توفاه بالف ممالة (وهم لا يفرطون) بالتوانى والتأخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ماحدلهم بزيادة او نقصان (ثم ردوا الى الله) الى حكمه وجزائه (مولاهم) الذى يتولى امرهم (الحق) العدل الذى لا يحكم الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح (الا له الحكم) يومئذ لا حكم لغيره فيه (وهو اسرع الحاسبين) يحاسب الخلق فى مقدار حلب شاة لا يشغله

أذهاننا (فقد جاءكم بينة) بيان (من ربكم وهدى ورحمة) لمن اتبعه (فمن) أى لا أحد (أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف) أعرض (عنها سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب) أى أشده (بما كانوا يصدفون هل ينظرون) ماينتظر المكذبون (الا أن تأتيهم) بالتاء والياء (الملائكة) لقبض ارواحهم (أو يأتى ربك) أى أمره بمعنى عذابه (أو يأتى بعض آيات ربك) أى علاماته الدالة على الساعة (يوم يأتى بعض آيات ربك) وهى طلوع الشمس من مغربها كما فى الحديث الصحيحين (لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل) الجملة صفة نفس (أو) نفسا لم تكن (كسبت فى ايمانها خيرا) طاعة أى لا تنفعها توبتها كما فى الحديث (قل انتظروا) أحد هذه الاشياء (انا منتظرون) ذلك (ان الذين فرقوا دينهم) باختلافهم فيه فأخذوا بعضه وتركوا بعضه (وكانوا شيعا) فرقا

حساب عن حساب (قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر) من شدائدها استعيرت الظلمات للشدة لمشاركتهما فى الهول وابطال الابصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف فى البر والغرق فى البحر وقرأ يعقوب ينجيكم بالتخفيف والمعنى واحد (تدعونه تضرعا وخفية) معلنين ومسرين اواعلانا واسرارا وقرئ خفية بالكسر (لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين) على ارادة القول اى تقولون لئن انجيتنا وقرأ الكوفيون لئن انجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه اشارة الى الظلمة (قل الله ينجيكم منها) شدده الكوفيون وهشام وخففه الباقون (ومن كل كرب) غم سواها (ثم انتم تشركون) تعودون الى الشرك ولاتوفون بالعهد وانما وضع تشركون موضع لاتشكرون تنبيها على ان من اشرك فى عبادة الله تعالى فكأنه لم يعبده رأسا (قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم) كما فعل بقوم نوح ولوط واصحاب الفيل (اومن تحت ارجلكم) كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم اكابركم وحكامكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم (او يلبسكم) يخلطكم (شيعا) فرقا متحزبين على اهواء شتى فينشب القتال بينكم قال * وكتيبة لبستها بكتيبة * حتى اذا التبست نفضت لها يدى * (ويذيق بعضكم بأس بعض) يقاتل بعضكم بعضا (انظر كيف نصرف الآيات) بالوعد والوعيد (لعلهم يفقهون وكذب به قومك) اى بالعذاب وبالقرآن (وهو الحق) الواقع لامحاله اوالصدق (قل لست عليكم بوكيل) بحفيظ وكل الى امركم فامنعكم من التكذيب اواجازيكم انما انا منذر والله الحفيظ (لكل نبأ) خبر يريد به اما العذاب اوالايعاد به (مستقر) وقت استقرار ووقوع (وسوف تعلمون) عند وقوعه فى الدنيا اوفى الآخرة (واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا) بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها (فاعرض عنهم) فلاتجالسهم وقم عنهم (حتى يخوضوا فى حديث غيره) اعاد الضمير على معنى الآيات لانها القرآن (واما ينسينك الشيطان) بان يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهى وقرأ ابن عامر ينسينك بالتشديد (فلاتقعد بعد الذكرى) بعد ان تذكره (مع القوم الظالمين) اى معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام (وماعلى الذين يتقون) ومايلزم المتقين من قبائح اعمالهم واقوالهم الذين يجالسونهم (من حسابهم من شئ) شئ

فى ذلك وفى قراءة فارقوا أى تركوا دينهم الذى أمروا به وهم اليهود والنصارى (لست منهم فى شئ) فلاتتعرض لهم (انما أمرهم الى الله) يتولاه (ثم ينبئهم) فى الآخرة (بما كانوا يفعلون) فيجازيهم به وهذا منسوخ بآية السيف (من جاء بالحسنة) أى لااله الاالله (فله عشر أمثالها) أى جزاء عشر حسنات (ومن جاء بالسيئة فلايجزى الامثلها) أى جزاءه (وهم لايظلمون) ينقصون من جزائهم شيئا (قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم) ويبدل من محله (دينا قيما) مستقيما (ملة ابراهيم حنيفا وماكان من المشركين قل ان صلوتى ونسكى) عبادتى من حج وغيره (ومحياى) حياتى (ومماتى) موتى (لله رب العالمين لاشريك له) فى ذلك (وبذلك) أى التوحيد (أمرت وأنا أول المسلمين) من هذه الامة (قل أغير الله أبغى ربا) الها أى لاأطلب غيره (وهو رب) مالك (كل شئ ولاتكسب كل نفس) ذنبا (الاعليها ولاتزر) تحمل نفس (وازرة

مماسبون عليه من قبائح اعمالهم واقوالهم (ولكن ذكرى) ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح ويظهروا كراهتها وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولايجوز عطفه على محل من شئ لان من حسابهم يأباه ولا على شئ لذلك ولان من لاتزاد بعد الاثبات (لعلهم يتقون) يجتنبون ذلك حياء اوكراهة لمساءتهم ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقواهم ولاتنثلم بمجالستهم روى ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع ان نجلس فى المسجد ونطوف فنزلت (وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا) اى بنوا امر دينهم على التشهى وتدينوا بمالا يعود عليهم بنفع عاجلا وآجلا كعبادة الاصنام وتحريم البحائر والسوائب اواتخذوا دينهم الذى كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به اوجعلوا عيدهم الذى جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى اعرض عنهم ولاتبال بافعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم كقوله تعالى ذرنى ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا بآية السيف حمله على الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم (وغرتهم الحيوة الدنيا) حتى انكروا البعث (وذكر به) اى بالقرآن (ان تبسل نفس بما كسبت) مخافة ان تسلم الى الهلاك وترهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لاتفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اى حرام (ليس لها من دون الله ولى ولاشفيع) يدفع عنها العذاب (وان تعدل كل عدل) وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدى وههنا الفداء وكل نصب على المصدر (لايؤخذ منها) الفعل مسند الى منها لاالى ضميره بخلاف قوله ولايؤخذ منها عدل فانه المفدى به (اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا) اى سلموا الى العذاب بسبب اعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة (لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون) تأكيد وتفصيل لذلك والمعنى هم بين ماء مغلى يتجرجر فى بطونهم ونار تشتعل بابدانهم بسبب كفرهم (قل اندعوا) انعبد (من دون الله مالاينفعنا ولايضرنا) مالايقدر على نفعنا وضرنا (ونرد على اعقابنا) ونرجع الى الشرك (بعد اذهدانا الله) فانقذنا منه ورزقنا الاسلام (كالذى استهوته الشياطين) كالذى ذهبت به مردة الجن الى المهامه استفعال من هوى

آثمة (وزر) نفس (أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وهو الذى جعلكم خلائف الارض) جمع خليفة أى يخلف بعضكم بعضا فيها (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) بالمال والجاه وغيرذلك (ليبلوكم) ليختبركم (فيما آتاكم) أعطاكم ليظهر المطيع منكم والعاصى (ان ربك سريع العقاب) لمن عصاه (وانه لغفور) للمؤمنين (رحيم) بهم

سورة الاعراف مكية الا واسألهم عن القرية الثمان أو الخمس آيات وآيها مائتان وخمس اوست آيات

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(المص) الله أعلم بمراده بذلك هذا (كتاب أنزل اليك) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (فلايكن فى صدرك حرج) ضيق (منه) أن تبلغه مخافة أن تكذب (لتنذر) متعلق بانزل أى للانذار (به وذكرى) تذكرة (للمؤمنين) به قل لهم (اتبعوا ماأنزل اليكم من ربكم) أى القرآن (ولا تتبعوا) تتخذوا (من دونه)

يهوى هويا اذاذهب وقرأ حمزة استهواه بالف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل نرد اى مشبهين بالذى استهوته او على المصدر اى ردامثل ردالذى استهوته (فى الارض حيران) متحيراضالا عن الطريق (له اصحاب) لهذا المستهوى رفقة (يدعونه الى الهدى) الى ان يهدوه الطريق المستقيم اوالى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر (ائتنا) يقولون له ائتنا (قل ان هدى الله) الذى هو الاسلام (هو الهدى) وحده وماعداه ضلال (وامرنا لنسلم لرب العالمين) من جملة المقول عطف على ان هدى الله واللام لتعليل الامر اى امرنا بذلك لنسلم وقيل هى بمعنى الباء وقيل هى زائدة (وان اقيموا الصلوة واتقوه) عطف على لنسلم اى للاسلام واقامة الصلوة او على موقعه كأنه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا روى ان عبد الرحمن بن ابى بكر دعا اباه الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا القول اجابة عن الصديق تعظيما لشأنه واظهارا للاتحاد الذى كان بينهما (وهو الذى اليه تحشرون) يوم القيمة (وهو الذى خلق السموات والارض بالحق) قائما بالحق والحكمة (ويوم يقول كن فيكون قوله الحق) جملة اسمية قدم فيها الخبر اى قوله الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى انه الخالق للسموات والارض وقوله الحق نافذ فى الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او على الهاء فى واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدأ وخبر اوفاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اى لقضائه كن فيكون والمراد به حين يكون الاشياء ويحدثها او حين تقوم القيمة فيكون التكوين حشر الاموات واحياءها (وله الملك يوم ينفخ فى الصور) كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار (عالم الغيب والشهادة) اى هو عالم الغيب (وهو الحكيم الخبير) كالفذلكة للآية (واذ قال ابراهيم لابيه آزر) هو عطف بيان لابيه وفى كتب التواريخ ان اسمه تارح فقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل العلم تارح وآزر وصف معناه الشيخ او المعوج ولعل منع صرفه لانه اعجمى حمل على موازنه او نعت مشتق من الازر او الوزر والاقرب انه علم اعجمى على فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده فلقب به للزوم عبادته او اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره مابعده اى اتعبد آزر ثم قال (اتتخذ اصناما آلهة) تفسيرا وتقريرا ويدل عليه ان قرئ

أى الله أى غيره (أولياء) تطيعونهم فى معصيته تعالى (قليلا ماتذكرون) بالتاء والياء تتعظون وفيه ادغام التاء فى الاصل فى الذال وفى قراءة بسكونها وما زائدة لتأكيد القلة (وكم) خبرية مفعول (من قرية) أريد اهلها (اهلكناها) أردنا اهلاكها (فجاءها بأسنا) عذابنا (بياتا) ليلا (أوهم قائلون) نائمون بالظهيرة والقيلولة استراحة نصف النهار وان لم يكن معها نوم أى مرة جاءها ليلا ومرة نهارا (فما كان دعواهم) قولهم (اذ جاءهم بأسنا الا أن قالوا انا كنا ظالمين فلنسألن الذين أرسل اليهم) أى الامم عن اجابتهم الرسل وعملهم فيما بلغهم (ولنسألن المرسلين) عن الابلاغ (فلنقصن عليهم بعلم) لنخبرنهم عن علم بما فعلوه (وما كنا غائبين) عن ابلاغ الرسل والامم الخالية فيما عملوا (والوزن) للاعمال اولصحائفها بميزان له لسان وكفتان كما ورد فى حديث كائن (يومئذ) أى يوم السؤال المذكور وهو يوم القيمة

ءازراً تتخذاصناما بفتح همزة ازر وكسرها وهو اسم صنم وقرأ يعقوب بالضم على النداء وهو يدل على انه علم (انى اراك وقومك فى ضلال) عن الحق (مبين) ظاهر الضلالة (وكذلك نرى ابراهيم) ومثل هذا التبصير نبصره وهو حكاية حال ماضية وقرىء ترى بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية (ملكوت السموات والارض) ربوبيتها وملكها وقيل عجائبها وبدائعها والملكوت اعظم الملك والتاء فيه للمبالغة (وليكون من الموقنين) اى ليستدل وليكون او فعلنا ذلك ليكون (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى) تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على قال ابراهيم وكذلك نرى اعتراض فان اباه وقومه كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال وجن عليه الليل ستره بظلامه والكوكب كان الزهرة او المشترى وقوله هذا ربى على سبيل الوضع فان المستدل على فساد قول يحكيه على مايقوله الخصم ثم يكر عليه بالافساد او على وجه النظر والاستدلال وانما قاله زمان مراهقته او اول اوان بلوغه (فلما افل) اى غاب (قال لااحب الآفلين) فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب بالاستار يقتضى الامكان والحدوث وينافى الالوهية (فلما رأى القمر بازغا) مبتدأ فى الطلوع (قال هذا ربى فلما افل قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين) استعجز نفسه واستعان بربه فى درك الحق فانه لايهتدى اليه الا بتوفيقه ارشادا لقومه وتنبيها لهم على ان القمر ايضا لتغير حاله لايصلح للالوهية وان من اتخذه الها فهو ضال (فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى) ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التأنيث (هذا اكبر) كبره استدلالا او اظهارا لشبهة الخصم (فلما افلت قال ياقوم انى برىء مما تشركون) من الاجرام المحدثة المحتاجة الى محدث يحدثها ومخصص يخصصها بما تخصص به ثم لما تبرأ عنها توجه الى موجدها ومبدعها الذى دلت هذه الممكنات عليه فقال (انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين) وانما احتج بالافول دون البزوغ مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته ولانه رأى الكوكب الذى يعبدونه فى وسط السماء حين حاول الاستدلال (وحاجه قومه) وخاصموه فى التوحيد (قال اتحاجونى فى الله) فى وحدانيته وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف النون (وقد هدانى)

(الحق) العدل صفة الوزن (فمن ثقلت موازينه) بالحسنات (فاولئك هم المفلحون) الفائزون (ومن خفت موازينه) بالسيئات (فاولئك الذين خسروا أنفسهم) بتصييرها الى النار (بما كانوا بآياتنا يظلمون) يجحدون (ولقد مكناكم) يابنى آدم (فى الارض وجعلنا لكم فيها معايش) بالياء أسبابا تعيشون بها جمع معيشة (قليلا ما) لتأكيد القلة (تشكرون) على ذلك (ولقد خلقناكم) أى أباكم آدم (ثم صورناكم) أى صورناه وأنتم فى ظهره (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) سجود تحية بالانحناء (فسجدوا الا ابليس) أبا الجن كان بين الملائكة (لم يكن من الساجدين قال) تعالى (مامنعك أن لا) زائدة (تسجد اذ) حين (أمرتك قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها) أى من الجنة وقيل من السموات (فما يكون) ينبغى (لك أن تتكبر فيها فاخرج منها (انك من الصاغرين) الذليلين (قال أنظرنى)

الى توحيده (ولااخاف ماتشركون به) اى لااخاف معبوداتكم فى وقت لانها لاتضر بنفسها ولاتنفع (الاان يشاء ربى شيئا) ان يصيبنى بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم اياه من آلهتهم وتهديد لهم بعذاب الله (وسع ربى كل شئ علما) كانه علة الاستثناء اى احاط به علما فلايبعد ان يكون فى علمه ان يحيق بى مكروه من جهتها (افلاتتذكرون) فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز (وكيف اخاف مااشركتم) ولايتعلق به ضر (ولاتخافون انكم اشركتم بالله) وهو حقيق بان يخاف منه كل الخوف لانه اشراك للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور العاجز بالقادر الضار النافع (مالم ينزل به عليكم سلطانا) مالم ينزل باشراكه كتابا اولم ينصب عليه دليلا (فاى الفريقين احق بالامن) اى الموحدون او المشركون وانما لم يقل اينا انا ام انتم احترازا من تزكية نفسه (ان كنتم تعلمون) مايحق ان يخاف منه (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون) استئناف منه عليه السلام او من الله بالجواب عما استفهم عنه والمراد بالظلم ههنا الشرك لما روى ان الآية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال عليه الصلوة والسلام ليس ماتظنون انما هو ماقال لقمان لابنه يابنى لاتشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ولبس الايمان به ان يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الاشراك به وقيل المعصية (وتلك) اشارة الى مااحتج به ابراهيم على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون او من قوله اتحاجونى اليه (حجتنا آتيناها ابراهيم) ارشدناه اليها اوعلمناه اياها (على قومه) متعلق بحجتنا ان جعل خبر تلك وبمحذوف ان جعل بدله اى آتيناها ابراهيم حجة على قومه (نرفع درجات من نشاء) فى العلم والحكمة وقرأ الكوفيون ويعقوب بالتنوين (ان ربك حكيم) فى رفعه وخفضه (عليم) بحال من يرفعه واستعداده له (ووهبنا له اسحق ويعقوب كلاهدينا) اى كلا منهما (ونوحا هدينا من قبل) اى من قبل ابراهيم عد هداه نعمة على ابراهيم من حيث انه ابوه وشرف الوالد يتعدى الى الولد (ومن ذريته) الضمير لابراهيم اذ الكلام فيه وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابراهيم فلوكان لابراهيم اختص البيان بالمعدودين فى تلك الآية والتى بعدها والمذكورون فى الآية الثالثة عطف على نوحا (داود وسليمان وايوب) ايوب بن آموص من اسباط عيصا بن اسحق (ويوسف وموسى وهرون

(وكذلك)

أخرنى (الى يوم يبعثون) أى الناس (قال انك من المنظرين) وفى آية اخرى الى يوم الوقت المعلوم أى وقت النفخة الاولى (قال فبما أغويتنى) أى باغوائك لى والباء للقسم وجوابه (لاقعدن لهم) أى لبنى آدم (صراطك المستقيم) أى على الطريق الموصل اليك (ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم) أى من كل جهة فامنعهم عن سلوكه قال ابن عباس ولايستطيع أن يأتى من فوقهم لئلا يحول بين العبد وبين رحمة الله تعالى (ولاتجد أكثرهم شاكرين) مؤمنين (قال اخرج منها مذؤما) بالهمز معيبا أوممقوتا(مدحورا) مبعدا عن الرحمة (لمن تبعك منهم) من الناس واللام للابتداء أو موطئة للقسم وهو (لأملأن جهنم منكم أجمعين) أى منك بذريتك ومن الناس وفيه تغليب الحاضر على الغائب وفى الجملة معنى جزاء من الشرطية أى من تبعك أعذبه (و) قال (ياآدم اسكن أنت) تأكيد

(وكذلك نجزى المحسنين) اى ونجزى المحسنين جزاء مثل ماجزينا ابراهيم
برفع درجاته وكثرة اولاده والنبوة فيهم (وزكريا ويحيى وعيسى) هو ابن
مريم وفى ذكره دليل على ان الذرية تتناول اولاد البنت (والياس) قيل هو
ادريس جد نوح عليهما السلام فيكون البيان مخصوصا بمن فى الآية الاولى
وقيل هو من اسباط هرون اخى موسى عليهما السلام (كل من الصالحين)
الكاملين فى الصلاح وهو الاتيان بما ينبغى والتحرز عما لا ينبغى (واسمعيل
واليسع) هو اليسع بن اخطوب وقرأ حمزة والكسائى والليسع وعلى القراءتين
علم اعجمى ادخل عليه اللام كما ادخل اليزيد فى قوله * رأيت الوليد بن اليزيد مباركا *
شديدا باعباء الخلافة كاهله * (ويونس) هو يونس بن متى (ولوطا) هو
لوط بن هاران ابن اخى ابراهيم (وكلا فضلنا على العالمين) بالنبوة وفيه دليل
على فضلهم على من عداهم من الخلق (ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم)
عطف على كلا او نوحا اى فضلنا كلا منهم او هدينا هؤلاء وبعض آبائهم وذرياتهم
واخوانهم فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا (واجتبيناهم) عطف على فضلنا
او هدينا (وهديناهم الى صراط مستقيم) تكرير لبيان ماهدوا اليه (ذلك
هدى الله) اشارة الى مادانوا به (يهدى به من يشاء من عباده) دليل على انه
تعالى متفضل بالهداية (ولو اشركوا) اى ولو اشرك هؤلاء الانبياء مع
فضلهم وعلو شأنهم (لحبط عنهم ماكانوا يعملون) لكانوا كغيرهم فى حبوط
اعمالهم بسقوط ثوابها (اولئك الذين آتيناهم الكتاب) يريد به الجنس
(والحكم) الحكمة او فصل الامر على مايقتضيه الحق (والنبوة) والرسالة
(فان يكفر بها) اى بهذه الثلاثة (هؤلاء) يعنى قريشا (فقد وكلنا بها) اى
اى بمراعاتها (قوما ليسوا بها بكافرين) وهم الانبياء المذكورون ومتابعوهم
وقيل هم الانصار او اصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اوكل من آمن به
اوالفرس وقيل الملائكة عليهم السلام (اولئك الذين هدى الله) يريد الانبياء
المتقدم ذكرهم (فبهداهم اقتده) فاختص طريقهم بالاقتداء والمراد بهداهم
ماتوافقوا عليه من التوحيد واصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانها
ليست هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التأسى بهم جميعا فليس فيه دليل
على انه عليه الصلوة والسلام متعبد بشرع من قبله والهاء فى اقتده للوقف
ومن اثبتها فى الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وابى عمرو وعاصم اجرى
الوصل مجرى الوقف ويحذف الهاء فى الوصل خاصة حمزة والكسائى

للضمير فى اسكن ليعطف عليه
(وزوجك) حواء بالمد
(الجنة فكلا من حيث شئتما
ولا تقربا هذه الشجرة) بالاكل
منها وهى الحنطة (فتكونا
من الظالمين فوسوس لهما
الشيطان) ابليس (ليبدى)
يظهر (لهما ماوورى)
فوعل من المواراة (عنهما
من سوآتهما وقال مانهاكما
ربكما عن هذه الشجرة الا)
كراهة (أن تكونا ملكين)
وقرئ بكسر اللام (أو تكونا
من الخالدين) أى وذلك لازم
عن الاكل منها كما فى آية أخرى
هل أدلك على شجرة الخلد
وملك لا يبلى (وقاسمهما) أى
أقسم لهما بالله (انى لكما
لمن الناصحين) فى ذلك (فدلاهما)
حطهما عن منزلتهما (بغرور)
منه (فلما ذاقا الشجرة) أى
أكلا منها (بدت لهما سوآتهما)
أى ظهر لكل منهما قبله وقبل
الآخر ودبره وسمى كل منهما
سوءة لان انكشافه يسوء
صاحبه (وطفقا يخصفان)
أخذا يلزقان (عليهما من ورق
الجنة) ليستترا به (وناداهما
ربهما ألم أنهكما عن تلكما

واشبعها ابن عامر برواية ابن ذكوان ويكسر الهاء بغير اشباع برواية هشام على انها كناية المصدر (قل لااسألكم عليه) اى على التبليغ او القرآن (اجرا) اى جعلا من جهتكم كما لم يسأل من قبلى من النبيين وهذا من جملة ما امر بالاقتداء بهم فيه (ان هو) اى التبليغ او القرآن او الغرض (الا ذكرى للعالمين) الا تذكير وعظة لهم (وما قدروا الله حق قدره) وما عرفوا حق معرفته فى الرحمة والانعام على العباد (اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شئ) حين انكروا الوحى وبعثة الرسل وذلك من عظائم رحمته وجلائل نعمته اوفى السخط على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة والقائلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة فى انكار انزال القرآن بدليل نقض كلامهم والزامهم بقوله (قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا) وقراءة الجمهور بالتاء وانما قرأ بالياء ابن كثير وابو عمرو حملا على قالوا وماقدروا وتضمين ذلك توبيخهم على سوء جهلهم بالتورية وذمهم على تجزئتها بابداء بعض ما انتخبوه وكتبوه فى ورقات متفرقة واخفاء بعض لايشتهونه روى ان مالك ابن الصيف قاله لما اغضبه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله انشدك بالذى انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين قال نعم قال فانت الحبر السمين وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التورية لانه كان من المشهورات الذائعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم (وعلمتم) على لسان محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (مالم تعلموا انتم ولا آباؤكم) زيادة على مافى التورية وبيانا لما التبس عليكم وعلى آبائكم الذين كانوا اعلم منكم ونظيره ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش (قل الله) اى انزل الله اوالله انزله امره بان يجيب عنهم اشعارا بان الجواب متعين لايمكن غيره وتنبيها على انهم بهتوا بحيث لايقدرون على الجواب (ثم ذرهم فى خوضهم) فى اباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة (يلعبون) حال من هم الاول والظرف صلة ذرهم او يلعبون وحال من المفعول او فاعل يلعبون اومن هم الثانى والظرف متصل بالاول (وهذا كتاب انزلناه مبارك) كثير الفائدة والنفع (مصدق الذى بين يديه) يعنى التورية اوالكتب التى قبله (ولتنذر ام القرى) عطف على مادل عليه

(مبارك)

الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين) بين العداوة والاستفهام للتقرير (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا) بمعصيتنا (وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال اهبطوا) اى آدم وحواء بما اشتملتما عليه من ذريتكما (بعضكم) بعض الذرية (لبعض عدو) من ظلم بعضهم بعضا (ولكم فى الارض مستقر) مكان استقرار (ومتاع) تمتع (الى حين) تنقضى فيه آجالكم (قال فيها) أى الارض (تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) بالبعث بالبناء للفاعل والمفعول (يابنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا) أى خلقناه لكم (يوارى) يستر (سوآتكم وريشا) هو ما يتجمل به من الثياب (ولباس التقوى) العمل الصالح والسمت الحسن بالنصب عطف على لباسا والرفع مبتدأ خبره جملة (ذلك خير ذلك من آيات الله) دلائل قدرته (لعلهم يذكرون) فيؤمنون فيه التفات عن الخطاب (يابنى آدم لايفتننكم) يضلنكم (الشيطان) أى لاتتبعوه

مبارك اى للبركات ولتنذر او علة محذوف اى ولتنذر اهل ام القرى انزلناه وانما سميت مكة بذاك لانها قبلة اهل القرى ومحجهم ومجتمعهم واعظم القرى شأنا وقيل لان الارض دحيت من تحتها او لانها مكان اول بيت وضع للناس وقرأ ابو بكر عن عاصم بالياء اى ولينذر الكتاب (ومن حولها) اهل الشرق والغرب (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلوتهم يحافظون) فان من صدق بالآخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي والكتاب والضمير يحتملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلوة لانها عماد الدين وعلم الايمان (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة والاسود العنسى او اختلق عليه احكاما كعمر بن لحي ومتابعيه (او قال اوحى الى ولم يوح اليه شئ) كعبد الله بن سعد بن ابى سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ قوله ثم انشأناه خلقا آخر قال عبد الله فتبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحى الى كما اوحى اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال (ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله) كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا (ولو ترى اذ الظالمون) حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه اى ولو ترى الظالمين (فى غمرات الموت) شدائده من غمره الماء اذا غشيه (والملائكة باسطوا ايديهم) بقبض ارواحهم كالمتقاضى الملظ او بالعذاب (اخرجوا انفسكم) اى يقولون لهم اخرجوها الينا من اجسادكم تغليظا وتعنيفا عليهم او اخرجوها من العذاب وخلصوها من ايدينا (اليوم) يريد به وقت الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية له (تجزون عذاب الهون) اى الهوان يريد العذاب المتضمن لشدة واهانة واضافته الى الهون لعراقته وتمكنه فيه (بما كنتم تقولون على الله غير الحق) كادعاء الولد والشريك له ودعوى النبوة والوحي كاذبا (وكنتم عن آياته تستكبرون) فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون بها (ولقد جئتمونا) للحساب والجزاء (فرادى) منفردين عن الاموال والاولاد وسائر ما آثرتموه من الدنيا او عن الاعوان والاوثان التى زعمتم انها شفعاءكم وهو جمع فرد والالف للتأنيث ككسالى وقرئ فرادا كرخال وفراد كثلاث وفردى كسكرى (كما خلقناكم

فقتنوا (كما أخرج أبويكم) بفتنته (من الجنة ينزع) حال (عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما انه) أى الشيطان (يراكم هو وقبيله) جنوده (من حيث لا ترونهم) للطافة اجسادهم أو عدم ألوانهم (انا جعلنا الشياطين أولياء) اعوانا وقرناء (للذين لا يؤمنون واذا فعلوا فاحشة) كالشرك وطوافهم بالبيت عراة قائلين لا نطوف فى ثياب عصينا الله فيها فنهوا عنها (قالوا وجدنا عليها آباءنا) فاقتدينا بهم (والله أمرنا بها) أيضا (قل) لهم (ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون) أنه قاله استفهام انكار (قل أمر ربى بالقسط) العدل (وأقيموا) معطوف على معنى بالقسط أى قال أقسطوا وأقيموا أو قبله فاقبلوا مقدرا (وجوهكم) لله (عند كل مسجد) أى أخلصوا له سجودكم (وادعوه) اعبدوه (مخلصين له الدين) من الشرك (كما بدأكم) خلقكم ولم تكونوا شيئا (تعودون) أى يعيدكم أحياء يوم القيمة (فريقا) منكم

(هدى وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله) أى غيره (ويحسبون أنهم مهتدون يابنى آدم خذوا زينتكم) مايستر عورتكم (عند كل مسجد) عند الصلوة والطواف (وكلوا واشربوا) ماشئتم (ولا تسرفوا انه لايحب المسرفين قل) انكارا عليهم (من حرم زينة الله التى أخرج لعباده) من اللباس (والطيبات) المستلذات (من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحيوة الدنيا) بالاستحقاق وان شاركهم فيها غيرهم (خالصة) خاصة بهم بالرفع والنصب حال (يوم القيمة كذلك نفصل الآيات) نبينها مثل ذلك التفصيل (لقوم يعلمون) يتدبرون فانهم المنتفعون بها (قل انما حرم ربى الفواحش) الكبائر كالزنا (ماظهر منها وما بطن) أى جهرها وسرها (والاثم) المعصية (والبغى) على الناس (بغير الحق) هو الظلم (وأن تشركوا بالله مالم ينزل به) باشراكه (سلطانا) حجة

اول مرة) بدل منه اى على الهيئة التى ولدتم عليها فى الانفراد او حال ثانية ان جوز التعدد فيها او حال من الضمير فى فرادى اى مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا اى مجيئا كما خلقناكم (وتركتم ماخولناكم) ماتفضلنا به عليكم فى الدنيا فشغلتم به عن الآخرة (وراء ظهوركم) ماقدمتموه منه شيئا ولم تحملوا نقيرا (ومانرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء) اى شركاء الله فى ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم (لقد تقطع بينكم) اى تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الاضداد يستعمل للوصل والفصل وقيل هو الظرف اسند اليه الفعل على الاتساع والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد له قراءة نافع والكسائى وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل لدلالة ماقبله عليه واقيم مقام موصوفه واصله لقد تقطع مابينكم وقد قرئ به (وضل عنكم) ضاع وبطل (ماكنتم تزعمون) انها شفعاؤكم او ان لابعث ولاجزاء (ان الله فالق الحب والنوى) بالنبات والشجر وقيل المراد به الشقاق الذى فى الحنطة والنواة (يخرج الحى) يريد به ماينمو من الحيوان والنبات ليطابق ماقبله (من الميت) مما لاينمو كالنطف والحب (ومخرج الميت من الحى) ومخرج ذلك من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب فان قوله يخرج الحى واقع موقع البيان له (ذلكم الله) اى ذلكم المحيى المميت هو الذى يحق له العبادة (فانى تؤفكون) تصرفون عنه الى غيره (فالق الاصباح) شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل او عن بياض النهار اوشاق ظلمة الاصباح وهو الغبش الذى يليه والاصباح فى الاصل مصدر اصبح اذا دخل فى الصباح سمى به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب على المدح (وجاعل الليل سكنا) يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمأن اليه استئناسا به او يسكن فيه الخلق من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لابه فانه فى معنى الماضى ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به اوبه على ان المراد منه جعل مستمر فى الازمنة المختلفة وعلى هذا يجوز ان يكون (والشمس والقمر) عطفا على محل الليل ويشهد له قراءتهما بالجر والاحسن نصبهما بجعل مقدر وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اى مجعولان (حسبانا) اى على ادوار مختلفة تحسب بهما

(الاوقات)

الاوقات ويكونان علمى الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان (ذلك) اشارة الى جعلهما حسبانا اى ذلك التسيير بالحساب المعلوم (تقدير العزيز) الذى قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص (العليم) بتدبيرهما والانفع من التداوير الممكنة لهما (وهو الذى جعل لكم النجوم) خلقها لكم (لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر) فى ظلمات الليل فى البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة اوفى مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذكر بعدما اجملها بقوله لكم (قد فصلنا الآيات) بيناها فصلا فصلا (لقوم يعلمون) فانهم المنتفعون به (وهو الذى انشأكم من نفس واحدة) وهو آدم عليه السلام (فمستقر ومستودع) اى فلكم استقرار فى الاصلاب اوفوق الارض واستيداع فى الارحام اوتحت الارض اوموضع استقرار واستيداع وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر القاف على انه اسم فاعل والمستودع اسم مفعول اى فمنكم قار ومنكم مستودع لان الاستقرار منا دون الاستيداع (قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون) ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان امرها ظاهر ومع ذكر تخليق بنى آدم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر (وهو الذى أنزل من السماء ماء) من السحاب او من جانب السماء (فاخرجنا) على تلوين الخطاب (به) بالماء (نبات كل شئ) نبت كل صنف من النبات والمعنى اظهار القدرة فى انبات الانواع المفتنة المسقية بماء واحد كما فى قوله تعالى تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل (فاخرجنا منه) من النبات اوالماء (خضرا) شيئا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو الخارج من الحبة المتشعب (نخرج منه) من الخضر (حبا متراكبا) وهو السنبل (ومن النخل من طلعها قنوان) اى واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان او من النخل شيئا من طلعها قنوان ويجوز ان يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو الاعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع اذليس فعلان من ابنية الجمع (دانية) قريبة من المتناول اوملتفة قريب بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها (وجنات من اعناب)

(وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) من تحريم مالم يحرم وغيره (ولكل أمة أجل) مدة (فاذا جاء أجلهم لايستأخرون) عنه (ساعة ولا يستقدمون) عليه (يابنى آدم اما) فيه ادغام نون ان الشرطية فى ما المزيدة (يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى) الشرك (وأصلح) عمله (فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون) فى الآخرة (والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا) تكبروا (عنها) فلم يؤمنوا بها (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون فمن) أى لاأحد (أظلم ممن افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك والولد اليه (أو كذب بآياته) القرآن (أولئك ينالهم) يصيبهم (نصيبهم) حظهم (من الكتاب) مما كتب لهم فى اللوح المحفوظ من الرزق والاجل وغير ذلك (حتى اذا جاءتهم رسلنا) اى الملائكة (يتوفونهم قالوا) لهم تبكيتا (أين ما كنتم تدعون) تعبدون (من دون الله قالوا ضلوا) غابوا (عنا) فلم نرهم (وشهدوا

عطف على نبات كل شيء وقرئ بالرفع على الابتداء اى ولكم اوثم جنات اومن الكرم جنات ولايجوز عطفه على قنوان اذ العنب لايخرج من النخل (والزيتون والرمان) ايضا عطف على نبات او نصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم (مشتبها وغير متشابه) حال من الرمان او من الجمع اى بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه فى الهيئة والقدر والطعم واللون (انظروا الى ثمره) اى ثمر كل واحد من ذلك وقرأ حمزة والكسائى بضم الثاء والميم وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب اوثمار ككتاب وكتب (اذا اثمر) اذا اخرج ثمره كيف يثمر ضئيلا لايكاد ينتفع به (وينعه) والى حال نضجه اوالى نضجه كيف يعود ضخما ذا نفع ولذة وهو فى الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه ويانعه (ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) اى لآيات دالة على وجود القادر الحكيم وتوحيده فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع المفتنة من اصل واحد ونقلها من حال الى حال لايكون الاباحداث عالم قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ماتقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها ولايعوقه عن فعله ند يعارضه اوضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به والرد عليه فقال (وجعلوا لله شركاء الجن) اى الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم اوالشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع الله تعالى اوعبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم اوقالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو رأى الثنوية ومفعولا جعلوا لله شركاء والجن بدل من شركاء اوشركاء الجن ولله متعلق بشركاء اوحال منه وقرئ الجن بالرفع كأنه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة للتبيين (وخلقهم) حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا ان الله تعالى خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لايخلق وقرئ وخلقهم عطفا على الجن اى ومايخلقونه من الاصنام اوعلى شركاء اى وجعلوا له اختلاقهم للافك حيث نسبوه اليه (وخرقوا له) افتعلوا وافتروا له وقرأ نافع بتشديد الراء للتكثير وقرئ وحرفوا اى وزوروا (بنين وبنات) فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله (بغير علم) من غير ان يعلموا حقيقة ماقالوا ويروا عليه دليلا وهو فى موضع الحال من الواو اوالمصدر اى خرقا بغير علم (سبحانه وتعالى عما يصفون) وهو ان له شريكا اوولدا (بديع السموات

(والارض)

على أنفسهم) عند الموت (أنهم كانوا كافرين قال) تعالى لهم يوم القيمة (ادخلوا فى) جملة (أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النار) متعلق بادخلوا (كلما دخلت أمة) النار (لعنت أختها) التى قبلها لضلالها بها (حتى اذا اداركوا) تلاحقوا (فيها جميعا قالت أخراهم) وهم الاتباع (لاولاهم) أى لاجلهم وهم المتبوعون (ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا) مضعفا (من النار قال) تعالى (لكل) منكم ومنهم (ضعف) عذاب مضعف (ولكن لايعلمون) بالياء والتاء مالكل فريق (وقالت أولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل) لانكم لم تكفروا بسببنا فنحن وأنتم سواء قال تعالى لهم (فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا) تكبروا (عنها) فلم يؤمنوا بها (لاتفتح لهم أبواب السماء) اذا عرج بأرواحهم اليها بعد الموت فيهبط بها الى سجين بخلاف المؤمن

والارض) من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اوالى الظرف كقولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيهما وقيل معناه المبدع وقدسبق الكلام فيه ورفعه على الخبر والمبتدأ محذوف اوعلى الابتداء وخبره (انى يكون له ولد) اى من اين اوكيف يكون له ولد (ولم تكن له صاحبة) يكون منها الولد وقرئ بالياء للفصل اولان الاسم ضميرالله اوضمير الشان (وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم) لايخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول وفى الآية استدلال على نفى الولد من وجوه الاول ان من مبدعاته السموات والارضون وهى مع انها من جنس مايوصف بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها وطول مدتها فهو اولى بان يتعالى عنها والثانى ان المعقول من الولد مايتولد من ذكر وانثى متجانسين والله تعالى منزه عن المجانسة والثالث ان الولد كفؤ الوالد ولا كفؤ له بوجهين الاول ان كل ماعداه مخلوقه فلا يكافئه والثانى انه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع (ذلكم) اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدأ (الله ربكم لااله الاهو خالق كل شئ) اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا اوصفة والبعض خبرا (فاعبدوه) حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة (وهو على كل شئ وكيل) اى وهو مع تلك الصفات متولى اموركم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم ورقيب على اعمالكم فيجازيكم عليها (لاتدركه) اى لاتحيط به (الابصار) جمع بصر وهى حاسة النظر وقديقال للعين من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية وهوضعيف لانه ليس الادراك مطلق الرؤية ولاالنفى فى الآية عاما فى الاوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا فى الاشخاص فانه فى قوة قولنا لاكل بصر يدركه مع ان النفى لايوجب الامتناع (وهو يدرك الابصار) يحيط علمه بها (وهو اللطيف الخبير) فيدرك مالاتدركه الابصار كالابصار ويجوز ان يكون من باب اللف اى لاتدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لمالايدرك بالحاسة ولاينطبع فيها (قدجاءكم بصائر من ربكم) البصائر جمع بصيرة وهى للنفس كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لانها تجلى لها الحق وتبصرها به (فمن ابصر) اى ابصر الحق وآمن به (فلنفسه) ابصر لان نفعه لها (ومن عمى) عن الحق وضل

فتفتح له ويصعد بروحه الى السماء السابعة كما ورد فى حديث (ولايدخلون الجنة حتى يلج) يدخل (الجمل فى سم الخياط) ثقب الابرة وهو غير ممكن فكذا دخولهم (وكذلك) الجزاء (نجزى المجرمين) بالكفر (لهم من جهنم مهاد) فراش (ومن فوقهم غواش) أغطية من النار جمع غاشية وتنوينه عوض من الياء المحذوفة (وكذلك نجزى الظالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات) مبتدأ وقوله (لانكلف نفسا الاوسعها) طاقتها من العمل اعتراض بينه وبين خبره وهو (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ونزعنا مافى صدورهم من غل) حقد كان بينهم فى الدنيا (تجرى من تحتهم) تحت قصورهم (الانهار وقالوا) عند الاستقرار فى منازلهم (الحمد لله الذى هدانا لهذا) العمل الذى هذا جزاؤه (وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله) حذف جواب لولا لدلالة ماقبله عليه (لقدجاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن) مخففة أى انه أو مفسرة

(فعليها) وباله (وماانا عليكم بحفيظ) وانما انامنذر والله هوالحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا كلام ورد على لسان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (وكذلك نصرف الآيات) ومثل ذلك التصريف نصرف وهواجراء المعنى الدائر فى المعانى المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشيء من حال الى حال (وليقولوا درست) اى وليقولوا درست صرفنا واللام لام العاقبة والدرس القراءة والتعلم وقرأ ابن كثير وابوعمرو دارست اى دارست اهل الكتاب وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب درست من الدروس اى قدمت هذه الآيات وعفت كقولهم اساطير الاولين وقرئ درست بضم الراء مبالغة فى درست ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت اوعفيت ودارست بمعنى درست اودارست اليهود محمدا وجاز اضمارهم بلاذكر لشهرتهم بالدراسة ودرسن اى عفون ودرس اى درس محمد ودارسات اى قديمات اوذات درس كقوله تعالى * فى عيشة راضية * (ولنبينه) اللام على اصله لان التبيين مقصود التصريف والضمير للآيات باعتبار المعنى اوللقرآن وان لم يذكر لكونه معلوما اوللمصدر (لقوم يعلمون) فانهم المنتفعون به (اتبع مااوحى اليك من ربك) بالتدين به (لا اله الا هو) اعتراض اكد به ايجاب الاتباع اوحال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا فى الالوهية (واعرض عن المشركين) ولا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الى آرائهم ومن جعله منسوخا بآية السيف حمل الاعراض على مايعم الكف عنهم (ولوشاء الله) توحيدهم وعدم اشراكهم (مااشركوا) وهودليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر وان مراده واجب الوقوع (وماجعلناك عليهم حفيظا) رقيبا (وماانت عليهم بوكيل) تقوم بامورهم (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله) اى لا تذكروا آلهتهم التى يعبدونها بما فيها من القبائح (فيسبوا الله عدوا) تجاوزا عن الحق الى الباطل (بغير علم) على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به وقرأ يعقوب عدوا يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعداء وعدوانا روى انه عليه السلام كان يطعن فى آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا اولنهجون الهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله تعالى وفيه دليل على ان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان مايؤدى الى الشر شر (كذلك زينا لكل امة عملهم) من الخير والشر باحداث مايمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا

(وتخذيلا)

فى المواضع الخمسة (تلكموا الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار) تقريرا وتبكيتا (أن قد وجدنا ماوعدنا ربنا) من الثواب (حقا فهل وجدتم ماوعد) كم (ربكم) من العذاب (حقا قالوا نعم فأذن مؤذن) نادى مناد (بينهم) بين الفريقين اسمعهم (أن لعنة الله على الظالمين الذين يصدون) الناس (عن سبيل الله) دينه (ويبغونها) اى يطلبون السبيل (عوجا) معوجة (وهم بالآخرة كافرون وبينهما) أى أصحاب الجنة والنار (حجاب) حاجز قيل هوسور الاعراف (وعلى الاعراف) وهوسور الجنة (رجال) استوت حسناتهم وسيآتهم كما فى الحديث (يعرفون كلا) من أهل الجنة والنار (بسيماهم) بعلامتهم وهى بياض الوجوه للمؤمنين وسوادها للكافرين لرؤيتهم لهم اذموضعهم عال (ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم) قال تعالى (لم يدخلوها) أى أصحاب الاعراف الجنة (وهم

وتخذيلا ويجوز تخصيص العمل بالشر وكل امة بالكفرة لان الكلام فيهم والمشبه به تزيين سب الله لهم (ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون) بالمحاسبة والمجازاة عليه (واقسموا بالله جهد ايمانهم) مصدر في موقع الحال والداعي لهم الى هذا القسم والتأكيد فيه التحكم على الرسول عليه الصلوة والسلام في طلب الآيات واستحقار ماراوا منها (لئن جاءتهم آية) من مقترحاتهم (ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله) هو قادر عليها يظهر منها مايشاء وليس شئ منها بقدرتي وارادتي (ومايشعركم) ومايدريكم استفهام انكار (انها) اى ان الآية المقترحة (اذا جاءت لايؤمنون) اى لاتدرون انهم لايؤمنون انكر السبب مبالغة في نفي المسبب وفيه تنبيه على انه تعالى انما لم ينزلها لعلمه بانها اذا جاءت لايؤمنون بها وقيل لامزيدة وقيل ان بمعنى لعل اذ قرئ لعلها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر عن عاصم ويعقوب انها بالكسر كأنه قال ومايشعركم مايكون منهم ثم اخبرهم بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون مجئ الآية طمعا في ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين اذ قرأ ابن عامر وحمزة لاتؤمنون بالتاء وقرئ ومايشعرهم انها اذا جاءتهم فيكون انكارا لهم على حلفهم اى ومايشعرهم ان قلوبهم حينئذ لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات فيؤمنون بها (ونقلب افئدتهم وابصارهم) عطف على لايؤمنون اى ومايشعركم انا حينئذ نقلب افئدتهم عن الحق فلايفقهونه وابصارهم فلايبصرونه فلايؤمنون بها (كما لم يؤمنوا به) اى بما انزل من الآيات (اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) وندعهم متحيرين لانهديهم هداية المؤمنين وقرئ ويقلب ويذرهم على الغيبة وتقلب على البناء للمفعول والاسناد الى الافئدة (ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا) كما اقترحوا فقالوا لولا انزل علينا الملائكة فأتوا بآبائنا اوتأتي بالله والملائكة قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل اى كفلاء بما بشروا وانذروا به اوجمع قبيل الذي هو جمع قبيلة بمعنى جماعات اومصدر بمعنى مقابلة كقبلا وهو قراءة نافع وابن عامر وهو على الوجوه حال من كل وانما جاز ذلك لعمومه (ماكانوا ليؤمنوا) لماسبق عليهم القضاء بالكفر (الا ان يشاء الله) استثناء من اعم الاحوال اى لايؤمنون في حال الاحال مشيئة الله تعالى ايمانهم وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة (ولكن اكثرهم يجهلون) انهم

يطمعون) في دخولها قال الحسن لم يطمعهم الا لكرامة يريدها بهم وروى الحاكم عن حذيفة قال بيناهم كذلك اذ طلع عليهم ربك فقال قوموا ادخلوا الجنة فقد غفرت لكم (واذا صرفت ابصارهم) اى اصحاب الاعراف (تلقاء) جهة (اصحاب النار قالوا ربنا لاتجعلنا) في النار (مع القوم الظالمين ونادى اصحاب الاعراف رجالا) من اصحاب النار (يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم) من النار (جمعكم) المال اوكثرتكم (وما كنتم تستكبرون) اى واستكباركم عن الايمان ويقولون لهم مشيرين الى ضعفاء المسلمين (أهؤلاء الذين اقسمتم لاينالهم الله برحمة) قد قيل لهم (ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولا انتم تحزنون) وقرئ ادخلوا بالبناء للمفعول ودخلوا فجملة النفي حال اى مقولا لهم ذلك (ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء اومما رزقكم الله) من الطعام (قالوا

لو اوتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد ايمانهم على مايشعرون ولذلك اسند الجهل الى اكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم اولكن اكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الآية طمعا فى ايمانهم (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا) اى كما جعلنالك عدوا جعلنا لكل نبى سبقك عدوا وهو دليل على ان عدواة الكفرة للانبياء بفعل الله وخلقه (شياطين الانس والجن) مردة الفريقين وهو بدل من عدوا او مفعولى جعلنا وعدوا مفعوله الثانى ولكل متعلق به اوحال منه (يوحى بعضهم الى بعض) يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس اوبعض الجن الى بعض اوبعض الانس الى بعض (زخرف القول) الاباطيل المموهة من زخرفه اذازينه (غرورا) مفعول له او مصدر فى موقع الحال (ولوشاء ربك) ايمانهم (مافعلوه) اى مافعلوا ذلك يعنى معاداة الانبياء وايحاء الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحاء او الزخرف اوالغرور وهو ايضا دليل على المعتزلة (فذرهم ومايفترون) وكفرهم (ولتصغى اليه افئدة الذين لايؤمنون بالآخرة) عطف على غرورا ان جعل علة اومتعلق بمحذوف اى وليكون ذلك جعلنا لكل نبى عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة اولام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون اولام الامر وضعفه اظهر والصغو الميل والضمير لما له الضمير فى فعلوه (وليرضوه) لانفسهم (وليقترفوا) وليكتسبوا (ماهم مقترفون) من الآثام (افغير الله ابتغى حكما) على ارادة القول اى قل لهم يامحمد افغير الله اطلب من يحكم بينى وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول ابتغى وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما ابلغ من حاكم ولذلك لايوصف به غير العادل (وهو الذى انزل اليكم الكتاب) القرآن المعجز (مفصلا) مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفى التخليط والالتباس وفيه تنبيه على ان القرآن باعجازه وتقريره مغن عن سائر الآيات (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق) تأييد لدلالة الاعجاز على ان القرآن حق منزل من عندالله يعلم اهل الكتاب به لتصديقه ماعندهم مع انه عليه الصلوة والسلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وانما وصف جميعهم بالعلم لان اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بأدنى تأمل وقيل المراد مؤمنوا اهل الكتاب وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد (فلاتكونن من الممترين) فى انهم يعلمون ذلك او فى انه منزل

ان الله حرمهما) منعهما (على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننساهم) نتركهم فى النار (كما نسوا لقاء يومهم هذا) بتركهم العمل له (وما كانوا بآياتنا يجحدون) اى وكما جحدوا (ولقد جئناهم) أهل مكة (بكتاب) قرآن (فصلناه) بيناه بالاخبار والوعد والوعيد (على علم) حال أى عالمين بما فصل فيه (هدى) حال من الهاء (ورحمة لقوم يؤمنون) به (هل ينظرون) ماينتظرون (الا تأويله) عاقبته ٢ (يوم يأتى تأويله) هو يوم القيمة (يقول الذين نسوه من قبل) تركوا الايمان به (قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او) هل (نرد) الى الدنيا (فنعمل غير الذى كنا نعمل) نوحد الله ونترك الشرك فيقال لهم لا قال تعالى (قد خسروا أنفسهم) أى صاروا الى الهلاك (وضل) ذهب (عنهم ما كانو يفترون) من دعوى الشريك (ان ربكم

(٢) عاقبة مافيه نسخه

(بجحود)

بجحود اكثرهم وكفرهم به فيكون من باب التهييج كقوله ولاتكونن من المشركين اوخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم كخطاب الامة وقيل الخطاب لكل احد على معنى ان الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغى لاحد ان يمترى فيه (وتمت كلمات ربك) بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعيده (صدقا) فى الاخبار والمواعيد (وعدلا) فى الاقضية والاحكام ونصبهما يحتمل التميز والحال والمفعول له (لامبدل لكلماته) لااحد يبدل شيئا منها بماهو اصدق واعدل اولااحد يقدر ان يحرفها شائعا ذائعا كافعل بالتورية على ان المراد بها القرآن فيكون ضمانا لها من الله تعالى بالحفظ كقوله وانا له لحافظون اولانبى ولاكتاب بعدها ينسخها ويبدل احكامها وقرأ الكوفيون ويعقوب كلمة ربك اى ماتكلم به اوالقرآن (وهو السميع) لما يقولون (العليم) بما يضمرون فلا يهملهم (وان تطع اكثر من فى الارض) اى اكثر الناس يريد الكفار اوالجهال اوتباع الهوى وقيل الارض ارض مكة (يضلوك عن سبيل الله) عن الطريق الموصل اليه فان الضال فى غالب الامر لايأمر الا بمافيه ضلال (ان يتبعون الا الظن) وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق اوجهالاتهم وآراءهم الفاسدة فان الظن يطلق على مايقابل العلم (وان هم الا يخرصون) يكذبون على الله فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم البحائر اويقدرون انهم على شىء وحقيقته مايقال عن ظن وتخمين (ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) اى اعلم بالفريقين ومن موصولة اوموصوفة فى محل النصب بفعل دل عليه اعلم لابه فان افعل لاينصب الظاهر فى مثل ذلك اواستفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ من يضل اى يضله الله فتكون من منصوبة بالفعل المقدر اومجرورة باضافة اعلم اليه اى اعلم المضلين من قوله تعالى من يضلل الله اومن اضللته اذا وجدته ضالا والتفضيل فى العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التى يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لابالغير (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحللون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لامما ذكر عليه اسم غيره اومات حتف انفه (ان كنتم بآياته مؤمنين) فان الايمان بها يقتضى استباحة مااحله الله واجتناب ماحرمه (ومالكم ان لاتأكلوا

الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام) من أيام الدنيا أى فى قدرها لانه لم يكن ثم شمس ولوشاء خلقهن فى لمحة والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت (ثم استوى على العرش) هو فى اللغة سرير الملك استواء يليق به (يغشى الليل النهار) مخففا ومشددا أى يغطى كلا منهما بالآخر (يطلبه) يطلب كل منهما الآخر طلبا (حثيثا) سريعا (والشمس والقمر والنجوم) بالنصب عطفا على السموات والرفع مبتدأ خبره (مسخرات) مذللات (بأمره) بقدرته (ألا له الخلق) جميعا (والامر) كله (تبارك) تعاظم (الله رب) مالك (العالمين ادعوا ربكم تضرعا) حال تذللا (وخفية) سرا (انه لايحب المعتدين) فى الدعاء بالتشدق ورفع الصوت (ولاتفسدوا فى الارض) بالشرك والمعاصى (بعد اصلاحها) ببعث الرسل (وادعوه خوفا) من عقابه (وطمعا) فى رحمته (ان رحمة الله قريب من المحسنين) المطيعين وتذكير قريب المخبر به

بماذكر اسم الله عليه) واى غرض لكم فى ان تخرجوا عن اكله ومايمنعكم عنه
(وقد فصل لكم ماحرم عليكم) مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة وقرأ
ابن كثير وابوعمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول ونافع ويعقوب
وحفص حرم على البناء للفاعل (الا مااضطررتم اليه) مما حرم عليكم فانه
ايضا حلال حال الضرورة (وان كثيرا ليضلون) بتحليل الحرام وتحريم
الحلال قرأه الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح (باهوائهم بغير علم)
بتشهيهم من غير تعلق بدليل يفيد العلم (ان ربك هواعلم بالمعتدين)
بالمتجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام (وذروا ظاهر الاثم
وباطنه) مايعلن به ومايسر اومابالجوارح ومابالقلب وقيل الزنى فى الحوانيت
واتخاذ الاخدان (ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون)
يكتسبون (ولاتأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) ظاهر فى تحريم متروك
التسمية عمدا او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد مثله وقال مالك والشافعى
بخلافه لقوله عليه الصلوة والسلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله
عليها وفرق ابو حنيفة بين العمد والنسيان واولوه بالميتة او بماذكر غير
اسم الله عليه لقوله (وانه لفسق) فان الفسق مااهل لغير الله به والضمير لما
ويجوز ان يكون للاكل الذى دل عليه لاتأكلوا (وان الشياطين ليوحون)
ليوسوسون (الى اوليائهم) من الكفار (ليجادلوكم) بقولهم تأكلون ماقتلتم
انتم وجوارحكم وتدعون ماقتله الله وهو يؤيد التأويل بالميتة (وان اطعتموهم)
فى استحلال ماحرم (انكم لمشركون) فان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره
واتبعه فى دينه فقد اشرك وانما حسن حذف الفاء فيه لان الشرط بلفظ الماضى
(اومن كان ميتا فاحييناه وجعلناله نورا يمشى به فى الناس)مثل به من هداه الله
وانقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتأمل بها فى الاشياء
فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل وقرأ نافع ويعقوب ميتا على الاصل
(كمن مثله) صفته وهو مبتدأ خبره (فى الظلمات) وقوله (ليس بخارج منها)
حال من المستكن فى الظرف لامن الهاء فى مثله للفصل وهو لمن بقى على
الضلالة لايفارقها بحال (كذلك) كمازين للمؤمنين ايمانه (زين للكافرين
ماكانوا يعملون) والآية نزلت فى حمزة وابى جهل وقيل فى عمر اوعمار
وابى جهل (وكذلك جعلنافى كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها) اى كما جعلنا
فى مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا

عن رحمة لاضافتها الى الله
(وهو الذى يرسل الرياح
بشرا بين يدى رحمته) اى
متفرقة قدام المطر وفى قراءة
بسكون الشين تخفيفا وفى
أخرى بسكونها وفتح النون
مصدرا وفى أخرى بسكونها
وضم الموحد بدل النون
اى مبشرا ومفردالاولى نشور
كرسول والاخيرة بشير (حتى
اذا أقلت) حملت الرياح
(سحابا ثقالا) بالمطر (سقناه)
اى السحاب وفيه التفات
عن الغيبة (لبلد ميت) لانبات
به اى لاحيائها (فانزلنا به)
بالبلد (الماء فاخرجنا به)
بالماء (من كل الثمرات كذلك)
الاخراج (نخرج الموتى)
من قبورهم بالاحياء (لعلكم
تذكرون) فتؤمنون
(والبلد الطيب) العذب
التراب (يخرج نباته)
حسنا (باذن ربه)هذا مثل
للمؤمن يسمع الموعظة فينتفع
بها (والذى خبث) ترابه
(لايخرج) نباته (الا نكدا)
عسرا بمشقة وهذا مثل
للكافر (كذلك) كما بينا
ماذكر (نصرف) نبين
(الآيات لقوم يشكرون)

فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثانى اوفى كل قرية اكابر ومجرميها بدل ويجوز ان يكون مضافا اليه ان فسر الجعل بالتمكين و افعل التفضيل اذا اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها وتخصيص الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس والمكر بهم (وما يمكرون الا بانفسهم) لان وباله يحيق بهم (وما يشعرون) ذلك (واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن) لك (حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله) يعنى كفار قريش لما روى ان اباجهل قال زاحمنا بنى عبد مناف فى الشرف حتى اذا صرنا كفرسى رهان قالوا منا نبى يوحى اليه والله لانرضى به الا ان يأتينا وحى كما يأتيه فنزلت (الله اعلم حيث يجعل رسالاته) استئناف للرد عليهم بان النبوة ليست بالنسب والمال وانما هى بفضائل نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده فيجتبى لرسالته من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذى فيه يضعها وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته (سيصيب الذين اجرموا صغار) ذل وحقارة بعد كبرهم (عندالله) يوم القيمة وقيل تقديره من عند الله (وعذاب شديد بما كانوا يمكرون) بسبب مكرهم اوجزاء على مكرهم (فمن يرد الله ان يهديه) يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان (يشرح صدره للاسلام) فيتسع له و يفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه و ينافيه واليه اشار عليه الصلوة والسلام حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله فى قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله (ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقرأ ابن كثير ضيقا بالتخفيف ونافع وابوبكر عن عاصم حرجا بالكسر اى شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا بالمصدر (كانما يصعد فى السماء) شبهه مبالغة فى ضيق صدره بمن يزاول مالا يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه به على ان الايمان يمتنع منه كما يمتنع عنه الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوّا عن الحق وتباعدا فى الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرأ ابن كثير يصعد وابو بكر عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد (كذلك) اى كما يضيق صدره و يبعد قلبه عن الحق (يجعل الله الرجس على الذين

مالكم من اله غيره) بالجر صفة لاله والرفع بدل من محله (انى أخاف عليكم) ان عبدتم غيره (عذاب يوم عظيم) هو يوم القيمة (قال الملأ) الاشراف (من قومه انا لنراك فى ضلال مبين) بين (قال ياقوم ليس بى ضلالة) هى أعم من الضلال فنفيها أبلغ من نفيه (ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم) بالتخفيف والتشديد (رسالات ربى وأنصح) أريد الخير (لكم وأعلم من الله مالا تعلمون أ) كذبتم (وعجبتم أن جاءكم ذكر) موعظة (من ربكم على) لسان (رجل منكم لينذركم) العذاب ان لم تؤمنوا (ولتتقوا) الله (ولعلكم ترحمون) بها (فكذبوه فانجيناه والذين معه) من الغرق (فى الفلك) السفينة (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) بالطوفان (انهم كانوا قوما عمين) عن الحق (و) أرسلنا (الى عاد) الاولى (أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله) وحدوه (مالكم من اله غيره أفلا تتقون) تخافونه فتؤمنون (قال الملأ الذين كفروا من قومه

انا لنراك فى سفاهة) جهالة (وانا لنظنك من الكاذبين) فى رسالتك (قال ياقوم

لا يؤمنون) يجعل العذاب اوالخذلان عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل (وهذا) اشارة الى البيان الذى جاء به القرآن اوالى الاسلام اوالى ماسبق من التوفيق والخذلان (صراط ربك) الطريق الذى ارتضاه اوعادته وطريقه الذى اقتضته حكمته (مستقيما) لاعوج فيه اوعادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله وهوالحق مصدقا اومقيدة والعامل فيها معنى الاشارة (قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون) فيعلمون ان القادر هو الله تعالى وان كل مايحدث من خير اوشر فهو بقضائه وخلقه وانه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم (لهم دار السلام) دار الله اضاف الجنة الى نفسه تعظيما لها اودار السلامة من المكاره اودار تحيتهم فيها سلام (عند ربهم) فى ضمانه اوذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره (وهو وليهم) مواليهم اوناصرهم (بما كانوا يعملون) بسبب اعمالهم اومتوليهم بجزائها فيتولى ايصاله اليهم (ويوم نحشرهم جميعا) نصب باضمار اذكر اونقول والضمير لمن يحشر من الثقلين وقرأ حفص عن عاصم وروح عن يعقوب يحشرهم بالياء (يامعشر الجن) يعنى الشياطين (قد استكثرتم من الانس) اى من اغوائهم واضلالهم اومنهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود (وقال اولياؤهم من الانس) الذين اطاعوهم (ربنا استمتع بعضنا ببعض) اى انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات ومايتوصل به اليها والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم من المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم (وبلغنا اجلنا الذى اجلت لنا) اى البعث وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم (قال النار مثواكم) منزلكم اوذات مثواكم (خالدين فيها) حال والعامل فيها مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا (الاماشاء الله) الا الاوقات التى ينقلون فيها من النار الى الزمهرير وقيل الاماشاء قبل الدخول كأنه قيل النار مثواكم ابدا الاماامهلكم (ان ربك حكيم) فى افعاله (عليم) باعمال الثقلين واحوالهم (وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا) نكل بعضهم الى بعض اونجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم اواولياء بعض وقرناءهم فى العذاب كما كانوا فى الدنيا (بما كانوا يكسبون)

مأمون على الرسالة (أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على) لسان (رجل منكم لينذركم واذكروا اذجعلكم خلفاء) فى الارض (من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة) قوة وطولا وكان طويلهم مائة ذراع وقصيرهم ستين (فاذكروا آلاء الله) نعمه (لعلكم تفلحون) تفوزون (قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر) نترك (ماكان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا) به من العذاب (ان كنت من الصادقين) فى قولك (قال قد وقع) وجب (عليكم من ربكم رجس) عذاب (وغضب أتجادلوننى فى أسماء سميتموها) أى سميتم بها (أنتم وآباؤكم) أصناما تعبدونها (مانزل الله بها) أى بعبادتها (من سلطان) حجة وبرهان (فانتظروا) العذاب (انى معكم من المنتظرين) ذلكم بتكذيبكم لى فارسلت عليهم الريح العقيم (فانجيناه) أى هودا (والذين معه) من المؤمنين (برحمة منا وقطعنا دابر) القوم (الذين كذبوا بآياتنا) أى استأصلناهم (وماكانوا مؤمنين) عطف على كذبوا (و) أرسلنا (الى ثمود) بترك الصرف (من)

من الكفر والمعاصى (يامعشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم) الرسل من الانس خاصة لكن لما جمعوا مع الجن فى الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح دون العذب وتعلق بظاهره قوم وقالوا ابعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل الرسل اليهم لقوله تعالى * ولوا الى قومهم منذرين * (يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا) يعنى يوم القمية (قالوا) جوابا (شهدنا على انفسنا) بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب (وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين) ذم لهم على سوء نظرهم وخطأ رأيهم فانهم اغتروا بالحيوة الدنيوية واللذات المخدجة واعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم (ذلك) اشارة الى ارسال الرسل وهو خبر مبتدأ محذوف اى الامر ذلك (ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون) تعليل للحكم وان مصدرية او مخففة من الثقيلة اى الامر ذلك لانتفاء كون ربك اولان الشأن لم يكن ربك مهلك اهل القرى بسبب ظلم فعلوه او ملتبسين بظلم اوظالما وهم غافلون لم ينبهوا برسول او بدل من ذلك (ولكل) من المكلفين (درجات) مراتب (مما عملوا) من اعمالهم او من جزائها او من اجلها (وما ربك بغافل عما يعملون) فيخفى عليه عمل او قدر ما يستحق به من ثواب او عقاب وقرأ ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة (وربك الغنى) عن العباد والعبادة (ذو الرحمة) يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصى وفيه تنبيه على ان ماسبق ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتأسيس لما بعده وهو قوله (ان يشأ يذهبكم) اى مابه اليكم حاجة ان يشأ يذهبكم ايها العصاة (ويستخلف من بعدكم مايشاء) من الخلق (كما انشأكم من ذرية قوم آخرين) اى قرنا بعد قرن لكنه ابقاكم ترحما عليكم (انما توعدون) من البعث واحواله (لآت) لكائن لامحالة (وما انتم بمعجزين) طالبكم به (قل ياقوم اعملوا على مكانتكم) على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على ناحيتكم وجهتكم وحالتكم التى انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرأ ابوبكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع فى كل القرآن وهو امر تهديد

معجزة (من ربكم) على صدقى (هذه ناقة الله لكم آية) حال عاملها معنى الاشارة وكانوا سألوه أن يخرجها لهم من صخرة عينوها (فذروها تاكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء) بعقر أو ضرب (فيأخذكم عذاب أليم واذكروا اذ جعلكم خلفاء) فى الارض (من بعد عاد وبوأكم) أسكنكم (فى الارض تتخذون من سهولها قصورا) تسكنونها فى الصيف (وتنحتون الجبال بيوتا) تسكنونها فى الشتاء ونصبه على الحال المقدرة (فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه) تكبروا عن الايمان به (للذين استضعفوا لمن آمن منهم) أى من قومه بدل مما قبله باعادة الجار (أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه) اليكم (قالوا) نعم (انا بما ارسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون) وكانت الناقة لها يوم فى الماء ولهم يوم فملوا ذلك (فعقروا الناقة)

عقرها قدار بامرهم بان قتلها بالسيف (وعتوا عن امر ربهم وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا) به من العذاب

من السماء (فاصبحوا فى دارهم جاثمين) باركين على الركب ميتين (فتولى) أعرض صالح (عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لاتحبون الناصحين و) اذكر (لوطا) ويبدل منه (اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة) أى أدبار الرجال (ماسبقكم بها من أحد من العالمين) الانس والجن (أئنكم) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وادخال الالف بينهما على الوجهين (لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون) متجاوزون الحلال الى الحرام (وماكان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوهم)أى لوطا وأتباعه (من قريتكم انهم أناس يتطهرون) من أدبار الرجال (فأنجيناه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين) الباقين فى العذاب (وأمطرنا عليهم مطرا) هو حجارة السجيل فأهلكتهم (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين و) أرسلنا (الى مدين أخاهم شعيبا قال

والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم (انى عامل) ماكنت عليه من المصابرة والثبات على الاسلام والتهديد بصيغة الامر مبالغة فى الوعيد كأن المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على مايفضى به اليه وتسجيل بان المهدد لايأتى منه الا الشر كالمأمور به الذى لايقدر ان يتقصى عنه (فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار) ان جعل من استفهامية بمعنى اينا تكون له العاقبة الحسنى التى خلق الله لها هذه الدار فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وان جعلت خبرية فالنصب بتعلمون اى فسوف تعرفون الذى يكون له عاقبة الدار وفيه مع الانذار انصاف فى المقال وحسن الادب وتنبيه على وثوق المنذر بانه محق وقرأ حمزة والكسائى يكون بالياء لان تأنيث العاقبة غير حقيقى (انه لايفلح الظالمون) وضع الظالمين موضع الكافرين لانه اعم واكثر فائدة (وجعلوا) اى مشركوا العرب (لله مما ذرا) خلق (من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلايصل الى الله وماكان لله فهو يصل الى شركائهم) روى انهم كانوا يعينون شيئا من حرث ونتاج لله ويصرفونه الى الضيفان والمساكين وشيئا منهما لآلهتهم وينفقونه على سدنتها ويذبحون عندها ثم ان رأوا ماعينوا لله ازكى بدلوه بما لآلهتهم وان رأوا ما لآلهتهم ازكى تركوه لها حبا لآلهتهم وفى قوله مما ذرأ تنبيه على فرط جهالتهم فانهم اشركوا الخالق فى خلقه جمادا لايقدر على شئ ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزاكى له وفى قوله بزعمهم تنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله به وقرأ الكسائى بالضم فى الموضعين وهو لغة فيه وقد جاء فيه الكسر ايضا كالود (ساء مايحكمون) حكمهم هذا (وكذلك) ومثل ذلك التزيين فى قسمة القربات (زين لكثير من المشركين قتل اولادهم) بالوأد ونحرهم لآلهتهم (شركاؤهم) من الجن او من السدنة وهو فاعل زين وقرأ ابن عامر زين على البناء للمفعول الذى هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف فى العربية معدود من ضرورات الشعر كقوله *فزججتها بمزجة* زج القلوص ابى مزاده *وقرئ بالبناء للمفعول وجر اولادهم ورفع شركائهم باضمار فعل دل عليه زين (ليردوهم) ليهلكوهم بالاغواء (وليلبسوا عليهم دينهم) وليخلطوا عليهم ماكانوا عليه من دين اسماعيل عليه السلام او ماوجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة

ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة) معجزة (من ربكم) على صدقى (فأوفوا) أتموا (ولو)

 ولا تفسدوا فى الارض) بالكفر والمعاصى (بعد اصلاحها) ببعث الرسل (ذلكم) المذكور (خير لكم ان كنتم مؤمنين) مريدى الايمان فبادروا اليه (ولا تقعدوا بكل صراط) طريق (توعدون) تخوفون الناس باخذ ثيابهم او المكس منهم (وتصدون) تصرفون (عن سبيل الله) دينه (من آمن به) بتوعدكم اياه بالقتل (وتبغونها) تطلبون الطريق (عوجا) معوجة (واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) قبلكم بتكذيبهم رسلهم أى آخر أمرهم من الهلاك (وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا) به (فاصبروا) انتظروا (حتى يحكم الله بيننا) وبينكم بانجاء المحق واهلاك المبطل (وهو خير الحاكمين) أعدلهم (قال الملأ الذين استكبروا من قومه) عن الايمان (لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن) ترجعن (فى ملتنا) دينا وغلبوا فى الخطاب الجمع على الواحد لان شعيبا لم يكن فى ملتهم قط وعلى نحوه اجاب (قال أ) نعود فيها

(ولو شاء الله ما فعلوه) ما فعل المشركون ما زين لهم او الشركاء التزيين او الفريقان جميع ذلك (فذرهم وما يفترون) افتراءهم او ما يفترونه من الافك (وقالوا هذه) اشارة الى ما جعل لآلهتهم (انعام وحرث حجر) حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوى فيه الواحد والكثير والذكر والانثى وقرئ حجر بالضم وحرج اى مضيق (لا يطعمها الا من نشاء) يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء (بزعمهم) من غير حجة (وانعام حرمت ظهورها) يعنى البحائر والسوائب والحوامى (وانعام لا يذكرون اسم الله عليها) فى الذبح وانما يذكرون اسماء الاصنام عليها وقيل لا يحجون على ظهورها (افتراء عليه) نصب على المصدر لان ما قالوه تقول على الله تعالى والجار متعلق بقالوا او بمحذوف هو صفة له او على الحال او على المفعول له والجار متعلق بمحذوف (سيجزيهم بما كانوا يفترون) بسببه او بدله (وقالوا ما فى بطون هذه الانعام) يعنون اجنة البحائر والسوائب (خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا) حلال للذكور خاصة دون الاناث ان ولد حيا لقوله (وان يكن ميتة فهم فيه شركاء) فالذكور والاناث فيه سواء وتأنيث الخالصة للمعنى فان ما فى معنى الاجنة ولذلك وافق عاصم فى رواية ابى بكر ابن عامر فى تكن بالتاء وخالفه هو وابن كثير فى ميتة فنصب كغيرهم او التاء فيه للمبالغة كما فى رواية الشعر او هو مصدر كالعافية وقع فى موقع الخالص وقرئ بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذى فى الظرف لا من الذى فى ذكورنا ولا من الذكور لانها لا تتقدم على العامل المعنوى ولا على صاحبها المجرور وقرئ خالص بالرفع والنصب وخالصه بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدأ ثان والمراد به ما كان حيا والتذكير فى فيه لان المراد بالميتة ما يعم الذكر والانثى فغلب الذكر (سيجزيهم وصفهم) اى جزاء وصفهم الكذب على الله فى التحريم والتحليل من قوله وتصف السنتهم الكذب (انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم) يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبي والفقر وقرأ ابن كثير وابن عامر قتلوا بالتشديد بمعنى التكثير (سفها بغير علم) لخفة عقلهم وجهلهم بان الله رازق اولادهم لا هم ويجوز نصبه على الحال والمصدر (وحرموا ما رزقهم الله) من البحائر ونحوها (افتراء على الله) يحتمل الوجوه المذكورة فى مثله (قد ضلوا وما كانوا

منها ومايكون) ينبغى (لنا أن نعود فيها الاأن يشاءالله ربنا) ذلك فيخذلنا (وسع ربنا كل شئ علما) أى وسع علمه كل شئ ومنه حالى وحالكم (على الله توكلنا ربنا افتح) احكم (بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين) الحاكمين (وقال الملأ الذين كفروا من قومه) أى قال بعضهم لبعض (لئن) لام قسم (اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فأخذتهم الرجفة) الزلزلة الشديدة (فأصبحوا فى دارهم جاثمين) باركين على الركب ميتين (الذين كذبوا شعيبا) مبتدأ خبره (كأن) مخففة واسمها محذوف اى كأنهم (لم يغنوا) يقيموا (فيها) فى ديارهم (الذين كذبوا شعيبا كانوهم الخاسرين) التأكيد باعادة الموصول وغيره للرد عليهم فى قولهم السابق (فتولى) أعرض (عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم) فلم تؤمنوا (فكيف آسى) احزن (على قوم كافرين) استفهام بمعنى النفى (وماأرسلنا فى قرية من نبى) فكذبوه (الاأخذنا) عاقبنا (أهلها بالبأساء) شدة الفقر (الضأن)

مهتدين) الى الحق والصواب (وهو الذى انشأ جنات) من الكروم (معروشات) مرفوعات مايحملها (وغير معروشات) ملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ماغرسه الناس فعرشوه وغير معروشات مانبت فى الجبال والبرارى (والنخل والزرع مختلفا اكله) ثمره الذى يؤكل فى الهيئة والكيفية والضمير للزرع والباقى مقيس عليه او للنخل والزرع داخل فى حكمه لكونه معطوفا عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك اوكل واحد منهما ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك عند الانشاء (والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه) يتشابه بعض افرادها فى اللون والطعم ولايتشابه بعضها (كلوا من ثمره) من ثمر كل واحد من ذلك (اذا اثمر) وان لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك فى الاكل منه قبل اداء حق الله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لاالزكوة المقدرة لانها فرضت بالمدينة والآية مكية وقيل الزكوة والآية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لايؤخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لابالتنقية وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائى حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه (ولاتسرفوا) فى التصدق كقوله ولاتبسطها كل البسط (انه لايحب المسرفين) لايرتضى فعلهم (ومن الانعام حمولة وفرشا) عطف على جنات اى وانشأ من الانعام مايحمل الاثقال ومايفرش للذبح اومايفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها (كلوا مما رزقكم الله) كلوا مما احل لكم منه (ولاتتبعوا خطوات الشيطان) فى التحليل والتحريم من عند انفسكم (انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة (ثمانية ازواج) بدل من حمولة وفرشا اومفعول كلوا ولاتتبعوا معترض بينهما اوفعل دل عليه كلوا اوحال من مابمعنى مختلفة اومتعددة والزوج مامعه آخر من جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الاول (من الضأن اثنين) زوجين اثنين الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس كالابل وجمعه ضئين اوجمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه (ومن المعز اثنين) التيس والعنز وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ المعزى (قل آلذكرين) ذكر

الضأن وذكر المعز (حرم ام الانثيين) ام انثييهما و نصب الذكرين و الانثيين بحرم (اما اشتملت عليه ارحام الانثيين) او ما حملت اناث الجنسين ذكرا كان او انثى (نبئونى بعلم) بامر معلوم يدل على ان الله تعالى حرم شيئا من ذلك (ان كنتم صادقين) فى دعوى التحريم عليه (ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين) كما سبق والمعنى انكار ان الله حرم شيئا من الاجناس الاربعة ذكرا كان او انثى او ما تحمل اناثها ردا عليهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة اخرى واولادها كيف كانت تارة زاعمين ان الله حرمها (ام كنتم شهداء) بل اكنتم حاضرين مشاهدين (اذ وصاكم الله بهذا) حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبى فلا طريق لكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) فنسب اليه تحريم مالم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو بن لحى بن قمعة المؤسس لذلك (ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدى القوم الظالمين قل لا اجد فيما اوحى الى) اى فى القرآن او فيما اوحى الى مطلقا وفيه تنبيه على ان التحريم انما يعلم بالوحى لا بالهوى (محرما) طعاما محرما (على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة) الا ان يكون الطعام ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتاء لتأنيث الخبر وقراءة ابن عامر بالتاء ورفع ميتة على ان كان هى التامة وقوله (او دما مسفوحا) عطف على ان مع ما فى حيزه اى الا وجود ميتة او دما مسفوحا اى مصبوبا كالدم فى العروق لا كالكبد والطحال (او لحم خنزير فانه رجس) فان الخنزير او لحمه قذر لتعود اكل النجاسة او خبيث مخبث (او فسقا) عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل (اهل لغير الله به) صفة له موضحة وانما سمى ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله فى الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له لاهل وهو عطف على يكون والمستكن فيه راجع الى ما رجع اليه المستكن فى يكون (فمن اضطر) فمن دعته الضرورة الى تناول شئ من ذلك (غير باغ) على مضطر مثله (ولا عاد) قدر الضرورة (فان ربك غفور رحيم) لا يؤاخذه والآية محكمة لانها تدل على انه لم يجد فيما اوحى الى تلك الغاية محرما غير هذه وذلك لا ينافى ورود التحريم فى شئ آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب

السيئة) العذاب (الحسنة) الغنى والصحة (حتى عفوا) كثروا (وقالوا) كفرا للنعمة (قد مس آباءنا الضراء والسراء) كما مسنا وهذه عادة الدهر وليست بعقوبة من الله فكونوا على ما أنتم عليه قال تعالى (فاخذناهم) بالعذاب (بغتة) فجأة (وهم لا يشعرون) بوقت مجيئه قبله (ولو أن أهل القرى) المكذبين (آمنوا) بالله ورسلهم (واتقوا) الكفر والمعاصى (لفتحنا) بالتخفيف والتشديد (عليهم بركات من السماء) بالمطر (والارض) بالنبات (ولكن كذبوا) الرسل (فأخذناهم) عاقبناهم (بما كانوا يكسبون أفأمن أهل القرى) المكذبون (أن يأتيهم بأسنا) عذابنا (بياتا) ليلا (وهم نائمون) غافلون عنه (اوامن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى) نهارا (وهم يلعبون افأمنوا مكر الله) استدراجه اياهم بالنعمة واخذهم بغتة (فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون او لم يهد) يتبين (للذين يرثون الارض)

بالسكنى (من بعد) هلاك (اهلها ان) فاعل مخففة واسمها محذوف اى انه (لو نشاء اصبناهم) بالعذاب

للعطف وفى قراءة بسكون الواو فى الموضع الاول عطفا باو (و) نحن (نطبع) نختم (على قلوبهم فهم لا يسمعون) الموعظة سماع تدبر (تلك القرى) التى مر ذكرها (نقص عليك) يا محمد (من انبائها) أخبار اهلها (ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات) المعجزات الظاهرات (فما كانوا ليؤمنوا) عند مجيئهم (بما كذبوا) كفروا به (من قبل) قبل مجيئهم بل استمروا على الكفر (كذلك) الطبع (يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لأكثرهم) اى الناس (من عهد) اى وفاء بعهدهم يوم اخذ الميثاق (وان) مخففة (وجدنا اكثرهم لفاسقين ثم بعثنا من بعدهم) اى الرسل المذكورين (موسى بآياتنا) التسع (الى فرعون وملئه) قومه (فظلموا) كفروا (بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) بالكفر من اهلاكهم (وقال موسى يافرعون انى رسول من رب العالمين) اليك فكذبه فقال أنا (حقيق) جدير (على أن) أى بأن (لا اقول

بخبر الواحد ولا على حل الاشياء غيرها الامع الاستصحاب (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر) كل ماله اصبع كالابل والسباع والطيور وقيل كل ذى مخلب وحافر وسمى الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب عن الظلم تعميم التحريم (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط (الا ماحملت ظهورهما) الا ماعلقت بظهورهما (اوالحوايا) اوما اشتمل على الامعاء جمع حاوية او حاوياء كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفائن وقيل هو عطف على شحومهما واو بمعنى الواو (اوما اختلط بعظم) هو شحم الالية لاتصالها بالعصعص (ذلك) التحريم اوالجزاء (جزيناهم ببغيهم) بسبب ظلمهم (وانا لصادقون) فى الاخبار والوعد والوعيد (فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة) يمهلكم على التكذيب فلا تغتروا بامهاله فانه لايهمل (ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين) حين ينزل اوذو رحمة واسعة للمطيعين وذو بأس شديد للمجرمين فاقام مقامه ولا يرد بأسه لتضمنه التنبيه على انزال البأس عليهم مع الدلالة على انه لازب بهم لا يمكن رده عنهم (سيقول الذين اشركوا) اخبار عن مستقبل ووقوع مخبره يدل على اعجازه (لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ) اى ولو شاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاء كقوله فلوشاء لهداكم اجمعين لما فعلنا نحن ولا آباؤنا ارادوا بذلك انهم على الحق المشروع المرضى عندالله لا الاعتذار عن ارتكاب هذه القبائح بارادة الله اياها منهم حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيد ذلك قوله (كذلك كذب الذين من قبلهم) اى مثل هذا التكذيب لك فى ان الله تعالى منع من الشرك ولم يحرم ماحرموه كذب الذين من قبلهم الرسل وعطف آباؤنا على الضمير فى اشركنا من غير تأكيد للفصل بلا (حتى ذاقوا بأسنا) الذى انزلنا عليهم بتكذيبهم (قل هل عندكم من علم) من امر معلوم يصح الاحتجاج به على مازعمتم (فتخرجوه لنا) فتظهروه لنا (ان تتبعون الا الظن) ماتتبعون فى ذلك الا الظن (وان انتم الا تخرصون) تكذبون على الله وفيه دليل على المنع من اتباع الظن سيما فى الاصول ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع اذ الآية فيه (قل فلله الحجة البالغة) البينة الواضحة التى بلغت غاية المتانة والقوة على الاثبات او بلغ بها صاحبها صحة دعواه وهى من الحج بمعنى القصد كأنها تقصد اثبات

(الحكم)

فارسل معى) الى الشام (بنى اسرائيل) وكان استعبدهم (قال) فرعون له (ان كنت جئت بآية) على دعواك (فأت بها ان كنت من الصادقين) فيها (فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين) حية عظيمة (ونزع يده) أخرجها من جيبه (فاذا هى بيضاء) ذات شعاع (للناظرين) خلاف ما كانت عليه من الادمة (قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم) فائق فى علم السحر وفى الشعراء انه من قول فرعون نفسه فكأنهم قالوه معه على سبيل التشاور (يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه) أخر أمرهما (وأرسل فى المدائن حاشرين) جامعين (يأتوك بكل ساحر) وفى قراءة سحار (عليم) يفضل موسى فى علم السحر فجمعوا (وجاء السحرة فرعون قالوا أئن) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وادخال الف بينهما على الوجهين (لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين قالوا ياموسى

الحكم وتطلبه (فلو شاء لهداكم اجمعين) بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم وضلال آخرين (قل هلم شهداءكم) احضروهم وهلم اسم فعل لا يتصرف عند اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند بنى تميم واصله عند البصريين ها لم من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون فى اللام فانه الاصل وعند الكوفيين هل ام فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لا تدخل الامر ويكون متعديا كما فى الآية ولازما كقوله هلم الينا (الذين يشهدون ان الله حرم هذا) يعنى قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفهم بما يقتضى العهد بهم (فان شهدوا فلا تشهد معهم) فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فان تسليمهم موافقة لهم فى الشهادة الباطلة (ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا) من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان مكذب الآيات متبع الهوى لا غير وان متبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها (والذين لا يؤمنون بالآخرة) كعبدة الاوثان (وهم بربهم يعدلون) يجعلون له عديلا (قل تعالوا) امر من التعالى واصله ان يقوله من كان فى علو لمن كان فى سفل فاتسع فيه بالتعميم (اتل) اقرأ (ماحرم ربكم) منصوب بأتل وما تحتمل الخبرية والمصدرية ويجوز ان تكون استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعول اتل لانه بمعنى اقل اى شئ حرم ربكم (عليكم) متعلقة بحرم او اتل (ان لا تشركوا به) اى لا تشركوا به ليصح عطف الامر عليه ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم فان التحريم باعتبار الاوامر يرجع الى اضدادها ومن جعل ان ناصبة فمحلها النصب بعليكم على انه للاغراء او بالبدل من ما او من عائده المحذوف على ان لا زائدة او الجر بتقدير اللام او الرفع على تقدير المتلو أن لا تشركوا او المحرم ان تشركوا (شيئا) يحتمل المصدر والمفعول (وبالوالدين احسانا) اى واحسنوا بهما احسانا وضعه موضع النهى عن الاساءة اليهما للمبالغة والدلالة على ان ترك الاساءة فى شأنهما غير كاف بخلاف غيرهما (ولا تقتلوا اولادكم من املاق) من اجل فقر وخشيته كقوله خشية املاق (نحن نرزقكم واياهم) منع لموجبية ما كانوا يفعلون لاجله واحتجاج عليه (ولا تقربوا الفواحش) كبائر الذنوب او الزنى (ما ظهر منها وما بطن) بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه (ولا تقتلوا النفس

القائهم توسلا به الى اظهار الحق (فلما ألقوا) حبالهم وعصيهم (سحروا أعين الناس) صرفوها عن حقيقة ادراكها (واسترهبوهم) خوفوهم حيث خيلوها حيات تسعى (وجاؤا بسحر عظيم وأوحينا الى موسى أن الق عصاك فاذا هى تلقف) بحذف احدى التاءين في الاصل تبتلع (ما يأفكون) يقلبون بتمويههم (فوقع الحق) ثبت (وبطل ماكانوا يعملون) من السحر (فغلبوا) اى فرعون وقومه (هنالك وانقلبوا صاغرين) صاروا ذليلين (وألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون) لعلمهم بان ما شاهدوه من العصا لايتأتى بالسحر (قال فرعون أآمنتم) بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية الفا (به) بموسى (قبل أن آذن) أنا (لكم ان هذا) الذى صنعتموه (لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون) ماينالكم منى (لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف) اى يد كل واحد (فى)

التى حرم الله الا بالحق) كالقود وقتل المرتد ورجم المحصن (ذلكم) اشارة الى ماذكر مفصلا (وصاكم به) بحفظه (لعلكم تعقلون) ترشدون فان كمال العقل هو الرشد (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن) الا بالفعلة التى هى احسن مايفعل بماله كحفظه وتثميره (حتى يبلغ اشده) حتى يصير بالغا وهو جمع شدة كنعمة وانعم اوشد كصر واصر وقيل مفرد كآنك (واوفوا الكيل والميزان بالقسط) بالعدل والسوية (لانكلف نفسا الا وسعها) الا مايسعها ولايعسر عليها وذكره عقيب الامر معناه ان ايفاء الحق عسير فعليكم بمافى وسعكم وماوراءه معفو عنكم (واذا قلتم) فى حكومة ونحوها (فاعدلوا) فيها (ولوكان ذاقربى) ولوكان المقول له اوعليه من ذوى قرابتكم (وبعهد الله اوفوا) يعنى ماعهد اليكم من ملازمة العدل وتأدية احكام الشرع (ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون) تتعظون به وقرأ حمزة وحفص والكسائى تذكرون بتخفيف الذال حيث وقع اذا كان بالتاء والباقون بتشديدها (وان هذا صراطى مستقيما) الاشارة فيه الى ماذكر فى السورة فانها باسرها فى اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرأ حمزة والكسائى ان بالكسر على الاستئناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف وقرأ الباقون به مشددة بتقدير اللام على انه علة لقوله (فاتبعوه) وقرأ ابن عامر صراطى بفتح الياء وقرئ وهذا صراطى وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك (ولاتتبعوا السبل) الاديان المختلفة اوالطرق التابعة للهوى فان مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبائع والعادات (فتفرق بكم) فتفرقكم وتزيلكم (عن سبيله) الذى هو اتباع الوحى واقتفاء البرهان (ذلكم) الاتباع (وصاكم به لعلكم تتقون) الضلال والتفرق عن الحق (ثم آتينا موسى الكتاب) عطف على وصاكم به وثم للتراخى فى الاخبار اوللتفاوت فى الرتبة كأنه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب (تماما) للكرامة والنعمة (على الذى احسن) على من احسن القيام به ويؤيده ان قرئ على الذين احسنوا اوعلى الذى احسن تبليغه وهو موسى اوتماما على ما احسنه اى اجاده من العلم والشرائع اى زيادة على علمه اتماماله وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اى على الذى هو احسن اوعلى الوجه الذى هو احسن مايكون عليه الكتب (وتفصيلا لكل شئ) وبيانا مفصلا لكل مايحتاج اليه

فى الدين وهو عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر (وهدى ورحمة لعلهم) لعل بنى اسرائيل (بلقاء ربهم يؤمنون) اى بلقائه للجزاء (وهذا كتاب) يعنى القرآن (انزلناه مبارك) كثير النفع (فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون) بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه (ان تقولوا) كراهة ان تقولوا علة لانزلناه (انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) اليهود والنصارى ولعل الاختصاص فى انما لان الباقى المشهور حينئذ من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم (وان كنا) ان هى المخففة من الثقيلة ولذلك دخلت اللام الفارقة خبر كان اى وانه كنا (عن دراستهم) قراءتهم (لغافلين) لا ندرى ماهى او لا نعرف مثلها (او تقولوا) عطف على الاول (لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم) لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار والخطب على انا اميون (فقد جاءكم بينة من ربكم) حجة واضحة تعرفونها (وهدى ورحمة) لمن تأمل فيه وعمل به (فمن اظلم ممن كذب بآيات الله) بعد ان عرف صحتها او تمكن من معرفتها (وصدف) اعرض او صد (عنها) فضل واضل (سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب) شدته (بما كانوا يصدفون) باعراضهم او صدهم (هل ينظرون) اى ماينتظرون يعنى اهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لذلك ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين (الا ان تأتيهم الملائكة) ملائكة الموت او العذاب وقرأ حمزة والكسائى بالياء هنا وفى النحل (او يأتى ربك) اى امره بالعذاب او كل آية يعنى آيات القيمة والهلاك الكلى لقوله (او يأتى بعض آيات ربك) يعنى اشراط الساعة وعن حذيفة والبراء بن عازب رضى الله تعالى عنهما كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ماتتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لاتقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن (يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفسا ايمانها) كالمحتضر اذا صار الامر عيانا والايمان برهانى وقرئ تنفع بالتاء لاضافة الايمان الى ضمير المؤنث (لم تكن آمنت من قبل) صفة نفسا (او كسبت فى ايمانها خيرا) عطف على آمنت والمعنى انه لاينفع ايمان حينئذ نفسا

(منقلبون) راجعون فى الآخرة (وماتنقم) تنكر (منا الا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا) عند فعل ماتوعده بنا لئلا نرجع كفارا (وتوفنا مسلمين وقال الملأ من قوم فرعون) له (أتذر) تترك (موسى وقومه ليفسدوا فى الارض) بالدعاء الى مخالفتك (ويذرك وآلهتك) وكان صنع لهم أصناما صغارا يعبدونها وقال أنا ربكم وربها ولذا قال أنا ربكم الاعلى (قال سنقتل) بالتشديد والتخفيف (أبناءهم) المولودين (ونستحيى) نستبقى (نساءهم) كفعلنا بهم من قبل (وانا فوقهم قاهرون) قادرون ففعلوا بهم ذلك فشكا بنو اسرائيل (قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا) على اذاهم (ان الارض لله يورثها) يعطيها (من يشاء من عباده والعاقبة) المحمودة (للمتقين) الله (قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ماجئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض

فينظر كيف تعملون) فيها (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) بالقحط (ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون)

ولم يشكروا عليها (وان تصبهم سيئة) جدب وبلاء (يطيروا) يتشأموا (بموسى ومن معه) من المؤمنين (ألا انما طائرهم) شؤمهم (عندالله) يأتيهم به (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن ما يصيبهم من عنده (وقالوا) لموسى (مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) فدعا عليهم (فارسلنا عليهم الطوفان) وهو ماء دخل بيوتهم ووصل الى حلوق الجالسين سبعة أيام (والجراد) فاكل زرعهم وثمارهم كذلك (والقمل) السوس أو هو نوع من القراد فتتبع ما تركه الجراد (والضفادع) فملأت بيوتهم وطعامهم (والدم) فى مياههم (آيات مفصلات) مبينات (فاستكبروا) عن الايمان بها (وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز) العذاب (قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك) من كشف العذاب عنا ان آمنا (لئن) لام قسم (كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل فلما كشفنا) بدعاء موسى (عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه اذاهم ينكثون) ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم

غير مقدمة ايمانها او مقدمة ايمانها غير كاسبة فى ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع باحد الامرين على معنى لا ينفع نفسا خلت عنهما ايمانها والعطف على لم تكن بمعنى لا ينفع نفسا ايمانها الذى احدثته حينئذ وان كسبت فيه خيرا (قل انتظروا انا منتظرون) وعيد لهم اى انتظروا اتيان احد الثلاثة فانا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل (ان الذين فرقوا دينهم) بددوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض او افترقوا فيه قال عليه الصلوة والسلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وستفترق امتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وقرأ حمزة والكسائى هنا وفى الروم فارقوا اى باينوا (وكانوا شيعا) فرقا يشيع كل فرقة اماما (لست منهم فى شئ) اى فى شئ من السؤال عنهم وعن تفرقهم او عن عقابهم او انت برئ منهم وقيل هو نهى عن التعرض لهم وهو منسوخ بآية السيف (انما امرهم الى الله) يتولى جزاءهم (ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) بالعقاب (من جاء بالحسنة فله عشر امثالها) اى عشر حسنات امثالها فضلا من الله تعالى وقرأ يعقوب عشر بالتنوين وامثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ماوعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة دون العدد (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها) قضية للعدل (وهم لا يظلمون) بنقص الثواب وزيادة العقاب (قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم) بالوحى والارشاد الى مانصب من الحجج (دينا) بدل من محل الى صراط اذ المعنى هدانى صراطا كقوله ويهديك صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ (قيما) فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم ابلغ منه باعتبار الصيغة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى قيما على انه مصدر نعت به وكان قياسه قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام (ملة ابراهيم) عطف بيان لدينا (حنيفا) حال من ابراهيم (وما كان من المشركين) عطف عليه (قل ان صلوتى ونسكى) عبادتى كلها او قربانى او حجى (ومحياى ومماتى) وما انا عليه فى حيوتى واموت عليه من الايمان

(والطاعة)

والطاعة او طاعات الحيوة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير اوالحيوة والممات انفسهما وقرأ نافع محياى باسكان الياء اجراء للوصل مجرى الوقف (لله رب العالمين لاشريك له) خالصة له لااشرك فيهاغيرا (وبذلك) القول والاخلاص (امرت وانا اول المسلمين) لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته (قل اغير الله ابغي ربا) فاشركه في عبادتي وهو جواب عن دعائهم له عليه السلام الى عبادة آلهتهم (وهو رب كل شئ) حال في موقع العلة للانكار والدليل له اى وكل ماسواه مربوب مثلي لا يصلح للربوبية (ولا تكسب كل نفس الا عليها) فلا ينفعني في ابتغاء رب غيره ماانتم عليه من ذلك (ولا تزر وازرة وزر اخرى) جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم (ثم الى ربكم مرجعكم) يوم القيمة (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) بتبيين الرشد من الغي وتمييز المحق من المبطل (وهو الذى جعلكم خلائف الارض) يخلف بعضكم بعضا او خلفاء الله في الارض تتصرفون فيها على ان الخطاب عام او خلفاء الامم السالفة على ان الخطاب للمؤمنين (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) في الشرف والغنى (ليبلوكم فيما آتاكم) من الجاه والمال (ان ربك سريع العقاب) لان ماهو آت قريب اولانه يسرع اذا اراده (وانه لغفور رحيم) وصف العقاب ولم يضف الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها على انه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مساح فيها * عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انزلت على سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى عليه واستغفرله اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة

﴿ سورة الاعراف مكية الاثمان آيات من قوله واسألهم الى قوله واذنتقنا ﴾
﴿ الجبل محكم كلها وقيل الاقوله واعرض عن الجاهلين وآيها ﴾
﴿ مائتان وخس اوست آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(المص) سبق الكلام في مثله (كتاب) خبر مبتدأ محذوف اى هو كتاب اوخبر المص والمراد به السورة اوالقرآن (انزل اليك) صفته (فلايكن في صدرك حرج منه) اى شك فان الشاك حرج الصدر اوضيق قلب

وكانوا عنها غافلين) لايتدبرونها (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) بالاستعباد وهم بنواسرائيل (مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها) بالماء والشجر صفة للارض وهى الشام (وتمت كلمة ربك الحسنى) وهى قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض الخ (على بنى اسرائيل بماصبروا) على أذى عدوهم (ودمرنا) أهلكنا (ما كان يصنع فرعون وقومه) من العمارة (وماكانوا يعرشون) بكسر الراء وضمها يرفعون من البنيان (وجاوزنا) عبرنا (ببنى اسرائيل البحر فأتوا) فمروا (على قوم يعكفون) بضم الكاف وكسرها (على أصنام (لهم) يقيمون على عبادتها (قالوا ياموسى اجعل لنا الها) صنما نعبده (كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون) حيث قابلتم نعمة الله عليكم بما قلتموه (ان هؤلاء متبر) هالك (ماهم فيه وباطل ماكانوا يعملون قال اغير الله أبغيكم الها) معبودا وأصله

أبغي لكم (وهو فضلكم على العالمين) في زمانكم بماذكره في قوله (و) اذكروا (اذ أنجيناكم) وفي قراءة

أشده وهو(يقتلون أبناءكم ويستحيون) يستبقون(نساءكم وفى ذلكم)الانجاء أو العذاب (بلاء) انعام أو ابتلاء (من ربكم عظيم) أفلا تتعظون فتنتهون عما قلتم (وواعدنا) بألف ودونها (موسى ثلاثين ليلة) نكلمه عند انتهائها بان يصومها وهى ذوالقعدة فصامها فلما تمت أنكر خلوف فمه فاستاك فامره الله بعشرة أخرى ليكلمه بخلوف فمه كما قال تعالى (وأتممناها بعشر) من ذى الحجة (فتم ميقات ربه) وقت وعده بكلامه اياه (أربعين) حال (ليلة) تمييز (وقال موسى لاخيه هرون) عندذهابه الى الجبل للمناجاة (اخلفنى) كن خليفتى (فى قومى وأصلح أمرهم (ولا تتبع سبيل المفسدين) بموافقتهم على المعاصى (ولما جاء موسى لميقاتنا) أى للوقت الذى وعدناه بالكلام فيه (وكلمه ربه) بلا واسطة كلاما سمعه من كل جهة (قال رب أرنى) نفسك (أنظر اليك قال لن ترانى) أى لا تقدر على رؤيتى والتعبير به دون لن أرى يفيد امكان رؤيته تعالى (ولكن انظر الى الجبل) الذى هو اقوى منك (فان استقر) (علينا)

من تبليغه مخافة ان تكذب فيه او تقصر فى القيام بحقه و توجيه النهى اليه للمبالغة كقولهم لا ارينك ههنا والفاء تحتمل العطف والجواب فكأنه قيل اذا انزل اليك لتنذر به فلا يحرج صدرك منه (لتنذر به) متعلق بانزل او بلا يكن لانه اذا ايقن انه من عند الله جسر على الانذار وكذا اذا لم يخفهم او علم انه موفق للقيام بتبليغه (وذكرى للمؤمنين) يحتمل النصب باضمار فعلها اى لتنذر ولتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير والجر عطفا على محل لتنذر والرفع عطفا على كتاب او خبر المحذوف (اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم) يعم القرآن والسنة لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى (ولا تتبعوا من دونه اولياء) يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير فى من دونه لما انزل اى ولا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء وقرىء ولا تبتغوا (قليلا ما تذكرون) اى تذكرا قليلا اوزمانا قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتأكيد القلة وان جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون وقرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التاء وابن عامر يتذكرون على ان الخطاب بعد مع النبى صلى الله عليه وسلم (وكم من قرية) وكثيرا من القرى (اهلكناها) اردنا اهلاك اهلها او اهلكناها بالخذلان (فجاءها) فجاء اهلها (بأسنا) عذابنا (بياتا) بائتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال (اوهم قائلون) عطف عليه اى قائلين نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت واو الحال استثقالا لاجتماع حرفى عطف فانها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فانه غير فصيح وفى التعبيرين مبالغة فى غفلتهم وامنهم عن العذاب ولذلك خص الوقتين ولانهما وقت دعة واستراحة فيكون مجيء العذاب فيهما افظع (فما كان دعواهم) اى دعاؤهم او استغاثتهم او ما كانوا يدعونه من دينهم (اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين) الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا عليه (فلنسألن الذين ارسل اليهم) عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل (ولنسألن المرسلين) عما اجيبوا به والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفى فى قوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام اوالاول فى موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة (فلنقصن عليهم) على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب اوعلى الرسل والمرسل اليهم ما كانوا عليه (بعلم) عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومنا منهم (وما كنا غائبين) عنهم فيخفى

علينا شيء من احوالهم (والوزن) اى القضاء اووزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور على ان صحائف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فيعترف بها السنتهم ويشهد بها جوارحهم ويؤيده ماروى ان الرجل يؤتى به الى الميزان فتنشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مدالبصر فتخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل يوزن الاشخاص لماروى انه عليه السلام قال ليأتى العظيم السمين يوم القيمة لايزن عندالله جناح بعوضة (يومئذ) خبر المبتدأ الذى هو الوزن (الحق) صفة اوخبر محذوف ومعناه العدل السوى (فمن ثقلت موازينه) حسناته اومايوزن به حسناته وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن فهو جمع موزون اوميزان (فاولئك هم المفلحون) الفائزون بالنجاة والثواب (ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم) بتضييع الفطرة السليمة التى فطرت عليها واقتراف ماعرضها للعذاب (بما كانوا بآياتنا يظلمون) فيكذبون بدل التصديق (ولقد مكناكم فى الارض) اى مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها (وجعلنا لكم فيها معايش) اسبابا تعيشون بها جمع معيشة وعن نافع انه همزه تشبيها بما الياء فيه زائدة كصحائف (قليلا ماتشكرون) فيما صنعت اليكم (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) اى خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره اوابتدأنا خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا آدم ثم صورناه (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) وقيل ثم قلنا لتأخير الاخبار (فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين) ممن سجد لآدم (قال مامنعك ان لاتسجد) اى ان تسجد ولاصلة مثلها فى لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذى دخلت عليه ومنبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مضطر الى خلافه فكأنه قيل مااضطرك الى ان لاتسجد (اذامرتك) دليل على ان مطلق الامر للوجوب والفور (قال انا خير منه) جواب من حيث المعنى استأنف به استبعادا لان يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله كأنه قال المانع انى خير منه ولايحسن للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف يحسن ان يؤمر به فهو الذى سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين اولا (خلقتنى من نار

أى ظهر من نوره قدر نصف أنملة الخنصر كما فى حديث صححه الحاكم (للجبل جعله دكا) بالقصر والمد أى مدكوكا مستويا بالارض (وخر موسى صعقا) مغشيا عليه لهول مارأى (فلما افاق قال سبحانك) تنزيها لك (تبت اليك) من سؤال مالم اومر به (وانا اول المؤمنين) فى زمانى (قال) تعالى له (ياموسى انى اصطفيتك) اخترتك (على الناس) اهل زمانك (برسالاتى) بالجمع والافراد (وبكلامى) اى تكليمى اياك (فخذ ما آتيتك) من الفضل (وكن من الشاكرين) لأنعمى (وكتبنا له فى الالواح) اى الواح التورية وكانت من سدر الجنة اوزبرجد اوزمرد سبعة اوعشرة (من كل شيء) يحتاج اليه فى الدين (موعظة وتفصيلا) تبيينا (لكل شيء) بدل من الجار والمجرور قبله (فخذها) قبله قلنا مقدرا (بقوة) بجد واجتهاد (وأمر قومك يأخذوا باحسنها ساريكم دار الفاسقين) فرعون وأتباعه وهى مصر لتعتبروا بهم

(سأصرف عن آياتى) دلائل قدرتى من المصنوعات وغيرها (الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق) بان أخذ لهم

وخلقته من طين) تعليل لفضله عليه وقد غلط فى ذلك بان رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله تعالى * ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى * اى بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك امر الملائكة بسجوده لما بين لهم انه اعلم منهم وان له خواص ليست لغيره والآية دليل الكون والفساد وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشيطان الى النار باعتبار الجزء الغالب (قال فاهبط منها) من السماء او الجنة (فما يكون لك) فما يصح (ان تتكبر فيها) وتعصى فانها مكان الخاشع المطيع وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده واهبطه لتكبره لا لمجرد عصيانه (فاخرج انك من الصاغرين) ممن اهانه الله لكبره قال عليه الصلوة والسلام من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله (قال انظرنى الى يوم يبعثون) امهلنى الى يوم القيمة فلا تمتنى اولا تعجل عقوبتى (قال انك من المنظرين) يقتضى الاجابة الى ماسأله ظاهرا لكنه محمول على ما جاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى اووقت يعلم الله انتهاء اجله فيه وفى اسعافه اليه ابتلاء العباد وتعريضهم الثواب بمخالفته (قال فبما اغويتنى) اى بعد ان امهلتنى لاجتهدن فى اغوائهم باى طريق يمكننى بسبب اغوائك اياى بواسطتهم تسمية اوحملا على الغى اوتكليفا بما اغويت لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا باقعدن فان اللام تصد عنه وقيل الباء للقسم (لاقعدن لهم) ترصدا لهم كما يقعد القاطع للسابلة (صراطك المستقيم) طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقوله * كما عسل الطريق الثعلب * وقيل تقديره على صراطك كقولهم ضرب زيد الظهر والبطن (ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم) اى من جميع الجهات الاربع مثل قصده اياهم بالتسويل والاضلال من اى وجه يمكنه باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه يوحش الناس وعن ابن عباس رضى الله عنهما من بين ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين ايديهم

فلا يتفكرون فيها (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل) طريق (الرشد) الهدى الذى جاء من عند الله (لا يتخذوه سبيلا) يسلكوه (وان يروا سبيل الغى) الضلال (يتخذوه سبيلا ذلك) الصرف (بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) تقدم مثله (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) البعث وغيره (حبطت) بطلت (أعمالهم) ما عملوه فى الدنيا من خير كصلة رحم وصدقة فلا ثواب لهم لعدم شرطه (هل) ما (يجزون الا) جزاء (ما كانوا يعملون) من التكذيب والمعاصى (واتخذ قوم موسى من بعده) اى بعد ذهابه الى المناجاة (من حليهم) الذى استعاروه من قوم فرعون بعلة عرس فبقى عندهم (عجلا) صاغه لهم منه السامرى (جسدا) بدل لحما ودما (له خوار) اى صوت يسمع انقلب كذلك بوضع التراب الذى أخذه من حافر فرس جبريل فى فمه فان اثره الحيوة فيما يوضع فيه ومفعول اتخذ الثانى محذوف اى الها (الم يروا انه لا يكلمهم

من حيث يعلمون ويقدرون التحرز عنه ومن خافهم من حيث لايعلمون ولايقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الاخيرين بحرف المجاوزة فان الآتى منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم ونظيره قولهم جلست عن يمينه (ولا تجد اكثرهم شاكرين) مطيعين وانما قاله ظنا لقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما رأى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة (قال اخرج منها مذؤما) مذموما من ذأمه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول فى مسؤل او كمكول فى مكيل من ذامه يذيمه ذيما (مدحورا) مطرودا (لمن تبعك منهم) اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه (لأملأن جهنم منكم اجمعين) وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن بكسر اللام على انه خبر لاملان على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولأملان جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب (ويا آدم) اى وقلنا يا آدم (اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة) وقرئ هذى وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء (فتكونا من الظالمين) فتصيرا من الذين ظلموا انفسهم وتكونا يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب (فوسوس لهما الشيطان) اى فعل الوسوسة لاجلهما وهى فى الاصل الصوت الخفى كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلى وقد سبق فى سورة البقرة كيفية وسوسته (ليبدى لهما) ليظهر لهما واللام للعاقبة اوللغرض على انه اراد ايضا بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتهما ولذلك عبر عنها بالسوءة وفيه دليل على ان كشف العورة فى الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن فى الطباع (ماوورى عنهما من سوآتهما) ماغطى عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وانما لم يقلب الواو المضمومة همزة فى المشهور كما قلبت فى اويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سواتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها (وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا) الا كراهة ان تكونا (ملكين اوتكونا من الخالدين) الذين لايموتون او يخلدون فى الجنة واستدل به على

ولايهديهم سبيلا) فكيف يتخذ الها (اتخذوه) الها (وكانوا ظالمين) باتخاذه (ولما سقط فى أيديهم) أى ندموا على عبادته (ورأوا) علموا (انهم قد ضلوا) بها وذلك بعد رجوع موسى (قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا) بالياء والتاء فيهما (لنكونن من الخاسرين ولما رجع موسى الى قومه غضبان) من جهتهم (أسفا) شديد الحزن (قال) لهم (بئسما) أى بئس خلافة (خلفتمونى) ها (من بعدى) خلافتكم هذه حيث أشركتم (أعجلتم أمر ربكم وألقى الالواح) ألواح التورية غضبا لربه فتكسرت (وأخذ برأس أخيه) أى بشعره بيمينه ولحيته بشماله (يجره اليه) غضبا (قال) يا (ابن أم) بكسر الميم وفتحها اراد أمى وذكرها أعطف لقلبه (ان القوم استضعفونى وكادوا) قاربوا (يقتلوننى فلا تشمت) تفرح (بى الاعداء) باهانتك اياى (ولا تجعلنى مع القوم الظالمين) بعبادة العجل فى المؤاخذة (قال رب اغفر لى) ماصنعت بأخى (ولأخى) اشركه فى الدعاء

فضل الملائكة على الانبياء وجوابه انه كان من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما فى ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك لا يدل على فضلهم مطلقا ﴿ وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين ﴾ اى اقسم لهما على ذلك واخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول وقيل اقسما عليه بالله انه لمن الناصحين فاقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة ﴿ فدلاهما ﴾ فنزلهما الى الاكل من الشجرة نبه به على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء ارسال الشئ من اعلى الى الاسفل ﴿ بغرور ﴾ بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يحلف بالله كاذبا او ملتبسين بغرور ﴿ فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما ﴾ اى فلما وجدا طعمها آخذين فى الاكل منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف فى ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او حلة او ظفرا ﴿ وطفقا يخصفان ﴾ اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة ﴿ عليهما من ورق الجنة ﴾ قيل كان ورق التين وقرئ يخصفان من اخصف اى يخصفان انفسهما ويخصفان من خصف ويخصفان اصله يختصفان ﴿ وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين ﴾ عتاب على مخالفة النهى وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل على ان مطلق النهى للتحريم ﴿ قالا ربنا ظلمنا انفسنا ﴾ اضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج عن الجنة ﴿ وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ دليل على ان الصغائر معاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا تجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة المقربين فى استعظام الصغير من السيئات واستحقار العظيم من الحسنات ﴿ قال اهبطوا ﴾ الخطاب لآدم وحواء وذريتهما اولهما ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم انهم قرناء ابدا او اخبر عما قال لهم مفرقا ﴿ بعضكم لبعض عدو ﴾ فى موضع الحال اى متعادين ﴿ ولكم فى الارض مستقر ﴾ استقرار او موضع استقرار ﴿ ومتاع ﴾ وتمتع ﴿ الى حين ﴾ الى تقضى آجالكم ﴿ قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ﴾ للجزاء وقرأ حمزة والكسائى وابن ذكوان ومنها تخرجون وفى الزخرف وكذلك تخرجون بفتح التاء وضم الراء ﴿ يا بنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا ﴾ اى خلقناه

(لكم)

ارضاء له ودفعا للشماتة به ﴿ وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين ﴾ قال تعالى ﴿ ان الذين اتخذوا العجل ﴾ الها ﴿ سينالهم غضب ﴾ عذاب ﴿ من ربهم وذلة فى الحيوة الدنيا ﴾ فعذبوا بالامر بقتل أنفسهم وضربت عليهم الذلة الى يوم القيمة ﴿ وكذلك ﴾ كما جزيناهم ﴿ نجزى المفترين ﴾ على الله بالاشراك وغيره ﴿ والذين عملوا السيئات ثم تابوا ﴾ رجعوا عنها ﴿ من بعدها وآمنوا بالله ﴾ ﴿ ان ربك من بعدها ﴾ أى التوبة ﴿ لغفور ﴾ لهم ﴿ رحيم ﴾ بهم ﴿ ولما سكت ﴾ سكن ﴿ عن موسى الغضب اخذ الالواح ﴾ التى ألقاها ﴿ وفى نسختها ﴾ أى ما نسخ فيها أى كتب ﴿ هدى ﴾ من الضلالة ﴿ ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ﴾ يخافون وأدخل اللام على المفعول لتقدمه ﴿ واختار موسى قومه ﴾ أى من قومه ﴿ سبعين رجلا ﴾ ممن لم يعبد العجل بامره تعالى ﴿ لميقاتنا ﴾ اى للوقت الذى وعدناه باتيانهم فيه ليتعذروا من عبادة أصحابهم العجل

لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة ونظيره قوله تعالى وانزل لكم من الانعام وقوله تعالى وانزلنا الحديد (يوارى سوآتكم) التى قصد الشيطان ابداءها ويغنيكم عن خصف الورق روى ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لانطوف فى ثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعله ذكر قصة آدم تقدمة لذلك حتى يعلم ان انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان من الشيطان وانه اغواهم فى ذلك كما اغوى ابويهم (وريشا) ولباسا تتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل اذا تمول وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب (ولباس التقوى) خشية الله وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء وخبره (ذلك خير) او خبر وذلك صفته كأنه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائى ولباس بالنصب عطفا على لباسا (ذلك) اى انزال اللباس (من آيات الله) الدالة على فضله ورحمته (لعلهم يذكرون) فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح (يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان) لا يمتحننكم بان يمنعكم دخول الجنة باغوائكم (كما اخرج ابويكم من الجنة) كما محن ابويكم بان اخرجهما منها والنهى فى اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به (ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما) حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب (انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) تعليل للنهى وتأكيد للتحذير من فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم ايانا من حيث لا نراهم فى الجملة لا تقتضى امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا (انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون) بما اوجدنا بينهم من التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ماسولوا لهم والآية مقصود القصة وفذلكة الحكاية (واذا فعلوا فاحشة) فعلة متناهية فى القبح كعبادة الصنم وكشف العورة فى الطواف (قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها) اعتذروا واحتجوا بامرين تقليد الآباء والافتراء على الله فاعرض عن الاول لظهور فساده ورد الثانى بقوله (قل ان الله لا يأمر بالفحشاء) لان عادته تعالى جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه آجلا عقلى فان المراد بالفاحشة ماينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كأنه قيل لهم لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا

فخرج بهم (فلما أخذتهم الرجفة) الزلزلة الشديدة قال ابن عباس لانهم لم يزايلوا قومهم حين عبدوا العجل قال وهم غير الذين سألوا الرؤية وأخذتهم الصاعقة (قال) موسى (رب لو شئت أهلكتهم من قبل) أى قبل خروجى بهم ليعاين بنو اسرائيل ذلك ولا يتهمونى (وإياى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) استفهام استعطاف أى لا تعذبنا بذنب غيرنا (ان) ما (هى) أى الفتنة التى وقعت فيها السفهاء (الافتنتك) ابتلاؤك (تضل بها من تشاء) اضلاله (وتهدى من تشاء) هدايته (انت ولينا) متولى امورنا (فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين وأكتب) أوجب (لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة) حسنة (اناهدنا) تبنا (اليك قال) تعالى (عذابى أصيب به من أشاء) تعذيبه (ورحمتى وسعت) عمت (كل شئ) فى الدنيا (فسأكتبها) فى الآخرة (للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبى الامى) محمدا

صلى الله عليه وسلم (الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التورية والانجيل) باسمه وصفته (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات) مما حرم فى شرعهم (ويحرم عليهم الخبائث) من الميتة ونحوها (ويضع عنهم اصرهم) ثقلهم (والاغلال) الشدائد (التى كانت عليهم) كقتل النفس فى التوبة وقطع أثر النجاسة (فالذين آمنوا به) منهم (وعزروه) وقروه (ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه) أى القرآن (أولئك هم المفلحون قل) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (ياايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والارض لااله الاهو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته) القرآن (واتبعوه لعلكم تهتدون) ترشدون (ومن قوم موسى امة) جماعة (يهدون) الناس (بالحق وبه يعدلون) فى الحكم (وقطعناهم) فرقنا بنى اسرائيل (اثنتى عشرة) حال (أسباطا)

فقيل ومن اين اخذ آباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه لامطلقا (اتقولون على الله مالاتعلمون) انكار يتضمن النهى عن الافتراء على الله (قل امر ربى بالقسط) بالعدل وهو الوسط من كل امر المتجافى عن طرف الافراط والتفريط (واقيموا وجوهكم) وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها اواقيموها نحو القبلة (عند كل مسجد) فى كل وقت سجود اومكانه وهو الصلوة اوفى اى مسجد حضرتكم الصلوة ولاتؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم (وادعوه) واعبدوه (مخلصين له الدين) اى الطاعة فان اليه مصيركم (كما بدأكم) كما انشأكم ابتداء (تعودون) باعادته فيجازيكم على اعمالكم فاخلصوا له العبادة وانما شبه الاعادة بالابتداء تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون اليه وقيل كما بدأكم حفاة عراة غرلا تعودون وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم (فريقا هدى) بان وفقهم للايمان (وفريقا حق عليهم الضلالة) بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره مابعده اى وخذل فريقا (انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله) تعليل لخذلانهم اوتحقيق لضلالتهم (ويحسبون انهم مهتدون) يدل على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء فى استحقاق الذم وللفارق ان يحمله على المقصر فى النظر (يابنى آدم خذوا زينتكم) ثيابكم لمواراة عوراتكم (عند كل مسجد) لطواف اوصلوة ومن السنة ان يأخذ الرجل احسن هيئته للصلوة وفيه دليل على وجوب ستر العورة فى الصلوة (وكلوا واشربوا) ماطاب لكم روى ان بنى عامر فى ايام حجهم كانوا لايأكلون الطعام الا قوتا ولايأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به فنزلت (ولاتسرفوا) بتحريم الحلال اوبالتعدى الى الحرام اوبافراط الطعام والشره عليه وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كل ماشئت والبس ماشئت مااخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وقال على بن الحسين ولقد جمع الله الطب فى نصف آية فقال وكلوا واشربوا ولاتسرفوا (انه لايحب المسرفين) اى لايرتضى فعلهم (قل من حرم زينة الله) من الثياب وسائر مايتجمل به (التى اخرج لعباده) من النبات كالقطن والكتان ومن الحيوان كالحرير والصوف ومن المعادن كالدروع (والطيبات من الرزق) المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل فى المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة

(لان)

لان الاستفهام فى من للانكار (قل هى للذين آمنوا فى الحيوة الدنيا) بالاصالة
والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع (خالصة يوم القيمة) لايشاركهم فيها
غيرهم وانتصابهـا على الحال وقرأ نافع بالرفع على انهـا خبر بعد خبر
(كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر
الاحكام لهم (قل انما حرم ربى الفواحش) ماتزايد قبحه وقيل مايتعلق
بالفروج (ماظهر منها ومابطن) جهرها وسرها (والاثم) ومايوجب الاثم
تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر (والبغى) الظلم اوالكبر افرده بالذكر
للمبالغـة (بغير الحق) متعلق بالبغى مؤكد له معنى (وان تشركوا بالله
مالم ينزل به سلطانا) تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع مالم يدل عليه
برهان (وان تقولوا على الله مالا تعلمون) بالالحاد فى صفاته والافتراء عليه
كقولهم والله امرنا بها (ولكل امة اجل) مدة اووقت لنزول العذاب
بهم وهو وعيد لاهل مكة (فاذا جاء اجلهم) انقرضت مدتهم اوحان
وقتهم (لايستأخرون ساعة ولايستقدمون) اى لايتأخرون ولايتقدمون
اقصر وقت اولايطلبون التأخر والتقدم لشدة الهول (يابنى آدم امايأتينكم
رسل منكم يقصون عليكم آياتى) شرط ذكره بحرف الشك للتنبيه على
ان اتيان الرسل امر جائز غير واجب كما ظنه اهل التعليم وضمت اليهـا
ماللتأكيد معنى الشرط ولذلك اكد فعلها بالنون وجوابه (فمن اتقى واصلح
فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون) والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح عمله منكم
والذين كذبوا بآياتنا منكم وادخال الفاء فى خبر الاول دون الثانى للمبالغة
فى الوعد والمسـامحة فى الوعيد (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اوكذب
بآياته) ممن تقول على الله مالم يقله اوكذب ماقاله (اولئك ينالهم نصيبهم
من الكتاب) مما كتب لهم من الارزاق والآجال وقيل الكتاب اللوح
المحفوظ اى مما اثبت لهم فيه (حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم) اى يتوفون
ارواحهم وهو حال من الرسل وحتى غاية نيلهم وهى التى يبتدأ بعدهـا
الكلام (قالوا) جواب اذا (اينما كنتم تدعون من دون الله) اين الآلهة
الذين كنتم تعبدونها وماوصلت باين فى خط المصحف وحقهـا الفصل
لانهـا موصولة (قالوا ضلوا عنـا) غابوا عنا (وشهدوا على انفسهم
انهم كانوا كافرين) اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه (قال ادخلوا

بدل منه أى قبائل (أمما) بدل
مماقبله (واوحينا الى موسى
اذ استسقاه قومه) فى التيه
(أن اضرب بعصاك الحجر)
فضربه (فانبجست) انفجرت
(منه اثنتا عشرة عينا) بعدد
الاسباط (قد علم كل اناس)
سبط منهم (مشربهم وظللنا
عليهم الغمام) فى التيه من حر
الشمس (وانزلنا عليهم المن
والسـلوى) هما الترنجبين
والطير السمانى بتخفيف الميم
والقصر وقلنـا لهم (كلوا
من طيبات مارزقناكم وماظلمونا
ولكن كانوا أنفسهم يظلمون
و) اذكر (اذ قيل لهم اسكنوا
هذه القرية) بيت المقدس
(وكلوا منها حيث شئتم وقولوا)
أمرنا (حطة وادخلوا الباب)
أى باب القرية (سجدا)
سجود انحناء (نغفر) بالنون
والتاء مبنيا للمفعول (لكم
خطيئاتكم سنزيد المحسنين)
بالطاعـة ثوابا (فبدل الذين
ظلموا منهم قولا غير الذى
قيل لهم) فقالوا حبة فى شعرة
ودخلوا يزحفون على استاههم
(فارسلنا عليهم رجزا) عذابا
(من السماء بماكانوا يظلمون)
وأسـأل لهم يامحمد توبيخـا

اى قال الله لهم يوم القيمة او احد من الملائكة (فى امم قدخلت من قبلكم) اى كائنين فى جملة امم مصاحبين لهم يوم القيمة (من الجن والانس) يعنى كفار الامم الماضية من النوعين (فى النار) متعلق بادخلوا (كلما دخلت امة) اى فى النار (لعنت اختها) التى ضلت بالاقتداء بها (حتى اذا اداركوا فيها جميعا) اى تداركوا وتلاحقوا فى النار (قالت اخراهم) دخولا اومنزلة وهم الاتباع (لاولاهم) اى لاجل اولاهم اذ الخطاب مع الله لامعهم (ربنا هؤلاء اضلونا) سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم (فآتهم عذابا ضعفا من النار) مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا (قال لكل ضعف) اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم (ولكن لاتعلمون) مالكم اومالكل فريق وقرأ عاصم برواية ابى بكر بالياء على الانفصال (وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل) عطفوا كلامهم على جواب الله لاخراهم ورتبوه عليه اى فقد ثبت ان لافضل لكم علينا وانا واياكم متساوون فى الضلال واستحقاق العذاب (فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون) من قول القادة اومن قول الفريقين (ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها) اى عن الايمان بها (لاتفتح لهم ابواب السماء) لادعيتهم واعمالهم اولارواحهم كما تفتح لاعمال المؤمنين وارواحهم لتتصل بالملائكة والتاء فى تفتح لتأنيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرأ ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائى به وبالياء لان التأنيث غير حقيقى والفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء على ان الفعل للآيات وبالياء على ان الفعل لله (ولايدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط) اى حتى يدخل ماهومثل فى عظم الجرم وهو البعير فيما هومثل فى ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وذلك مما لايكون فكذا ماتوقف عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهى الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وفى سم المخيط وهو والخياط مايخاط به كالحزام والمحزم (وكذلك) ومثل ذلك الجزاء الفظيع (نجزى المجرمين لهم من جهنم مهاد) فراش (ومن فوقهم غواش) اغطية والتنوين فيه للبدل عن الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف (وكذلك نجزى الظالمين) عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم

(عن القرية التى كانت حاضرة البحر) مجاورة بحر القلزم وهى أيلة ماوقع باهلها (اذ يعدون) يعتدون (فى السبت) بصيد السمك المأمورين بتركه فيه (اذ) ظرف ليعدون (تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا) ظاهرة على الماء (ويوم لايسبتون) لايعظمون السبت أى سائر الايام (لاتأتيهم) ابتلاء من الله (كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون) ولما صادوا السمك افترقت القرية أثلاثا ثلث صادوا معهم وثلث نهوهم وثلث أمسكوا عن الصيد والنهى (واذ) عطف على اذ قبله (قالت أمة منهم) لم تصد ولم تنه لمن نهى (لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا) موعظتنا (معذرة) نعتذر بها (الى ربكم) لئلا ننسب الى تقصير فى ترك النهى (ولعلهم يتقون) الصيد (فلما نسوا) تركوا (ماذكروا) وعظوا (به) فلم يرجعوا (أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا) بالاعتداء (بعذاب بئيس) شديد (بما كانوا يفسقون فلما عتوا)

(بتكذيبهم)

بتكذيبهم الآيات اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لانكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) على عادته سبحانه وتعالى فى ان يشفع الوعد بالوعيد ولانكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدأ وخبره للترغيب فى اكتساب النعيم المقيم بمايسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لاتكلف نفس (ونزعنا مافى صدورهم من غل) اى نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه حتى لايكون بينهم الا التواد وعن على كرم الله وجهه انى لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم (تجرى من تحتهم الانهار) زيادة فى لذتهم وسرورهم (وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا) لما جزاؤه هذا (وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله) لولاهداية الله وتوفيقه واللام لتأكيد النفى وجواب لولامحذوف دل عليه ماقبله وقرأ ابن عامر ما كنا بغير واو على انها مبينة للاولى (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا بان ماعلموه يقينا فى الدنيا صار لهم عين اليقين فى الآخرة (ونودوا ان تلكم الجنة) اذا رأوها من بعيد او بعد دخولها والمنادى له بالذات (اورثتموها بما كنتم تعملون) اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة او خبر والجنة صفة تلكم وان فى المواقع الخمسة هى المخففة او المفسرة لان المناداة والتأذين من القول (ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا) انما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقل ماوعدكم كما قال ماوعدنا لان ماساءهم من الموعود لم يكن بأسره مخصوصا وعدة بهم كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة (قالوا نعم) وقرأ الكسائى بكسر العين وهما لغتان (فأذن مؤذن) قيل هو صاحب الصور (بينهم) بين الفريقين (ان لعنة الله على الظالمين) وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائى ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرئ ان بالكسر على ارادة القول اواجراء اذن مجرى قال (الذين يصدون عن سبيل الله) صفة للظالمين مقررة او ذم مرفوع او منصوب (ويبغونها عوجا) زيغا وميلا عما هو عليه والعوج بالكسر فى المعانى والاعيان مالم تكن منتصبة وبالفتح فى المنتصبة كالحائط والرمح

تكبروا (عن) ترك (مانهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) صاغرين فكانوها وهذا تفصيل لما قبله قال ابن عباس ماأدرى مافعل بالفرقة الساكتة وقال عكرمة لم تهلك لانها كرهت مافعلوه وقالت لم تعظون الخ وروى الحاكم عن ابن عباس أنه رجع اليه وأعجبه (واذ تأذن) أعلم (ربك ليبعثن عليهم) أى اليهود (الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب) بالذل وأخذ الجزية فبعث عليهم سليمان وبعده بختنصر فقتلهم وسباهم وضرب عليهم الجزية فكانوا يؤدونها الى المجوس الى أن بعث نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فضربها عليهم (ان ربك لسريع العقاب) لمن عصاه (وانه لغفور) لاهل طاعته (رحيم) بهم (وقطعناهم) فرقناهم (فى الارض أمما) فرقا (منهم الصالحون ومنهم) ناس (دون ذلك) الكفار الفاسقون (وبلوناهم بالحسنات) بالنعم (والسيئات) النقم (لعلهم يرجعون) عن فسقهم (فخلف من بعدهم

﴿ وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب ﴾ اى بين الفريقين كقوله تعالى فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احداهما الى الاخرى ﴿ وعلى الاعراف ﴾ وعلى اعراف الحجاب اى على اعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشئ فانه يكون بظهوره اعرف من غيره ﴿ رجال ﴾ طائفة من الموحدين قصروا فى العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضى الله فيهم مايشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء او الشهداء او خيار المؤمنين وعلمائهم او ملائكة يرون فى صورة الرجال ﴿ يعرفون كلا ﴾ من اهل الجنة والنار ﴿ بسيماهم ﴾ بعلامتهم التى اعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها فى المرعى معلمة او من وسم على القلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة ﴿ ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم ﴾ اى اذا نظروا اليهم سلموا عليهم ﴿ لم يدخلوها وهم يطمعون ﴾ حال من الواو على الوجه الاول ومن الاصحاب على الوجوه ﴿ واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ﴾ تعوذا بالله ﴿ ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين ﴾ اى فى النار ﴿ ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم ﴾ من رؤساء الكفرة ﴿ قالوا ماأغنى عنكم جمعكم ﴾ كثرتكم او جمعكم المال ﴿ وما كنتم تستكبرون ﴾ عن الحق او على الخلق وقرئ تستكثرون من الكثرة ﴿ اهؤلاء الذين اقسمتم لاينالهم الله برحمة ﴾ من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة الذين كانت الكفرة يحقرونهم فى الدنيا ويحلفون ان الله لايدخلهم الجنة ﴿ ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولا انتم تحزنون ﴾ اى فالتفتوا الى اصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوا وهو اوفق للوجوه الاخيرة او فقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله بعد ان حبسوا حتى ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ماقالوا وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لايدخلون الجنة فقال الله او بعض الملائكة اهؤلاء الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستئناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا لهم لاخوف عليكم ﴿ ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء ﴾ اى صبوه وهو دليل على ان الجنة فوق النار ﴿ او مما رزقكم الله ﴾ من سائر الاشربة ليلائم الافاضة او من الطعام كقوله * علفتها تبنا وماء باردا * ﴿ قالوا ان الله حرمهما على الكافرين ﴾ منعهما عنهم منع المحرم عن المكلف

خلف ورثوا الكتاب ﴾ التورية عن آبائهم ﴿ يأخذون عرض هذا الادنى ﴾ اى حطام هذا الشئ الدنى اى الدنيا من حلال وحرام ﴿ ويقولون سيغفر لنا ﴾ مافعلناه ﴿ وان يأتهم عرض مثله يأخذوه ﴾ الجملة حال اى يرجون المغفرة وهم عائدون الى مافعلوه مصرون عليه وليس فى التورية وعد المغفرة مع الاصرار ﴿ ألم يؤخذ ﴾ استفهام تقرير ﴿ عليهم ميثاق الكتاب ﴾ الاضافة بمعنى فى ﴿ أن لايقولوا على الله الا الحق ودرسوا ﴾ عطف على يؤخذ قرؤا ﴿ مافيه ﴾ فلم كذبوا عليه بنسبة المغفرة اليه مع الاصرار ﴿ والدار الآخرة خير للذين يتقون ﴾ الحرام ﴿ افلا يعقلون ﴾ بالياء والتاء انها خير فيؤثرونها على الدنيا ﴿ والذين يمسكون ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿ بالكتاب ﴾ منهم ﴿ وأقاموا الصلوة ﴾ كعبد الله ابن سلام وأصحابه ﴿ انا لا نضيع أجر المصلحين ﴾ الجملة خبر الذين وفيه وضع الظاهر موضع المضمر اى أجرهم

(الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا) كتحريم البحيرة والتصدية والمكاء حول البيت واللهو صرف الهم بما لا يحسن ان يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب به (وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننساهم) نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم فى النار (كما نسوا لقاء يومهم هذا) فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له (وما كانوا بآياتنا يجحدون) وكما كانوا منكرين انها من عند الله (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه) بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ مفصلة (على علم) عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما وفيه دليل على انه تعالى عالم بعلم او مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فضلناه اى على سائر الكتب عالمين بانه حقيق بذلك (هدى ورحمة لقوم يؤمنون) حال من الهاء (هل ينظرون) هل ينتظرون (الا تأويله) الاما يؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد (يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل) تركوه ترك الناسى (قد جاءت رسل ربنا بالحق) اى قد تبين انهم جاؤا بالحق (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) اليوم (او نرد) اوهل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا اولان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسئول احد الامرين الشفاعة اوردهم الى الدنيا وعلى الثانى ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين او لامر واحد وهو الرد (فنعمل غير الذى كنا نعمل) جواب الاستفهام الثانى وقرئ بالرفع اى فنحن نعمل (قد خسروا انفسهم) بصرف اعمارهم فى الكفر (وضل عنهم ما كانوا يفترون) بطل عنهم فلم ينفعهم (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام) اى فى ستة اوقات كقوله ومن يولهم يومئذ دبره او فى مقدار ستة ايام فان المتعارف فى اليوم زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفى خلق الأشياء مدرجا مع القدرة على ايجادها دفعة دليل للاختيار واعتبار للنظار وحث على التانى فى الامور (ثم استوى على العرش) استوى امره اوستولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف والمعنى ان له تعالى استواء على العرش على الوجه الذى عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمى به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك (يغشى الليل النهار) يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به اولان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ يغشى الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب

(و) اذكر (اذ نتقنا الجبل) رفعناه من أصله (فوقهم كأنه ظلة وظنوا) أيقنوا (أنه واقع بهم) ساقط عليهم بوعد الله اياهم بوقوعه ان لم يقبلوا احكام التورية وكانوا أبوها لثقلها فقبلوا وقلنا لهم (خذوا ما آتيناكم بقوة) بجد واجتهاد (واذكروا ما فيه) بالعمل به (لعلكم تتقون و) اذكر (اذ) حين (أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم) بدل اشتمال مما قبله باعادة الجار (ذرياتهم) بان أخرج بعضهم من صلب بعض من صلب آدم نسلا بعد نسل كنحو ما يتوالدون كالذر بنعمان يوم عرفة ونصب لهم دلائل على ربوبيته وركب فيهم عقلا (وأشهدهم على أنفسهم) قال (ألست بربكم قالوا بلى) أنت ربنا (شهدنا) بذلك والاشهاد ا (ان) لا (يقولوا) بالياء والتاء فى الموضعين أى الكفار (يوم القيمة انا كنا عن هذا) التوحيد (غافلين) لا نعرفه (أو يقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل) أى قبلنا (وكنا

وابو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفى الرعد للدلالة على التكرير (يطلبه حثيثا) يعقبه سريعا كالطالب له لايفصل بينهما شىء والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول بمعنى محثوثا (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره) بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب مسخرات على الحال وقرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر (الا له الخلق والامر) فانه الموجد والمتصرف (تبارك الله رب العالمين) تعالى بالوحدانية فى الالوهية وتعظم بالتفرد فى الربوبية وتحقيق الآية والله اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى لانه الذى له الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب كما اشار اليه بقوله تعالى فقضاهن سبع سموات فى يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة الآثار والافعال واشار اليه بقوله خلق الارض فى يومين اى ما فى جهة السفل فى يومين ثم انشأ انواع المواليد الثلاثة بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال تعالى بعد قوله وخلق الارض فى يومين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها فى اربعة ايام اى مع اليومين الاولين لقوله تعالى فى سورة السجدة الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكرير الليالى والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امرهم بان يدعوه متذللين مخلصين فقال (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) اى ذوى تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص (انه لا يحب المعتدين) المجاوزين ما امروا به فى الدعاء وغيره نبه به على ان الداعى ينبغى ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح فى الدعاء والاسهاب فيه وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم انى اسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين (ولا تفسدوا

ذرية من بعدهم) فاقتدينا بهم (أفتهلكنا) تعذبنا (بما فعل المبطلون) من آبائنا بتأسيس الشرك المعنى لا يمكنهم الاحتجاج بذلك مع اشهادهم على أنفسهم بالتوحيد والتذكير به على لسان صاحب المعجزة قائم مقام ذكره فى النفوس (وكذلك نفصل الآيات) نبينها مثل ما بينا الميثاق ليتدبروها (ولعلهم يرجعون) عن كفرهم (واتل) يا محمد (عليهم) أى اليهود (نبأ) خبر (الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها) خرج بكفره كما تخرج الحية من جلدها وهو بلعم بن باعوراء من علماء بنى اسرائيل سئل أن يدعو على موسى واهدى اليه شىء فدعا فانقلب عليه واندلع لسانه على صدره (فاتبعه الشيطان) فادركه فصار قرينه (فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه) الى منازل العلماء (بها) بان نوفقه للعمل (ولكنه أخلد) سكن (الى الارض) أى الدنيا ومال اليها (واتبع هواه) فى دعائه اليها فوضعناه (فمثله) صفته (كمثل الكلب ان تحمل عليه)

فى الارض) بالكفر والمعاصى (بعد اصلاحها) ببعث الانبياء وشرع الاحكام (وادعوه خوفا وطمعا) ذوى خوف من الرد لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع فى اجابته تفضلا واحسانا لفرط رحمته (ان رحمة الله قريب من المحسنين) ترجيح للطمع وتنبيه على مايتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم اولانه صفة محذوف اى امر قريب اوعلى تشبيهه بفعيل الذى هو بمعنى مفعول اوالذى هو مصدر كالنقيض اوللفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره (وهو الذى يرسل الرياح) وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى الريح على الوحدة (نشرا) جمع نشور بمعنى ناشر وقرأ ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائى نشرا بفتح النون حيث وقع على انه مصدر فى موضع الحال بمعنى ناشرات اومفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان وعاصم بشرا وهو تخفيف بشر جمع بشير وقد قرئ به وبشرا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى باشرات اوللبشارة وبشرى (بين يدى رحمته) قدام رحمته يعنى المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه (حتى اذا اقلت سحابا) اى حملته واشتقاقه من القلة فان المقل للشئ يستقله (ثقالا) بالماء جمعه لان السحاب بمعنى السحائب (سقناه) اى السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ (لبلد ميت) اى لاجله اولاحيائه اولسقيه وقرئ ميت (فانزلنا به الماء) بالبلد اوبالسحاب اوبالسوق اوبالريح وكذلك (فاخرجنا به) ويحتمل فيه عود الضمير الى الماء واذا كان للبلد فالباء للالصاق فى الاول وللظرفية فى الثانى واذا كان لغيره فهى للسببية فيهما (من كل الثمرات) من كل انواعها (كذلك نخرج الموتى) الاشارة فيه الى اخراج الثمرات اوالى احياء البلد الميت كما نحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى مواد بدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس (لعلكم تذكرون) فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا (والبلد الطيب) الارض الكريمة التربة (يخرج نباته باذن ربه) بمشيئته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه فى مقابلة (والذى خبث) كالحرة والسبخة (لايخرج الانكدا) قليلا عديم النفع ونصبه على الحال وتقدير الكلا والبلد الذى خبث لايخرج نباته الانكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه

بالطرد والزجر (يلهث) يدلع لسانه (أو) ان (تتركه يلهث) وليس غيره من الحيوان كذلك وجملتا الشرط حال أى لاهثا ذليلا بكل حال والقصد التشبيه فى الوضع والخسة بقرينة الفاء المشعرة بترتيب مابعدها على ماقبلها من الميل الى الدنيا واتباع الهوى وبقرينة قوله (ذلك) المثل (مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص) على اليهود (لعلهم يتفكرون) يتدبرون فيها فيؤمنون (ساء) بئس (مثلا القوم) أى مثل القوم (الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون) بالتكذيب (من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون ولقد ذرأنا) خلقنا (لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لايفقهون بها) الحق (ولهم أعين لايبصرون بها) دلائل قدرة الله بصر اعتبار (ولهم آذان لايسمعون بها) الآيات والمواعظ سماع تدبر واتعاظ (أولئك كالانعام) فى عدم الفقه والبصر والاستماع

مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يخرجه اى يخرجه البلد فيكون الانكدا مفعولا ونكدا على المصدر اى ذانكد ونكدا بالاسكان للتخفيف ﴿ كذلك نصرف الآيات ﴾ نرددها ونكررها ﴿ لقوم يشكرون ﴾ نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والآية مثل لمن تدبر الآيات وانتفع بها ولمن لم يرفع اليها رأسا ولم يتأثربها ﴿ لقد ارسلنا نوحا الى قومه ﴾ جواب قسم محذوف ولا يكاد تطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ماصدربها ونوح بن لمك بن متوشلح بن ادريس اول نبي بعده بعث وهو ابن خمسين سنة اوار بعين ﴿ فقال ياقوم اعبدوا الله ﴾ اى اعبدوه وحده لقوله تعالى ﴿ مالكم من اله غيره ﴾ وقرأ الكسائى غيره بالكسر نعتا او بدلا على اللفظ حيث وقع اذا كان قبل اله من التى تخفض وقرئ بالنصب على الاستثناء ﴿ انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾ اى ان لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعى الى عبادته واليوم يوم القيمة او يوم نزول الطوفان ﴿ قال الملأ من قومه ﴾ اى الاشراف فانهم يملأون العيون رواء ﴿ انالنراك فى ضلال ﴾ فى زوال عن الحق ﴿ مبين ﴾ بين ﴿ قال ياقوم ليس بى ضلالة ﴾ اى شئ من الضلال بالغ فى النفى كما بالغوا فى الاثبات وعرض لهم به ﴿ ولكنى رسول من رب العالمين ﴾ استدراك باعتبار مايلزمه وهو كونه على هدى كأنه قال ولكنى على هدى فى الغاية لانى رسول من الله ﴿ ابلغكم رسالات ربى وانصح لكم واعلم من الله مالا تعلمون ﴾ صفات لرسول او استئناف ومساقها على الوجهين لبيان كونه رسولا وقرأ ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها اولتنوع معانيها كالعقائد والمواعظ والاحكام اولان المراد بها مااوحى اليه والى الانبياء قبله كصحف شيث وادريس وزيادة اللام فى لكم للدلالة على امحاض النصح لهم وفى اعلم من الله تقرير لما وعدهم به فان معناه اعلم من قدرته وشدة بطشه او من جهته بالوحى اشياء لاعلم لكم بها ﴿ اوعجبتم ﴾ الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف اى اكذبتم وعجبتم ﴿ ان جاءكم ﴾ من ان جاءكم ﴿ ذكر من ربكم ﴾ رسالة او موعظة ﴿ على رجل ﴾ على لسان رجل ﴿ منكم ﴾ من جملتكم او من جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو شاء الله لانزل ملائكة ماسمعنا بهذا فى آبائنا الاولين ﴿ لينذركم ﴾ عاقبة الكفر والمعاصى ﴿ ولتتقوا ﴾ منهما بسبب الانذار ﴿ ولعلكم ترحمون ﴾ بالتقوى وفائدة حرف الترجى التنبيه

﴿ بل هم أضل ﴾ من الانعام لانها تطلب منافعها وتهرب من مضارها وهؤلاء يقدمون على النار معاندة ﴿ أولئك هم الغافلون ولله الاسماء الحسنى ﴾ التسعة والتسعون الوارد بها الحديث والحسنى مؤنث الاحسن ﴿ فادعوه ﴾ سموه ﴿ بها وذروا ﴾ اتركوا ﴿ الذين يلحدون ﴾ من الحد ولحد يميلون عن الحق ﴿ فى أسمائه ﴾ حيث اشتقوا منها أسماء لآلهتهم كاللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان ﴿ سيجزون ﴾ فى الآخرة جزاء ﴿ ماكانوا يعملون ﴾ وهذا قبل الامر بالقتال ﴿ وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ﴾ هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم كما فى حديث ﴿ والذين كذبوا بآياتنا ﴾ القرآن من أهل مكة ﴿ سنستدرجهم ﴾ نأخذهم قليلا قليلا ﴿ من حيث لا يعلمون وأملى لهم ﴾ أمهلهم ﴿ ان كيدى متين ﴾ شديد لا يطاق ﴿ أولم يتفكروا ﴾ فيعلموا ﴿ ما بصاحبهم ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ من جنة ﴾ جنون ﴿ ان ﴾ ما ﴿ هو الا نذير

على ان التقوى غير موجب والترحم من الله تفضل وان المتقى ينبغى ان لا يعتمد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله (فكذبوه فانجيناه والذين معه) وهم من آمن به وكانوا اربعين رجلا واربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به (فى الفلك) متعلق بمعه اوبانجيناه او حال من الموصول اومن الضمير فى معه (واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) بالطوفان (انهم كانوا قوما عمين) عمى القلوب غير مستبصرين واصله عميين فخفف وقرئ عامين والاول ابلغ لدلالته على الثبات (والى عاد اخاهم) عطف على نوحا الى قومه (هودا) عطف بيان لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا اخا العرب للواحد منهم فانه هود بن عبدالله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هو هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام ابن عم ابى عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لقوله واعرف بحاله وارغب فى اقتفائه (قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره) استأنف به ولم يعطف كانه جواب سائل قال فما قال لهم حين ارسل وكذلك جوابهم (افلا تتقون) عذاب الله وكأن قومه كانوا اقرب من قوم نوح ولذلك قال (قال الملأ الذين كفروا من قومه) اذ كان من اشرافهم من آمن به كمرثد بن سعد (انا لنراك فى سفاهة) متمكنا من خفة عقل وراسخا فيها حيث فارقت دين قومك (وانا لنظنك من الكاذبين قال ياقوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربى وانا لكم ناصح امين اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم) سبق تفسيره وفى اجابة الانبياء عليهم الصلوة والسلام الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما اجابوا والاعراض عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغى لكل ناصح وفى قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه على انهم عرفوه بالامرين وقرأ ابو عمرو ابلغكم فى الموضعين فى هذه السورة وفى الاحقاف مخففا (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) اى فى مساكنهم او فى الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الى شجر عمان خوفهم من عقاب الله ثم ذكرهم بانعامه (وزادكم فى الخلق بسطة) قامة وقوة (فاذكروا آلاء الله) وهو تعميم بعد تخصيص (لعلكم تفلحون) لكى يفضى بكم ذكر النعم الى شكرها المؤدى الى الفلاح (قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا

مبين) بين الانذار (أولم ينظروا فى ملكوت) ملك (السموات والارض و) فى (ماخلق الله من شئ) بيان لما فيستدلوا به على قدرة صانعه ووحدانيته (و) فى (أن) أى أنه (عسى أن يكون قد اقترب) قرب (أجلهم) فيموتوا كفارا فيصيروا الى النار فيبادروا الى الايمان (فبأى حديث بعده) أى القرآن (يؤمنون من يضلل الله فلا هادى له ويذرهم) بالياء والنون مع الرفع استئنافا والجزم عطفا على محل مابعد الفاء (فى طغيانهم يعمهون) يترددون تحيرا (يسألونك) أى أهل مكة (عن الساعة) القيمة (أيان) متى (مرساها قل) لهم (انما علمها) متى تكون (عند ربى لا يجليها) يظهرها (لوقتها) اللام بمعنى فى (الا هو ثقلت) عظمت (فى السموات والارض) على أهلهما لهولها (لا تأتيكم الا بغتة) فجأة (يسألونك كأنك حفى) مبالغ فى السؤال (عنها) حتى علمتها (قل

استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والاعراض عما اشرك به آباؤهم انهما كا فى التقليد وحبا لما الفوه ومعنى المجيء فى اجئتنا اما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه اومن السماء على التهكم اوالقصد على المجاز كقولهم ذهب يسبنى (فأتنا بما تعدنا) من العذاب المدلول عليه بقوله افلا تتقون (ان كنت من الصادقين) فيه (قال قد وقع عليكم) قد وجب او حق عليكم او نزل عليكم على ان المتوقع كالواقع (من ربكم رجس) عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب (وغضب) ارادة انتقام (اتجادلوننى فى اسماء سميتموها انتم وآباؤكم مانزل الله بها من سلطان) اى فى اشياء سميتموها آلهة وليس فيها معنى الالهية لان المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وانها لو استحقت كان استحقاقها بجعله تعالى اما بانزال آية او نصب حجة بين ان منتهى حجتهم وسندهم ان الاصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى واسناد الاطلاق الى من لم يؤبه بقوله اظهار الغاية جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل به على ان الاسم هو المسمى وان اللغات توقيفية اذلو لم تكن كذلك لم يتوجه الذم والابطال بانها اسماء مخترعة لم ينزل الله بها سلطانا وضعفهما ظاهر (فانتظروا) لما وضح الحق وانتم مصرون على العناد نزول العذاب (انى معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه) فى الدين (برحمة منا) عليهم (وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) اى استأصلناهم (وماكانوا مؤمنين) تعريض بمن آمن منهم وتنبيه على ان الفارق بين من نجا ومن هلك هو الايمان روى انهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم هودا فكذبوه وازدادوا عتوا فامسك الله القطر عنهم ثلاث سنين حتى جهدهم وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهزوا اليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد فى سبعين من اعيانهم وكان اذذاك بمكة العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة انزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له فلما رأى ذهولهم باللهو عما بعثوا له اهمه ذلك واستحيي ان يكلمهم فيه مخافة ان يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين * الاياقيل ويحك قم فهينم * لعل الله يسقينا الغماما * فيسقى ارض عادان عادا * قدامسوا مايبينون الكلاما * حتى غنتابه فازعجهم

انما علمها عندالله) تأكيد (ولكن اكثر الناس لايعلمون) أن علمها عنده تعالى (قل لاأملك لنفسى نفعا) أجلبه (ولاضرا) أدفعه (الا ماشاء الله ولوكنت أعلم الغيب) ماغاب عنى (لاستكثرت من الخير ومامسنى السوء) من فقر وغيره لاحترازى عنه باجتناب المضار (ان) ما (أنا الا نذير) بالنار للكافرين (وبشير) بالجنة (لقوم يؤمنون هو) أى الله (الذى خلقكم من نفس واحدة) أى آدم (وجعل) خلق (منها زوجها) حواء (ليسكن اليها) ويألفها (فلما تغشاها) جامعها (حملت حملا خفيفا) هو النطفة (فمرت به) ذهبت وجاءت لخفته (فلما اثقلت) بكبر الولد فى بطنها واشفقا أن يكون بهيمة (دعوا الله ربهما لئن آتيتنا) ولدا (صالحا) سويا (لنكونن من الشاكرين) لك عليه (فلما آتاهما) ولدا (صالحا جعلاله شركاء) وفى قراءة بكسر الشين والتنوين أى شريكا (فيما آتاهما) بتسميته

(ذلك)

ذلك فقال مرثد والله لاتسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم فقالوا لمعاوية احبسه عنا لايقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله تعالى سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء ياقيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من وادى المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود عليه السلام والمؤمنون معه فاتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى ماتوا (والى ثمود) قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصروفا بتأويل الحى او باعتبار الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادى القرى (اخاهم صالحا) صالح بن عبيد بن آسف بن ماسخ بن عبيد بن حاذر بن ثمود (قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم) معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتى وقوله (هذه ناقة الله لكم آية) استئناف لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان لمن هى له آية ويجوز ان تكون ناقة الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا عاملا فى آية واضافة الناقة الى الله لتعظيمها ولانها جاءت من عنده بلا وسائط واسباب معهودة ولذلك كانت آية (فذروها تأكل فى ارض الله) العشب (ولاتمسوها بسوء) نهى عن المس الذى هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة فى الامر وازاحة للعذر (فيأخذكم عذاب اليم) جواب للنهى (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الارض) ارض الحجر (تتخذون من سهولها قصورا) اى تبنون فى سهولها او من سهولة الارض بما تعملون منها كاللبن والآجر (وتنحتون الجبال بيوتا) وقرئ تنحتون بالفتح وتناحتون بالاشباع وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة او المفعول على ان التقدير بيوتا من الجبال او تنحتون بمعنى تتخذون (فاذكروا آلاء الله ولاتعثوا فى الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا) اى للذين استضعفوهم واستذلوهم (لمن آمن منهم) بدل من للذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل البعض ان كان للذين وقرأ ابن عامر وقال الملأ بالواو (اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه) قالوا

عبد الحرث ولاينبغى أن يكون عبدا الا لله وليس باشراك فى العبودية لعصمة آدم وروى سمرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما ولدت حواء طاف بها ابليس وكان لايعيش لها ولد فقال سميه عبد الحرث فانه يعيش فسمته فعاش فكان ذلك من وحى الشيطان وأمره رواه الحاكم وقال صحيح والترمذى وقال حسن غريب (فتعالى الله عما يشركون) أى اهل مكة به من الاصنام والجملة مسببة عطف على خلقكم ومابينهما اعتراض (أيشركون) به فى العبادة (مالايخلق شيئا وهم يخلقون ولايستطيعون لهم) أى لعابديهم (نصرا ولا أنفسهم ينصرون) بمنعها ممن أرادبهم سوأ من كسر أوغيره والاستفهام للتوبيخ (وان تدعوهم) أى الاصنام (الى الهدى لايتبعوكم) بالتخفيف والتشديد (سواء عليكم أدعوتموهم) اليه (أم أنتم صامتون) عن دعائهم لايتبعوه لعدم سماعهم (ان الذين تدعون) تعبدون (من دون الله عباد) مملوكة

على الاستهزاء (قالوا انا بما ارسل به مؤمنون) عدلوا به عن الجواب السوى الذى هو نعم تنبيها على ان ارساله اظهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذى رأى وانما الكلام فيمن آمن به ومن كفر فلذلك قال (قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون) على وجه المقابلة ووضعوا آمنتم به موضع ارسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما (فعقروا الناقة) فنحروها اسند الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة اولانه كان برضاهم (وعتوا عن امر ربهم) واستكبروا عن امتثاله وهو مابلغهم صالح عليه السلام بقوله فذروها (وقالوا ياصالح ائتنا بماتعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة) الزلزلة (فاصبحوا فى دارهم جاثمين) خامدين ميتين روى انهم من بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طوالا لايفى بها الابنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا فى خصب وسعة فعتوا وافسدوا فى الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا من اشرافهم فانذرهم فسألوا آية فقال اية آية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا فتدعو الهك وندعوا آلهتنا فمن استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة يقال لها الكاثبة وقال له اخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبرآء فان فعلت صدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها فى العظم فآمن به جندع فى جماعة ومنع الباقين من الايمان ذواب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب ابن صمعر كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع رأسها من البئر حتى تشرب كل مافيها ثم تتفحج فيحلبون ماشاؤا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادى فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتوى ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقى سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال لهم صالح ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه اذ انفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات

(طلبوا)

(امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم) دعاءكم (ان كنتم صادقين) فى أنها آلهة ثم بين غاية عجزهم وفضل عابديهم عليهم فقال (ألهم أرجل يمشون بها أم) بل أ (لهم أيد) جمع يد (يبطشون بها ام) بل أ (لهم أعين يبصرون بها ام) بل أ (لهم آذان يسمعون بها) استفهام انكار أى ليس لهم شئ من ذلك مما هو لكم فكيف تعبدونهم وأنتم أتم حالا منهم (قل) لهم يامحمد (ادعوا شركاءكم) الى هلاكى (ثم كيدون فلا تنظرون) تمهلون فانى لاأبالى بكم (ان وليى الله) متولى أمورى (الذى نزل الكتاب) القرآن (وهو يتولى الصالحين) بحفظه (والذين تدعون من دونه لايستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون) فكيف أبالى بهم (وان تدعوهم) أى الاصنام (الى الهدى لايسمعوا وتراهم) أى الاصنام يامحمد (ينظرون اليك) أى يقابلونك كالناظر (وهم لايبصرون خذ العفو) اليسر من أخلاق الناس

طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا (فتولى عنهم وقال ياقوم لقد ابلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لاتحبون الناصحين) ظاهره ان توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اهل قليب بدر وقال انا وجدنا ماوعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا اوذكر على سبيل التحسر عليهم (ولوطا) اى وارسلنا لوطا (اذقال لقومه) وقت قوله لهم اوواذكر لوطا واذبدل منه (اتأتون الفاحشة) توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية فى القبح (ماسبقكم بها من احد من العالمين) مافعلها قبلكم احد قط والباء للتعدية ومن الاولى لتأكيد النفى والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استئناف مقررة للانكار كأنه وبخهم اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوأ (انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء) بيان لقوله اتأتون الفاحشة وهو ابلغ فى الانكار والتوبيخ وقرأ نافع وحفص انكم على الاخبار المستأنف وشهوة مفعول له اومصدر فى موقع الحال وفى التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغى ان يكون الداعى له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لاقضاء الوطر (بل انتم قوم مسرفون) اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التى ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهى اعتياد الاسراف فى كل شئ اوعن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم اوعن محذوف مثل لاعذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف (وماكان جواب قومه الاان قالوا اخرجوهم من قريتكم) اى ماجاؤا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا نصحه بالامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا (انهم اناس يتطهرون) اى من الفواحش (فانجيناه واهله) اى من آمن به (الاامرأته) استثناء من اهله فانها كانت تسر الكفر (كانت من الغابرين) من الذين بقوا فى ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور (وامطرنا عليهم مطرا) اى نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) روى ان لوط بن هاران بن تارخ لما هاجر مع عمه ابراهيم الى الشام نزل بالاردن فارسله الى اهل سدوم ليدعوهم

ولاتبحث عنها (وأمر بالعرف) المعروف (واعرض عن الجاهلين) فلا تقابلهم بسفههم (واما) فيه ادغام نون ان الشرطية فى ما المزيدة (ينزغنك من الشيطان نزغ) اى ان يصرفك عما امرت به صارف (فاستعذ بالله) جواب الشرط وجواب الامر محذوف اى يدفعه عنك (انه سميع) للقول (عليم) بالفعل (ان الذين اتقوا اذامسهم) اصابهم (طيف) وفى قراءة طائف اى شئ الم بهم (من الشيطان تذكروا) عقاب الله وثوابه (فاذاهم مبصرون) الحق من غيره فيرجعون (واخوانهم) اى اخوان الشياطين من الكفار (يمدونهم) اى الشياطين (فى الغى ثم) هم (لايقصرون) يكفون عنه بالتبصر كما تبصر المتقون (واذا لم تأتهم) اى اهل مكة (بآية) مما اقترحوا (قالوا لولا) هلا (اجتبيتها) انشأتها من قبل نفسك (قل) لهم (انما اتبع مايوحى الى من ربى) وليس لى ان آتى من عند نفسى بشئ (هذا) القرآن (بصائر) حجج (من

الى الله وينهاهم عما احترعوه من الفاحشه فلم ينتهوا عنها فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم (والى مدين اخاهم شعيبا) اى وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين ابن ابراهيم شعيب بن ميكيل بن يشخر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه (قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قدجاءتكم بينة من ربكم) يريد المعجزة التى كانت له وليس فى القرآن انها ماهى وماروى من محاربة عصا موسى عليه السلام التنين وولادة الغنم التى دفعها اليه الدرع خاصة وكانت الموعودة له من اولادها ووقوع عصا آدم عليه السلام على يده فى المرات السبع فمتأخر عن هذه المقاولة ويحتمل ان تكون كرامة لموسى اوارهاصا لنبوته (فاوفوا الكيل) اى آلة لكيل على الاضمار او اطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش لقوله (والميزان) كماقال فى سورة هود اى فاوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان مصدرا كالميعاد (ولاتبخسوا الناس اشياءهم) ولاتنقصوهم حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم تنبيها على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لايدعون شيئا الامكسوه (ولاتفسدوا فى الارض) بالكفر والحيف (بعداصلاحها) بعدمااصلح امرها واصلحها الانبياء واتباعهم بالشرائع اواصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة فى بل مكر الليل والنهار (ذلكم خيرلكم ان كنتم مؤمنين) اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اماالزيادة مطلقا اوفى الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال (ولاتقعدوا بكل صراط توعدون) بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذارأوا احدا يسعى فى شئ منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب فلايفتننك عن دينك ويوعدون من آمن به وقيل كانوا يقطعون الطريق (وتصدون عن سبيل الله) يعنى الذى قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم مايصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه اوالايمان بالله (من آمن به) اى بالله او بكل صراط على الاول ومن مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولوكان مفعول توعدون لقال وتصدونهم وتوعدون بماعطف عليه فى موقع الحال من الضمير فى تقعدوا

(وتبغونها)

ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا) عن الكلام (لعلكم ترحمون) نزلت فى ترك الكلام فى الخطبة وعبر عنها بالقرآن لاشتمالها عليه وقيل فى قراءة القرآن مطلقا (واذكر ربك فى نفسك) اى سرا (تضرعا) تذللا (وخيفة) خوفا منه (و) فوق السر (دون الجهر من القول) اى قصدا بينهما (بالغدو والآصال) اوائل النهار وأواخره (ولاتكن من الغافلين) عن ذكر الله (ان الذين عند ربك) اى الملائكة (لايستكبرون) يتكبرون (عن عبادته ويسبحونه) ينزهونه عمالايليق به (وله يسجدون) اى يخصونه بالخضوع والعبادة فكونوا مثلهم

سورة الانفال مدنية اوالا واذيمكر بك الآيات السبع فمكية خمس اوست اوسبع وسبعون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم) لما اختلف المسلمون فى غنائم بدر فقال الشبان هى لنا لانا باشرنا القتال وقال

وتبغونها عوجا) وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه ووصفها للناس بانها معوجة (واذكروا اذ كنتم قليلا) عددكم اوعددكم (فكثركم) بالبركة فى النسل او المال (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) من الامم قبلكم واعتبروا بهم (وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا) فتربصوا (حتى يحكم الله بيننا) اى بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين (وهو خير الحاكمين) اذلا معقب لحكمه ولا حيف فيه (قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا اولتعودن فى ملتنا) اى ليكونن احد الامرين اما اخراجكم من القرية اوعودكم فى الكفر وشعيب عليه السلام لم يكن فى ملتهم قط لان الانبياء عليهم السلام لايجوز عليهم الكفر مطلقا لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك اجرى الجواب فى قوله (قال اولو كنا كارهين) اى كيف نعود فيها ونحن كارهون لها او اتعيدوننا فى حال كراهتنا (قد افترينا على الله كذبا) قد اختلقنا عليه (ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها) شرط جوابه محذوف دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد لتقريبه من الحال اى قد افترينا الآن ان هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم ان لله تعالى ندا وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه باطل وما انتم عليه حق وقيل انه جواب قسم وتقديره والله لقد افترينا (ومايكون لنا) ومايصح لنا (ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا) خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على ان الكفر بمشيئته تعالى وقيل اراد به حسم طمعهم فى العود بالتعليق على مالايكون (وسع ربنا كل شئ علما) اى احاط علمه بكل شئ مما كان ومايكون منا ومنكم (على الله توكلنا) فى ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق) احكم بيننا وبينهم والفتاح القاضى والفتاحة الحكومة اواظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه (وانت خير الفاتحين) على المعنيين (وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا) وتركتم دينكم (انكم اذا لخاسرون) لاستبداله كم ضلالته بهداكم او الفوات مايحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم الموطأ باللام (فاخذتهم الرجفة) الزلزلة وفى سورة الحجر فاخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مباديها (فاصبحوا

الشيوخ كنا ردأ لكم تحت الرايات ولوانكشفتم لفئتم الينا فلا تستأثروا بها نزل (يسألونك) يامحمد (عن الانفال) الغنائم لمن هى (قل) لهم (الانفال لله والرسول) يجعلانها حيث شاآ فقسمها صلى الله عليه وسلم بينهم على السواء رواه الحاكم فى المستدرك (فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم) اى حقيقة مابينكم بالمودة وترك النزاع (واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين) حقا (انما المؤمنون) الكاملون فى الايمان (الذين اذا ذكر الله) اى وعيده (وجلت) خافت (قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا) تصديقا (وعلى ربهم يتوكلون) به يثقون لابغيره (الذين يقيمون الصلوة) يأتون بها بحقوقها (ومما رزقناهم) اعطيناهم (ينفقون) فى طاعة الله (اولئك) الموصوفون بماذكر (هم المؤمنون حقا) صدقا بلاشك (لهم درجات) منازل فى الجنة (عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) فى الجنة

في دارهم جاثمين) اي في مدينتهم الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره (كأن لم يغنوا فيها) اي استؤصلوا كأن لم يقيموا بها والمعنى المنزل (الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين) دينا ودنيا لاالذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون في الدارين وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول واستأنف بالجملتين واتى بهما اسميتين (فتولى عنهم وقال ياقوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم) قاله تأسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه فقال (فكيف آسى على قوم كافرين) ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم مانزل عليهم بكفرهم اوقاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ فكيف ايسى بامالتين (وماارسلنا في قرية من نبي الااخذنا اهلها بالبأساء والضراء) بالبؤس والضر (لعلهم يضرعون) كي يتضرعوا ويتذللوا (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) اي اعطيناهم بدل ماكانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالامرين (حتى عفوا) حتى كثروا عددا وعددا يقال عفا النبات اذا كثر ومنه اعفاء اللحى (وقالوا قدمس آباءنا الضراء والسراء) كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره واعتقادا بانه من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا منه مثل مامسنا (فاخذناهم بغتة) فجأة (وهم لايشعرون) بنزول العذاب (ولو ان اهل القرى) يعني القرى المدلول عليها بقوله وماارسلنا في قرية من نبي وقيل مكة وماحولها (آمنوا واتقوا) مكان كفرهم وعصيانهم (لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض) لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقرأ ابن عامر لفتحنا بالتشديد (ولكن كذبوا) الرسل (فاخذناهم بما كانوا يكسبون) من الكفر والمعاصي (افأمن اهل القرى) عطف على قوله فاخذناهم بغتة وهم لايشعرون ومابينهما اعتراض والمعنى ابعد ذلك امن اهل القرى (ان يأتيهم بأسنا بياتا) تبييتا اووقت بيات اومبيتا اومبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم (وهم نائمون) حال من ضميرهم البارز اوالمستتر في بياتا (اوامن اهل القرى) وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر اوبالسكون على الترديد (ان يأتيهم بأسنا ضحى) ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت (وهم يلعبون) يلهون

(كما اخرجك ربك من بيتك بالحق) متعلق باخرج (وان فريقا من المؤمنين لكارهون) الخروج والجملة حال من كاف اخرجك وكما خبر مبتدأ محذوف اي هذه الحال في كراهتهم لها مثل اخراجك في حال كراهتهم وقد كان خيرا لهم فكذلك هذه ايضا وذلك ان اباسفيان قدم بعير من الشام فخرج النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ليغنموها فعلمت قريش فخرج ابو جهل ومقاتلو مكة ليذبوا عنها وهم النفير واخذ ابو سفيان بالعير طريق الساحل فنجت فقيل لابي جهل ارجع فأبى وسار الى بدر فشاور صلى الله عليه وسلم اصحابه وقال ان الله وعدني احدى الطائفتين فوافقوه على قتال النفير وكره بعضهم ذلك وقالوا لم نستعد له كما قال تعالى (يجادلونك في الحق) القتال (بعدما تبين) ظهر لهم (كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون) اليه عيانا في كراهتهم له (و) اذكر (اذ يعدكم الله احدى الطائفتين) العير اوالنفير (انها لكم وتودون) تريدون (أن

من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم (افامنوا مكر الله) تقرير لقوله افامن اهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد واخذه من حيث لا يحتسب (فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار (اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها) اى يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وانما عدى يهد باللام لانه بمعنى يبين (ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم) ان الشأن لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وهو فاعل يهد ومن قراه بالنون جعله مفعولا (ونطبع على قلوبهم) عطف على مادل عليه اولم يهد اى يغفلون عن الهداية اومنقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا لانه فى سياقه جواب لو لافضائه الى نفى الطبع عنهم (فهم لا يسمعون) سماع تفهم واعتبار (تلك القرى) يعنى قرى الامم المارذكرهم (نقص عليك من انبائها) حال ان جعل القرى خبرا ويكون افادته بالتقييد بها وخبران جعلت صفة ويجوز ان يكونا خبرين ومن للتبعيض اى نقص بعض انبائها ولها انباء غيرها لانقصها (ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات (فما كانوا ليؤمنوا) عند مجيئهم بها (بما كذبوا من قبل) بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب اوفما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل ولم يؤثر فيهم قط دعوتهم المطاولة والآيات المتتابعة واللام لتأكيد النفى والدلالة على انهم ماصلحوا للايمان لمنافاته لحالهم فى التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) فلا تلين شكيمتهم بالآيات والنذر (وما وجدنا لاكثرهم) لاكثر الناس والآية اعتراض اولاكثر الامم المذكورين (من عهد) من وفاء عهد فان اكثرهم نقضوا ما عهد الله اليهم فى الايمان والتقوى بانزال الآيات ونصب الحجج او ماعهدوا اليه حين كانوا فى ضر ومخافة مثل لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين (وان وجدنا اكثرهم) اى علمناهم (لفاسقين) من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول ان المخففة واللام الفارقة وذلك لا يسوغ الا فى المبتدأ او الخبر او الافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين ان للنفى واللام بمعنى الا (ثم بعثنا من بعدهم موسى) الضمير للرسل فى قوله ولقد جاءتهم رسلهم اوللامم (بآياتنا) يعنى المعجزات (الى فرعون وملائه فظلموا بها) بان كفروا بها مكان الايمان

غير ذات الشوكة) أى البأس اوالسلاح وهى العير (تكون لكم) لقلة عددها وعددها بخلاف النفير (ويريد الله أن يحق الحق) يظهره (بكلماته) السابقة بظهور الاسلام (ويقطع دابر الكافرين) آخرهم بالاستئصال فأمركم بقتال النفير (ليحق الحق ويبطل) يمحق (الباطل) الكفر (ولو كره المجرمون) المشركون ذلك اذكر (اذ تستغيثون ربكم) تطلبون منه الغوث بالنصر عليهم (فاستجاب لكم أنى) أى بأنى (ممدكم) معينكم (بالف من الملائكة مردفين) متتابعين يردف بعضهم بعضا وعدهم بها اولا ثم صارت ثلاثة آلاف ثم خمسة كما فى آل عمران وقرىء بآلف كافلس جمع (وما جعله الله) أى الامداد (الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم) اذكر (اذ يغشاكم النعاس أمنة) أمنا مما حصل لكم من الخوف (منه) تعالى (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به) من الاحداث والجنابات (ويذهب

الذى هومن حقهـا لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسرى لملك فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن ريان ﴿ فانظر كيف كان عاقبـة المفسدين وقال موسى يافرعون انى رسول من رب العالمين ﴾ اليك وقوله ﴿ حقيق على ان لااقول على الله الا الحق ﴾ لعله جواب لتكذيبه اياه فى دعوى الرسالة وانما لم يذكره لدلالة قوله فظلموا بها عليه وكان اصله حقيق على ان لااقول كما قرأه نافع فقلب لامن الالتبـاس كقوله * وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر * اولان مالزمك فقدلزمته اوللاغراق فى الوصف بالصدق والمعنى انه حق واجب على القول الحق انا اكون انا قائله ولا يرضى الا بمثلى ناطقا به اوضمن حقيق معنى حريص اووضع على مكان البـاء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة ابى بالبـاء وقرئ حقيق ان لااقول بدون على ﴿ قدجئتكم ببينة من ربكم فارسل معى بنى اسرائيل ﴾ فخلهم حتى يرجعوا معى الى الارض المقدسة التى هى وطن آبائهم وكان قداستعبدهم واستخدمهم فى الاعمـال ﴿قال ان كنت جئت بآية﴾ من عند من ارسـلك ﴿ فأت بها ﴾ فاحضرها عندى ليثبت بها صدقك ﴿ ان كنت من الصادقين ﴾ فى الدعوى ﴿ فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ﴾ ظاهر امره لايشك فى انه ثعبان وهى الحية العظيمة روى انه لما القاها صارت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمـانون ذراعا وضع لحيه الاسـفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم النـاس مزدحمين فمات منهم خمسـة وعشرون الفا وصاح فرعون ياموسى انشدك بالذى ارسلك خذه وانا اؤمن بك وارسل معك بنى اسرائيل فاخذه فعاد عصا ﴿ ونزع يده ﴾ من جيبه اومن تحت ابطه ﴿ فاذا هى بيضاء للناظرين ﴾ اى بيضاء بياضا خارجا عن العادة يجتمع عليه النظارة او بيضاء للنظار لاانها كانت بيضاء فى جبلتها روى انه عليه السـلام كان آدم شديد الادمة فادخل يده فى جيبه اوتحت ابطه ثم نزعهـا فاذا هى بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس ﴿ قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم ﴾ قيل قاله هو واشراف قومه على سـبيل التشـاور فى امره فحكى عنه فى سورة الشعراء وعنهم ههنا ﴿ يريد ان يخرجكم من ارضكم فمـاذا تأمرون ﴾ تشيرون فى ان نفعـل ﴿ قالوا ارجه واخاه وارسل فى المدائن حاشرين يأتوك بكل

عنـكم رجز الشـيطان) وسوسته اليكم بأنكم لوكنتم على الحق ما كنتم ظمأى محدثين والمشركون على الماء (وليربط) يحبس (على قلوبكم) باليقـين والصبر (ويثبت به الاقـدام) أن تسوخ فى الرمل (اذ يوحى ربك الى الملائكة) الذين أمدبهم المسلمين (أنى) أى بأنى (معكم) بالعون والنصر (فثبتوا الذين آمنوا) بالاعانة والتبشـير (سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) الخـوف (فاضربوا فوق الأعناق) أى الرؤس (واضربوا منهم كل بنان) أى اطراف اليدين والرجـلين فكان الرجل يقصد ضرب رقبة الكافر فتسقط قبل ان يصل اليه سيفه ورماهم صلى الله عليه وسلم بقبضة من الحصى فلم يبق مشرك الا دخـل فى عينيه منها شئ فهزموا (ذلك) العذاب الواقع بهم (بأنهم شـاقوا الله) خالفوا الله (ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب) له (ذلكم) العذاب (فذوقوه) أيهـا الكفار

ساحر عليم) كأنه اتفقت عليه آراؤهم فاشاروا به الى فرعون والارجاء التأخير اى اخر امره واصله ارجئه كما قرأ ابو بكر ويعقوب من ارجأت وكذلك ارجئهو على قراءة ابن كثير وهشام عن ابن عامر على الاصل فى الضمير وارجهى من ارجيت كما قرأ نافع فى رواية ورش واسماعيل والكسائى واما قراءته فى رواية قالون ارجه بحذف الياء فالاكتفاء بالكسرة عنها واما قراءة حمزة وحفص ارجه بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه كابل فى اسكان وسطه واما قراءة ابن عامر ارجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا ترتضيه النحاة فان الهاء لاتكسر الا اذا كان قبلها كسرة او ياء ساكنة ووجهه ان الهمزة لما كانت تقلب ياء اجريت مجراها وقرأ حمزة والكسائى بكل سحار فيه وفى يونس ويؤيده اتفاقهم عليه فى الشعراء (وجاء السحرة فرعون) بعد ما ارسل الشرط فى طلبهم (قالوا أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين) استأنف به كأنه جواب سائل قال ماقالوا اذ جاؤا وقرأ ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم ان لنا لأجرا على الاخبار وايجاب الاجر كأنهم قالوا لابد لنا من اجر والتنكير للتعظيم (قال نعم) ان لكم لاجرا (وانكم لمن المقربين) عطف على ماسد مسده نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم (قالوا ياموسى اما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين) خيروا موسى مراعاة للادب او اظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم فى ان يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم الى ماهو ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وتأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل فلذلك قال (قال القوا) كرما وتسامحا او ازدراء بهم ووثوقا على شأنه (فلما ألقوا سحروا اعين الناس) بان خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه (واسترهبوهم) وارهبوهم ارهابا شديدا كأنهم طلبوا رهبتهم (وجاؤا بسحر عظيم) فى فنه روى انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كأنها حيات ملأت الوادى وركب بعضها بعضا (واوحينا الى موسى ان الق عصاك) فالقاها فصارت حية (فاذا هى تلقف ما يأفكون) مايزورونه من الافك وهو الصرف وقلب الشئ عن وجهه ويجوز ان تكون ما مصدرية وهى مع الفعل بمعنى المفعول روى انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها باسرها اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم ثم اخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقالت السحرة لوكان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا وقرأ حفص عن عاصم تلقف ههنا وفى طه والشعراء

فى الدنيا (وأن للكافرين) فى الآخرة (عذاب النار يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا) أى مجتمعين كأنهم لكثرتهم يزحفون (فلا تولوهم الادبار) منهزمين (ومن يولهم يومئذ) اى يوم لقائهم (دبره الا متحرفا) منعطفا (لقتال) بأن يريهم الفرة مكيدة وهو يريد الكرة (أو متحيزا) منضما (الى فئة) جماعة من المسلمين يستنجد بها (فقد باء) رجع (بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) المرجع هى وهذا مخصوص بما اذا لم يزد الكفار على الضعف (فلم تقتلوهم) ببدر بقوتكم (ولكن الله قتلهم) بنصره اياكم (وما رميت) يا محمد أعين القوم (اذ رميت) بالحصى لان كفا من الحصى لايملأ عيون الجيش الكثير برمية بشر (ولكن الله رمى) بايصال ذلك اليهم فعل ذلك ليقهر الكافرين (وليبلى المؤمنين منه بلاء) عطاء (حسنا) هو الغنيمة (ان الله سميع) لاقوالهم (عليم) بأحوالهم (ذلكم) الابلاء حق

و ان الله موهن) مضعف (كيد الكافرين ان تستفتحوا) ايها الكفار أى تطلبوا الفتح أى القضاء حيث قال أبو جهل منكم اللهم أينا كان أقطع للرحم وأتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة أى اهلكه (فقد جاءكم الفتح) القضاء بهلاك من هو كذلك وهو ابو جهل ومن قتل معه دون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين (وان تنتهوا) عن الكفر والحرب (فهو خير لكم وان تعودوا) لقتال النبي صلى الله عليه وسلم (نعد) لنصره عليكم (ولن تغنى) تدفع (عنكم فئتكم) جماعاتكم (شيئا ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين) بكسر ان استئنافا وفتحها على تقدير اللام (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا) تعرضوا (عنه) بمخالفة أمره (وانتم تسمعون) القرآن والمواعظ (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون) سماع تدبر واتعاظ وهم المنافقون أو المشركون (ان شر الدواب عند الله الصم)

(فوقع الحق) فثبت لظهور امره (وبطل ما كانوا يعملون) من السحر والمعارضة (فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين) صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه (والقى السحرة ساجدين) جعلهم ملقين على وجوههم تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك او ان الله الهمهم ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذين اراد بهم كسر موسى وينقلب الامر عليه او مبالغة فى سرعة خرورهم وشدته (قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون) ابدلوا الثانى من الاول لئلا يتوهم انهم ارادوا به فرعون (قال فرعون آمنتم به) بالله او بموسى والاستفهام فيه للانكار وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر عن عاصم وروح عن يعقوب بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرأ حفص آمنتم به على الاخبار (قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه) اى ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها انتم وموسى (فى المدينة) فى مصر قبل ان تخرجوا للميعاد (لتخرجوا منها اهلها) يعنى القبط وتخلص لكم ولبنى اسرائيل (فسوف تعلمون) عاقبة مافعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله (لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف) من كل شق طرفا (ثم لاصلبنكم اجمعين) تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من سن ذلك فشرعه الله للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله ورسوله ولكن على التعاقب لفرط رحمته (قالوا انا الى ربنا منقلبون) بالموت لا محالة فلا نبالى بوعيدك او انا منقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كأنهم استطابوه شغفا على لقاء الله او مصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا (وما تنقم منا) وما تنكر منا (الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا) وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله فقالوا (ربنا افرغ علينا صبرا) افض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا من الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون (وتوفنا مسلمين) ثابتين على الاسلام قيل انه فعل بهم ما اوعدهم به وقيل انه لم يقدر عليهم لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون (وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض) بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك (ويذرك) عطف على يفسدوا او جواب للاستفهام بالواو كقول الحطيئة * الم اك جاركم ويكون بينى * وبينكم المودة والاخاء * على معنى ان يكون منك ترك موسى ويكون منه

(تركه)

تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف على اتذر او استئناف او حال وقرئ بالسكون كأنه قيل يفسدوا ويذرك كقوله تعالى فاصدق واكن (وآلهتك) معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ الهتك اى عبادتك (قال) فرعون (سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم) كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذى حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده وقرأ ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف (وانا فوقهم قاهرون) غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا (قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا) لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم (ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده) تسلية لهم وتقريرا للامر بالاستعانة بالله والتثبت فى الامر (والعاقبة للمتقين) وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان واللام فى الارض يحتمل العهد والجنس (قالوا) اى بنوا اسرائيل (اوذينا من قبل ان تأتينا) بالرسالة بقتل الابناء (ومن بعد ما جئتنا) باعادته (قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض) تصريحا بما كنى عنه اولا لما رأى انهم لم يتسلوا بذلك ولعله اتى بفعل الطمع لعدم جزمه بانهم المستخلفون باعيانهم اواولادهم وقد روى ان مصر انما فتح لهم فى زمن داود عليه السلام (فينظر كيف تعملون) فيرى ماتعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان ليجازيكم على حسب مايوجد منكم (ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين) بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة غلبت على عام القحط لكثرة مايذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم اذا قحطوا (ونقص من الثمرات) بكثرة العاهات (لعلهم يذكرون) لكى يتنبهوا على ان ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا اوترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما عنده (فاذا جاءتهم الحسنة) من الخصب والسعة (قالوا لنا هذه) لاجلنا ونحن مستحقوها (وان تصبهم سيئة) جدب وبلاء (يطيروا بموسى ومن معه) يتشأموا بهم ويقولوا ما اصابتنا الا بشؤمهم وهذا اغراق فى وصفهم بالغباوة والقساوة فان الشدائد ترقق القلوب وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات وهى لم تؤثر فيهم

عن سماع الحق (البكم) عن النطق به (الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا) صلاحا بسماع الحق (لاسمعهم) سماع تفهم (ولو أسمعهم) فرضا وقد علم ان لاخير فيهم (لتولوا) عنه (وهم معرضون) عن قبوله عنادا وجحودا (ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول) بالطاعة (اذا دعاكم لما يحييكم) من أمر الدين لانه سبب الحيوة الابدية (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر الا بارادته (وأنه اليه تحشرون) فيجازيكم باعمالكم (واتقوا فتنة) ان أصابتكم (لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) بل تعمهم وغيرهم واتقاؤها بانكار موجبها من المنكر (واعلموا أن الله شديد العقاب) لمن خالفه (واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون فى الارض) أرض مكة (تخافون أن يتخطفكم الناس) يأخذكم الكفار بسرعة (فآواكم) الى المدينة (وايدكم) قواكم (بنصره) يوم بدر بالملائكة

بل زادوا عندها عتوا وانهما كافى التى وانما عرف الحسنة وذكرها معاداة التحقيق لكثرة وقوعهـا وتعلق الارادة باحداثها بالذات ونكر السـيئة وأتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد لها الابالتبع (ألا انما طائرهم عندالله) اى سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشـيئته اوسبب شـؤمهم عندالله وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانهـا التى سـاقت اليهم مايسوءهم وقرئ انما طيرهم وهو اسم جمع وقيل هو جمع (ولكن اكثرهم لا يعلمون) ان مايصيبهم من الله اومن شؤم اعمالهم (وقالوا مهما) اصلها ماالشرطية ضمت اليها ماالزائدة للتأكيد ثم قلبت الفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذى يصوت به الكاف وماالجزائية ومحلها الرفع على الابتداء اوالنصب بفعل يفسره (تأتنابه) اى ايماشئ تحضرنا تأتنـابه (من آية) بيـان لمهما وانما سموهـا آية على زعم موسى لا لاعتقادهم ولذلك قالوا (لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) اى لتسحر بها اعيننا وتشبه علينا والضمير فى به وبها لماذكره قبل التبيين باعتبار اللفظ وانث بعده باعتبار المعنى (فارسلنا عليهم الطوفان) ماطاف بهم وغشى اماكنهم وحروثهم من مطر اوسيل وقيل الجدرى وقيل الموتان وقيل الطاعون (والجراد والقمل) قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها (والضفادع والدم) روى انهم مطروا ثمانية ايام فى ظلمة شديدة لا يقدر احد ان يخرج من بيته ودخل المـاء فى بيوتهم حتى قاموا فيـه الى تراقيهم وكانت بيوت بنى اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل فيها قطرة وركد على اراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها ودام ذلك عليهم اسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم ونبت لهم من الكلأ والزرع مالم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت زروعهم وثمارهم ثم اخذت تأكل الابواب والسقوف والثياب ففزعوا اليه ثانيا فدعا وخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحى التى جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فأكل ماابقاه الجراد وكان يقع فى اطعمتهم ويدخل بين اثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الاوجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهى تغلى وافواههم عنـد التكلم ففزعوا اليـه

(وتضرعوا)

(ورزقكم من الطيبـات) الغنائم (لعلكم تشكرون) نعمه ونزل فى أبى لبابة مروان بن عبد المنذر وقد بعثه صلى الله عليه وسـلم الى بنى قريظة لينزلوا على حكمه فاستشاروه فأشار اليهم أنه الذبح لان عياله وماله فيهم (ياأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول و) لا (تخونوا أماناتكم) ماائتمنتم عليه من الدين وغيره (وأنتم تعلمون واعلموا أنما أموالكم واولادكم فتنـة) لكم صادة عن أمور الآخرة (وأن الله عنده اجر عظيم) فلا تفوتوه بمراعاة الاموال والاولاد والخيانة لاجلهم* ونزل فى توبتـه (ياأيهـا الذين آمنوا ان تتقوا الله) بالانابة وغيرها (يجعل لكم فرقانا) بينكم وبين ماتخافون فتنجون (ويكفر عنكـم سيئاتكم ويغفر لكم) ذنوبكم (والله ذو الفضل العظيم و) اذكر يا محمد (اذ يمكر بك الذين كفروا) وقد اجتمعوا للمشاورة فى شأنك بدار الندوة (ليثبتوك) يوثقوك ويحبسوك (أو يقتلوك) كلهم قتـلة رجل واحد (أو يخرجوك)

وتضرعوا فاخـذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم فنقضوا العهود ثم ارسـل الله عليهم الدم فصارت مياههم دماء حتى كان يجتمع القبطى مع الاسرائيلى على اناء فيكون مايليـه دما ومايلى الاسرائيلى ماء ويمص المـاء من فم الاسرائيلى فيصير دما فى فيه وقيل سلط الله عليهم الرعاف (آيات) نصب على الحال (مفصلات) مبينات لاتشكل على عاقل انها آيات الله ونقمته عليهم او منفصلات لامتحان احوالهم اذ كان بين كل آيتين منها شهر وكان امتداد كل واحدة اسبوعا وقيل ان موسى عليه السلام لبث فيهم بعدما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل (فاستكبروا) عن الايمان (وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز) يعنى العذاب المفصل او الطاعون الذى ارسله الله عليهم بعد ذلك (قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك) بعهده عندك وهو النبوة او بالذى عهده اليك ان تدعوه فيجيبك كما اجابك فى آياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيـه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عنـدك او متعلق بفعـل محذوف دل عليـه التماسهم مثل اسعفنا الى ما طلبنا منك بحق ماعهد عندك او قسم مجاب بقوله (لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل) اى اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن ولنرسلن (فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه) الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون فيـه او مهلكون وهو وقت الغرق او الموت وقيل الى اجل عينوه لايمانهم (اذاهم ينكثون) جواب لما اى فلما كشفنا عنهم فاجؤا النكث من غـير تأمل وتوقف فيه (فانتقمنا منهم) فاردنا الانتقام منهم (فاغرقناهم فى اليم) اى فى البحر الذى لايدرك قعره وقيل لجته (بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) اى كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم فكرهم فيهـا حتى صاروا كالغافلين عنها وقيل الضمير للنقمة المدلول عليهـا بقوله فانتقمنا (واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) بالاستعباد وذبح الابناء من مستضعفيهم (مشـارق الارض ومغاربها) يعنى ارض الشـام ومصر ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا فى نواحيها (التى باركنا فيها) بالخصب وسعة العيش (وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل) ومضت عليهم واتصلت بالانجاز عدته اياهم بالنصرة والتمكين وهو قوله تعالى * ونريد ان نمن * الى قوله ما كانوا يحذرون وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد (بماصبروا) بسبب صبرهم على

من مكة (ويمكرون) بك (ويمكر الله) بهم بتدبير امرك بأن اوحى اليك مادبروه وامرك بالخروج (والله خير المـاكرين) اعلمهم به (واذا تتلى عليهم آياتنـا) القرآن (قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا) قاله النضر بن الحرث لانه كان يأتى الحيرة يتجر فيشترى كتب اخبار الاعاجم ويحدث بها اهل مكة (ان) ما (هـذا) القرآن (الا أساطير) اكاذيب (الاولين واذ قالوا اللهم ان كان هذا) الذى يقرؤه محمد (هو الحق) المنزل (من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم) مؤلم على انكاره قاله النضر اوغيره استهزاء وايهاما انه على بصيرة وجزم ببطلانه قال تعالى (وما كان الله ليعذبهم) بماسألوه (وانت فيهم) لأن العذاب اذا نزل عم ولم تعذب أمة الا بعد خروج نبيهـا والمؤمنين منهـا (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) حيث يقـولون فى طوافهم غفرانك غفرانك وقيل هم المؤمنون المستضعفون فيهم

كما قال لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما (وما لهم ان لا يعذبهم الله) بالسيف بعد خروجك والمستضعفين وعلى القول الاول هي ناسخة لما قبلها وقد عذبهم الله ببدر وغيره (وهم يصدون) يمنعون النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين (عن المسجد الحرام) ان يطوفوا به (وما كانوا اولياءه) كما زعموا (ان) ما (أولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون) ان لا ولاية لهم عليه (وما كان صلوتهم عند البيت الا مكاء) صفيرا (وتصدية) تصفيقا اى جعلوا ذلك موضع صلوتهم التى أمروا بها (فذوقوا العذاب) ببدر (بما كنتم تكفرون ان الذين كفروا ينفقون اموالهم) فى حرب النبي صلى الله عليه وسلم (ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون) فى عاقبة الامر (عليهم حسرة) ندامة لفواتها وفوات ماقصدوه (ثم يغلبون) فى الدنيا (والذين كفروا) منهم (الى جهنم) فى الآخرة (يحشرون) يساقون (ليميز)

الشدائد (ودمرنا) وخربنا (ما كان يصنع فرعون وقومه) من القصور والعمارات (وما كانوا يعرشون) من الجنات اوما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرأ ابن عامر وابوبكر يعرشون بالضم وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر) ومابعده ذكر ما احدثه بنو اسرائيل من الامور الشنيعة بعدما من الله عليهم بالنعم الجسام واراهم من الآيات العظام تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عما رأى منهم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم روى ان موسى عليه السلام عبربهم يوم عاشوراء بعدمهلك فرعون وقومه فصاموه شكرا (فأتوا على قوم) فمروا عليهم (يعكفون على اصنام لهم) يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك اول شأن العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين امر موسى بقتالهم وقيل من لخم وقرأ حمزة والكسائى يعكفون بالكسر (قالوا ياموسى اجعل لنا الها) مثالا نعبده (كما لهم آلهة) يعبدونها وما كافة للكاف (قال انكم قوم تجهلون) وصفهم بالجهل المطلق واكده لبعد ماصدر عنهم بعدمارأوا من الآيات الكبرى عن العقل (ان هؤلاء) اشارة الى القوم (متبر) مكسر مدمر (ماهم فيه) يعنى ان الله يهدم دينهم الذى هم عليه ويحطم أصنامهم ويجعلها رضاضا (وباطل) مضمحل (ماكانوا يعملون) من عبادتها وان قصدوا بها التقرب الى الله تعالى وانما بالغ فى هذا الكلام بايقاع هؤلاء اسم ان والاخبار عماهم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين فى الجملتين الواقعتين خبرا لان للتنبيه على ان الدمار لاحق لماهم فيه لا محالة وان الاحباط الكلى لازب لمامضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عماطلبوا (قال اغير الله ابغيكم الها) اطلب لكم معبودا (وهو فضلكم على العالمين) والحال انه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله اياهم عن امثالهم بمالم يستحقوه تفضلا بان قصدوا ان يشركوا به اخس شئ من مخلوقاته (واذ انجيناكم من آل فرعون) واذكروا صنيعه معكم فى هذا الوقت وقرأ ابن عامر انجاكم (يسومونكم سوء العذاب) استئناف لبيان ماانجاهم اوحال من المخاطبين اومن آل فرعون اومنهما (يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم) بدل منه مبين (وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم) وفى الانجاء اوالعذاب نعمة اومحنة عظيمة (وواعدنا موسى ثلاثين

(ليلة)

ليلة) ذا القعدة وقرأ ابو عمرو ويعقوب ووعدنا (واتممناها بعشر) من ذى الحجة (فتم ميقات ربه اربعين ليلة) بالغا اربعين ليلة روى انه عليه السلام وعد بنى اسرائيل بمصر ان يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك سأل موسى عليه السلام ربه فامره بصوم ثلاثين يوما فلما اتم انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله تعالى ان يزيد عليها عشرا وقيل امره بان يتخلى ثلاثين بالصوم والعبادة ثم انزل عليه التورية فى العشر وكلمه فيها (وقال موسى لاخيه هارون اخلفنى فى قومى) كن خليفتى فيهم (واصلح) ما يجب ان يصلح من امورهم اوكن مصلحا (ولا تتبع سبيل المفسدين) ولا تتبع من سلك سبيل الافساد ولا تطع من دعاك اليه (ولما جاء موسى لميقاتنا) لوقتنا الذى وقتناه واللام للاختصاص اى اختص مجيئه بميقاتنا (وكلمه ربه) من غير وسط كما يكلم الملائكة وفيما روى ان موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه القديم ليس من جنس سماع كلام المحدثين (قال رب ارنى انظر اليك) ارنى نفسك بان تمكننى من رؤيتك او تتجلى لى فانظر اليك واراك وهو دليل على ان رؤيته تعالى جائزة فى الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال وخصوصا ما يقتضى الجهل بالله ولذلك رده بقوله تعالى لن ترانى دون لن ارى او لن اريك او لن تنظر الى تنبيها على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد فى الرائى ولم يوجد فيه بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطأ اذ لوكانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيل شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا الها ولا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطأ اذ لا يدل الاخبار عن عدم رؤيته اياه على ان لا يراه ابدا وان لا يراه غيره اصلا فضلا عن ان يدل على استحالتها ودعوى الضرورة فيه مكابرة او جهالة بحقيقة الرؤية (قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى) استدراك يريد ان يبين به انه لا يطيقه وفى تعليق الرؤية بالاستقرار ايضا دليل الجواز ضرورة ان المعلق على الممكن ممكن والجبل قيل جبل زبير (فلما تجلى ربه للجبل) ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطى له حيوة ورؤية حتى رآه (جعله دكا) مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشك

متعلق بتكون بالتخفيف والتشديد أى يفصل (الله الخبيث) الكافر (من الطيب) المؤمن (ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا) يجمعه متراكما بعضه على بعض (فيجعله فى جهنم أولئك هم الخاسرون قل للذين كفروا) كأبى سفيان واصحابه (ان ينتهوا) عن الكفر وقتال النبى صلى الله عليه وسلم (يغفر لهم ما قد سلف) من أعمالهم (وان يعودوا) الى قتاله (فقد مضت سنت الاولين) أى سنتنا فيهم بالاهلاك فكذا نفعل بهم (وقاتلوهم حتى لا تكون) توجد (فتنة) شرك (ويكون الدين كله لله) وحده ولا يعبد غيره (فان انتهوا) عن الكفر (فان الله بما يعملون بصير) فيجازيهم به (وان تولوا) عن الايمان (فاعلموا أن الله مولاكم) ناصركم ومتولى اموركم (نعم المولى) هو (ونعم النصير) أى الناصر لكم (واعلموا انما غنمتم) أخذتم من الكفار قهرا (من شئ فان لله خمسه) يأمر فيه بما شاء

والشق وقرأ حمزة والكسائى دكاء اى ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء التى لاسنام لها وقرئ دكا اى قطعا جمع دكاء بالتشديد (وخر موسى صعقا) مغشيا عليه من هول مارأى (فلما افاق قال) تعظيما لما رأى (سبحانك تبت اليك) من الجرأة والاقدام على السؤال بغير اذن (وانا اول المؤمنين) مر تفسيره وقيل معناه انا اول من آمن بانك لاترى فى الدنيا (قال ياموسى انى اصطفيتك) اخترتك (على الناس) اى الموجودين فى زمانك وهرون وان كان نبيا كان مأمورا باتباعه ولم يكن كليما ولاصاحب شرع (برسالاتى) يعنى اسفار التورية وقرأ ابن كثير ونافع برسالتى (وبكلامى) وبتكليمى اياك فخذ ما آتيتك) اعطيتك من الرسالة (وكن من الشاكرين) على النعمة فيه روى ان سؤال الرؤية كان يوم عرفة واعطاء التورية يوم النحر (وكتبناله فى الالواح من كل شئ) مما يحتاجون اليه من امر الدين (موعظة وتفصيلا لكل شئ) بدل من الجار والمجرور اى كتبنا كل شئ من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف فى ان الالواح كانت عشرة اوسبعة وكانت من زمرد اوزبرجد اوياقوت احمر اوصخرة صماء لينها الله لموسى عليه السلام فقطعها بيده اوشققها باصابعه وكان فيها التورية اوغيرها (فخذها) على اضمار القول عطفا على كتبنا او بدل من قوله فخذ ما آتيتك والهاء للالواح اولكل شئ فانه بمعنى الاشياء اوللرسالات (بقوة) بجد وعزيمة (وأمر قومك يأخذوا باحسنها) اى باحسن مافيها كالصبر والعفو بالاضافة الى الانتصار والاقتصاص على طريقة الندب والحث على الافضل كقوله تعالى واتبعوا احسن ماانزل اليكم من ربكم اوبواجباتها فان الواجب احسن من غيره ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ فى الحسن مطلقا لابالاضافة وهو المأمور به كقولهم الصيف احر من الشتاء (ساريكم دار الفاسقين) دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها اومنازل عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا فلاتفسقوا اودارهم فى الآخرة وهى جهنم وقرئ سأوريكم بمعنى سأبين لكم من اوريت الزند وسأورثكم ويؤيده قوله واورثنا القوم الذين استضعفوا (سأصرف عن آياتى) المنصوبة فى الآفاق والانفس (الذين يتكبرون فى الارض) بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولايعتبرون بها وقيل سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها اوباهلاكهم (بغير الحق) صلة يتكبرون اى يتكبرون بما ليس بحق وهو

(دينهم)

(وللرسول ولذى القربى) قرابة النبى صلى الله عليه وسلم من بنى هاشم وبنى المطلب (واليتامى) أطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم وهم فقراء (والمساكين) ذوى الحاجة من المسلمين (وابن السبيل) المنقطع فى سفره من المسلمين أى يستحقه النبى صلى الله عليه وسلم والاصناف الاربعة على ماكان يقسمه من أن لكل خمس الخمس والاخماس الاربعة الباقية للغانمين (ان كنتم آمنتم بالله) فاعلموا ذلك (وما) عطف على بالله (أنزلنا على عبدنا) محمد صلى الله عليه وسلم من الملائكة والآيات (يوم الفرقان) اى يوم بدر الفارق بين الحق والباطل (يوم التقى الجمعان) المسلمون والكفار (والله على كل شئ قدير) ومنه نصركم مع قلتكم وكثرتهم (اذ) بدل من يوم (انتم) كائنون (بالعدوة الدنيا) القربى من المدينة وهى بضم العين وكسرها جانب الوادى (وهم بالعدوة القصوى) البعدى منها (والركب) العير كائنون بمكان (أسفل منكم) ممايلى

دينهم الباطل او حال من فاعله ﴿ وان يروا كل آية ﴾ منزلة اومعجزة ﴿ لا يؤمنوا بها ﴾ لعنادهم واختلال عقلهم بسبب انهما كهم فى الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه الاول ﴿ وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ﴾ لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرأ حمزة والكسائى الرشد بفتحتين وقرأ الرشاد وثلاثتها لغات كالسقم والسقم والسقام ﴿ وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ﴾ اى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للآيات ويجوز ان ينتصب ذلك على المصدر اى سأصرف ذلك الصرف بسببهما ﴿ والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة ﴾ اى ولقائهم الدار الآخرة او ما وعدالله فى الآخرة ﴿ حبطت اعمالهم ﴾ لا ينتفعون بها ﴿ هل يجزون الا ما كانوا يعملون ﴾ الا جزاء اعمالهم ﴿ واتخذ قوم موسى من بعده ﴾ من بعد ذهابه للميقات ﴿ من حليهم ﴾ التى استعاروها من القبط حين هموا بالخروج من مصر واضافتها اليهم لانها كانت فى ايديهم اوملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حلى كثدى وثدى وقرأ حمزة والكسائى بالكسر للاتباع كدلى ويعقوب على الافراد ﴿ عجلا جسدا ﴾ بدنا ذالحم ودم او جسدا من الذهب خاليا من الروح ونصبه على البدل ﴿ له خوار ﴾ صوت البقر روى ان السامرى لما صاغ العجل القى فى فمه من تراب اثر فرس جبريل فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح جوفه ويصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم وهو فعله اما لانهم رضوا به اولان المراد اتخاذهم اياه الها وقرئ جؤار اى صياح ﴿ الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ﴾ تقريع على فرط ضلالتهم واخلالهم بالنظر والمعنى الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام ولا على ارشاد سبيل كآحاد البشر حتى حسبوا انه خالق الاجسام والقوى والقدر ﴿ اتخذوه ﴾ تكرير للذم اى اتخذوه الها ﴿ وكانوا ظالمين ﴾ واضعين الاشياء فى غير موضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ﴿ ولما سقط فى ايديهم ﴾ كناية عن اشتداد ندمهم فان النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على البناء للفاعل بمعنى وقع العض فيها وقيل معناه سقط الندم فى انفسهم ﴿ ورأوا ﴾ وعلموا ﴿ انهم قد ضلوا ﴾ باتخاذ العجل ﴿ قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ﴾ بانزال التورية ﴿ ويغفر لنا ﴾ بالتجاوز عن الخطيئة ﴿ لنكونن من الخاسرين ﴾ وقرأها حمزة والكسائى بالتاء وربنا على النداء ﴿ ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا ﴾ شديد الغضب

البحر ﴿ ولو تواعدتم ﴾ أنتم والنفير للقتال ﴿ لاختلفتم فى الميعاد ولكن ﴾ جمعكم بغير ميعاد ﴿ ليقضى الله امرا كان مفعولا ﴾ فى علمه وهو نصر الاسلام ومحق الكفر فعل ذلك ﴿ ليهلك ﴾ يكفر ﴿ من هلك عن بينة ﴾ أى بعد حجة ظاهرة قامت عليه وهى نصر المؤمنين مع قلتهم على الجيش الكثير ﴿ ويحيى ﴾ يؤمن ﴿ من حى عن بينة وان الله لسميع عليم ﴾ اذكر ﴿ اذ يريكهم الله فى منامك ﴾ أى نومك ﴿ قليلا ﴾ فأخبرت به أصحابك فسروا ﴿ ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ﴾ جبنتم ﴿ ولتنازعتم ﴾ اختلفتم ﴿ فى الامر ﴾ أمر القتال ﴿ ولكن الله سلم ﴾ كم من الفشل والتنازع ﴿ انه عليم بذات الصدور ﴾ بما فى القلوب ﴿ واذ يريكموهم ﴾ أيها المؤمنون ﴿ اذ التقيتم فى أعينكم قليلا ﴾ نحو سبعين أومائة وهم الف لتقدموا عليهم ﴿ ويقللكم فى أعينهم ﴾ ليقدموا ولا يرجعوا عن قتالكم وهذا قبل التحام الحرب فلما التحم أراهم اياهم مثليهم كما فى آل عمران ﴿ ليقضى الله أمرا كان مفعولا والى الله

وقيل حزيناً (قال بئسما خلفتموني من بعدي) فعلتم بعدي حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة اوقمتم مقامي فلم تكفوا العبدة والخطاب لهرون والمؤمنين معه وماتكرة موصوفة تفسر المستكن في بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي من بعد انطلاقي اومن بعد مارأيتم مني من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف عما ينافيه (أعجلتم امر ربكم) اتركتموه غيرتام كأنه ضمن عجل معنى سبق فعدي تعديته او أعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم (والقى الالواح) اى طرحها من شدة الغضب وفرط الضجرة حمية للدين روى ان التورية كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفع ستة اسباعها وكان فيها تفصيل كل شئ وبقي سبع كان فيه المواعظ والاحكام (واخذ برأس اخيه) بشعر رأسه (يجره اليه) توهما بانه قصر في كفهم وهرون كان اكبر منه بثلاث سنين وكان حمولاً لينا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل (قال ابن ام) ذكر الام ليرققه عليه وكانا من اب وام وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم هنا وفي طه ابن أم بالكسر واصله يا ابن امي فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء والباقون بالفتح زيادة في التخفيف لطوله اوتشبيها بخمسة عشر (ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني) ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي (فلا تشمت بي الاعداء) فلا تفعل بي مايشمتون بي لاجله (ولا تجعلني مع القوم الظالمين) معدودا في عدادهم بالمؤاخذة اونسبة التقصير (قال رب اغفر لي) ماصنعت باخي (ولأخي) ان فرط في كفهم ضمه الى نفسه في الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة عنه (وادخلنا في رحمتك) بمزيد الانعام علينا (وانت ارحم الراحمين) وانت ارحم بنا منا على انفسنا (ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم) وهو ماامرهم به من قتل انفسهم (وذلة في الحيوة الدنيا) وهو خروجهم من ديارهم وقيل الجزية (وكذلك نجزي المفترين) على الله ولافرية اعظم من فريتهم وهي قولهم هذا الهكم واله موسى ولعله لم يفتر مثلها احد قبلهم ولابعدهم (والذين عملوا السيئات) من الكفر والمعاصي (ثم تابوا من بعدها) من بعد السيئات (وآمنوا) واشتغلوا بالايمان وماهو مقتضاه من الاعمال الصالحة

(ان)

ترجع) تصير (الامور يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة) جماعة كافرة (فاثبتوا) لقتالهم ولا تنهزموا (واذكروا الله كثيرا) ادعوه بالنصر (لعلكم تفلحون) تفوزون (واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا) تختلفوا فيما بينكم (فتفشلوا) تجبنوا (وتذهب ريحكم) قوتكم ودولتكم (واصبروا ان الله مع الصابرين) بالنصر والعون (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم) ليمنعوا غيرهم ولم يرجعوا بعد نجاتها (بطرا ورئاء الناس) حيث قالوا لانرجع حتى نشرب الخمور وننحر الجزور وتضرب علينا القيان ببدر فيتسامع بذلك الناس (ويصدون) الناس (عن سبيل الله والله بما يعملون) بالياء والتاء (محيط) علما فيجازيهم به (و) اذكر (اذ زين لهم الشيطان) ابليس (أعمالهم) بأن شجعهم على لقاء المسلمين لما خافوا الخروج من أعدائهم بني بكر (وقال) لهم (لا غالب لكم اليوم من الناس واني

(ان ربك من بعدها) من بعد التوبة (لغفور رحيم) وان عظم الذنب كجريمة عبدة العجل وكثر كجرآئم بنى اسرائيل (ولما سكت) سكن وقد قرئ به (عن موسى الغضب) باعتذار هرون او بتوبتهم وفى هذا الكلام مبالغة و بلاغة من حيث انه جعل الغضب الحامل له على مافعل كالآمر به والمغرى عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت وقرئ سكت واسكت على ان المسكت هو الله تعالى اواخوه اوالذين تابوا (اخذ الالواح) التى القاها (وفى نسختها) وفيما نسخ فيها اى كتب والنسخة فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اى من الالواح المنكسرة (هدى) بيان للحق (ورحمة) ارشاد الى الصلاح والخير (للذين هم لربهم يرهبون) دخلت اللام على المفعول لضعف الفعل بالتأخير او حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصى الله لربهم (واختار موسى قومه) اى من قومه فحذف الجار واوصل الفعل اليه (سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة) روى انه تعالى امره ان يأتيه فى سبعين من بنى اسرائيل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاجروا فقال ان لمن قعد اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه يكلم موسى يأمره وينهاه ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اى الصاعقة اورجفة الجبل فصعقوا منها (قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياى) تمنى هلاكهم وهلاكه قبل ان يرى ما رأى او بسبب آخر اوعنى به انك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على اهلاكهم وباغراقهم فى البحر وغيرها فترحمت عليهم بالانقاذ منها فان ترحمت عليهم مرة اخرى لم يبعد من عميم احسانك (اتهلكنا بما فعل السفهاء منا) من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكأن ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى ودعا فكشفها الله عنهم (ان هى الا فتنتك) ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك حتى طمعوا فى الرؤية او اوجدت فى العجل خوارا فزاغوا به (تضل بها من تشاء) ضلاله بالتجاوز عن حده او باتباع المخايل (وتهدى من تشاء) هداه فيقوى بها ايمانه (انت ولينا) القائم بامرنا (فاغفر لنا) بمغفرة ما قارفنا

جارلكم) من كنانة وكان أتاهم فى صورة سراقة بن مالك سيد تلك الناحية (فلما تراءت) التقت (الفئتان) المسلمة والكافرة ورأى الملائكة وكان يده فى يد الحرث بن هشام (نكص) رجع (على عقبيه) هاربا (وقال) لما قالوا له اتخذلنا على هذا الحال (انى برئ منكم) من جواركم (انى أرى ما لا ترون) من الملائكة (انى أخاف الله) ان يهلكنى (والله شديد العقاب اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض) ضعف اعتقاد (غر هؤلاء) اى المسلمين (دينهم) اذ خرجوا مع قلتهم يقاتلون الجمع الكثير توهما انهم ينصرون بسببه قال تعالى فى جوابهم (ومن يتوكل على الله) يثق به يغلب (فان الله عزيز) غالب على أمره (حكيم) فى صنعه (ولو ترى) يا محمد (اذ يتوفى) بالياء والتاء (الذين كفروا الملائكة يضربون) حال (وجوههم وأدبارهم) بمقامع من حديد (و) يقولون لهم (ذوقوا عذاب

(وارحمنا وانت خير الغافرين) تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة (واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة) حسن معيشة وتوفيق طاعة (وفي الآخرة) الجنة (انا هدنا اليك) تبنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ بالكسر من هاده يهيده اذا أماله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى املنا انفسنا او املنا اليك ويجوز ان يكون المضموم ايضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض (قال عذابي اصيب به من اشاء) تعذيبه (ورحمتي وسعت كل شيء) في الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره (فسأكتبها) فسأثبتها في الآخرة اوفا كتبها كتبة خاصة منكم يابني اسرائيل (للذين يتقون) الكفر والمعاصي (ويؤتون الزكوة) خصها بالذكر لانافتها اولانها كانت اشق عليهم (والذين هم بآياتنا يؤمنون) فلايكفرون بشيء منها (الذين يتبعون الرسول النبي) مبتدأ خبره يأمرهم او خبر مبتدأ محذوف تقديره هم الذين او بدل من الذين يتقون بدل البعض او الكل والمراد من آمن منهم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وانما سماه رسولا بالاضافة الى الله تعالى ونبيا بالاضافة الى العباد (الامي) الذي لايكتب ولايقرأ وصفه به تنبيها على ان كمال علمه مع حاله احدى معجزاته (الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل) اسما وصفة (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات) مما حرم عليهم كالشحوم (ويحرم عليهم الخبائث) كالدم ولحم الخنزير اوكالربوا والرشوة (ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم) ويخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعين القصاص في العمد والخطأ وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة واصل الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله وقرأ ابن عامر آصارهم (فالذين آمنوا به وعزروه) وعظموه بالتقوية وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير (ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه) اي مع نبوته يعني القرآن وانما سماه نورا لانه باعجازه ظاهر امره مظهر غيره اولانه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اي واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة (اولئك هم المفلحون) الفائزون بالرحمة الابدية ومضمون الآية جواب دعاء موسى عليه السلام (قل ياأيها الناس اني رسول الله اليكم) الخطاب عام وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مبعوثا الى

(كافة)

الحريق) أي النار وجواب لو لرأيت أمرا عظيما (ذلك) التعذيب (بما قدمت أيديكم) عبر بها دون غيرها لان أكثر الافعال تزاول بها (وان الله ليس بظلام) اي بذي ظلم (للعبيد) فيعذبهم بغير ذنب دأب هؤلاء (كدأب) كعادة (آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله) بالعقاب (بذنوبهم) جملة كفروا وما بعدها مفسرة لما قبلها (ان الله قوي) على ما يريده (شديد العقاب ذلك) أي تعذيب الكفرة (بأن) أي بسبب أن (الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم) مبدلا لها بالنقمة (حتى يغيروا ما بأنفسهم) يبدلوا نعمتهم كفرا كتبديل كفار مكة اطعامهم من جوع وأمنهم من خوف وبعث النبي صلى الله عليه وسلم اليهم بالكفر والصد عن سبيل الله وقتال المؤمنين (وان الله سميع عليم كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون) قومه معه (وكل) من الامم المكذبة (كانوا ظالمين)

كافة الثقلين وسائر الرسل الى اقوامهم (جميعا) حال من اليكم (الذى له ملك السموات والارض) صفة لله وان حيل بينهما بما هو متعلق المضاف الذى اضيف اليه لانه كالمتقدم عليه اومدح منصوب اومرفوع اومبتدأ خبره (لااله الاهو) وهوعلى الوجوه الاول بيان لماقبله فان من ملك العالم كان هو الاله لاغيره (يحيى ويميت) مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية (فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته) ما انزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على ارادة الجنس اوالقرآن اوعيسى عليه السلام تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه وانما عدل عن التكلم الى الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان به والاتباع له (واتبعوه لعلكم تهتدون) جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد فى خطط الضلالة (ومن قوم موسى) يعنى بنى اسرائيل (امة يهدون بالحق) يهدون الناس محقين اوبكلمة الحق (وبه) وبالحق (يعدلون) بينهم فى الحكم والمراد بها الثابتون على الايمان القائمون بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم ذكر اضدادهم على ماهو عادة القرآن تنبيها على ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل مؤمنوا اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين رآهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج فآمنوا به (وقطعناهم) وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم عن بعض (اثنتى عشرة) مفعول ثان لقطع فانه متضمن معنى صير اوحال وتأنيثه للحمل على الامة اوالقطعة (اسباطا) بدل منه ولذلك جمع اوتمييزله على ان كل واحدة من اثنتى عشرة اسباط وكأنه قيل اثنتى عشرة قبيلة وقرئ بكسر الشين واسكانها (امما) على الاول بدل بعد بدل اونعت لاسباطا وعلى الثانى بدل من اسباطا (واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه) فى التيه (ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست) اى فضرب فانبجست وحذفه للايماء على ان موسى عليه السلام لم يتوقف فى الامتثال وان ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل فى ذاته (منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس) كل سبط (مشربهم وظللنا عليهم الغمام) ليقيهم حر الشمس (وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا) اى وقلنا لهم كلوا (من طيبات مارزقناكم وماظلمونا ولكن كانوا انفسهم

ونزل فى قريظة (ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لايؤمنون الذين عاهدت منهم) ان لايعينوا المشركين (ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة) عاهدوا فيها (وهم لايتقون) الله فى غدرهم (فاما) فيه ادغام نون ان الشرطية فى ما المزيدة (تثقفنهم) تجدنهم (فى الحرب فشرد) فرق (بهم من خلفهم) من المحاربين بالتنكيل بهم والعقوبة (لعلهم) اى الذين خلفهم (يذكرون) يتعظون بهم (واما تخافن من قوم) عاهدوك (خيانة) فى عهد بأمارة تلوح لك (فانبذ) اطرح عهدهم (اليهم على سواء) حال أى مستويا أنت وهم فى العلم بنقض العهد بأن تعلمهم به لئلا يتهموك بالغدر (ان الله لايحب الخائنين) ونزل فيمن أفلت يوم بدر (ولاتحسبن) يامحمد (الذين كفروا سبقوا) الله أى فاتوه (انهم لايعجزون) لايفوتونه وفى قراءة بالتحتانية فالمفعول الاول محذف أى أنفسهم وفى أخرى بفتح ان على تقدير

يظلمون) سبق تفسيره فى سورة البقرة (واذقيل لهم اسكنوا هذه القرية) باضمار اذكر والقرية بيت المقدس (وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا) مثل مامر فى سورة البقرة معنى غير ان قوله فكلوا فيها بالفاء افاد تسبب سكناهم للاكل منها ولم يتعرض له ههنا اكتفاء بذكره ثمه او بدلالة الحال عليه واما تقديم قولوا على وادخلوا فلا اثر له فى المعنى لانه لا يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما (نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين) وعد بالغفران والزيادة عليه بالاثابة وانما اخرج الثانى مخرج الاستئناف للدلالة على انه تفضل محض ليس فى مقابلة ما امروا به وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول وخطيآتكم بالجمع والرفع غير ابن عامر فانه وحده وقرأ ابو عمرو خطاياكم (فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون) مضى تفسيره فيها (واسألهم) للتقرير والتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو من علومهم التى لا تعلم الا بتعليم او وحى ليكون ذلك معجزة لك عليهم (عن القرية) عن خبرها وماوقع باهلها (التى كانت حاضرة البحر) قريبة منه وهى ايلة قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية (اذ يعدون فى السبت) يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت واذ ظرف لكانت او حاضرة او للمضاف المحذوف او بدل منه بدل الاشتمال (اذ تأتيهم حيتانهم) ظرف ليعدون او بدل بعد بدل وقرئ يعدون واصله يعتدون ويعدون من الاعداد اى يعدون آلات الصيد يوم السبت وقد نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة (يوم سبتهم شرعا) يوم تعظيمهم امر السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول ان قرئ يوم اسباتهم وقوله (ويوم لا يسبتون لا تأتيهم) وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون فى السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا اذا دنا واشرف (كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون) مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم وقيل كذلك متصل بما قبله اى لا تأتيهم مثل اتيانهم يوم السبت والباء متعلق بيعدون (واذقالت) عطف على اذ يعدون (امة منهم) جماعة من اهل القرية يعنى صلحاءهم الذين اجتهدوا فى موعظتهم حتى ايسوا من اتعاظهم (لم تعظون قوما الله مهلكهم) مخترمهم (او معذبهم عذابا

(شديدا)

اللام (وأعدوا لهم) لقتالهم (ما استطعتم من قوة) قال صلى الله عليه وسلم هى الرمى رواه مسلم (ومن رباط الخيل) مصدر بمعنى حبسها فى سبيل الله (ترهبون) تخوفون (به عدو الله وعدوكم) أى كفار مكة (وآخرين من دونهم) أى غيرهم وهم المنافقون أو اليهود (لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف اليكم) جزاؤه (وانتم لا تظلمون) تنقصون منه شيئا (وان جنحوا) مالوا (للسلم) بكسر السين وفتحها الصلح (فاجنح لها) وعاهدهم قال ابن عباس هذا منسوخ بآية السيف ومجاهد مخصوص بأهل الكتاب اذ نزلت فى بنى قريظة (وتوكل على الله) ثق به (انه هو السميع) للقول (العليم) بالفعل (وان يريدوا ان يخدعوك) بالصلح ليستعدوا لك (فان حسبك) كافيك (الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف) جمع (بين قلوبهم) بعد الاحن (لو أنفقت مافى

شديدا) في الآخرة لتماديهم في العصيان قالوه مبالغة في ان الوعظ لا ينفع فيهم
او سؤالا عن علة الوعظ ونفعه وكأنه تقاول بينهم اوقول من ارعوى
عن الوعظ لمن لم يرعو منهم وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به
وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم (قالوا معذرة الى ربكم) جواب للسؤال
اى موعظتنا انهاء عذر الى الله حتى لا ننسب الى تفريط في النهى عن
المنكر وقرأ حفص معذرة بالنصب على المصدر او العلة اى اعتذرنا به معذرة
اووعظناهم معذرة (ولعلهم يتقون) اذ اليأس لا يحصل الا بالهلاك
(فلما نسوا) تركوا ترك الناسى (ماذكروا به) ماذكرهم به صلحاؤهم (انجينا
الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا) بالاعتداء ومخالفة امر الله
(بعذاب بئيس) شديد فعيل من بؤس يبؤس بؤسا اذا اشتد وقرأ ابو بكر
بيئس على وزن فيعل كضيغم وابن عامر بئس بكسر الباء وسكون الهمزة
على انه بئس كحذر كما قرئ به فخفف عينه بنقل حركتها الى الفاء ككبد
في كبد ونافع بيس على قلب الهمزة ياء كما قلبت في ذيب او على انه فعل الذم
وصف به فجعل اسما وقرئ بيس كريس على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها
وبيس على التخفيف كهين وبائس كفاعل (بما كانوا يفسقون) بسبب
فسقهم (فلما عتوا عما نهوا عنه) تكبروا عن ترك مانهوا عنه كقوله تعالى
وعتوا عن امر ربهم (قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) كقوله انما قولنا لشئ
اذا اردناه ان نقول له كن فيكون والظاهر يقتضى ان الله تعالى عذبهم
اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم ويجوز ان تكون الآية الثانية تقريرا
وتفصيلا للاولى روى ان الناهين لما ايسوا عن اتعاظ المعتدين كرهوا
مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فاصبحوا يوما ولم يخرج
اليهم احد من المعتدين فقالوا ان لهم شأنا فدخلوا عليهم فاذاهم قردة
فلم يعرفوا انسباءهم ولكن القرود تعرفهم فجعلت تأتى انسباءهم وتشم
ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاث وعن مجاهد مسخت قلوبهم
لا ابدانهم (واذ تأذن ربك) اى اعلم تفعل من الايذان بمعناه كالتوعد
والايعاد اوعزم لان العازم على الشئ يؤذن نفسه بفعله واجرى مجرى
فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بجوابه وهو (ليبعثن عليهم
الى يوم القيمة) والمعنى واذ اوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود
(من يسومهم سوء العذاب) كالاذلال وضرب الجزية بعث الله عليهم

الارض جميعا ماألفت بين
قلوبهم ولكن الله ألف بينهم)
بقدرته (انه عزيز) غالب
على أمره (حكيم) لا يخرج
شئ عن حكمته (ياايها النبي
حسبك الله و) حسبك
(من اتبعك من المؤمنين ياأيها
النبي حرض) حث (المؤمنين
على القتال) للكفار (ان يكن
منكم عشرون صابرون يغلبوا
مائتين) منهم (وان يكن)
بالياء والتاء (منكم مائة يغلبوا
ألفا من الذين كفروا بأنهم)
أى بسبب أنهم (قوم لا يفقهون)
وهذا خبر بمعنى الامر أى
ليقاتل العشرون منكم المائتين
والمائة الالف ويثبتوا لهم ثم
نسخ لما كثروا بقوله (الآن
خفف الله عنكم وعلم أن فيكم
ضعفا) بضم الضاد وفتحها
عن قتال عشرة امثالكم
(فان يكن) بالياء والتاء (منكم
مائة صابرة يغلبوا مائتين)
منهم (وان يكن منكم ألف
يغلبوا ألفين باذن الله) بارادته
وهو خبر بمعنى الامر أى لتقاتلوا
مثليكم وتثبتوا لهم (والله مع
الصابرين) بعونه * ونزل
لما اخذوا الفداء من أسرى بدر

بعد سليمان عليه السلام بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقى منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ففعل مافعل بهم ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة الى آخر الدهر (ان ربك لسريع العقاب) عاقبهم فى الدنيا (وانه لغفور رحيم) لمن تاب وآمن (وقطعناهم فى الارض امما) وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط وامما مفعول ثان او حال (منهم الصالحون) صفة او بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ونظراؤهم (ومنهم دون ذلك) تقديره ومنهم ناس دون ذلك اى منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم (وبلوناهم بالحسنات والسيئات) بالنعم والنقم (لعلهم يرجعون) ينتهون فيرجعون عما كانوا عليه (فخلف من بعدهم) من بعد المذكورين (خلف) بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شائع فى الشر والخلف بالفتح فى الخير والمراد به الذين كانوا فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم (ورثوا الكتاب) التورية من اسلافهم يقرأونها ويقفون على مافيها (يأخذون عرض هذا الادنى) حطام هذا الشئ الادنى يعنى الدنيا وهو من الدنو او الدناءة وهو ما كانوا يأخذون من الرشى فى الحكومة وعلى تحريف الكلم والجملة حال من الواو (ويقولون سيغفر لنا) لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر يأخذون (وان يأتهم عرض مثله يأخذوه) حال من الضمير فى لنا اى يرجون المغفرة مصرين على الذنب عائدين الى مثله غير تائبين عنه (الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) اى فى الكتاب (ان لا يقولوا على الله الا الحق) عطف بيان للميثاق او متعلق به اى بان لا يقولوا والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على انه افتراء على الله وخروج عن ميثاق الكتاب (ودرسوا مافيه) عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض (والدار الآخرة خير للذين يتقون) مما يأخذ هؤلاء (افلا يعقلون) فيعلموا ذلك ولا يستبدلوا الادنى الدنى المؤدى الى العقاب بالنعيم المخلد وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين (والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة) عطف على للذين يتقون وقوله افلا يعقلون اعتراض او مبتدأ خبره (انا لا نضيع اجر المصلحين)

(ماكان لنبى أن يكون) بالياء والتاء (له أسرى حتى يثخن فى الارض) يبالغ فى قتل الكفار (تريدون) أيها المؤمنون (عرض الدنيا) حطامها بأخذ الفداء (والله يريد) لكم (الآخرة) أى ثوابها بقتلهم (والله عزيز حكيم) وهذا منسوخ بقوله فاما منا بعد واما فداء (لولا كتاب من الله سبق) باحلال الغنائم والاسرى لكم (لمسكم فيما أخذتم) من الفداء (عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الاسارى) وفى قراءة الاسرى (ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا) ايمانا واخلاصا (يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) من الفداء بان يضعفه لكم فى الدنيا ويثيبكم فى الآخرة (ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم وان يريدوا) أى الاسرى (خيانتك) بما اظهروا من القول (فقد خانوا الله من قبل) قبل بدر بالكفر (فأمكن منهم) ببدر قتلا واسرا فليتوقعوا مثل ذلك ان عادوا (والله

على تقدير منهم او وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على ان الاصلاح
كالمانع من التضييع وقرأ ابو بكر يمسكون بالتخفيف وافراد الاقامة لانافتها
على سائر انواع التمسكات ﴿ واذ نتقنا الجبل فوقهم ﴾ اى قلعناه ورفعناه
فوقهم واصل النتق الجذب ﴿ كأنه ظلة ﴾ سقيفة وهى كل ما اظلك ﴿ وظنوا ﴾
وتيقنوا ﴿ انه واقع بهم ﴾ ساقط عليهم لان الجبل لايثبت فى الجو ولانهم
كانوا يوعدون به وانما اطلق الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك انهم ابوا
ان يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم
مافيها والا ليقعن عليكم ﴿ خذوا ﴾ على اضمار القول اى وقلنا خذوا او قائلين
خذوا ﴿ ما آتيناكم ﴾ من الكتاب ﴿ بقوة ﴾ بجد وعزيمة على تحمل مشاقه وهو
حال من الواو ﴿ واذكروا ما فيه ﴾ بالعمل به ولاتتركوه كالمنسى ﴿ لعلكم تتقون ﴾
قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق ﴿ واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم
ذريتهم ﴾ اى اخرج من اصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن
ومن ظهورهم بدل من بنى آدم بدل البعض وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر
ويعقوب ذرياتهم ﴿ واشهدهم على انفسهم الست بربكم ﴾ اى ونصب لهم
دلائل ربوبيته وركب فى عقولهم مايدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا
بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم
منه منزلة الاشهاد والاعتراف على طريق التمثيل ويدل عليه قوله ﴿ قالوا
بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة ﴾ اى كراهة ان تقولوا ﴿ انا كنا عن هذا
غافلين ﴾ لم ننبه عليه بدليل ﴿ او تقولوا ﴾ عطف على ان تقولوا وقرأ ابو عمرو
كليهما بالياء لان اول الكلام على الغيبة ﴿ انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية
من بعدهم ﴾ فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به
لا يصلح عذرا ﴿ افتهلكنا بما فعل المبطلون ﴾ يعنى آباءهم المبطلين بتأسيس
الشرك وقيل لما خلق الله آدم اخرج من ظهره ذرية كالذر واحياهم
وجعل لهم العقل والنطق والهمهم ذلك الحديث رواه عمر رضى الله تعالى
عنه وقد حققت الكلام فيه فى شرحى لكتاب المصابيح والمقصود من ايراد
هذا الكلام ههنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعد ما الزمهم بالميثاق
المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم عن التقليد
وحملهم على النظر والاستدلال كما قال ﴿ وكذلك نفصل الآيات
ولعلهم يرجعون ﴾ اى عن التقليد واتباع الباطل ﴿ واتل عليهم ﴾ اى

عليم) بخلقه (حكيم)
فى صنعه (ان الذين آمنوا
وهاجروا وجاهدوا باموالهم
وانفسهم فى سبيل الله)
وهم المهاجرون (والذين
آووا) النبى صلى الله عليه
وسلم (ونصروا) وهم
الانصار (أولئك بعضهم
أولياء بعض) فى النصرة
والارث (والذين آمنوا
ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم)
بكسر الواو وفتحها
(من شئ) فلاارث بينكم
وبينهم ولانصيب لهم
فى الغنيمة (حتى يهاجروا)
وهذا منسوخ بآخر السورة
(وان استنصروكم فى الدين
فعليكم النصر) لهم على الكفار
(الا على قوم بينكم وبينهم
ميثاق) عهد فلاتنصروهم
عليهم وتنقضوا عهدهم
(والله بما تعملون بصير والذين
كفروا بعضهم اولياء بعض)
فى النصرة والارث فلاارث
بينكم وبينهم (الاتفعلوه)
اى تولى المسلمين وقطع الكفار
(تكن فتنة فى الارض وفساد
كبير) بقوة الكفر وضعف
الاسلام (والذين آمنوا
وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله

على اليهود (نبأ الذى آتيناه آياتنا) هو احد علماء بنى اسرائيل اوامية بن ابى الصلت فانه كان قدقرأ الكتب وعلم ان الله تعالى مرسل رسولا فى ذلك الزمان ورجا ان يكون هو نفسه فلما بعث محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حسد وكفر به اوبلعم بن باعوراء من الكنعانيين اوتى علم بعض كتب الله (فانسلخ منها) من الآيات بان كفر بها واعرض عنها (فاتبعه الشيطان) حتى لحقه وادركه فريناله وقيل استتبعه (فكان من الغاوين) فصار من الضالين روى ان قومه سألوه ان يدعو على موسى ومن معه فقال كيف ادعو على من معه الملائكة فالحوا عليه حتى دعا عليهم فبقوا فى التيه (ولو شئنا لرفعناه) الى منازل الابرار من العلماء (بها) بسبب تلك الآيات وملازمتها (ولكنه اخلد الى الارض) مال الى الدنيا اوالى السفالة (واتبع هواه) فى ايثار الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الآيات وانما علق رفعه بمشيئة الله تعالى ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشية سبب لفعله الموجب لرفعه وان عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وان السبب الحقيقى هو المشيئة وان مايشاهده من الاسباب وسائط معتبرة فى حصول المسبب من حيث ان المشيئة تعلقت به كذلك وكان من حقه ان يقول ولكنه اعرض فاوقع موقعه اخلد الى الارض واتبع هواء مبالغة وتنبيها على ماحمله عليه وان حب الدنيا رأس كل خطيئة وبذر كل بلية (فمثله) فصفته التى هى مثل فى الخسة (كمثل الكلب) كصفته فى اخس احوالهم وهو (ان تحمل عليه يلهث اوتتركه يلهث) اى يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد اوترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده واللهث ادلاع اللسان من التنفس الشديد والشرطية فى موضع الحال والمعنى لاهثا فى الحالتين والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذى هو نفى الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل لما دعا على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص) المذكورة على اليهود فانها نحو قصصهم (لعلهم يتفكرون) تفكرا يؤدى بهم الى الاتعاظ (ساء مثلا القوم) اى مثل القوم وقرئ ساء مثل القوم على حذف المخصوص بالذم (الذين كذبوا بآياتنا) بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها (وانفسهم كانوا يظلمون) اما ان يكون داخلا فى الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم انفسهم اومنقطعا عنها بمعنى وماظلموا

(بالتكذيب)

والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم) فى الجنة (والذين آمنوا من بعد) اى بعد السابقين الى الايمان والهجرة (وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم) ايها المهاجرون والانصار (واولوا الارحام) ذووالقرابات (بعضهم اولى ببعض) فى الارث من التوارث بالايمان والهجرة المذكور فى الآية السابقة (فى كتاب الله) اللوح المحفوظ (ان الله بكل شئ عليم) ومنه حكمة الميراث

سورة التوبة مدنية اوالا الآيتين آخرها مائة وثلاثون أوالا آية

ولم تكتب فيها البسملة لانه صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بذلك كما يؤخذ من حديث رواه الحاكم وأخرج فى معناه عن على ان البسملة امان وهى نزلت لرفع الامن بالسيف وعن حذيفة انكم تسمونها سورة التوبة وهى سورة العذاب وروى البخارى عن البراء انها آخر سورة نزلت * هذه (براءة من الله ورسوله) واصلة (الى الذين عاهدتم من المشركين) عهدا

بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لايتخطاها ولذلك قدم المفعول (من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون) تصريح بان الهدى والضلال من الله تعالى وان هداية الله تختص ببعض دون بعض وانها مستلزمة للاهتداء والافراد فى الاول والجمع فى الثانى باعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين والاقتصار فى الاخبار عمن هداه الله بالمهتدى تعظيم لشأن الاهتداء وتنبيه على انه فى نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وانه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة العنوان لها (ولقد ذرأنا) خلقنا (لجهنم كثيرا من الجن والانس) يعنى المصرين على الكفر فى علمه تعالى (لهم قلوب لايفقهون بها) اذ لايلقونها الى معرفة الحق والنظر فى دلائله (ولهم اعين لايبصرون بها) اى لاينظرون الى ماخلق الله نظر اعتبار (ولهم آذان لايسمعون بها) الآيات والمواعظ سماع تأمل وتذكر (اولئك كالانعام) فى عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع للتدبر اوفى ان مشاعرهم وقواهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها (بل هم اضل) فانها تدرك مايمكن لها ان تدرك من المنافع والمضار وتجتهد فى جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار (اولئك هم الغافلون) الكاملون فى الغفلة (ولله الاسماء الحسنى) لانها دالة على معان هى احسن المعانى والمراد بها الالفاظ وقيل الصفات (فادعوه بها) فسموه بتلك الاسماء (وذروا الذين يلحدون فى اسمائه) واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لاتوقيف فيه اذ ربمايوهم معنى فاسدا كقولهم ياابا المكارم ياابيض الوجه او لاتبالوا بانكارهم ماسمى به نفسه كقولهم مانعرف الارحمن اليمامة او وذروهم والحادهم فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق اسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز ولاتوافقوهم عليه اواعرضوا عنهم فان الله مجازيهم كما قال (سيجزون ماكانوا يعملون) وقرأ حمزة يلحدون بالفتح يقال لحد والحد اذا مال عن القصد (وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون) ذكر ذلك بعد مابين انه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على انه خلق ايضا للجنة امة هادين بالحق عادلين بالامر واستدل به على صحة الاجماع لان المراد منه ان فى كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لاتزال طائفة من امتى على الحق

مطلقا أو دون اربعة اشهر او فوقها ونقض العهد بما يذكر فى قوله (فسيحوا) سيروا آمنين أيها المشركون (فى الارض أربعة أشهر) اولها شوال بدليل ماسيأتى ولاامان لكم بعدها (واعلموا انكم غير معجزى الله) اى فائتى عذابه (وان الله مخزى الكافرين) مذلهم فى الدنيا بالقتل والاخرى بالنار (وأذان) اعلام (من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر) يوم النحر (أن) اى بأن (الله برىء من المشركين) وعهودهم (ورسوله) برىء ايضا وقد بعث النبى صلى الله عليه وسلم عليا من السنة وهى سنة تسع فأذن يوم النحر بمنى بهذه الآيات وأن لايحج بعد العام مشرك ولايطوف بالبيت عريان رواه البخارى (فان تبتم) من الكفر (فهو خير لكم وان توليتم) عن الايمان (فاعلموا انكم غير معجزى الله وبشر) أخبر (الذين كفروا بعذاب اليم) مؤلم وهو القتل والاسر فى الدنيا والنار فى الآخرة (الا الذين عاهدتم من المشركين

الى ان يأتى امر الله اذ لو اختص بعهد الرسول عليه السلام او غيره لم يكن لذكره فائدة فانه معلوم (والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم) سنستدنيهم الى الهلاك قليلا قليلا واصل الاستدراج الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة (من حيث لايعلمون) ماتريد بهم وذلك ان تتواتر عليهم النعم فيظنوا انها لطف من الله بهم فيزدادوا بطرا وانهماكا فى الغى حتى يحق عليهم كلمة العذاب (واملى لهم) وامهلهم عطف على سنستدرجهم (ان كيدى متين) ان اخذى شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان (اولم يتفكروا مابصاحبهم) يعنى محمدا عليه الصلوة والسلام (من جنة) من جنون روى انه عليه الصلوة والسلام صعد على الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوّت الى الصباح فنزلت (ان هو الا نذير مبين) موضح انذاره بحيث لايخفى على ناظر (اولم ينظروا) نظر استدلال (فى ملكوت السموات والارض وماخلق الله من شئ) مما يقع عليه الشئ من الاجناس التى لايمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شان مالكها ومتولى امرها ليظهر لهم صحة مايدعوهم اليه (وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم) عطف على ملكوت وان مصدرية او مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان وكذا اسم يكون والمعنى او ينظروا فى اقتراب آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا الى طلب الحق والتوجه الى ماينجيهم قبل معافصة الموت ونزول العذاب (فبأى حديث بعده) بعد القرآن (يؤمنون) اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية فى البيان كأنه اخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر بعد الزام الحجة والارشاد الى النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى ان يكون كأنه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما بالهم لايبادرون الايمان بالقرآن وماذا ينتظرون بعد وضوحه فان لم يؤمنوا به فبأى حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا به وقوله (من يضلل الله فلاهادى له) كالتقرير والتعليل له (ونذرهم فى طغيانهم) بالرفع على الاستئناف وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله من يضلل الله وحمزة والكسائى به وبالجزم عطفا على محل فلا هادى له كأنه قيل لايهده احد غيره ويذرهم (يعمهون) حال من هم (يسألونك عن الساعة) اى عن القيمة وهى من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او لانها على طولها عند الله كساعة (ايان مرساها) متى ارساؤها

(اى)

ثم لم ينقصوكم شيئا) من شروط العهد (ولم يظاهروا) يعاونوا (عليكم احدا) من الكفار (فاتموا اليهم عهدهم الى) انقضاء (مدتهم) التى عاهدتم عليها (ان الله يحب المتقين) باتمام العهود (فاذا انسلخ) خرج (الاشهر الحرم) وهى آخر مدة التأجيل (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) فى حل او حرم (وخذوهم) بالاسر (واحصروهم) فى القلاع والحصون حتى يضطروا الى القتل او الاسلام (واقعدوا لهم كل مرصد) طريق يسلكونه ونصب كل على نزع الخافض (فان تابوا) من الكفر (واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم) ولاتتعرضوا لهم (ان الله غفور رحيم) لمن تاب (وان احد من المشركين) مرفوع بفعل يفسره (استجارك) استأمنك من القتل (فأجره) امنه (حتى يسمع كلام الله) القرآن (ثم ابلغه مأمنه) اى موضع امنه وهو دار قومه ان لم يؤمن لينظر فى امره (ذلك) المذكور (بأنهم

اى اثباتهـا واستقرارها ورسوالشيء ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل
وارسى السفينة واشتقاق ايان من اى لان معناه اى وقت وهو من اويت
اليه لان البعض آو الى الكل (قل انما علمها عند ربى) استأثر به لم يطلع عليه
ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا (لايجليها لوقتها) لايظهر امرها فى وقتها
(الا هو) والمعنى ان الخفاء بها مستمر على غيره الى وقت وقوعها واللام
للتأقيت كاللام فى قوله * اقم الصلوة لدلوك الشمس * (ثقلت فى السموات
والارض) عظمت على اهلها من الملائكة والثقلين لهولها وكأنه اشارة الى
الحكمة فى اخفائها (لاتأتيكم الابغتة) فجاءة على غفلة كما قال عليه السلام
ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقى ماشيته والرجل
يقوم سلعته فى سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه (يسألونك كأنك حفى
عنها) عالم بها فعيل من حفى عن الشيء اذا سأل عنه فان من بالغ فى السؤال
عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه فيه ولذلك عدى بعن وقيل هى صلة
يسألونك وقيل هى من الحفاوة بمعنى الشفقة فان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك
قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك عنها كأنك حفى تتحفى بهم
فتخصهم لاجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل معناه كأنك حفى من حفى بالشيء
اذا فرح ومعناه كأنك حفى بالسؤال عنها تحبه اى وانت تكرهه لانه من الغيب
الذى استأثر الله بعلمه (قل انما علمها عند الله) كرره لتكرير يسألونك
لما نيط به من هذه الزيادة وللمبالغة (ولكن اكثر الناس لايعلمون) ان علمها
عند الله لم يؤته احدا من خلقه (قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا) جلب نفع
ولا دفع ضر وهو اظهار للعبودية والتبرى عن ادعاء العلم بالغيوب (الا ماشاء
الله) من ذلك فيلهمنى اياه ويوفقنى له (ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت
من الخير ومامسنى السوء) ولو كنت اعلمه لخالفت حالى ماهى عليه من استكثار
المنافع واجتناب المضار حتى لايمسنى سوء (ان انا الا نذير وبشير) وما انا الا عبد
مرسل للانذار والبشارة (لقوم يؤمنون) فانهم المنتفعون بهما ويجوز
ان يكون متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوفا (هو الذى خلقكم من نفس
واحدة) هو آدم (وجعل منها) من جسدها من ضلع من اضلاعها
او من جنسها لقوله تعالى وجعل لكم من انفسكم ازواجا (زوجها) حواء
(ليسكن اليها) ليستأنس بها ويطمئن اليها اطمئنان الشيء الى جزئه او جنسه
وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب (فلما تغشاها) اى جامعها (حملت

قوم لايعلمون) دين الله
فلابد لهم من سماع القرآن
ليعلموا (كيف) اى لا (يكون
للمشركين عهد عند الله
وعند رسوله) وهم كافرون
بهما غادرون (الا الذين عاهدتم
عند المسجد الحرام) يوم
الحديبية وهم قريش المستثنون
من قبل (فما استقاموا لكم)
اقاموا على العهد ولم ينقضوه
(فاستقيموا لهم) على الوفاء
به وما شرطية (ان الله يحب
المتقين) وقد استقام صلى الله
عليه وسلم على عهدهم
حتى نقضوا باعانة بنى بكر
على خزاعة (كيف) يكون
لهم عهد (وان يظهروا
عليكم) يظفروا بكم (لايرقبوا)
يراعوا (فيكم الا) قرابة
(ولا ذمة) عهدا بل يؤذوكم
مااستطاعوا وجملة الشرط
حال (يرضونكم بأفواههم)
بكلامهم الحسن (وتأبى
قلوبهم) الوفاء به (وأكثرهم
فاسقون) ناقضون للعهد
(اشتروا بآيات الله) القرآن
(ثمنا قليلا) من الدنيا اى
تركوا اتباعها للشهوات
والهوى (فصدوا عن سبيله)
دينه (انهم ساء) بئس (ماكانوا

يعملون) ه عملهم هذا (لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون فان تابوا وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم) أي فهم اخوانكم (في الدين ونفصل) نبين (الآيات لقوم يعلمون) يتدبرون (وان نكثوا) نقضوا (أيمانهم) مواثيقهم (من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم) عابوه (فقاتلوا أئمة الكفر) رؤساءه فيه وضع الظاهر موضع المضمر (انهم لا أيمان) عهود (لهم) وفي قراءة بالكسر (لعلهم ينتهون) عن الكفر (ألا) للتحضيض (تقاتلون قوما نكثوا) نقضوا (أيمانهم) عهودهم (وهموا باخراج الرسول) من مكة لما تشاوروا فيه بدار الندوة (وهم بدؤكم) بالقتال (أول مرة) حيث قاتلوا خزاعة حلفاءكم من بني بكر فما يمنعكم أن تقاتلوهم (أتخشونهم) أتخافونهم (فالله أحق أن تخشوه) في ترك قتالهم

حملا خفيفا) خف عليها ولم تلق منه ماتلقى منه الحوامل غالبا من الاذى او محمولا خفيفا هو النطفة (فمرت به) فاستمرت به وقامت وقعدت وقرئ فمرت بالتخفيف وفاستمرت وفمارت من المور وهو المجيء والذهاب او من المرية اى فظنت الحمل وارتابت به (فلما اثقلت) صارت ذا ثقل بكبر الولد في بطنها وقرئ على البناء للمفعول اى اثقلها حملها (دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا) ولدا سويا قد صلح بدنه (لنكونن من الشاكرين) لك على هذه النعمة المجددة (فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما) اى جعل اولادهما له شركاء فيما آتى اولادهما فسموه عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ويدل عليه قوله تعالى (فتعالى الله عما يشركون ايشركون مالا يخلق شيئا وهم يخلقون) يعني الاصنام وقيل لما حملت حواء اتاها ابليس في صورة رجل فقال لها مايدريك مافي بطنك لعله بهيمة اوكلب ومايدريك من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرته لآدم فهمهما منه ثم عاد اليها وقال انى من الله تعالى بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه فسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا بين الملائكة فقبلت فلما ولدت سمياه عبد الحارث وامثال ذلك لا يليق بالانبياء عليهم السلام ويحتمل ان يكون الخطاب في خلقكم لآل قصي من قريش فانهم خلقوا من نفس قصي وكان لها زوج من جنسها عربية قرشية فطلبا من الله الولد فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار ويكون الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما وقرأ نافع وابو بكر شركا اى شركة بأن اشركا فيه غيره اوذوى شرك وهم الشركاء وهم ضمير الاصنام جيء به على تسميتهم اياها آلهة (ولا يستطيعون لهم نصرا) اى لعبدتهم (ولا انفسهم ينصرون) فيدفعون عنها مايعتريها (وان تدعوهم) اى المشركين (الى الهدى) الى الاسلام (لايتبعوكم) وقرأ نافع بالتخفيف وفتح الباء وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام اى ان تدعوهم الى ان يهدوكم لايتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله (سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون) وانما لم يقل ام صمتم للمبالغة في عدم افادة الدعاء من حيث انه مسوى بالثبات على الصمات اولانهم ماكانوا يدعونها لحوائجهم فكأنه قيل سواء عليكم احداثكم دعاءهم واستمراركم على الصمات عن دعائهم (ان الذين تدعون من دون الله) اى تعبدونهم

وتسمونهم آلهة (عباد امثالكم) من حيث انها مملوكة مسخرة (فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين) انهم آلهة ويحتمل انهم لما نحتوها بصور الاناسي قال لهم ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض فقال (الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها) وقرئ ان الذين بتخفيف ان ونصب عبادا على انها نافية علمت عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله ويبطشون بالضم ههنا وفى القصص والدخان (قل ادعوا شركاءكم) واستعينوا بهم فى عداوتى (ثم كيدون) فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكروهى انتم وشركاؤكم (فلا تنظرون) فلا تمهلونى فانى لا ابالى بكم لوثوقى على ولاية الله وحفظه (ان وليي الله الذى نزل الكتاب) القرآن (وهو يتولى الصالحين) اى ومن عادته تعالى ان يتولى الصالحين من عباده فضلا عن انبيائه (والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون) من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم (وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون) يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا بصورة من ينظر الى من يواجهه (خذ العفو) اى خذ ما عفا لك من افعال الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذى هو ضد الجهد او خذ العفو من المذنبين او الفضل وما يسهل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكوة (وأمر بالعرف) المعروف المستحسن من الافعال (واعرض عن الجاهلين) فلا تمارهم ولا تكافئهم بمثل افعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم الاخلاق آمرة للرسول باستجماعها (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) ينخسنك منه نخس اى وسوسة تحملك على خلاف ما امرت به كاعتراء غضب وفكرة والنزغ والنسغ والنخس الغرز شبه وسوسته للناس اغراء لهم على المعاصى وازعاجا بغرز السائق ما يسوقه (فاستعذ بالله انه سميع) يسمع استعاذتك (عليم) يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه اوسميع باقوال من آذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها مغنيا اياك عن الانتقام ومتابعة الشيطان (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان) لمة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كأنها طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر ان تؤثر فيهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائى ويعقوب طيف على

(ان كنتم مؤمنين قاتلوهم يعذبهم الله) يقتلهم (بأيديكم ويخزهم) ويذلهم بالاسر والقهر (وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين) بما فعل بهم هم بنو خزاعة (ويذهب غيظ قلوبهم) كربها (ويتوب الله على من يشاء) بالرجوع الى الاسلام كأبى سفيان (والله عليم حكيم أم) بمعنى همزة الانكار (حسبتم أن تتركوا ولما) لم (يعلم الله) علم ظهور (الذين جاهدوا منكم) باخلاص (ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) بطانة وأولياء المعنى ولم يظهر المخلصون وهم الموصوفون بما ذكر من غيرهم (والله خبير بما تعملون ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله) بالافراد والجمع بدخوله والقعود فيه (شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت) بطلت (أعمالهم) لعدم شرطها (وفى النار هم

خالدون انما يعمر مساجدالله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلوة وآتى الزكوة ولم يخش) أحدا (الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام) أى أهل ذلك (كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عندالله) فى الفضل (والله لا يهدى القوم الظالمين) الكافرين نزلت ردا على من قال ذلك وهو العباس أوغيره (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله باموالهم وأنفسهم أعظم درجة) رتبة (عندالله) من غيرهم (وأولئك هم الفائزون) الظافرون بالخير (يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم) دائم (خالدين) حال مقدرة (فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم) ونزل فيمن ترك الهجرة لاجل أهله وتجارته (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا)

انه مصدر اوتخفيف طيف كلين وهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره (تذكروا) ما امرالله به ونهى عنه (فاذاهم مبصرون) بسبب التذكر مواقع الخطأ ومكايد الشيطان فيتحرزون عنها ولايتبعونه فيها والآية تأكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله (واخوانهم يمدونهم) اى واخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشيطان (فى الغى) بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من امد ويمادونهم كأنهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال (ثم لايقصرون) لايمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اى لايكفون عن الغى ولايقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير فى اخوانهم الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على من هو (واذا لم تأتهم بآية) من القرآن او مما اقترحوه (قالوا لولا اجتبيتها) هلا جمعتها تقولا من نفسك كسائر ماتقرأه اوهلا طلبتها من الله (قل انما اتبع مايوحى الى من ربى) لست بمختلق للآيات اولست بمقترح لها (هذا بصائر من ربكم) هذا القرآن بصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب (وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) سبق تفسيره (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) نزلت فى الصلوة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع قراءة الامام والانصات له وظاهر اللفظ يقتضى وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلوة واحتج به من لايرى القراءة على المأموم وهو ضعيف (واذكر ربك فى نفسك) عام فى الاذكار من القراءة والدعاء وغيرها اوامر للمأموم بالقراءة سرا بعد فراغ الامام عن قراءته كما هو مذهب الشافعى رحمه الله تعالى عنه (تضرعا وخيفة) متضرعا وخائفا (ودون الجهر من القول) ومتكلما كلاما فوق السر دون الجهر فانه ادخل فى الخشوع والاخلاص (بالغدو والآصال) باوقات الغدو والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر آصل اذا دخل فى الاصيل مطابق للغدو (ولاتكن من الغافلين) عن ذكر الله (ان الذين عند ربك) يعنى ملائكة الملأ الاعلى (لايستكبرون عن عبادته ويسبحونه) وينزهونه (وله يسجدون) ويخصونه بالعبادة والتذلل لايشركون به غيره وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى ويقول ياويلة

امرهذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلى النار
وعنه عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيمة
بينه و بين ابليس سترا وكان آدم شفيعاله يوم القيمة

﴿ سورة الانفال مدنية وهى ست وسبعون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(يسألونك عن الانفال) اى الغنائم يعنى حكمها وانما سميت الغنيمة نفلا
لانها عطية من الله و فضل كما سمى به مايشرطه الامام لمقتحم خطر عطية له
وزيادة على سهمه (قل الانفال لله والرسول) اى امرها مختص بهما
يقسمها الرسول على مايأمره الله به وسبب نزوله اختلاف المسلمين فى غنائم بدر
انها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم اوالانصار وقيل شرط رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم لمن كان له عناء ان ينفله فتسارع شبانهم حتى
قتلوا سبعين واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ
والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردأ لكم وفئة تحازون اليها فنزلت
فقسمها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينهم على السواء ولهذا قيل
لايلزم الامام ان يفى بما وعد وهو قول الشافعى رحمه الله تعالى وعن سعد بن
ابى وقاص رضى الله تعالى عنه قال لما كان يوم بدر قتل اخى عمير وقتلت
به سعيد بن العاص واخذت سيفه فاتيت به رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم واستوهبته منه فقال ليس هذالى ولالك اطرحه فى القبض فطرحته
وبى مالا يعلمه الا الله من قتل اخى واخذ سلبى فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت
سورة الانفال فقال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سألتنى السيف
وليس لى وانه قد صار لى فاذهب فخذه وقرئ يسألونك علنفال بحذف
الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فيها وقرئ يسألونك
الانفال اى يسألك الشبان ماشرط لهم (فاتقوا الله) فى الاختلاف
والمشاجرة (واصلحوا ذات بينكم) الحال التى بينكم بالمواساة والمساعدة
فيما رزقكم الله وتسليم امره الى الله والرسول (واطيعوا الله ورسوله) فيه
(ان كنتم مؤمنين) فان الايمان يقتضى ذلك اوان كنتم كاملى الايمان فان
كمال الايمان بهذه الثلاثة طاعة الاوامر والاتقاء عن المعاصى واصلاح
ذات البين بالعدل والاحسان (انما المؤمنون) اى الكاملون فى الايمان (الذين

اختاروا (الكفر على
الايمان ومن يتولهم منكم
فأولئك هم الظالمون قل ان كان
آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم
وأزواجكم وعشيرتكم)
أقرباؤكم وفى قراءة عشيراتكم
(و اموال اقترفتموها)
اكتسبتموها (وتجارة
تخشون كسادها) عدم نفاقها
(ومساكن ترضونها أحب
اليكم من الله ورسوله وجهاد
فى سبيله) فقعدتم لاجله عن
الهجرة والجهاد (فتربصوا)
انتظروا (حتى يأتى الله
بأمره) تهديد لهم (والله
لايهدى القوم الفاسقين
لقد نصركم الله فى مواطن)
للحرب (كثيرة) كبدر
وقريظة والنضير (و)اذكر
(يوم حنين) واد بين مكة
والطائف اى يوم قتالكم فيه
هوازن وذلك فى شوال
سنة ثمان (اذ) بدل من
يوم (أعجبتكم كثرتكم) فقلتم
لن نغلب اليوم من قلة
وكانوا اثنى عشر الفا والكفار
اربعة آلاف (فلم تغن عنكم
شيئاً وضاقت عليكم الارض

اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة وفرقت اى خافت (واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا) لزيادة المؤمن به اولاطمئنان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة اوبالعمل بموجبها وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على ان العمل داخل فيه (وعلى ربهم يتوكلون) يفوضون اليه امورهم ولايخشون ولايرجون الااياه (الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا) لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال الجوارح التي هي العيار عليها الصلوة والصدقة وحقا صفة مصدر محذوف اومصدر مؤكد كقولهم هو عبدالله حقا (لهم درجات عند ربهم) كرامة وعلو منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها باعمالهم (ومغفرة) لما فرط منهم (ورزق كريم) اعد لهم في الجنة لاينقطع عدده ولاينتهي امده (كما اخرجك ربك من بيتك بالحق) خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال في كراهتهم اياها كحال اخراجك للحرب في كراهتهم له اوصفة مصدر الفعل المقدر في قوله لله والرسول اى الانفال تثبت لله والرسول عليه السلام مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك يعني المدينة لانها مهاجره ومسكنه اوبيته فيها مع كراهتهم (وان فريقا من المؤمنين لكارهون) في موقع الحال اى اخراجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فاخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة ياأهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت قبل ذلك بثلاث عاتكة بنت عبدالمطلب ان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة الا اصابه شئ منها فحدثت بها العباس وبلغ ذلك اباجهل فقال مايرضى رجالهم ان يتنبأوا حتى تنبأت نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله

بما رحبت) ما مصدرية اى مع رحبها اى سعتها فلم تجدوا مكانا تطمئنون اليه لشدة ما لحقكم من الخوف (ثم وليتم مدبرين) منهزمين وثبت النبي صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وليس معه غير العباس وأبو سفيان آخذ بركابه (ثم انزل الله سكينته) طمأنينته (على رسوله وعلى المؤمنين) فردوا الى النبي صلى الله عليه وسلم لما ناداهم العباس باذنه وقاتلوا (وأنزل جنودا لم تروها) ملائكة (وعذب الذين كفروا) بالقتل والاسر (وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) منهم بالاسلام (والله غفور رحيم ياأيها الذين آمنوا انما المشركون نجس) قذر لخبث باطنهم (فلا يقربوا المسجد الحرام) أي لايدخلوا الحرم (بعد عامهم هذا) عام تسع من الهجرة (وان خفتم عيلة) فقرا بانقطاع تجارتهم عنكم (فسوف يغنيكم

صلى الله عليه وسلم بوادى ذفران فنزل جبريل عليه السلام بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له انا اخرجنا للعير فرد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يارسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقام ابو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ماتخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو امض لما امرك الله فانا معك حيث ما احببت لانا لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال اشيروا على ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة انهم برآء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لايروا نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يارسول الله قال اجل قال انا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يارسول الله لما اردت فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ماتخلف منا رجل واحد وما نكره ان تاتى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ماتقر به عينك فسر بنا على بركة الله فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله تعالى قد وعدنى احدى الطائفتين والله لكأنى انظر الى مصارع القوم وقيل انه عليه الصلوة والسلام لما فرغ من بدر قيل له عليك بالعير فناداه عباس وهو فى وثاقه لا يصلح فقال له لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله (يجادلونك فى الحق) فى ايثارك الجهاد باظهار الحق لايثارهم تلقى العير عليه (بعدما تبين) انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام الرسول عليه الصلوة والسلام (كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون) اى يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم اذ روى انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايماء الى ان مجادلتهم كان لفرط فزعهم

الله من فضله ان شاء) وقد اغناهم بالفتوح والجزية (ان الله عليم حكيم قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) والا لآمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم (ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) كالخمر (ولا يدينون دين الحق) الثابت الناسخ لغيره من الاديان وهو دين الاسلام (من) بيان للذين (الذين أوتوا الكتاب) اى اليهود والنصارى (حتى يعطوا الجزية) الخراج المضروب عليهم كل عام (عن يد) حال أى منقادين أو بايديهم لايوكلون بها (وهم صاغرون) أذلاء منقادون لحكم الاسلام (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح) عيسى (ابن الله ذلك قولهم بأفواههم) لا مستند لهم عليه بل (يضاهؤن) يشابهون به (قول الذين كفروا من قبل) من آبائهم تقليدا لهم (قاتلهم) لعنهم (الله أنى) كيف

ورعبهم (واذيعدكم الله احدى الطائفتين) على اضمار اذكر واحدى الطائفتين ثانى مفعول يعدكم وقدابدل عنها (انها لكم) بدل الاشتمال (وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم) يعنى العير فانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير لكثرة عددهم وعددهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك (ويريدالله ان يحق الحق) ان يثبته ويعليه (بكلماته) الموحى بها فى هذه الحال اوباوامره للملائكة بالامداد وقرىء بكلمته (ويقطع دابر الكافرين) ويستأصلهم والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا مالا ولاتلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق ومايحصل لكم فوز الدارين (ليحق الحق ويبطل الباطل) اى فعل مافعل وليس بتكرير لان الاول لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثانى لبيان الداعى الى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها (ولوكره المجرمون) ذلك (اذتستغيثون ربكم) بدل من اذيعدكم اومتعلق بقوله ليحق الحق اوعلى اضمار اذكر واستغاثتهم انهم لماعلموا ان لامحيص من القتال اخذوا يقولون اى رب انصرنا على عدوك اغثنا ياغياث المستغيثين وعن عمر رضى الله تعالى عنه انه عليه السلام نظر الى المشركين وهم الف والى الصحابة وهم ثلاثمائة فاستقبل القبلة ومديديه يدعو اللهم انجزلى ماوعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الارض فمازال كذلك حتى سقط رداؤه فقال ابوبكر يانبى الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجزلك ماوعدك (فاستجاب لكم انى ممدكم) بأنى ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرأ ابوعمرو بالكسر على ارادة القول اواجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول (بالف من الملائكة مردفين) متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعضا المؤمنين او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرأ نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال اى متبعين او متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش اوساقتهم وقرىء مردفين بكسر الراء وضمها واصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء فى الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل اوبالضم على الاتباع وقرىء بآلاف من الملائكة ليوافق مافى سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف فى مقاتلتهم وقدروى اخبار تدل عليها (وماجعله الله)

(يؤفكون) يصرفون عن الحق مع قيام الدليل (اتخذوا أحبارهم) علماء اليهود (ورهبانهم) عبادالنصارى (أربابا من دون الله) حيث اتبعوهم فى تحليل ماحرم وتحريم ماأحل (والمسيح ابن مريم وما أمروا) فى التورية والانجيل (الاليعبدوا) أى بأن يعبدوا (الها واحدا لااله الاهو سبحانه) تنزيهاله (عما يشركون يريدون ان يطفؤا نور الله) شرعه وبراهينه (بافواههم) بأقوالهم فيه (ويأبى الله الا أن يتم) يظهر (نوره ولوكره الكافرون) ذلك (هوالذى أرسل رسوله) محمدا صلى الله عليه وسلم (بالهدى ودين الحق ليظهره) يعليه (على الدين كله) جميع الاديان المخالفة له (ولوكره المشركون) ذلك (ياايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون) يأخذون (أموال الناس بالباطل) كالرشى فى الحكم (ويصدون) الناس (عن سبيل الله) دينه (والذين)

اى الامداد (الا بشرى لكم) الا بشارة لكم بالنصر (ولتطمئن به قلوبكم) فيزول مابها من الوجل لقلتكم وذلتكم (وماالنصر الا من عندالله ان الله عزيز حكيم) وامداد الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوها وسائط لاتأثير لها فلاتحسبوا النصر منها ولاتيأسوا منه بفقدها (اذ يغشيكم النعاس) بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة اومتعلق بالنصر اوبما فى عندالله من معنى الفعل او بجعله اوباضمار اذكر وقرأ نافع يغشيكم بالتخفيف من اغشيته الشئ اذاغشيته اياه والفاعل على القراءتين هو الله تعالى وقرأ ابن كثير وابوعمرو يغشاكم النعاس بالرفع (أمنة منه) أمنا من الله وهو مفعول له باعتبار المعنى فان قوله يغشيكم النعاس يتضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه والامنة فعل لفاعله ويجوز ان يراد بها الايمان فتكون فعل المغشى وان تجعل على القراءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه اولانه كان من حقه ان لايغشاهم لشدة الخوف فلما غشاهم فكأنه حصلت له امنة من الله لولاها لم يغشهم كقوله * يهاب النوم ان يغشى عيونا * تهابك فهو نفار شرود * وقرئ امنة كرحمة وهى لغة (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به) من الحدث والجنابة (ويذهب عنكم رجز الشيطان) يعنى الجنابة لانه من تخييله اووسوسته وتخويفه اياهم من العطش روى انهم نزلوا فى كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غيرماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقدغلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقدغلبتم على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اولياء الله وفيكم رسوله فاشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادى واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضأوا وتلبد الرمل الذى بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت الوسوسة (وليربط على قلوبكم) بالوثوق على لطف الله بهم (ويثبت به الاقدام) اى بالمطر حتى لاتسوخ فى الرمل اوبالربط على القلوب حتى تثبت فى المعركة (اذ يوحى ربك) بدل ثالث اومتعلق بيثبت (الى الملائكة انى معكم) فى اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحى وقرئ بالكسر على ارادة القول اواجراء الوحى مجراه (فثبتوا الذين آمنوا) بالبشارة اوتكثير سوادهم اوبمحاربة اعدائهم فيكون قوله (سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) كالتفسير لقوله انى معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب

مبتدأ (يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها) أى الكنوز (فى سبيل الله) أى لايؤدون منها حقه من الزكوة والخبر (فبشرهم) اخبرهم (بعذاب اليم) مؤلم (يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى) تحرق (بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) وتوسع جلودهم حتى توضع عليها كلها ويقال لهم (هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) اى جزاءه (ان عدة الشهور) المعتدبها للسنة (عندالله اثناعشر شهرا فى كتاب الله) اللوح المحفوظ (يوم خلق السموات والارض منها) اى الشهور (أربعة حرم) محرمة ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ورجب (ذلك) اى تحريمها (الدين القيم) المستقيم (فلاتظلموا فيهن) اى الاشهر الحرم (انفسكم) بالمعاصى فانها فيها اعظم وزرا وقيل فى الاشهر كلها (وقاتلوا المشركين كافة) جميعا فى كل الشهور (كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين)

فيه مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب او على ان قوله سألقى الى قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين به كأنه قال قولوا لهم قولى هذا (فاضربوا فوق الاعناق) اعاليها التى هى المذابح والرؤس (واضربوا منهم كل بنان) اصابع اى جزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم (ذلك) اشارة الى الضرب او الامر به والخطاب للرسول عليه الصلوة والسلام او لكل احد من المخاطبين (بانهم شاقوا الله ورسوله) بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعادين فى شق خلاف شق الآخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة من الخصم وهو الجانب (ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب) تقرير للتعليل او وعيد بما اعدلهم فى الآخرة بعد ماحاق بهم فى الدنيا (ذلكم) الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع اى الامر ذلكم او ذلكم واقع او نصب بفعل دل عليه (فذوقوه) او غيره مثل باشروا او عليكم لتكون الفاء عاطفة (وان للكافرين عذاب النار) عطف على ذلكم او نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا ماعجل لكم مع مااجل لكم فى الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ان الكفر سبب العذاب الآجل اوالجمع بينهما وقرئ وان بالكسر على الاستئناف (ياايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا) كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كأنهم يزحفون وهو مصدر زحف الصبي اذا دب على مقعده قليلا قليلا سمى به وجمع على زحوف وانتصابه على الحال (فلاتولوهم الادبار) بالانهزام فضلا عن ان يكونوا مثلكم اواقل منكم والاظهر انها محكمة لكنها مخصوصة بقوله حرض المؤمنين الآية ويجوز ان ينتصب زحفا على الحال من الفاعل والمفعول اى اذا لقيتموهم متزاحفين يدبون اليكم وتدبون اليهم فلاتنهزموا او من الفاعل وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا وهم اثنا عشر الفا (ومن يولهم يومئذ دبره الامتحرفا لقتال) يريد الكر بعد الفر وتغرير العدو فانه من مكايد الحرب (اومتحيزا الى فئة) او منحازا الى فئة اخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لماروى ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه كان فى سرية بعثهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ففروا الى المدينة فقلت يارسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا او متحيزا على الحال والالغو لاعمل له او الاستثناء من المولين اى الارجلا متحرفا ومتحيزا ووزن متحيز متفيعل لامتفعل

(والا)

بالعون والنصر (انما النسئ) اى التأخير لحرمة شهر الى آخر كما كانت الجاهلية تفعله من تأخير حرمة المحرم اذ اهل وهم فى القتال الى صفر (زيادة فى الكفر) لكفرهم بحكم الله فيه (يضل) بضم الياء وفتحها (به الذين كفروا يحلونه) اى النسئ (عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا) يوافقوا بتحليل شهر وتحريم آخر بدله (عدة) عدد (ماحرم الله) من الاشهر فلايزيدون على تحريم اربعة ولاينتقصون ولاينظرون الى اعيانها (فيحلوا ماحرم الله زين لهم سوء اعمالهم) فظنوه حسنا (والله لايهدى القوم الكافرين) * ونزل لما دعا صلى الله عليه وسلم الناس الى غزوة تبوك وكانوا فى عسرة وشدة حر فشق عليهم (ياأيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم) بادغام التاء فى الاصل فى المثلثة واجتلاب همزة الوصل اى تباطأتم وملتم عن الجهاد (الى الارض) والقعود فيها

والاكان متحوزا لانه من حاز يحوز (فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) هذا اذا لم يزد العدو على الضعف لقوله تعالى الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بدر والحاضرين معه فى الحرب (فلم تقتلوهم) بقوتكم (ولكن الله قتلهم) بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب فى قلوبهم روى انه لما طلعت قريش من العقنقل قال عليه السلام هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم انى اسألك ماوعدتنى فاتاه جبريل عليه السلام وقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الاشغل بعينه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت واسرت فنزلت والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم (وما رميت) يامحمد رميا توصلها الى اعينهم ولم تقدر عليه (اذ رميت) اى اتيت بصورة الرمى (ولكن الله رمى) اتى بماهو غاية الرمى فاوصلها الى اعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى وعلى ماهو كماله والمقصود منه وقيل معناه مارميت بالرعب اذ رميت بالحصباء ولكن الله رمى بالرعب فى قلوبهم وقيل انه نزل فى طعنة طعن بها ابى بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات اورمية سهم رماه يوم خيبر نحو الحصن فاصاب لبابة بن الحقيق على فراشه والجمهور على الاول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى ولكن بالتخفيف ورفع مابعده فى الموضعين (وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا) ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات (ان الله سميع) لاستغاثتهم ودعائهم (عليم) بنياتهم واحوالهم (ذلكم) اشارة الى البلاء الحسن اوالقتل اوالرمى ومحله الرفع اى المقصود اوالامر ذلكم وقوله (وان الله موهن كيد الكافرين) معطوف عليه اى المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو موهن بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين (وان تنتهوا) عن الكفر ومعاداة

والاستفهام للتوبيخ (أرضيتم بالحيوة الدنيا) ولذاتها (من الآخرة) أى بدل نعيمها (فمامتاع الحيوة الدنيا فى) جنب متاع (الآخرة الاقليل) حقير (الا) بادغام لا فى نون ان الشرطية فى الموضعين (تنفروا) تخرجوا مع النبى صلى الله عليه وسلم للجهاد (يعذبكم عذابا اليما) مؤلما (ويستبدل قوما غيركم) أى يأت بهم بدلكم (ولاتضروه) أى الله أوالنبى صلى الله عليه وسلم (شيئا) بترك نصره فان الله ناصر دينه (والله على كل شئ قدير) ومنه نصر دينه ونبيه (الاتنصروه) اى النبى صلى الله عليه وسلم (فقد نصره الله اذ) حين (أخرجه الذين كفروا) من مكة أى ألجؤه الى الخروج لما ارادوا قتله أو حبسه أونفيه بدار الندوة (ثانى اثنين) حال أى أحد اثنين والآخر أبوبكر المعنى نصره الله فى مثل تلك الحالة فلا يخذله فى غيرها (اذ) بدل من اذ قبله (هما فى الغار) نقب فى جبل ثور (اذ) بدل ثان (يقول

لصاحبه) أبي بكر وقد قال له لما رأى اقدام المشركين لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا (لاتحزن ان الله معنا) بنصره (فانزل الله سكينته) طمانينته (عليه) قيل على النبي صلى الله عليه وسلم وقيل على أبي بكر (وأيده) اى النبي صلى الله عليه وسلم (بجنود لم تروها) ملائكة في الغار ومواطن قتاله (وجعل كلمة الذين كفروا) أى دعوة الشرك (السفلى) المغلوبة (وكلمة الله) أى كلمة الشهادة (هى العليا) الظاهرة الغالبة (والله عزيز) فى ملكه (حكيم) فى صنعه (انفروا خفافا وثقالا) نشاطا وغير نشاط وقيل أقوياء وضعفاء أو أغنياء وفقراء وهى منسوخة بآية ليس على الضعفاء (وجاهدوا باموالكم وانفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) أنه خير لكم فلاتثاقلوا * ونزل فى المنافقين الذين تخلفوا (لوكان) مادعوتهم اليه (عرضا) متاعا من الدنيا (قريبا) سهل المأخذ (وسفرا قاصدا)

الرسول (فهو خير لكم) لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين (وان تعودوا) لمحاربته (نعد) لنصرته (ولن تغنى) ولن تدفع (عنكم فئتكم) جماعتكم (شيئا) من الاغناء او المضار (ولو كثرت) فئتكم (وان الله مع المؤمنين) بالنصر والمعونة وقرأ نافع وابن عامر وحفص وان بالفتح على ولان الله مع المؤمنين كان ذلك وقيل الآية خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل فى القتال والرغبة عما يستأثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار اوتهييج العدو ولن تغنى حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين فى ايمانهم ويؤكد ذلك (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولاتولوا عنه) اى ولاتتولوا عن الرسول فان المراد من الآية الامر بطاعته والنهى عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على ان طاعة الله فى طاعة الرسول لقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد اوللامر الذى دل عليه الطاعة (وانتم تسمعون) القرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق (ولاتكونوا كالذين قالوا سمعنا) كالكفرة والمنافقين الذين ادعوا السماع (وهم لايسمعون) سماعا ينتفعون به فكأنهم لايسمعون رأسا (ان شر الدواب عند الله) شر مايدب على الارض اوشر البهائم (الصم) عن الحق (البكم الذين لايعقلون) اياه عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها لابطالهم ماميزوا به وفضلوا لاجله (ولوعلم الله فيهم خيرا) سعادة كتبت لهم اوانتفاعا بالآيات (لاسمعهم) سماع تفهم (ولو اسمعهم) وقد علم ان لاخير فيهم (لتولوا) ولم ينتفعوا به اوارتدوا بعد التصديق والقبول (وهم معرضون) لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم احى لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام قصى (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول) بالطاعة (اذا دعاكم) وحد الضمير فيه لماسبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول وروى انه عليه السلام مر على ابى سعيد الخدرى وهو يصلى فدعاه فعجل فى صلوته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتى قال كنت اصلى قال ألم تخبر فيما اوحى الى استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته لاتقطع الصلوة فان الصلوة ايضا اجابة وقيل ان دعاءه كان لامر لايحتمل التأخير وللمصلى ان يقطع الصلوة لمثله وظاهر

(الحديث)

الحديث يناسب الاول (لما يحييكم) من العلوم الدينية فانها حيوة القلب والجهل موته قال * لا تعجبن الجهول حلته * فذاك ميت وثوبه كفن * او مما يورثكم الحيوة الابدية فى النعيم الدائم من العقائد والاعمال او من الجهاد فانه سبب بقائكم اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم (واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه) تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات القلوب ماعسى يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله بينه وبين قلبه بالموت اوغيره او تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قضى شقاوته وقرئ بين المر بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه (وانه اليه تحشرون) فيجازيكم باعمالكم (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكر بين اظهركم والمداهنة فى الامر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل فى الجهاد على ان قوله لاتصيبن اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لاتصيب الظالمين منكم خاصة بل تعمكم وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهى ساغ فيه كقوله تعالى ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفى وفيه شذوذ لان النون لاتدخل المنفى فى غير القسم او للنهى على ارادة القول كقوله * حتى اذا جن الظلام واختلط * جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط * واما جواب قسم محذوف لقراءة من قرأ لتصيبن وان اختلفا فى المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن فى منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم (واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون فى الارض) ارض مكة يستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء فى ايدى فارس والروم (تخافون ان يتخطفكم الناس) كفار قريش او من عداهم فانهم كانوا جميعا معادين مضادين لهم (فآواكم) الى المدينة او جعل لكم مأوى

وسطا (لاتبعوك) طلبا للغنيمة (ولكن بعدت عليهم الشقة) المسافة فتخلفوا (وسيحلفون بالله) اذا رجعتم اليهم (لو استطعنا) الخروج (لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم) بالحلف الكاذب (والله يعلم انهم لكاذبون) فى قولهم ذلك وكان صلى الله عليه وسلم أذن لجماعة فى التخلف باجتهاد منه فنزل عتابا له وقدم العفو تطمينا لقلبه (عفا الله عنك لم أذنت لهم) فى التخلف وهلا تركتهم (حتى يتبين لك الذين صدقوا) فى العذر (وتعلم الكاذبين) فيه (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر) فى التخلف عن (أن يجاهدوا باموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين انما يستأذنك) فى التخلف (الذين لايؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت) شكت (قلوبهم) فى الدين (فهم فى ريبهم يترددون) يتحيرون (ولو أرادوا الخروج) معك (لاعدوا له عدة) أهبة من الآلة والزاد (ولكن كره الله انبعاثهم) أى لم يرد

تحصنون به عن اعدائكم (وايدكم بنصره) على الكفار او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر (ورزقكم من الطيبات) من الغنائم (لعلكم تشكرون) هذه النعم (يا ايها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول) بتعطيل الفرائض والسنن او بأن تضمروا خلاف ماتظهرون او بالغلول فى المغانم روى انه عليه السلام حاصر بنى قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوه الصلح كما صالح اخوانهم بنى النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحاء من الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله فى ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ماترى هل ننزل على حكم سعد بن معاذ فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فمازالت قدماى حتى علمت انى قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية فى المسجد وقال والله لااذوق طعاما ولاشرابا حتى اموت او يتوب الله على فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال والله لااحلها حتى يكون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هو الذى يحلنى فجاء فحله بيده فقال ان من تمام توبتى ان اهجر دار قومى التى اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالى فقال عليه السلام يجزيك الثلث ان تتصدق به واصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله فى ضد الامانة لتضمنه اياه (وتخونوا اماناتكم) فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول او منصوب على الجواب بالواو (وانتم تعلمون) انكم تخونون او انتم علماء تميزون الحسن من القبيح (واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة) لانهم سبب الوقوع فى الاثم وفى العقاب او محنة من الله تعالى ليبلوكم فلايحملنكم حبهم على الخيانة كابى لبابة (وان الله عنده اجر عظيم) لمن آثر رضى الله عليهم وراعى حدوده فيهم فانيطوا هممكم بمايؤديكم اليه (ياأيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) هداية فى قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات او نجاة عما تحذرون فى الدارين او ظهورا يشهر امركم ويثبت صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اى الصبح (ويكفر عنكم سيئاتكم) ويسترها (ويغفر لكم) بالتجاوز والعفو عنها وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ماتقدم وماتأخر لانها فى اهل بدر وقد غفرها الله

(لهم)

خروجهم (فثبطهم) كسلهم (وقيل) لهم (اقعدوا مع القاعدين) المرضى والنساء والصبيان أى قدر الله تعالى ذلك (لوخرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا) فسادا بتخذيل المؤمنين (ولأوضعوا خلالكم) أى اسرعوا بينكم بالمشى بالنميمة (يبغونكم) يطالبون لكم (الفتنة) بالقاء العداوة (وفيكم سماعون لهم) مايقولون سماع قبول (والله عليم بالظالمين لقد ابتغوا) لك (الفتنة من قبل) أول ماقدمت المدنية (وقلبوا لك الامور) أى أجالوا الفكر فى كيدك وابطال دينك (حتى جاء الحق) النصر (وظهر) عز (أمر الله) دينه (وهم كارهون) له فدخلوا فيه ظاهرا (ومنهم من يقول ائذن لى) فى التخلف (ولاتفتنى) وهو الجد بن قيس قال له النبى صلى الله عليه وسلم هل لك فى جلاد بنى الاصفر فقال انى مغرم بالنساء وأخشى ان رأيت نساء بنى الاصفر أن لاأصبر عنهن فافتتن قال تعالى (ألا فى الفتنة سقطوا) بالتخلف

لهم (والله ذوالفضل العظيم) تنبيه على انما وعده لهم على التقوى
تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد اذا وعد
عبده انعاما على عمل (واذيمكر بك الذين كفروا) تذكار لمكر قريش به
حين كان بمكة ليشكر نعمة الله فى خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى
واذكر اذيمكرون بك (ليثبتوك) بالوثاق اوالحبس اوالاثخان بالجرح
من قولهم ضربه حتى اثبته لاحراك به ولابراح وقرئ ليثبتوك بالتشديد
وليبيتوك من البيات وليقيدوك (اويقتلوك) بسيوفهم (اويخرجوك)
من مكة وذلك انهم لماسمعوا باسلام الانصار ومتابعتهم فزعوا فاجتمعوا
فى دار الندوة متشاورين فى امره فدخل عليهم ابليس فى صورة شيخ وقال
انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا منى رأيا ونصحا
فقال ابوالبخترى رأيى ان تحبسوه فى بيت وتشدوا منافذه غير كوة تلقون
اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأى يأتيكم
من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رأيى ان تحملوه
على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ماصنع فقال بئس الرأى يفسد قوما
غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابوجهل انا ارى ان تأخذوا من كل بطن غلاما
وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه فى القبائل
فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق
هذا الفتى فتفرقوا على رأيه فأتى جبريل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
واخبره الخبر وامره بالهجرة فبيت عليا رضى الله تعالى عنه فى مضجعه وخرج
مع ابى بكر رضى الله تعالى عنه الى الغار (ويمكرون ويمكر الله) برد مكرهم
عليهم او بمجازاتهم عليه او بمعاملة الماكرين معهم بان اخرجهم الى بدر
وقلل المسلمين فى اعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا (والله خير الماكرين)
اذلا يؤبه بمكرهم دون مكره واسناد امثال هذا الى الله انما يحسن للمزاوجة
ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام الذم (واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا
قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا) هو قول النضر بن الحارث واسناده الى
الجمع اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم فانه كان قاضيهم اوقول الذين ائتمروا
فى امره عليه السلام وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا
ذلك فما منعهم ان يشاؤا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم
بالسيف فلم يعارضوا سورة مع انفهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا

وقرئ سقط (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) لا محيص لهم عنها (ان تصبك حسنة) كنصر وغنيمة (تسؤهم وان تصبك مصيبة) شدة (يقولوا قد أخذنا أمرنا) بالحزم حين تخلفنا (من قبل) قبل هذه المصيبة (ويتولوا وهم فرحون) بما أصابك (قل) لهم (لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) اصابته (هو مولانا) ناصرنا ومتولى أمورنا (وعلى الله فليتوكل المؤمنون قل هل تربصون) فيه حذف احدى التاءين من الاصل أى تنتظرون أن يقع (بنا الا احدى) العاقبتين (الحسنيين) تثنية حسنى تأنيث أحسن النصر أو الشهادة (ونحن نتربص) ننتظر (بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده) بقارعة من السماء (أو بأيدينا) بان يؤذن لنا فى قتالكم (فتربصوا) بنا ذلك (انا معكم متربصون) عاقبتكم (قل أنفقوا) فى طاعة الله (طوعا أو كرها لن يتقبل منكم) ما أنفقتموه (انكم كنتم قوما فاسقين) والامر هنا بمعنى الخبر (وما منعهم أن تقبل) بالتاء

في باب البيان ﴿ ان هذا الا اساطير الاولين ﴾ ماسطره الاولون من القصص ﴿ واذقالوا اللهم انكان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ﴾ هذا ايضا من كلام ذاك القائل ابلغ في الجحود روى انه لما قال النضر ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويلك انه كلام الله فقال ذلك والمعنى ان كان هذا القرآن حقا منزلا فأمطر الحجارة علينا عقوبة على انكاره او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا بالوجه الذي يدعيه النبي وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كاساطير الاولين ﴿ وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾ بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف لاجابة دعائهم واللام لتأكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استئصال والنبي عليه السلام بين اظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه والمراد باستغفارهم اما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ﴿ ومالهم ان لا يعذبهم الله ﴾ ومالهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون ﴿ وهم يصدون عن المسجد الحرام ﴾ وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية ﴿ وما كانوا اولياءه ﴾ مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ﴿ ان اولياؤه الا المتقون ﴾ من الشرك الذي لا يعبدون فيه غيره وقيل الضميران لله ﴿ ولكن اكثرهم لا يعلمون ﴾ ان لا ولاية لهم عليه كانه نبه بالاكثر على ان منهم من يعلم ويعاند او اراد به الكل كما يراد بالقلة العدم ﴿ وما كان صلوتهم عند البيت ﴾ اى دعاؤهم او مايسمونه صلوة او مايضعون موضعها ﴿ الا مكاء ﴾ صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا ﴿ وتصدية ﴾ تصفيقا تفعلة من الصدى او من الصد على ابدال احد حرفي التضعيف بالياء وقرئ صلوتهم بالنصب على انه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب اوعدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق

(بمن)

والياء (منهم نفقاتهم الا أنهم) فاعل وان تقبل مفعول (كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى) متثاقلون (ولا ينفقون الا وهم كارهون) النفقة لانهم يعدونها مغرما (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم) أي لا تستحسن نعمنا عليهم فهي استدراج (انما يريد الله ليعذبهم) أي أن يعذبهم (بها في الحيوة الدنيا) بما يلقون في جمعها من المشقة وفيها من المصائب (وتزهق) تخرج (أنفسهم وهم كافرون) فيعذبهم في الآخرة أشد العذاب (ويحلفون بالله انهم لمنكم) أي مؤمنون (وماهم منكم ولكنهم قوم يفرقون) يخافون أن تفعلوا بهم كالمشركين فيحلفون تقية (لويجدون ملجأ) يلجؤن اليه (أومغارات) سراديب (أومدخلا) موضعا يدخلونه (لولوا اليه وهم يجمحون) يسرعون في دخوله والانصراف عنكم اسراعا لا يرده شيء كالفرس الجموح (ومنهم من يلمزك) يعيبك (في) قسم (الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان

بمن هذه صلوته روى انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين
اصابعهم يصفرون فيهـا ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ان يصلي يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا
(فذوقوا العذاب) يعنى القتل والاسر يوم بدر وقيـل عذاب الآخرة
واللام تحتمـل ان تكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب اليم (بمـا كنتم
تكفرون) اعتقـادا وعملا (ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا
عن سبيل الله) نزلت فى المطعمين يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلا من قريش
يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزرا او فى ابى سفيان استأجر ليوم احد الفين
من العرب سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية او فى اصحاب
العير فانه لما اصيب قريش ببدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا
ندرك منه ثأرنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسله (فسينفقونها)
بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم فى تلك الحال وهو انفاق بدر والثانى
اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد
على ان مسـاق الاول لبيان غرض الانفاق ومسـاق الثانى لبيان عاقبته
وان لم يقع بعد (ثم تكون عليهم حسرة) ندما وغما لفواتها من غير مقصود
جعل ذاتها كأنها تصير حسرة وهى عاقبة انفاقها مبالغة (ثم يغلبون) آخر
الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبـل ذلك (والذين كفروا) اى
الذين ثبتوا على الكفر منهم اذا سلم بعضهم (الى جهنم يحشرون) يساقون
(ليميز الله الخبيث من الطيب) الكافر من المؤمن او الفسـاد من الصلاح
واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون فى عداوة رسول الله
صلى الله تعـالى عليه وسلم مما انفقه المسلمون فى نصرته واللام متعلقة بقوله
ثم تكون عليهم حسرة وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب ليميز من التمييز وهو
ابلغ من الميز (ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا) فيجمعه ويضم
بعضه الى بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد
به عذابه كما للكافرين (فيجعله فى جهنم) كله (اولئك) اشارة الى الخبيث
لانه مقدر بالفريق الخبيث او الى المنفقين (هم الخـاسرون) الكاملون
فى الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم (قل للذين كفروا) يعنى اباسفيان
واصحابه والمعنى قل لاجلهم (ان ينتهوا) عن معاداة الرسول عليه الصلوة
والسلام بالدخول فى الاسلام (يغفر لهم ماقد سلف) من ذنوبهم وقرئ

لم يعطوا منها اذاهم يسخطون
ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله
ورسوله) من الغنائم ونحوها
(وقالوا حسبنا) كافينا (الله
سيؤتينا الله من فضله ورسوله)
من غنيمة اخرى مايكفينـا
(انا الى الله راغبون) أن
يغنينا وجواب لو لكان خيرا
لهـم (انمـا الصـدقات)
الزكوات مصروفة (للفقراء)
الذين لايجدون مايقع موقعا
من كفايتهم (والمساكين)
الذين لايجـدون مايكفيهم
(والعـاملين عليهـا) أى
الصـدقات من جاب وقاسم
وكاتب وحاشر (والمؤلفـة
قلوبهم) ليسـلموا أو يثبت
اسلامهم أو يسـلم نظراؤهم
أو يذبوا عن المسـلمين
أقسـام والاول والاخيـر
لايعطيـان اليـوم عنـد
الشـافعى رضى الله تعـالى
عنـه لعز الاسـلام بخلاف
الآخرين فيعطيـان عـلى
الاصح (وفى) فك (الرقاب)
أى المكاتبين (والغارمين)
أهل الدين ان استدانوا لغير
معصية أو تابوا وليس لهم وفاء
أو لاصلاح ذات البـين ولو
أغنياء (وفى سبيل الله) أى

بالتاء والكاف على انه خطابهم ويغفر على البناء للفاعل وهو الله تعالى ﴿ وان يعودوا ﴾ الى قتاله ﴿ فقد مضت سنة الاولين ﴾ الذين تحزبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك ﴿ وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ﴾ لايوجد فيهم شرك ﴿ ويكون الدين كله لله ﴾ ويضمحل عنهم الاديان الباطلة ﴿ فان انتهوا ﴾ من الكفر ﴿ فان الله بما يعملون بصير ﴾ فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء على معنى فان الله بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير يجازيكم فيكون تعليقه بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعى اثابتهم للمباشرة يستدعى اثابة مقاتليهم للتسبب ﴿ وان تولوا ﴾ ولم ينتهوا ﴿ فاعلموا أن الله مولاكم ﴾ ناصركم فثقوا به ولاتبالوا بمعاداتهم ﴿ نعم المولى ﴾ لايضيع من تولاه ﴿ ونعم النصير ﴾ لايغلب من نصره ﴿ واعلموا انما غنمتم ﴾ اى الذى اخذتموه من الكفار قهرا ﴿ من شئ ﴾ مما يقع عليه اسم الشئ حتى الخيط ﴿ فان لله خمسه ﴾ مبتدأ خبره محذوف اى فثابت ان لله خمسه وقرئ فان بالكسر والجمهور على ان ذكر الله للتعظيم كما فى قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين ﴿ وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾ فكأنه قال فان لله خمسه يصرف الى هؤلاء الاخصين به وحكمه بعد باق غير ان سهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يصرف الى ماكان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان رضى الله تعالى عنهما وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى سقط سهمه وسهم ذوى القربى بوفاته وصار الكل مصروفا الى الثلاثة الباقية وعن مالك رضى الله تعالى عنه الامر فيه مفوض الى رأى الامام يصرفه الى مايراه اهم وذهب ابو العالية الى ظاهر الآية وقال يقسم ستة اقسام ويصرف سهم الله الى الكعبة لماروى انه عليه السلام كان يأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم مابقى على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم الى سهم الرسول وذووا القربى بنو هاشم وبنو المطلب لماروى انه عليه الصلوة والسلام قسم سهم ذوى القربى عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لاننكر فضلهم لمكانك الذى جعلك الله منهم ارأيت اخواننا من بنى المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة فقال عليه الصلوة والسلام انهم

القائمين بالجهاد ممن لافئ لهم ولو أغنياء ﴿ وابن السبيل ﴾ المنقطع فى سفره ﴿ فريضة ﴾ نصب بفعله المقدر ﴿ من الله والله عليم ﴾ بخلقه ﴿ حكيم ﴾ فى صنعه فلايجوز صرفها لغير هؤلاء ولامنع صنف منهم اذا وجد فيقسمها الامام عليهم على السواء وله تفضيل بعض آحاد الصنف على بعض وأفادت اللام وجوب استغراق أفراده لكن لايجب على صاحب المال اذا قسم لعسره بل يكفى اعطاء ثلاثة من كل صنف ولايكفى دونها كما أفادته صيغة الجمع وبينت السنة أن شرط المعطى منها الاسلام وأن لايكون هاشميا ولامطلبيا ﴿ ومنهم ﴾ أى المنافقين ﴿ الذين يؤذون النبى ﴾ بعيبه وبنقل حديثه ﴿ ويقولون ﴾ اذا نهوا عن ذلك لئلا يبلغه ﴿ هو أذن ﴾ أى يسمع كل قيل ويقبله فاذا حلفنا له انا لم نقل صدقنا ﴿ قل ﴾ هو ﴿ أذن ﴾ مستمع ﴿ خير لكم ﴾ لامستمع شر ﴿ يؤمن بالله ويؤمن ﴾ يصدق ﴿ للمؤمنين ﴾ فيما أخبروه به

لم يفارقونا فى جاهلية ولا فى اسلام وشبك بين اصابعه وقيل بنوهاشم وحدهم وقيل جميع قريش والغنى والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص والآية نزلت ببدر وقيل كان الخمس فى غزوة بنى قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة (ان كنتم آمنتم بالله) متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا اى ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم واقتنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم العملى اذا امر به لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل (وما انزلنا على عبدنا) محمد من الآيات والملائكة والنصر وقرئ عبدنا بضمتين اى الرسول والمؤمنين (يوم الفرقان) يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق والباطل (يوم التقى الجمعان) المسلمون والكفار (والله على كل شئ قدير) فيقدر على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة (اذ انتم بالعدوة الدنيا) بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلاث شط الوادى وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وابى عمرو ويعقوب (وهم بالعدوة القصوى) البعدى من المدينة تأنيث الاقصى وكان قياسه قلب الواو ياء كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا من القصيا (والركب) اى العير اوقوادها (اسفل منكم) فى مكان اسفل من مكانكم يعنى الساحل وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لايخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شأن المسلمين والتياث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة ولذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولايمشى فيها الابتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله (ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد) اى لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم فى الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الاصنعا من الله خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا (ولكن) جمع بينكم على هذه الحالة من غير

لالغيرهم واللام زائدة للفرق بين ايمان التسليم وغيره (ورحمة) بالرفع عطفا على اذن والجر عطفا على خير (للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم يحلفون بالله لكم) ايها المؤمنون فيما بلغكم عنهم من اذى الرسول انهم ماأتوه (ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه) بالطاعة (ان كانوا مؤمنين) حقا وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين او خبر الله او ورسوله محذوف (الم يعلموا انه) اى الشان (من يحادد) يشاقق (الله ورسوله فان له نار جهنم) جزاء (خالدا فيها ذلك الخزى العظيم يحذر) يخاف (المنافقون ان تنزل عليهم) اى المؤمنين (سورة تنبئهم بما فى قلوبهم) من النفاق وهم مع ذلك يستهزؤن (قل استهزؤا) امر تهديد (ان الله مخرج) مظهر (ما تحذرون) اخراجه من نفاقكم (ولئن) لام قسم (سألتهم) عن استهزائهم بك والقرآن وهم سائرون معك الى تبوك (ليقولن) معتذرين (انما كنا نخوض

ميعاد (ليقضي الله امراً كان مفعولا) حقيقاً بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه وقوله (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) بدل منه او متعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الآيات الواضحة اوليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحيوة للكفر والاسلام والمراد بمن هلك ومن حي المشارف للهلاك وللحيوة اومن هذا حاله في علم الله وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح وقرأ ابن كثير ونافع وابوبكر ويعقوب من حيي بفك الادغام للحمل على المستقبل (وان الله لسميع عليم) بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد (اذ يريكهم الله في منامك قليلا) مقدر باذكر او بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بعليم اى يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتاً لهم وتشجيعاً على عدوهم (ولو اراكهم كثيرا لفشلتم) لجبنتم (ولتنازعتم في الامر) امر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار (ولكن الله سلم) انعم بالسلامة من الفشل والتنازع (انه عليم بذات الصدور) يعلم ماسيكون فيها وما يغير احوالها (واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا) الضميران مفعولا يرى وقليلا حال من الثاني وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتاً لهم وتصديقاً لرؤيا الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (ويقللكم في اعينهم) حتى قال ابو جهل ان محمدا واصحابه أكلة جزور وقللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترئوا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم آيات تلك الواقعة فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي في الشروط (ليقضي الله امراً كان مفعولا) كرره لاختلاف الفعل المعلل به اولان المراد بالامر ثمه الالتقاء على الوجه المحكي وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك وحزبه (والى الله ترجع الامور يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة) حاربتم جماعة ولم يصفها لان المؤمنين ماكانوا يلقون الا الكفار واللقاء مما غلب في القتال (فاثبتوا) للقائهم (واذكروا الله كثيرا)

(في)

ونلعب) في الحديث لنقطع به الطريق ولم نقصد ذلك (قل) لهم (ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لاتعتذروا) عنه (قد كفرتم بعد ايمانكم) اى ظهر كفركم بعد اظهار الايمان (ان يعف) بالياء مبنيا للمفعول والنون مبنيا للفاعل (عن طائفة منكم) باخلاصها وتوبتها كجحش ابن حمير (تعذب) بالتاء والنون (طائفة بأنهم كانوا مجرمين) مصرين على النفاق والاستهزاء (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) اى متشابهون في الدين كأبعاض الشيء الواحد (يأمرون بالمنكر) الكفر والمعاصي (وينهون عن المعروف) الايمان والطاعة (ويقبضون ايديهم) عن الانفاق في الطاعة (نسوا الله) تركوا طاعته (فنسيهم) تركهم من لطفه (ان المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم) جزاء وعقابا (ولعنهم الله) ابعدهم عن رحمته (ولهم عذاب مقيم) دائم انتم ايها المنافقون (كالذين

فى مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره (لعلكم تفلحون) تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغى ان لايشغله شئ عن ذكر الله وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره فارغ البال واثقا بان لطفه لاينفك عنه فى شئ من الاحوال (واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا) باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر اواحد (فتفشلوا) جواب النهى وقيل عطف عليه ولذلك قرئ (وتذهب ريحكم) بالجزم والريح مستعارة للدولة من حيث انها فى تمشى امرها ونفاذه مشبهة بها فى هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لاتكون الا بريح يبعثها الله وفى الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور (واصبروا ان الله مع الصابرين) بالكلاءة والنصر (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم) يعنى اهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير (بطرا) فخرا واشرا (ورئاء الناس) ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا الجحفة وافاهم رسول ابى سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال ابو جهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القينات ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا كأس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين ان يكونوا امثالهم بطرين مرائين وامرهم بان يكونوا اهل التقوى والاخلاص من حيث ان النهى عن الشئ امر بضده (ويصدون عن سبيل الله) معطوف على بطرا ان جعل مصدرا فى موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر (والله بما يعملون محيط) فيجازيكم عليه (واذ زين لهم الشيطان) مقدر باذكر (اعمالهم) فى معاداة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وغيرها بأن وسوس اليهم (وقال لاغالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم) مقالة نفسانية والمعنى انه القى فى روعهم وخيل اليهم انهم لايغلبون ولايطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين وافضل الدينين ولكم خبر لاغالب اوصفته وليس صلته والا لانتصب كقولك لاضاربا زيدا عندنا (فلما تراءت الفئتان) اى تلاقى الفريقان (نكص على عقبيه) رجع القهقرى اى بطل كيده وعاد ماخيل اليهم انه مجيرهم سبب هلاكهم (وقال انى برئ منكم انى ارى ما لاترون انى اخاف الله) اى تبرأ منهم وخاف عليهم

من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا واولادا فاستمتعوا) تمتعوا (بخلاقهم) نصيبهم من الدنيا (فاستمتعتم) أيها المنافقون (بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم) فى الباطل والطعن فى النبى صلى الله عليه وسلم (كالذى خاضوا) أى كخوضهم (أولئك حبطت اعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون ألم يأتهم نبأ) خبر (الذين من قبلهم قوم نوح وعاد) قوم هود (وثمود) قوم صالح (وقوم ابراهيم وأصحاب مدين) قوم شعيب (والمؤتفكات) قرى قوم لوط أى أهلها (أتتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات فكذبوهم فاهلكوا (فما كان الله ليظلمهم) بان يعذبهم بغير ذنب (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) بارتكاب الذنب (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز) لايعجزه شئ عن انجاز وعده ووعيده (حكيم) لا يضع

وايس من حالهم لمـارأى امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لمـا اجمعت قريش على المسـير ذكـرت مابينهم و بين كنانة من الاحنـة وكان ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس بصورة سراقة بن مالك الكنانى وقال لاغالب لكم اليوم وانى مجيركم من بنى كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكان يده فى يد الحارث بن هشـام فقال له الى اين اتخذ لنا فى هذه الحالة فقال انى ارى مالا ترون ودفع فى صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ماشعرت بمسيركم حتى بلغتنى هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله انى اخاف الله انى اخافه ان يصيبنى مكروها من الملائكة او يهلكنى ويكون الوقت هو الوقت الموعود اذ رأى فيه مالم يرقبله والاول ماقاله الحسن واختاره ابن بحر (والله شديد العقاب) يجوز ان يكون من كلامه وان يكون مستأنفا (اذ يقول المنـافقون والذين فى قلوبهم مرض) والذين لم يطمئنوا الى الايمـان بعد وبقى فى قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيـل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين (غرهؤلاء) يعنون المؤمنين (دينهم) حتى تعرضوا لما لايدى لهم به فخرجوا وهم ثلاثمائة و بضعة عشر الى زهاء الف (ومن يتوكل على الله) جواب لهم (فان الله عزيز) غالب لايذل من استجار به وان قل (حكيم) يفعل بحكمته البـالغة مايستبعده العقل ويعجز عن ادراكه (ولو ترى) ولو رأيت فان لو تجعل المضـارع ماضيا عكس ان (اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة) ببدر واذ ظرف ترى والمفعول محذوف اى ولو ترى الكفرة او حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز ان يكون الفاعل ضمير الله عز وجل وهو مبتدأ خبره (يضربون وجوههم) والجملة حال من الذين كفروا واستغنى فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منهم او من الملائكة او منهما لاشتماله على الضميرين (وادبارهم) ظهورهم او استاههم ولعل المراد تعميم الضرب اى يضربون ما اقبل منهم وما ادبر (وذوقوا عذاب الحريق) عطف على يضربون باضمار القول اى ويقولون ذوقوا بشـارة لهم بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النـار منها وجواب لو محذوف لتفظيع الامر وتهويله (ذلك) الضرب والعذاب (بما قدمت ايديكم) بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصى وهو خبر لذلك (وان الله ليس

(بظلام)

شيئـا الا فى محله (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن) اقامة (ورضوان من الله أكبر) أعظم من ذلك كله (ذلك هو الفوز العظيم يأيها النبى جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) باللسـان والحجة (واغلظ عليهم) بالانتهـار والمقت (ومأواهم جهنم وبئس المصـير) المرجـع هى (يحلفون) أى المنـافقون (بالله ماقالوا) مابلغك عنهم من السب (ولقـد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم) أظهروا الكفر بعد اظهـار الاسلام (وهموا بما لم ينالوا) من الفتك بالنبى ليـلة العقبة عنـد عوده من تبوك وهم بضعـة عشر رجلا فضرب عمار بن ياسر وجوه الرواحل لما غشوه فردوا (وما نقموا) أنكروا (الا أن أغناهم الله ورسوله من فضـله) بالغنائم بعد شدة حاجتهم المعنى لم ينلهم منه الا هذا وليس ممـا ينقم (فان يتوبوا) عن النفـاق ويؤمنوا بك (يك خيرا لهم وان يتولوا) عن الايمـان

بظلام للعبيد) عطف على ما للدلالة على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليـه اذلولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم لا ان لايعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لاجل العبيد (كدأب آل فرعون) اى دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون وهو عملهم وطريقهم الذى دأبوا فيه اى داموا عليه (والذين من قبلهم) من قبل آل فرعون (كفروا بآيات الله) تفسير لدأبهم (فاخذهم الله بذنوبهم) كما اخذ هؤلاء (ان الله قوى شديد العقاب) لايغلبه فى دفعه شئ (ذلك) اشارة الى ماحل بهم (بان الله) بسبب ان الله (لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم) مبدلا اياها بالنقمة (حتى يغيروا ما بانفسهم) يبدلوا مابهم من حال الى حال اسوأ كتغيير قريش حالهم فى صلة الرحم والكف عن تعرض الآيات والرسل بمعاداة الرسول ومن تبعه منهم والسعى فى اراقة دمائهم والتكذيب بالآيات والاستهزاء بها الى غير ذلك مما احدثوه بعد البعث وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتى يغيروا حالهم بل ماهو المفهوم له وهو جرى عادته تعالى على تغييره متى يغيروا حالهم واصل يك يكون فحذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينية تخفيفا (وان الله سميع) لمايقولون (عليم) بما يفعلون (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون) تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم وبيان ما اخذ به آل فرعون وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ به والثانى لتشبيه التغير فى النعمة بسبب تغيرهم مابانفسهم (وكل) من الفرق المكذبة او من غرقى القبط وقتلى قريش (كانوا ظالمين) انفسهم بالكفر والمعاصى (ان شر الدواب عند الله الذين كفروا) اصروا على الكفر ورسخوا فيه (فهم لايؤمنون) فلا يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بانهم لايؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على ان تحقق المعطوف عليه يستدعى تحقق المعطوف وقوله (الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة) بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان لايمالئوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالأوهم عليه يوم الخندق وركب

(يعذبهم الله عذابا أليما فى الدنيا) بالقتل (والآخرة) بالنار (ومالهم فى الارض من ولى) يحفظهم منه (ولا نصير) يمنعهم (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن) فيه ادغام التاء فى الاصل فى الصاد (ولنكونن من الصالحين) وهو ثعلبة بن حاطب سأل النبى صلى الله عليه وسلم أن يدعوله أن يرزقه الله مالا ويؤدى منه كل ذى حق حقه فدعاله فوسع عليه فانقطع عن الجمعة والجماعة ومنع الزكوة كما قال تعالى (فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا) عن طاعة الله (وهم معرضون فاعقبهم) أى فصير عاقبتهم (نفاقا) ثابتا (فى قلوبهم الى يوم يلقونه) أى الله وهو يوم القيمة (بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) فيه فجاء بعد ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم بزكوته فقال ان الله منعنى أن اقبل منك فجعل يحثو التراب على رأسه ثم جاء بها الى أبى بكر فلم يقبلها ثم الى عمر فلم يقبلها ثم الى عثمان فلم يقبلها ومات فى زمانه

كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم ومن لتضمين المعاهدة معنى الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة اوالمحاربة (وهم لايتقون) سبة الغدر ومغبته اولايتقون الله فيه اونصره للمؤمنين وتسليطه عليهم (فاماتثقفنهم) فاما تصادفنهم وتظفرون بهم (فى الحرب فشرد بهم) ففرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم (من خلفهم) من وراءهم من الكفرة والتشريد تفريق على اضطراب وقرئ شرذ بالذال المعجمة وكأنه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى واحد فانه اذا شرد من وراءهم فقد فعل التشريد فى الوراء (لعلهم يذكرون) لعل المشردين يتعظون (واما تخافن من قوم) معاهدين (خيانة) نقض عهد بامارات تلوح لك (فانبذ اليهم) فاطرح اليهم عهدهم (على سواء) على عدل وطريق قصد فى العداوة ولاتناجزهم فى الحرب فانه يكون خيانة منك اوعلى سواء فى الخوف اوالعلم بنقض العهد وهو فى موضع الحال من النابذ على الوجه الاول اى ثابتا على طريق سوى اومنه اومن المنبوذ اليهم اومنهما على غيره وقوله (ان الله لايحب الخائنين) تعليل للامر بالنبذ والنهى عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستئناف (ولاتحسبن) خطاب للنبى عليه الصلوة والسلام وقوله (الذين كفروا سبقوا) مفعولاه وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير احد اومن خلفهم او الذين كفروا والمفعول الاول انفسهم فحذف للتكرار اوعلى تقدير ان سبقوا وهو ضعيف لان ان المصدرية كالموصول فلا تحذف اوعلى ايقاع الفعل على (انهم لايعجزون) بالفتح على قراءة ابن عامر وان لاصلة وسبقوا حال بمعنى سابقين اى مفلتين والاظهر انه تعليل للنهى اى لاتحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لايفوتون الله اولايجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وكذا ان كسرت ان الا انه تعليل على سبيل الاستئناف ولعل الآية ازاحة لمايحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين (واعدوا) ايها المؤمنين (لهم) لناقضى العهد اوللكفار (مااستطعتم من قوة) من كل مايتقوى به فى الحرب وعن عقبة بن عامر سمعته عليه الصلوة والسلام يقول على المنبر الا ان القوة الرمى قالها ثلاثا ولعله عليه الصلوة والسلام خصه بالذكر لانه اقواه (ومن رباط الخيل) اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله فعال بمعنى مفعول اومصدر سمى به يقال ربط ربطا

(ورباطا)

(ألم يعلموا) أى المنافقون (أن الله يعلم سرهم) ما أسروه فى أنفسهم (ونجواهم) ماتناجوا به بينهم (وأن الله علام الغيوب) ماغاب عن العيان * ولمانزلت آية الصدقة جاء رجل فتصدق بشئ كثير فقال المنافقون مراء وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا ان الله غنى عن صدقة هذا فنزل (الذين) مبتدأ (يلمزون) يعيبون (المطوعين) المتنفلين (من المؤمنين فى الصدقات والذين لايجدون الا جهدهم) طاقتهم فيأتون به (فيسخرون منهم) والخبر (سخر الله منهم) جازاهم على سخريتهم (ولهم عذاب اليم استغفر) يامحمد (لهم أولا تستغفر لهم) تخيير له فى الاستغفار وتركه قال صلى الله عليه وسلم انى خيرت فاخترت يعنى الاستغفار رواه البخارى (ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) قيل المراد بالسبعين المبالغة فى كثرة الاستغفار وفى البخارى حديث لو أعلم أنى لو زدت على السبعين غفر لزدت عليها وقيل المراد العدد المخصوص لحديثه أيضا وسأزيد على

ورباطا ورابط مرابطة ورباطا اوجمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة (ترهبون به) تخوفون به وعن يعقوب ترهبون به بالتشديد والضمير لما استطعتم اوللاعداد (عدوالله وعدوكم) يعنى كفار مكة (وآخرين من دونهم) من غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس (لاتعلمونهم) لاتعرفونهم باعيانهم (الله يعلمهم) يعرفهم (وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف اليكم) جزاؤه (وانتم لاتظلمون) بتضييع العمل اونقص الثواب (وان جنحوا) مالوا ومنه الجناح وقديعدى باللام والى (للسلم) للصلح والاستسلام وقرأ ابو بكر بالكسر (فاجنح لها) وعاهدمعهم وتأنيث الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه قال * السلم تأخذمنها مارضيت به * والحرب يكفيك من انفاسها جزع * وقرئ فاجنح بالضم (وتوكل على الله) ولاتخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله يعصمك من مكرهم ويحيقه بهم (انه هوالسميع) لاقوالهم (العليم) بنياتهم والآية مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها آية السيف (وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله) فان محسبك الله وكافيك قال جرير * انى وجدت من المكارم حسبكم * ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا * (هوالذى ايدك بنصره وبالمؤمنين) جميعا (والف بين قلوبهم) مع مافيهم من العصبية والضغينة فى ادنى شئ والتهالك على الانتقام بحيث لايكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم وبيانه (لوانفقت مافى الارض جميعا ماالفت بين قلوبهم) اى تناهى عدواتهم الى حد لوانفق منفق فى اصلاح ذات بينهم مافى الارض من الاموال لم يقدر على الالفة والاصلاح (ولكن الله الف بينهم) بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء (انه عزيز) تام القدرة والغلبة لايعصى عليه مايريده (حكيم) يعلم انه كيف ينبغى ان يفعل مايريده وقيل الآية فى الاوس والخزرج كان بينهم احن لاامدلها ووقائع هلكت فيها ساداتهم فانساهم الله ذلك والف بينهم بالاسلام حتى تصافوا وصاروا انصارا (ياايها النبى حسبك الله) كافيك (ومن اتبعك من المؤمنين) امافى محل النصب على المفعول معه كقوله * اذا كانت الهيجاء واشتجر القنى * فحسبك والضحاك سيف مهند * اوالجر عطفا على المكنى

السبعين فبين له حسم المغفرة بآية سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم (ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لايهدى القوم الفاسقين فرح المخلفون) عن تبوك (بمقعدهم) أى بقعودهم (خلاف) أى بعد (رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا) أى قال بعضهم لبعض (لاتنفروا) تخرجوا الى الجهاد (فى الحر قل نار جهنم أشد حرا) من تبوك فالاولى أن يتقوها بترك التخلف (لوكانوا يفقهون) يعلمون ذلك ماتخلفوا (فليضحكوا قليلا) فى الدنيا (وليبكوا) فى الآخرة (كثيرا جزاء بماكانوا يكسبون) خبر عن حالهم بصيغة الامر (فان رجعك) ردك (الله) من تبوك (الى طائفة منهم) ممن تخلف بالمدينة من المنافقين (فاستأذنوك للخروج) معك الى غزوة أخرى (فقل) لهم (لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين)

المتخلفين عن الغزو ومن النساء والصبيان وغيرهم * ولما صلى النبي صلى الله عليه وسلم على ابن أبي نزل (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره) لدفن أو زيارة (انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) كافرون (ولا تعجبك أموالهم وأولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق) تخرج (انفسهم وهم كافرون واذا أنزلت سورة) أي طائفة من القرآن (أن) أي بان (آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول) ذووا الغنى (منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بان يكونوا مع الخوالف) جمع خالفة أي النساء اللاتي تخلفن في البيوت (وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) الخير (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات) في الدنيا والآخرة (وأولئك هم المفلحون) أي الفائزون (أعد الله لهم جنات تجري

عند الكوفيين او الرفع عطفا على اسم الله اى كفاك الله والمؤمنون والآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر وقيل اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضي الله تعالى عنه فنزلت ولذلك قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نزلت في اسلامه (يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال) بالغ في حثهم عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفى على الموت وقرئ حرص من الحرص (ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا) شرط في معنى الامر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بانهم ان صبروا غلبوا بعون الله وتأييده وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء في الآيتين ووافقهم البصريان في فان تكن منكم مائة صابرة (بانهم قوم لا يفقهون) بسبب انهم جهلة بالله واليوم الآخرة لا يثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالي الدرجات قتلوا اوقتلوا ولا يستحقون من الله الا الهوان والخذلان (الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله) لما اوجب الله على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فامروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقين (والله مع الصابرين) بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون (ماكان لنبي) وقرئ للنبي على العهد (ان يكون له اسرى) وقرأ البصريان بالتاء (حتى يثخن في الارض) يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض اذا اثقله واصله الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة (تريدون عرض الدنيا) حطامها بأخذكم الفداء (والله يريد الآخرة) يريد لكم ثواب الآخرة اوسبب نيل الآخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الآخرة على اضمار المضاف كقوله اكل امرئ تحسبين امرأ * ونار توقد بالليل نارا * (والله عزيز) يغلب اولياءه على اعدائه (حكيم) يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن

لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روى انه عليه السلام اتى يوم بدر
بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل ابن ابى طالب فاستشار فيهم فقال
ابو بكر رضى الله تعالى عنه قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم
وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر رضى الله تعالى عنه اضرب
اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكنى من فلان لنسيب
له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين
من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك
يا ابابكر مثل ابراهيم عليه السلام قال فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور
رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح عليه السلام قال لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا فخير اصحابه فأخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر رضى الله تعالى عنه
على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال
يارسول الله اخبرنى فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابك على اصحابك
فى اخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة
قريبة والآية دليل على ان الانبياء عليهم الصلوة والسلام يجتهدون وانه
قد يكون خطأ ولكن لا يقرون عليه (لولا كتاب من الله سبق) لولا حكم
من الله سبق اثباته فى اللوح وهو ان لا يعاقب المخطئ فى اجتهاده
اولا يعذب اهل بدر اوقوما لم يصرح لهم بالنهى عنه اوان الفدية التى
اخذوها ستحل لهم (لمسكم) لنالكم (فيما اخذتم) من الفداء (عذاب
عظيم) روى انه عليه السلام قال لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن
معاذ وذلك لانه ايضا اشار بالاثخان (فكلوا مما غنمتم) من الفدية فانها
من جملة الغنائم وقيل امسكوا عن الغنائم فنزلت والفاء للتسبب والسبب
محذوف تقديره ابحت لكم الغنائم فكلوا ونحوه تشبث من زعم ان الامر
الوارد بعد الحظر للاباحة (حلالا) حال من المغنوم اوصفة للمصدر اى
اكلا حلالا وفائدته ازاحة ما وقع فى نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة
اوحرمتها على الاولين ولذلك وصفه بقوله (طيبا واتقوا الله) فى مخالفته
(ان الله غفور) غفر لكم ذنبكم (رحيم) اباح لكم ما اخذتم (يا ايها النبى
قل لمن فى ايديكم من الاسرى) وقرأ ابو عمرو من الاسارى (ان يعلم الله
فى قلوبكم خيرا) ايمانا واخلاصا (يؤتكم خيرا مما اخذ منكم) من الفداء

من تحتها الانهار خالدين فيها
ذلك الفوز العظيم وجاء
المعذرون) بادغام التاء فى
الاصل فى الذال اى المعتذرون
بمعنى المعذورين وقرئ به
(من الاعراب) الى النبى صلى الله
عليه وسلم (ليؤذن لهم) فى القعود
لعذرهم فاذن لهم (وقعد
الذين كذبوا الله ورسوله)
فى ادعاء الايمان من منافقى
الاعراب عن المجئ للاعتذار
(سيصيب الذين كفروا
منهم عذاب اليم ليس على
الضعفاء) كالشيوخ (ولا
على المرضى) كالعمى والزمنى
(ولا على الذين لا يجدون
ماينفقون) فى الجهاد (حرج)
اثم فى التخلف عنه (اذا
نصحوا لله ورسوله) فى حال
قعودهم بعدم الارجاف
والتثبيط والطاعة (ماعلى
المحسنين) بذلك (من سبيل)
طريق بالمؤاخذة (والله
غفور) لهم (رحيم) بهم
فى التوسعة فى ذلك (ولا على
الذين اذا ما أتوك لتحملهم) معك
الى الغزو وهم سبعة من الانصار
وقيل بنو مقرن (قلت لا أجد
ما أحملكم عليه) حال (تولوا)

جواب اذا أى انصرفوا (واعينهم تفيض) تسيل (من) للبيان (الدمع حزنا) لاجل (ألايجدوا ماينفقون) فى الجهاد (انما السبيل على الذين يستأذنونك) فى التخلف (وهم أغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون) تقدم مثله (يعتذرون اليكم) فى التخلف (اذا رجعتم اليهم) من الغزو (قل) لهم (لا تعتذروا لن نؤمن لكم) نصدقكم (قد نبأنا الله من أخباركم) أى أخبرنا باحوالكم (وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون) بالبعث (الى عالم الغيب والشهادة) أى الله (فينبئكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم عليه (سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم) رجعتم (اليهم) من تبوك أنهم معذورون فى التخلف (لتعرضوا عنهم) بترك المعاتبة (فاعرضوا عنهم انهم رجس) قذر لخبث باطنهم (ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم

روى انها نزلت فى العباس رضى الله عنه كلفه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يفدى نفسه وابنى اخويه عقيل بن ابى طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتنى اتكفف قريشا مابقيت قال فاين الذهب الذى دفعته الى ام الفضل وقت خروجك وقلت لها انى لاادرى مايصيبنى فى وجهى هذا فان حدث بى حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال وما يدريك قال اخبرنى به ربى قال فاشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك رسول الله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها فى سواد الليل قال العباس فابدلنى الله خيرا من ذلك الى الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب فى عشرين الفا واعطانى زمزم ما احب ان لى بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم يعنى الموعود بقوله (ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا) يعنى الاسرى (خيانتك) نقض ما عاهدوك (فقد خانوا الله) بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل (من قبل فامكن منهم) اى فامكنك منهم كما فعل يوم بدر فان اعادوا الخيانة فسيمكنك منهم (والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا) اوطانهم وهم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله ورسوله (وجاهدوا باموالهم) فصرفوها فى الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج (وانفسهم فى سبيل الله) بمباشرة القتال (والذين آووا ونصروا) هم الانصار آووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم (اولئك بعضهم اولياء بعض) فى الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض او بالنصرة والمظاهرة (والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا) اى من توليهم فى الميراث وقرأ حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كأنه بتوليه صاحبه يزاول عملا (وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر) فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين (الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) عهد فانه لا ينقض عهدهم بنصرهم عليهم (والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض) فى الميراث او الموازرة وهو بمفهومه يدل على منع التوارث او الموازرة بينهم وبين المسلمين (الا تفعلوه) ان لا تفعلوا ما امرتم به من التواصل بينكم وتولى بعضكم لبعض حتى فى التوارث وقطع العلائق بينكم وبين الكفار (تكن فتنة فى الارض) تحصل فتنة

(فيها)

فيها عظيمة وهى ضعف الايمان وظهور الكفر (وفساد كبير) فى الدين وقرئ كثير (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا) لما قسم المؤمنين ثلاثة اقسام بين ان الكاملين فى الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق ووعدلهم الموعد الكريم فقال (لهم مغفرة ورزق كريم) لاتبعة له ولا منة فيه ثم الحق بهم فى الامرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم) اى من جملتكم ايها المهاجرون والانصار (واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض) فى التوارث من الاجانب (فى كتاب الله) فى حكمه اوفى اللوح اوفى القرآن واستدل به على توريث ذوى الارحام (ان الله بكل شئ عليم) من المواريث والحكمة فى اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة اولا واعتبار القرابة ثانيا * عن النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيمة وشاهد انه برئ من النفاق واعطى عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حيوته

﴿ سورة برآءة ﴾

مدنية وقيل الاآيتين من قوله لقد جاءكم رسول وهى آخر مانزلت ولها اسماء اخر التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والفاضحة والمنكلة والمشردة والمخزية والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقشة من النفاق وهى التبرئ منه والبحث عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها ومايخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشرد بهم ويدمدم عليهم ويذكر عذابهم وآيها مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله امان وقيل كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا نزلت عليه سورة اوآية بين موضعها وتوفى ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الانفال وتناسبها لان فى الانفال ذكر العهود وفى برآءة نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلف الصحابة فى انهما سورة واحدة هى سابعة السبع الطوال اوسورتان تركت بينهما فرجة ولم يكتب بسم الله (برآءة من الله ورسوله) اى هذه برآءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله

الفاسقين) أى عنهم ولا ينفع رضاكم مع سخط الله (الأعراب) أهل البدو (أشد كفرا ونفاقا) من أهل المدن لجفائهم وغلظ طباعهم وبعدهم عن سماع القرآن (وأجدر) أولى (أن) أى بان (لايعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله) من الاحكام والشرائع (والله عليم) بخلقه (حكيم) فى صنعه بهم (ومن الاعراب من يتخذ ماينفق) فى سبيل الله (مغرما) غرامة وخسرانا لانه لايرجو ثوابه بل ينفقه خوفا وهم بنواسد وغطفان (ويتربص) ينتظر (بكم الدوائر) دوائر الزمان أن تنقلب عليكم فيتخلص (عليهم دائرة السوء) بالضم والفتح أى يدور العذاب والهلاك عليهم لا عليكم (والله سميع) لاقوال عباده (عليم) بافعالهم (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر) كجهينة ومزينة (ويتخذ ما ينفق) فى سبيله (قربات) تقربه (عند الله و) وسيلة الى (صلوات) دعوات

ورسوله ويجوز ان يكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر (الى الذين عاهدتم من المشركين) وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى ان الله ورسوله بريئان من العهد الذى عاهدتم به المشركين وانما علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود المشركين اليهم وان كانت صادرة باذن الله تعالى واتفاق الرسول فانهما بريئان منها وذلك انهم عاهدوا مشركى العرب فنكثوا الا اناسا من بنى ضمرة وبنى كنانة فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين وامهل المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤا فقال (فسيحوا فى الارض اربعة اشهر) شوال وذى القعدة وذى الحجة والمحرم لانها نزلت فى شوال وقيل هى عشرون من ذى الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روى انها لما نزلت ارسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليا رضى الله تعالى عنه راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم وكان قد بعث ابا بكر رضى الله عنه اميرا على الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابى بكر فقال لا يؤدى عنى الا رجل منى فلما دنا على سمع ابو بكر رضى الله تعالى عنهما الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال امير ام مأمور قال مأمور فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر رضى الله تعالى عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام على يوم النحر عند جمرة العقبة وقال يا ايها الناس انى رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين او اربعين آية ثم قال امرت بأربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذى عهد عهده ولعل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يؤدى عنى الا رجل منى ليس على العموم فانه عليه السلام بعث لان يؤدى عنه كثيرا لم يكونوا من عترته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة العرب ان لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة الا رجل منها ويدل عليه انه فى بعض الروايات لا ينبغى لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلى (واعلموا انكم غير معجزى الله) لا تفوتونه وان امهلكم (وان الله مخزى الكافرين) بالقتل والاسر فى الدنيا والعذاب فى الآخرة (واذان من الله ورسوله الى الناس) اى اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان والعطاء ورفعه كرفع براءة على الوجهين (يوم الحج الاكبر) يوم العيد لان فيه تمام الحج

(ومعظم)

(الرسول) له (ألا انها) اى نفقتهم (قربة) بضم الراء وسكونها (لهم) عنده (سيدخلهم الله فى رحمته) جنته (ان الله غفور) لاهل طاعته (رحيم) بهم (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار) وهم من شهد بدرا أو جميع الصحابة (والذين اتبعوهم) الى يوم القيمة (باحسان) فى العمل (رضى الله عنهم) بطاعته (ورضوا عنه) بثوابه (وأعد لهم جنات تجرى تحتها الانهار) وفى قراءة بزيادة من (خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم) يا أهل المدينة (من الاعراب منافقون) كأسلم وأشجع وغفار (ومن أهل المدينة) منافقون أيضا (مردوا على النفاق) لجوا فيه واستمروا (لا تعلمهم) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين) بالفضيحة أو القتل فى الدنيا وعذاب القبر (ثم يردون) فى الآخرة (الى عذاب عظيم) هو النار (و) قوم (آخرون) مبتدأ

ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روى انه عليه الصلوة والسلام
وقف يوم النحر عند الجمرات فى حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر
وقيل يوم عرفة لقوله عليه الصلوة والسلام الحج عرفة وصف الحج الاكبر
لان العمرة تسمى الحج الاصغر اولان المراد بالحج مايقع فى ذلك اليوم
من اعماله فانه اكبر من باقى الاعمال اولان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون
والمشركون ووافق عيده اعياد اهل الكتاب اولانه ظهر فيه عز المسلمين
وذل المشركين (ان الله) اى بان الله (برئ من المشركين) اى من عهودهم
(ورسوله) عطف على المستكن فى برئ اوعلى محل ان واسمها فى قراءة
من كسرها اجراء للاذان مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا على اسم
ان اولان الواو بمعنى مع ولاتكرير فيه فان براءة من الله اخبار بثبوت البراءة
وهذه اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص
بالمعاهدين (فان تبتم) من الكفر والغدر (فهو) فالتوب (خير لكم
وان توليتم) عن التوبة اوثبتم على التولى عن الاسلام والوفاء (فاعلموا انكم
غير معجزى الله) لاتفوتونه طلبا ولاتعجزونه هربا فى الدنيا (وبشر الذين
كفروا بعذاب اليم) فى الآخرة (الا الذين عاهدتم من المشركين) استثناء
من المشركين اواستدراك وكأنه قيل لهم بعد ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين
ولكن الذين عاهدوا منهم (ثم لم ينقصوكم شيئا) من شروط العهد
ولم ينكثوه اولم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط (ولم يظاهروا عليكم احدا)
من اعدائكم (فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم) الى تمام مدتهم
ولاتجروهم مجرى الناكثين (ان الله يحب المتقين) تعليل وتنبيه
على ان اتمام عهدهم من باب التقوى (فاذا انسلخ) انقضى واصل الانسلاخ
خروج الشئ مما لابسه من سلخ الشاة (الاشهر الحرم) التى ابيح للناكثين
ان يسيحوا فيها وقيل رجب وذوالقعدة وذوالحجة والمحرم وهذا مخل
بالنظم مخالف للاجماع فانه يقتضى بقاء حرمة الاشهر الحرم اذليس فيما نزل
بعدما ينسخها (فاقتلوا المشركين) الناكثين (حيث وجدتموهم) من حل
وحرم (وخذوهم) واسروهم والاخيذ الاسير (واحصروهم)
واحبسوهم اوحيلوا بينهم وبين المسجد الحرام (واقعدوا لهم كل مرصد)
كل ممر لئلا ينبسطوا فى البلاد وانتصابه على الظرف (فان تابوا) عن الشرك
بالايمان (واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة) تصديقا لتوبتهم وايمانهم

(اعترفوا بذنوبهم) من التخلف
نعته والخبر (خلطوا عملا صالحا)
وهو جهادهم قبل ذلك
اواعترافهم بذنوبهم اوغير ذلك
(وآخر سيئا) وهو تخلفهم
(عسى الله ان يتوب عليهم ان الله
غفور رحيم) نزلت فى ابى لبابة
وجماعته اوثقوا انفسهم
فى سوارى المسجد لما بلغهم
مانزل فى المتخلفين وحلفوا
لايحلهم الا النبى صلى الله عليه
وسلم فحلهم لما نزلت (خذ
من اموالهم صدقة تطهرهم
وتزكيهم بها) من ذنوبهم
فاخذ ثلث اموالهم وتصدق بها
(وصل عليهم) اى ادع لهم
(ان صلوتك سكن) رحمة (لهم)
وقيل طمانينة بقبول توبتهم
(والله سميع عليم الم يعلموا
ان الله هو يقبل التوبة عن عباده
ويأخذ) يقبل (الصدقات
وان الله هو التواب) على عباده
بقبول توبتهم (الرحيم) بهم
والاستفهام للتقرير والقصد به
تهييجهم الى التوبة والصدقة
(وقل) لهم اوللناس (اعملوا)
ماشئتم (فسيرى الله عملكم
ورسوله والمؤمنون وستردون)

(فخلوا سبيلهم) فدعوهم ولاتتعرضوالهم بشئ من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلوة ومانع الزكوة لايخلى سبيله (ان الله غفور رحيم) تعليل للامر اى فخلوهم لان الله غفور رحيم غفرلهم ماقدسلف ووعدلهم الثواب بالتوبة (وان احد من المشركين) المأمور بالتعرض لهم (استجارك) استأمنك وطلب منه جوارك (فاجره) فآمنه (حتى يسمع كلام الله) ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر (ثم ابلغه مأمنه) موضع امنه ان لم يسلم واحد رفع بفعل يفسره مابعده لابالابتداء لان ان من عوامل الفعل (ذلك) الامن اوالامر (بانهم قوم لايعلمون) ماالايمان وماحقيقة ماتدعوهم اليه فلابد من امانهم ريثما يسمعون ويتدبرون (كيف يكون للمشركين عهد عندالله وعند رسوله) استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولاينكثوه مع وغرة صدورهم اولان يفي الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام او للمشركين اوعندالله وهو على الاولين صفة للعهد اوظرف له اوليكون وكيف على الاخيرين حال من العهد وللمشركين ان لم يكن خبرا فتبيين (الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) هم المستثنون قبل ومحله النصب على الاستثناء اوالجر على البدل اوالرفع على ان الاستثناء منقطع اى ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) اى فتربصوا امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله تعالى فاتموا اليهم عهدهم غيرانه مطلق وهذا مقيد ومايحتمل الشرطية والمصدرية (ان الله يحب المتقين) سبق بيانه (كيف) تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد اوبقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما في قوله * وخبرتماني انما الموت بالقرى * فكيف وهاتا هضبة وقليب * اى كيف مات (وان يظهروا عليكم) اى وحالهم انهم ان يظفروا بكم (لايرقبوا فيكم) لايراعوا فيكم (الا) حلفا وقيل قرابة قال حسان * لعمرك ان الك من قريش * كال السقب من رأل النعام * وقيل ربوبية ولعله اشتق للحلف من الال وهو الجؤار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الارقاب مالايعقده الحلف ثم للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه من الل الشئ اذا جدده اومن ال البرق اذا لمع وقيل انه عبرى بمعنى الاله لانه قرئ ايلا كجبرئل وجبرئيل (ولاذمة) عهدا اوحقا يعاب على اغفاله (يرضونكم

بالبعث (الى عالم الغيب والشهادة) اى الله (فينبئكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم به (وآخرون) من المتخلفين (مرجؤن) بالهمزة وتركه مؤخرون عن التوبة (لامر الله) فيهم بما يشاء (امايعذبهم) بان يميتهم بلاتوبة (واما يتوب عليهم والله عليم) بخلقه (حكيم) في صنعه بهم وهم الثلاثة الآتون بعد مرارة بن الربيع وكعب بن مالك وهلال بن امية تخلفوا كسلا وميلا الى الدعة لانفاقا ولم يعتذروا الى النبي صلى الله عليه وسلم كغيرهم فوقف امرهم خمسين ليلة وهجرهم الناس حتى نزلت توبتهم بعد (و) منهم (الذين اتخذوا مسجدا) وهم اثناعشر من المنافقين (ضرارا) مضارة لاهل مسجد قباء (وكفرا) لانهم بنوه بامر ابي عامر الراهب ليكون معقلاله يقدم فيه من يأتي من عنده وكان ذهب ليأتي بجنود من قيصر لقتال النبي صلى الله عليه وسلم (وتفريقا بين المؤمنين) الذين يصلون بقباء بصلوة

(بافواههم)

بأفواههم) استئناف بيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولايجوز جعله حالا من فاعل لايرقبوا فانهم بعد ظهورهم لايرضون ولان المراد اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد فى الحال واستبطان الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه (وتأبى قلوبهم) ماتفوه به افواههم (واكثرهم فاسقون) متمردون لاعقيدة تزعهم ولامروءة تردعهم وتخصيص الاكثر لما فى بعض الكفرة من التفادى عن الغدر والتعفف عما يجر احدوثة السوء (اشتروا بآيات الله) استبدلوا بالقرآن (ثمنا قليلا) عوضا يسيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات (فصدوا عن سبيله) دينه الموصل اليه اوسبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والفاء للدلالة على ان اشتراءهم اداهم الى الصد (انهم ساء ماكانوا يعملون) عملهم هذا او مادل عليه قوله (لايرقبون فى مؤمن الا ولاذمة) فهو تفسير لاتكرير وقيل الاول عام فى المنافقين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود او الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم (واولئك هم المعتدون) فى الشرارة (فان تابوا) عن الكفر (واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم) فهم اخوانكم (فى الدين) لهم مالكم وعليهم ماعليكم (ونفصل الآيات لقوم يعلمون) اعتراض للحث على تأمل مافصل من احكام المعاهدين او خصال التائبين (وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم) وان نكثوا مابايعوا عليه من الايمان او الوفاء بالعهود (وطعنوا فى دينكم) بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام (فقاتلوا ائمة الكفر) اى فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا بذلك ذوى الرياسة والتقدم فى الكفر احقاء بالقتل وقيل المراد بالائمة رؤساء المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم اهم وهم احق به اوللمنع من مراقبتهم وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائى وروح عن يعقوب ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والتصريح بالياء لحن (انهم لاايمان لهم) اى لاايمان لهم على الحقيقة والا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمى اذا طعن فى الاسلام فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية على ان يمين الكافر ليست يمينا وهو ضعيف لان المراد نفى الوثوق عليها لاانها ليست بايمان لقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم وقرأ ابن عامر لاايمان بمعنى لاامان

بعضهم مسجدهم (وارصادا) ترقبا (لمن حارب الله ورسوله من قبل) أى قبل بنائه وهو أبو عامر المذكور (وليحلفن ان) ما (أردنا) ببنائه (الا) الفعلة (الحسنى) من الرفق بالمسكين فى المطر والحر والتوسعة على المسلمين (والله يشهد انهم لكاذبون) فى ذلك وكانوا سألوا النبى صلى الله عليه وسلم أن يصلى فيه فنزل (لاتقم) تصل (فيه أبدا) فارسل جماعة هدموه وحرقوه وجعلوا مكانه كناسة تلقى فيها الجيف (لمسجد أسس) بنيت قواعده (على التقوى من أول يوم) وضع يوم حللت بدار الهجرة وهو مسجد قباء كما فى البخارى (أحق) منه (أن) أى بأن (تقوم) تصلى (فيه فيه رجال) هم الانصار (يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) أى يثيبهم وفيه ادغام التاء فى الاصل فى الطاء روى ابن خزيمة فى صحيحه عن عويمر بن ساعدة أنه صلى الله عليه وسلم

اولا اسلام و تشبث به من لم يقبل توبة المرتدين وهو ضعيف لجواز ان يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخبار عن قوم معينين او ليس لهم ايمان فيراقبوا لاجله (لعلهم ينتهون) متعلق بقاتلوا اى ليكن غرضكم فى المقاتلة ان ينتهوا عماهم عليه لا لايصال الاذية بهم كما هو طريقة المؤذين (الا تقاتلون قوما) تحريض على القتال لان الهمزة دخلت على النفى للانكار فافادت المبالغة فى الفعل (نكثوا ايمانهم) التى حلفوها مع الرسول عليه السلام والمؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم فاعانوا بنى بكر على خزاعة (وهموا باخراج الرسول) حين تشاوروا فى امره بدار الندوة على ما مر ذكره فى قوله واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا باخراجه من المدينة (وهم بدأوكم اول مرة) بالمعاداة والمقاتلة لانه عليه الصلوة والسلام بدأهم بالدعوة والزام الحجة بالكتاب والتحدى به فعدلوا عن معارضته الى المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم ان تعارضوا وتصادموهم (اتخشونهم) أتتركون قتالهم خشية ان ينالكم مكروه منهم (فالله احق ان تخشوه) فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره (ان كنتم مؤمنين) فان قضية الايمان لا يخشى الا منه (قاتلوهم) امر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعيد عليه (يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم) وعدلهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم واذلالهم (ويشف صدور قوم مؤمنين) يعنى بنى خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبأ قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ابشروا فان الفرج قريب (ويذهب غيظ قلوبهم) لما لقوا منهم وقد اوفى الله بما وعدهم والآية من المعجزات (ويتوب الله على من يشاء) ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان على انه من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم آخرين (والله عليم) بما كان وما سيكون (حكيم) لا يفعل ولا يحكم الا على وفق الحكمة (ام حسبتم) خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان (ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم نفى العلم واراد نفى المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث

(ان)

أتاهم فى مسجد قباء فقال ان الله تعالى قد أحسن عليكم الثناء فى الطهور فى قصة مسجدكم فما هذا الطهور الذى تطهرون به قالوا والله يا رسول الله ما نعلم شيئا الا أنه كان لنا جيران من اليهود وكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا وفى حديث رواه البزار فقالوا نتبع الحجارة بالماء فقال هو ذاك فعليكموه (أفمن اسس بنيانه على تقوى) مخافة (من الله و) رجاء (رضوان) منه (خير أم من أسس بنيانه على شفا) طرف (جرف) بضم الراء وسكونها جانب (هار) مشرف على السقوط (فانهار به) سقط مع بانيه (فى نار جهنم) خير تمثيل للبناء على ضد التقوى بما يؤل اليه والاستفهام للتقرير اى الاول خير وهو مثال مسجد قباء والثانى مثال مسجد الضرار (والله لا يهدى القوم الظالمين لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة) شكا (فى قلوبهم الا أن تقطع) تنفصل (قلوبهم) بان يموتوا

ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه (ولم يتخذوا) عطف على جاهدوا داخل في الصلة (من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) بطانة يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم ومافى لما من معنى التوقع منبه على ان تبين ذلك متوقع (والله خبير بما تعملون) يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله (ما كان للمشركين) ماصح لهم (ان يعمروا مساجد الله) شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر الجميع وتدل عليه قراءة ابن كثير وابن عمرو ويعقوب بالتوحيد (شاهدين على انفسهم بالكفر) باظهار الشرك وتكذيب الرسول وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره روى انه لما اسر العباس عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم واغلظ له على رضي الله تعالى عنه في القول فقال تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت (اولئك حبطت اعمالهم) التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك (وفي النار هم خالدون) لاجله (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة وآتى الزكوة) اى انما يستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن النبي عليه الصلوة والسلام قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زوارى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وانما لم يذكر الايمان بالرسول لما علم ان الايمان بالله قرينه وتمامه الايمان به ولدلالة قوله واقام الصلوة وآتى الزكوة عليه (ولم يخش الا الله) اى في ابواب الدين فان الخشية عن المحاذير جبلية لا يكاد الرجل العاقل يتمالك عنها (فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين) ذكره بصيغة التوقع قطعا لاطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع بانهم مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فما ظنك باضدادهم ومنعا للمؤمنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا عليها (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله) السقاية والعمارة مصدرا سقى وعمر فلا تشبهان بالجثث بل لابد من اضمار تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج كمن آمن

(والله عليم) بخلقه (حكيم) في صنعه بهم (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم) بان يبذلوها في طاعته كالجهاد (بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) جملة استئناف بيان للشراء وفي قراءة بتقديم المبني للمفعول أي فيقتل بعضهم ويقاتل الباقي (وعدا عليه حقا) مصدران منصوبان بفعلهما المحذوف (في التورية والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله) أي لا أحد أوفى منه (فاستبشروا) فيه التفات عن الغيبة (ببيعكم الذي بايعتم به وذلك) البيع (هو الفوز العظيم) النيل غاية المطلوب (التائبون) رفع على المدح بتقدير مبتدأ من الشرك والنفاق (العابدون) المخلصون العبادة لله (الحامدون) له على كل حال (السائحون) الصائمون (الراكعون الساجدون) أي المصلون (الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله) لاحكامه بالعمل

اواجعلتم سقاية الحاج كايمان من امن ويؤيد الاول قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار ان يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله (لايستوون عندالله) وبين عدم تساويهم بقوله (والله لايهدى القوم الظالمين) اى الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم منهمكون فى الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عندالله) اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم تستجمع هذه الصفات فيه اومن اهل السقاية والعمارة عندكم (واولئك هم الفائزون) بالثواب ونيل الحسنى عندالله دونكم (يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها) فى الجنات (نعيم مقيم) دائم وقرأ حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به اشعار بانه وراء التعيين والتعريف (خالدين فيها ابدا) اكد الخلود بالتأبيد لانه قد يستعمل للمكث الطويل (ان الله عنده اجر عظيم) يستحقر دونه مااستوجبوه لاجله او نعيم الدنيا (ياايها الذين آمنوا لاتتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء) نزلت فى المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا وابناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وبقينا ضائعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لاتتخذوهم اولياء يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله (ان استحبوا الكفر على الايمان) ان اختاروه وحرضوا عليه (ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون) بوضعهم الموالاة فى غير محلها (قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم) اقرباؤكم مأخوذ من العشرة وقيل من العشرة فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرأ ابوبكر وعشيراتكم وقرئ وعشائركم (واموال اقترفتموها) اكتسبتموها (وتجارة تخشون كسادها) فوات وقت نفاقها (ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله) الحب الاختيارى دون الطبيعى فانه لايدخله تحت التكليف والتحفظ عنه (فتربصوا حتى يأتى الله بأمره) جواب ووعيد والامر عقوبة عاجلة او آجلة وقيل فتح مكة (والله لايهدى القوم الفاسقين) لايرشدهم وفى الآية تشديد عظيم وقل من

(يتخلص)

بها (وبشر المؤمنين) بالجنة * ونزل فى استغفاره صلى الله عليه وسلم لعمه أبى طالب واستغفار بعض الصحابة لابويه المشركين (ماكان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولوكانوا أولى قربى) ذوى قرابة (من بعد ماتبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) النار بأن ماتوا على الكفر (وماكان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه) بقوله سأستغفر لك ربى رجاء أن يسلم (فلما تبين له أنه عدو لله) بموته على الكفر (تبرأ منه) وترك الاستغفار له (ان ابراهيم لاواه) كثير التضرع والدعاء (حليم) صبور على الاذى (وماكان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم) للاسلام (حتى يبين لهم مايتقون) من العمل فلايتقوه فيستحقوا الاضلال (ان الله بكل شئ عليم) ومنه مستحق الاضلال والهداية (ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت ومالكم) أيها الناس (من دون الله) أي غيره (من ولى) يحفظكم منه

بتخاص عنه (لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة) يعنى مواطن الحرب وهى مواقعها (ويوم حنين) ومواطن يوم حنين ويجوز ان يقدر فى ايام مواطن اويفسر الموطن بالوقت كمقتل الحسين ولايمنع ابدال قوله (اذاعجبتكم كثرتكم) منه ان يعطف على موضع فى مواطن فانه لايقتضى تشاركهما فيما اضيف اليه المعطوف حتى يقتضى كثرتهم واعجابها اياهم فى جميع الموطن وحنين وادبين مكة والطائف حارب فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمون وكانوا اثنى عشر الفا العشر الذين حضروا فتح مكة وألفان انضموا اليهم من الطلقاء هوازن وثقيفا وكانوا اربعة آلاف فلما التقوا قال النبى صلى الله عليه وسلم اوابو بكر رضى الله عنه اوغيره من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فادرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مركزه ليس معه الاعمه العباس رضى الله عنه آخذا بلجامه وابن عمه ابوسفيان بن الحارث وناهيك بهذا شهادة على تناهى شجاعته فقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى ياعبادالله يااصحاب الشجرة يااصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال عليه الصلوة والسلام هذا حين حمى الوطيس واخذ كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا (فلم تغن عنكم) اى الكثرة (شيئا) من الاغناء اومن امر العدو (وضاقت عليكم الارض بمارحبت) برحبها اى سعتها لاتجدون فيها مقرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب اولاتثبتون فيها كمن لايسعه مكانه (ثم وليتم) الكفار ظهوركم (مدبرين) منهزمين والادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال (ثم انزل الله سكينته) رحمته التى سكنوابها وامنوا (على رسوله وعلى المؤمنين) الذين انهزموا واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول عليه الصلوة والسلام ولم يفروا (وانزل جنودا لم تروها) باعينكم يعنى الملائكة وكانوا خمسة آلاف اوثمانية اوستة عشر على اختلاف الاقوال (وعذب الذين كفروا) بالقتل والاسر والسبى (وذلك جزاء الكافرين) اى مافعل بهم جزاء كفرهم فى الدنيا (ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) منهم بالتوفيق للاسلام (والله غفور رحيم) يتجاوز

(ولانصير) يمنعكم عن ضرره (لقد تاب الله) أى أدام توبته (على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة) أى وقتها وهى حالهم فى غزوة تبوك كان الرجلان يقتسمان تمرة والعشرة يعتقبون البعير الواحد واشتد الحر حتى شربوا الفرث (من بعد ماكاد تزيغ) بالتاء والياء تميل (قلوب فريق منهم) عن اتباعه الى التخلف لما هم فيه من الشدة (ثم تاب عليهم) بالثبات (انه بهم رؤف رحيم و) تاب (على الثلاثة الذين خلفوا) عن التوبة عليهم بقرينة (حتى اذا ضاقت عليهم الارض بمارحبت) أى مع رحبها أى سعتها فلا يجدون مكانا يطمئنون اليه (وضاقت عليهم أنفسهم) قلوبهم للغم والوحشة بتأخير توبتهم فلايسعها سرور ولاأنس (وظنوا) أيقنوا (أن) مخففة (لاملجأ من الله الااليه ثم تاب عليهم) وفقهم للتوبة (ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم ياأيها

عنهم ويتفضل عليهم روى ان ناسا منهم جاؤا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واسلموا وقالوا يارسول الله انت خير الناس وابرهم وقدسبى اهلونا واولادنا واخذت اموالنا وقدسبى يومئذ ستة آلاف نفس واخذ من الابل والغنم مالايحصى فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اختاروا اماسبايكم واما اموالكم فقالوا ماكنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه سلم وقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرنا هم بين الذرارى والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبى وطابت نفسه ان يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال انى لاادرى لعل فيكم من لايرضى فروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم قدرضوا ﴿ ياايها الذين آمنوا انما المشركون نجس ﴾ لخبث باطنهم اولانه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس اولانهم لايتطهرون ولايجتنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل على ان ماالغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان اعيانهم نجسة كالكلاب وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو ككبد من كبد واكثر ماجاء تابعا لرجس ﴿ فلايقربوا المسجد الحرام ﴾ لنجاستهم وانما نهى عن الاقتراب للمبالغة اوللمنع عن دخول الحرم وقيل المراد به النهى عن الحج والعمرة لاعن الدخول مطلقا واليه ذهب ابوحنيفة رحمه الله تعالى وقاس مالك رحمه الله سائر المساجد على المسجد الحرام فى المنع وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع ﴿ بعد عامهم هذا ﴾ يعنى سنة براءة وهى التاسعة وقيل سنة حجة الوداع ﴿ وان خفتم عيلة ﴾ فقرا بسبب منعهم عن الحرام وانقطاع ماكان لكم من قدومهم من المكاسب والارزاق ﴿فسوف يغنيكم الله من فضله﴾ من عطائه او تفضله بوجه آخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا ووفق اهل تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض وقرئ عائلة على انها مصدر كالعاقبة اوحال ﴿ ان شاء ﴾ قيده بالمشيئة لينقطع الآمال الى الله تعالى ولينبه على انه تعالى متفضل فى ذلك وان الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفى عام دون عام ﴿ ان الله عليم ﴾ باحوالكم ﴿ حكيم ﴾ فيما يعطى ويمنع ﴿قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولاباليوم الآخر﴾ اى لايؤمنون بهما على ماينبغى كما بيناه

الذين آمنوا اتقوا الله) بترك معاصيه (وكونوا مع الصادقين) فى الايمان والعهود بان تلزموا الصدق (ماكان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله) اذاغزا (ولايرغبوا بأنفسهم عن نفسه) بأن يصونوها عما رضيه لنفسه من الشدائد وهونهى بلفظ الخبر (ذلك) أى النهى عن التخلف (بانهم) بسبب انهم (لايصيبهم ظمأ)عطش(ولا نصب) تعب (ولامخمصة) جوع (فى سبيل الله ولايطؤن موطئا) مصدر بمعنى وطأ (يغيظ) يغضب (الكفار ولا ينالون من عدو) لله (نيلا) قتلا أوأسرا أونهبا (الا كتب لهم به عمل صالح) ليجازوا عليه (ان الله لايضيع اجر المحسنين) اى أجرهم بل يثيبهم (ولا ينفقون) فيه (نفقة صغيرة) ولو تمرة (ولاكبيرة ولايقطعون واديا) بالسير (الا كتب لهم) ذلك (ليجزيهم الله احسن ماكانوا يعملون) أى جزاءه ولما وبخوا على التخلف وارسل

فى اول البقرة فان ايمانهم كلا ايمان ﴿ ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ﴾ ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو الذى يزعمون اتباعه والمعنى انهم مخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ﴿ ولا يدينون دين الحق ﴾ الثابت الذى هو ناسخ سائر الاديان ومبطلها ﴿ من الذين اوتوا الكتاب ﴾ بيان للذين لا يؤمنون ﴿ حتى يعطوا الجزية ﴾ ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضاه ﴿ عن يد ﴾ حال من الضمير فى يعطوا اى عن يد مواتية بمعنى منقادين اوعن يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدى غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه اوعن غنى ولذلك قيل لا تؤخذ من الفقير اوعن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين اذلاء اومن الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد الى يد اوعن انعام عليهم فان ابقاءهم بالجزية نعمة عظيمة ﴿ وهم صاغرون ﴾ اذلاء عن ابن عباس رضى الله عنهما تؤخذ الجزية من الذمى وتوجأ عنقه ومفهوم الآية يقتضى تخصيص الجزية باهل الكتاب ويؤيده ان عمر رضى الله تعالى عنه لم يكن يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد عنده عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه انه عليه السلام اخذها من مجوس هجر وانه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة كتاب فالحقوا بالكتابيين واما سائر الكفرة فلا يؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابى حنيفة رحمه الله تعالى يؤخذ منهم الا من مشركى العرب لما روى الزهرى انه عليه الصلوة والسلام صالح عبدة الاوثان الا من كان من العرب وعند مالك رحمه الله تعالى تؤخذ من كل كافر الا المرتد واقلها فى كل سنة دينار سواء فيه الغنى والفقير وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى على الغنى ثمانية واربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شئ على فقير غير كسوب ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله ﴾ انما قاله بعضهم من متقدميهم اوممن كانوا بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقعة بخت نصر من يحفظ التورية وهو لما احياه الله بعد مائة عام املى عليهم التورية حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ماهذا الا لانه ابن الله والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقرأ عاصم والكسائى ويعقوب عزير بالتنوين على انه عربى مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه فى القراءة الاخرى اما لمنع صرفه للعجمة والتعريف او لالتقاء

النبى صلى الله عليه وسلم سرية نفروا جميعا فنزل ﴿ وما كان المؤمنون لينفروا ﴾ الى الغزو ﴿ كافة فلولا ﴾ فهلا ﴿ نفر من كل فرقة ﴾ قبيلة ﴿ منهم طائفة ﴾ جماعة ومكث الباقون ﴿ ليتفقهوا ﴾ اى الماكثون ﴿ فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ﴾ من الغزو بتعليمهم ما تعلموه من الاحكام ﴿ لعلهم يحذرون ﴾ عقاب الله بامتثال أمره ونهيه قال ابن عباس فهذه مخصوصة بالسرايا والتى قبلها بالنهى عن تخلف واحد فيما اذا خرج النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ﴾ أى الاقرب فالاقرب منهم ﴿ وليجدوا فيكم غلظة ﴾ شدة أى اغلظوا عليهم ﴿ وأعلموا أن الله مع المتقين ﴾ بالعون والنصر ﴿ واذا ما أنزلت سورة ﴾ من القرآن ﴿ فمنهم ﴾ أى المنافقين ﴿ من يقول ﴾ لاصحابه استهزاء ﴿ أيكم زادته هذه ايمانا ﴾ تصديقا قال تعالى ﴿ فاما الذين آمنوا فزادتهم

الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين اولان الابن وصف والخبر محذوف مثل معبودنا اوصاحبنا وهو مزيف لانه يؤدى الى تسليم النسب وانكار الخبر المقدر (وقالت النصارى المسيح ابن الله) هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا اب اولان يفعل مافعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها (ذلك قولهم بافواههم) اماتأكيد لنسبة هذا القول اليهم و نفى للتجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذى يوجد فى الافواه ولا يوجد مفهومه فى الاعيان (يضاهؤن قول الذين كفروا) اى يضاهى قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه (من قبل) اى من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى ان الكفر قديم فيهم اوالمشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله اواليهود على ان الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمز لغة فيه وقد قرأ به عاصم ومنه قولهم امرأة ضهيأ على فعيل للتى شابهت الرجال فى انها لاتحيض (قاتلهم الله) دعا عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك اوتعجب من شناعة قولهم (انى يؤفكون) كيف يصرفون عن الحق الى الباطل (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله) بان اطاعوهم فى تحريم مااحل الله وتحليل ماحرم الله اوبالسجود لهم (والمسيح ابن مريم) بان جعلوه ابنا لله (وما امروا) اى وما امر المتخذون اوالمتخذون اربابا فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ (الاليعبدوا) ليطيعوا (الها واحدا) وهو الله واما طاعة الرسل وسائر من امر الله بطاعته فهو فى الحقيقة طاعة الله (لااله الاهو) صفة ثانية اواستئناف مقرر للتوحيد (سبحانه عما يشركون) تنزيه له عن ان يكون له شريك (يريدون ان يطفئوا) يخمدوا (نور الله) حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه عن الولد اوالقرآن اونبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (بافواههم) بشركهم اوبتكذيبهم (ويأبى الله) اى لايرضى (الاان يتم نوره) باعلاء التوحيد واعزاز الاسلام وقيل انه تمثيل لحالهم فى طلبهم ابطال نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بالتكذيب بحال من يطلب اطفاء نور عظيم منبث فى الآفاق يريد الله ان يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لانه فى معنى النفى (ولو كره الكافرون) محذوف الجواب لدلالة ماقبله عليه (هوالذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) كالبيان لقوله ويأبى الله الا ان يتم نوره ولذلك كرر (ولو كره)

ايمانا) لتصديقهم بها (وهم يستبشرون) يفرحون بها (وأما الذين فى قلوبهم مرض) ضعف اعتقاد (فزادتهم رجسا الى رجسهم) كفرا الى كفرهم لكفرهم بها (وماتوا وهم كافرون أولا يرون) بالياء أى المنافقون والتاء أيها المؤمنون (أنهم يفتنون) يبتلون (فى كل عام مرة أومرتين) بالقحط والامراض (ثم لايتوبون) من نفاقهم (ولاهم يذكرون) يتعظون (واذا ما أنزلت سورة) فيها ذكرهم وقرأها النبى صلى الله عليه وسلم (نظر بعضهم الى بعض) يريدون الهرب يقولون (هل يراكم من أحد) اذا قمتم فان لم يرهم أحد قاموا والاثبتوا (ثم انصرفوا) على كفرهم (صرف الله قلوبهم) عن الهدى (بأنهم قوم لايفقهون) الحق لعدم تدبرهم (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) اى منكم محمد صلى الله عليه وسلم (عزيز) شديد (عليه ماعنتم) اى عنتكم اى مشقتكم

(ولو كره المشركون) غير انه وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك بالله والضمير فى ليظهره للدين الحق اوللرسول عليه السلام واللام فى الدين للجنس اى على سائر الاديان فينسخها او على اهلها فيخذلهم (يأأيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل) يأخذونها بالرشى فى الاحكام سمى اخذ المال اكلا لانه الغرض الاعظم منه (ويصدون عن سبيل الله) دينه (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله) يجوز ان يراد به الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة فى وصفهم بالحرص على المال والضن به وان يراد به المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون اقترانه بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر رضى الله تعالى عنه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان الله لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها مابقى من اموالكم وقوله عليه السلام ماادى زكوته فليس بكنز اى بكنز اوعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما امر الله ان ينفق فيه واما قوله من ترك صفراء او بيضاء كوى بها ونحوه فالمراد منه من لم يؤد حقها لقوله عليه الصلوة والسلام فيما اورده الشيخان مرويا عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها الا اذا كان يوم القيمة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره (فبشرهم بعذاب اليم) هو الكى بهما (يوم يحمى عليها فى نار جهنم) اى يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها واصله تحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التأنيث الى صيغة التذكير وانما قال عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال على رضى الله تعالى عنه اربعة آلاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز اوالاموال فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على ان الذهب اولى بهذا الحكم (فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) لان جمعهم وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية اولانهم ازوروا عن السائل

ولقاؤكم المكروه (حريص عليكم) أن تهتدوا (بالمؤمنين رؤف) شديد الرحمة (رحيم) يريد لهم الخير (فان تولوا) عن الايمان بك (فقل حسبى) كافى (الله لا اله الا هو عليه توكلت) به وثقت لا بغيره (وهو رب العرش) الكرسى (العظيم) خصه بالذكر لانه أعظم المخلوقات وروى الحاكم فى المستدرك عن أبى بن كعب قال آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول الى آخر السورة

سورة يونس مكية الا فان كنت فى شك الآيتين او الثلاث أو ومنهم من يؤمن به الآية مائة وتسع أو عشر آيات

(بسم الله الرحمن الرحيم) (الر) الله أعلم بمراده بذلك (تلك) أى هذه الآيات (آيات الكتاب) القرآن والاضافة بمعنى من (الحكيم) المحكم (أكان للناس) أى أهل مكة استفهام انكار والجار والمجرور حال من قوله (عجبا) بالنصب خبر كان وبالرفع اسمها والخبر وهو اسمها على الاولى (أن اوحينا) أى ايحاؤنا (الى رجل منهم)

واعرضوا عنه وولوه ظهورهم اولانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التى هى الدماغ والقلب والكبد اولانها اصول الجهات الاربع التى هى مقاديم البدن وماآخره وجنباه (هذاما كنزتم) على ارادة القول (لانفسكم) لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها (فذوقوا ما كنتم تكنزون) اى وبال كنزكم اوماتكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون (ان عدة الشهور) اى مبلغ عددها (عندالله) معمول عدة لانها مصدر (اثنا عشر شهرا فى كتاب الله) فى اللوح المحفوظ اوفى حكمه وهو صفة لاثنا عشر وقوله (يوم خلق السموات والارض) متعلق بما فيه من معنى الثبوت اوبالكتاب ان جعل مصدرا والمعنى ان هذا امر ثابت فى نفس الامر منذ خلق الله الاجرام والازمنة (منها اربعة حرم) واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم (ذلك الدين القيم) اى تحريم الاشهر الاربعة هوالدين القويم دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام والعرب ورثوه منهما (فلاتظلموا فيهن انفسكم) بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة واولوا الظلم بارتكاب المعاصى فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها فى الحرم وحال الاحرام وعن عطاء انه لايحل للناس ان يغزوا فى الحرم والاشهر الحرم الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول ماروى انه عليه السلام حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين فى شوال وذى القعدة (وقاتلوا المشركين كافة كمايقاتلونكم كافة) جميعا وهى مصدر كف عن الشئ فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال (واعلموا ان الله مع المتقين) بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم (انما النسئ) اى تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع برواية ورش انما النسى بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرئ النسى بحذفها والنسى والنساء وثلاثتها مصادر نسأه اذا اخره (زيادة فى الكفر) لانه تحريم مااحله الله وتحليل ماحرمه فهو كفرآخر ضموه الى كفرهم (يضل به الذين كفروا) ضلالا زائدا وقرأ حمزة والكسائى وحفص يضل على البناء للمفعول وعن يعقوب يضل على ان الفعل لله تعالى (يحلونه عاما) يحلون النسئ من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا آخر (ويحرمونه عاما)

محمد صلى الله عليه وسلم (أن) مفسرة (أنذر) خوف (الناس) الكافرين بالعذاب (وبشر الذين آمنوا أن) أى بأن (لهم قدم) سلف (صدق عند ربهم) اى أجرا حسنا بما قدموه من الاعمال (قال الكافرون ان هذا) القرآن المشتمل على ذلك (لسحر مبين) بين وفى قراءة لساحر والمشار اليه النبى صلى الله عليه وسلم (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام) من أيام الدنيا أى فى قدرها لانه لم يكن ثم شمس ولاقمر ولوشاء لخلقهن فى لمحة والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت (ثم استوى على العرش) استواء يليق به (يدبر الامر) بين الخلائق (مامن) زائدة (شفيع) يشفع لاحد (الامن بعد اذنه) رد لقولهم ان الاصنام تشفع لهم (ذلكم) الخالق المدبر (الله ربكم فاعبدوه) وحدوه (أفلا تذكرون) بادغام التاء فى الاصل فى الذال (اليه) تعالى (مرجعكم جميعا وعدالله حقا) مصدران

فيتركونه على حرمته قيل اول من احدث ذلك جنادة بن عوف الكنانى كان يقوم على جمل فى الموسم فينادى ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم ينادى فى القابل ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير للضلال او حال (ليواطئوا عدة ماحرم الله) اى ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه او بما دل عليه مجموع الفعلين (فيحلوا ماحرم الله) بمواطأة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت (زين لهم سوء اعمالهم) وقرئ على البناء للفاعل وهو الله تعالى والمعنى خذلهم واضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا (والله لايهدى القوم الكافرين) هداية موصلة الى الاهتداء (ياأيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم) تباطأتم وقرئ تثاقلتم على الاصل واثاقلتم على الاستفهام للتوبيخ (الى الارض) متعلق به كأنه ضمن معنى الاخلاد والميل فعدى بالى وكان ذلك فى غزوة تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطائف فى وقت عسرة وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم (ارضيتم بالحيوة الدنيا) وغرورها (من الآخرة) بدل الآخرة ونعيمها (فما متاع الحيوة الدنيا) فما التمتع بها (فى الآخرة) فى جنب الآخرة (الاقليل) مستحقر (الاتنفروا) ان لاتنفروا الى ما استنفرتم اليه (يعذبكم عذابا اليما) بالاهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو (ويستبدل قوما غيركم) ويستبدل بكم آخرين مطيعين كاهل اليمن وابناء فارس (ولاتضروه شيئا) اذلايقدح تثاقلكم فى نصرة دينه شيئا فانه الغنى عن كل شئ وفى كل امر وقيل الضمير للرسول عليه الصلوة والسلام اى ولاتضروه فان الله وعده بالعصمة والنصرة ووعده حق (والله على كل شئ قدير) فيقدر على التبديل وتغيير الاسباب والنصرة بلامدد كما قال تعالى (الاتنصروه فقد نصره الله) اى ان لم تنصروه فسينصره الله كما نصره (اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين) ولم يكن معه الارجل واحد فحذف الجزاء واقيم ماهو كالدليل عليه مقامه اوان لم تنصروه فقد اوجب الله له النصرة حتى نصره فى مثل ذلك الوقت فلن يخذله فى غيره واسناد الاخراج الى الكفرة لان همهم باخراجه اوقتله تسبب لاذن الله له بالخروج وقرئ ثانى اثنين بالسكون على لغة من يجرى المنقوص مجرى المقصور فى الاعراب ونصبه على الحال (اذهما فى الغار) بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار ثقب فى اعلى ثور

منصوبان بفعلهما المقدر (انه) بالكسر استئنافا والفتح على تقدير اللام (يبدؤ الخلق) اى بدأه بالانشاء (ثم يعيده) بالبعث (ليجزى) يثيب (الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم) ماء بالغ نهاية الحرارة (وعذاب اليم) مؤلم (بما كانوا يكفرون) اى بسبب كفرهم (هو الذى جعل الشمس ضياء) ذات ضياء اى نور (والقمر نورا وقدره) من حيث سيره (منازل) ثمانية وعشرين منزلا فى ثمان وعشرين ليلة من كل شهر ويستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين يوما اوليلة ان كان تسعة وعشرين يوما (لتعلموا) بذلك (عدد السنين والحساب ماخلق الله ذلك) المذكور (الابالحق) لاعبثا تعالى عن ذلك (يفصل) بالياء والنون يبين (الآيات لقوم يعلمون) يتدبرون (ان فى اختلاف الليل والنهار) بالذهاب والمجئ والزيادة والنقصان (وما خلق الله فى السموات) من ملائكة وشمس وقمر ونجوم وغير

ذلك (و) فى (الارض) من حيوان وجبال وبحار وأنهار واشجار وغيرها (لآيات) دلالات على قدرته تعالى (لقوم يتقون)ه فيؤمنون خصهم بالذكر لانهم المنتفعون بها (ان الذين لا يرجون لقاءنا) بالبعث (ورضوا بالحيوة الدنيا) بدل الآخرة لانكارهم لها (واطمأنوا بها) سكنوا اليها (والذين هم عن آياتنا) دلائل واحدانيتنا (غافلون) تاركون للنظر فيها (أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) من الشرك والمعاصى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم) يرشدهم (ربهم بايمانهم) به بان يجعل لهم نورا يهتدون به يوم القيمة (تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم دعواهم فيها) طلبهم لما يشتهونه فى الجنة أن يقولوا (سبحانك اللهم) أى يا الله فاذا ماطلبوه بين أيديهم (وتحيتهم) فيما بينهم (فيها سلام وآخر دعواهم أن) مفسرة (الحمد لله رب العالمين)* ونزل لما استعجل المشركون العذاب (ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم)

وهو جبل فى يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا (اذ يقول) بدل ثان اوظرف لثانى (لصاحبه) وهو ابو بكر رضى الله تعالى عنه (لا تحزن ان الله معنا) بالعصمة والمعونة روى ان المشركين طلعوا فوق الغار فأشفق ابو بكر رضى الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال عليه السلام ماظنك باثنين الله ثالثهما فأعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا فى اسفله والعنكبوت فنسجت عليه (فأنزل الله سكينته) امنته التى تسكن عندها القلوب (عليه) على النبى اوعلى صاحبه وهو الاظهر لانه كان منزعجا (وايده بجنود لم تروها) يعنى الملائكة انزلهم ليحرسوه فى الغار اوليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحنين فتكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى) يعنى الشرك اودعوة الكفر (وكلمة الله هى العليا) يعنى التوحيد اودعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من ايدى الكفار الى المدينة فانه المبدأ له اوبتأييده اياه بالملائكة فى هذه المواطن اوبحفظه ونصره له حيث حضر وقرأ يعقوب كلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية فى نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل (والله عزيز حكيم) فى امره وتدبيره (انفروا خفافا) لنشاطكم له (وثقالا) عنه لمشقته عليكم اولقلة عيالكم ولكثرتها اوركبانا ومشاة اوخفافا وثقالا من السلاح اوصحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن ام مكتوم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اعلى ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج (وجاهدوا باموالكم وانفسكم فى سبيل الله) بما امكن لكم منهم كليهما اواحدهما (ذلكم خير لكم) من تركه (ان كنتم تعلمون) الخير علمتم انه خير اوان كنتم تعلمون انه خير اذا خبار الله به صدق فبادروا اليه (لوكان عرضا قريبا) اى لوكان مادعوا اليه نفعا دنيويا قريبا سهل المأخذ (وسفرا قاصدا) متوسطا (لاتبعوك) لوافقوك (ولكن بعدت عليهم الشقة) المسافة التى تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين (وسيحلفون بالله) اى المتخلفون اذا رجعت من تبوك معتذرين (لو استطعنا) يقولون لوكان لنا استطاعة العدة اوالبدن وقرئ لواستطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير فى قوله اشتروا

الضلالة (لخرجنا معكم) ساد مسد جوابى القسم والشرط وهذا من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه (يهلكون انفسهم) بايقاعها فى العذاب وهو بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس فى الهلاك او حال من فاعله (والله يعلم انهم لكاذبون) فى ذلك لانهم كانوا مستطيعين بالخروج (عفا الله عنك) كناية عن خطأه فى الاذن فان العفو من روادفه (لم اذنت لهم) بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لاى شئ اذنت لهم فى القعود حين استأذنوك واعتلوا باكاذيب وهلا توقفت (حتى يتبين لك الذين صدقوا) فى الاعتذار (وتعلم الكاذبين) فيه قيل انما فعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيئين لم يؤمر بهما اخذه للفداء واذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم) اى ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك فى ان يجاهدوا فان الخلص منهم يبادرون اليه ولا يوقفون على الاذن فيه فضلا ان يستأذنوا فى التخلف عنه اوان يستأذنوك فى التخلف كراهة ان يجاهدوا (والله عليم بالمتقين) شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بالثواب (انما يستأذنك) فى التخلف (الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) تخصيص الايمان بالله واليوم الآخر فى الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم الايمان بهما (وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون) اى يتحيرون (ولو ارادوا الخروج لأعدوا له) للخروج (عدة) اهبة وقرئ عده بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذى وعدوا * وعده بكسر العين باضافة وبغيرها (ولكن كره الله انبعاثهم) استدراك عن مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج كأنه قال ماخرجوا ولكن تثبطوا لانه تعالى كره انبعاثهم اى نهوضهم للخروج (فثبطهم) فحبسهم بالجبن والكسل (وقيل اقعدوا مع القاعدين) تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج فى قلوبهم اووسوسة الشيطان بالامر بالقعود اوحكاية قول بعضهم لبعض اواذن الرسول عليه الصلوة والسلام لهم والقاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم على الوجهين لايخلو عن ذم (لوخرجوا فيكم مازادوكم) بخروجهم شيئا (الاخبالا) فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك ان يكون لهم خبال حتى لوخرجوا زادوه لان الزيادة باعتبار اعم العام الذى وقع منه الاستثناء ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء

اى كاستعجالهم (بالخير لقضى) بالبناء للمفعول وللفاعل (اليهم أجلهم) بالرفع والنصب بان يهلكهم ولكن يمهلهم (فنذر) نترك (الذين لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم يعمهون) يترددون متحيرين (واذا مس الانسان) الكافر (الضر) المرض والفقر (دعانا لجنبه) اى مضطجعا (أوقاعدا أوقائما) اى فى كل حال (فلما كشفنا عنه ضره مر) على كفره (كأن) مخففة واسمها محذوف اى كأنه (لم يدعنا الى ضر مسه كذلك) كما زين له الدعاء عند الضر والاعراض عند الرخاء (زين للمسرفين) المشركين (ماكانوا يعملون ولقد اهلكنا القرون) الامم (من قبلكم) يااهل مكة (لما ظلموا) بالشرك (و) قد (جاءتهم رسلهم بالبينات الدلالات على صدقهم (وما كانوا ليؤمنوا) عطف على ظلموا (كذلك) كما اهلكنا اولئك (نجزى القوم المجرمين) الكافرين (ثم جعلناكم) يااهل مكة (خلائف) جمع

منقطعا وليس كذلك لانه لايكون مفرغا (ولاوضعوا خلالكم) ولاسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب اوالهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا اذا اسرع (يبغونكم الفتنة) يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم اوالرعب فى قلوبكم والجملة حال من الضمير فى اوضعوا (وفيكم سماعون لهم) ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم اونمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم (والله عليم بالظالمين) فيعلم ضمائرهم ومايتأتى منهم (لقد ابتغوا الفتنة) تشتيت امرك وتفريق اصحابك (من قبل) يعنى يوم احد فان ابن ابى واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعدما خرجوا مع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الى ذى جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم احد (وقلبوا لك الامور) ودبروا لك المكايد والحيل ودوروا الآراء فى ابطال امرك (حتى جاء الحق) والنصر والتأييد الالهى (وظهر امر الله) علا دينه (وهم كارهون) اى على رغم منهم والآيتان لتسلية الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين على تخلفهم وبيان ماثبطهم الله لاجله وكره انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لما فوت الرسول عليه الصلوة والسلام بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب عليه (ومنهم من يقول ائذن لى) فى القعود (ولا تفتنى) ولا توقعنى فى الفتنة اى العصيان والمخالفة بان لاتأذن لى وفيه اشعار بانه لانه لامحالة متخلف اذن له اولم يأذن اوفى الفتنة بسبب ضياع المال والعيال اذ لاكافل لهم بعدى اوفى الفتنة بنساء الروم لما روى ان جد بن قيس قال قد علمت الانصار انى مولع بالنساء فلاتفتنى ببنات الاصفر ولكنى اعينك بمالى فاتركنى (ألا فى الفتنة سقطوا) اى ان الفتنة هى التى سقطوا فيها وهى فتنة التخلف اوظهور النفاق لا مااحترزوا عنه (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) جامعة لهم يوم القيمة اوالآن لاحاطة اسبابها بهم (ان تصبك) فى بعض غزواتك (حسنة) ظفر وغنيمة (تسؤهم) لفرط حسدهم (وان تصبك) فى بعضها (مصيبة) كسر اوشدة كما اصاب يوم احد (يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل) تبجحوا بانصرافهم واستحمدوا آراءهم فى التخلف (ويتولوا) عن متحدثهم بذلك ومجتمعهم له اوعن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (وهم فرحون) مسرورون (قل لن يصيبنا الا ماكتب الله لنا) الا مااختصنا باثباته وايجابه من النصرة اوالشهادة اوماكتب لاجلنا فى اللوح المحفوظ

خليفة (فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون) فيها وهل تعتبرون بهم فتصدقوا رسلنا (واذا تتلى عليهم آياتنا) القرآن (بينات) ظاهرات حال (قال الذين لايرجون لقاءنا) لايخافون البعث (ائت بقرآن غيرهذا) ليس فيه عيب آلهتنا (او بدله) من تلقاء نفسك (قل) لهم (مايكون) ينبغى (لى ان ابدله من تلقاء) قبل (نفسى ان) ما (اتبع الا مايوحى الى انى اخاف ان عصيت ربى) بتبديله (عذاب يوم عظيم) هو يوم القيمة (قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولاادراكم) اعلمكم (به) ولا نافية عطف على ماقبله وفى قراءة بلام جواب لو اى لاعلمكم به على لسان غيرى (فقد لبثت) مكثت (فيكم عمرا) سنينا اربعين (من قبله) لااحدثكم بشئ (أفلا تعقلون) انه ليس من قبلى (فمن) اى لا احد (اظلم ممن افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك اليه (او كذب بآياته) القرآن (انه) اى الشان (لايفلح)

(لايتغير)

لايتغير بموافقتكم ومخالفتكم وقرئ هل يصيبنا وهل يصيبنا وهو من فيعل لامن فعل لانه من بنات الواو لقولهم صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشيء فيما قصد به وقيل من الصوب ﴿ هو مولانا ﴾ ناصرنا ومتولى امرنا ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ لان حقهم ان لايتوكلوا على غيره ﴿ قل هل تربصون بنا ﴾ تنتظرون بنا ﴿ الا احدى الحسنيين ﴾ الا احدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة ﴿ ونحن نتربص بكم ﴾ ايضا احدى السوءيين ﴿ ان يصيبكم الله بعذاب من عنده ﴾ بقارعة من السماء ﴿ او بايدينا ﴾ او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر ﴿ فتربصوا ﴾ ماهو عاقبتنا ﴿ انا معكم متربصون ﴾ ماهو عاقبتكم ﴿ قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم ﴾ امر فى معنى الخبر اى لن يتقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها وفائدته المبالغة فى تساوى الانفاقين فى عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب قول جد بن قيس واعينك بمالى ونفى القبل يحتمل امرين ان لايؤخذ منهم وان لايثابوا عليه وقوله ﴿ انكم كنتم قوما فاسقين ﴾ تعليل له على سبيل الاستئناف وما بعده بيان وتقرير له ﴿ وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ﴾ اى وما منهم قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرأ حمزة والكسائى ان يقبل بالياء لان تأنيث النفقات غير حقيقى وقرئ يقبل على ان الفعل لله ﴿ ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى ﴾ متثاقلين ﴿ ولا ينفقون الا وهم كارهون ﴾ لانهم لايرجون بهما ثوابا ولايخافون على تركهما عقابا ﴿ فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم ﴾ فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال ﴿ انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحيوة الدنيا ﴾ بسبب مايكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب ومايرون فيها من الشدائد والمصائب ﴿ وتزهق انفسهم وهم كافرون ﴾ فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر فى العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة ﴿ ويحلفون بالله انهم لمنكم ﴾ لمن جملة المسلمين ﴿ وما هم منكم ﴾ لكفر قلوبهم ﴿ ولكنهم قوم يفرقون ﴾ يخافون منكم ان تفعلوا بهم ماتفعلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية ﴿ لو يجدون ملجأ ﴾ حصنا يلجأون اليه ﴿ اومغارات ﴾ غيرانا ﴿ اومدخلا ﴾ نفقا ينجحرون فيه مفتعل من الدخول

يسعد ﴿ المجرمون ﴾ المشركون ﴿ ويعبدون من دون الله ﴾ اى غيره ﴿ مالا يضرهم ﴾ ان لم يعبدوه ﴿ ولا ينفعهم ﴾ ان عبدوه وهو الاصنام ﴿ ويقولون ﴾ عنها ﴿ هؤلاء شفعاؤنا عندالله قل ﴾ لهم ﴿ أتنبئون الله ﴾ تخبرونه ﴿ بما لايعلم فى السموات ولا فى الارض ﴾ استفهام انكار اذ لوكان له شريك لعلمه اذ لايخفى عليه شيء ﴿ سبحانه ﴾ تنزيهاله ﴿ وتعالى عما يشركون ﴾ ه معه ﴿ وماكان الناس الا امة واحدة ﴾ على دين واحد وهو الاسلام من لدن آدم الى نوح وقيل من عهد ابراهيم الى عمرو بن لحى ﴿ فاختلفوا ﴾ بان ثبت بعض وكفر بعض ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك ﴾ بتأخير الجزاء الى يوم القيمة ﴿ لقضى بينهم ﴾ اى الناس فى الدنيا ﴿ فيما فيه يختلفون ﴾ من الدين بتعذيب الكافرين ﴿ ويقولون ﴾ اى اهل مكة ﴿ لولا ﴾ هلا ﴿ انزل عليه ﴾ على محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ آية من ربه ﴾ كما كان للانبياء من الناقة والعصا واليد ﴿ فقل ﴾ لهم

وقرأ يعقوب مدخلا من دخل وقرئ مدخلا اى مكانا يدخلون فيه انفسهم ومتدخلا ومندخلا من تدخل واندخل (لولوا اليه) لاقبلوا نحوه (وهم يجمحون) يسرعون اسراعا لايردهم شئ كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة (ومنهم من يلزمك) يعيبك وقرأ ابن كثير يلامزك وقرأ يعقوب يلمزك بالضم (فى الصدقات) فى قسمها (فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذاهم يسخطون) قيل انها نزلت فى ابى الجواظ المنافق قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم فى رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل فى ابن ذى الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يارسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل واذا للمفاجأة نائب مناب الفاء الجزائية (ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله) مااعطاهم الرسول عليه السلام من الغنيمة او الصدقة وذكر الله للتعظيم والتنبيه على ان مافعله الرسول عليه الصلوة والسلام كان بأمره (وقالوا حسبنا الله) كفانا فضله (سيؤتينا الله من فضله) صدقة او غنيمة اخرى (ورسوله) فيؤتينا اكثر مما آتانا (انا الى الله راغبون) فى ان يغنينا من فضله والآية باسرها فى حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول عليه الصلوة والسلام فقال (انما الصدقات للفقراء والمساكين) اى الزكوة لهؤلاء المعدودين دون غيرهم وهو دليل على ان المراد باللمز لمزهم فى قسم الزكوات دون الغنائم والفقير من لامال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته من الفقار كأنه اصيب فقاره والمسكين من له مال او كسب لايكفيه من السكون كان العجز اسكنه ويدل عليه قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين وانه عليه السلام كان يسئل المسكنة ويتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله تعالى او مسكينا ذا متربة (والعاملين عليها) الساعين فى تحصيلها وجمعها (والمؤلفة قلوبهم) قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فيستألف قلوبهم او اشراف يترقب باعطائهم ومراعاتهم اسلام نظرائهم وقد اعطى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عيينة بن حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس لذلك وقيل اشراف يستألفون على ان يسلموا فانه عليه الصلوة والسلام كان يعطيهم والاصح انه كان يعطيهم من خمس الخمس

(انما الغيب) ماغاب عن العباد اى أمره (لله) ومنه الآيات فلايأتى بها الاهو وانما على التبليغ (فانتظروا) العذاب ان لم تؤمنوا (انى معكم من المنتظرين واذا اذقنا الناس) اى كفار مكة (رحمة) مطرا وخصبا (من بعد ضراء) بؤس وجدب (مستهم اذا لهم مكر فى آياتنا) بالاستهزاء والتكذيب (قل) لهم (الله أسرع مكرا) مجازاة (ان رسلنا) الحفظة (يكتبون ماتمكرون) بالتاء والياء (هو الذى يسيركم) وفى قراءة ينشركم (فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك) السفن (وجرين بهم) فيه التفات عن الخطاب (بريح طيبة) لينة (وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف) شديدة الهبوب تكسر كل شئ (وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم) اى هلكوا (دعوا الله مخلصين له الدين) الدعاء (لئن) لام قسم (أنجيتنا من هذه) الاهوال (لنكونن من

(الذى)

الذى كان خاص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشئ منها على قتال الكفار ومانعى الزكوة وقيل كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله واكثر اهله سقط (وفى الرقاب) وللصرف فى ذلك الرقاب بان يعاون المكاتب بشئ منها على اداء النجوم وقيل بان تبتاع الرقاب فتعتق وبه قال مالك واحمد او بان يفدى الاسارى والعدول عن اللام الى فى للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل للايذان بانهم احق بها (والغارمين) المديونين لانفسهم فى غير معصية اذا لم يكن لهم وفاء او لاصلاح ذات البين وان كانوا اغنياء لقوله عليه الصلوة والسلام لا تحل الصدقة لغنى الا لخمسة لغاز فى سبيل الله اولغارم اورجل اشتراها بماله اورجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين للغنى اولعامل عليها (وفى سبيل الله) وللصرف فى الجهاد بالانفاق على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل فى بناء القناطير والمصانع (وابن السبيل) المسافر المنقطع عن ماله (فريضة من الله) مصدر لما دل عليه الآية اى فرض لهم الصدقات فريضة او حال من الضمير المستكن فى للفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة (والله عليم حكيم) يضع الاشياء فى مواضعها وظاهر الآية يقتضى تخصيص استحقاق الزكوة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك واليه ذهب الشافعى رضى الله تعالى عنه وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين جواز صرفها الى صنف واحد وبه قال الائمة الثلاثة واختاره بعض اصحابنا وبه كان يفتى شيخى ووالدى رحمهما الله تعالى على ان الآية بيان ان الصدقة لا تخرج منهم لا لايجاب قسمها عليهم (ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو اذن) يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمى بالجارحة للمبالغة كأنه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمى الجاسوس عينا لذلك او اشتق له فعل من اذن اذنا اذا استمع كانف وشلل روى انهم قالوا محمد اذن سامعة نقول ماشئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول (قل اذن خير لكم) تصديق لهم بانه اذن ولكن لا على الوجه الذى ذموا به بل من حيث انه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله (يؤمن بالله) يصدق به لما قام عنده من الادلة (ويؤمن للمؤمنين) ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام

الشاكرين) الموحدين (فلما أنجاهم اذاهم يبغون فى الارض بغير الحق) بالشرك (يا أيها الناس انما بغيكم) ظلمكم (على أنفسكم) لان اثمه عليها هو (متاع الحيوة الدنيا) تمتعون بها قليلا (ثم الينا مرجعكم) بعد الموت (فننبئكم بما كنتم تعملون) فنجازيكم عليه وفى قراءة بنصب متاع أى تمتعون (انما مثل) صفة (الحيوة الدنيا كماء) مطر (انزلناه من السماء فاختلط به) بسببه (نبات الارض) واشتبك بعضه ببعض (مما يأكل الناس) من البر والشعير وغيرها (والانعام) من الكلأ (حتى اذا أخذت الارض زخرفها) بهجتها من النبات (وازينت) بالزهر وأصله تزينت أبدلت التاء زايا وأدغمت فى الزاى (وظن أهلها أنهم قادرون عليها) متمكنون من تحصيل ثمارها (أتاها أمرنا) قضاؤنا أو عذابنا (ليلا أو نهارا فجعلناها) أى زرعها (حصيدا) كالمحصود بالمناجل (كأن) مخففة أى كأنها (لم تغن) تكن (بالامس كذلك نفصل) نبين (الآيات

لقوم يتفكرون والله يدعو الى دارالسلام) أى السلامة وهى الجنة بالدعاء الى الايمان (ويهدى من يشاء) هدايته (الى صراط مستقيم) دين الاسلام (للذين احسنوا) بالايمان (الحسنى) الجنة (وزيادة) هى النظر اليه تعالى كما فى حديث مسلم (ولا يرهق) يغشى (وجوههم قتر) سواد (ولا ذلة) كآبة (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون والذين) عطف على للذين أحسنوا أى وللذين (كسبوا السيئات) عملوا الشرك (جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة مالهم من الله من) زائدة (عاصم) مانع (كأنما أغشيت) ألبست (وجوههم قطعا) بفتح الطاء جمع قطعة باسكانها أى جزأ (من الليل مظلما أولئك اصحاب النار هم فيها خالدون و) اذكر (يوم نحشرهم) أى الخلق (جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم) نصب بالزموا مقدرا (أنتم) تأكيد للضمير المستتر فى الفعل المقدر ليعطف عليه (وشركاؤكم) أى الاصنام

مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق فانه بمعنى التسليم وايمان الامان (ورحمة) اى وهو رحمة (للذين آمنوا منكم) لمن اظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على انه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير وقرئت بالنصب على انها علة فعل دل عليه اذن خير اى يأذن لكم رحمة وقرأ نافع اذن بالتخفيف فيهما وقرئ اذن خير على ان خير صفة له او خبر ثان (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم) بايذائه (يحلفون بالله لكم) على معاذيرهم فيما قالوا اوتخلفون (ليرضوكم) لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين (والله ورسوله احق ان يرضوه) احق بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين اولان الكلام فى ايذاء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وارضائه اولان التقدير والله احق ان يرضوه والرسول كذلك (ان كانوا مؤمنين) صدقاء (الم يعلموا انه) ان الشأن وقرئ بالتاء (من يحادد الله ورسوله) يشاقق الله مفاعلة من الحد (فان له نار جهنم خالدا فيها) على حذف الخبر اى فحق ان له اوعلى تكرير ان للتأكيد ويحتمل ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك وقرئ فان له بالكسر (ذلك الخزى العظيم) يعنى الاهلاك الدائم (يحذر المنافقون ان تنزل عليهم) على المؤمنين (سورة تنبئهم بما فى قلوبهم) وتهتك عليهم استارهم ويجوز ان تكون الضمائر للمنافقين فان النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقروء ومحتج به عليهم وذلك يدل على ترددهم ايضا فى كفرهم وانهم لم يكونوا على بت فى امر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بشئ وقيل انه خبر فى معنى الامر وقيل كانوا يقولون فيما بينهم استهزاء لقوله (قل استهزؤا ان الله مخرج) مبرزا ومظهر (ماتحذرون) اى ماتحذرونه من انزال السورة فيكم او ماتحذرون اظهاره من مساويكم (ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب) روى ان ركب المنافقين مروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاخبر الله تعالى به نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا فى شئ من امرك وامر اصحابك ولكن كنا فى شئ مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم

(تستهزؤن)

تستهزؤن) توبيخا على استهزائهم بمن لايصح الاستهزاء به والزاما للحجة عليهم ولايعبأ باعتذراهم الكاذب (لاتعتذروا) لاتشتغلوا باعتذراتكم فانها معلومة الكذب (قدكفرتم) قداظهرتم الكفر بايذاء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والطعن فيه (بعدايمانكم) بعد اظهاركم الايمان (ان يعف عن طائفة منكم) لتوبتهم واخلاصهم اولتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء (تعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين) مصرين على النفاق او مقدمين على الايذاء والاستهزاء وقرأ عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء فاعل فيهما وهوالله وان تعف بالتاء والبناء على المفعول ذهابا الى المعنى كأنه قال ان ترحم طائفة (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) اى متشابهة فى النفاق والبعد عن الايمان كأبعاض الشئ الواحد وقيل انه تكذيبهم فى حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وماهم منكم ومابعده كالدليل عليه فانه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهوقوله (يأمرون بالمنكر) بالكفر والمعاصى (وينهون عن المعروف) عن الايمان والطاعة (ويقبضون ايديهم) عن المبار وقبض اليد كناية عن الشح (نسوا الله) اغفلوا ذكرالله وتركوا طاعته (فنسيهم) فتركهم من فضله ولطفه (ان المنافقين هم الفاسقون) الكاملون فى التمرد والفسوق عن دائرة الخير (وعدالله المنافقين والمنافقات والكفار نارجهنم خالدين فيها) مقدرين الخلود (هى حسبهم) عقاباوجزاءوفيه دليل على عظم عذابها (ولعنهم الله) ابعدهم من رحمته وأهانهم (ولهم عذاب مقيم) لاينقطع والمراد به ماوعدوه اومايقاسونه من تعب النفاق (كالذين من قبلكم) اى انتم مثل الذين او فعلتم مثل مافعل الذين من قبلكم (كانوا اشد منكم قوة واكثراموالا واولادا) بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم (فاستمتعوا بخلاقهم) نصيبهم من ملاذالدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فانه ماقدر لصاحبه (فاستمتعتم بخلاقكم كمااستمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من الشهوات الفانية والتهائهم بهاعن النظر فى العاقبة والسعى فى تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء أثرهم (وخضتم) ودخلتم فى الباطل (كالذى خاضوا) كالذين خاضوا اوكالفوج الذى خاضوا اوكالخوض الذى خاضوه (اولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة) لم يستحقوا عليها

(فزيلنا) ميزنا (بينهم) وبين المؤمنين كمافى آية وامتازوا اليوم أيها المجرمون (وقال) لهم (شركاؤهم ماكنتم ايانا تعبدون) ما نافية وقدم المفعول للفاصلة (فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان) مخففة أى انا (كنا عن عبادتكم لغافلين هنالك) أى ذلك اليوم (تبلو) من البلوى وفى قراءة بتاءين من التلاوة (كل نفس مااسلفت) قدمت من العمل (وردوا الى الله مولاهم الحق) الثابت الدائم (وضل) غاب (عنهم ماكانوا يفترون) عليه من الشركاء (قل) لهم (من يرزقكم من السماء) بالمطر (والارض) بالنبات (أمن يملك السمع) بمعنى الاسماع أى خلقها (والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الامر) بين الخلائق (فسيقولون) هو (الله فقل) لهم (أفلا تتقون) ه فتؤمنون (فذلكم) الفعال لهذه الاشياء (الله ربكم الحق) الثابت (فماذا بعد الحق الا الضلال) استفهام تقرير أى ليس بعده غيره فمن أخطأ

ثوابا في الدارين (واولئك هم الخاسرون) الذين خسروا في الدنيا والآخرة (الم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح) اغرقوا بالطوفان (وعاد) اهلكوا بالريح (وثمود) اهلكوا بالرجفة (وقوم ابراهيم) اهلك نمرود ببعوض واهلك اصحابه (واصحاب مدين) واهل مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة (والمؤتفكات) قريات قوم لوط ائتفكت بهم اى انقلبت بهم فصارت عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين المتمردين وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر (اتتهم رسلهم) يعنى الكل (بالبينات فما كان الله ليظلمهم) اى لم يكن من عادته مايشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض) فى مقابلة قوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض (يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله) فى سائر الامور (اولئك سيرحمهم الله) لامحالة فان السين مؤكدة للوقوع (ان الله عزيز) غالب على كل شئ لايمتنع عليه مايريده (حكيم) يضع الاشياء مواضعها (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة) تستطيبها النفس اويطيب فيها العيش وفى الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر (فى جنات عدن) اقامة وخلود وعنه عليه الصلوة والسلام عدن دار الله التى لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لايسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل ان يكون الى تعدد الموعود لكل واحد اوللجميع على سبيل التوزيع اوالى تغاير وصفه وكأنه وصفه اولا بانه من جنس ما هو ابهى الاماكن التى يعرفونها لتميل اليه طباعهم اول مايقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التى لاتخلو عن شئ منها اماكن الدنيا وفيها ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات فى جوار العليين لايعتريهم فيها فناء ولاتغير ثم وعدهم بما هو اكبر من ذلك فقال (ورضوان من الله اكبر) لانه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدى الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه عليه الصلوة والسلام ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ومالنا لانرضى وقد اعطيتنا

الحق وهو عبادة الله وقع فى الضلال (فأنى) كيف (تصرفون) عن الايمان مع قيام البرهان (كذلك) كما صرف هؤلاء عن الايمان (حقت كلمة ربك على الذين فسقوا) كفروا وهى لأملأن جهنم الآية أوهى (أنهم لايؤمنون قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون) تصرفون عن عبادته مع قيام الدليل (قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق) بنصب الحجج وخلق الاهتداء (قل الله يهدى للحق افمن يهدى الى الحق) وهو الله (احق ان يتبع أمن لايهدى) يهتدى (الا أن يهدى) أحق أن يتبع استفهام تقرير وتوبيخ أى الاول أحق (فمالكم كيف تحكمون) هذا الحكم الفاسد من اتباع مالايحق اتباعه (ومايتبع اكثرهم) فى عبادة الاصنام (الاظنا) حيث قلدوا فيه آباءهم (ان الظن لايغنى من الحق شيئا) فيما المطلوب منه العلم (ان الله عليم بما يفعلون)

مالم تعط احــدا من خلقك فيقول انا اعطيــكم افضــل من ذلك قالوا
واى شيء افضل من ذلك فيقول احل عليكم رضوانى فلااسخط عليكم
ابدا (ذلك) اى الرضوان اوجميع ماتقدم (هو الفوز العظيم) الذى
يستحقر دونه الدنيا ومافيها (ياايها النبى جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين)
بالزام الحجة واقام الحدود (واغلظ عليهم) فى ذلك ولاتحابهم (ومأواهم
جهنم وبئس المصير) مصيرهم (يحلفون بالله ماقالوا) روى انه عليــه
الصلوة والسلام اقام فى غزوة تبوك شهرين ينزل عليــه القرآن ويعيب
المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان مايقول محمد لاخواننا حقالنحن
شر من الحمير فبلغ رسول الله صلى الله تعــالى عليه وسلم فاستحضره فحلف
بالله ماقاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته (ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا
بعد اسلامهم) واظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام (وهموا بمــالم ينالوا)
من قتل الرسول وهو ان خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك
ان يدفعوه عن ظهر راحلته الى الوادى اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن
ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفهــا يسوقهــا فبينــاهما كذلك
اذسمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح فقــال اليكم اليكم
ياأعداءالله فهربوا اواخراجه واخراج المؤمنين من المدينة اوبان يتوجوا
عبدالله بن ابى وان لم يرض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ومانقموا)
وماانكروا اوماوجدوا مايورث نقمتهم (الاان اغناهم الله ورسوله من فضله)
فان اكثر اهل المدينة كانوا محاويج فى ضنك من العيش فلماقدمهم رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم اثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم بديته اثنى عشر الف درهم فاستغنى والاستثنــاء
مفرغ من اعم المفاعيل اوالعلل (فان يتوبوا يك خيرا لهم) هوالذى حمل
الجلاس على التوبة والضمير فى يك للتوب (وان يتولوا) بالاصرار على النفاق
(يعذبهم الله عذابا اليما فى الدنيا والآخرة) بالقتل والنار (ومالهم فى الارض
من ولى ولانصير) فينجيهم من العذاب (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا
من فضله لنصدقن ولنكونن من الصــالحين) نزلت فى ثعلبة بن حاطب اتى
رسول الله صلى الله تعــالى عليه وسلم وقال ادع الله ان يرزقنى مالافقــال
عليــه الصلوة والسلام ياثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لاتطيقه
فراجعــه وقال والذى بعثك بالحق لئن رزقنى الله مالا لاعطين كل ذى

فيجازيهم عليه (وماكان هذ
القرآن أن يفترى) أى افتراء
(من دون الله) اى غيره
(ولكن) انزل (تصديق الذى
بين يديه) من الكتب (وتفصيل
الكتاب) تبيين ما كتبه الله
من الاحكام وغيرها (لاريب)
شك (فيه من رب العالمين)
متعلق بتصــديق اوبانزل
المحــذوف وقرئ برفع
تصديق وتفصيل بتقدير هو
(أم) بل أ (يقولون افتراه)
اختلقه محمد (قل فاتوا بسورة
مثله) فى الفصــاحة والبلاغة
على وجه الافتراء فانكــم
عربيون فصحاء مثلى (وادعوا)
للاعانة عليــه (من استطعتم
من دون الله) اى غيره (ان
كنتم صادقين) فى انه افتراء
فلم يقــدروا على ذلك قال
تعــالى (بل كذبوا بمــا
لم يحيطوا بعلمه) اى القرآن
ولم يتدبروه (ولما) لم (يأتهم
تأويله) عاقبة مافيه من الوعيد
(كذلك) التكذيب (كذب
الذين من قبلهم) رسلهم
(فانظر كيف كان عاقبــة
الظالمين) بتكذيب الرسل
اى آخر أمرهم من الهلاك
فكذلك نهلك هؤلاء (ومنهم)

اى أهل مكة (من يؤمن به) لعلم الله ذلك منه (ومنهم من لا يؤمن به) أبدا (وربك أعلم بالمفسدين) تهديد لهم (وان كذبوك فقل) لهم (لى عملى ولكم عملكم) أى لكل جزاء عمله (أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون) وهذا منسوخ بآية السيف (ومنهم من يستمعون اليك) اذا قرأت القرآن (أفأنت تسمع الصم) شبههم بهم فى عدم الانتفاع بمايتلى عليهم (ولو كانوا) مع الصمم (لا يعقلون) يتدبرون (ومنهم من ينظر اليك أفأنت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون) شبههم بهم فى عدم الاهتداء بل أعظم فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور (ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون ويوم نحشرهم كأن) أى كأنهم (لم يلبثوا) فى الدنيا أو القبور (الا ساعة من النهار) لهول مارأوا وجملة التشبيه حال من الضمير (يتعارفون بينهم) يعرف بعضهم بعضا اذا بعثوا

حق حقه فدعاله فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه وادفقال ياويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه الكتاب الذى فيه الفرائض فقال ماهذه الاجزية ماهذه الااخت الجزية فارجعا حتى ارى رأيى فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله منعنى ان اقبل منك فجعل التراب يحثو على رأسه فقال هذا جزاء عملك قدامرتك فلم تعطنى فقبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجاءبها الى ابى بكر رضى الله تعالى عنه فلم يقبلها ثم جاءبها الى عمر فى خلافته فلم يقبلها وهلك فى زمان عثمان رضى الله عنه (فلما آتيهم من فضله بخلوا به) منعوا حق الله منه (وتولوا) عن طاعة الله (وهم معرضون) وهم قوم عادتهم الاعراض عنها (فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم) اى فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد فى قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى فاورثهم البخل نفاقا متمكنا فى قلوبهم (الى يوم يلقونه) يلقون الله بالموت او يلقون عمله اى جزاءه وهو يوم القيمة (بما اخلفوا الله ماوعدوه) بسبب اخلافهم ماوعدوه من التصدق والصلاح (وبما كانوا يكذبون) وبكونهم كاذبين فيه وان خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من الوجهين اوالمقال مطلقا وقرئ يكذبون بالتشديد (الم يعلموا) اى المنافقون او من عاهد الله وقرئ بالتاء على الالتفات (ان الله يعلم سرهم) ماأسروه فى انفسهم من النفاق اوالعزم على الاخلاف (ونجواهم) ومايتناجون به فيما بينهم من المطاعن اوتسمية الزكوة جزية (وان الله علام الغيوب) فلا يخفى عليه ذلك (الذين يلمزون) ذم مرفوع اومنصوب اوبدل من الضمير فى سرهم وقرئ يلمزون بالضم (المطوعين) المتطوعين (من المومنين فى الصدقات) روى انه عليه السلام حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال كان لى ثمانية آلاف فاقرضت ربى اربعة وامسكت لعيالى اربعة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله له حتى صولحت احدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم وتصدق

وتصدق عاصم بن عدى بمائة وسق تمر وجاء ابوعقيل الانصارى بصاع فقال بت ليلتى اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالى وجئت بصاع فأمره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبدالرحمن وعاصم الارياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابى عقيل ولكنه احب ان يذكره بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت (والذين لايجدون الا جهدهم) الا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد فى الامر اذا بالغ فيه (فيسخرون منهم) يستهزؤن بهم (سخر الله منهم) جازاهم على سخريتهم كقوله تعالى الله يستهزئ بهم (ولهم عذاب اليم) على كفرهم (استغفر لهم اولاتستغفر لهم) يريد به التساوى بين الامرين فى عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله (ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) روى ان عبد الله بن ابى وكان من المخلصين سأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مرض ابيه ان يستغفر له ففعل فنزلت فقال عليه الصلوة والسلام لأزيدن على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه عليه الصلوة والسلام فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ماوراءه فبين له ان المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها فى التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكأنه العدد باسره (ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله) اشارة الى ان اليأس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولاقصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها (والله لايهدى القوم الفاسقين) المتمردين فى كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك فى كفره المطبوع عليه لاينقلع ولايهتدى والتنبيه على عذر الرسول فى استغفاره وهو عدم يأسه عن ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله تعالى ما كان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولوكانوا اولى قربى من بعد ماتبين لهم انهم اصحاب الجحيم (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله) بقعودهم عن الغز وخلفه يقال اقام خلاف الحى اى بعدهم ويجوز أن يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة اوالحال

ثم ينقطع التعارف لشدة الاهوال والجملة حال مقدرة اومتعلق الظرف (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) بالبعث (وما كانوا مهتدين واما) فيه ادغام نون ان الشرطية فى ما المزيدة (نرينك بعض الذى نعدهم) به من العذاب فى حيوتك وجواب الشرط محذوف اى فذاك (اونتوفينك) قبل تعذيبهم (فالينا مرجعهم ثم الله شهيد) مطلع (على مايفعلون) من تكذيبهم وكفرهم فيعذبهم اشد العذاب (ولكل امة) من الامم (رسول فاذا جاء رسولهم) اليهم فكذبوه (قضى بينهم بالقسط) بالعدل فيعذبوا وينجى الرسول ومن صدقه (وهم لايظلمون) بتعذيبهم بغير جرم فكذلك نفعل بهؤلاء (ويقولون متى هذا الوعد) بالعذاب (ان كنتم صادقين) فيه (قل لااملك لنفسى ضرا) ادفعه (ولانفعا) اجلبه (الاماشاء الله) ان يقدرنى عليه فكيف املك لكم حلول العذاب (لكل امة اجل) مدة معلومة لهلاكهم (اذاجاء اجلهم

﴿ وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله ﴾ ايثارا للدعة والخفض على طاعة الله فيه وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا عليهما تحصيل رضاه ببذل الاموال والمهج ﴿ وقالوا لاتنفروا فى الحر ﴾ اى قاله بعضهم لبعض اوقالوه للمؤمنين تثبيطا ﴿ قل نار جهنم اشد حرا ﴾ وقد آثرتموها بهذه المخالفة ﴿ لوكانوا يفقهون ﴾ ان مآبهم اليها اوانها كيف هى مااختاروها بايثار الدعة على الطاعة ﴿ فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون ﴾ اخبار عما يؤل اليه حالهم فى الدنيا والآخرة اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ويجوز ان يكون الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم ﴿ فان رجعك الله الى طائفة منهم ﴾ فان ردك الله الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعنى منافقيهم فان كلهم لم يكونوا منافقين اومن بقى منهم وكان المتخلفون اثنى عشر رجلا ﴿ فاستأذنوك للخروج ﴾ الى غزوة اخرى بعد تبوك ﴿ فقل لن تخرجوا معى ابدا ولن تقاتلوا معى عدوا ﴾ اخبار فى معنى النهى للمبالغة ﴿ انكم رضيتم بالقعود اول مرة ﴾ تعليل له وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم واول مرة هى الخرجة الى غزوة تبوك ﴿ فاقعدوا مع الخالفين ﴾ اى المتخلفين لعدم طاقتهم للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ مع الخلفين على قصر الخالفين ﴿ ولاتصل على احد منهم مات ابدا ﴾ روى ان ابن ابى دعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مرضه فلما دخل عليه سأله ان يستغفر له ويكفنه فى شعاره الذى يلى جسده ويصلى عليه فلما مات ارسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلى عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم نزلت وانما لم ينه عن التكفين فى قميصه ونهى عن الصلوة عليه لان الضنة بالقميص كانت مخلة بالكرم ولانه كان مكافاة لالباسه العباس قميصه حين اسر ببدر والمراد من الصلوة الدعاء للميت والاستغفار له وهو ممنوع فى حق الكفار ولذلك رتب النهى على قوله مات ابدا يعنى الموت على الكفر فان احياء الكافر للتعذيب دون التمتع فكأنه لم يحى ﴿ ولاتقم على قبره ﴾ ولاتقف عند قبره للدفن اوالزيارة ﴿ انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴾ تعليل للنهى اولتأبيد الموت ﴿ ولاتعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون ﴾ تكرير للتأكيد والامر حقيق به فان الابصار طامحة الى الاموال

فلايستأخرون) يتأخرون عنه (ساعة ولايستقدمون) يتقدمون عليه (قل أرأيتم) أخبرونى (ان أتاكم عذابه) أى الله (بياتا) ليلا (أو نهارا ماذا) أى شئ (يستعجل منه) أى العذاب (المجرمون) المشركون فيه وضع الظاهر موضع المضمر وجملة الاستفهام جواب الشرط كقولك اذا أتيتك ماذا تعطينى والمراد به التهويل اى ماأعظم مااستعجلوه (اثم اذا ماوقع) حل بكم (آمنتم به) اى الله او العذاب عند نزوله والهمزة لانكار التأخير فلايقبل منكم ويقال لكم (آلآن) تؤمنون (وقد كنتم به تستعجلون) استهزاء (ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد) اى الذى تخلدون فيه (هل) ما (تجزون الا) جزاء (بما كنتم تكسبون ويستنبئونك) يستخبرونك (احق هو) اى ماوعدتنا به من العذاب والبعث (قل اى) نعم (وربى انه لحق وماأنتم بمعجزين)

(والاولاد)

والاولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز ان يكون هذه فى فريق غير الاول
(واذا انزلت سورة) من القرآن ويجوز ان يراد بها بعضها (ان آمنوا
بالله) بان آمنوا بالله ويجوز ان تكون ان المفسرة (وجاهدوا مع رسوله
استأذنك اولوا الطول منهم) ذووالفضل والسعة (وقالوا ذرنا نكن
مع القاعدين) الذين قعدوا لعذر (رضوا بان يكونوا مع الخوالف)
مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذى لاخير فيه (وطبع على قلوبهم
فهم لايفقهون) مافى الجهاد وموافقة الرسول من السعادة ومافى التخلف
عنه من الشقاوة (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم
وانفسهم) اى ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم
(واولئك لهم الخيرات) منافع الدارين النصر والغنيمة فى الدنيا والجنة
والكرامة فى الآخرة وقيل الحور لقوله تعالى فيهن خيرات حسان وهى
جمع خيرة تخفيف خيرة (واولئك هم المفلحون) الفائزون بالمطالب (اعدالله
لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) بيان
لمالهم من الخيرات الاخروية (وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم) يعنى
اسداوغطفان استأذنوا فى التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم
رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت طى على اهالينا ومواشينا
والمعذر امامن عذر فى الامر اذاقصر فيه موهما ان له عذرا ولاعذر له اومن
اعتذر اذامهد العذر بادغام التاء فى الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز كسر العين
لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرأ بهما وقرأ يعقوب معذرون من اعذر
اذا اجتهد فى العذر وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال على انه من تعذر بمعنى
اعتذر وهو لحن اذالتاء لاتدغم فى العين وقد اختلف فى انهم كانوا معتذرين
بالتصنع اوبالصحة فيكون قوله (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) فى غيرهم
وهم منافقوا الاعراب كذبوا الله ورسوله فى ادعاء الايمان وان كانوا
هم الاولين فكذبهم بالاعتذار (سيصيب الذين كفروا منهم) من الاعراب
اومن المعذرين فان منهم من اعتذر لكسله لالكفره (عذاب اليم) بالقتل
والنار (ليس على الضعفاء ولا على المرضى) كالهرمى والزمنى (ولا على
الذين لايجدون ماينفقون) لفقرهم كجهينة ومزينة وبنى عذرة (حرج)
اثم فى التأخر (اذا نصحوا لله ورسوله) بالايمان والطاعة فى السر والعلانية
كما يفعل المولى الناصح اوبما قدروا عليه فعلا اوقولا يعود على الاسلام

بفائتين العذاب (ولو
ان لكل نفس ظلمت)
كفرت (ما فى الارض)
جميعا من الاموال (لافتدت
به) من العذاب يوم القيمة
(واسروا الندامة) على ترك
الايمان (لما رأوا العذاب)
اى اخفاها رؤساؤهم
عن الضعفاء الذين اضلوهم
مخافة التعيير (وقضى
بينهم) بين الخلائق
(بالقسط) بالعدل (وهم
لايظلمون) شيئا (الاان لله
ما فى السموات والارض
الاان وعدالله) بالبعث والجزاء
(حق) ثابت (ولكن اكثرهم)
اى الناس (لايعلمون) ذلك
(هو يحيى ويميت واليه
ترجعون) فى الآخرة فيجازيكم
باعمالكم (ياايها الناس)
اى اهل مكة (قدجاءتكم
موعظة من ربكم)
كتاب فيه مالكم وعليكم
وهو القرآن (وشفاء)
دواء (لما فى الصدور)
من العقائد الفاسدة والشكوك
(وهدى) من الضلال (ورحمة
للمؤمنين) به (قل بفضل الله)

الاسلام (وبرحمته) القرآن (فبذلك) الفضل والرحمة (فليفرحوا هو خير مما يجمعون) من الدنيا بالياء والتاء (قل ارأيتم) اخبرونى (ما انزل الله) خلق (لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا) كالبحيرة والسائبة والميتة (قل آلله اذن لكم) فى ذلك التحريم والتحليل لا (ام) بل (على الله تفترون) تكذبون بنسبة ذلك اليه (وماظن الذين يفترون على الله الكذب) اى اى شئ ظنهم به (يوم القيمة) ايحسبون انه لا يعاقبهم لا (ان الله لذو فضل على الناس) بامهالهم والانعام عليهم (ولكن اكثرهم لا يشكرون وماتكون) يامحمد (فى شأن) امر (وماتتلو منه) اى من الشأن او الله (من قرآن) انزله عليك (ولا تعملون) خاطبه وامته (من عمل الا كنا عليكم شهودا) رقباء (اذ تفيضون) تأخذون (فيه) اى العمل (ومايعزب) يغيب (عن ربك من مثقال) وزن (ذرة)

والمسلمين بالصلاح (ماعلى المحسنين من سبيل) اى ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون فى سلك المحسنين غير معاتبين لذلك (والله غفور رحيم) لهم او للمسىء فكيف المحسن (ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم) عطف على الضعفاء او على المحسنين وهم البكاؤن سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبدالله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن عنمة وعبدالله بن مغفل وعلية بن زيد اتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقالوا نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال عليه السلام لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى واصحابه (قلت لا اجد ما احملكم عليه) حال من الكاف فى اتوك باضمار قد (تولوا) جواب اذا (واعينهم تفيض) تسيل (من الدمع) اى دمعها فان من للبيان وهى مع المجرور فى محل النصب على التمييز وهو ابلغ من تفيض دمعها لانه يدل على ان العين صارت دمعا فياضا (حزنا) نصب على العلة او الحال او المصدر لفعل دل عليه ماقبله (ان لا يجدوا) اى لئلا يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض (ماينفقون) فى مغزاهم (انما السبيل) بالمعاتبة (على الذين يستأذنونك وهم اغنياء) واجدون للاهبة (رضوا بان يكونوا مع الخوالف) استئناف ببيان ماهو السبب لاستيذانهم من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة والانتظام فى جملة الخوالف ايثارا للدعة (وطبع الله على قلوبهم) حتى غفلوا عن وخامة العاقبة (فهم لا يعلمون) مغبتة (يعتذرون اليكم) فى التخلف (اذا رجعتم اليهم) من هذه السفرة (قل لا تعتذروا) بالمعاذير الكاذبة لانه (لن نؤمن لكم) لن نصدقكم لانه (قد نبأنا الله من اخباركم) اعلمنا بالوحى الى نبيه بعض اخباركم وهو مافى ضمائركم من الشر والفساد (وسيرى الله عملكم ورسوله) اتتوبون عن الكفر ام تثبتون عليه فكأنه استتابة وامهال للتوبة (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة) اى اليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على انه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شئ من ضمائرهم واعمالهم (فينبئكم بما كنتم تعملون) بالتوبيخ والعقاب عليه (سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم) فلا تعاتبوهم (فاعرضوا عنهم) ولا توبخوهم (انهم رجس) لا ينفع فيهم التأنيب فان المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا تقبل

(التطهير)

التطهير فهو علة الاعراض وترك المعاتبة (ومأواهم جهنم) من تمام التعليل وكأنه قال انهم ارجاس من اهل النار لاينفع فيهم التوبيخ فى الدنيا والآخرة اوتعليل ثان والمعنى ان النار كفتهم عقابا فلاتتكلفوا عتابهم (جزاء بما كانوا يكسبون) يجوز ان يكون مصدرا وان يكون علة (يحلفون لكم لترضوا عنهم) بحلفهم فيستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم (فان ترضوا عنهم فان الله لايرضى عن القوم الفاسقين) اى فان رضاكم لايستلزم رضى الله ورضاكم وحدكم لاينفعهم اذا كانوا فى سخط الله وبصدد عقابه اوان امكنهم ان يلبسوا عليكم لايمكنهم ان يلبسوا على الله فلايهتك سترهم وينزل الهوان بهم والمقصود من الآية النهى عن الرضى عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم (الاعراب) اهل البدو (اشد كفرا ونفاقا) من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم للكتاب والسنة (واجدر ان لايعلموا) واحق بان لايعلموا (حدود ما انزل الله على رسوله) من الشرائع فرائضها وسننها (والله عليم) يعلم حال كل واحد من اهل الوبر والمدر (حكيم) فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا (ومن الاعراب من يتخذ) يعد (ماينفق) يصرفه فى سبيل الله ويتصدق به (مغرما) غرامة وخسرانا اذ لايحتسبه عند الله ولايرجو عليه ثوابا وانما ينفق رياء اوتقية (ويتربص بكم الدوائر) دوائر الزمان ونوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق (عليهم دائرة السوء) اعتراض بالدعاء عليهم بنحو مايتربصونه اوالاخبار عن وقوع مايتربصون عليهم والدائرة فى الاصل مصدر اواسم فاعل من دار يدور وسمى بها عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه للمبالغة كقولك رجل صدق وقرأ ابو عمرو وابن كثير السوء هنا وفى الفتح بضم السين (والله سميع) لما يقولون عند الانفاق (عليم) بما يضمرون (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ماينفق قربات عند الله) سبب قربات وهى ثان مفعولى يتخذ وعند الله صفتها اوظرف ليتخذ (وصلوات الرسول) وسبب صلواته لانه عليه الصلوة والسلام كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سن للمتصدق عليه ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلى عليه كما قال عليه الصلوة والسلام اللهم صل على آل ابى اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره (الا انها قربة لهم) شهادة من الله

أصغر نملة (فى الارض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين) بين هو اللوح المحفوظ (ألا ان أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون) فى الآخرة هم (الذين آمنوا وكانوا يتقون) الله بامتثال أمره ونهيه (لهم البشرى فى الحيوة الدنيا) فسرت فى حديث صححه الحاكم بالرؤيا الصالحة يراها الرجل أوترى له (وفى الآخرة) بالجنة والثواب (لاتبديل لكلمات الله) لاخلف لمواعيده (ذلك) المذكور (هو الفوز العظيم ولايحزنك قولهم) لك لست مرسلا وغيره (ان) استئناف (العزة) القوة (لله جميعا هو السميع) للقول (العليم) بالفعل فيجازيهم وينصرك (ألا ان لله من فى السموات ومن فى الارض) عبيدا وملكا وخلقا (ومايتبع الذين يدعون) يعبدون (من دون الله) أى غيره أصناما (شركاء) له على الحقيقة

بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستئناف مع حرف التنبيه وان المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم وقرأ ورش بضم الراء (سيدخلهم الله فى رحمته) وعدلهم باحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه وقوله (ان الله غفور رحيم) لتقريره قيل الاولى فى اسد وغطفان وبنى تميم والثانية فى عبد الله ذى البجادين وقومه (والسابقون الاولون من المهاجرين) هم الذين صلوا الى القبلتين أو الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة (والانصار) اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون (والذين اتبعوهم باحسان) اللاحقون بالسابقين من القبيلتين او من الذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيمة (رضى الله عنهم) بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم (ورضوا عنه) بما نالوا من النعمة الدينية والدنيوية (واعد لهم جنات تجرى من تحتها الانهار) وقرأ ابن كثير من تحتها كما هو فى سائر المواضع (خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم) اى وممن حول بلدتكم يعنى المدينة (من الاعراب منافقون) وهم من جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار وكانوا نازلين حولها (ومن اهل المدينة) عطف على ممن حولكم او خبر لمحذوف صفته (مردوا على النفاق) ونظيره فى حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه قوله * انا ابن جلا وطلاع الثنايا * وعلى الاول صفة للمنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر او كلام مبتدأ لبيان تمرنهم وتمهرهم فى النفاق (لا تعلمهم) لا تعرفهم باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم فى تحامى مواقع التهم الى حد اخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك (نحن نعلمهم) ونطلع على اسرارهم ان قدروا ان يلبسوا عليك لم يقدروا ان يلبسوا علينا (سنعذبهم مرتين) بالفضيحة والقتل او باحدها وعذاب القبر او باخذ الزكوة ونهك الابدان (ثم يردون الى عذاب عظيم) الى عذاب النار (وآخرون اعترفوا بذنوبهم) ولم يعتذروا عن تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سوارى المسجد لما بلغهم ما نزل فى المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم (خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) خلطوا

(العمل)

تعالى عن ذلك (ان) ما (يتبعون) فى ذلك (الا الظن) أى ظنهم أنها آلهة تشفع لهم (وان) ما (هم الا يخرصون) يكذبون فى ذلك (هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) اسناد الابصار اليه مجاز لانه يبصر فيه (ان فى ذلك لآيات) دلالات على وحدانيته تعالى (لقوم يسمعون) سماع تدبر واتعاظ (قالوا) أى اليهود والنصارى ومن زعم ان الملائكة بنات الله (اتخذ الله ولدا) قال تعالى لهم (سبحانه) تنزيها له عن الولد (هو الغنى) عن كل أحد وانما يطلب الولد من يحتاج اليه (له ما فى السموات وما فى الارض) ملكا وخلقا وعبيدا (ان) ما (عندكم من سلطان) حجة (بهذا) الذى تقولونه (اتقولون على الله ما لا تعلمون) استفهام توبيخ (قل ان الذين يفترون على الله الكذب) بنسبة الولد اليه (لا يفلحون) لا يسعدون

العمل الصالح الذى هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب بآخر سيئ هو التخلف وموافقة اهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كما فى قولهم بعت الشاء شاة ودرهما او للدلالة على ان كل واحد منهما مخلوط بالآخر (عسى الله ان يتوب عليهم) ان يقبل توبتهم وهى مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم (ان الله غفور رحيم) يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه (خذ من اموالهم صدقة) روى انهم لما اطلقوا قالوا يارسول الله هذه اموالنا التى خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت (تطهرهم) من الذنوب اوحب المال المؤدى بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر (وتزكيهم بها) وتنمى بها حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين (وصل عليهم) واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم (ان صلواتك سكن لهم) تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالتوحيد (والله سميع) باعترافهم (عليم) بندامتهم (الم يعلموا) الضمير اما للمتوب عليهم والمراد ان يمكن فى قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم والمراد به التحضيض عليهما (ان الله هو يقبل التوبة عن عباده) اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز (ويأخذ الصدقات) يقبلها قبول من يأخذ شيئا ليؤدى بدله (وان الله هو التواب الرحيم) وان من شانه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم (وقل اعملوا) ماشئتم (فسيرى الله عملكم) فانه لايخفى عليه خيرا كان او شرا (ورسوله والمؤمنون) فانه تعالى لايخفى عنهم كما رأيتم وتبين لكم (وستردون الى عالم الغيب والشهادة) بالموت (فينبئكم بما كنتم تعملون) بالمجازاة عليه (وآخرون) من المتخلفين (مرجؤن) مؤخرون اى موقوف امرهم من ارجأته اذا اخرته وقرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص مرجون بالواو وهما لغتان (لامر الله) فى شأنهم (اما يعذبهم) ان اصروا على النفاق (واما يتوب عليهم) ان تابوا والترديد للعباد وفيه دليل على ان كلا الامرين بارادة الله تعالى (والله عليم) باحوالهم (حكيم) فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه ان لايسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما رأوا ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا امرهم الى الله

لهم (متاع) قليل (فى الدنيا) يتمتعون به مدة حيوتهم (ثم الينا مرجعهم) بالموت (ثم نذيقهم العذاب الشديد) بعد الموت (بما كانوا يكفرون واتل) يامحمد (عليهم) اى كفار مكة (نبأ) خبر (نوح) ويبدل منه (اذ قال لقومه ياقوم ان كان كبر) شق (عليكم مقامى) لبثى فيكم (وتذكيرى) وعظى اياكم (بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم) اعزموا على أمر تفعلونه بى (وشركاءكم) الواو بمعنى مع (ثم لا يكن أمركم عليكم غمة) مستورا بل أظهروه وجاهرونى به (ثم اقضوا الى) امضوا فى ماأردتموه (ولاتنظرون) تمهلون فانى لست مباليا بكم (فان توليتم) عن تذكيرى (فماسألتكم من اجر) ثواب عليه فتولوا (ان) ما (اجرى) ثوابى (الاعلى الله وامرت أن أكون من المسلمين فكذبوه فنجيناه ومن معه فى الفلك) السفينة (وجعلناهم) أى من معه (خلائف) فى الارض

(واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) بالطوفان (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) من اهلاكهم فكذلك نفعل بمن كذبك (ثم بعثنا من بعده) أى نوح (رسلا الى قومهم) كابراهيم وهود وصالح (فجاؤهم بالبينات) المعجزات (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل) أى قبل بعث الرسل اليهم (كذلك نطبع) نختم (على قلوب المعتدين) فلا تقبل الايمان كما طبعنا على قلوب اولئك (ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملئه) قومه (بآياتنا) التسع (فاستكبروا) عن الايمان بها (وكانوا قوما مجرمين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين) بين ظاهر (قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم) انه لسحر (أسحر هذا) وقد أفلح من أتى به وأبطل سحر السحرة (ولا يفلح الساحرون) والاستفهام فى الموضعين للانكار (قالوا أجئتنا لتلفتنا) لتردنا (عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء) الملك

فرحمهم الله (والذين اتخذوا مسجدا) عطف على وآخرون مرجون او مبتدأ خبره محذوف اى فيمن وصفنا الذين اتخذوا او منصوب على الاختصاص وقرأ نافع وابن عامر بغير واو (ضرارا) مضارة للمؤمنين روى ان بنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يأتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يؤمهم فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما اتموه اتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا انا قد بنينا مسجدا لذى الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى نتخذه مصلى فاخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدى وعامر بن السكن والوحشى فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل واتخذ مكانه كناسة (وكفرا) وتقوية للكفر الذى يضمرونه (وتفريقا بين المؤمنين) يريد الذين كانوا يجتمعون للصلوة فى مسجد قباء (وارصادا) ترقبا (لمن حارب الله ورسوله من قبل) يعنى الراهب فانه قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين وانهزم مع هوازن وهرب الى الشام ليأتى من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام ومن قبل متعلق بحارب او باتخذوا اى اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف لما روى انه بنى قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يأتيه فقال انا على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت (وليحلفن ان اردنا الا الحسنى) ما اردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهى الصلوة والذكر والتوسعة على المصلين (والله يشهد انهم لكاذبون) فى حلفهم (لاتقم فيه ابدا) للصلوة (لمسجد اسس على التقوى) يعنى مسجد قباء اسسه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقباء من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق للقصة او مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقول ابى سعيد رضى الله تعالى عنه سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عنه فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة (من اول يوم) من ايام وجوده ومن يعم الزمان والمكان كقوله * لمن الديار بقنة الحجر * اقوين من حجج ومن دهر *

(احق ان تقوم فيه) اولى بان تصلى فيه (فيه رجال يحبون ان يتطهروا) من المعاصى والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله وقيل من الجنابة فلاينامون عليها (والله يحب المطهرين) يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه تعالى ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال عليه الصلوة والسلام امؤمنون انتم فسكتوا فاعادها فقال عمر انهم مؤمنون وانا معهم فقال عليه الصلوة والسلام اترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون فى الرخاء قالوا نعم قال عليه الصلوة والسلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يامعشر الانصار ان الله عزوجل قد أثنى عليكم فما الذى تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا رجال يحبون ان يتطهروا (افمن اسس بنيانه) بنيان دينه (على تقوى من الله ورضوان خير) على قاعدة محكمة هى التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة (ام من أسس بنيانه على شفا جرف هار) على قاعدة هى اضعف القواعد وارخاها (فانهار به فى نار جهنم) فأدى به لخوره وقلة استمساكه الى السقوط فى النار وانما وضع شفا الجرف وهو ماجرفه الوادى الهائر فى مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا عليه امر دينهم فى البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره به فى النار ووضعه فى مقابلة الرضوان تنبيها على ان تأسيس ذلك على امر يحفظه من النار ويوصله الى رضوان الله ومقتضياته التى الجنة ادناها وتأسيس هذا على ماهم بسببه على صدد الوقوع فى النار ساعة فساعة ثم ان مصيرهم الى النار لامحالة وقرأ نافع وابن عامر اسس على البناء للمفعول وقرئ اساس بنيانه واس بنيانه على الاضافة واسس وآساس بالفتح والمد واساس بالكسر وثلاثتها جمع اس وتقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق لاللتأنيث كتترى وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر جرف بالتخفيف (والله لايهدى القوم الظالمين) الى مافيه صلاحهم ونجاتهم (لايزال بنيانهم الذى بنوا) بناؤهم الذى بنوه مصدر اريد به المفعول وليس بجمع ولذلك قد تدخله التاء ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله (ريبة فى قلوبهم) اى شكا ونفاقا والمعنى ان بناءهم هذا لايزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم فانه حملهم على ذلك ثم لماهدمه الرسول صلى الله

(فى الارض) أرض مصر (ومانحن لكما بمؤمنين) مصدقين (وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم) فائق فى علم السحر (فلماجاء السحرة قال لهم موسى) بعدما قالوا له اما أن تلقى واما أن نكون نحن الملقين (ألقوا ماأنتم ملقون فلما ألقوا) حبالهم وعصيهم (قال موسى ما) استفهامية مبتدأ خبره (جئتم به السحر) بدل وفى قراءة بهمزة واحدة اخبار فما موصول مبتدأ (ان الله سيبطله) سيمحقه (ان الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق) يثبت ويظهر (الله الحق بكلماته) بمواعيده (ولو كره المجرمون فما آمن لموسى الا ذرية) طائفة (من) أولاد (قومه) أى فرعون (على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم)يصرفهم عن دينه بتعذيبه (وان فرعون لعال) متكبر (فى الارض) أرض مصر (وانه لمن المسرفين) المتجاوزين الحد بادعاء الربوبية (وقال موسى ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا

تعالى عليه وسلم رسخ ذلك فى قلوبهم وازداد بحيث لايزول وسمعه عن قلوبهم (الاان تقطع قلوبهم) قطعا بحيث لايبقى لها قابلية الادراك والاضمار وهو فى غاية المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطيع ماهو كائن بالقتل اوفى القبر اوفى النار وقيل التقطيع بالتوبة ندما واسفا وقرأ يعقوب الى بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع وهوقراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول اوكل مخاطب ولوقطعت على البناء للفاعل اوالمفعول (والله عليم) بنياتهم (حكيم) فيما امر بهدم بنائهم (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة) تمثيل لاثابة الله اياهم الجنة على بذل انفسهم واموالهم فى سبيله (يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون) استئناف ببيان مالاجله الشرى وقيل يقاتلون فى معنى الامر وقرأ حمزة والكسائى بتقديم المبنى للمفعول وقدعرفت ان الواو لاتوجب الترتيب وان فعل البعض قديسند الى الكل (وعدا عليه حقا) مصدر مؤكد لما دل عليه الشرى فانه فى معنى الوعد (فى التورية والانجيل والقرآن) مذكورا فيهما كما اثبت فى القرآن (ومن اوفى بعهده من الله) مبالغة فى الانجاز وتقرير لكونه حقا (فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به) فافرحوا به غاية الفرح فانه اوجب لكم عظائم المطالب كما قال (وذلك هو الفوز العظيم التائبون) رفع على المدح اى هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز ان يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله وكلا وعد الله الحسنى اوخبره مابعده اى التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح اوجرا صفة للمؤمنين (العابدون) الذين عبدوا الله مخلصين له (الحامدون) لنعمائه اولما نابهم من السراء والضراء (السائحون) الصائمون لقوله عليه الصلوة والسلام سياحة امتى الصوم شبه بها من حيث انه يعوق عن الشهوات اولانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت اوالسائحون للجهاد اولطلب العلم (الراكعون الساجدون) فى الصلوة (الآمرون بالمعروف) بالايمان والطاعة (والناهون عن المنكر) عن الشرك والمعاصى والعاطف فيه للدلالة على انه بما عطف عليه فى حكم خصلة واحدة كأنه قال الجامعون بين الوصفين

(وفى)

ان كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين) أى لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فيفتتنوا بنا (ونجنا برحمتك من القوم الكافرين وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوآ) اتخذا (لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة) مصلى تصلون فيه لتأمنوا من الخوف وكان فرعون منعهم من الصلوة (وأقيموا الصلوة) أتموها (وبشر المؤمنين) بالنصر والجنة (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاءه زينة وأموالا فى الحيوة الدنيا ربنا) آتيتهم ذلك (ليضلوا) فى عاقبته (عن سبيلك) دينك (ربنا اطمس على أموالهم) امسخها (واشدد على قلوبهم) أطبع عليها واستوثق (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) المؤلم دعا عليهم وأمن هرون على دعائه (قال) تعالى (قد أجيبت دعوتكما) فمسخت أموالهم حجارة ولم يؤمن فرعون حتى أدركه الغرق (فاستقيما) على الرسالة والدعوة الى أن يأتيهم

وفى قوله تعالى (والحافظون لحدود الله) اى فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع للتنبيه على ان ماقبله مفصل الفضائل وهذا مجملها وقيل انه للايذان بأن التعداد قدتم بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك تسمى واو الثمانية (وبشر المؤمنين) يعنى به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كأنه قيل وبشرهم بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام (ماكان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين) روى انه عليه الصلوة والسلام قال لابى طالب لما حضره الوفاة قل كلمة احاج لك بها عندالله فأبى فقال عليه السلام لاازال استغفر لك مالم انه عنه فنزلت وقيل لما فتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال انى استأذنت ربى فى زيارة قبر امى فاذن لى واستأذنته فى الاستغفار لها فلم يأذن لى وانزل على الآيتين (ولوكانوا اولى قربى من بعد ماتبين لهم انهم اصحاب الجحيم) بأن ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار لاحيائهم فانه طلب توفيقهم للايمان وبه دفع النقض باستغفار ابراهيم لابيه الكافر فقال (وما كان استغفار ابراهيم لابيه الاعن موعدة وعدها اياه) وعدها ابراهيم اباه بقوله لاستغفرن لك اى لأطلبن مغفرتك بالتوفيق للايمان فانه يجب ماقبله ويدل عليه قراءة من قرأ اباه اووعدها ابراهيم ابوه وهو الوعد بالايمان (فلماتبين له انه عدو لله) بأن مات على الكفر اواوحى فيه بانه لن يؤمن (تبرأ منه) قطع استغفاره (ان ابراهيم لاواه) يكثر التأوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه (حليم) صبور على الاذى والجملة لبيان ماحمله على الاستغفار له مع شكاسته عليه (وما كان الله ليضل قوما) اى ليسميهم ضلالا او يؤاخذهم مؤاخذتهم (بعد اذهداهم) للاسلام (حتى يبين لهم مايتقون) حتى يبين لهم حظر مايجب اتقاؤه وكانه بيان عذر للرسول فى قوله لعمه اولمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه فى قوم مضوا على الامر الاول فى القبلة والخمر ونحو ذلك فى الجملة دليل على ان الغافل غير مكلف (ان الله بكل شئ عليم) فيعلم امرهم فى الحالين (ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت ومالكم من دون الله من ولى ولا نصير) لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وان كانوا اولى قربى وتضمن

العذاب (ولاتتبعان سبيل الذين لا يعلمون) فى استعجال قضائى روى أنه مكث بعدها أربعين سنة (وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فاتبعهم) لحقهم (فرعون وجنوده بغيا وعدوا) مفعول له (حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه) أى بأنه وفى قراءة بالكسر استئنافا (لااله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين) كرره ليقبل منه فلم يقبل ودس جبريل فى فيه من حماة البحر مخافة أن تناله الرحمة وقال له (آلآن) تؤمن (وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) بضلالك واضلالك عن الايمان (فاليوم ننجيك) نخرجك من البحر (ببدنك) جسدك الذى لاروح فيه (لتكون لمن خلفك) بعدك (آية) عبرة فيعرفوا عبوديتك ولايقدموا على مثل فعلك وعن ابن عباس أن بعض بنى اسرائيل شكوا فى موته فأخرج لهم ليروه (وان كثيرا من الناس) أى أهل مكة (عن آياتنا لغافلون) لايعتبرون بها (ولقد بوأنا) أنزلنا (بنى اسرائيل مبوأ

ذلك وجوب التبرىء عنهم رأسا بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولى امره والغالب عليه ولايتأتى لهم ولاية ولا نصرة الامنه ليتوجهوا اليه بشراشرهم ويتبرؤا مماعداه حتى لايبقى لهم مقصود فيما يأتون ويذرون سواه (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار) من اذن المنافقين فى التخلف او برأهم عن علقة الذنوب كقوله ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر وقيل هو بعث على التوبة والمعنى مامن احد الاوهو محتاج الى التوبة حتى النبي والمهاجرون والانصار لقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا اذمامن احد الاوله مقام يستنقص دونه ماهو فيه والترقى اليه توبة من تلك النقيصة واظهار لفضلها بانها مقام الانبياء والصالحين من عباده (الذين اتبعوه فى ساعة العسرة) فى وقتها وهى حالهم فى غزوة تبوك كانوا فى عسرة الظهر تعتقب العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل ان الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا الفظ (من بعدماكاد تزيغ قلوب فريق منهم) عن الثبات على الايمان اواتباع الرسول وفى كاد ضمير الشان او ضمير القوم والعائد عليه الضمير فى منهم وقرأ حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تأنيث القلوب غير حقيقى وقرىء من بعدمازاغت قلوب فريق منهم يعنى المتخلفين (ثم تاب عليهم) تكرير للتأكيدو تنبيه على انه تاب عليهم من اجل ماكابدوامن العسرة اوالمراد انه تاب عليهم لكيدودتهم (انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة) وتاب على الثلاثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع (الذين خلفوا) تخلفوا عن الغزو اوخلف امرهم فانهم المرجؤن (حتى اذاضاقت عليهم الارض بمارحبت) اى برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة (وضاقت عليهم انفسهم) قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لايسعها انس وسرور (وظنوا) وعلموا (ان لا ملجأ من الله) من سخطه (الااليه) الاالى استغفاره (ثم تاب عليهم) بالتوفيق للتوبة (ليتوبوا) اوانزل قبول توبتهم ليعدوا من جملة التوابين اورجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم (ان الله هو التواب) لمن تاب ولوعاد فى اليوم مائة مرة (الرحيم) المتفضل عليه بالنعم (ياايها الذين آمنوا اتقوا الله) فيما لايرضاه (وكونوا مع الصادقين) فى ايمانهم وعهودهم اوفى دين الله نية وقولا وعملا وقرىء من الصادقين اى فى توبتهم وانابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلاثة واضرابهم (ماكان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب

صدق) منزل كرامة وهو الشام ومصر (ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا) بان آمن بعض وكفر بعض (حتى جاءهم العلم ان ربك يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون) من أمر الدين بانجاء المؤمنين وتعذيب الكافرين (فان كنت) يامحمد (فى شك مما انزلنا اليك) من القصص فرضا (فاسأل الذين يقرؤن الكتاب) التورية (من قبلك) فانه ثابت عندهم يخبروك بصدقه قال صلى الله عليه وسلم لاأشك ولا أسأل (لقد جاءك الحق من ربك فلاتكونن من الممترين) الشاكين فيه (ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ان الذين حقت) وجبت (عليهم كلمة ربك) بالعذاب (لا يؤمنون ولوجاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم) فلاينفعهم حينئذ (فلولا) فهلا (كانت قرية) أريد أهلها (آمنت) قبل نزول العذاب بها (فنفعها ايمانها الا) لكن (قوم يونس لما آمنوا) عند رؤية أمارة العذاب

(ان)

ان يتخلفوا عن رسول الله) عن حكمه نهى عبر عنه بصيغة النفى للمبالغة (ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه) ولا يصونوا انفسهم عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه مايكابده من الاهوال روى ان اباخيثمة بلغ بستانه وكانت له مرأة حسناء فرشت له فى الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الضح والريح ماهذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن اباخيثمة فكان هو ففرح به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واستغفر له وفى لا يرغبوا يجوز النصب والجزم (ذلك) اشارة الى مادل عليه قوله ماكان من النهى عن التخلف او وجوب المشايعة (بانهم) بسبب انهم (لا يصيبهم ظمأ) شئ من العطش (ولا نصب) تعب (ولا مخمصة) مجاعة (فى سبيل الله ولا يطأون موطئا) ولا يدوسون مكانا (يغيظ الكفار) يغضبهم وطؤه (ولا ينالون من عدو نيلا) كالقتل والاسر والنهب (الا كتب لهم به عمل صالح) الا استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب المشايعة (ان الله لا يضيع اجر المحسنين) على احسانهم وهو تعليل لكتب وتنبيه على ان الجهاد احسان اما فى حق الكفار فلانه سعى فى تكميلهم بأقصى مايمكن كضرب المداوى للمجنون واما فى حق المؤمنين فلانه صيانة لهم من سطوة الكفار واستيلائهم (ولا ينفقون نفقة صغيرة) ولو علاقة (ولا كبيرة) مثل ما انفق عثمان رضى الله تعالى عنه فى جيش العسرة (ولا يقطعون واديا) فى مسيرهم وهو كل منفرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الارض (الا كتب لهم) اثبت لهم ذلك (ليجزيهم الله) بذلك (احسن ماكانوا يعملون) جزاء احسن اعمالهم او احسن جزاء اعمالهم (وماكان المؤمنون لينفروا كافة) وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو وطلب علم كالا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فانه يخل بأمر المعاش (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة (ليتفقهوا فى الدين) ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها (ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة

ولم يؤخروا الى حلوله (كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين) انقضاء آجالهم (ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا افأنت تكره الناس) بمالم يشأه الله منهم (حتى يكونوا مؤمنين) لا (وماكان لنفس ان تؤمن الا باذن الله) بارادته (ويجعل الرجس) العذاب (على الذين لا يعقلون) يتدبرون آيات الله (قل) لكفار مكة (انظروا ماذا) اى الذى (فى السموات والارض) من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى (وماتغنى الآيات والنذر) جمع نذير اى الرسل (عن قوم لا يؤمنون) فى علم الله اى ماتنفعهم (فهل) فما (ينتظرون) بتكذيبك (الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم) من الامم اى مثل وقائعهم من العذاب (قل فانتظروا) ذلك (انى معكم من المنتظرين ثم ننجى) المضارع لحكاية الحال الماضية (رسلنا والذين آمنوا) من العذاب (كذلك) الانجاء (حقا علينا ننجى المؤمنين) النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه

ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه والتذكير من فروض الكفاية وانه ينبغى ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط فى البلاد (لعلهم يحذرون) ارادة ان يحذروا عما ينذرون منه واستدل به على ان اخبار الآحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضى ان ينفر من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها كى يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر اخبار الآحاد ما لم يتواتر لم يفد ذلك وقد اشبعت القول فيه تقريرا واعتراضا فى كتابى المرصاد وقد قيل للآية معنى آخر وهو انه لما نزل فى المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون الى النفير وانقطعوا عن التفقه فأمر ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذى هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير فى ليتفقهوا ولينذروا لبواقى الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفى رجعوا للطوائف اى ولينذر البواقى قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم من العلوم (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اولا بانذار عشيرته الاقربين فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود حوالى المدينة كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا بسكنون الشام وهو قريب من المدينة (وليجدوا فيكم غلظة) شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها (واعلموا ان الله مع المتقين) بالحراسة والاعانة (واذا ما انزلت سورة فمنهم) فمن المنافقين (من يقول) انكارا واستهزاء (ايكم زادته هذه) السورة (ايمانا) وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته (فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا) بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم (وهم يستبشرون) بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم (واما الذين فى قلوبهم مرض) كفر (فزادتهم رجسا الى رجسهم) كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها (وماتوا وهم كافرون) واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه (اولا يرون) يعنى المنافقين وقرأ حمزة بالتاء (انهم يفتنون) يبتلون باصناف البليات او بالجهاد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيعاينون ما يظهر عليه من الآيات (فى كل عام مرة

حين تعذيب المشركين (قل ياايها الناس) اى اهل مكة (ان كنتم فى شك من دينى) انه حق (فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله) اى غيره وهو الاصنام لشككم فيه (ولكن اعبد الله الذى يتوفاكم) بقبض ارواحكم (وامرت ان) اى بان (اكون من المؤمنين و) قيل لى (ان اقم وجهك للدين حنيفا) مائلا اليه (ولا تكونن من المشركين ولا تدع) تعبد (من دون الله ما لا ينفعك) ان عبدته (ولا يضرك) ان لم تعبده (فان فعلت) ذلك فرضا (فانك اذا من الظالمين وان يمسسك) يصبك (الله بضر) كفقر ومرض (فلا كاشف) رافع (له الا هو وان يردك بخير فلا راد) دافع (لفضله) الذى ارادك به (يصيب به) اى بالخير (من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم قل ياايها الناس) اى اهل مكة (قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه) لان ثواب اهتدائه له (ومن ضل فانما يضل عليها) لان وبال ضلاله عليها (وما انا

(او مرتين)

او مرتين ثم لايتوبون) ثم لاينتهون ولايتوبون من نفاقهم (ولاهم يذكرون ولايعتبرون (واذاماانزلت سورة نظر بعضهم الى بعض) تغامزوا بالعيون انكارا لهـا وسخرية اوغيظا لمافيهـا من عيوبهم (هل يراكم من احد) اى يقولون هل يراكم احدان قمتم من حضرة الرسول صلى الله تعـالى عليه وسلم فان لم يرهم احد قاموا وان يرهم احد اقاموا (ثم انصرفوا) عن حضرته مخافة الفضيحة (صرف الله قلوبهم) عن الايمـان وهو يحتمل الاخبـار والدعاء (بانهم) بسبب انهم (قوم لايفقهون) لسـوء فهمهم اوعدم تدبرهم (لقد جاءكم رسول من انفسكم) من جنسكم عربى مثلكم وقرئ من انفسكم اى من اشرفكم (عزيز عليه) شديد شاق (ماعنتم) عنتكم ولقاؤكم المكروه (حريص عليكم) اى على ايمانكم وصلاح شأنكم (بالمؤمنين) منكم ومن غيركم (رؤف رحيم) قدم الابلغ منهما وهو الرؤف لان الرأفة شدة الرحمة محافظة على الفواصل (فان تولوا) عن الايمان بك (فقل حسبى الله) فانه يكفيك معرتهم ويعينـك عليهم (لااله الاهو) كالدليل عليه (عليه توكلت) فلاارجو ولااخاف الامنه (وهو رب العرش العظيم) الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذى ينزل منـه الاحكام والمقـادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابى رضى الله تعـالى عنه ان آخر مانزل هاتان الآيتـان وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مانزل القرآن على الا آية آية وحرفا حرفا ماخلا سورة براءة وقل هوالله احد فانهما انزلتا على ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

سورة يونس مكية وهى مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(الر) فخمها ابن كثير ونافع وحفص وامالها الباقون اجراء لالف الراء مجرى المنقلبة من الياء (تلك آيات الكتاب الحكيم) اشارة الى ماتضمنه السورة او القرآن من الآى والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم اولانه كلام حكيم اومحكم آياته لم ينسخ شئ منهـا (اكان للناس عجبا) استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه (ان اوحينا) وقرئ بالرفع على ان الامر بالعكس اوعلى ان كان تامة وان اوحينا بدل من عجبـا واللام للـدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم يوجهون نحـوه انكارهم واستهزاءهم (الى رجل منهم) من افنـاء رجالهم دون عظيم

عليكم بوكيل) فاجبركم على الهدى (واتبع مايوحى اليك من ربك (واصبر) على الدعوة وأذاهم (حتى يحكم الله) فيهم بامره (وهو خير الحاكمين) أعدلهم وقد صبر حتى حكم عـلى المشركين بالقتـال وأهل الكتـاب بالجزية

سـورة هود مكية الا أقم الصلوة الآية أوالافلعلك تارك الآية وأولئك يؤمنون به الآية وآيها مائة واثنتان أو ثلاث وعشرون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم) (الر) الله أعلم بمراده بذلك هذا (كتاب أحكمت آياته) بعجيب النظم وبديع المعانى (ثم فصلت) بينت بالاحكام والقصص والمواعظ (من لدن حكيم خبير) أى الله (أن) أى بان (لاتعبدوا الاالله اننى لكم منه نذير) بالعذاب ان كفرتم (وبشير) بالثواب ان آمنتم (وأن استغفروا ربكم) من الشرك (ثم توبوا) ارجعوا (اليه) بالطـاعة (يمتعكم) فى الدنيـا (متاعا حسنا) بطيب عيش وسعة رزق (الى أجل مسمى) هو الموت (ويؤت) فى الآخرة

من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابى طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحى والنبوة هذا وانه عليه الصلوة والسلام لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه الا فى المال وخفة الحال اعون شئ فى هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء عليهم الصلوة والسلام قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره فى سورة الانعام (ان انذر الناس) ان هى المفسرة او المخففة من الثقيلة فتكون فى موقع مفعول اوحينا (وبشر الذين آمنوا) عمم الانذار اذ قلما من احد ليس فيه ماينبغى ان ينذر منه وخصص البشارة بالمؤمنين اذليس للكفار مايصح ان يبشروا به (ان لهم) بان لهم (قدم صدق عند ربهم) سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحققها والتنبيه على انهم انما ينالونها بصدق القول والنية (قال الكافرون ان هذا) يعنون الكتاب وماجاء به الرسول عليه الصلوة والسلام (لسحر مبين) وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة الى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه اعتراف بانهم صادفوا من الرسول امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة وقرئ ماهذا الاسحر مبين (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض) التى هى اصول الممكنات (فى ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر) يقدر امر الكائنات على مااقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريكه اسبابها وينزلها منه والتدبير النظر فى ادبار الامور لتجئ محمودة العاقبة (مامن شفيع الامن بعد اذنه) تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم ان آلهتهم تشفع لهم عندالله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له (ذلكم الله) اى الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية (ربكم) لاغيره اذلا يشاركه احد فى شئ من ذلك (فاعبدوه) وحدوه بالعبادة (افلا تذكرون) تتفكرون ادنى تفكر فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة لاماتعبدونه (اليه مرجعكم جميعا) بالموت اوالنشور لا الى غيره فاستعدوا للقائه (وعدالله) مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله (حقا) مصدر آخر مؤكد لغيره وهومادل عليه وعدالله (انه يبدأ الخلق ثم يعيده) بعد بدئه واهلاكه (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط)

(كل ذى فضل) فى العمل (فضله) جزاءه (وان تولوا) فيه حذف احدى التاءين أى تعرضوا (فانى أخاف عليكم عذاب يوم كبير) هو يوم القيمة (الى الله مرجعكم وهو على كل شئ قدير) ومنه الثواب والعذاب * ونزل كما رواه البخارى عن ابن عباس فيمن كان يستحي أن يتخلى أو يجامع فيفضى الى السماء وقيل فى المنافقين (ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه) أى الله (ألا حين يستغشون ثيابهم) يتغطون بها (يعلم) تعالى (مايسرون ومايعلنون) فلا يغنى استخفاؤهم (انه عليم بذات الصدور) أى بما فى القلوب (ومامن) زائدة (دابة فى الارض) هى مادب عليها (الاعلى الله رزقها) تكفل به فضلا منه تعالى (ويعلم مستقرها) مسكنها فى الدنيا أو الصلب (ومستودعها) بعد الموت أوفى الرحم (كل) مماذكر (فى كتاب مبين) بين هو اللوح المحفوظ (وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام) أولها الاحد

اى بعدله او بعد التهم وقيامهم على العدل فى امورهم او بايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلته قوله (والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون) فان معناه ليجزى الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة فى استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين بمايليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة فكانه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم والآية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود من الابداء والاعادة مجازاة الله المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لامحالة ويؤيده قراة من قرأ انه يبدأ بالفتح اى لانه ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا بما نصب وعدالله او بما نصب حقا (هو الذى جعل الشمس ضياء) اى ذات ضياء وهو مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير ضئاء بهمزتين فى كل القرآن على القلب بتقديم اللام على العين (والقمر نورا) اى ذا نورا وسمى نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه و تعالى بذلك على انه خلق الشمس نيرة فى ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها (وقدره منازل) الضمير لكل واحد اى قدر مسير كل واحد منهما منازل اوقدره ذا منازل او للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره و معاينة منازله واناطة احكام الشرع به ولذلك علله بقوله (لتعلموا عدد السنين والحساب) وحساب الاوقات من الاشهر والايام فى معاملاتكم و تصرفاتكم (ماخلق الله ذلك الا بالحق) الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة (نفصل الآيات لقوم يعلمون) فانهم المنتفعون بالتأمل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص يفصل بالياء (ان فى اختلاف الليل والنهار وماخلق الله فى السموات والارض) من انواع الكائنات (لآيات) على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته (لقوم يتقون) العواقب فانه يحملهم على التفكر والتدبر (ان الذين لا يرجون لقاءنا) لا يتوقعونه لانكارهم للبعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها (ورضوا بالحيوة الدنيا) من الآخرة لغفلتهم عنها (واطمأنوا بها) وسكنوا اليها مقصرين هممهم على لذائذها وزخارفها اوسكنوا فيها سكون

وآخرها الجمعة (وكان عرشه) قبل خلقهما (على الماء) وهو على متن الريح (ليبلوكم) متعلق بخلق أى خلقهما ومافيهما منافع لكم ومصالح ليختبركم (أيكم أحسن عملا) أى أطوع لله (ولئن قلت) يامحمد لهم (انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان) ما (هذا) القرآن الناطق بالبعث او الذى تقوله (الاسحر مبين) بين وفى قراءة ساحر والمشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم (ولئن أخرنا عنهم العذاب الى) مجئ (أمة) أوقات (معدودة ليقولن) استهزاء (مايحبسه) مايمنعه من النزول قال تعالى (ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا) مدفوعا (عنهم وحاق) نزل (بهم ماكانوا به يستهزؤن) من العذاب (ولئن أذقنا الانسان) الكافر (منا رحمة) غنى وصحة (ثم نزعناها منه انه ليؤس) قنوط من رحمة الله (كفور) شديد الكفر به (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء) فقر وشدة (مسته ليقولن ذهب السيئات) المصائب (عنى)

من لا يزعج عنها (والذين هم عن آياتنا غافلون) لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأسا والانهماك فى الشهوات بحيث لا تخطر الآخرة ببالهم اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث ولم يرد الا الحيوة الدنيا وبالآخرين من الهيه حب العاجل عن التأمل فى الآجل والاعتداد له (اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم) بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدى الى الجنة او لادراك الحقائق كما قال عليه الصلوة والسلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم او لما يريدونه فى الجنة ومفهوم الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل الصالح كالتتمة والرديف له (تجرى من تحتهم الانهار) استئناف وخبر ثان او حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير وقوله (فى جنات النعيم) خبر او حال آخر منه او من الانهار او متعلق بتجرى او بيهدى (دعواهم فيها) اى دعاؤهم (سبحانك اللهم) اللهم انا نسبحك تسبيحا (وتحيتهم) ما يحيى به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم (فيها سلام وآخر دعواهم) وآخر دعائهم (ان الحمد لله رب العالمين) اى ان يقولوا ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة من الآفات والفوز باصناف الكرامات او الله تعالى فحمدوه واثنوا عليه بصفات الاكرام وان هى المخففة من الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد (ولو يعجل الله للناس الشر) ولو يسرعه اليهم (استعجالهم بالخير) وضع موضع تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته لهم فى الخير حتى كأن استعجالهم به تعجيل لهم او بان المراد شر استعجلوه كقولهم فامطر علينا حجارة من السماء وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقى عليه (لقضى اليهم اجلهم) لاميتوا واهلكوا وقرأ ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل وهو الله تعالى وقرئ لقضينا (فنذر الذين لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم يعمهون) عطف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية كانه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضى فنذرهم امهالا لهم

(واستدراجا)

و لم يتوقع زوالها ولا شكر عليها (انه لفرح) بطر (فخور) على الناس بما أوتى (الا) لكن (الذين صبروا) على الضراء (وعملوا الصالحات) فى النعماء (أولئك لهم مغفرة وأجر كبير) هو الجنة (فلعلك) يا محمد (تارك بعض ما يوحى اليك) فلا تبلغهم اياه لتهاونهم به (وضائق به صدرك) بتلاوته عليهم لاجل (ان يقولوا لولا) هلا (أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك) يصدقه كما اقترحنا (انما أنت نذير) فلا عليك الا البلاغ لا الاتيان بما اقترحوه (والله على كل شئ وكيل) حفيظ فيجازيهم (أم) بل أ (يقولون افتراه) أى القرآن (قل فأتوا بعشر سور مثله) فى الفصاحة والبلاغة (مفتريات) فانكم عربيون فصحاء مثلى تحداهم بها أولا ثم بسورة (وادعوا) للمعاونة على ذلك (من استطعتم من دون الله) أى غيره (ان كنتم صادقين) فى انه افتراء (فان لم يستجيبوا لكم) أى من دعوتموهم للمعاونة (فاعلموا) خطاب للمشركين

واستدراجا (واذا مس الانسان الضر دعانا) لازالته مخلصا فيه (لجنبه) اى ملقيا لجنبه اى مضطجعا (اوقاعدا اوقائما) وفائدة الترديد تعميم الدعاء بجميع الاحوال او لاصناف المضار (فلما كشفنا عنه ضره مر) مضى على طريقته واستمر على كفره او مر عن موقف الدعاء لايرجع اليه (كأن لم يدعنا) كأنه لم يدعنا فخفف و حذف ضمير الشان كما قال * ونحر مشرق اللون * كأن ثدياه حقان (الى ضر مسه) الى كشف ضر (كذلك) مثل ذلك التزيين (زين للمسرفين ما كانوا يعملون) من الانهماك فى الشهوات والاعراض عن العبادات (ولقد اهلكنا القرون من قبلكم) يااهل مكة (لما ظلموا) حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لاعلى ماينبغى (وجاءتهم رسلهم بالبينات) بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد أو عطف على ظلموا (وماكانوا ليؤمنوا) وماستقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بانهم يموتون على كفرهم واللام لتأكيد النفى (كذلك) مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لافائدة فى امهالهم (نجزى القوم المجرمين) نجزى كل مجرم اونجزيكم فوضع المظهر موضع الضمير للدلالة على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه (ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم) استخلفناكم فيها بعد القرون التى اهلكناها استخلاف من يختبر (لننظر كيف تعملون) اتعملون خيرا اوشرا فنعاملكم على مقتضى اعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ماقبله وفائدته الدلالة على ان المعتبر فى الجزاء جهات الافعال وكيفيتها لاهى من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لايرجون لقاءنا) يعنى المشركين (ائت بقرآن غير هذا) بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه مانستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت او ما نكرهه من معايب آلهتنا (او بدله) بان تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية اخرى ولعلهم سألوا ذلك كى يسعفهم اليه فيلزموه (قل مايكون لى) مايصح لى (ان ابدله من تلقاء نفسى) من قبل نفسى وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقرآن آخر (ان اتبع الا مايوحى الى) تعليل لما يكون فان المتبع لغيره فى امر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب

(انما أنزل) ملتبسا (بعلم الله) وليس افتراء عليه (وأن) مخففة أى انه (لا اله الا هو فهل انتم مسلمون) بعد هذه الحجة القاطعة أى أسلموا (من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها) بان اصر على الشرك وقيل هى فى المرائين (نوف اليهم أعمالهم) أى جزاء ماعملوه من خير كصدقة وصلة رحم (فيها) بأن نوسع عليهم رزقهم (وهم فيها) أى الدنيا (لايبخسون) ينقصون شيئا (أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط) بطل (ماصنعوا) ه (فيها) أى الآخرة فلا ثواب له (وباطل ماكانوا يعملون أفمن كان على بينة) بيان (من ربه) وهو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اوالمؤمنون وهى القرآن (ويتلوه) يتبعه (شاهد) له بصدقه (منه) أى من الله وهو جبريل (ومن قبله) أى القرآن (كتاب موسى) التورية شاهد له ايضا (اماما ورحمة) حال كمن ليس كذلك لا (أولئك) أى من كان على بينة (يؤمنون به) أى بالقرآن

فلهم الجنة (ومن يكفر به من الاحزاب) جميع الكفار (فالنار موعده فلا تك فى مرية) شك (منه) من القرآن (أنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس) أى أهل مكة (لايؤمنون ومن) أى لاأحد (أظلم ممن افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك والولد اليه (اولئك يعرضون على ربهم) يوم القيمة فى جملة الخلق (ويقول الاشهاد) جمع شاهد وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ وعلى الكفار بالتكذيب (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين) المشركين (الذين يصدون عن سبيل الله) دين الاسلام (ويبغونها) يطلبون السبيل (عوجا) معوجة (وهم بالآخرة هم) تأكيد (كافرون أولئك لم يكونوا معجزين) الله (فى الارض وما كان لهم من دون الله) أى غيره (من أولياء) أنصار يمنعونهم من عذابه (يضاعف لهم العذاب) باضلالهم غيرهم (ماكانوا يستطيعون السمع) للحق (وما كانوا يبصرون) ه

للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض وورد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القرآن كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل فى الجواب وسماه عصيانا فقال (انى اخاف ان عصيت ربى) اى بالتبديل (عذاب يوم عظيم) وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح (قل لو شاء الله) غير ذلك (ماتلوته عليكم ولاادراكم به) ولااعلمكم به على لسانى وعن ابن كثير ولادراكم به بلام التأكيد اى لو شاء الله ماتلوته عليكم ولاعلمكم به على لسان غيرى والمعنى انه الحق الذى لامحيص عنه لو لم ارسل به لارسل به غيرى وقرئ ولاادرأكم ولاادرأتكم بالهمزة فيهما على لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة او على انه من الدرء بمعنى الدفع اى ولاجعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤننى بالجدال والمعنى ان الامر بمشيئة الله تعالى لابمشيئتى حتى اجعله على نحو ماتشتهونه ثم قرر ذلك بقوله (فقد لبثت فيكم عمرا) مقدار عمر اربعين سنة (من قبله) من قبل القرآن لااتلوه ولااعلمه فانه اشارة الى ان القرآن معجز خارق للعادة فان من عاش بين اظهرهم اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا ولاخطبة ثم قرأ عليهم كتابا بذت فصاحته فصاحة كل منطيق وعلا عن كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علمى الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص الاولين واحاديث الآخرين على ماهى عليه علم انه معلم به من الله تعالى (افلا تعقلون) اى افلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر فيه لتعلموا انه ليس الا من الله (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) تفاد مما اضافوه اليه كناية او تظليم للمشركين بافترائهم على الله تعالى فى قولهم انه لذو شريك وذو ولد (او كذب بآياته) فكفر بها (انه لايفلح المجرمون ويعبدون من دون الله مالايضرهم ولاينفعهم) لانه جماد لايقدر على نفع ولاضر والمعبود ينبغى ان يكون مثيبا ومعاقبا حتى يعود عبادته بجلب نفع او دفع ضر (ويقولون هؤلاء) الاوثان (شفعاؤنا عند الله) تشفع لنا فيما يهمنا من امور الدنيا وفى الآخرة ان يكن بعث وكأنهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة مايعلم قطعا انه لايضر ولاينفع على توهم انه ربما يشفع لهم عنده (قل اتنبئون الله) اتخبرونه (بما لايعلم) وهو ان له شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم او هؤلاء شفعاؤنا عنده ومالايعلمه العالم بجميع المعلومات لايكون له تحقق ما (فى السموات ولافى الارض) حال

من العائد المحذوف مؤكدة للنفى منبهة على ان مايعبدون من دون الله اما سماوى واما ارضى ولاشئ من الموجودات فيهما الا وهو حادث مقهور مثلهم لايليق ان يشرك به (سبحانه وتعالى عما يشركون) عن اشراكهم وعن الشركاء الذين يشركونهم به وقرأ حمزة والكسائى هنا وفى الموضعين فى اول النحل والروم بالتاء (وماكان الناس الا امة واحدة) موجودين على الفطرة او متفقين على الحق وذلك فى عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل او بعد الطوفان او على الضلال فى فترة من الرسل (فاختلفوا) باتباع الهوى والاباطيل او ببعثة الرسل فتبعتهم طائفة واصرت اخرى (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير الحكم بينهم او العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيمة فانه يوم الفصل والجزاء (لقضى بينهم) عاجلا (فيما فيه يختلفون) باهلاك المبطل وابقاء المحق (ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه) اى من الآيات التى اقترحوها (فقل انما الغيب لله) هو المختص بعلمه فلعله يعلم فى انزال الآيات المقترحة مفاسد تصرف عن انزالها (فانتظروا) لنزول ما اقترحتموه (انى معكم من المنتظرين) لما يفعل الله بكم بجحودكم مانزل عليه من الآيات العظام واقتراحكم غيره (واذا اذقنا الناس رحمة) صحة وسعة (من بعد ضراء مستهم) كقحط ومرض (اذا لهم مكر فى آياتنا) بالطعن فيها والاحتيال فى دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم الله بالحيا فطفقوا يقدحون فى آيات الله ويكيدون رسوله (قل الله اسرع مكرا) منكم قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجاءة الواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله تعالى اما الاستدراج او الجزاء على المكر (ان رسلنا يكتبون ماتمكرون) تحقيق للانتقام وتنبيه على ان ما دبروا فى اخفائه لم يخف على الحفظة فضلا ان يخفى على الله تعالى وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ماقبله (هو الذى يسيركم) يحملكم على السير ويمكنكم منه (فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك) فى السفن (وجرين بهم) بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كأنه تذكرة لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم (بريح طيبة) لينة الهبوب (وفرحوا بها) بتلك الريح (جاءتها) جواب لاذا والضمير للفلك او الريح الطيبة بمعنى تلقتها (ريح عاصف) ذات عصف شديدة الهبوب (وجاءهم الموج من كل

اى لفرط كراهتهم له كأنهم لم يستطيعوا ذلك (أولئك الذين خسروا انفسهم) لمصيرهم الى النار المؤبدة عليهم (وضل) غاب (عنهم ماكانوا يفترون) على الله من دعوى الشريك (لاجرم) حقا (أنهم فى الآخرة هم الاخسرون إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا) سكنوا واطمأنوا اواانابوا (الى ربهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل) صفة (الفريقين) الكفار والمؤمنين (كالاعمى والاصم) هذا مثل الكافر (والبصير والسميع) هذا مثل المؤمن (هل يستويان مثلا) لا (افلا تذكرون) فيه ادغام التاء فى الاصل فى الذال تتعظون (ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى) اى بانى وفى قراءة بالكسر على حذف القول (لكم نذير مبين) بين الانذار (ان) اى بأن (لاتعبدوا الا الله انى اخاف عليكم) ان عبدتم غيره (عذاب يوم اليم) مؤلم فى الدنيا والآخرة (فقال الملأ الذين كفروا من قومه) وهم الاشراف

مكان) يجيء الموج منه (وظنوا انهم احيط بهم) اهلكوا وسدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به العدو (دعوا الله مخلصين له الدين) من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل اشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم (لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين) على ارادة القول اومفعول دعوا لانه من جملة القول (فلما انجاهم) اجابة لدعائهم (اذاهم يبغون فى الارض) فاجاؤا الفساد فيها وسارعوا الى ماكانوا عليه (بغير الحق) مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم وقلع اشجارهم فانها افساد بحق (يا أيها الناس انما بغيكم على انفسكم) فان وباله عليكم اوانه على امثالكم وابناء جنسكم (متاع الحيوة الدنيا) منفعة الحيوة الدنيا لاتبقى ويبقى عقابها ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته اوخبر مبتدأ محذوف تقديره ذلك متاع الحيوة الدنيا وعلى انفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر مؤكد اى تتمتعون متاع الحيوة الدنيا اومفعول البغى لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحيوة الدنيا محذور اوضلال اومفعول فعل دل عليه البغى وعلى انفسكم خبره (ثم الينا مرجعكم) فى القيمة (فننبئكم بما كنتم تعملون) بالجزاء عليه (انما مثل الحيوة الدنيا) حالها العجيبة فى سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها (كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض) فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا (مما يأكل الناس والانعام) من الزروع والبقول والحشيش (حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت) تزينت باصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب والزينة وتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت (وظن اهلها انهم قادرون عليها) متمكنون من حصدها ورفع غلتها (اتاها امرنا) ضرب زرعها مايجتاحه (ليلا اونهارا فجعلناها) فجعلنا زرعها (حصيدا) شبيها بما حصد من اصله (كأن لم تغن) اى كأن لم يغن زرعها اى لم ينبت(٢) والمضاف محذوف فى الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل (بالامس) فيما قبيله وهو مثل فى الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة

(النبات)

(مانراك الا بشرا مثلنا) ولا فضل لك علينا (ومانراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا) أسافلنا كالحاكة والاساكفة (بادى الرأى) بالهمزة وتركه اى ابتداء من غير تفكر فيك ونصبه على الظرف اى وقت حدوث اول رأيهم (وما نرى لكم علينا من فضل) فتستحقون به الاتباع منا (بل نظنكم كاذبين) فى دعوى الرسالة ادرجوا قومه معه فى الخطاب (قال ياقوم أرأيتم) اخبرونى (ان كنت على بينة) بيان (من ربى وآتانى رحمة) نبوة (من عنده فعميت) خفيت (عليكم) وفى قراءة بتشديد الميم والبناء للمفعول (أنلزمكموها) أنجبركم على قبولها (وأنتم لها كارهون) لانقدر على ذلك (وياقوم لااسألكم عليه) على تبليغ الرسالة (مالا) تعطونيه (ان) ما (أجرى) ثوابى (الا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا) كما أمرتمونى (انهم ملاقوربهم) بالبعث فيجازيهم ويأخذ لهم ممن ظلمهم وطردهم (ولكنى أراكم قوما تجهلون) عاقبة أمركم (ويا

(٢) لم يلبث نسخه

النبات فجأة وذهابه حطامابعدما كان غضا والتف وزين الارض حتى طمع فيه اهله وظنوا انه قدسلم من الجوائح لا الماء وان وليه حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب (كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) فانهم المنتفعون به (والله يدعوا الى دار السلام) دار السلامة من التقضى والآفة اودار الله وتخصيص هذا الاسم ايضا للتنبيه على ذلك اودار يسلم الله والملائكة فيهاعلى من يدخلهاو المراد الجنة (ويهدى من يشاء) بالتوفيق (الى صراط مستقيم) هو طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفى تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على ان الامر غير الارادة وان المصر على الضلالة لم يرد الله رشده (للذين احسنوا الحسنى) المثوبة الحسنى (وزيادة) ومايزيد على المثوبة تفضلا لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة هو اللقاء (ولا يرهق وجوههم) لايغشاها (قتر) غبرة فيها سواد (ولا ذلة) هوان والمعنى لا يرهقهم مايرهق اهل النار اولا يرهقهم مايوجب ذلك من حزن وسوء حال (اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) دائمون لازوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها (والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها) هو عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز فى الدار زيدوالحجرة عمرو اوالذين مبتدأ والخبر جزاء سيئة على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اى ان يجازى سيئة بسيئة مثلها لايزاد عليها وفيه تنبيه على ان الزيادة هى الفضل او التضعيف اوكأنما اغشيت او اولئك اصحاب النار ومابينهما اعتراض فجزاء سيئة مبتدأ خبره محذوف اى فجزاء سيئة بمثلها واقع او بمثلها على زيادة الباء او بتقدير مقدر بمثلها (وترهقهم ذلة) وقرئ بالياء (مالهم من الله من عاصم) مامن احد يعصمهم من سخط الله او من جهة الله و من عنده كما يكون للمؤمنين (كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما) لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل فى قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل فى الموصوف عامل فى الصفة او معنى الفعل فى من الليل وقرأ ابن كثير والكسائى ويعقوب قطعا بالسكون وعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له اوحالا منه (اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) مما يحتج به الوعيدية

قوم من ينصرنى) يمنعنى (من الله) أى عذابه (ان طردتهم)أى لا ناصر لى (أفلا) فهلا (تذكرون) بادغام التاء الثانية فى الاصل فى الذال تتعظون (ولا أقول لكم عندى خزائن الله ولا) انى (اعلم الغيب ولا أقول انى ملك) بل انا بشر مثلكم (ولا اقول للذين تزدرى) تحتقر (أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله اعلم بما فى انفسهم) قلوبهم (انى اذا) ان قلت ذلك (لمن الظالمين قالوا يانوح قد جادلتنا) خاصمتنا (فاكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا)به من العذاب (ان كنت من الصادقين) فيه (قال انما يأتيكم به الله ان شاء) تعجيله لكم فان أمره اليه لا الى (وما أنتم بمعجزين) بفائتين الله (ولا ينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم) أى اغواءكم وجواب الشرط دل عليه ولا ينفعكم نصحى (هو ربكم واليه ترجعون) قال تعالى (أم) بل أ (يقولون)أى كفار مكة (افتراه) اختلق محمد القرآن (قل ان افتريته فعلى اجرامى)اثمى أى عقوبته (وأنا برىء مما تجرمون) من

والجواب ان الآية فى الكفار لاشتمال السيئات على الكفر والشرك ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه (ويوم نحشرهم جميعا) يعنى الفريقين جميعا (ثم نقول للذين اشركوا مكانكم) حتى تنظروا مايفعل بكم (انتم) تأكيد للضمير المنتقل اليه من عامله (وشركاؤكم) عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه (فزيلنا بينهم) ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التى كانت بينهم (وقال شركاؤهم ماكنتم ايانا تعبدون) مجاز عن براءة ماعبدوه من عبادتهم فانهم انما عبدوا فى الحقيقة اهواءهم لانها الآمرة بالاشراك لا مااشركوا به وقيل ينطق الله الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التى يتوقعون منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين (فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم) فانه العالم بكنه الحال (ان كنا عن عبادتكم لغافلين) ان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة (هنالك) فى ذلك المقام (تبلو كل نفس ما اسلفت) تختبر ماقدمت من عمل فتعاين نفعه وضره وقرأ حمزة والكسائى تتلو من التلاوة اى تقرأ ذكر ماقدمت او من التلو اى تتبع عمله فيقودها الى الجنة او الى النار وقرئ نبلو بالنون ونصب كل وابدال مامنه والمعنى نختبرها اى نفعل بها فعل المختبر بحالها المتعرف بسعادتها وشقاوتها بتعرف مااسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد به نصيب بالبلاء اى لعذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فيكون ما منصوبة بنزع الخافض (وردوا الى الله) الى جزائه اياهم بما اسلفوا (مولاهم الحق) ربهم ومتولى امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح او المصدر المؤكد (وضل عنهم) وضاع عنهم (ماكانوا يفترون) من ان آلهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها آلهة (قل من يرزقكم من السماء والارض) اى منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحد منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف اى من اهل السماء والارض (ام من يملك السمع والابصار) ام من يستطيع خلقهما وتسويتهما او من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من ادنى شئ (ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) ومن يحيى ويميت او من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه (ومن يدبر الامر) ومن يلى تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص (فسيقولون الله) اذ لا يقدرون على المكابرة والعناد

اجرامكم فى نسبة الافتراء الى (وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس) تحزن (بما كانوا يفعلون) من الشرك فدعا عليهم بقوله رب لاتذر على الارض الخ فأجاب الله تعالى دعاءه وقال (واصنع الفلك) السفينة (باعيننا) بمرأى منا وحفظنا (ووحينا) أمرنا (ولاتخاطبنى فى الذين ظلموا) كفروا بترك اهلاكهم (انهم مغرقون ويصنع الفلك) حكاية حال ماضية (وكلما مر عليه ملأ) جماعة (من قومه سخروا منه) استهزؤا به (قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون) اذا نجونا وغرقتم (فسوف تعلمون من) موصولة مفعول العلم (يأتيه عذاب يخزيه ويحل) ينزل (عليه عذاب مقيم) دائم (حتى) غاية للصنع (اذا جاء أمرنا) باهلاكهم (وفار التنور) للخباز بالماء وكان ذلك علامة لنوح (قلنا احمل فيها) فى السفينة (من كل زوجين) أى ذكر وانثى أى من كل أنواعهما (اثنين) ذكرا وانثى وهو مفعول

فى ذلك لفرط وضوحه فقل (افلا تتقون) انفسكم عقابه باشرا ككم اياه مالايشاركه فى شئ من ذلك (فذلكم الله ربكم الحق) اى المتولى لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لانه الذى انشأكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم (فماذا بعد الحق الا الضلال) استفهام انكارى اى ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذى هو عبادة الله تعالى وقع فى الضلال (فانى تصرفون) عن الحق الى الضلال (كذلك حقت كلمة ربك) اى كما حقت الربوبية لله او ان الحق بعده الضلال او انهم مصروفون عن الحق كذلك حقت كلمة الله وحكمه (على الذين فسقوا) تمردوا فى كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح (انهم لا يؤمنون) بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب (قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده) جعل الاعادة كالابداء فى الالزام بها لظهور برهانها وان لم يساعدوا عليها ولذلك امر الرسول عليه الصلوة والسلام بان ينوب عنهم فى الجواب فقال (قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده) لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها (فانى تؤفكون) تصرفون عن قصد السبيل (قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق) بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدى بها ما اسند الى الله (قل الله يهدى للحق افمن يهدى الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدى الا ان يهدى) ام الذى لا يهتدى الا ان يهدى من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى او لا يهدى غيره الا ان يهديه الله وهذا حال اشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير وقرأ ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدى بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدى فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء اوكسرت لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر يهدى باتباع الياء الهاء وقرأ ابو عمرو بالادغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين لان المدغم فى حكم المتحرك وعن نافع برواية قالون مثله وقرئ الا ان يهدى للمبالغة (فما لكم كيف تحكمون) بما يقتضى صريح العقل بطلانه (وما يتبع اكثرهم) فيما يعتقدون (الا ظنا) مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد

وفى القصة ان الله حشر لنوح السباع والطير وغيرهما فجعل يضرب بيديه فى كل نوع فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الانثى فيحملهما فى السفينة (واهلك) أى زوجته وأولاده (الا من سبق عليه القول) أى منهم بالاهلاك وهو زوجته وولده كنعان بخلاف سام وحام ويافث فحملهم وزوجاتهم الثلاثة (ومن آمن وما آمن معه الاقليل) قيل كانوا ستة رجال ونساءهم وقيل جميع من كان فى السفينة ثمانون نصفهم رجال ونصفهم نساء (وقال) نوح (اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها) بفتح الميمين وضمهما مصدران أى جريها ورسوها أى منتهى سيرها (ان ربى لغفور رحيم) حيث لم يهلكنا (وهى تجرى بهم فى موج كالجبال) فى الارتفاع والعظم (ونادى نوح ابنه) كنعان (وكان فى معزل) عن السفينة (يابنى اركب معنا

ولا تكن مع الكافرين قال سآوى الى جبل يعصمنى) يمنعنى (من الماء قال لاعاصم اليوم من أمر الله) عذابه (الا) لكن (من رحم) الله فهو المعصوم قال تعالى (وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وقيل ياأرض ابلعى ماءك) الذى نبع منك فشربته دون مانزل من السماء فصار أنهارا وبحارا (ويا سماء اقلعى)أمسكى عن مطرفامسكت (وغيض) نقص (الماء وقضى الامر) تم امر هلاك قوم نوح (واستوت) وقفت السفينة (على الجودى) جبل بالجزيرة بقرب الموصل (وقيل بعدا) هلاكا (للقوم الظالمين) الكافرين (ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى) كنعان (من أهلى) وقد وعدتنى بنجاتهم (وان وعدك الحق) الذى لاخلف فيه (وأنت أحكم الحاكمين) اعلمهم وأعدلهم (قال) تعالى (يانوح انه ليس من أهلك) الناجين أو من أهل دينك (انه) أى سؤالك اياى بنجاته (عمل غير صالح)

بالاكثر الجميع او من ينتمى منهم الى تميز ونظر ولايرضى بالتقليد الصرف (ان الظن لايغنى من الحق) من العلم والاعتقاد الحق (شيئا) من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم فى الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز (ان الله عليم بما يفعلون) وعيد على اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان (وماكان هذا القرآن ان يفترى من دون الله) افتراء من الخلق (ولكن تصديق الذى بين يديه) مطابقا لما تقدمه من الكتب الالهية المشهودة على صدقها ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها ونصبه بانه خبر لكان مقدر اوعلة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق الذى وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق (وتفصيل الكتاب) وتفصيل ماحقق واثبت من العقائد والشرائع (لاريب فيه) منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث داخل فى حكم الاستدراك ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول فى المعنى وان يكون استئنافا (من رب العالمين) خبر آخر تقديره كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق او بتفصيل ولاريب فيه اعتراض اوبالفعل المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا من الكتاب اوالضمير فى فيه ومساق الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان مايجب اتباعه والبرهان عليه (ام يقولون) بل ايقولون (افتراه) محمد ومعنى الهمزة فيه الانكار (قل فأتوا بسورة مثله) فى البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلى فى العربية والفصاحة واشد تمرنا فى النظم والعبارة (وادعوا من استطعتم) ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به (من دون الله) سوى الله فانه وحده قادر على ذلك (ان كنتم صادقين) انه اختلقه (بل كذبوا) بل سارعوا الى التكذيب (بما لم يحيطوا بعلمه) بالقرآن اول ماسمعوه قبل ان يتدبروا آياته ويحيطوا بالعلم بشأنه اوبما جهلوه ولم يحيطوا به علما بن ذكر البعث والجزاء وسائر ماىخالف دينهم (ولما يأتهم تأويله) ولم يقفوا بعد على تأويله ولم تبلغ اذهانهم معانيه اوولم يأتهم بعد تاويل مافيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق اوكذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجأوا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع فى لما انه قد ظهر لهم بالآخرة اعجازه لما كرر عليهم

التحدى فرازوا قواهم في معارضته فتضاءلت دونها اولما شاهدوا وقوع مااخبربه طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمرداوعنادا (كذلك كذب الذين من قبلهم) انبياءهم (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) فيه وعيد لهم بمثل ماعوقب به من قبلهم (ومنهم) ومن المكذبين (من يؤمن به) من يصدق به فى نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند اومن سيؤمن به ويتوب عن كفره (ومنهم من لايؤمن به) فى نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره اوفيما يستقبل بل يموت على الكفر (وربك اعلم بالمفسدين) بالمعاندين اوالمصرين (وان كذبوك) وان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة (فقل لى عملى ولكم عملكم) فتبرأ منهم فقد اعذرت والمعنى لى جزاء عملى ولكم جزاء عملكم حقا كان اوباطلا (انتم بريئون مما اعمل وانا برىء مماتعملون) لاتؤاخذون بعملى ولاأؤاخذ بعملكم ولمافيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ بآية السيف (ومنهم من يستمعون اليك) اذاقرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكن لايقبلون كالاصم الذى لايسمع اصلا (افانت تسمع الصم) تقدر على اسماعهم (ولوكانوا لايعقلون) ولوانضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لايوصف به البهائم وهو لايتأتى الاباستعمال العقل السليم فى تدبره وعقولهم لما كانت مؤوفة بمعارضة الوهم ومشايعة الالف والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعانى الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غيرماينتفع به البهائم من كلام الناعق (ومنهم من ينظر اليك) ويعاينون دلائل نبوتك ولكن لايصدقونك (افانت تهدى العمى) تقدر على هدايتهم (ولوكانوا لايبصرون) وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة فى ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لمالايدركه البصير الاحمق والآية كالتعليل للامر بالتبرى والاعراض عنهم (ان الله لايظلم الناس شيئا) بسلب حواسهم وعقولهم (ولكن الناس انفسهم يظلمون) بافسادها وتفويت منافعها عليها وفيه دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس بمسلوب الاختيار بالكلية كازعمت المجبرة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بمعنى ان مايحيق بهم يوم القيمة من العذاب عدل من الله لايظلمهم ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه (ويوم نحشرهم

فانه كافر ولانجاة للكافرين وفى قراءة بكسر ميم عمل فعل ونصب غير فالضمير لابنه (فلاتسألن) بالتشديد والتخفيف (ماليس لك به علم) من انجاء ابنك (انى أعظك أن تكون من الجاهلين) بسؤالك مالم تعلم (قال رب انى أعوذ بك) من (أن أسألك ماليس لى به علم والاتغفرلى) مافرط منى (وترحمنى أكن من الخاسرين قيل يانوح اهبط) انزل من السفينة (بسلام) بسلامة أوبتحية (منا وبركات) خيرات (عليك وعلى أمم ممن معك) فى السفينة أى من أولادهم وذريتهم وهم المؤمنون (وأمم) بالرفع ممن معك (سنمتعهم) فى الدنيا (ثم يمسهم مناعذاب أليم) فى الآخرة وهم الكفار (تلك) أى هذه الآيات المتضمنة قصة نوح (من أنباء الغيب) أخبار ماغاب عنك (نوحيها اليك) يامحمد (ما كنت تعلمها أنت ولاقومك من قبل هذا) القرآن (فاصبر) على التبليغ وأذى قومك صبر نوح (ان

العاقبة) المحمودة (للمتقين و) أرسلنا (الى عاد أخاهم) من القبيلة (هودا قال ياقوم اعبدوا الله) وحدوه (مالكم من) زائدة (اله غيره ان) ما (أنتم) فى عبادتكم الاوثان (الامفترون)كاذبون على الله (ياقوم لاأسالكم عليه) على التوحيد (أجرا ان) ما (أجرى الا على الذى فطرنى) خلقنى (أفلاتعقلون وياقوم استغفروا ربكم) من الشرك (ثم توبوا)ارجعوا (اليه)بالطاعة(يرسل السماء) المطر وكانوا قد منعوه (عليكم مدرارا) كثير الدرور (ويزدكم قوة الى) مع (قوتكم) بالمال والولد (ولاتتولوا مجرمين) مشركين(قالوا ياهود ماجئتنا ببينة) برهان على قولك (ومانحن بتاركى آلهتنا عن قولك) أى لقولك (ومانحن لك بمؤمنين ان) ما (نقول) فى شانك (الا اعتراك) أصابك (بعض آلهتنا بسوء) فخبلك لسبك اياها فانت تهذى (قال انى أشهدالله) على (واشهدوا أنى برىء مما تشركون) به

كان لم يلبثوا الاساعة من النهار) يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا اوالقبور لهول مايرون والجملة التشبيهية فى موقع الحال اى نحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الاساعة اوصفة ليوم والعائد محذوف تقديره كان لم يلبثوا قبله اوالمصدر محذوف اى حشرا كان لم يلبثوا قبله (يتعارفون بينهم) يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتفارقوا الاقليلا وهذا اول ماتشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم وهو حال اخرى مقدرة اوبيان لقوله كأن لم يلبثوا اومتعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم نحشرهم (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) للشهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا من الضمير فى يتعارفون على ارادة القول (وما كانوا مهتدين) لطرق استعمال مامنحوا من المعاون فى تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات ادت بهم الى الردى والعذاب الدائم (واما نرينك) نبصرنك (بعض الذى نعدهم) من العذاب فى حيوتك كما اراه يوم بدر (او نتوفينك) قبل ان نريك (فالينا مرجعهم) فنريكه فى الآخرة وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذلك (ثم الله شهيد على مايفعلون) مجاز عليه ذكر الشهادة واراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم اومؤدى شهادته على افعالهم يوم القيمة (ولكل امة) من الامم الماضية (رسول) بعث اليهم ليدعوهم الى الحق (فاذا جاء رسولهم) بالبينات فكذبوه (قضى بينهم) بين الرسول ومكذبيه (بالقسط) بالعدل فانجى الرسول واهلك المكذبون (وهم لايظلمون) وقيل معناه لكل امة رسول يوم القيمة تنسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضى بينهم بانجاء المؤمن وعقاب الكافر لقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم (ويقولون متى هذا الوعد) استبعادا له واستهزاء به (ان كنتم صادقين) خطاب منهم للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين (قل لااملك لنفسى ضرا ولانفعا) فكيف املك لكم فاستعجل فى جلب العذاب اليكم (الاماشاءالله) ان املكه اوولكن ماشاءالله من ذلك كائن (لكل امة اجل) مضروب لهلاكهم (اذا جاء اجلهم فلايستأخرون ساعة ولايستقدمون) لايتأخرون ولايتقدمون فلاتستعجلوا فسيحين وقتكم وينجز وعدكم (قل ارأيتم ان اتاكم عذابه) الذى تستعجلون به (بياتا) وقت بيات واشتغال بالنوم (اونهارا) حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم

(ماذا)

(ماذا يستعجل منه المجرمون) اى شئ من العذاب يستعجلونه وكله مكروه لا يلائم الاستعجال وهو متعلق بارأيتم لانه بمعنى اخبرونى والمجرمون وضع موضع الضمير للدلالة على انهم لجرمهم ينبغى ان يفزعوا من مجئ الوعيد لا ان يستعجلوه وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا خطاءه ويجوز ان يكون الجواب ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تعطينى وتكون الجملة متعلقة بارأيتم او بقوله (اثم اذا ماوقع آمنتم به) بمعنى ان اتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم لانكار التأخير (آلآن) على ارادة القول اى قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به وعن نافع الآن بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام (وقد كنتم به تستعجلون) تكذيبا واستهزاء (ثم قيل للذين ظلموا) عطف على قيل المقدر (ذوقوا عذاب الخلد) المؤلم على الدوام (هل تجزون الا بما كنتم تكسبون) من الكفر والمعاصى (ويستنبؤنك) ويستخبرونك (احق هو) احق ماتقول من الوعد او ادعاء النبوة تقوله بجدام باطل تهزل به قاله حيى بن اخطب لما قدم مكة والاظهر ان الاستفهام فيه على اصله لقوله ويستنبؤنك وقيل انه للانكار ويؤيده انه قرئ الحق هو فان فيه تعريضا بانه باطل واحق مبتدأ والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر او خبر مقدم والجملة فى موضع النصب بيستنبؤنك (قل اى وربى انه لحق) ان العذاب لكائن اوما أدعيه لثابت وقيل كلا الضميرين للقرآن واى بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواوه فى التصديق فيقال اى والله ولا يقال اى وحده (وما انتم بمعجزين) فائتين العذاب (ولو ان لكل نفس ظلمت) بالشرك او التعدى على الغير (ما فى الارض) من خزائنها واموالها (لافتدت به) لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه (واسروا الندامة لما رأوا العذاب) لانهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها او لانه يقال سر الشئ لخالصته من حيث انها تخفى ويضن بها وقيل اظهروها من قولهم سر الشئ واسره اذا اظهره (وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون) ليس تكريرا لان الاول قضاء بين الانبياء وتكذيبهم والثانى مجازاة المشركين على الشرك او الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير

(من دونه فكيدونى) احتالوا فى هلاكى (جميعا) أنتم وأوثانكم (ثم لا تنظرون) تمهلون (انى توكلت على الله ربى وربكم ما من) زائدة (دابة) نسمة تدب على الارض (الا هو آخذ بناصيتها) أى مالكها وقاهرها فلا نفع ولا ضرر الا باذنه وخص الناصية بالذكر لان من أخذ بناصيته يكون فى غاية الذل (ان ربى على صراط مستقيم) أى طريق الحق والعدل (فان تولوا) فيه حذف احدى التاءين أى تعرضوا (فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم ويستخلف ربى قوما غيركم ولا تضرونه شيئا) باشراككم (ان ربى على كل شئ حفيظ) رقيب (ولما جاء امرنا) عذابنا (نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة) هداية (منا ونجيناهم من عذاب غليظ) شديد (وتلك عاد) اشارة الى آثارهم أى فسيحوا فى الارض وانظروا اليها ثم وصف أحوالهم فقال (جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله) جمع لان من عصى

انما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم (الا ان لله مافى السموات والارض) تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب (الا ان وعدالله حق) ماوعده من الثواب والعقاب كائن لاخلف فيه (ولكن اكثرهم لا يعلمون) لانهم لا يعلمون لقصور عقولهم الا ظاهرا من الحيوة الدنيا (هو يحيى ويميت) فى الدنيا فهو يقدر عليهما فى الاخرى لان القادر لذاته لا يزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحيوة والموت قابلة لهما ابدا (واليه ترجعون) بالموت او النشور (ياايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) اى قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها والمرغبة فى المحاسن والزاجرة عن المقابح والحكمة النظرية التى هى شفاء لما فى الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين من حيث انزلت عليهم فنجوا بها من ظلمة الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم (قل بفضل الله وبرحمته) بانزال القرآن والباء متعلقة بفعل يفسره قوله (فبذلك فليفرحوا) فان اسم الاشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا او فليفرحوا فبذلك فليفرحوا وفائدة ذلك التكرير التأكيد والبيان بعد الاجمال وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح او بفعل دل عليه قد جاءتكم وذلك اشارة الى مصدره اى فبمجيئها فليفرحوا والفاء الاولى بمعنى الشرط كأنه قيل ان فرحوا بشئ فبهما فليفرحوا او للربط بما قبلها والدلالة على ان مجئ الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتأكيد كقوله * واذا هلكت فعند ذلك فاجزعى * وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض وقد روى مرفوعا ويؤيده انه قرئ فافرحوا (هو خير مما يجمعون) من حطام الدنيا فانها الى الزوال وهو ضمير ذلك وقرأ ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعونه ايها المخاطبون (قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق) جعل الرزق منزلا لانه مقدر فى السماء محصل باسباب منها وما فى موضع النصب بانزل او بارأيتم فانه بمعنى اخبرونى ولكم دل على ان المراد منه ما حل ولذلك وبخ على التبعيض فقال (فجعلتم منه حراما وحلالا) مثل هذه انعام وحرث حجر ومافى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا (قل آلله اذن لكم) فى التحريم والتحليل

(فتقولون)

رسولا عصى جميع الرسل لاشتراكهم فى اصل ماجاؤا به وهو التوحيد (واتبعوا) أى السفلة (أمر كل جبار عنيد) معاند للحق من رؤسائهم (وأتبعوا فى هذه الدنيا لعنة) من الناس (ويوم القيمة) لعنة على رؤس الخلائق (ألا ان عادا كفروا) جحدوا (ربهم ألا بعدا) من رحمة الله (لعاد قوم هود و) أرسلنا (الى ثمود أخاهم) من القبيلة (صالحا قال ياقوم اعبدوا الله) وحدوه (مالكم من اله غيره هو أنشأكم) ابتدأ خلقكم (من الارض) بخلق أبيكم آدم منها (واستعمركم فيها) جعلكم عمارا تسكنون بها (فاستغفروه) من الشرك (ثم توبوا) ارجعوا (اليه) بالطاعة (ان ربى قريب) من خلقه بعلمه (مجيب) لمن سأله (قالوا ياصالح قد كنت فينا مرجوا) نرجو أن تكون سيدا (قبل هذا) الذى صدر منك (أتنهانا أن نعبد مايعبد آباؤنا) من الاوثان (واننا لفى شك مما تدعونا اليه) من التوحيد (مريب) موقع فى الريب (قال ياقوم أرأيتم

فتقولون ذلك بحكمه (ام على الله تفترون) فى نسبة ذلك اليه ويجوز ان تكون المنفصلة متصلة بارأيتم وقل مكرر للتأكيد وان يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير لافترائهم على الله (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب) اى شئ ظنهم (يوم القيمة) ايحسبون ان لايجاوزوا عليه وهو منصوب بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضى لانه كائن وفى ابهام الوعيد تهديد عظيم (ان الله لذو فضل على الناس) حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل وانزال الكتب (ولكن اكثرهم لايشكرون) هذه النعمة (وما تكون فى شأن) ولاتكون فى امر واصله الهمزة من شأنت شأنه اذا قصدت قصده والضمير فى (وما تتلو منه) له لان تلاوة القرآن معظم شأن الرسول عليه الصلوة والسلام او لان القراءة تكون لشأن فيكون التقدير من اجله ومفعول تتلو (من قرآن) على ان من تبعيضية او مزيدة لتأكيد النفى او للقرآن واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له او لله (ولاتعملون من عمل) تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو رأسهم ولذلك ذكر حيث خص مافيه فخامة وذكر حيث عم مايتناول الجليل والحقير (الا كنا عليكم شهودا) رقباء مطلعين عليه (اذ تفيضون فيه) تخوضون فيه وتندفعون (ومايعزب عن ربك) ولايبعد عنه ولايغيب عن علمه وقرأ الكسائى بكسر الزاى (من مثقال ذرة) موازن نملة صغيرة او هباء (فى الارض ولافى السماء) اى فى الوجود والامكان فان العامة لاتعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولامتعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام فى حال اهلها والمقصود منه البرهان على احاطة علمه بها (ولااصغر من ذلك ولااكبر الا فى كتاب مبين) كلام برأسه مقرر لما قبله ولانافية واصغر اسمها وفى كتاب خبرها وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ (الا ان اولياء الله) الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة (لاخوف عليهم) من لحوق مكروه (ولاهم يحزنون) بفوات مأمول والآية كمجمل يفسره قوله (الذين آمنوا وكانوا يتقون) وقيل الذين آمنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم اياه (لهم البشرى فى الحيوة الدنيا) وهو مابشر به المتقين فى كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ومايريهم فى الرؤيا الصالحة ومايسنح لهم

ان كنت على بينة) بيان (من ربى وآتانى منه رحمة) نبوة (فمن ينصرنى) يمنعنى (من الله) أى عذابه (ان عصيته فما تزيدوننى) بامركم لى بذلك (غير تخسير) تضليل (وياقوم هذه ناقة الله لكم آية) حال عامله الاشارة (فذروها تأكل فى أرض الله ولاتمسوها بسوء) عقر (فيأخذكم عذاب قريب) ان عقرتموها (فعقروها) عقرها قدار بامرهم (فقال) صالح (تمتعوا) عيشوا (فى داركم ثلاثة أيام) ثم تهلكون (ذلك وعد غير مكذوب) فيه (فلما جاء أمرنا) باهلاكهم (نجينا صالحا والذين آمنوا معه) وهم أربعة آلاف (برحمة منا و) نجيناهم (من خزى يومئذ) بكسر الميم اعرابا وفتحها بناء لاضافته الى مبنى وهو الاكثر (ان ربك هو القوى العزيز) الغالب (وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين) باركين على الركب ميتين (كأن) مخففة واسمها محذوف أى كأنهم (لم يغنوا) يقيموا

من المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزع (وفى الآخرة) بتلقى الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليه لهم ومحل الذين آمنوا النصب او الرفع على المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء وخبره لهم البشرى (لاتبديل لكلمات الله) اى لاتغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده (ذلك) اشارة الى كونهم مبشرين فى الدارين (هو الفوز العظيم) هذه الجملة والتى قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شأنه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام يتصل بما قبله (ولايحزنك قولهم) اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرأ نافع يحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى (ان العزة لله جميعا) استئناف بمعنى التعليل ويدل عليه القرآءة بالفتح كأنه قيل لاتحزن بقولهم ولاتبال بهم لان الغلبة لله جميعا لايملك غيره شيئا منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم (هو السميع) لاقوالهم (العليم) بعزماتهم فيكافيهم عليها (الا ان لله من فى السموات ومن فى الارض) من الملائكة والثقلين واذا كان هؤلاء الذين هم اشراف الممكنات عبيدا لايصلح احد منهم للربوبية فما لايعقل منها احق ان لايكون له ندا وشريكا فهو كالدليل على قوله (ومايتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) اى شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز ان يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه (ان يتبعون الا الظن) اى مايتبعون يقينا وانما يتبعون ظنهم انها شركاء ويجوز ان تكون ما استفهامية منصوبة بيتبع او موصولة معطوفة على من وقرى تدعون بالتاء والمعنى اى شئ يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين اى انهم لايتبعون الا الله ولايعبدون غيره فمالكم لاتتبعونهم فيه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان ومابعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشأ رأيهم (وان هم الايخرصون) يكذبون فيما ينسبون الى الله او يحذرون ويقدرون انها شركاء تقديرا باطلا (هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) تنبيه على كمال قدرته وعظيم نعمته المتوحد هو بهما ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذى هو سبب (ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) سماع تدبر واعتبار (قالوا اتخذ الله ولدا) اى تبناه (سبحانه) تنزيه له عن التبنى فانه لايصح الا ممن يتصور له الولد وتعجيب من كلمتهم الحمقاء

(فيها) فى دارهم (ألا ان ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود) بالصرف وتركه على معنى الحى والقبيلة (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) باسحق ويعقوب بعده (قالوا سلاما) مصدر (قال سلام) عليكم (فما لبث أن جاء بعجل حنيذ) مشوى (فلما رأى أيديهم لاتصل اليه نكرهم) بمعنى أنكرهم (وأوجس) اضمر فى نفسه (منهم خيفة) خوفا (قالوا لاتخف انا ارسلنا الى قوم لوط) لنهلكهم (وامرأته) اى امرأة ابراهيم سارة (قائمة) تخدمهم (فضحكت) استبشارا بهلاكهم (فبشرناها باسحق ومن وراء) بعد (اسحق يعقوب) ولده تعيش الى ان تراه (قالت ياويلتى) كلمة تقال عند امر عظيم والالف مبدلة من ياء الاضافة (أألد وأنا عجوز) لى تسع وتسعون سنة (وهذا بعلى شيخا) له مائة او وعشرون سنة ونصبه على الحال والعامل فيه ما فى ذا من الاشارة (ان هذا لشئ عجيب)

(هو الغنى) علة لتنزيهه فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة (له ما فى السموات وما فى الارض) تقرير لغناه (ان عندكم من سلطان بهذا) نفى لمعارض ما اقامه من البرهان مبالغة فى تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان اونعت له او بعندكم كأنه قيل ان عندكم فى هذا سلطان (اتقولون على الله مالا تعلمون) توبيخ وتقريع على اختلافهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول لادليل عليه فهو جهالة وان العقائد لابدلها من قاطع وان التقليد فيها غير سائغ (قل ان الذين يفترون على الله الكذب) باتخاذ الولد واضافة الشريك اليه (لايفلحون) لاينجون من النار ولايفوزون بالجنة (متاع فى الدنيا) خبر مبتدأ محذوف اى افتراؤهم متاع فى الدنيا يقيمون به رياستهم فى الكفر او حيوتهم او تقلبهم متاع او مبتدأ خبره محذوف اى لهم تمتع فى الدنيا (ثم الينا مرجعهم) بالموت فيلقون الشقاء المؤبد (ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) بسبب كفرهم (واتل عليهم نبأ نوح) خبره مع قومه (اذقال لقومه ياقوم ان كان كبر عليكم) عظم عليكم وشق (مقامى) نفسى كقولك فعلت كذا لمكان فلان او كونى واقامتى بينكم مدة مديدة او قيامى على الدعوة (وتذكيرى) اياكم (بآيات الله فعلى الله توكلت) وثقت به (فاجمعوا امركم) فاعزموا عليه (وشركاءكم) اى مع شركائكم ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير ان يؤكد للفصل وقيل انه معطوف على امركم بحذف المضاف اى وامر شركائكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركائكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى امرهم بالعزم او الاجتماع على قصده والسعى فى اهلاكه على اى وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم (ثم لايكن امركم) فى قصدى (عليكم غمة) مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه اذا ستره او ثم لاتكن حالكم عليكم غما اذا اهلكتمونى وتخلصتم من ثقل مقامى وتذكيرى (ثم اقضوا) ادوا (الى) ذلك الامر الذى تريدون بى وقرئ ثم افضوا بالفاء اى انتهوا الى بشركم اوابرزوا الى من افضى اذا خرج الى الفضاء (ولا تنظرون) ولا تمهلونى (فان توليتم) اعرضتم عن تذكيرى (فماسألتكم من اجر) يوجب توليكم لثقله عليكم واتهامكم اياى لاجله اويفوتنى لتوليكم (ان اجرى) ما ثوابى على الدعوة والتذكير (الا على الله) لاتعلق له بكم يثيبنى به آمنتم او توليتم (وامرت ان اكون من المسلمين) المنقادين لحكمه لااخالف امره ولا ارجو

ان يولد ولد لهرمين (قالوا أتعجبين من أمر الله) قدرته (رحمت الله وبركاته عليكم) يا (أهل البيت) بيت ابراهيم (انه حميد) محمود (مجيد) كريم (فلما ذهب عن ابراهيم الروع) الخوف (وجاءته البشرى) بالولد أخذ (يجادلنا) يجادل رسلنا (فى) شأن (قوم لوط ان ابراهيم لحليم) كثير الاناءة (أواه منيب) رجاع فقال لهم أتهلكون قرية فيها ثلثمائة مؤمن قالوا لاقال أفتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن قالوا لاقال أفتهلكون قرية فيها أربعون مؤمنا قالوا لاقال أفتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمنا قالوا لاقال أفرأيتم ان كان فيها مؤمن واحد قالوا لاقال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها الخ فلما أطال مجادلتهم قالوا (يا ابراهيم أعرض عن هذا) الجدال (انه قد جاء أمر ربك) بهلاكهم (وانهم آتيهم عذاب غير مردود ولما جائت رسلنا لوطا سيء بهم) حزن بسببهم

غيره (فكذبوه) فاصروا على تكذيبه بعدما الزمهم الحجة و بين ان توليهم ليس الالعنادهم وتمردهم لاجرم حقت عليهم كلمة العذاب (فنجيناه) من الغرق (ومن معه في الفلك) وكانوا ثمانين (وجعلناهم خلائف) من الهالكين به (واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) بالطوفان (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) تعظيم لما اجرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وتسلية له (ثم بعثنا) ارسلنا (من بعده) من بعد نوح (رسلا الى قومهم) كل رسول الى قومه (فجاؤهم بالبينات) بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم (فما كانوا ليؤمنوا) فما استقام لهم ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم في الكفر وخذلان الله اياهم (بما كذبوا به من قبل) اى بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليهم قبل بعثة الرسل (كذلك نطبع على قلوب المعتدين) بخذلانهم لانهما كهم في الضلال واتباع المألوف وفي امثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد وقدم تحقيق ذلك (ثم بعثنا من بعدهم) من بعد هؤلاء الرسل (موسى وهرون الى فرعون وملائه بآياتنا) بالآيات التسع (فاستكبروا) عن اتباعهما (وكانوا قوما مجرمين) معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترؤا على ردها (فلما جاءهم الحق من عندنا) وعرفوه بتظاهر المعجزات الباهرة المزيحة للشك (قالوا) من فرط تمردهم (ان هذا لسحر مبين) ظاهر انه سحر اوفائق في فنه واضح فيما بين اخوانه (قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم) انه لسحر فحذف المحكي المقول لدلالة ماقبله عليه ولايجوز ان يكون (اسحر هذا) لانهم بتوا القول بل هو استئناف بانكار ماقالوه اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكي مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى اتقولون للحق اتعيبونه من قولهم فلان يخاف المقالة كقوله سمعنا فتى يذكرهم فيستغني عن المقول (ولا يفلح الساحرون) من تمام كلام موسى عليه السلام للدلالة على انه ليس بسحر فانه لوكان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم بانه لايفلح الساحر لايسحر اومن تمام قولهم ان جعل اسحر هذا محكيا كأنهم قالوا اجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولايفلح الساحرون (قالوا أجئتنا لتلفتنا) لتصرفنا واللفت والفتل اخوان (عما وجدنا عليه آباءنا) من عبادة الاصنام (وتكون لكما الكبرياء في الارض) الملك فيها سمي بها لاتصاف الملوك بالكبر او التكبر على (الناس)

(وضاق بهم ذرعا) صدرا لانهم حسان الوجوه في صورة أضياف فخاف عليهم قومه (وقال هذا يوم عصيب) شديد (وجاءه قومه) لما علموا بهم (يهرعون) يسرعون (اليه ومن قبل) قبل مجيئهم (كانوا يعملون السيئات) وهي اتيان الرجال في الادبار (قال) لوط (ياقوم هؤلاء بناتي) فتزوجوهن (هن أطهر لكم فاتقوا الله ولاتخزون) تفضحوني (في ضيفي) أضيافي (أليس منكم رجل رشيد) يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر (قالوا لقد علمت مالنا في بناتك من حق) حاجة (وانك لتعلم مانريد) من اتيان الرجال (قال لو أن لي بكم قوة) طاقة (أو آوي الى ركن شديد) عشيرة تنصرني لبطشت بكم فلما رأت الملائكة ذلك (قالوا يالوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك) بسوء (فأسر باهلك بقطع) طائفة (من الليل ولايلتفت منكم أحد) لئلا يرى عظيم ماينزل بهم (الا امرأتك) بالرفع بدل

الناس باستتباعهم (وما نحن لكما بمؤمنين) بمصدقين فيما جئتما به (وقال فرعون ائتونى بكل ساحر) وقرأ حمزة والكسائى بكل سحار (عليم) حاذق فيه (فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر) اى الذى جئتم به هو السحر لاما سماه فرعون وقومه سحرا وقرأ ابوعمرو آلسحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها وآلسحر بدل منه او خبر مبتدأ محذوف تقديره اهو السحر او مبتدأ خبره محذوف اى آلسحر هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده تقديره اى شئ اتيتم (ان الله سيبطله) سيمحقه او سيظهر بطلانه (ان الله لا يصلح عمل المفسدين) لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له (ويحق الله الحق) ويثبته (بكلماته) باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته (ولو كره المجرمون) ذلك (فما آمن لموسى) فى مبدأ امره (الا ذرية من قومه) الا اولاد من اولاد قومه بنى اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون الا طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به او مؤمن آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وزوجته وماشطته (على خوف من فرعون وملائهم) اى مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد فى ضمير العظماء او على ان المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم (ان يفتنهم) ان يعذبهم فرعون وهو بدل منه او مفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف من الملأ كان بسببه (وان فرعون لعال فى الارض) لغالب فيها (وانه لمن المسرفين) فى الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء (وقال موسى) لما رأى تخوف المؤمنين به (يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا) فثقوا به واعتمدوا عليه (ان كنتم مسلمين) مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضى له والمشروط بالاسلام حصوله فانه لا يوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت (فقالوا على الله توكلنا) لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم (ربنا لا تجعلنا فتنة) موضع فتنة (للقوم الظالمين) اى لا تسلطهم علينا فيفتنونا (ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) من كيدهم وشؤم مشاهدتهم وفى تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعى

من احد وفى قراءة بالنصب استثناء من الاهل اى فلا تسر بها (انه مصيبها ما أصابهم) فقيل لم يخرج بها وقيل خرجت والتفتت فقالت واقوماه فجاءها حجر فقتلها وسألهم عن وقت هلاكهم فقالوا (ان موعدهم الصبح) فقال أريد أعجل من ذلك قالوا (أليس الصبح بقريب فلما جاء أمرنا) باهلاكهم (جعلنا عاليها) اى قراهم (سافلها) اى بأن رفعها جبريل الى السماء واسقطها مقلوبة الى الارض (وامطرنا عليها حجارة من سجيل) طين طبخ بالنار (منضود) متتابع (مسومة) معلمة عليها اسم من يرمى بها (عند ربك) ظرف لها (وما هى) الحجارة او بلادهم (من الظالمين) اى اهل مكة (ببعيد و) أرسلنا (الى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله) وحده (ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان انى اراكم بخير) نعمة تغنيكم عن التطفيف (وانى

ينبغى ان يتوكل اولا ليجاب دعوته ﴿ واوحينا الى موسى واخيه ان تبوآ ﴾ ان اتخذا مباءة ﴿ لقومكما بمصر بيوتا ﴾ يسكنون فيها اويرجعون اليها للعبادة ﴿ واجعلوا ﴾ انتما وقومكما ﴿ بيوتكم ﴾ تلك البيوت ﴿ قبلة ﴾ مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعنى الكعبة وكان موسى يصلى اليها ﴿ واقيموا الصلوة ﴾ فيها امروا بذلك اول امرهم لئلايظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ بالنصرة فى الدنيا والجنة فى العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان التبوؤ للقوم اتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة مماينبغى ان يفعله كل احد ثم وحد لان البشارة فى الاصل وظيفة صاحب الشريعة ﴿ وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة ﴾ مايتزين به من الملابس والمراكب ونحوها ﴿ واموالا فى الحيوة الدنيا ﴾ وانواعا من المال ﴿ ربنا ليضلوا عن سبيلك ﴾ دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة احوالهم انه لايكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهى متعلقة بآتيت ويحتمل ان تكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها سببا للضلال فكأنهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول وتأكيدا او تنبيها على ان المقصود عرض ضلالتهم وكفرانهم تقدمة لقوله ﴿ ربنا اطمس على اموالهم ﴾ اى اهلكها والطمس المحق وقرئ واطمس بالضم ﴿ واشدد على قلوبهم ﴾ اى واقسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان ﴿ فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ﴾ جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهى او عطف على ليضلوا ومابينهما دعاء معترض ﴿ قال قداجيبت دعوتكما ﴾ يعنى موسى وهرون عليهما السلام لانه كان يؤمن ﴿ فاستقيما ﴾ فاثبتا على ماانتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ماطلبتما كائن ولكن فى وقته روى انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة ﴿ ولاتتبعان سبيل الذين لا يعلمون ﴾ طريق الجهلة فى الاستعجال اوعدم الوثوق والاطمئنان بوعدالله وعن ابن عامر برواية ابن ذكوان ولاتتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولاتتبعان من تبع يتبع ولاتتبعان ايضا ﴿ وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر ﴾ اى جوزناهم فى البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ جوزنا وهو من فعل المرادف لفاعل كضعف وضاعف ﴿ فاتبعهم ﴾ فادركهم يقال تبعته حتى اتبعته ﴿ فرعون وجنوده بغيا

(وعدوا)

أخاف عليكم) ان لم تؤمنوا (عذاب يوم محيط) بكم يهلككم ووصف اليوم به مجاز لوقوعه فيه (وياقوم أوفوا المكيال والميزان) اتموهما (بالقسط) بالعدل (ولاتبخسوا الناس اشياءهم) لاتنقصوهم من حقهم شيئا (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) بالقتل وغيره من عثى بكسر المثلثة افسد ومفسدين حال مؤكدة لمعنى عاملها تعثوا (بقيت الله) رزقه الباقى لكم بعد ايفاء الكيل والوزن (خيرلكم) من البخس (ان كنتم مؤمنين وما اناعليكم بحفيظ) رقيب اجازيكم باعمالكم انما بعثت نذيرا (قالوا) له استهزاء (ياشعيب اصلواتك تأمرك) بتكليف (ان نترك مايعبد آباؤنا) من الاصنام (او) نترك (ان نفعل فى اموالنا مانشاء) المعنى هذا امر باطل لايدعو اليه داع بخير (انك لانت الحليم الرشيد) قالوا ذلك استهزاء (قال ياقوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربى ورزقنى منه رزقا حسنا) حلالا افاشوبه

وعدوا) باغين وعادين اوللبغي والعدو وقرىء وعدوا (حتى اذا ادركه الغرق) لحقه (قال آمنت انه) اى بانه (لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين) قرأ حمزة والكسائى انه بالكسر على اضمار القول اوالاستئناف بدلا وتفسيرا لآمنت فنكب عن الايمان اوان القبول وبالغ فيه حين لايقبل (آلآن) اتؤمن الآن وقد ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار (وقد عصيت قبل) قبل ذلك مدة عمرك (وكنت من المفسدين) الضالين المضلين عن الايمان (فاليوم ننجيك) نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنو اسرائيل وقرأ يعقوب ننجيك من الانجى وقرىء ننحيك بالحاء اى نلقيك بناحية الساحل (ببدنك) فى موضع الحال اى ببدنك عاريا عن الروح اوكاملا سويا اوعريانا من غير لباس او بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرىء بابدانك اى باجزاء البدن كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروعك كأنه كان مظاهرا بينها (لتكون لمن خلفك آية) لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان فى نفوسهم من عظمته ماخيل اليهم انه لايهلك حتى كذبوا موسى عليه السلام حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل اولمن يأتى بعدك من القرون اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان اوحجة تدلهم على ان الانسان على ماكان عليه من عظم الشان وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرىء لمن خلقك اى لخالقك آية كسائر الآيات فان افراده اياك بالالقاء الى الساحر دليل على انه تعمدمنه لكشف تزويرك واماطة الشبهة فى امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا الوجه ايضا محتمل على المشهور (وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون) لايتفكرون فيها ولايعتبرون بها (ولقد بوأنا) انزلنا (بنى اسرائيل مبوأ صدق) منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر (ورزقناهم من الطيبات) من اللذائذ (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم) فما اختلفوا فى امر دينهم الا من بعدما قرؤا التورية وعلموا احكامها اوفى امر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الا من بعدما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته (ان ربك يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون) فيميز الحق عن المبطل بالانجاء والاهلاك (فان كنت فى شك مما انزلنا اليك) من القصص على سبيل الفرض والتقدير (فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) فانه

بالحرام من البخس والتطفيف (وما اريد ان اخالفكم) واذهب (الى ما انهاكم عنه) فارتكبه (ان) ما (أريد الا الا صلاح) لكم بالعدل (مااستطعت وما توفيقى) قدرتى على ذلك وغيره من الطاعات (الا بالله عليه توكلت واليه انيب) ارجع (وياقوم لايجرمنكم) يكسبنكم (شقاقى) خلافى فاعل يجرم والضمير مفعول اول والثانى (أن يصيبكم مثل مااصاب قوم نوح اوقوم هود اوقوم صالح) من العذاب (وماقوم لوط) اى منازلهم اوزمن هلاكهم (منكم ببعيد) فاعتبروا (واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربى رحيم) بالمؤمنين (ودود) محب لهم (قالوا) ايذانا بقلة المبالاة (ياشعيب مانفقه) نفهم (كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا) ذليلا (ولولا رهطك) عشيرتك (لرجمناك) بالحجارة (وما انت علينا بعزيز) كريم عن الرجم وانما رهطك هم الاعزة (قال ياقوم أرهطى

محقق عندهم ثابت فى كتبهم على نحوما القينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما فى الكتب المتقدمة فان القرآن مصدق لما فيها اووصف اهل الكتاب بالرسوخ فى العلم بصحة ماانزل اليه اوتهييج الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وزيادة تثبيته لاامكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه الصلوة والسلام لااشك ولااسأل وقيل الخطاب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد به امته اولكل من يسمع اى ان كنت ايها السامع فى شك مما نزلنا على لسان نبيك اليك وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة فى الدين ينبغى ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم (لقد جاءك الحق من ربك) واضحا انه لامدخل للمرية فيه بالآيات القاطعة (فلاتكونن من الممترين) بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين (ولاتكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين) ايضا من باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع عنه كقوله فلاتكونن ظهيرا للكافرين (ان الذين حقت عليهم) ثبتت عليهم (كلمة ربك) بانهم يموتون على الكفر اويخلدون فى العذاب (لايؤمنون) اذلايكذب كلامه ولاينتقض قضاؤه (ولو جاءتهم كل آية) فان السبب الاصلى لايمانهم وهو تعلق ارادة الله به مفقود (حتى يروا العذاب الاليم) وحينئذ لاينفعهم كمالاينفع فرعون (فلولا كانت قرية آمنت) فهلا كانت قرية من القرى التى اهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب ولم يؤخر اليها كما اخر فرعون (فنفعها ايمانها) بان يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها (الاقوم يونس) لكن قوم يونس عليه السلام (لما آمنوا) اول مارأوا امارة العذاب ولم يؤخروه الى حلوله (كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا) ويجوز ان تكون الجملة فى معنى النفى لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد من القرى اهاليها كانه قال ماآمن اهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الاقوم يونس ويؤيده قراءة الرفع على البدل (ومتعناهم الى حين) الى آجالهم روى ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من الموصل فكذبوه واصروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلاث وقيل الى ثلاثين وقيل الى اربعين فلما دنا الموعد اغامت السماء غيما اسود ذادخان شديد فهبط حتى غشى مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن

اعز عليكم من الله) فتركوا قتلى لأجلهم ولاتحفظونى لله (واتخذتموه) اى الله (وراءكم ظهريا) منبوذا خلف ظهوركم لاتراقبونه (ان ربى بما تعملون محيط) علما فيجازيكم (وياقوم اعملوا على مكانتكم) حالتكم (انى عامل) على حالتى (سوف تعلمون من) موصولة مفعول العلم (يأتيه عذاب يخزيه ومن هوكاذب وارتقبوا) انتظروا عاقبة امركم (انى معكم رقيب) منتظر (ولما جاء امرنا) باهلاكهم (نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة) صاح بهم جبريل (فاصبحوا فى ديارهم جاثمين) باركين على الركب ميتين (كأن) مخففة اى كأنهم (لم يغنوا) يقيموا (فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين) برهان بين ظاهر (الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون وما امر فرعون برشيد) سديد (يقدم) يتقدم (قومه يوم القيمة)

بعضها الى بعض وعات الاصوات والعجيج واخلصوا النية واظهروا
الايمان وتضرعوا الى الله فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم
الجمعة (ولوشاء ربك لآمن من فى الارض كلهم) بحيث لايشذ منهم احد
(جميعا) مجتمعين على الايمان لايختلفون فيه وهو دليل على القدرية فى انه
تعالى لم يشأ ايمانهم اجمعين فان من شاء ايمانه يؤمن لامحالة والتقييد بمشيئة
الالجاء خلاف الظاهر (أفانت تكره الناس) بما لم يشأ الله منهم (حتى
يكونوا مؤمنين) وترتيب الاكراه على المشيئة بالفاء وايلاؤها حرف الاستفهام
للانكار وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشيئة مستحيل
فلا يمكنه تحصيله بالاكراه عليه فضلا عن الحث والتحريض عليه اذروى
انه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره بقوله
(وما كان لنفس ان تؤمن) بالله (الا باذن الله) الا بارادته واطلاقه وتوفيقه
فلا تجهد نفسك فى هداها فانه الى الله (ويجعل الرجس) العذاب
او الخذلان فانه سببه وقرئ بالزاى وقرأ ابو بكر ونجعل بالنون (على الذين
لا يعقلون) لا يستعملون عقولهم بالنظر فى الحجج والآيات او لا يعقلون دلائله
واحكامه لماعلى قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول قوله (قل انظروا) اى تفكروا
(ماذا فى السموات والارض) من عجائب صنعه ليدلكم على وحدته وكمال قدرته
وماذا ان جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل (وما تغنى الآيات والنذر
عن قوم لايؤمنون) فى علم الله وحكمه وما نافية او استفهامية فى موضع النصب
(فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم) مثل وقائعهم ونزول
بأس الله بهم اذلا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقائعها (قل فانتظروا انى
معكم من المنتظرين) لذلك او فانتظروا هلاكى انى معكم من المنتظرين هلاككم
(ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا) عطف على محذوف دل عليه الامثل ايام الذين
خلوا كأنه قيل نهلك الامم ثم ننجى رسلنا ومن آمن بهم على حكاية الحال الماضية
(كذلك حقا علينا ننجى المؤمنين) كذلك الانجاء او انجاء كذلك ننجى محمدا عليه
الصلوة والسلام وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا اعتراض ونصبه بفعله
المقدر وقيل بدل من ذلك وقرأ حفص والكسائى ننج المؤمنين مخففا (قل يا ايها
الناس) خطاب لاهل مكة (ان كنتم فى شك من دينى) وصحته (فلا اعبد الذين
تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذى يتوفاكم) فهذا خلاصة دينى اعتقادا
وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا

فيتبعونه كما اتبعوه فى الدنيا
(فأوردهم) ادخلهم (النار
وبئس الورد المورود) هى
(واتبعوا فى هذه) اى الدنيا
(لعنة ويوم القيمة) لعنة
(بئس الرفد) العون (المرفود)
رفدهم (ذلك) المذكور
مبتدأ خبره (من انباء القرى
نقصه عليك) يا محمد (منها)
اى القرى (قائم) هالك اهله
دونه (و) منها (حصيد)
هالك باهله فلا اثر له كالزرع
المحصود بالمناجل (وما ظلمناهم)
باهلاكهم بغير ذنب (ولكن
ظلموا انفسهم) بالشرك
(فما اغنت) دفعت (عنهم
آلهتهم التى يدعون) يعبدون
(من دون الله) اى غيره
(من) زائدة (شئ لما جاء امر
ربك) عذابه (وما زادوهم)
بعبادتهم لها (غير تتبيب)
تخسير (وكذلك) مثل
ذلك الاخذ (اخذ ربك
اذا أخذ القرى) اريد اهلها
(وهى ظالمة) بالذنوب اى
فلا يغنى عنهم من اخذه شئ
(ان اخذه اليم شديد) روى
الشيخان عن ابى موسى

صحتها وهو انى لا اعبد ماتختلقونه وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم الذى هو يوجدكم ويتوفاكم وانما خص التوفى بالذكر للتهديد (وامرت ان اكون من المؤمنين) بما دل عليه العقل ونطق به الوحى وحذف الجار من ان يجوز ان يكون من المطرد مع ان وان وان يكون من غيره كقوله * امرتك الخير فافعل ما امرت به * فقد تركتك ذامال وذا نسب (وان اقم وجهك للدين) عطف على ان اكون غير ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما فى الغرض لان المقصود وصلها بما يتضمن معنى المصدر لتدل عليه معه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب والمعنى وامرت بالاستقامة فى الدين والاشتداد فيه باداء الفرائض والانتهاء عن القبائح او فى الصلوة باستقبال القبلة (حنيفا) حال من الدين اوالوجه (ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك) بنفسه ان دعوته او خذلته (فان فعلت) فان دعوته (فانك اذا من الظالمين) جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء (وان يمسسك الله بضر) وان يصبك به (فلا كاشف له) يرفعه (الا هو) الا الله (وان يردك بخير فلا راد) فلا دافع (لفضله) الذى اراد به ولعله ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات والضر انما مسهم لا بالقصد الاولى ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن رده (يصيب به) بالخير (من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية (قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم) رسوله اوالقرآن ولم يبق لكم عذر (فمن اهتدى) بالايمان والمتابعة (فانما يهتدى لنفسه) لان نفعه لها (ومن ضل) بالكفر بهما (فانما يضل عليها) لان وبال الضلال عليها (وما انا عليكم بوكيل) بحفيظ موكول الى امركم وانما انا بشير ونذير (واتبع مايوحى اليك) بالامتثال والتبليغ (واصبر) على دعوتهم وتحمل اذيتهم (حتى يحكم الله) بالنصرة او بالامر بالقتال (وهو خير الحاكمين) اذ لا يمكن الخطأ فى حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة يونس اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

(سورة)

الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليملى للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك أخذ ربك الآية (ان فى ذلك) المذكور من القصص (لآية) لعبرة (لمن خاف عذاب الآخرة ذلك) اى يوم القيمة (يوم مجموع له) فيه (الناس وذلك يوم مشهود) يشهده جميع الخلائق (وما نؤخره الا لاجل معدود) لوقت معلوم عندالله (يوم يأت) ذلك اليوم (لا تكلم) فيه حذف احدى التاءين (نفس الا باذنه) تعالى (فمنهم) اى الخلق (شقى و) منهم (سعيد) كتب كل فى الازل (فاما الذين شقوا) فى علمه تعالى (ففى النار لهم فيها زفير) صوت شديد (وشهيق) صوت ضعيف (خالدين فيها ما دامت السموات والارض) اى مدة دوامهما فى الدنيا (الا) غير (ماشاء ربك) من الزيادة على مدتهما مما لا منتهى له والمعنى خالدين فيها أبدا (ان ربك فعال لما يريد واما

سورة هود عليه السلام مكية وهى مائة وثلاث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(الر كتاب) مبتدأ وخبر او كتاب خبر مبتدأ محذوف (احكمت آياته) نظمت نظما محكما لا يعتريه اختلال من جهة اللفظ والمعنى أو منعت من الفساد والنسخ فان المراد آيات السورة وليس فيها منسوخ او احكمت بالحجج والدلائل او جعلت حكيمة منقول من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية (ثم فصلت) بالفوائد من العقائد والاحكام والمواعظ والاخبار او بجعلها سورا او بالانزال نجما نجما او فصل فيها ولخص مايحتاج اليه وقرئ ثم فصلت اى فرقت بين الحق والباطل واحكمت آياته ثم فصلت على البناء للمتكلم وثم للتفاوت فى الحكم او للتراخى فى الاخبار (من لدن حكيم خبير) صفة اخرى لكتاب او خبر بعد خبر اوصلة لاحكمت او فصلت وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها على اكمل ماينبغى باعتبار ماظهر امره وماخفى (ان لاتعبدوا الا الله) لان لاتعبدوا وقيل ان مفسرة لان فى تفصيل الآيات معنى القول ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ للاغراء على التوحيد او الامر بالتبرى عن عبادة الغير كأنه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه او اتركوها تركا (اننى لكم منه) من الله (نذير وبشير) بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد (وان استغفروا ربكم) عطف على ان لاتعبدوا (ثم توبوا اليه) ثم توصلوا الى مطلوبكم بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لابدله من الرجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة ويجوز ان يكون ثم لتفاوت مابين الامرين (يمتعكم متاعا حسنا) يعشكم فى امن ودعة (الى اجل مسمى) هو آخر اعماركم المقدرة اولا يهلككم بعذاب الاستئصال والارزاق والآجال وان كانت متعلقة بالاعمال لكنها مسماة بالاضافة الى كل احد فلا تتغير (ويؤت كل ذى فضل فضله) ويعط كل ذى فضل فى دينه جزاء فضله فى الدنيا او فى الآخرة وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين (وان تولوا) وان تتولوا (فانى اخاف عليكم عذاب يوم كبير) يوم القيمة وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من ولى (الى الله مرجعكم) رجوعكم فى ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس (وهو على كل شئ قدير) فيقدر على تعذيبهم اشد عذاب فكأنه تقرير لكبر اليوم (الا انهم يثنون صدورهم) يثنونها

الذين سعدوا) بفتح السين وضمها (ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا) غير (ماشاء ربك) كما تقدم ودل عليه فيهم قوله (عطاء غير مجذوذ) مقطوع وماتقدم من التأويل هو الذى ظهر وهو خال من التكلف والله اعلم بمراده (فلاتك) يا محمد (فى مرية) شك (مما يعبد هؤلاء) من الاصنام أنا نعذبهم كما عذبنا من قبلهم وهذا تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (مايعبدون الا كما يعبد آباؤهم) أى كعبادتهم (من قبل) وقد عذبناهم (وانا لموفوهم) مثلهم (نصيبهم) حظهم من العذاب (غير منقوص) أى تاما (ولقد آتينا موسى الكتاب) التورية (فاختلف فيه) بالتصديق والتكذيب كالقرآن (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير الحساب والجزاء للخلائق الى يوم القيمة (لقضى بينهم) فى الدنيا فيما اختلفوا فيه (وانهم) أى المكذبين به (لفى شك منه مريب) موقع فى الريبة (وان) بالتخفيف والتشديد (كلا)

عن الحق وينحرفون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اويولون ظهورهم وقرئ يثنونى بالياء والتاء من اثنونى وهو بناء المبالغة ويثنون واصله يثنونن من الثن وهو الكلأ الضعيف اراد به ضعف قلوبهم اومطاوعة صدورهم للثنى ويثنئن من اثنأن كابيأض بالهمزة ويثنوى (ليستخفوا منه) من الله بسرهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين عليه قيل انها نزلت فى طائفة من المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كيف يعلم وقيل نزلت فى المنافقين وفيه نظر اذ الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة (الاحين يستغشون ثيابهم) الاحين يأوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم (يعلم مايسرون) فى قلوبهم (ومايعلنون) بافواههم يستوى فى علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ماعسى يظهرونه (انه عليم بذات الصدور) بالاسرار ذات الصدور اوبالقلوب واحوالها (ومامن دابة فى الارض الاعلى الله رزقها) غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه (ويعلم مستقرها ومستودعها) اماكنها فى الحيوة والممات اوالاصلاب والارحام اومساكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة (كل) كل واحد من الدواب واحوالها (فى كتاب مبين) مذكور فى اللوح المحفوظ وكأنه اريد بالآية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا على الممكنات باسرها تقريرا للتوحيد ولماسبق من الوعد والوعيد (وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام) اى خلقهما ومافيهما كما مر بيانه فى الاعراف اوما فى جهتى العلو والسفل وجمع السموات دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل والذات دون السفليات (وكان عرشه على الماء) قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لانه كان موضوعا على متن الماء واستدل به على امكان الخلاء وان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك (ليبلوكم ايكم احسن عملا) متعلق بخلق اى خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلى لاحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم ومايحتاج اليه اعمالكم ودلائل وامارات تستدلون بها وتستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل البلوى لمافيه

أى كل الخلائق (لما) مازائدة واللام موطئة لقسم مقدر أوفارقة وفى قراءة بتشديد لما بمعنى الا فان نافية (ليوفينهم ربك اعمالهم) اى جزاءها (انه بما يعملون خبير) عالم ببواطنه كظواهره (فاستقم) على العمل بامر ربك والدعاء اليه (كما أمرت و) ليستقم (من تاب) آمن (معك ولا تطغوا) تجاوزوا حدود الله (انه بما تعملون بصير) فيجازيكم به (ولا تركنوا) تميلوا (الى الذين ظلموا) بموادة أومداهنة أورضا باعمالهم (فتمسكم) تصيبكم (النار ومالكم من دون الله) أى غيره (من) زائدة (أولياء) يحفظونكم منه (ثم لاتنصرون) تمنعون من عذابه (وأقم الصلوة طرفى النهار) الغداة والعشى أى الصبح والظهر والعصر (وزلفا) جمع زلفة أى طائفة (من الليل) أى المغرب والعشاء (ان الحسنات) كالصلوات الخمس (يذهبن السيئات) الذنوب الصغائر نزلت فيمن قبل أجنبية فاخبره صلى الله عليه وسلم فقال ألى هذا فقال لجميع امتى

من معنى العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار الشامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح للتحريض على احاسن المحاسن والتحضيض على الترقى دائما فى مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل مايعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع فى طاعة الله والمعنى ايكم اكمل علما وعملا (ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا أن هذا الا سحر مبين) اى ماالبعث او القول به او القرآن المتضمن لذكره الا كالسحر فى الخديعة او البطلان وقرأ حمزة والكسائى الاساحر على ان الاشارة الى القائل وقرئ انكم بالفتح على تضمين قلت معنى ذكرت او ان يكون ان بمعنى علّ اى ولئن قلت علكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتوا بانكاره لعدوه من قبيل مالا حقيقة له مبالغة فى انكاره (ولئن اخرنا عنهم العذاب) الموعود (الى امة معدودة) الى جماعة من الاوقات قليلة (ليقولن) استهزاء (مايحبسه) مايمنعه من الوقوع (الايوم يأتيهم) كيوم بدر (ليس مصروفا عنهم) ليس العذاب مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها (وحاق بهم) واحاط بهم وضع الماضى موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة فى التهديد (ماكانوا به يستهزؤن) اى العذاب الذى كانوا به يستعجلون فوضع يستهزؤن موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء (ولئن اذقنا الانسان منا رحمة) ولئن اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها (ثم نزعناها منه) ثم سلبنا تلك النعمة منه (انه ليؤوس) قطوع رجاءه من فضل الله تعالى لقلة صبره وعدم ثقته به (كفور) مبالغ فى كفران ماسلف له من النعمة (ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته) كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفى اختلاف الفعلين نكتة لاتخفى (ليقولن ذهب السيئات عنى) اى المصائب التى ساءتنى (انه لفرح) بطر بالنعم مغتر بها (فخور) على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها وفى لفظ الاذاقة والمس تنبيه على ان مايجده الانسان فى الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجده فى الآخرة وانه يقع فى الكفران والبطر بادنى شئ لان الذوق ادراك الطعم والمس مبدأ الوصول (الا الذين صبروا) على الضراء ايمانا بالله تعالى واستسلاما لقضائه (وعملوا الصالحات) شكرا لآلائه سابقها ولاحقها

كلهم رواه الشيخان (ذلك ذكرى للذاكرين) عظة للمتعظين (واصبر) يا محمد على أذى قومك أو على الصلوة (فان الله لايضيع أجر المحسنين) بالصبر على الطاعة (فلولا) فهلا (كان من القرون) الامم الماضية (من قبلكم أولوا بقية) أصحاب دين وفضل (ينهون عن الفساد فى الارض) المراد به النفى أى ما كان فيهم ذلك (الا) لكن (قليلا ممن أنجينا منهم) نهوا فنجوا ومن للبيان (واتبع الذين ظلموا) بالفساد وترك النهى (ما أترفوا) نعموا (فيه وكانوا مجرمين وماكان ربك ليهلك القرى بظلم) منه لها (وأهلها مصلحون) مؤمنون (ولوشاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) أهل دين واحد (ولا يزالون مختلفين) فى الدين (الا من رحم ربك) أراد لهم الخير فلا يختلفون فيه (ولذلك خلقهم) أى أهل الاختلاف له وأهل الرحمة لها (وتمت كلمة ربك) وهى (لأملأن جهنم من الجنة) الجن (والناس أجمعين وكلا) نصب بنقص وتنوينه عوض

(اولئك لهم مغفرة) لذنوبهم (واجر كبير) اقله الجنة والاستثناء من الانسان لان المراد به الجنس فاذا كان محلى باللام افاد الاستغراق ومن حمله على الكفار لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا (فلعلك تارك بعض مايوحى اليك) تترك تبليغ مايوحى اليك وهو مايخالف رأى المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به ولايلزم من توقع الشئ لوجود مايدعو اليه وقوعه لجواز ان يكون مايصرف عنه وهو عصمة الرسل من الخيانة فى الوحى والتقية فى التبليغ مانعا (وضائق به صدرك) وعارض لك احيانا ضيق صدرك بان تتلوه عليهم مخافة (ان يقولوا لولا انزل عليه كنز) ينفقه فى الاستتباع كالملوك (اوجاء معه ملك) يصدقه وقيل الضمير فى به مبهم يفسره ان يقولوا (انما انت نذير) ليس عليك الا الانذار بما اوحى اليك ولاعليك ردوا اواقترحوا فما بالك يضيق به صدرك (والله على كل شئ وكيل) فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء اقوالهم وافعالهم (ام يقولون افتراه) ام منقطعة والهاء لما يوحى (قل فأتوا بعشر سور مثله) فى البيان وحسن النظم تحداهم اولا بعشر سور ثم لما عجزوا عنها سهل الامر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد (مفتريات) مختلقات من عند انفسكم ان صح انى اختلقته من عند نفسى فانكم عرب فصحاء مثلى تقدرون على مثل ما اقدر عليه بل انتم اقدر لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم القريض والنظم (وادعوا من استطعتم من دون الله) الى المعاونة على المعارضة (ان كنتم صادقين) انه مفترى (فان لم يستجيبوا لكم) باتيان مادعوتم اليه وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اولان المؤمنين ايضا كانوا يتحدونهم وكان امر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم متناولا لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم فى كل امر الا ماخصه الدليل وللتنبيه على ان التحدى مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه قوله (فاعلموا انما انزل بعلم الله) ملتبسا بما لا يعلمه الا الله ولا يقدر عليه سواه (وان لا اله الا هو) واعلموا ان لا اله الا الله لانه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز آلهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه باعجازه عليه وفيه تهديد واقناط من ان يجيرهم من بأس الله آلهتهم (فهل انتم مسلمون) ثابتون على الاسلام راسخون فيه مخلصون اذا تحقق عندكم اعجازه مطلقا

(ويجوز)

عن المضاف اليه اى كل مايحتاج اليه (نقص عليك من أنباء الرسل ما) بدل من كلا (نثبت) نطمئن (به فؤادك) قلبك (وجاءك فى هذه) الانباء او الآيات (الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين) خصوا بالذكرى لانتفاعهم بها فى الايمان بخلاف الكفار (وقل للذين لايؤمنون اعملوا على مكانتكم) حالتكم (انا عاملون) على حالتنا تهديد لهم (وانتظروا) عاقبة أمركم (انا منتظرون) ذلك (ولله غيب السموات والارض) أى علم ماغاب فيهما (واليه يرجع) بالبناء للفاعل يعود وللمفعول يرد (الامر كله) فينتقم ممن عصى (فاعبده) وحده (وتوكل عليه) ثق به فانه كافيك (وما ربك بغافل عما يعملون) وانما يؤخرهم لوقتهم وفى قراءة بالفوقانية

سورة يوسف مكية مائة واحدى عشرة آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر) الله أعلم بمراده بذلك (تلك) هذه الآيات (آيات الكتاب) القرآن والاضافة بمعنى من (المبين) المظهر

ويجوز ان يكون الكل خطابا للمشركين والضمير فى لم يستجيبوا لكم لمن استطعتم اى فان لم يستجيبوا لكم الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله وانه منزل من عنده وان ما دعاكم اليه من التوحيد حق فهل انتم داخلون فى الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفى مثل هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر (من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها) باحسانه وبره (نوف اليهم اعمالهم فيها) نوصل اليهم جزاء اعمالهم فى الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء اى يوف الله وتوف على البناء للمفعول ونوفى بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله * وان اتاه خليل (٢) يوم مسغبة * يقول لا غائب مالى ولا حرم * (وهم فيها لا يبخسون) لا ينقصون شيئا من اجورهم والآية فى اهل الرياء وقيل فى المنافقين وقيل فى الكفرة وبرهم (٣) (اولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار) مطلقا فى مقابلة ما عملوا لانهم استوفوا ما تقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار العزائم السيئة (وحبط ما صنعوا فيها) لانهم لم يبق لهم ثواب فى الآخرة اولم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله تعالى والعمدة فى اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على ان الضمير للدنيا (وباطل) فى نفسه (ما كانوا يعملون) لانه لم يعمل على ما ينبغى وكان كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلا على انه مفعول يعملون وما ابهامية او فى معنى المصدر كقوله * ولا خارجا من فى زور كلام * وبطل على الفعل (افمن كان على بينة من ربه) برهان من الله يدله على الحق والصواب فيما يأتيه ويذره والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شأنه هؤلاء المقصرين هممهم وافكارهم على الدنيا وان يقارب بينهم فى المنزلة وهو الذى اغنى عن ذكر الخبر وتقديره افمن كان على بينة كمن كان يريد الحيوة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل مؤمنوا اهل الكتاب (ويتلوه) ويتبع ذلك البرهان الذى هو دليل العقل (شاهد منه) شاهد من الله يشهد بصحته وهو القرآن (ومن قبله) ومن قبل القرآن (كتاب موسى) يعنى التورية فانها ايضا تتلوه فى التصديق وقيل البينة هو القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل اولسان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم على ان الضمير له

للحق من الباطل (انا أنزلناه قرآنا عربيا) بلغة العرب (لعلكم) يا أهل مكة (تعقلون) تفهمون معانيه (نحن نقص عليك احسن القصص بما أوحينا) بايحائنا (اليك هذا القرآن وان) مخففة أى وانه (كنت من قبله لمن الغافلين) اذكر (اذ قال يوسف لابيه) يعقوب (يا أبت) بالكسر دلالة على ياء الاضافة المحذوفة والفتح دلالة على ألف محذوفة قلبت عن الياء (انى رأيت) فى المنام (أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم) تأكيد (لى ساجدين) جمع بالياء والنون للوصف بالسجود الذى هو من صفات العقلاء (قال يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا) يحتالوا فى هلاكك حسدا لعلمهم بتأويلها من أنهم الكواكب والشمس أمك والقمر أبوك (ان الشيطان للانسان عدو مبين) ظاهر العداوة (وكذلك) كما رأيت (يجتبيك) يختارك (ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث) تعبير الرؤيا

---

(٢) كريم نسخه

(٣) وقد وقع فى غالب النسخ بربهم بدل وبرهم ولعل الصواب ما كتبناه لان الآية على تقدير نزولها فى الكفار انما نزلت فى اعمالهم التى كانت صورتها صورة الاعمال الصالحة من البر وصلة الرحم وغير ذلك واليه اشار المصنف بقوله « باحسانه وبره » قاله مصححه احمد طاهر

او من التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير في يتلوه اما لمن او للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتدأة وقرئ كتاب بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه اى يتلو القرآن شاهد ممن كان على بينة دالة على انه حق كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل ويقرأ من قبل القرآن التورية (اماما) كتابا مؤتما به في الدين (ورحمة) على المنزل عليهم لانها الوصلة الى الفوز بخير الدارين (اولئك) اشارة الى من كان على بينة (يؤمنون به) بالقرآن (ومن يكفر به من الاحزاب) من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فالنار موعده) يردها لامحالة (فلاتك في مرية منه) من الموعد او القرآن وقرئ مرية بالضم وهما الشك (انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لايؤمنون) لقلة نظرهم واختلال فكرهم (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) كأن اسند اليه مالم ينزله او نفى عنه ما انزله (اولئك يعرضون على ربهم) في الموقف بان يحبسوا وتعرض اعمالهم (ويقول الاشهاد) من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب او شهيد كاشراف جمع شريف (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الالعنة الله على الظالمين) تهويل عظيم مما يحيق بهم حينئذ لظلمهم بالكذب على الله (الذين يصدون عن سبيل الله) عن دينه (ويبغونها عوجا) ويصفونها بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون اهلها ان يعوجوا بالردة (وهم بالآخرة هم كافرون) والحال انهم كافرون بالآخرة وتكريرهم لتأكيد كفرهم واختصاصهم به (اولئك لم يكونوا معجزين في الارض) اى ما كانوا معجزين الله في الدنيا ان يعاقبهم (وما كان لهم من دون الله من اولياء) يمنعونهم من العقاب ولكنه اخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون اشد وادوم (يضاعف لهم العذاب) استئناف وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد (ما كانوا يستطيعون السمع) لتصامهم عن الحق وبغضهم له (وما كانوا يبصرون) لتعاميهم عن آيات الله وكأنه العلة في مضاعفة العذاب وقيل هو بيان لما نفاه من ولاية الآلهة بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء فان مالا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض (اولئك الذين خسروا انفسهم) باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله تعالى (وضل عنهم ما كانوا يفترون) من الآلهة وشفاعتها او خسروا بما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة

(ويتم نعمته عليك) بالنبوة (وعلى آل يعقوب) أولاده (كما أتمها) بالنبوة (على أبويك من قبل ابراهيم واسحق ان ربك عليم) بخلقه (حكيم) في صنعه بهم (لقد كان في) خبر (يوسف واخوته) وهم أحد عشر (آيات) عبر (للسائلين) عن خبرهم اذكر (اذ قالوا) أى بعض اخوة يوسف لبعضهم (ليوسف) مبتدأ (واخوه) شقيقه بنيامين (أحب) خبر (الى أبينا منا ونحن عصبة) جماعة (ان أبانا لفي ضلال) خطأ (مبين) بين بايثارهما علينا (اقتلوا يوسف أو اطرحوه ارضا) أى بارض بعيدة (يخل لكم وجه أبيكم) بان يقبل عليكم ولايلتفت لغيركم (وتكونوا من بعده) أى بعد قتل يوسف او طرحه (قوما صالحين) بان تتوبوا (قال قائل منهم) هو يهودا (لاتقتلوا يوسف وألقوه) اطرحوه (في غيابت الجب) مظلم البئر وفي قراءة بالجمع (يلتقطه بعض السيارة) المسافرين (ان كنتم فاعلين) ما أردتم من التفريق فاكتفوا

(لاجرم)

(لاجرم انهم فى الآخرة هم الاخسرون) لااحد ابين وا كثر خسرانا منهم
(ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم) اطمأنوا اليه وخشعوا له
من الخبت وهى الارض المطمئنة (اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون)
دائمون (مثل الفريقين) الكافر والمؤمن (كالاعمى والاصم والبصير
والسميع) يجوز ان يراد به تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه عن آيات الله
وبالاصم لتصامه عن استماع كلام الله تعالى وتأبيه عن تدبر معانيه وتشبيه
المؤمن بالسميع والبصير لان امره بالضد فيكون كل واحد منهما مشبها باثنين
باعتبار وصفين او تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع
بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة كقوله * الصابح فالغانم
فالآيب * وهذا من باب اللف والطباق (هل يستويان) هل يستوى الفريقان
(مثلا) اى تمثيلا او صفة او حالا (افلا تذكرون) بضرب الامثال والتأمل
فيها (ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم) بانى لكم وقرأ نافع وعاصم
وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول (نذير مبين) ابين لكم موجبات
العذاب ووجه الخلاص (ان لاتعبدوا الا الله) بدل من انى لكم او مفعول
مبين ويجوز ان تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير (انى اخاف
عليكم عذاب يوم اليم) مؤلم وهو فى الحقيقة صفة المعذب لكن وصف به العذاب
وزمانه على طريق جد جده ونهاره صائم للمبالغة (فقال الملأ الذين
كفروا من قومه مانراك الا بشرا مثلنا) لامزية لك علينا تخصك بالنبوة
ووجوب الطاعة (ومانراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا) اخساؤنا جمع
ارذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر او ارذل جمع رذل (بادى الرأى)
ظاهر الرأى من غير تعمق من البدو او اول الرأى من البدء والياء مبدلة
من الهمزة لانكسار ماقبلها وقرأ ابوعمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف
على حذف المضاف اى وقت حدوث بادئ الرأى والعامل فيه اتبعك
وانما استرذلوهم لذلك او لفقرهم فانهم لم يعلموا الا ظاهرا من الحيوة الدنيا
كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل (ومانرى لكم)
لك ولمتبعيك (علينا من فضل) يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة (بل نظنكم
كاذبين) اياك فى دعوى النبوة واياهم فى دعوى العلم بصدقك فغلب
المخاطب على الغائبين (قال ياقوم ارأيتم) اخبرونى (ان كنت على بينة
من ربى) حجة شاهدة بصحة دعواى (وآتانى رحمة من عنده) بايتاء البينة

بذلك (قالوا ياأبانا مالك
لاتأمنا على يوسف وانا له
لناصحون) لقائمون بمصالحه
(أرسله معنا غدا) الى الصحراء
(نرتع ونلعب) بالنون والياء
فيهما ننشط ونتسع (وانا له
لحافظون قال انى ليحزننى
أن تذهبوا) أى ذهابكم
(به) لفراقه (وأخاف أن
يأكله الذئب) المراد به الجنس
وكانت أرضهم كثيرة الذئاب
(وأنتم عنه غافلون) مشغولون
(قالوا لئن) لام قسم (أكله
الذئب ونحن عصبة) جماعة
(انا اذا لخاسرون) عاجزون
فارسله معهم (فلما ذهبوا به
وأجمعوا) عزموا (أن يجعلوه
فى غيابة الجب) وجواب
لما محذوف أى فعلوا ذلك بان
نزعوا قميصه بعد ضربه واهانته
وارادة قتله وأدلوه فلما وصل
الى نصف البئر ألقوه ليموت
فسقط فى الماء ثم أوى الى صخرة
فنادوه فاجابهم يظن رحمتهم
فارادوا رضخه بصخرة فمنعهم
يهودا (وأوحينا اليه) فى الجب
وحى حقيقة وله سبع عشرة
سنة أو دونها تطمينا لقلبه
(لتنبئنهم) بعد اليوم (بأمرهم)
بصنيعهم (هذا وهم

اوالنبوة (فعميت عليكم)فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيدالضمير لان البينة فى نفسهـا هى الرحمة اولان خفاءها يوجب خفـاء النبوة اوعلى تقـدير فعميت بعدالبينة وحذفها للاختصار اولانه لكل واحدة منهما وقرأحمزة والكسـائى وحفص فعميت اى اخفيت وقرئ فعماها على ان الفعل لله (انلزمكموها) انلزمكم على الاهتداء بها (وانتم لها كارهون) لاتختارونها ولاتتأملون فيها وحيث اجتمع ضميران وليس احدها مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز فى الثانى الفصل والوصل (وياقوم لااسألكم عليه) على التبليغ وهو وان لم يذكر فمعلوم مماذكر (مالا) جعلا (ان اجرى الا على الله) فانه المأمول منه (وماانا بطـارد الذين آمنوا) جواب لهم حين سألوا طردهم (انهم ملاقوا ربهم) فيخاصمون طاردهم عنده اوانهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف اطردهم (ولكنى اراكم قوما تجهلون) بلقاء ربكم اوباقدارهم اوفى التمـاس طردهم اوتتسفهون عليهم بان تدعوهم اراذل (وياقوم من ينصرنى من الله) يدفع انتقامه (ان طردتهم) وهم بتلك الصفة والمثابة (افلا تذكرون) لتعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف الايمـان عليه ليس بصواب (ولااقول لكم عندى خزائن الله) خزائن رزقه اوامواله حتى جحدتم فضلى (ولااعـلم الغيب) عطف على عندى خزائن الله اى ولااقول لكم انااعلم الغيب حتى تكذبونى استبعادا اوحتى اعلم ان هؤلاء اتبعونى بادى الرأى من غير بصيرة ولاعقد قلب وعلى الثانى يجوز عطف على اقول (ولااقول انى ملك) حتى تقولوا ماانت الابشر مثلنا (ولااقول للذين تزدرى اعينكم) ولااقول فى شأن من استرذلتموهم لفقرهم (لن يؤتيهم الله خيرا) فان مااعدالله لهم فى الآخرة خير مما آتاكم فى الدنيا (الله اعلم بما فى انفسهم انى اذالمن الظالمين) ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى اذاعابه قلبت تاؤه دالالتجـانس الزاى فى الجهر واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادئ الرؤية من غير روية وبمـا عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منـالهم دون تأمل فى معـانيهم وكمالاتهم (قالوا يانوح قد جادلتنا) خاصمتنا (فاكثرت جدالنا) فاطلته اواتيت بانواعه (فأتنا بمـا تعدنا) من العـذاب (ان كنت من الصـادقين) فى الدعوى والوعيـد فان منـاظرتك لاتؤثر فينا (قال انما يأتيكم به الله ان شاء) عاجلا اوآجلا (وماانتم بمعجزين) بدفع العذاب اوالهرب منه

لايشعرون) بك حال الانباء (وجاؤا أباهم عشاء) وقت المساء (يبكون قالوا ياأبانا انا ذهبنانستبق) نرمى (وتركنا يوسف عندمتاعنا) ثيابنا(فأكله الذئب وما انت بمؤمن) بمصدق (لنا ولوكنا صادقين) عندك لاتهمتنا فى هذه القصة لمحبة يوسف فكيف وانت تسئ الظن بنا (وجاؤا على قميصه) محله نصب على الظرفية اى فوقه (بدم كذب) اى ذى كذب بان ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وذهلوا عن شقه وقالوا انه دمه (قال) يعقوب لماراه صحيحا وعلم كذبهم (بل سولت) زينت (لكم أنفسكم امرا) ففعلتموه به (فصبر جميل) لاجزع فيه وهو خبر مبتدأ محذوف اى امرى (والله المستعان) المطلوب منه العـون (على ماتصفون) تذكرون من امر يوسف (وجاءت سيارة) مسافرون من مـدين الى مصر فنزلوا قريبـا من جب يوسف (فارسلوا واردهم) الذى يرد الماء ليستقى منه (فادلى)

(ولا)

(ولا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم) شرط ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله (انكان الله يريد ان يغويكم) وتقدير الكلام انكان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحى ولذلك تقول لو قال الرجل انت طالق اندخلت الدار انكلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلاطائل وهو دليل على ان ارادة الله يصح تعليقها بالاغواء وان خلاف مراده محال وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذابشم فولك (هو ربكم) خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته (واليه ترجعون) فيجازيكم على اعمالكم (ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلى اجرامى) وباله وقرئ اجرامى على الجمع (وانا برئ مما تجرمون) اجرامكم فى اسناد الافتراء الى (واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون) اقنطه الله من ايمانهم ونهاه ان يغتم بما فعلوه من التكذيب والايذاء (واصنع الفلك باعيننا) ملتبسا باعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذى يحفظ به الشئ ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة فى الحفظ والرعاية على طريقة التمثيل (ووحينا) اليك كيف تصنعها (ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا) ولا تراجعنى فيهم ولا تدعنى باستدفاع العذاب عنهم (انهم مغرقون) محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه (ويصنع الفلك) حكاية حال ماضية (وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه) استهزؤا به لعمله السفينة فانه كان يعملها فى برية بعيدة من الماء اوان عزته فكانوا يضحكون منه ويقولون له صرت نجارا بعدما كنت نبيا (قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون) اذا اخذكم الغرق فى الدنيا والحرق فى الآخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) يعنى به اياهم وبالعذاب الغرق (ويحل عليه) وينزل او يحل عليه حلول الدين الذى لا انفكاك عنه (عذاب مقيم) دائم وهو عذاب النار (حتى اذا جاء امرنا) غاية لقوله ويصنع الفلك ومابينهما حال من الضمير فيه او حتى هى التى يبتدأ بعدها الكلام (وفار التنور) نبع الماء فيه وارتفع كالقدر يفور والتنور تنور الخبز ابتدأ منه النبوع على حرق العادة وكان فى الكوفة فى موضع مسجدها او فى الهند او بعين وردة من ارض الجزيرة وقيل التنور وجه الارض اواشرف موضع فيها (قلنا احمل فيها) فى السفينه (من كل) من كل

أرسل (دلوه) فى البئر فتعلق بها يوسف فأخرجه فلمارآه (قال يا بشراى) وفى قراءة بشرى ونداؤها مجاز أى احضرى فهذا وقتك (هذا غلام) فعلم به اخوته فاتوهم (واسروه) أى أخفوا أمره جاعليه (بضاعة) بأن قالوا هذا عبدنا أبق وسكت يوسف خوفا أن يقتلوه (والله عليم بما يعملون وشروه) باعوه منهم (بثمن بخس) ناقص (دراهم معدودة) عشرين أواثنين وعشرين (وكانوا) أى اخوته (فيه من الزاهدين) فجاءت به السيارة الى مصر فباعه الذى اشتراه بعشرين دينارا وزوجى نعل وثوبين (وقال الذى اشتراه من مصر) وهو قطفير العزيز (لامرأته) زليخا (أكرمى مثواه) مقامه عندنا (عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا) وكان حصورا (وكذلك) كما نجيناه من القتل والجب وعطفنا عليه قلب العزيز (مكنا ليوسف فى الارض) أرض مصر حتى بلغ ما بلغ (ولنعلمه

نوع من الحيوانات المنتفع بها (زوجين اثنين) ذكرا وانثى هذا على قراءة
حفص والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين اى من كل
صنف ذكر وصنف انثى (واهلك) عطف على زوجين اواثنين والمراد
امرأته وبنوه ونساؤهم (الامن سبق عليه القول) بانه من المغرقين يريد ابنه
كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين (ومن آمن) والمؤمنين من غيرهم
(وما آمن معه الاقليل) قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه
الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم
روى انه عليه الصلوة والسلام اتخذ السفينة فى سنتين من الساج وكان طولها
ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين وسمكها ثلاثين وجعلها ثلاثة بطون
تحمل فى اسفلها الدواب والوحش وفى اوسطها الانس وفى اعلاها الطير
(وقال اركبوا فيها) اى صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها فى الماء
كالمركوب فى الارض (بسم الله مجراها ومرساها) متصل باركبوا
حال من الواو اى اركبوا فيها مسمين الله اوقائلين بسم الله وقت اجرائها
وارسائها اومكانهما على ان المجرى والمرسى للوقت اوالمكان اوالمصدر
والمضاف محذوف كقولهم آتيك خفوق النجم وانتصابهما بماقدرناه حالا
ويجوز رفعهما بسم الله على ان المراد بهما المصدر اوجملة من مبتدأ
وخبر اى اجراؤها بسم الله على ان بسم الله خبر اوصلة والخبر محذوف
وهى اماجملة مقتضبة لاتعلق لها بما قبلها اوحال مقدرة من الواو
والهاء روى انه كان اذا اراد ان تجرى قال بسم الله فجرت واذا اراد
ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله * ثم اسم
السلام عليكما * وقرأ حمزة والكسائى وعاصم برواية حفص مجراها بالفتح
من جرى وقرئ مرساها ايضا من رسا وكلاهما يحتمل الثلاثة ومجريها
ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله (ان ربى لغفور رحيم) اى لولا مغفرته
لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم (وهى تجرى بهم) متصل بمحذوف
دل عليه اركبوا اى فركبوا مسمين وهى تجرى وهم فيها (فى موج
كالجبال) فى موج من الطوفان وهو مارتفع من الماء عند اضطرابه
كل موجة منها كجبل فى تراكمها وارتفاعها وماقيل من ان الماء طبق
مابين السماء والارض وكانت السفينة تجرى فى جوفه ليس بثابت
والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وان صح فلعل ذلك

من تاويل الاحاديث) تعبير
الرؤيا عطف على مقدر متعلق
بمكنا أى لنملكه أو الواو زائدة
(والله غالب على أمره) تعالى
لايعجزه شئ (ولكن
اكثر الناس) وهم الكفار
(لايعلمون) ذلك (ولما بلغ
أشده) وهو ثلاثون سنة
أو وثلاث (آتيناه حكما) حكمة
(وعلما) فقها فى الدين قبل
أن يبعث نبيا (وكذلك) كما
جزيناه (نجزى المحسنين)
لانفسهم (وراودته التى هو
فى بيتها) هى زليخا (عن نفسه)
أى طلبت منه أن يواقعها
(وغلقت الابواب) للبيت
(وقالت) له (هيت لك)
أى هلم واللام للتبيين وفى قراءة
بكسر الهاء وأخرى بضم
التاء (قال معاذ الله) أعوذ
بالله من ذلك (انه) أى الذى
اشترانى (ربى) سيدى
(احسن مثواى) مقامى
فلا أخونه فى أهله (انه)
أى الشان (لايفلح الظالمون)
الزناة (ولقد همت به) قصدت
منه الجماع (وهم بها)
قصد ذلك (لولا أن رأى
برهان ربه) قال ابن عباس

قبل التطبيق (ونادى نوح ابنه) كنعان وقرئ ابنها وابنه بحذف الف على ان الضمير لامرأته وكان ربيبه وقيل كان لغير رشدة لقوله تعالى فخانتاهما وهو خطأ اذ الانبياء عليهم السلام عصمت من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة فى الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف (وكان فى معزل) عزل فيه نفسه عن ابيه او عن دينه مفعل للمكان من عزله عنه اذا ابعده (يابنى اركب معنا) فى السفينة والجمهور كسروا الياء لتدل على ياء الاضافة المحذوفة فى جميع القرآن غير ابن كثير فانه وقف عليها فى لقمان فى الموضع الاول باتفاق الرواة فى الثالث فى رواية قنبل وعاصم فانه فتح ههنا اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة واختلفت الرواية عنه فى سائر المواضع وقد ادغم الباء فى الميم ابو عمرو والكسائى وحفص لتقاربهما (ولا تكن مع الكافرين) فى الدين او الاعتزال (قال ساوى الى جبل يعصمنى من الماء) ان يغرقنى (قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم) الا الراحم وهو الله تعالى او الا مكان من رحمهم الله وهم المؤمنون رد بذلك ان يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه يعصم اللائذ به الا معتصم المؤمنين وهو السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة كقوله تعالى فى عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع اى لكن من رحمه الله يعصمه (وحال بينهما الموج) بين نوح وابنه او بين ابنه والجبل (فكان من المغرقين) فصار من المهلكين بالماء (وقيل ياارض ابلعى ماءك وياسماء اقلعى) نوديا بما ينادى به اولو العلم وامرا بما يؤمرون تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالآمر المطاع الذى يأمر المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال امره مهابة من عظمته وخشية من اليم عقابه والبلع النشف والاقلاع الامساك (وغيض الماء) نقص (وقضى الامر) وانجز ماوعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين (واستوت) واستقرت السفينة (على الجودى) جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمد روى انه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عشر المحرم فصام ذلك اليوم وصار سنة (وقيل بعدا للقوم الظالمين) هلاكا لهم يقال بعد بعدا وبعدا اذا بعد بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والآية فى غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالى عن الاخلال وايراد الاخبار على البناء للمفعول دلالة على تعظيم

مثله يعقوب فضرب صدره فخرجت شهوته من أنامله وجواب لولا لجامعها (كذلك) أريناه البرهان (لنصرف عنه السوء) الخيانة (والفحشاء) الزنا (انه من عبادنا المخلصين) فى الطاعة وفى قراءة بفتح اللام أى المختارين (واستبقا الباب) بادرا اليه يوسف للفرار وهى للتشبث به فامسكت ثوبه وجذبته اليها (وقدت) شقت (قميصه من دبر وألفيا) وجدا (سيدها) زوجها (لدى الباب) فنزهت نفسها ثم (قالت ماجزاء من أراد باهلك سوأ) زنا (الا ان يسجن) يحبس أى سجن (أو عذاب أليم) مؤلم بان يضرب (قال) يوسف متبرئا (هى راودتنى عن نفسى وشهد شاهد من أهلها) ابن عمها روى أنه كان فى المهد فقال (ان كان قميصه قد من قبل) قدام (فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر) خلف (فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى) زوجها

الفاعل وانه متعين فى نفسه مستغني عن ذكره اذلايذهب الوهم الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال لايقدر عليه سوى الواحد القهار (ونادى نوح ربه) واراد نداءه بدليل عطف قوله (فقال رب ان ابنى من اهلى) فانه النداء (وان وعدك الحق) وان كل وعد تعده حق لايتطرق اليه الخلف وقد وعدت ان تنجى اهلى فما حاله اوفماله لم ينج ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه (وانت احكم الحاكمين) لانك اعلمهم واعدلهم اولانك اكثر حكمة من ذوى الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع (قال يانوح انه ليس من اهلك) لقطع الولاية بين المؤمن والكافر واشار اليه بقوله (انه عمل غير صالح) فانه تعليل لنفى كونه من اهله واصله انه ذوعمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة ترتع * ترتع مارتعت حتى اذا ادكرت(٢) * فانما هى اقبال وادبار * ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء ماأوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه وقرأ الكسائى ويعقوب انه عمل اى عمل عملا غير صالح (فلا تسألن ماليس لك به علم) مالا تعلم اصواب هوام ليس بصواب وانما سمى نداؤه سؤالا لتضمن ذكر الموعد بنجاة اهله استنجازه فى شأن ولده اواستفسار المانع للانجاز فى حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله (انى اعظك ان تكون من الجاهلين) لان استثناء من سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال واغناه عن السؤال لكن اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه الامر عليه وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون الشديدة وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسرا النون على ان اصله تسئلنى فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت الشديدة للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة وعن نافع برواية ورش اثباتها فى الوصل (قال رب انى اعوذ بك ان اسألك) فيما يستقبل (ماليس لى به علم) مالا علم لى بصحته (والا تغفر لى) وان لم تغفر لى مافرط منى من السؤال (وترحمنى) بالتوبة والتفضل على (اكن من الخاسرين) اعمالا (قيل يانوح اهبط بسلام منا) انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا اومسلما عليك (وبركات عليك) ومباركا عليك اوزيادات فى نسلك حتى تصير آدما ثانيا وقرئ اهبط بالضم وبركة على التوحيد وهى الخير النامى (وعلى امم ممن معك) وعلى امم هم الذين معك سموا امما لتحزبهم اولتشعب الامم منهم اوعلى امم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون لقوله

(وامم)

(قميصه قدمن دبر قال انه) أى قولك ماجزاء من أراد الخ (من كيدكن ان كيدكن) أيها النساء (عظيم) ثم قال يا (يوسف أعرض عن هذا) الامر ولاتذكره لئلا يشيع (واستغفرى) يازليخا (لذنبك انك كنت من الخاطئين) الآثمين واشتهر الخبر وشاع (وقال نسوة فى المدينة) مدينة مصر (امرأت العزيز تراود فتاها) عبدها (عن نفسه قدشغفها حبا) تمييز أى دخل حبه شغاف قلبها أى غلافه (انالنراها فى ضلال) خطأ (مبين) بين بحبها اياه (فلما سمعت بمكرهن) غيبتهن لها (أرسلت اليهن وأعتدت) أعدت (لهن متكأ) طعاما يقطع بالسكين للاتكاء عنده وهو الاترج (وآتت) أعطت (كل واحدة منهن سكينا وقالت) ليوسف (اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه) أعظمنه (وقطعن أيديهن) بالسكاكين ولم يشعرن بالالم لشغل قلبهن بيوسف (وقلن حاش لله) تنزيهاله (ماهذا)

(٢) ترعى اذ اغفلت حتى اذا ادكرت نسخه

(وامم سنمتعهم) اى وممن معك امم سنمتعهم فى الدنيا (ثم يمسهم منا عذاب اليم) فى الآخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل قوم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام والعذاب مانزل بهم (تلك) اشارة الى قصة نوح عليه السلام ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها (من انباء الغيب) اى بعضها (نوحيها اليك) خبر ثان والضمير لها اى موحاة اليك او حال من الانباء او هو الخبر ومن انباء متعلق به او حال من الهاء (ماكنت تعلمها انت ولاقومك من قبل هذا) خبر آخر اى مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحائنا اليك او حال من الهاء فى نوحيها او الكاف فى اليك اى جاهلا انت وقومك بها وفى ذكرهم تنبيه على انه لم يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوه فكيف بواحد منهم (فاصبر) على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر نوح عليه السلام (ان العاقبة) فى الدنيا بالظفر وفى الآخرة بالفوز (للمتقين) عن الشرك والمعاصى (والى عاد اخاهم هودا) عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان (قال ياقوم اعبدوا الله) وحده (مالكم من اله غيره) وقرئ بالجر حملا على المجرور وحده (ان انتم الا مفترون) على الله باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء (ياقوم لااسألكم عليه اجرا ان اجرى الا على الذى فطرنى) خاطب كل رسول به قومه ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة فانها لاتنجع مادامت مشوبة بالمطامع (افلا تعقلون) افلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب من الخطأ (وياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه) اطلبوا مغفرة الله بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبرء عن الغير انما يكون بعد الايمان بالله والرغبة فيما عنده (يرسل السماء عليكم مدرارا) كثير الدر (ويزدكم قوة الى قوتكم) ويضاعف قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلاث سنين فوعدهم هود عليه السلام على الايمان والتوبة بكثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل (ولاتتولوا) ولاتعرضوا عما ادعوكم اليه (مجرمين) مصرين على اجرامكم (قالوا ياهود ماجئتنا ببينة) بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات (ومانحن بتاركى الهتنا) بتاركى عبادتهم (عن قولك) صادرين عن قولك حال من الضمير فى تاركى (ومانحن لك بمؤمنين) اقناط له من الاجابة

أى يوسف (بشرا ان) ما (هذا الا ملك كريم) لما حواه من الحسن الذى لايكون عادة فى النسمة البشرية وفى الصحيح انه أعطى شطر الحسن (قالت) امرأة العزيز لما رأت ماحل بهن (فذلكن) فهذا هو (الذى لمتننى فيه) فى حبه بيان لعذرها (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) امتنع (ولئن لم يفعل ماآمره) به (ليسجنن وليكونا من الصاغرين) الذليلين فقلن له أطع مولاتك (قال رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه والاتصرف عنى كيدهن أصب) أمل (اليهن وأكن) أصر (من الجاهلين) المذنبين والقصد بذلك الدعاء فلذا قال تعالى (فاستجاب له ربه) دعاءه (فصرف عنه كيدهن انه هو السميع) للقول (العليم) بالفعل (ثم بدا) ظهر (لهم من بعد مارأوا الآيات) الدالات على براءة يوسف أن يسجنوه دل على هذا (ليسجننه حتى) الى (حين) ينقطع فيه كلام الناس فسجن (ودخل معه السجن فتيان) غلامان للملك احدهما ساقيه والآخر

صاحب طعامه فرأياه يعبر الرؤيا فقالا لنختبرنه (قال أحدهما) وهو الساقى (انى أرانى اعصر خمرا) أى عنبا (وقال الآخر) وهو صاحب الطعام (انى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه نبئنا) خبرنا (بتأويله) بتعبيره (انا نراك من المحسنين قال) لهما مخبرا أنه عالم بتعبير الرؤيا (لا يأتيكما طعام ترزقانه) فى منامكما (الا نبأتكما بتأويله) فى اليقظة (قبل أن يأتيكما) تأويله (ذلكما مما علمنى ربى) فيه حث على ايمانهما ثم قواه بقوله (انى تركت ملة) دين (قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم) تأكيد (كافرون واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب ماكان) ينبغى (لنا أن نشرك بالله من) زائدة (شئ) لعصمتنا (ذلك) التوحيد (من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس) وهم الكفار (لا يشكرون) الله فيشركون ثم صرح بدعائهما الى الايمان فقال (ياصاحبى) ساكنى (السجن أأرباب متفرقون خير

والتصديق (ان نقول الا اعتريك) ماتقول الا قولنا اعتريك اى اصابك من عراه يعروه اذا اصابه (بعض آلهتنا بسوء) بجنون لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذى وتتكلم بالخرافات والجملة مفعول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ (قال انى اشهد الله واشهدوا انى برئ مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون) اجاب به عن مقالتهم الحمقاء بان اشهد الله تعالى على براءته من آلهتهم وفراغه من اضرارهم تأكيدا لذلك وتنبيها له وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة بهم وان يجتمعوا على الكيد فى اهلاكه من غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه ورأوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء الاشداء ان يضروه لم يبق لهم شبهة لان آلهتهم التى هى جماد لا تضر ولا تنفع لا تتمكن من اضراره انتقاما منه وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة دمه بهذا الكلام ليس الا لثقته بالله وتثبطهم عن اضراره ليس الا بعصمته اياه ولذلك عقبه بقوله (انى توكلت على الله ربى وربكم) تقريرا له والمعنى انكم وان بذلتم غاية وسعكم لم تضرونى فانى متوكل على الله واثق بكلاءته وهو مالكى ومالككم لا يحيق بى مالم يرده ولا تقدرون على مالم يقدره ثم برهن عليه بقوله (مامن دابة الا هو آخذ بناصيتها) اى الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على مايريد بها والاخذ بالنواصى تمثيل لذلك (ان ربى على صراط مستقيم) اى انه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم (فان تولوا) فان تتولوا (فقد ابلغتكم ماارسلت به اليكم) فقد اديت ماعلى من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط منى ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ماارسلت به اليكم (ويستخلف ربى قوما غيركم) استئناف بالوعيد لهم بان الله يهلككم ويستخلف قوما آخرين فى ديارهم واموالهم او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع فكأنه قيل وان تتولوا يعذرنى ربى ويستخلف (ولا تضرونه) بتوليكم (شيئا) من الضرر ومن جزم يستخلف اسقط النون منه (ان ربى على كل شئ حفيظ) رقيب فلا يخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم او حافظ مستول عليه فلا يمكن ان يضره شئ (ولما جاء امرنا) عذابنا او امرنا بالعذاب (نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا) وكانوا اربعة آلاف (ونجيناهم من عذاب غليظ) تكرير لبيان مانجاهم عنه وهو السموم كانت تدخل انوف

الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم او المراد به تجيتهم من عذاب الآخرة ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا فى الدنيا بالسموم فهم معذبون فى الآخرة بالعذاب الغليظ (وتلك عاد) انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم وآثارهم (جحدوا بآيات ربهم) كفروا بها (وعصوا رسله) لانهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكأنما عصى الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول (واتبعوا امر كل جبار عنيد) يعنى كبراءهم الطاغين وعنيد من عند عندا وعندا وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان وماينجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر ومايرديهم (واتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة) اى جعلت اللعنة تابعة لهم فى الدارين تكبهم فى العذاب (الا ان عادا كفروا ربهم) جحدوه او كفروا نعمه او كفروا به فحذف الجار (الا بعدا لعاد) دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ماحكى عنهم وانما كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم (قوم هود) عطف بيان لعاد وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين هود (والى ثمود اخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره هو انشاكم من الارض) هو كونكم منها لاغيره فانه خلق آدم ومواد النطف التى خلق نسله منها من التراب (واستعمركم فيها) عمركم فيها واستبقاكم من العمر اواقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم (فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى قريب) قريب الرحمة (مجيب) لداعيه (قالوا ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد ان تكون لنا سيدا او مستشارا فى الامور او ان توافقنا فى الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك (اتنهانا ان نعبد مايعبد آباؤنا) على حكاية الحال الماضية (وانبا لفى شك مما تدعونا اليه) من التوحيد والتبرىء عن الاوثان (مريب) موقع فى الريبة من ارابه او ذى ريبة على الاسناد المجازى من اراب فى الامر (قال ياقوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربى) بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين (وآتانى منه رحمة) نبوة

أم الله الواحد القهار) خبر استفهام تقرير (ما تعبدون من دونه) أى غيره (الاأسماء سميتموها) سميتم بها أصناما (أنتم وآباؤكم ماأنزل الله بها) بعبادتها (من سلطان) حجة وبرهان (ان) ما (الحكم) القضاء (الالله) وحده (أمر أن لاتعبدوا الاإياه ذلك) التوحيد (الدين القيم) المستقيم (ولكن أكثر الناس) وهم الكفار (لا يعلمون) ما يصيرون اليه من العذاب فيشركون (ياصاحبي السجن أما أحدكما) أى الساقى فيخرج بعد ثلاث (فيسقى ربه) سيده (خمرا) على عادته (وأما الآخر) فيخرج بعد ثلاث (فيصلب فتأكل الطير من رأسه) هذا تأويل رؤياكما فقالا مارأينا شيئا فقال (قضى) تم (الامر الذى فيه تستفتيان) سألتما عنه صدقتما أم كذبتما (وقال للذى ظن) أيقن (أنه ناج منهما) وهو الساقى (اذكرنى عند ربك) سيدك فقل ان فى السجن غلاما محبوسا ظلما فخرج (فأنساه) أى الساقى (الشيطان ذكر)

(فمن ينصرنى من الله) فمن يمنعنى من عذابه (ان عصيته) فى تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك به (فما تزيدوننى) اذا باستتباعكم اياى (غير تخسير) غير ان تخسروننى بابطال مامنحنى الله به والتعرض لعذابه اوفما تزيدوننى بما تقولون لى غير ان انسبكم الى الخسران (ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية) انتصب آية على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها لتنكيرها (فذروها تأكل فى ارض الله) ترع نباتها وتشرب ماءها (ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب) عاجل لايتراخى عن مسكم لها بالسوء الايسيرا وهو ثلاثة ايام (فعقروها فقال تمتعوا فى داركم) عيشوا فى منازلكم اوفى داركم الدنيا (ثلاثة ايام) الاربعاء والخميس والجمعة ثم تهلكون (ذلك وعد غير مكذوب) اى غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرائه مجرى المفعول به كقوله * ويوم شهدناه سليما وعامرا * اوغير مكذوب على المجاز وكان الواعد قال له انى بك فان وفى به صدقه والا كذبه او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول (فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ) اى ونجيناهم من خزى يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة اوذلهم وفضيحتهم يوم القيمة وعن نافع يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه ههنا وفى المعارج فى قوله من عذاب يومئذ (ان ربك هو القوى العزيز) القادر على كل شئ والغالب عليه (واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين) قد سبق تفسيره فى سورة الاعراف (كأن لم يغنوا فيها الا ان ثمودا كفروا ربهم) نونه ابوبكر ههنا وفى النجم والكسائى فى جميع القرآن وابن كثير ونافع وابن عامر وابو عمرو فى قوله (الا بعدا لثمود) ذهابا الى الحى اوالاب الاكبر (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم) يعنى الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام (بالبشرى) ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط (قالوا سلاما) سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما (قال سلام) اى امركم اوجوابى سلام او وعليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرأ حمزة والكسائى سلم وكذلك فى الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام قيل المراد به الصلح (فما لبث ان جاء بعجل حنيذ) فما ابطأ مجيئه به اوفما ابطأ فى المجئ به اوفما تأخر عنه والجار فى ان مقدر اومحذوف والحنيذ المشوى بالرضف وقيل

يوسف عند (ربه فلبث) مكث يوسف (فى السجن بضع سنين) قيل سبعا وقيل اثنتى عشرة (وقال الملك) ملك مصر الريان بن الوليد (انى أرى) أى رأيت (سبع بقرات سمان يأكلهن) يبتلعهن (سبع) من البقر (عجاف) جمع عجفاء (وسبع سنبلات خضر وأخر) أى سبع سنبلات (يابسات) قد التوت على الخضر وعلت عليها (يا أيها الملأ أفتونى فى رؤياى) بينوا الى تعبيرها (ان كنتم للرؤيا تعبرون) فاعبروها (قالوا) هذه (اضغاث) اخلاط (أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين وقال الذى نجا منهما) أى من الفتيين وهو الساقى (وادكر) فيه ابدال التاء فى الاصل دالا وادغامها فى الدال أى تذكر (بعد أمة) حين حال يوسف (أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون) فأرسلوه فأتى يوسف فقال يا (يوسف أيها الصديق) الكثير الصدق (أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف

(الذى)

الذى يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال لقوله بعجل سمين ﴿ فلما رأى ايديهم لاتصل اليه ﴾ لايمدون اليه ايديهم ﴿ نكرهم واوجس منهم خيفة ﴾ انكر ذلك منهم وخاف ان يريدوا به مكروها ونكر وانكر واستنكر بمعنى والايجاس الادراك وقيل الاضمار ﴿ قالوا ﴾ له لما احسوا منه اثر الخوف ﴿ لاتخف انا ارسلنا الى قوم لوط ﴾ انا ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم نمد اليه ايدينا لانا لانأكل ﴿ وامرأته قائمة ﴾ وراء الستر تسمع محاورتهم اوعلى رؤسهم للخدمة ﴿ فضحكت ﴾ سرورا بزوال الخيفة اوبهلاك اهل الفساد اوباصابة رأيها فانها كانت تقول لابراهيم اضمم اليك لوطا فانى اعلم ان العذاب ينزل بهؤلاء القوم وقيل فضحكت فحاضت قال * وعهدى بسلمى ضاحكا فى لبابة * ولم تعد حقا ثديها ان تحلما * ومنه ضحكت السمرة اذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء ﴿ فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب ﴾ نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره مادل عليه الكلام وتقديره ووهبنا لها من وراء اسحق يعقوب وقيل انه معطوف على موضع باسحق اوعلى لفظ اسحق وفتحته للجر فانه غيرمنصرف ورد للفصل بينه وبين ماعطف عليه بالظرف وقرأ الباقون بالرفع على انه مبتدأ خبره الظرف اى ويعقوب مولود من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمى به لانه بعد الولد وعلى هذا تكون اضافته الى اسحق ليس من حيث ان يعقوب وراءه بل من حيث انه وراء ابراهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما فى البشارة كيحيى ويحتمل وقوعهما فى الحكاية بعد ان ولدا فسميا به وتوجيه البشارة اليها للدلالة على ان الولد المبشر به يكون منها ولانها كانت عقيمة حريصة على الولد ﴿ قالت ياويلتا ﴾ ياعجبا واصله فى الشر فاطلق فى كل امر فظيع وقرئ بالياء على الاصل ﴿ أألد وانا عجوز ﴾ ابنة تسعين اوتسع وتسعين ﴿ وهذا بعلى ﴾ زوجى واصله القائم بالامر ﴿ شيخا ﴾ ابن مائة اومائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل فيها معنى اسم الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اى هو شيخ او خبر بعد خبر اوهو الخبر وبعلى بدل ﴿ ان هذا لشئ عجيب ﴾ يعنى الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك ﴿ قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت ﴾ منكرين عليها فان خوارق العادات باعتبار اهل بيت النبوة ومهبط المعجزات

وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلى أرجع الى الناس ﴾ أى الملك وأصحابه ﴿ لعلهم يعلمون ﴾ تعبيرها ﴿ قال تزرعون ﴾ أى ازرعوا ﴿ سبع سنين دأبا ﴾ متتابعة وهى تأويل السبع السمان ﴿ فما حصدتم فذروه ﴾ اى اتركوه ﴿ فى سنبله ﴾ لئلا يفسد ﴿ الا قليلا مما تأكلون ﴾ فادرسوه ﴿ ثم يأتى من بعد ذلك ﴾ أى السبع المخصبات ﴿ سبع شداد ﴾ مجدبات صعاب وهى تأويل السبع العجاف ﴿ يأكلن ماقدمتم لهن ﴾ من الحب المزروع فى السنين المخصبات أى تأكلونه فيهن ﴿ الا قليلا مما تحصنون ﴾ تدخرون ﴿ ثم يأتى من بعد ذلك ﴾ أى السبع المجدبات ﴿ عام فيه يغاث الناس ﴾ بالمطر ﴿ وفيه يعصرون ﴾ الاعناب وغيرها لخصبه ﴿ وقال الملك ﴾ لما جاءه الرسول وأخبره بتأويلها ﴿ ائتونى به ﴾ أى بالذى عبرها ﴿ فلما جاءه ﴾ أى يوسف ﴿ الرسول ﴾ وطلبه للخروج ﴿ قال ﴾ قاصدا اظهار براءته ﴿ ارجع الى ربك فاسأله ﴾

وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولاحقيق بان يستغربه
عاقل فضلا عمن نشأت وشابت فى ملاحظة الآيات واهل البيت نصب
على المدح اوالنداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفرلنا ايتها العصابة
(انه حميد) فاعل مايستوجب به الحمد (مجيد) كثير الخير والاحسان
(فلما ذهب عن ابراهيم الروع) اى ما اوجس من الخيفة واطمأن
قلبه بعرفانهم (وجاءته البشرى) بدل الروع (يجادلنا فى قوم لوط)
يجادل رسلنا فى شأنهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا وهو اما جواب
لما جيئ به مضارعا على حكاية الحال اولانه فى سياق الجواب بمعنى الماضى
كجواب لو اودليل جوابه المحذوف مثل اجترأ على خطابنا اوشرع فى جدالنا
اومتعلق به اقيم مقامه مثل اخذ اواقبل يجادلنا (ان ابراهيم لحليم) غير عجول
على الانتقام من المسيئ اليه (اواه) كثير التأوه من الذنوب والتأسف
على الناس (منيب) راجع الى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له
على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط ترحمه (يا ابراهيم) على ارادة القول
اى قالت الملائكة يا ابراهيم (اعرض عن هذا) الجدال (انه قد جاء
امر ربك) قدره بمقتضى قضائه الازلى بعذابهم وهو اعلم بحالهم (وانهم
آتيهم عذاب غير مردود) مصروف بجدال ولا دعاء ولاغير ذلك
(ولما جاءت رسلنا لوطا سيئ بهم) ساءه مجيئهم لانهم جاؤا فى صورة
غلمان فظن انهم اناس فخاف عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم
(وضاق بهم ذرعا) وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز
عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه (وقال هذا يوم عصيب) شديد من عصبه
اذا شده (وجاءه قومه يهرعون اليه) يسرعون اليه كأنهم يدفعون دفعا لطلب
الفاحشة من اضيافه (ومن قبل) ومن قبل ذلك الوقت (كانوا يعملون السيئات)
الفواحش فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤا يهرعون لها مجاهرين (قال
ياقوم هؤلاء بناتى) فدى بهن اضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتى تزوجوهن
وكانوا يطلبونهن قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات
على الكفار فانه شرع طارئ اومبالغة فى تناهى خبث مايرومونه حتى ان ذلك
اهون منه اواظهارا لشدة امتعاضه من ذلك كى يرقوا له وقيل المراد بالبنات
نساؤهم فان كل نبى ابو امته من حيث الشفقة والتربية وفى حرف ابن مسعود
وازواجه امهاتهم وهواب لهم (هن اطهر لكم) انظف فعلا اواقل فحشا

أن يسال (مابال) حال
(النسوة اللاتى قطعن أيديهن
ان ربى) سيدى (بكيدهن
عليم) فرجع فأخبر الملك
فجمعهن (قال ماخطبكن)
شأنكن (اذراودتن يوسف
عن نفسه) هل وجدتن
منه ميلا اليكن (قلن حاش لله
ماعلمنا عليه من سوء قالت
امرأت العزيز الآن حصحص)
وضح (الحق أنا راودته
عن نفسه وانه لمن الصادقين)
فى قوله هى راودتنى عن نفسى
فأخبر يوسف بذلك فقال
(ذلك) أى طلب البراءة
(ليعلم) العزيز (انى لم أخنه)
فى اهله (بالغيب) حال
(وان الله لايهدى كيد
الخائنين) ثم تواضع لله فقال
(وماأبرئ نفسى) من الزلل
(ان النفس) الجنس (لامارة)
كثيرة الامر (بالسوء الاما) بمعنى
من (رحم ربى) فعصمه (ان
ربى غفور رحيم وقال الملك
ائتونى به استخلصه لنفسى)
اجعله خالصا لى دون شريك
فجاءه الرسول وقال اجب
الملك فقام وودع اهل
السجن ودعالهم ثم اغتسل

(كقولك)

كقولك الميتة اطيب من المغصوب واحل منه وقرئ اطهر بالنصب على الحال على انهن خبر بنانى كقولك هذا اخى هو لافصل فانه لايقع بين الحال وصاحبها (فاتقوا الله) بترك الفواحش او بايثارهن عليهم (ولاتخزون) ولا تفضحونى من الخزى اوولاتخجلونى من الخزاية بمعنى الحياء (فى ضيفى) فى شأنهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاؤه (اليس منكم رجل رشيد) يهتدى الى الحق ويرعوى عن القبيح (قالوا لقد علمت مالنا فى بناتك من حق) من حاجة (وانك لتعلم ما نريد) وهو اتيان الذكران (قال لو ان لى بكم قوة) لو قويت بنفسى على دفعكم (اوآوى الى ركن شديد) الى قوى اتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل فى شدته وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رحم الله اخى لوطا كان يأوى الى ركن شديد وقرئ اوآوى بالنصب على اضمار ان كأنه قال لو ان لى بكم قوة اواويا وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم وروى انه اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ماعلى لوط من الكرب (قالوا يالوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك) لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا فهون عليك ودعنا واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرب جبريل عليه السلام بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا يقولون النجاء النجاء فان فى بيت لوط سحرة (فاسر باهلك) بالقطع من الاسراء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث وقع فى القرآن من السرى (بقطع من الليل) بطائفة منه (ولا يلتفت منكم احد) ولا يتخلف اوولا ينظر الى ورائه والنهى فى اللفظ لاحد وفى المعنى للوط (الا امرأتك) استثناء من قوله فاسر باهلك ويدل عليه انه قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك وهذا انما يصح على تأويل الالتفات بالتخلف فانه ان فسر بالنظر الى الوراء فى الذهاب ناقض ذلك قراءة ابن كثير وابى عمرو بالرفع على البدل من احد ولايجوز حمل القراءتين على الروايتين فى انه خلفها مع قومها اواخرجها فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت ياقوماه فادركها حجر فقتلها لان القواطع لايصح حملها على المعانى المتناقضة والاولى جعل الاستثناء فى القراءتين من قوله لايلتفت مثله فى قوله تعالى مافعلوه الا قليل ولا يبعد ان يكون اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله (انه مصيبها مااصابهم) ولا يحسن

وليس ثيابا حسانا ودخل عليه (فلما كلمه قال) له (انك اليوم لدينا مكين أمين) ذومكانة وأمانة على امرنا فماذا ترى أن نفعل قال اجمع الطعام وازرع زرعا كثيرا فى هذا السنين المخصبة وادخر الطعام فى سنبله فتأتى اليك الخلق ليمتاروا منك فقال ومن لى بهذا (قال) يوسف (اجعلنى على خزائن الأرض) أرض مصر (انى حفيظ عليم) ذو حفظ وعلم بامرها وقيل كاتب حاسب (وكذلك) كانعامنا عليه بالخلاص من السجن (مكنا ليوسف فى الارض) ارض مصر (يتبوأ) ينزل (منها حيث يشاء) بعد الضيق والحبس وفى القصة ان الملك توجه وختمه وولاه مكان العزيز وعزله ومات بعده فزوجه امرأته فوجدها عذراء وولدت له ولدين وأقام العدل بمصر ودانت له الرقاب (نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين ولأجر الآخرة خير) من أجر الدنيا (للذين آمنوا وكانوا يتقون) ودخلت سنو القحط وأصاب

جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع (ان موعدهم الصبح) كأنه علة الامر بالاسراء (اليس الصبح بقريب) جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب (فلماجاء امرنا) عذابنا اوامرنا به ويؤيده الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله (جعلنا عاليها سافلها) فانه جواب لماوكان حقه جعلوا عاليها اى الملائكة المأمورون به فاسند الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر فانه روى ان جبريل عليه الصلوة والسلام ادخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم (وامطرنا عليها) على المدن او على شذاذها (حجارة من سجيل) من طين متحجر لقوله حجارة من طين واصله سنك كل فعرب وقيل انه من اسجله اذا ارسله اوادر عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل او من مثل العطية فى الادرار او من السجل اى مما كتب الله ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اى من جهنم فابدلت نونه لاما (منضود) نضد معدا لعذابهم او نضد فى الارسال بتتابع بعضه بعضا كقطار الامطار او نضد بعضه على بعض والصق به (مسومة) معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيماء يتميز بها عن حجارة الارض اوباسم من يرمى بها (عند ربك) فى خزائنه (وماهى من الظالمين ببعيد) فانهم بظلمهم حقيق بان يمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه الصلوة والسلام انه سأل جبريل عليه السلام فقال يعنى ظالمى امتك مامن ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اى هى قريبة من ظالمى مكة يمرون بها فى اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجر او المكان (والى مدين اخاهم شعيبا) اراد اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام او اهل مدين وهو بلد بناه فسمى باسمه (قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان) امرهم بالتوحيد اولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافى للعدل المخل بحكمة التعاوض (انى اراكم بخير) بسعة تغنيكم عن البخس او بنعمة حقها ان تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا ان تنقصوا حقوقهم او بسعة فلا تزيلوها بما انتم عليه وهو فى الجملة علة النهى (وانى اخاف عليكم عذاب يوم محيط) لا يشذ منه احد منكم وقيل عذاب مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيمة او عذاب الاستئصال وتوصيف اليوم

أرض كنعان والشام (وجاء اخوة يوسف) الا بنيامين ليمتاروا لما بلغهم أن عزيز مصر يعطى الطعام بثمنه (فدخلوا عليه فعرفهم) أنهم اخوته (وهم له منكرون) لا يعرفونه لبعد عهدهم به وظنهم هلاكه فكلموه بالعبرانية فقال كالمنكر عليهم ما اقدمكم بلادى فقالوا للميرة فقال لعلكم عيون قالوا معاذالله قال فمن أين أنتم قالوا من بلاد كنعان وأبونا يعقوب نبي الله قال وله اولاد غيركم قالوا نعم كنا اثنى عشر فذهب أصغرنا وهلك فى البرية وكان أحبنا اليه وبقى شقيقه فاحتبسه ليتسلى به عنه فامر بانزالهم واكرامهم (ولما جهزهم بجهازهم) وفى لهم كيلهم (قال ائتونى بأخ لكم من أبيكم) أى بنيامين لأعلم صدقكم فيما قلتم (ألا ترون أنى أوفى الكيل) أتمه من غير بخس (وأنا خير المنزلين فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى) اى ميرة (ولا تقربون) نهى او عطف على محل فلا كيل أي تحرموا ولا تقربوا

بالاحاطة وهي صفة العذاب لاشتماله عليه (وياقوم اوفوا المكيال والميزان)
صرح الامر بالايفاء بعد النهي عن ضده مبالغة وتنبيها على انه لايكفيهم
الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم السعي في الايفاء ولو بزيادة
لايتأتى دونها (بالقسط) بالعدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان
فان الازدياد ايفاء وهو مندوب غير مأمور به وقد يكون محظورا
(ولا تبخسوا الناس اشياءهم) تعميم بعد تخصيص فانه اعم من ان يكون
في المقدار او في غيره وكذا قوله (ولا تعثوا في الارض مفسدين) فان العثو يعم
تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس
كاخذ العشور من المعاملات والعثو السرقة وقطع الطريق والغارة
وفائدة الحال اخراج مايقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام
وقيل معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين امر دينكم ومصالح آخرتكم
(بقية الله) ما ابقاه الله لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم (خير لكم)
مما تجمعون بالتطفيف (ان كنتم مؤمنين) بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها
باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان او ان كنتم مصدقين
لي في قولي لكم وقيل البقية الطاعة لقوله الباقيات الصالحات وقرئ
تقية الله بالتاء وهي تقواه التي تكف عن المعاصي (وما انا عليكم بحفيظ)
احفظكم عن القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح
مبلغ وقد اعذرت حين انذرت اولست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء
صنيعكم (قالوا ياشعيب اصلواتك تأمرك ان نترك مايعبد آباؤنا) من الاصنام
اجابوا به بعد امرهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلواته
والاشعار بان مثله لايدعو اليه داع عقلي انما دعاك اليه خطرات
ووساوس من جنس ماتواظب عليه وكان شعيب كثير الصلوات فلذلك
جمعوا وخصوا بالذكر وقرأ حمزة والكسائي وحفص على الافراد والمعنى
اصلواتك تأمرك بتكليف ان نترك فحذف المضاف لان الرجل لايؤمر
بفعل غيره (او ان نفعل في اموالنا مانشاء) عطف على ما اي وان نترك فعلنا
مانشاء في اموالنا وقرئ بالتاء فيهما على ان العطف على ان نترك وهو جواب
النهي عن التطفيف والامر بالايفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم
والدنانير فارادوا به ذلك (انك لانت الحليم الرشيد) تهكموا به وقصدوا
وصفه بضد ذلك او عللوا انكار ماسمعوا منه واستبعاده بانه

(قالوا سنراود عنه أباه)
سنجتهد في طلبه منه (وانا
لفاعلون) ذلك (وقال لفتيته)
وفي قراءة لفتيانه غلمانه
(اجعلوا بضاعتهم) التي
أتوا بها ثمن الميرة وكانت دراهم
(في رحالهم) أوعيتهم (لعلهم
يعرفونها اذا انقلبوا الى
أهلهم) وفرغوا أوعيتهم
(لعلهم يرجعون) الينا لانهم
لايستحلون امساكها (فلما
رجعوا الى أبيهم قالوا ياأبانا
منع منا الكيل) ان لم ترسل
اخانا اليه (فارسل معنا اخانا
نكتل) بالنون والياء (وانا له
لحافظون قال هل) ما (آمنكم
عليه الا كما أمنتكم على أخيه)
يوسف (من قبل) وقد
فعلتم به مافعلتم (فالله خير
حفظا) وفي قراءة حافظا
تمييز كقولهم لله دره فارسا
(وهو أرحم الراحمين)
فأرجو أن يمن بحفظه (ولما
فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم
ردت اليهم قالوا ياأبانا ما نبغي)
ما استفهامية اي اي شئ
نطلب من اكرام الملك أعظم
من هذا وقرئ بالفوقانية
خطابا ليعقوب وكانوا
ذكروا له اكرامه لهم (هذه
بضاعتنا ردت الينا ونمير

موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة الى امثال ذلك (قال ياقوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربى) اشارة الى ما آتاه الله من العلم والنبوة (ورزقنى منه رزقا حسنا) اشارة الى ما آتاه الله من المال الحلال وجواب الشرط محذوف تقديره فهل يسع لى مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخون فى وحيه واخالفه فى امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغيير المألوف والنهى عن دين الآباء والضمير فى منه لله اى من عنده وباعانته بلا كد منى فى تحصيله (وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه) اى وما اريد ان آتى ما انهاكم عنه لاستبد به دونكم فلو كان صوابا لآثرته ولم اعرض عنه فضلا عن ان انهى عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس (ان اريد الا الاصلاح ما استطعت) ما اريد الا ان اصلحكم بامرى بالمعروف ونهى عن المنكر مادمت استطيع الاصلاح فلو وجدت الصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة الثلاثة على هذا النسق شأن وهو التنبيه على ان العاقل يجب ان يراعى فى كل ما يأتيه ويذره احد حقوق ثلاثة اهمها واعلاها حق الله تعالى وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضى ان آمركم بما امرتكم به وانهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الاصلاح اى المقدار الذى استطعته او اصلاح ما استطعته فحذف المضاف (وماتوفيقى الا بالله) وماتوفيقى لاصابة الحق والصواب الا بهدايته ومعونته (عليه توكلت) فانه القادر المتمكن من كل شئ وماعداه عاجز فى حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد الذى هو اقصى مراتب العلم بالمبدأ (واليه انيب) اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا يفيد الحصر بتقديم الصلة على الله وفى هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة الحق فيما يأتيه ويذره من الله تعالى والاستعانة به فى مجامع امره والاقبال عليه بشراشره وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله للجزاء (وياقوم لايجرمنكم) لايكسبنكم (شقاقى) معاداتى (ان يصيبكم مثل مااصاب قوم نوح) من الغرق (اوقوم هود) من الريح (اوقوم صالح) من الرجفة وان بصلتها ثانى مفعولى جرم فانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم وهو منقول من

(المتعدى)

أهلنا) نأتى بالميرة لهم وهى الطعام (ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير) لاخينا (ذلك كيل يسير) سهل على الملك لسخائه (قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا) عهدا (من الله) بأن تحلفوا (لتأتننى به الا أن يحاط بكم) بأن تموتوا او تغلبوا فلا تطيقوا الاتيان به فاجابوه الى ذلك (فلما آتوه موثقهم) بذلك (قال الله على مانقول) نحن وانتم (وكيل) شهيد وأرسله معهم (وقال يابنى لاتدخلوا) مصر (من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة) لئلا تصيبكم العين (وما أغنى) أدفع (عنكم) بقولى ذلك (من الله من) زائدة (شئ) قدره عليكم وانما ذلك شفقة (ان) ما (الحكم الا لله) وحده (عليه توكلت) به وثقت (وعليه فليتوكل المتوكلون) قال تعالى (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) أى متفرقين (ما كان يغنى عنهم من الله) أى قضائه (من) زائدة (شئ الا) لكن (حاجة فى نفس يعقوب

المتعدى الى مفعول والاول افصح فان اجرم اقل دورانا على السنة الفصحاء وقرئ مثل بالفتح لاضافته الى المبنى كقوله * لم يمنع الشراب منها غير ان نطقت * حمامة فى غصون ذات اوقال (وماقوم لوط منكم ببعيد) زمانا اومكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم اوليسوا ببعيد منكم فى الكفر والمساوى فلايبعد عنكم ما اصابهم وافراد البعيد لان المراد وماهلاكهم اوماهم بشئ بعيد ولايبعد ان يسوى فى امثاله بين المذكر والمؤنث لانها على زنة المصادر كالصهيل والشهيق (واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه) عما انتم عليه (ان ربى رحيم) عظيم الرحمة للتائبين (ودود) فاعل بهم من اللطف والاحسان مايفعل البليغ المودة بمن يوده لم هو وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار (قالوا ياشعيب مانفقه) مانفهم (كثيرا مما تقول) كوجوب التوحيد وحرمة التبخيس وماذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور عقلهم وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه اولانهم لم يلقوا اليه اذهانهم لشدة نفرتهم عنه (وانالنراك فينا ضعيفا) لاقوة لك فتمنع منا ان اردنابك سوأ اومهينا لاعزلك وقيل اعمى بلغة حمير وهومع عدم مناسبته يرده التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعمى قياسا على القضاء والشهادة والفرق بين (ولولا رهطك) قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لالخوف من شوكتهم فان الرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى التسعة (لرجمناك) لقتلناك برمى الاحجار اوباصعب وجه (وماانت علينا بعزيز) فتمنعنا عزتك عن الرجم وهذاديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والآيات بالسب والتهديد وفى ايلاء ضميره حرف النفى تنبيه على ان الكلام فيه لافى ثبوت العزة وان المانع لهم من ايذائه عزة قومه ولذلك (قال ياقوم ارهطى اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا) وجعلتموه كالمنسى المنبوذ وراء الظهر باشراككم به والاهانة برسوله فلاتبقون على الله وتبقون على رهطى وهو يحتمل الانكار والتوبيخ والرد والتكذيب وظهريا منسوب الى الظهر والكسر من تغيرات النسب (ان ربى بما تعملون محيط) فلا يخفى عليه شئ منها فيجازى عليها (وياقوم اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) سبق مثله فى سورة الانعام والفاء فى فسوف تعلمون ثمه للتصريح بان الاصرار والتمكن فيماهم عليه سبب لذلك و حذفها ههنا لانه جواب

قضاها) وهى ارادة دفع العين شفقة (وانه لذوعلم لماعلمناه) لتعليمنااياه (ولكن أكثر الناس) وهم الكفار (لايعلمون) الهام الله لأصفيائه (ولمادخلوا على يوسف آوى) ضم (اليه اخاه قال انى اناخوك فلاتبتئس) تحزن (بما كانوا يعملون) من الحسد لنا وامره أن لايخبرهم وتواطأ معه على انه سيحتال على أن يبقيه عنده (فلماجهزهم بجهازهم جعل السقاية) هى صاع من ذهب مرصع بالجواهر (فى رحل اخيه) بنيامين (ثم اذن مؤذن) نادى مناد بعد انفصالهم عن مجلس يوسف (ايتها العير) القافلة (انكم لسارقون قالوا و) قد (اقبلوا عليهم ماذا) ماالذى (تفقدون) ه (قالوا نفقد صواع) صاع (الملك ولمن جاء به حمل بعير) من الطعام (وانابه) بالحمل (زعيم) كفيل (قالوا تالله) قسم فيه معنى التعجب (لقد علمتم ماجئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين) ماسرقنا قط (قالوا) اى المؤذن واصحابه

سائل قال فماذا يكون بعد ذلك فهو ابلغ في التهويل ﴿ ومن هو كاذب ﴾ عطف على من يأتيه لا لانه قسيم له كقولك ستعلم الكاذب والصادق بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب والكاذب مني ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثاني اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم ﴿ وارتقبوا ﴾ وانتظروا ما اقول لكم ﴿ اني معكم رقيب ﴾ منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع ﴿ ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا ﴾ انما ذكره بالواو كما في قصة عاد اذ لم يسبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط فانه ذكر بعد الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء السببية ﴿ واخذت الذين ظلموا الصيحة ﴾ قيل صاح بهم جبريل عليه السلام فهلكوا ﴿ فاصبحوا في ديارهم جاثمين ﴾ ميتين واصل الجثوم اللزوم في المكان ﴿ كان لم يغنوا فيها ﴾ كان لم يقيموا فيها ﴿ الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود ﴾ شبههم به لان عذابهم ايضا كان بالصيحة غير ان صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور ﴿ ولقد ارسلنا موسى بآياتنا ﴾ بالتورية او المعجزات ﴿ وسلطان مبين ﴾ وهو المعجزات القاهرة او العصا وافردها لانها ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحد اي ولقد ارسلناه بالجامع بين كونه آياتنا وسلطانا له على نبوته واضحا في نفسه او موضحا اياها فان ابان جاء لازما ومتعديا والفرق بينهما ان الآية تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان يخص بالقاطع والمبين يخص بما فيه جلاء ﴿ الى فرعون وملئه فاتبعوا امر فرعون ﴾ فاتبعوا امره بالكفر بموسى او فما اتبعوا موسى الهادي الى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الداعي الى ما لا يخفى فساده على من له ادنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم ﴿ وما امر فرعون برشيد ﴾ مرشد او ذي رشد وانما هو غي محض وضلال صريح ﴿ يقدم قومه يوم القيمة ﴾ الى النار كما كان يقدمهم في الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم ﴿ فاوردهم النار ﴾ ذكره بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى

(اتيانها)

﴿ فما جزاؤه ﴾ أي السارق ﴿ ان كنتم كاذبين ﴾ في قولكم ما كنا سارقين ووجد فيكم ﴿ قالوا جزاؤه ﴾ مبتدأ خبره ﴿ من وجد في رحله ﴾ يسترق ثم اكد بقوله ﴿ فهو ﴾ أي السارق ﴿ جزاؤه ﴾ أي المسروق لا غير وكانت سنة آل يعقوب ﴿ كذلك ﴾ الجزاء ﴿ نجزي الظالمين ﴾ بالسرقة فصرفوا ليوسف لتفتيش اوعيتهم ﴿ فبدأ بأوعيتهم ﴾ ففتشها ﴿ قبل وعاء أخيه ﴾ لئلا يتهم ﴿ ثم استخرجها ﴾ أي السقاية ﴿ من وعاء أخيه ﴾ قال تعالى ﴿ كذلك ﴾ الكيد ﴿ كدنا ليوسف ﴾ علمناه الاحتيال في أخذ أخيه ﴿ ما كان ﴾ يوسف ﴿ ليأخذ أخاه ﴾ رقيقا عن السرقة ﴿ في دين الملك ﴾ حكم ملك مصر لان جزاءه عنده الضرب وتغريم مثلي المسروق لا الاسترقاق ﴿ الا أن يشاء الله ﴾ أخذه بحكم أبيه أي لم يتمكن من أخذه الا بمشيئة الله بالهامه سؤال اخوته وجوابهم بسنتهم ﴿ نرفع درجات من نشاء ﴾ بالاضافة والتنوين في العلم كيوسف ﴿ وفوق كل ذي

اتيانها موردا ثم قال (وبئس الورد المورود) اى بئس المورد الذى وردوه فانه يراد لتبريد الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد والآية كالدليل على قوله وماامر فرعون برشيد فان من هذه عاقبته لم يكن فى امره رشد او تفسير له على ان المراد بالرشيد مايكون مأمون العاقبة حميدها (واتبعوا فى هذه الدنيا) فى هذه الدنيا (لعنة ويوم القيمة) اى يلعنون فى الدنيا والآخرة (بئس الرفد المرفود) بئس العون المعان او العطاء المعطى واصل الرفد مايضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اى رفدهم وهو اللعنة فى الدارين (ذلك) اى ذلك النبأ (من انباء القرى) المهلكة (نقصه عليك) مقصوص عليك (منها قائم) من تلك القرى باق كالزرع القائم (وحصيد) ومنها عافى الاثر كالزرع المحصود والجملة مستأنفة وقيل حال من الهاء فى نقصه وليس بصحيح اذ لاواو ولاضمير (وماظلمناهم) باهلاكنا اياهم (ولكن ظلموا انفسهم) بان عرضوها له بارتكاب مايوجبه (فما اغنت عنهم) فما نفعتهم ولاقدرت ان تدفع عنهم (آلهتهم التى يدعون من دون الله من شئ لما جاء امر ربك) حين جاءهم عذابه ونقمته (ومازادوهم غير تتبيب) هلاك اوتخسير (وكذلك) ومثل ذلك الاخذ (اخذ ربك) وقرئ اخذ ربك بالفعل فيكون محل الكاف النصب على المصدر (اذا اخذ القرى) اى اهلها وقرئ اذ لان المعنى على المضى (وهى ظالمة) حال من القرى وهى فى الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامه اجريت عليها وفائدتها الاشعار بانهم اخذوا لظلمهم وانذار كل ظالم ظلم نفسه اوغيره من وخامة العاقبة (ان اخذه اليم شديد) وجيع غير مرجو الخلاص عنه وهو مبالغة فى التهديد والتحذير (ان فى ذلك) اى فيما نزل بالامم الهالكة اوفيما قصه الله من قصصهم (لآية) لعبرة (لمن خاف عذاب الآخرة) يعتبر به عظة لعلمه بان ماحاق بهم انموذج مما اعده الله للمجرمين فى الآخر اويتزجر بها عن موجباته لعلمه بانه من اله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان من انكر الآخرة واحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقائع لاسباب فلكية اتفقت فى تلك الايام لالذنوب المهلكين بها (ذلك) اشارة الى يوم القيمة وعذاب الآخرة دل عليه (يوم مجموع له الناس) اى يجمع له الناس والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شأنه لامحالة وان الناس لاينفكون

علم) من المخلوقين (عليم) أعلم منه حتى ينتهى الى الله تعالى (قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل) أى يوسف وكان سرق لابى أمه صنما من ذهب فكسره لئلا يعبده (فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها) يظهرها (لهم) والضمير للكلمة التى فى قوله (قال) فى نفسه (أنتم شر مكانا) من يوسف وأخيه لسرقتكم أخاكم من أبيكم وظلمكم له (والله أعلم) عالم (بما تصفون) تذكرون فى أمره (قالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا) يحبه أكثر منا ويتسلى به عن ولده الهالك ويحزنه فراقه (فخذ أحدنا) استعبده (مكانه) بدلا منه (انا نراك من المحسنين) فى أفعالك (قال معاذ الله) نصب على المصدر حذف فعله وأضيف الى المفعول أى نعوذ بالله من (أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده) لم يقل من سرق تحرزا من الكذب (انا اذا) ان اخذنا غيره (لظالمون فلما استيأسوا) يئسوا (منه خلصوا) اعتزلوا (نجيا) مصدر يصلح

للواحد وغيره اى يناجي بعضهم بعضا (قال كبيرهم) سنا روبيل أو رأيا يهودا (ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا) عهدا (من الله) في أخيكم (ومن قبل ما) زائدة (فرطتم في يوسف) وقيل ما مصدرية مبتدأ خبره من قبل (فلن أبرح) أفارق (الارض) أرض مصر (حتى يأذن لي أبي) بالعود اليه (أو يحكم الله لي) بخلاص أخي (وهو خير الحاكمين) أعدلهم (ارجعوا الى أبيكم فقولوا ياأبانا ان ابنك سرق وما شهدنا) عليه (الا بما علمنا) تيقنا من مشاهدة الصاع في رحله (وما كنا للغيب) لما غاب عنا حين اعطاء الموثق (حافظين) ولو علمنا أنه يسرق لم نأخذه (واسئل القرية التي كنا فيها) هي مصر أي أرسل الى أهلها فاسألهم (والعير) أي أصحاب العير (التي أقبلنا فيها) وهم قوم من كنعان (وانا لصادقون) في قولنا فرجعوا اليه وقالوا له ذلك (قال بل سولت) زينت (لكم أنفسكم أمرا) ففعلتموه

عنه فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة (وذلك يوم مشهود) اى مشهود فيه اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كقوله * في محفل من نواصي الناس مشهود * اى كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فان سائر الايام كذلك (وما نؤخره) اى اليوم (الا لاجل معدود) الا لانتهاء مدة معدودة متناهية على حذف المضاف وارادة مدة التأجيل كلها بالاجل لا منتهاها فانه غير معدود (يوم يأتي) اى الجزاء او اليوم كقوله ان تأتيهم الساعة على ان يوم بمعنى حين او الله عز وجل كقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله ونحوه وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسر (لا تكلم نفس) لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب او شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه باضمار اذكر او بالانتهاء المحذوف (الا باذنه) الا باذن الله كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف آخر او المأذون فيه هي الجوابات الحقة والممنوع عنه هي الاعذار الباطلة (فمنهم شقي) وجبت له النار بمقتضى الوعيد (وسعيد) وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير لاهل الموقف وان لم يذكر لانه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس او للناس (فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق) الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما في اول النهيق وآخره فالمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم (خالدين فيها ما دامت السموات والارض) ليس لارتباط دوامهم في النار بدوامهما فان النصوص دالة على تأبيد دوامهم وانقطاع دوامهما بل للتعبير عن التأبيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم ايضا من زوال السموات والارض زوال عذابهم ولا من دوامهما دوامه الا من قبيل المفهوم لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سموات الآخرة وارضها ويدل عليه قوله تعالى * يوم تبدل الارض غير الارض والسموات * وان اهل الآخرة لا بد لهم من مظل ومقل وفيه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فانما يعرفه

(بما)

بمايدل على دوام الثواب والعقاب فلايجدى له التشبيه (الاماشاء ربك)
استثناء من الخلود فى النار لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون
منها وذلك كاف فى صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله
عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثانى فانهم مفارقون عن الجنة ايام
عذابهم فان التأبيد من مبدأ معين ينتقص باعتبار الابتداء كما ينتقص
باعتبار الانتهاء وهؤلاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم
لايقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم شقى وسعيد تقسيما صحيحا لان
من شرطه ان تكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه لان ذلك الشرط
من حيث التقسيم لانفصال حقيقى اومانع من الجمع وههنا المراد ان اهل
الموقف لايخرجون عن القسمين وان حالهم لايخلو عن السعادة والشقاوة
وذلك لايمنع اجتماع الامرين فى شخص باعتبارين اولان اهل النار
ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب احيانا وكذلك اهل الجنة
ينعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز
برضوان الله ولقائه اومن اصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم فى الموقف
للحساب لان ظاهره يقتضى ان يكونوا فى النار حين يأتى اليوم اومدة لبثهم
فى الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا التأويل
يحتمل ان يكون الاستثناء من الخلود على ماعرفت وقيل هو من قوله لهم
فيها زفير وشهيق وقيل الاههنا بمعنى سوى كقولك على الف الا الالفان
القديمان والمعنى سوى ماشاء ربك من الزيادة التى لاآخر لها على مدة بقاء
السموات والارض (ان ربك فعال لما يريد) من غير اعتراض (واما الذين
سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الاماشاء ربك
عطاء غير مجذوذ) غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب لاينقطع
وتنبيه على ان المراد من الاستثناء فى الثواب ليس الانقطاع ولاجله فرق
بين الثواب والعقاب فى التأبيد وقرأ حمزة والكسائى وحفص سعدوا على
البناء للمفعول من سعده الله بمعنى اسعده وعطاء نصب على المصدر المؤكد
اى اعطوا عطاء اوالحال من الجنة (فلاتك فى مرية) شك بعدما انزل
عليك من مآل الناس (مما يعبد هؤلاء) من عبادة هؤلاء المشركين فى انها
ضلال مؤد الى مثل ماحل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة
عبادتهم اومن حال مايعبدونه فى انه يضر ولاينفع (مايعبدون الاكما يعبد

اتهمهم لماسبق منهم من أمر
يوسف (فصبر جميل) صبرى
(عسى الله أن يأتينى بهم)
بيوسف وأخويه (جميعا
انه هو العليم) بحالى (الحكيم)
فى صنعه (وتولى عنهم) تاركا
خطابهم (وقال ياأسفى)
الالف بدل من ياء الاضافة أى
ياحزنى (على يوسف وابيضت
عيناه) انمحق سوادهما وبدل
بياضا من بكائه (من الحزن)
عليه (فهو كظيم) مغموم
مكروب لايظهر كربه (قالوا
تالله) لا (تفتؤ) تزال (تذكر
يوسف حتى تكون حرضا)
مشرفا على الهلاك لطول
مرضك وهو مصدر
يستوى فيه الواحد وغيره
(أوتكون من الهالكين)
الموتى (قال) لهم (انما
أشكو بثى) هو عظيم الحزن
الذى لايصبر عليه حتى
يبث الى الناس (وحزنى
الى الله) لاالى غيره فهو الذى
تنفع الشكوى اليه (وأعلم
من الله مالاتعلمون) من أن
رؤيا يوسف صدق وهو حى
ثم قال (يابنى اذهبوا فتحسسوا
من يوسف وأخيه) اطلبوا
خبرهما (ولاتيأسوا)

اباؤهم من قبل) استئناف معنـاه تعليل النهى عن المرية اى هم وآباؤهم سواء فى الشرك اى مايعبدون عبـادة الاكعبادة آبائهم اومايعبـدون شيئا الامثل ماعبـدوه من الاوثان وقد بلغك مالحق آباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل فى الاسباب يقتضى التماثل فى المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة قبل عليه (وانا لموفوهم نصيبهم) حظهم من العذاب كآبائهم اومن الرزق فيكون عذرا لتأخير العذاب عنهم مع قيـام مايوجبه (غير منقوص) حال من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) فآمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء فى القرآن (ولولا كلمة سبقت من ربك) يعنى كلمة الانظار الى يوم القيمة (لقضى بينهم) بانزال مايستحقه المبطل ليتميز به عن المحق (وانهم) وان كفار قومك (لفى شك منه) من القرآن (مريب) موقع للريبة (وان كلا) وان كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتنوين بدل من المضاف اليه وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل (لما ليوفينهم ربك اعمالهم) اللام الاولى موطئة للقسم والثانية للتأكيد اوبالعكس ومامزيدة بينهما للفصل وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين ليوفينهم ربك جزاء اعمالهم وقرئ لما بالتنوين اى جميعا كقوله اكلا لما وان كل لما على ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به (انه بما يعملون خبير) فلا يفوت عنه شئ منه وان خفى (فاستقم كما امرت) لما بين امر المختلفين فى التوحيـد والنبوة واطنب فى شرح الوعد والوعيد امر رسوله صلى الله تعـالى عليه وسلم بالاستقامة مثل ماامر بها وهى شاملة للاستقامة فى العقائد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين والاعمـال من تبليغ الوحى وبيان الشرائع كما انزل والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وافراط مفوت للحقوق ونحوها وهى فى غاية العسر ولذلك قال عليـه الصلوة والسـلام شيبتنى سورة هود (ومن تاب معك) اى ومن تاب من الشرك والكفر وآمن معك وهو عطف على المستكن فى استقم وان لم يؤكـد بمنفصل لقيام الفـاصل مقـامه (ولا تطغوا) ولا تخرجوا عما حد لكم (انه بما تعملون بصير) فهو مجازيكم عليه وهو فى معنى التعليل للامر والنهى وفى الآية دليل على وجوب اتباع

تقنطـوا (من روح الله) رحمتـه (انه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون) فانطلقوا نحو مصر ليوسف (فلما دخلوا عليه قالوا ياأيها العزيز مسنا واهلنا الضر) الجوع (وجئنا ببضاعة مزجاة) مدفوعة يدفعها كل من رآها لرداءتها وكانت دراهم زيوفا أوغيرها (فاوف) أتم (لنا الكيل وتصدق علينا) بالمسـامحة عن رداءة بضاعتنا (ان الله يجزى المتصـدقين) يثيبهم فرق عليهم وأدركته الرحمة ورفع الحجاب بينه وبينهم ثم (قال) لهم توبيخا (هل علمتم مافعلتم بيوسف) من الضرب والبيع وغير ذلك (وأخيه) من هضمكم له بعـد فراق اخيه (اذ انتم جاهلون) ما يؤل اليـه أمر يوسف (قالوا) بعـد أن عرفوه لما ظهر من شمائله متثبتين (ائنك) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثـانية وادخال ألف بينهما على الوجهين (لأنت يوسف قال انا يوسف و هـذا اخى قد من) انعم (الله علينـا) بالاجتماع (انه

النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان (ولا تركنوا الى الذين ظلموا) ولا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل اليسير كالتزيى بزيهم وتعظيم ذكرهم (فتمسكم النار) بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون الى الظالمين اى الموسومين بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الآية ابلغ مايتصور فى النهى عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التى هى العدل فان الزوال عنها بالميل الى احد طرفى افراط وتفريط فانه ظلم على نفسه او غيره بل ظلم فى نفسه وقرئ تركنوا فتمسكم النار بكسر التاء على لغة تميم وتركنوا على البناء للمفعول من اركنه (ومالكم من دون الله من اولياء) من انصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال (ثم لاتنصرون) اى ثم لاينصركم الله اذ سبق فى حكمه ان يعذبكم ولايبقى عليكم وثم لاستبعاد نصره اياهم وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفاء لمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم وان غيره لايقدر على نصرهم انتج ذلك انهم لاينصرون اصلا (واقم الصلوة طرفى النهار) غدوة وعشية وانتصابه على الظرف لانه مضاف اليه (وزلفا من الليل) وساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة وصلوة الغداة صلوة الصبح لانها اقرب الصلوات من اول النهار وصلوة العشية العصر وقيل الظهر والعصر لان مابعد الزوال عشى وصلوة الزلف المغرب والعشاء وقرىء زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر فى بسرة وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة (ان الحسنات يذهبن السيئات) يكفرنها وفى الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة مابينهما ما اجتنبت الكبائر وفى سبب النزول ان رجلا اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال انى قد اصبت من امرأة غير انى لم آتها فنزلت (ذلك) اشارة الى قوله فاستقم ومابعده وقيل الى القرآن (ذكرى للذاكرين) عظة للمتعظين (واصبر) على الطاعات وعن المعاصى (فان الله لايضيع اجر المحسنين) عدل عن المضمر ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على ان الصبر والصلوة احسان وايماء بانه لايعتد بهما دون الاخلاص (فلولا كان) فهلا كان (من القرون من قبلكم اولوا بقية) من الرأى والعقل او اولوا فضل وانما سمى بقية لان الرجل يستبقى افضل

من يتق) يخف الله (ويصبر) على ماينااله (فان الله لايضيع أجر المحسنين) فيه وضع الظاهر موضع المضمر (قالوا تالله لقد آثرك) فضلك (الله علينا) بالملك وغيره (وان) مخففة أى انا (كنا لخاطئين) آثمين فى أمرك فأذلنالك (قال لاتثريب) عتب (عليكم اليوم) خصه بالذكر لانه مظنة التثريب فغيره أولى (يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) وسألهم عن أبيه فقالوا ذهبت عيناه فقال (اذهبوا بقميصى هذا) وهو قميص ابراهيم الذى لبسه حين ألقى فى النار كان عنقه فى الجب وهو من الجنة أمره جبريل بارساله وقال ان فيه ريحها ولايلقى على مبتلى الاعوفى (فالقوه على وجه أبى يأت) يصر (بصيرا وأتونى بأهلكم أجمعين ولما فصلت العير) خرجت من عريش مصر (قال أبوهم) لمن حضر من بنيه وأولادهم (انى لأجد ريح يوسف) أوصلته اليه الصبا باذنه تعالى من مسيرة ثلاثة أيام

أوثمانية أوأكثر (لولاأن تفندون) تسفهونى لصدقتمونى (قالوا)له(تاللهانك لفى ضلالك) خطئك(القديم)من افراطك فى محبته ورجاء لقائه على بعد العهد (فلماأن) زائدة (جاءالبشير) يهودا بالقميص وكان قدحمل قميص الدم فاحب أن يفرحه كماأحزنه (ألقاه) طرح القميص (على وجهه فارتد) رجع (بصيرا قال أقل لكم انى أعلم من الله ما لاتعلمون قالوا ياأبانا استغفرلنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف أستغفر لكم ربى أنه هوالغفور الرحيم) أخر ذلك الى السحر ليكون أقرب الى الاجابة أوالى ليلة الجمعة ثم توجهوا الى مصر وخرج يوسف والاكابر لتلقيهم (فلما دخلوا على يوسف) فى مضربه (آوى) ضم (اليه أبويه) أباهوأمه أوخالتـه (وقال) لهم (ادخلوا مصران شاءالله آمنين) فدخلوا وجلس يوسف على سريره (ورفع أبويه) أجلسهما معه (على

مايخرجه ومنه يقال فلان من بقية القوم اى من خيـارهم ويجوزان يكون مصـدرا كالتقية اى ذووا ابقـاء على انفسهم وصيانة لهـا من العذاب ويؤيده انه قرئ بقيـة وهى المرة من مصدر بقـاه يبقيه اذاراقبـه (ينهون عن الفسـاد فى الارض الاقليلاممن انجينامنهم) لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك ولايصح اتصـاله الا اذاجعل استثناءمن النفى اللازم للتحضيض (واتبع الذين ظلموا مااترفوا فيه) اى ماانعموا فيه من الشهوات واهتموابتحصيل اسبابهاواعرضواعماوراءذلك (وكانوامجرمين) كافرين كأنه اراد ان يبين ماكان السبب لاستئصال الامم السـالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى و ترك النهى عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفسـاد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبـع اواعتراض وقرئ واتبع اى واتبعوا جزاء مااترفوا فتكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهورة ويعضده تقدم الانجاء (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم) بشرك (واهلها مصلحون) فيما بينهم لايضمون الى شركهم فسادا وتباغياوذلك لفرط رحمته ومسامحته فى حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الكفر ولايبقى مع الظلم (ولوشاء ربك لجعل الناس امة واحدة) مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان من كل واحد وان ماارادهيجب وقوعه (ولايزالون مختلفين) بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لاتكاد تجد اثنين يتفقـان مطلقا (الامن رحم ربك) الاناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا على ماهو اصول دين الحق والعمدة فيه (ولذلك خلقهم) ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة اواليه والى الرحمة وان كان لمن فالى الرحم (وتمت كلمة ربك) وعيده اوقوله للملائكة (لأملأن جهنم من الجنة والناس) اى من عصاتهما (اجمعين) اومنهما اجمعين لامن احدهما (وكلا) وكل نبأ (نقص عليك من انباءالرسل) نخبرك به (مانثبت به فؤادك) بيان لكلا او بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمأنينة قلبه وثبات نفسـه على اداء الرسـالة واحتمال اذى الكفار اومفعول وكلامنصوب على المصدر بمعنى كل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك مانثبت به فؤادك من انباءالرسل (وجاءك فى هذه) السـورة اوالانبـاء المقتصة عليك (الحق) ماهو

حق (وموعظة وذكرى للمؤمنين) اشارة الى سائر فوائده العامة (وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم) على حالكم (انا عاملون) على حالنا (وانتظروا) بنا الدوائر (انا منتظرون) ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم (ولله غيب السموات والارض) خاصة لا يخفى عليه خافية مما فيهما (واليه يرجع الامر كله) فيرجع لا محالة امرهم وامرك اليه وقرأ نافع وحفص يرجع على البناء للمفعول (فاعبده وتوكل عليه) فانه كافيك وفى تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انما ينفع العابد (وما ربك بغافل عما تعملون) انت وهم فيجازى كلا ما يستحقه وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء هنا وفى آخر النمل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيمة من السعداء ان شاء الله تعالى

﴿ سورة يوسف عليه السلام مكية وآيها مائة واحدى عشرة ﴾
﴿ قيل الا ثلث آيات من اولها ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الر تلك آيات الكتاب المبين) تلك اشارة الى آيات السورة وهى المراد بالكتاب اى تلك الآيات آيات السورة الظاهر امرها فى الاعجاز او الواضحة معانيها او المبينة لمن تدبرها انها من عند الله او لليهود ما سألوا اذ روى ان علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا عليه السلام لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام فنزلت (انا انزلناه) اى الكتاب (قرآنا عربيا) سمى البعض قرآنا لانه فى الاصل اسم جنس يقع على الكل والبعض وصار علما للكل بالغلبة ونصبه على الحال وهو فى نفسه اما توطئة للحال التى هى عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له او حال من الضمير فيه او حال بعد حال وفى كل ذلك خلاف (لعلكم تعقلون) علة لانزاله بهذه الصفة اى انزلناه مجموعا او مقروا بلغتكم كى تفهموه وتحيطوا بمعانيه او تستعملوا فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور الا بالايحاء (نحن نقص عليك احسن القصص) احسن الاقتصاص لانه اقتص على ابدع الاساليب او احسن ما يقص لاشتماله على العجائب والحكم والآيات والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقص والسلب واشتقاقه من قص اثره اذا تبعه

العرش) السرير (وخروا) اى أبواه واخوته (له سجدا) سجود انحناء لا وضع جبهة وكان تحيتهم فى ذلك الزمان (وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا وقد احسن بى) الى (اذ أخرجنى من السجن) لم يقل من الجب تكرما لئلا تخجل اخوته (وجاء بكم من البدو) البادية (من بعد أن نزغ) أفسد (الشيطان بينى وبين اخوتى ان ربى لطيف لما يشاء انه هو العليم) بخلقه (الحكيم) فى صنعه وأقام عنده أبوه أربعا وعشرين سنة أو سبع عشرة سنة وكانت مدة فراقه ثمانى عشرة أو أربعين أو ثمانين سنة وحضره الموت فوصى يوسف أن يحمله ويدفنه عند أبيه فمضى بنفسه ودفنه ثمه ثم عاد الى مصر وأقام بعده ثلاثا وعشرين سنة ولما تم امره وعلم انه لا يدوم تاقت نفسه الى الملك الدائم فقال (رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث) تعبير الرؤيا (فاطر) خالق (السموات

(بما اوحينا) اى بايحائنا (اليك هذا القرآن) يعنى السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر (وان كنت من قبله لمن الغافلين) عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى وان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة (اذ قال يوسف) بدل من احسن القصص ان جعل مفعولا بدل الاشتمال او منصوب باضمار اذكر ويوسف عبرى ولو كان عربيا لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به لا على انه مضارع بنى للمفعول او الفاعل من آسف لان المشهورة شهدت بعجمته (لابيه) يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وعنه عليه الصلوة والسلام ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم عليهم السلام (ياابت) اصله ياابى فعوض الياء تاء التأنيث لتناسبهما فى الزيادة ولذلك قلبها هاء فى الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسروها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر فى كل القرآن لانها حركة اصلها او لانه كان ياابتا فحذف الالف وبقى الفتحة وانما جاز ياابتا ولم يجز ياابتى لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وانما لم تسكن كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب (انى رأيت) من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لاتقصص رؤياك ولقوله هذا تأويل رؤياى من قبل (احد عشر كوكبا والشمس والقمر) روى عن جابر ان يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اخبرنى يا محمد عن النجوم التى رآهن يوسف فسكت فنزل جبريل عليه السلام فاخبره بذلك فقال اذا اخبرتك فهل تسلم قال نعم قال جربان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودى اى والله انها لاسماؤها (رأيتهم لى ساجدين) استئناف لبيان حالهم التى رآهم عليها فلا تكرير وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم (قال يابنى) تصغير ابن صغره للشفقة او لصغر السن لانه كان ابن اثنتى عشرة سنة وقرأ حفص هنا وفى الصفات بفتح الياء (لاتقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا) فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم يعقوب عليه السلام من رؤياه ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه

(على)

والارض أنت ولي) متولى مصالحى (فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين) من آبائى فعاش بعد ذلك أسبوعا أو أكثر ومات وله مائة وعشرون سنة وتشاح المصريون فى قبره فجعلوه فى صندوق من مرمر ودفنوه فى أعلى النيل لتعم البركة جانبيه فسبحان من لا انقضاء لملكه (ذلك) المذكور من أمر يوسف (من أنباء الغيب) أخبار ما غاب عنك يا محمد (نوحيه اليك وما كنت لديهم) لدى اخوة يوسف (اذ أجمعوا أمرهم) فى كيده أى عزموا عليه (وهم يمكرون) به أى لم تحضرهم فتعرف قصتهم فتخبر بها وانما حصل لك علمها من جهة الوحى (وما أكثر الناس) أى أهل مكة (ولو حرصت) على ايمانهم (بمؤمنين وما تسألهم عليه) أى القرآن (من أجر) تأخذه (ان) ما (هو) أى القرآن (الا ذكر) عظة (للعالمين وكأين) وكم (من آية) دالة على وحدانية الله

على اخوته فخاف عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير انهـا مختصة بمايكون فى النوم ففرق بينهما بحرف التأنيث كالقربة والقربى وهى انطباع الصورة المنحدرة من افق المتخيـلة الى الحس المشـترك والصادقة منهـا انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهمـا من التناسب عندفراغهـا من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعانى الحـاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحـاكيه بصورة تناسـبه فترسلها الى الحس المشـترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لايكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليـه وانما عدى كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يعدى به تأكيدا ولذلك اكد بالمصدر وعلل بقوله (ان الشيطان للانسـان عدو مبين) ظاهر العداوة كما فعل بآدم عليه السلام وحواء فلا يألوا جهدا فى تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد (وكذلك) اى وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس (يجتبيك ربك) للنبوة والملك او لامور عظام والاجتبـاء من جبيت الشئ اذا حصلته لنفسـك (ويعلمك) كلام مبتدأ خارج عن التشبيه كأنه قيل وهو يعلمك (من تأويل الاحاديث) من تعبير الرؤيا لانها احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس او الشيطان ان كانت كاذبة او من تأويل غوامض كتب الله تعالى وسنن الانبياء وكلمات الحكماء وهو اسم للحديث كاباطيل اسم جمع للباطل (ويتم نعمته عليك) بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة (وعلى آل يعقوب) يريد به سـائر بنيه ولعله اسـتدل على نبوتهم بضوء الكواكب او نسـله (كما اتمها على ابويك) بالرسالة وقيل على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار وعلى اسحق بانقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم (من قبل) اى من قبلك اومن قبل هذا الوقت (ابراهيم واسحق) عطف بيان لابويك (ان ربك عليم) بمن يستحق الاجتباء (حكيم) يفعل الاشياء على ماينبغى (لقد كان فى يوسف واخوته) اى فى قصتهم (آيات) دلائل قدرة الله وحكمته اوعلامات نبوتك وقرأ ابن كثير آية (للسائلين) لمن سأل عن قصتهم والمراد باخوته علاته العشرة وهم يهوذا وروبيـل وشمعون ولاوى وريالون ويشجر ودينة من بنت خالته ليا تزوجها يعقوب اولا فلما توفيت تزوج اختهـا راحيل فولدت له بنيامين ويوسف وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما

(فى السموات والارض يمرون عليها) يشاهدونها (وهم عنها معرضون) لايتفكرون فيها (ومايؤمن اكثرهم بالله) حيث يقرون بأنه الخـالق الرازق (الا وهم مشركون) به بعبادة الاصنام ولذا كانوا يقولون فى تلبيتهم لبيـك لاشريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك يعنونهـا (أفأمنوا أن تأتيهم غاشية) نقمة تغشاهم (من عذاب الله او تأتيهم السـاعة بغتـة) فجأة (وهم لايشـعرون) بوقت اتيانهـا قبـله (قل) لهم (هذه سبيلى) وفسرها بقوله (أدعو الى) دين (الله على بصيرة) حجـة واضحـة (أنا ومن اتبعنى) آمن بى عطف على أنا المبتـدأ المخبر عنه بما قبله (وسبحان الله) تنزيهـا لله عن الشركاء (وما انا من المشركين) من جـملة سبيله أيضـا (وما أرسـلنا من قبلك الا رجالا يوحى) وفى قراءة بالنون وكسر الحاء (اليهم) لاملائكة (من أهل القرى) الامصار لانهم أعلم وأحلم بخلاف أهل البوادى لجفائهم وجهلهم (أفلم يسيروا)

حينئذ واربعة آخرون دان ويفتالى وحاد واشر من سريتين زلفة وبلهة (اذ قالوا ليوسف واخوه) بنيامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين (احب الى ابينا منا) وحده لان افعل من لايفرق فيه بين الواحد ومافوقه والمذكر ومايقابله بخلاف اخويه فان الفرق واجب فى المحلى جائز فى المضاف (ونحن عصبة) والحال انا جماعة اقوياء احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم (ان ابانا لفى ضلال مبين) لتفضيله المفضول او لترك التعديل فى المحبة روى انه كان احب اليه لما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له (اقتلوا يوسف) من جملة المحكى بعد قوله اذ قالوا كأنهم اتفقوا على ذلك الامن قال لاتقتلوا يوسف وقيل انما قاله شمعون اودان ورضى به الآخرون (او اطرحوه ارضا) منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك نصبت كالظروف المبهمة (يخل لكم وجه ابيكم) جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم فيقبل بكليته عليكم ولايلتفت عنكم الى غيركم ولاينازعكم فى محبته احد (وتكونوا) جزم بالعطف على يخل او نصب باضماران (من بعده) من بعد يوسف والفراغ من امره اوقتله او طرحه (قوما صالحين) تائبين الى الله تعالى عما جنيتم اوصالحين مع ابيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين فى امور دنياكم فانه ينتظم لكم بعد بخلو وجه ابيكم (قال قائل منهم) يعنى يهوذا وكان احسنهم فيه رأيا وقيل روبيل (لاتقتلوا يوسف) فان القتل عظيم (وألقوه فى غيابة الجب) فى قعره سمى بها لغيبوبته عن اعين الناظرين وقرأ نافع فى غيابات الجب فى الموضعين على الجمع كأنه لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة وغيابات بالتشديد (يلتقطه) يأخذه (بعض السيارة) بعض الذى يسيرون فى الارض (ان كنتم فاعلين) بمشورتى او ان كنتم على ان تفعلوا مايفرق بينه وبين ابيه (قالوا ياابانا مالك لاتأمنا على يوسف) لم تخافنا عليه (وانا له لناصحون) ونحن نشفق عليه ونريد له الخير ارادوا به استنزاله عن رأيه فى حفظه منهم لما تنسم من حسدهم والمشهورة تأمنا بالادغام باشمام وعن نافع ترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام لانهما من كلمتين وتئمنا

أى أهل مكة (فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) اى آخر أمرهم من اهلاكهم بتكذيبهم رسلهم (ولدار الآخرة) أى الجنة (خير للذين اتقوا) الله (أفلا يعقلون) بالياء والتاء أى ياأهل مكة هذا فتؤمنون (حتى) غاية لما دل عليه وماأرسلنا من قبلك الارجالا أى فتراخى نصرهم حتى (اذا استيأس) يئس (الرسل وظنوا) أيقن الرسل (أنهم قد كذبوا) بالتشديد تكذيبا لاايمان بعده والتخفيف اى ظن الامم أن الرسل اخلفوا ماوعدوا به من النصر (جاءهم نصرنا فنجى) بنونين مشددا ومخففا وبنون مشددا ماض (من نشاء ولايرد بأسنا) عذابنا (عن القوم المجرمين) المشركين (لقد كان فى قصصهم) اى الرسل (عبرة لاولى الالباب) اصحاب العقول (ماكان) هذا القرآن (حديثا يفترى) يختلق (ولكن) كان (تصديق الذى بين يديه)

بكسر التاء (ارسله معنا غدا) الى الصحراء (نرتع) نتسع فى اكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهى الخصب (ونلعب) بالاستباق والانتضال وقرأ ابن كثير نرتع بكسر العين على انه من ارتعى يرتعى ونافع بالكسر والياء فيه وفى يلعب وقرأ الكوفيون ويعقوب بالياء والسكون على اسناد الفعل الى يوسف وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء (واناله لحافظون) ان يناله مكروه (قال انى ليحزننى ان تذهبوا به) لشدة مفارقته على وقلة صبرى عنه (واخاف ان يأكله الذئب) لان الارض كانت مذأبة وقيل رأى فى المنام ان الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره وقد همزها على الاصل ابن كثير ونافع برواية قالون وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة درجا واشتقاقه من تذاءبت الريح اذا هبت من كل جهة (وانتم عنه غافلون) لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم بحفظه (قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة) اللام موطئة للقسم وجوابه (انا اذا لخاسرون) ضعفاء مغبونون او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والواو فى ونحن للحال (فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه فى غيابة الجب) وعزموا على القائه فيها والبئر بئر بيت المقدس او بئر بارض الاردن او بين مصر ومدين او على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب عليه السلام وجواب لما محذوف مثل فعلوا به مافعلوا من الاذى فقد روى انهم لما برزوا به الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما عاهدتمونى ان لا تقتلوه فاتوا به الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا على ابيهم فقال يا اخوتاه ردوا على قميصى اتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها القوه وكان فيها ماء فسقط ثم اوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكى فجاءه جبرائيل عليه السلام بالوحى كما قال (واوحينا اليه) وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان مراهقا اوحى اليه فى صغره كما اوحى الى يحيى وعيسى عليهم السلام وفى القصص ان ابراهيم عليه السلام حين القى فى النار وجرد عن ثيابه فاتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله فى تميمة علقها بيوسف فاخرجه جبريل عليه السلام والبسه اياه (لتنبئنهم بامرهم هذا) لتحدثنهم بما فعلوا بك (وهم لا يشعرون) انك يوسف لعلو شأنك وبعده

قبله من الكتب (وتفصيل) تبيين (كل شئ) يحتاج اليه فى الدين (وهدى) من الضلالة (ورحمة لقوم يؤمنون) خصوا بالذكر لانتفاعهم به دون غيرهم

سورة الرعد مكية الا ولا يزال الذين كفروا الآية ويقول الذين كفروا لست مرسلا الآية او مدنية الا ولو ان قرآنا الآيتين وآيها ثلاث اواربع اوخمس اوست واربعون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم) (المر) الله اعلم بمراده بذلك (تلك) هذه الآيات (آيات الكتاب) القرآن والاضافة بمعنى من (والذى انزل اليك من ربك) اى القرآن مبتدأ وخبره (الحق) لاشك فيه (ولكن اكثر الناس) اى اهل مكة (لا يؤمنون) بانه من عنده تعالى (الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها) اى العمد جمع عماد وهو الاسطوانة وهو صادق بأن لا عمد اصلا (ثم استوى على العرش) استواء يليق به (وسخر) ذلل (الشمس والقمر كل) منهما (يجرى)

عن اوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيئات وذلك اشارة الى ماقال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون بشره بما يؤول اليه امره ايناساله وتطييبا لقلبه وقيل وهم لايشعرون متصل باوحينا اى آنسناه بالوحى وهم لايشعرون ذلك (وجاؤا اباهم عشاء) آخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشى وعشى بالضم والقصر جمع اعشى اى عشوا من البكاء (يبكون) متباكين روى انه لما سمع بكاءهم فزع وقال مالكم يابنى واين يوسف (قالوا ياابانا انا ذهبنا نستبق) نتسابق فى العدو او فى الرمى وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل (وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا) بمصدق لنا (ولو كنا صادقين) لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف (وجاؤا على قميصه بدم كذب) اى ذى كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو اى جاؤا كاذبين وكدب بالدال غير المعجمة اى كدر اوطرى وقيل اصله البياض الخارج على اظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق على القميص وعلى قميصه فى موضع النصب على الظرف اى فوق قميصه او على الحال من الدم ان جوز تقديمه على المجرور روى انه لما سمع بخبر يوسف صاح وسأل عن قميصه فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال مارأيت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابنى ولم يمزق عليه قميصه ولذلك (قال بل سولت لكم انفسكم امرا) اى سهلت لكم انفسكم وهونت فى اعينكم امرا عظيما من السول وهو الاسترخاء (فصبر جميل) اى فامرى صبر جميل او فصبر جميل اجمل وفى الحديث الصبر الجميل الذى لاشكوى فيه اى الى الخلق (والله المستعان على ماتصفون) على احتمال ماتصفونه من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح (وجاءت سيارة) رفقة يسيرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلاثة ايام من القائه فيه (فارسلوا واردهم) الذى يرد الماء ويستسقى لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعى (فادلى دلوه) فارسلها فى الجب ليملأها فتدلى بها يوسف فلما رآه (قال يابشرى هذا غلام) نادى البشرى بشارة لنفسه او لقومه كأنه قال تعالى فهذا اوانك وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يابشراى بالاضافة وقرئ يا بشرى بالادغام وهو لغة وبشراى بالسكون على قصد

فى فلكه (لاجل مسمى) يوم القيمة (يدبر الامر) يقضى امر ملكه (يفصل) يبين (الآيات) دلالات قدرته (لعلكم) يا اهل مكة (بلقاء ربكم) بالبعث (توقنون وهو الذى مد) بسط (الارض وجعل) خلق (فيها رواسى) جبالا ثوابت (وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) من كل نوع (يغشى) يغطى (الليل) بظلمته (النهار ان فى ذلك) المذكور (لآيات) دلالات على وحدانيته تعالى (لقوم يتفكرون) فى صنع الله (وفى الارض قطع) بقاع مختلفة (متجاورات) متلاصقات فمنها طيب وسبخ وقليل الريع وكثيره وهو من دلائل قدرته تعالى (وجنات) بساتين (من اعناب وزرع) بالرفع عطفا على جنات والجر على اعناب وكذا قوله (ونخيل صنوان) جمع صنو وهى النخلات يجمعها اصل واحد وتتشعب فروعها (وغير صنوان) منفردة (تسقى) بالتاء اى

الوقف (واسروه) اى الوارد واصحابه من سائر الرفقة وقيل اخفوا امره وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك لان يهوذا كان يأتيه بالطعام كل يوم فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه فسكت يوسف مخافة ان يقتلوه (بضاعة) نصب على الحال اى اخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه من البضع فانه مابضع من المال للتجارة (والله عليم بما يعملون) لم يخف عليه اسرارهم اوصنيع اخوة يوسف بابيهم واخيهم (وشروه) وباعوه وفى مرجع الضمير الوجهان او اشتروه من اخوته (بثمن بخس) مبخوس لزيفه اونقصانه (دراهم) بدل من الثمن (معدودة) قليلة فانهم كانوا يزنون مابلغ الاوقية ويعدون مادونها قيل كان عشرين درهما وقيل كان اثنين وعشرين (وكانوا فيه) فى يوسف (من الزاهدين) الراغبين عنه والضمير فى كانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بائعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط للشئ متهاون به خائف عن انتزاعه مستعجل فى بيعه وان كانوا متبايعين فلانهم اعتقدوا انه ابق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذى فهو متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة لايتقدم على الموصول (وقال الذى اشتراه من مصر) وهو العزيز الذى كان على خزائن مصر واسمه قطفير اواطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليق وقد آمن بيوسف عليه السلام ومات فى حيوته وقيل كان فرعون موسى عاش اربعمائة سنة بدليل قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء روى انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث فى منزله ثلث عشرسنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفى وهو ابن مائة وعشرين واختلف فيما اشتراه به من جعل شراءه غير الاول فقيل عشرون دينارا وزوج انعل وثوبان ابيضان وقيل ملاؤه فضة وقيل ذهبا (لامرأته) راعيل اوزليخا (اكرمى مثواه) اجعلى مقامه عندنا كريما اى حسنا والمعنى احسنى تعهده (عسى ان ينفعنا) فى ضياعنا واموالنا و نستظهر به فى مصالحنا (او نتخذه ولدا) نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد ولذلك قيل افرس الناس ثلاثة عزيز

الجنات وما فيها والياء اى المذكور (بماء واحد ونفضل) بالنون والياء (بعضها على بعض فى الاكل) بضم الكاف وسكونها فمن حلو وحامض وهو من دلائل قدرته تعالى (ان فى ذلك) المذكور (لآيات لقوم يعقلون) يتدبرون (وان تعجب) يا محمد من تكذيب الكفار لك (فعجب) حقيق بالعجب (قولهم) منكرين للبعث (أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد) لان القادر على انشاء الخلق وما تقدم على غير مثال قادر على اعادتهم وفى الهمزتين فى الموضعين التحقيق وتحقيق الاولى وتسهيل الثانية وادخال الف بينهما على الوجهين وتركها وفى قراءة بالاستفهام فى الاول والخبر فى الثانى واخرى عكسه (اولئك الذين كفروا بربهم واولئك الاغلال فى اعناقهم واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) * ونزل فى استعجالهم العذاب استهزاء (ويستعجلونك بالسيئة) العذاب (قبل الحسنة)

مصر وابنة شعيب التى قالت ياابت استأجره وابو بكر حين استخلف عمر رضى الله تعالى عنهما (وكذلك مكنا ليوسف فى الارض) وكما مكنا محبته فى قلب العزيز اوكما مكناه منزله اوكما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكناه له فيها (ولنعلمه من تأويل الاحاديث) عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه اى كان القصد فى انجائه وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس وليعلم معانى كتب الله واحكامه فينفذها او تعبير المنامات المنبهة على الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان تحل كما فعل لسنينه (والله غالب على امره) لايرده شئ ولاينازعه فيما يشاء اوعلى امر يوسف اراد به اخوة يوسف شيئا واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده (ولكن اكثر الناس لايعلمون) ان الامر كله بيده اولطائف صنعه وخفايا لطفه (ولما بلغ اشده) منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف مابين الثلاثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبدأه بلوغ الحلم (اتيناه حكما) اى حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس (وعلما) يعنى علم تأويل الاحاديث (وكذلك نجزى المحسنين) تنبيه على انه تعالى انما اتاه ذلك جزاء على احسانه فى عمله واتقانه فى عنفوان امره (وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه) طلبت منه وتمحلت ان يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شئ ومنه الرائد (وغلقت الابواب) قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير او للمبالغة فى الايثاق (وقالت هيت لك) اى اقبل وبادر او تهيأت والكلمة على الوجهين اسم فعل بنى على الفتح كاين واللام للتبيين كالتى فى سقيالك وقرأ ابن كثير بالضم تشبيها له بحيث ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء كعيط وهى لغة فيه وقرأ هشام كذلك الا انه يهمزها وقد روى عنه ضم التاء وقرئ هيت كجير وهئت كجئت من هاء يهئ اذا تهيأ وعلى هذا فاللام من صلته (قال معاذ الله) اعوذ بالله معاذا (انه) اى الشأن (ربى احسن مثواى) سيدى قطفير احسن تعهدى اذ قال لك فى اكرمى مثواه فاجزاؤه ان اخونه فى اهله وقيل الضمير لله تعالى اى انه خالقى واحسن منزلتى بان عطف على قلبه فلا اعصيه (انه لايفلح الظالمون) المجاوزون الحسن بالسئ وقيل الزناة فان الزنا ظلم على الزانى والمزنى باهله (ولقد همت به وهم بها) قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشئ قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذى اذا هم بشئ امضاه والمراد بهمه عليه السلام ميل

الرحمة (وقد خلت من قبلهم المثلات) جمع المثلة بوزن السمرة اى عقوبات امثالهم من المكذبين افلا يعتبرون بها (وان ربك لذو مغفرة للناس على) مع (ظلمهم) والالم يترك على ظهرها دابة (وان ربك لشديد العقاب) لمن عصاه (ويقول الذين كفروا لولا) هلا (انزل عليه) على محمد (آية من ربه) كالعصا واليد والناقة قال تعالى (انما انت منذر) مخوف الكافرين وليس عليك اتيان الآيات (ولكل قوم هاد) نبى يدعوهم الى ربهم بما يعطيه من الآيات لابما يقترحون (الله يعلم ماتحمل كل انثى) من ذكر وانثى وواحد ومتعدد وغير ذلك (وماتغيض) تنقص (الارحام) من مدة الحمل (وماتزداد) منه (وكل شئ عنده بمقدار) بقدر واحد لايتجاوزه (عالم الغيب والشهادة) ماغاب وماشوهد (الكبير) العظيم (المتعال) على خلقه بالقهر بياء ودونها (سواء منكم) فى علمه

الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم اومشارفة الهم كقولك قتلته لولم اخف الله (لولا ان رأى برهان ربه) في قبح الزنى وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز ان يجعل وهم بها جواب لولا فانها في حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف يدل عليه وقيل رأى جبريل عليه السلام وقيل تمثل له يعقوب عاضا على انامله وقيل قطفير وقيل نودي يا يوسف انت مكتوب في الانبياء وتعمل عمل السفهاء (كذلك) اى مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك (لنصرف عنه السوء) خيانة السيد (والفحشاء) الزنى (انه من عبادنا المخلصين) الذين اخلصهم الله لطاعته وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر في كل القرآن اذا كان في اوله الالف واللام اى الذين اخلصوا دينهم لله (واستبقا الباب) اى تسابقا الى الباب لحذف الجار اوضمن الفعل معنى الابتدار وذلك ان يوسف فرمنها ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج (وقدت قميصه من دبر) اجتذبته من ورائه فانقدت قميصه والقد الشق طولا والقط الشق عرضا (والفيا سيدها) وصادفا زوجها (لدى الباب قالت ماجزاء من اراد باهلك سوأ الا ان يسجن اوعذاب اليم) ايهاما بانها فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتغييره على يوسف واغراءه به انتقاما منه وما نافية اواستفهامية بمعنى اى شيء جزاؤه الا السجن (قال هي راودتني عن نفسي) طالبتني بالمواتاة وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن اوالعذاب الاليم ولو لم تكذب عليه لماقاله (وشهد شاهد من اهلها) قيل ابن عمها وقيل ابن خال لها وكان صبيا في المهد وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تكلم اربعة صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم عليه السلام وانما القى الشهادة على لسان اهلها ليكون الزم عليها (ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين) لانه يدل على انها قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها اوانه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه (وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته والشرطية محكية على ارادة القول اوعلى ان فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة

تعالى (من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف) مستتر (بالليل) بظلامه (وسارب) ظاهر بذهابه في سربه أي طريقه (بالنهار له) للانسان (معقبات) ملائكة تعتقبه (من بين يديه) قدامه (ومن خلفه) وراءه (يحفظونه من أمر الله) أي بامره من الجن وغيرهم (ان الله لا يغير ما بقوم) لا يسلبهم نعمته (حتى يغيروا ما بأنفسهم) من الحالة الجميلة بالمعصية (واذا أراد الله بقوم سوأ) عذابا (فلا مرد له) من المعقبات ولا غيرها (ومالهم) لمن أراد الله بهم سوأ (من دونه) أي غير الله (من) زائدة (وال) يمنعه عنهم (هو الذي يريكم البرق خوفا) للمسافرين من الصواعق (وطمعا) للمقيم في المطر (وينشئ) يخلق (السحاب الثقال) بالمطر (ويسبح الرعد) هو ملك موكل بالسحاب يسوقه ملتبسا (بحمده) أي يقول سبحان الله وبحمده (و) يسبح (الملائكة من خيفته) أي الله (ويرسل

لانهاادت مؤداهاوالجمع بين ان وكان على تأويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره
قولك ان احسنت الى فقداحسنت اليك من قبل فان معناه ان تمنن على باحسانك
امنن عليك باحسانى لك السابق وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما
قطعاعن الاضافة كقبل وبعد بالفتح كأنهما جعلا علمين للجهتين فمنعا
الصرف وبسكون العين (فلما رأى قميصه قدمن دبر قال انه) اى
ان قولك ماجزاء من اراد باهلك سوأ اوان السوء اوان هذا الامر (من كيدكن)
من حيلتكن والخطاب لها ولامثالها ولسائر النساء (ان كيدكن عظيم)
فان كيدالنساء الطف واعلق بالقلب واشد تأثيرا فى النفس ولانهن
يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس به مسارقة (يوسف) حذف منه
حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث (اعرض عن هذا) اكتمه ولاتذكره
(واستغفرى لذنبك) ياراعيل (انك كنت من الخاطئين) من القوم المذنبين
من خطئ اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغلب (وقال نسوة) هى اسم جمع
امرأة وتأنيثه بهذا الاعتبار غيرحقيقى ولذلك جرد فعله وضم النون لغة
فيها (فى المدينة) ظرف لقال اى اشعن الحكاية فى مصر اوصفة نسوة
وكن خمسا زوجة الحاجب والساقى والخباز والسجان وصاحب الدواب
(امرأة العزيز تراود فتيها عن نفسه) تطلب مواقعة غلامها اياها والعزيز
بلسان العرب الملك واصل فتى فتى لقولهم فتيان والفتوة شاذة (قدشغفها
حبا) شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها حبا ونصبه على
التميز لصرف الفعل عنه وقرئ شعفها من شعف البعير اذاهنأه بالقطران
فاحرقه (انالنراها فى ضلال مبين) فى ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب
(فلماسمعت بمكرهن) باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن اخفينه كمايخفى الماكر
مكره اوقلن ذلك لتريهن يوسف اولانها استكتمتهن سرها فافشينه عليها
(ارسلت اليهن) تدعوهن قيل دعت اربعين امرأة فيهن الخمس
المذكورات (واعتدت لهن متكأ) ماتتكئن عليه من الوسائد (وآتت كل
واحدة منهن سكينا) حتى يتكئن والسكاكين بايديهن فاذاخرج عليهن
يبهتن ويشغلن عن نفوسهن فتقع سكينهن على ايديهن فيقطعنها فيبكتن
بالحجة اويهاب يوسف من مكرها اذاخرج وحده على اربعين امرأة
فى ايديهن الخناجر وقيل متكأ طعاما اومجلس طعام فانهم كانوا يتكئون
للطعام والشراب ترفا ولذلك نهى عنه قال جميل * فظللنا بنعمة واتكأنا *

(وشربنا)

الصواعق) وهى نار تخرج
من السحاب (فيصيب بها
من يشاء) فتحرقه نزل
فى رجل بعث اليه النبى صلى
الله عليه وسلم من يدعوه
فقال من رسول الله وماالله
أمن ذهب هو أم من فضة
أم نحاس فنزلت به صاعقة
فذهبت بقحف رأسه (وهم)
أى الكفار (يجادلون)
يخاصمون النبى صلى الله عليه
وسلم (فى الله وهو شديد
المحال) القوة أوالاخذ (له)
تعالى (دعوة الحق) أى
كلمته وهى لااله الا الله (والذين
يدعون) بالياء والتاء يعبدون
(من دونه) أى غيره وهم
الاصنام (لايستجيبون لهم
بشئ) مما يطلبونه (الا)
استجابة (كباسط) أى
كاستجابة باسط (كفيه الى الماء)
على شفير البئر يدعوه (ليبلغ
فاه) بارتفاعه من البئر اليه
(وماهو ببالغه) أى فاه أبدا
فكذلك ماهم بمستجيبين لهم
(ومادعاء الكافرين) عبادتهم
الاصنام أوحقيقة الدعاء
(الا فى ضلال) ضياع (ولله
يسجد من فى السموات والارض
طوعا) كالمؤمنين (وكرها)

وشربنا الحلال من قلله * وقيل المتكأ طعام يجز جزا كأن القاطع يتكئ عليه بالسكين وقرئ متكا بحذف الهمزة ومتكاء باشباع الفتحة كمنتزاح ومتكا وهو الاترج اوما يقطع من متك الشئ اذا بتكه ومتكأ من تكئ يتكأ اذا اتكئ (وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه) عظمنه وهبن حسنه الفائق وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلالؤ وجهه على الجدران وقيل اكبرن بمعنى حضن من اكبرت المرأة اذا حاضت لانها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير للمصدر اوليوسف عليه الصلوة والسلام على حذف اللام اى حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي * خف الله واستر ذا الجمال ببرقع * فان لحت حاضت فى الخدور العواتق * (وقطعن ايديهن) جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة (وقلن حاش لله) تنزيها لله من صفات العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله واصله حاشا كما قرأه ابو عمرو فى الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التبرئة فى باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما فى قولك سقيالك وقرئ حاشا الله بغير لام بمعنى برآءة الله وحاشا لله بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذى هو الناحية وفاعله ضمير يوسف اى صار فى ناحية لله مما يتوهم فيه (ماهذا بشرا) لان هذا الجمال غير معهود للبشر وهو على لغة الحجاز فى اعمال ماعمل ليس لمشاركتها فى نفى الحال وقرئ بشر بالرفع على لغة تميم و بشرى اى بعبد مشترى لئيم (ان هذا الاملك كريم) فان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة اولان جماله فوق جمال البشر ولا يفوقه فيه الاالملك (قالت فذلكن الذى لمتننى فيه) اى فهو ذلك العبد الكنعانى الذى لمتننى فيه بالافتتان به قبل ان تتصورنه حق تصوره ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتننى اوفهذا هو الذى لمتننى فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعا لمنزلة المشار اليه (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) فامتنع طلبا للعصمة اقرت لهن حين عرفت انهن يعذرنها كى يعاونها على الانة عريكته (ولئن لم يفعل ما آمره) اى ما آمر به فحذف الجار اوامرى اياه بمعنى موجب امرى فيكون الضمير ليوسف عليه السلام (ليسجنن وليكونا من الصاغرين) من الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير من صغر بالضم صغرا وقرئ ليكونن وهو يخالف

كالمنافقين ومن أكره بالسيف (و) يسجد (ظلالهم بالغدو) البكر (والآصال) العشايا (قل) يامحمد لقومك (من رب السموات والارض قل الله) ان لم يقولوه لاجواب غيره (قل) لهم (أفاتخذتم من دونه) أى غيره (اولياء) أصناما تعبدونها (لا يملكون لانفسهم نفعا ولاضرا) وتركتم مالكهما استفهام توبيخ (قل هل يستوى الاعمى والبصير) الكافر والمؤمن (أم هل تستوى الظلمات) الكفر (والنور) الايمان (ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق) اى خلق الشركاء بخلق الله (عليهم) فاعتقدوا استحقاق عبادتهم بخلقهم استفهام انكار اى ليس الامر كذلك ولا يستحق العبادة الا الخالق (قل الله خالق كل شئ) لاشريك له فيه فلا شريك له فى العبادة (وهو الواحد القهار) لعباده ثم ضرب مثلا للحق والباطل فقال (انزل) تعالى (من السماء ماء) مطرا (فسالت اودية بقدرها) بمقدار مائها (فاحتمل السيل زبدا رابيا) عاليا عليه

خط المصحف لان النون كتبت فيه بالالف كنسفعا على حكم الوقف وذلك
فى الخفيفة لشبهها بالتنوين (قال رب السجن) وقرأ يعقوب بالفتح على
المصدر (احب الى مما يدعوننى اليه) اى آثر عندى من مواتاتها نظرا الى
العاقبة وان كان هذا مما تشتهيه النفس وذلك مما تكرهه واسناد الدعوة اليهن
جميعا لانهن خوفنه من مخالفتها وزين له مطاوعتها اودعونه الى انفسهن
وقيل انما ابتلى بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به ان يسأل الله العافية
ولذلك ردرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على من كان يسأل الصبر
(والاتصرف) وان لم تصرف (عنى كيدهن) فى تحبيب ذلك الى وتحسينه
عندى بالتثبيت على العصمة (اصب اليهن) امل الى اجابتهن اوالى
انفسهن بطبعى ومقتضى شهوتى والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان
النفوس تستطيبها وتميل اليها وقرئ اصب من الصبابة وهى الشوق
(واكن من الجاهلين) من السفهاء بارتكاب مايدعوننى اليه فان الحكيم
لايفعل القبيح اومن الذين لايعملون بما يعلمون فانهم والجهال سواء
(فاستجاب له ربه) فاجاب الله دعاءه الذى تضمنه قوله والاتصرف (فصرف
عنه كيدهن) فثبته حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على
اللذة المضمنة للعصيان (انه هو السميع) لدعاء الملتجئين اليه (العليم)
باحوالهم ومايصلحهم (ثم بدالهم من بعد مارأوا الآيات) ثم ظهر للعزيز
واهله من بعد مارأوا الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبى
وقدالقميص وقطع النساء ايديهن واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر
يفسره (ليسجننه حتى حين) وذلك لانها خدعت زوجها وحملته على
سجنه زمانا حتى تبصر مايكون منه اويحسب الناس انه المجرم فلبث
فى السجن سبع سنين وقرئ بالتاء على ان بعضهم خاطب به العزيز على
التعظيم اوالعزيز ومن يليه وعتى بلغة هذيل (ودخل معه السجن فتيان)
اى ادخل يوسف السجن واتفق ان ادخل حينئذ آخران من عبيد الملك
شرابيه وخبازه للاتهام بانهما يريدان ان يسماه (قال احدهما) يعنى
الشرابى (انى ارانى) اى أرى فى المنام هى حكاية حال ماضية (اعصر
خمرا) اى عنبا وسماه بما يؤول اليه (وقال الآخر) اى الخباز (انى ارانى احمل
فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه) تنهس منه (نبئنا بتأويله انا نراك
من المحسنين) من الذين يحسنون تأويل الرؤيا اومن العالمين وانما قالا ذلك

(لانهما)

هوما على وجهه من قذر
ونحوه (ومما توقدون) بالتاء
والياء (عليه فى النار) من
جواهر الارض كالذهب
والفضة والنحاس (ابتغاء)
طلب (حلية) زينة (اومتاع)
ينتفع به كالاوانى اذا اذيبت
(زبد مثله) اى مثل زبد
السيل وهو خبثه الذى
ينفيه الكير (كذلك)
المذكور (يضرب الله الحق
والباطل) اى مثلهما
(فأما الزبد) من السيل وما
اوقد عليه من الجواهر
(فيذهب جفاء) باطلا مرميا به
(واما ماينفع الناس) من الماء
والجواهر (فيمكث) يبقى
(فى الارض) زمانا كذلك
الباطل يضمحل وينمحق
وان علا على الحق فى بعض
الاوقات والحق ثابت باق
(كذلك) المذكور (يضرب)
يبين (الله الامثال للذين
استجابوا لربهم) أجابوه
بالطاعة (الحسنى) الجنة
(والذين لم يستجيبوا له)
وهم الكفار (لوأن لهم
مافى الارض جميعا ومثله معه
لافتدوا به) من العذاب
(أولئك لهم سوء الحساب)

لانهما رأياه فى السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بتأويل ما رأينا ان كنت تعرفه ﴿ قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله ﴾ اى بتأويل ماقصصتما على او بتأويل الطعام يعنى بيان ماهيته وكيفيته فانه يشبه تفسير المشكل كانه اراد ان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما الى الطريق القويم قبل ان يسعف الى ماسألامنه كماهو طريقة الانبياء عليهم السلام والنازلين منازلهم من العلماء فى الهداية والارشاد فقدم مايكون معجزة له من الاخبار بالغيب ليدلهما على صدقه فى الدعوة والتعبير ﴿ قبل ان يأتيكما ذلكما ﴾ اى ذلك التأويل ﴿ مما علمنى ربى ﴾ بالالهام والوحى وليس من قبيل التكهين او التنجيم ﴿ انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ﴾ تعليل لما قبله اى علمنى ذلك لانى تركت ملة اولئك ﴿ واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب ﴾ اوكلام مبتدأ لتمهيد الدعوة واظهار انه من بيت النبوة ليقوى رغبتهما فى الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك جوز للخامل العالم ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم وتأكيد كفرهم بالآخرة ﴿ ما كان لنا ﴾ ماصح لنا معشر الانبياء ﴿ ان نشرك بالله من شئ ﴾ اى شئ كان ﴿ ذلك ﴾ اى التوحيد ﴿ من فضل الله علينا ﴾ بالوحى ﴿ وعلى الناس ﴾ وعلى سائر الناس ببعثتنا لارشادهم وتثبيتهم عليه ﴿ ولكن اكثر الناس ﴾ المبعوث اليهم ﴿ لا يشكرون ﴾ هذا الفضل فيعرضون عنه ولا يتنبهون او من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلالة وانزال الآيات ولكن اكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها ﴿ ياصاحبى السجن ﴾ اى ياساكنيه او ياصاحبىّ فيه فاضافهما اليه على الاتساع كقوله ياسارق الليلة اهل الدار ﴿ ءارباب متفرقون ﴾ شتى متعددة متساوية الاقدام ﴿ خير ام الله الواحد ﴾ المتوحد بالالوهية ﴿ القهار ﴾ الغالب الذى لا يعادله ولا يقاومه غيره ﴿ ماتعبدون من دونه ﴾ خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر ﴿ الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ﴾ اى الا اشياء باعتبار اسامى اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها فكأنكم لا تعبدون الا الاسماء المجردة والمعنى انكم سميتم مالم يدل على استحقاقه الالوهية عقل ولا نقل آلهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ماتطلقون عليها ﴿ ان الحكم ﴾ فى امر العبادة

وهو المؤاخذة بكل ماعملوه لا يغفر منه شئ ﴿ ومأواهم جهنم وبئس المهاد ﴾ الفراش هى * ونزل فى حمزة وأبى جهل ﴿ افمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق ﴾ فآمن به ﴿ كمن هو أعمى ﴾ لا يعلمه ولا يؤمن به لا ﴿ انما يتذكر ﴾ يتعظ ﴿ أولوا الالباب ﴾ أصحاب العقول ﴿ الذين يوفون بعهد الله ﴾ المأخوذ عليهم وهم فى عالم الذر أو كل عهد ﴿ ولا ينقضون الميثاق ﴾ بترك الايمان أو الفرائض ﴿ والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ﴾ من الايمان والرحم وغير ذلك ﴿ ويخشون ربهم ﴾ أى وعيده ﴿ ويخافون سوء الحساب ﴾ تقدم مثله ﴿ والذين صبروا ﴾ على الطاعة والبلاء وعن المعصية ﴿ ابتغاء ﴾ طلب ﴿ وجه ربهم ﴾ لا غيره من اعراض الدنيا ﴿ واقاموا الصلوة وأنفقوا ﴾ فى الطاعة ﴿ مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤن ﴾ يدفعون ﴿ بالحسنة السيئة ﴾ كالجهل بالحلم والاذى بالصبر ﴿ أولئك لهم عقبى الدار ﴾

(الا لله) لانه المستحق لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد للكل والمالك لامره (امر) على لسان انبيائه (ان لاتعبدوا الاایاه) الذى دلت عليه الحجج (ذلك الدين القيم) الحق وانتم لاتميزون المعوج من القويم وهذا من التدرج فى الدعوة والزام الحجة بين لهم اولا رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة على طريق الخطابة ثم برهن على ان مايسمونها آلهة ويعبدونها لاتستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما بالذات واما بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذى لايقتضى العقل غيره ولا يرتضى العلم دونه (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) فيخبطون فى جهالاتهم (ياصاحبى السجن اما احدكما) يعنى الشرابى (فيسقى ربه خمرا) كما كان يسقيه قبل ويعود الى ما كان عليه (واما الآخر) يريد الخباز (فيصلب فتأكل الطير من رأسه) فقالا كذبنا فقال (قضى الامر الذى فيه تستفتيان) اى قطع الامر الذى تستفتيان فيه وهو مايؤول اليه امركما ولذلك وحده فانهما وان استفتيا فى امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما (وقال للذى ظن انه ناج منهما) الظان يوسف عليه السلام ان ذكر ذلك عن اجتهاد وان ذكره عن وحى فهو الناجى الاان يأول الظن باليقين (اذكرنى عند ربك) اذكر حالى عند الملك كى يخلصنى (فانساه الشيطان ذكر ربه) فانسى الشرابى ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر لملابسته له اوعلى تقدير ذكر اخبار ربه اوانسى يوسف ذكرالله حتى استعان بغيره ويؤيده قوله عليه الصلوة والسلام رحم الله اخى يوسف لولم يقل اذكرنى عند ربك لما لبث فى السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد فى كشف الشدائد وان كانت محمودة فى الجملة لكنها لاتليق بمنصب الانبياء (فلبث فى السجن بضع سنين) البضع مابين الثلاث الى التسع من البضع وهو القطع (وقال الملك انى ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف) لمادنا فرجه رأى الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان (وسبع سنبلات خضر) قد انعقد حبها (واخر يابسات) وسبعا اخر يابسات قدادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بماقص من حال البقرات واجرى السمان على المميز دون المميز لان التمييز بها ووصف السبع الثانى بالعجاف

(لتعذر)

أى العاقبة المحمودة فى الدار الآخرة هى (جنات عدن) اقامة (يدخلونها) هم (ومن صلح) آمن (من آبائهم وازواجهم وذرياتهم) وان لم يعملوا بعلمهم يكونون فى درجاتهم تكرمة لهم (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) من أبواب الجنة أو القصور أول دخولهم للتهنئة يقولون (سلام عليكم) هذا الثواب (بماصبرتم) بصبركم فى الدنيا (فنعم عقبى الدار) عقباكم (والذين ينقضون عهدالله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمرالله به أن يوصل ويفسدون فى الارض) بالكفر والمعاصى (اولئك لهم اللعنة) البعد من رحمة الله (ولهم سوء الدار) العاقبة السيئة فى الدار الآخرة وهى جهنم (الله يبسط الرزق) يوسعه (لمن يشاء ويقدر) يضيقه لمن يشاء (وفرحوا) أى أهل مكة فرح بطر (بالحيوة الدنيا) أى بما نالوه فيها (وما الحيوة الدنيا فى) جنب حيوة (الآخرة الامتاع) شئ قليل يتمتع به و يذهب (ويقول الذين

لتعذر التميز بها مجردا عن الموصوف فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفاء لكنه حمل على سمان لانه نقيضه (ياايها الملأ افتونى فى رؤياى) عبروها (ان كنتم للرؤيا تعبرون) ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا وهى الانتقال من الصور الخيالية الى المعانى النفسانية التى هى مثالها من العبور وهى المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان اولتقوية العامل فان الفعل لما اخر عن مفعوله ضعف فقوى باللام كاسم الفاعل اولتضمن تعبرون معنى فعل يعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا (قالوا اضغاث احلام) اى هذه اضغاث احلام وهى تخاليطها جمع ضغث واصله ماجمع من اخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة فى وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل اولتضمنه اشياء مختلفة (ومانحن بتأويل الاحلام بعالمين) يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة اى ليس لها تأويل عندنا وانما التأويل للمنامات الصادقة فهو كأنه مقدمة ثانية للعذر فى جهلهم بتأويله (وقال الذى نجا منهما) من صاحبى السجن وهو الشرابى (وادكر بعد امة) وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة اى مدة طويلة وقرئ امة بكسرة الهمزة وهى النعمة اى بعد ماانعم عليه بالنجاة وامه اى نسيان يقال امه يأمه امها اذانسى والجملة اعتراض ومقول القول (انا انبئكم بتأويله فارسلون) اى الى من عنده علمه اوالى السجن (يوسف ايها الصديق) اى فارسل الى يوسف عليه السلام فجاءه وقال يايوسف وانما وصفه بالصديق وهو المبالغ فى الصدق لانه جرب احواله وعرف صدقه فى تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه (افتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات) اى فى رؤيا ذلك (لعلى ارجع الى الناس) اعود الى الملك ومن عنده اوالى اهل البلد اذ قيل ان السجن لم يكن فيه (لعلهم يعلمون) تأويلها اوفضلك ومكانك وانما لم يبت الكلام فيهما لانه لم يكن جازما من الرجوع فربما اخترم دونه ولامن علمهم (قال تزرعون سبع سنين دأبا) اى على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين اوالمصدر باضمار فعله اى تدأبون دأبا ويكون الجملة حالا وقرأ حفص دأبا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر دأب فى العمل وقيل تزرعون امر اخراجه فى صورة الخبر مبالغة لقوله (فما حصدتم فذروه فى سنبله) لئلا يأكله السوس

كفروا) من أهل مكة (لولا) هلا (أنزل عليه) على محمد (آية من ربه) كالعصا واليد والناقة (قل) لهم (ان الله يضل من يشاء) ضلاله فلاتغنى عنه الآيات شيئا (ويهدى) يرشد (اليه) الى دينه (من اناب) رجع اليه ويبدل من من (الذين آمنوا وتطمئن) تسكن (قلوبهم بذكر الله) أى وعده (ألابذكر الله تطمئن القلوب) اى قلوب المؤمنين (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) مبتدأ خبره (طوبى) مصدر من الطيب أوشجرة فى الجنة يسير الراكب فى ظلها مائة عام مايقطعها (لهم وحسن مآب) مرجع (كذلك) كما أرسلنا الانبياء قبلك (أرسلناك فى امة قدخلت من قبلها أمم لتتلو) تقرأ (عليهم الذى اوحينا اليك) اى القرآن (وهم يكفرون بالرحمن) حيث قالوا لما امروا بالسجود له وماالرحمن (قل) لهم يامحمد (هو ربى لااله الاهو عليه توكلت واليه متاب) * ونزل لما قالوا له ان كنت نبيا فسير عنا جبال مكة

وهو على الاول نصيحة خارجة عن العبارة ﴿الاقليلا مماتأ كلون ﴾ فى تلك السنين ﴿ ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ماقدمتم لهن ﴾ اى يأكل اهلهن ماادخرتم لاجلهن فاسنداليهن على المجاز تطبيقا بين المعبر والمعبربه ﴿ الاقليلا مماتحصنون ﴾ تحرزون لبذور الزراعة ﴿ثم يأتى من بعدذلك عام فيه يغاث الناس﴾ يمطرون من الغيث او يغاثون من القحط من الغوث ﴿وفيه يعصرون ﴾ مايعصركالعنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على تغليب المستفتى وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون المبنى للفاعل منه اى يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا اومن اعصرت السحابة عليهم فعدى بنزع الخافض او بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بهابعدان اول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة و ابتلاع العجاف السمان باكل ماجمع فى السنين المخصبة فى السنين المجدبة ولعله علم ذلك بالوحى اوبان انتهاء الجدب بالخصب اوبان السنة الالهية على ان يوسع على عباده بعد ماضيق عليهم ﴿ وقال الملك ائتونى به ﴾ بعد ماجاءه الرسول بالتعبير ﴿ فلما جاء الرسول ﴾ ليخرجه ﴿ قال ارجع الى ربك فاسأله مابال النسوة اللاتى قطعن ايديهن ﴾ انما تأنى فى الخروج وقدم سؤال النسوة وتفحص حاله ليظهر براءة ساحته ويعلم انه سجن ظلما فلايقدر الحاسد ان يتوسل به الى تقبيح امره وفيه دليل على انه ينبغى ان يجتهد فى نفى التهم و يتقى مواقعها وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لوكنت مكانه ولبثت فى السجن مالبث لاسرعت الاجابة وانماقال فاسأله مابال النسوة ولم يقل فاسأله ان يفتش عن حالهن تهييجاله على البحث وتحقيق الحال وانما لم يتعرض لسيدته مع ماصنعت به كرما ومراعاة للادب وقرئ النسوة بضم النون ﴿ ان ربى بكيدهن عليم ﴾ حين قلن لى اطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى انه برئ مماقرف به والوعيد لهن على كيدهن ﴿ قال ماخطبكن ﴾ قال الملك لهن ماشأنكن والخطب امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه ﴿ اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ﴾ تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ﴿ ماعلمنا عليه من سوء ﴾ من ذنب ﴿ قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق ﴾ ثبت واستقر من حصحص البعير اذا القى مباركه ليناخ قال شعر * فحصحص فى صم

واجعل لنافيها انهارا وعيونا لنغرس ونزرع وابعث لنا آباءنا الموتى يكلمونا أنك نبى ﴿ ولوأن قرآنا سيرت به الجبال ﴾ نقلت عن اماكنها ﴿ اوقطعت ﴾ شققت ﴿ به الارض اوكلم به الموتى ﴾ بان يحيوا لماآمنوا ﴿ بل لله الامر جميعا ﴾ لالغيره فلايؤمن الامن شاء ايمانه دون غيره وان اوتوا مااقترحوا ونزل لماارادالصحابة اظهار مااقترحوا طمعا فى ايمانهم ﴿ افلم ييأس ﴾ يعلم ﴿ الذين آمنوا ان ﴾ مخففة اى انه ﴿ لويشاء الله لهدى الناس جميعا ﴾ الى الايمان من غير آية ﴿ ولايزال الذين كفروا ﴾ من اهل مكة ﴿ تصيبهم بما صنعوا ﴾ بصنعهم اى كفرهم ﴿قارعة﴾ داهية تقرعهم بصنوف البلاء من القتل والاسروالحرب والجدب ﴿أوتحل﴾ يامحمد بجيشك ﴿ قريبا من دارهم ﴾ مكة ﴿حتى يأتى وعدالله ﴾ بالنصر عليهم ﴿ ان الله لايخلف الميعاد ﴾ وقدحل بالحديبية

الصفا ثفناته* وناء بسلمی نوءة ثم صمما * اوظهر من حص شعره اذا استأصله بحيث ظهر بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول (انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) فی قوله هی راودتنی عن نفسی (ذلك ليعلم) قاله يوسف لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن ای ذلك التثبيت ليعلم العزيز (انی لم اخنه بالغيب) وهو حال من الفاعل او المفعول ای لم اخنه وانا غائب عنه او وهو غائب عنی اوظرف ای بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة (وان الله لايهدی كيد الخائنين) لاينفذه ولايسدده اولايهدی الخائنين بكيدهم فاوقع الفعل علی الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل فی خيانتها زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقبه بقوله (وما ابرئ نفسی) ای لا انزهها تنبيها على انه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل اظهار ما انعم الله عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس رضی الله عنهما انه لما قال ليعلم انی لم اخنه قال له جبريل ولاحين هممت فقال ذلك (ان النفس لامارة بالسوء) من حيث انها بالطبع مائلة الى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح فی اثرها كل الاوقات (الاما رحم ربی) الاوقت رحمة ربی اوالاما رحمه الله من النفوس فعصمه من ذلك وقيل الاستثناء منقطع ای ولكن رحمة ربی هی التی تصرف الاساءة وقيل الآية حكاية قول راعيل والمستثنی نفس يوسف واضرابه وعن ابن كثير ونافع بالسو على قلب الهمزة واوا ثم الادغام (ان ربی غفور رحيم) يغفر همّ النفس ويرحم من يشاء بالعصمة اويغفر للمستغفر لذنبه المعترف علی نفسه ويرحمه ما استغفره واسترحمه مما ارتكبه (وقال الملك ائتونی به استخلصه لنفسی) اجعله خالصا لنفسی (فلما كلمه) فلما اتوابه فكلمه وشاهد فيه الرشد والدهاء (قال انك اليوم لدينا مكين) ذومكانة ومنزلة (امين) مؤتمن على كل شئ روی انه لما خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم انی اسألك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه بالعربية فقال الملك ماهذا اللسان فقال لسان عمی اسماعيل ودعاله بالعبرية فقال ماهذا اللسان قال لسان آبائی وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع رؤيای منك فحكاها ونعت له البقرات والسنابل واما كنها على مارآها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره

حتی انی فتح مكة (ولقد استهزئ برسل من قبلك) كما استهزئ بك وهذا تسلية للنبی صلی الله عليه وسلم (فامليت) امهلت (للذين كفروا ثم اخذتهم) بالعقوبة (فكيف كان عقاب) ای هو واقع موقعه فكذلك افعل بمن استهزأ بك (افمن هو قائم) رقيب (على كل نفس بما كسبت) عملت من خير وشر وهو الله كمن ليس كذلك من الاصنام لادل على هذا (وجعلوا لله شركاء قل سموهم) له من هم (ام) بل ا (تنبؤنه) تخبرون الله (بما) ای بشريك (لايعلم) ه (فی الارض) استفهام انكار ای لاشريك له اذ لو كان لعلمه تعالی عن ذلك (ام) بل تسمونهم شركاء (بظاهر من القول) بظن باطل لاحقيقة له فی الباطن (بل زين للذين كفروا مكرهم) كفرهم (وصدوا عن السبيل) طريق الهدی (ومن يضلل الله فماله من هاد لهم عذاب فی الحيوة الدنيا) بالقتل والاسر (ولعذاب الآخرة

أشق) أشد منه (ومالهم من الله) أي عذابه (من واق) مانع (مثل) صفة (الجنة التي وعد المتقون) مبتدأ خبره محذوف أي فيما نقص عليكم (تجري من تحتها الانهار أكلها) مايؤكل فيها (دائم) لايفنى (وظلها) دائم لاتنسخه شمس لعدمها فيها (تلك) أي الجنة (عقبى) عاقبة (الذين اتقوا) الشرك (وعقبى الكافرين النار والذين آتيناهم الكتاب) كعبدالله بن سلام وغيره من مؤمني اليهود (يفرحون بما أنزل اليك) لموافقته ماعندهم (ومن الاحزاب) الذين تحزبوا عليك بالمعاداة من المشركين واليهود (من ينكر بعضه) كذكر الرحمن وماعدا القصص (قل انما أمرت) فيما انزل الى (ان) اى بان (اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعو واليه مآب) مرجعى (وكذلك) الانزال (انزلناه) اى القرآن (حكما عربيا) بلغة العرب تحكم به بين الناس (ولئن اتبعت أهواءهم) أي الكفار فيما يدعونك اليه من ملتهم

(٢) غالب النسخ بالثاء بدل الشين فليحرر قاله مصححه طاهر

وقيل توفى قطفير فى تلك الليالى فنصبه منصبه وزوج منه راعيل فوجدها عذراء وولد له منها افرائيم وميشا(٢) (قال اجعلنى على خزائن الارض ولنى امرها والارض ارض مصر (انى حفيظ) لها ممن لايستحقها (عليم) بوجوه التصرف فيها ولعله عليه السلام لما رأى انه يستعمله فى امره لامحالة آثر مايعم فوائده ويجل عوائده وفيه دليل على جواز طلب التولية واظهار انه مستعد لها والتولى من يد الكافر اذا علم انه لاسبيل الى اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وعن مجاهد ان الملك اسلم على يده (وكذلك مكنا ليوسف فى الارض) ارض مصر (يتبوأ منها حيث يشاء) ينزل من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير نشاء بالنون (نصيب برحمتنا من نشاء) فى الدنيا والآخرة (ولا نضيع اجر المحسنين) بل نوفى اجورهم عاجلا وآجلا (ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) الشرك والفواحش لعظمه ودوامه (وجاء اخوة يوسف) روى انه لما استوزره الملك اقام العدل واجتهد فى تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر والشام ونواحيهما وتوجه اليه الناس فباعها اولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شئ منهما ثم بالحلى والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الرأى رأيك فاعتقهم ورد عليهم اموالهم وكان قد اصاب كنعان ما اصاب سائر البلاد فارسل يعقوب عليه السلام بنيه غير بنيامين اليه للميرة (فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون) اى عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم اياه فى سن الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هالك وبعد حاله التى رأوه عليها من حاله حين فارقوه وقلة تأملهم فى حلاه من التهيب والاستعظام (ولما جهزهم بجهازهم) اصلحهم بعدتهم واوقر ركابهم بما جاؤا لاجله واصله الجهاز مايعد من الامتعة للنقلة كعدد السفر ومايحمل من بلدة الى اخرى وماتزف به المرأة الى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر (قال ائتونى باخ لكم من ابيكم) روى انهم لما دخلوا عليه قال من انتم وما امركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله انما نحن بنو اب واحد وهو شيخ كبير صديق نبى من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثنى عشر فذهب احدنا الى البرية فهلك قال فكم انتم ههنا قالوا

عشرة قال فاين الحادى عشر قالوا عند ابينا يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا ههنا من يشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندى رهينة وأتونى باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل كان يوسف عليه السلام يعطى لكل نفر حملا فسألوا حملا زائدا لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان يأتوه به ليعلم صدقهم (الاترون انى اوفى الكيل) اتمه (وانا خير المنزلين) للضيف والمضيفين لهم وكان احسن انزالهم وضيافتهم (فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون) اى لا تقربونى ولا تدخلوا ديارى وهو اما نهى او نفى معطوف على الجزاء (قالوا سنراود عنه اباه) سنجتهد فى طلبه من ابيه (وانا لفاعلون) ذلك لا نتوانى فيه (وقال لفتينه) لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرأ حمزة والكسائى وحفص لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله (اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم) فانه وكل بكل رحل واحدا يعنى فيه بضاعتهم التى شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا من ان يأخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به (لعلهم يعرفونها) لعلهم يعرفون حق ردها اولكى يعرفوها (اذا انقلبوا) انصرفوا ورجعوا (الى اهلهم) وفتحوا اوعيتهم (لعلهم يرجعون) لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع (فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل) حكم بمنعه بعد هذا ان لم يذهب بنيامين (فارسل معنا اخانا نكتل) نرفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج اليه وقرأ حمزة والكسائى بالياء على اسناده الى الاخ اى يكتل لنفسه فينضم اكتياله الى اكتيالنا (وانا له لحافظون) عن ان يناله مكروه (قال) يعقوب لهم (هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل) وقد قلتم فى يوسف وانا له لحافظون (فالله خير حافظا) فأتوكل عليه وافوض امرى اليه وانتصاب حفظا على التميز وحافظا فى قراءة حمزة والكسائى وحفص يحتمله والحال كقولهم لله دره فارسا وقرئ خير حافظ وخير الحافظين (وهو ارحم الراحمين) فارجو ان يرحمنى بحفظه ولا يجمع على مصيبتين (ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم) وقرئ ردت بنقل كسرة الدال والمدغمة الى الراء نقلها فى بيع وقيل (قالوا يا ابانا ما نبغى) ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا

فرضا (بعد ما جاءك من العلم) بالتوحيد (مالك من الله من) زائدة (ولى) ناصر (ولا واق) مانع من عذابه * ونزل لما عيروه بكثرة النساء (ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية) اولادا وانت مثلهم (وما كان لرسول) منهم (ان يأتى بآية الا باذن الله) لانهم عبيد مربوبون (لكل اجل) مدة (كتاب) مكتوب فيه تحديده (يمحو الله) منه (ما يشاء ويثبت) بالتخفيف والتشديد فيه ما يشاء من الاحكام وغيرها (وعنده ام الكتاب) اصله الذى لا يتغير منه شئ وهو ما كتبه فى الازل (واما) فيه ادغام نون ان الشرطية فى المزيدة (نرينك بعض الذى نعدهم) به من العذاب فى حيوتك وجواب الشرط محذوف اى فذاك (او نتوفينك) قبل تعذيبهم (فانما عليك البلاغ) لا عليك الا التبليغ (وعلينا الحساب) اذا صاروا الينا فنجازيهم (اولم يروا) اى أهل مكة (انا نأتى الارض) نقصد ارضهم (ننقصها

وباع منا ورد علينا متاعنا اولا نطلب وراء ذلك احسانا اولا نبغى فى القول ولا نزيد فيما حكيناك من احسانه وقرى ماتبغى على الخطاب اى اى شئ تطلب وراء هذا من الاحسان او من الدليل على صدقنا (هذه بضاعتنا ردت الينا) استئناف موضح لقوله مانبغى (ونمير اهلنا) معطوف على محذوف اى ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع الى الملك (ونحفظ اخانا) عن المخاوف فى ذهابنا وايابنا (ونزداد كيل بعير) وسق بعير باستصحاب اخينا هذا اذا كانت ما استفهامية فاما اذاكانت نافية احتمل ذلك واحتمل ان تكون الجمل معطوفة على مانبغى اى لانبغى فيما نقول ونمير اهلنا ونحفظ اخانا (ذلك كيل يسير) اى مكيل قليل لايكفينا استقلوا ما كيل لهم فارادوا ان يضاعفوه بالرجوع الى الملك اويزدادوا اليه مايكال لاخيهم ويجوز ان يكون الاشارة الى كيل بعير اى ذلك شئ قليل لايضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه وقيل انه من كلام يعقوب عليه السلام ومعناه ان حمل بعير شئ يسير لايخاطر لمثله بالولد (قال لن ارسله معكم) اذ رأيت منكم مارأيت (حتى تؤتون موثقا من الله) حتى تعطونى ماأتوثق به من عند الله اى عهدا مؤكدا بذكر الله (لتأتننى به) جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتننى به (الا ان يحاط بكم) الا ان تغلبوا فلا تطيقوا ذلك اوالا ان تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير لتأتننى به على كل حال الا حال الاحاطة بكم اومن اعم العلل على ان قوله لتأتننى به فى تأويل النفى اى لاتمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم كقولهم اقسمت بالله الافعلت اى ماأطلب الا فعلك (فلما آتوه موثقهم) عهدهم (قال الله على مانقول) من طلب الموثق واتيانه (وكيل) رقيب مطلع (وقال يابنى لاتدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة) لانهم كانوا ذوى جمال وابهة مشتهرين فى مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا ولعله لم يوصهم بذلك فى الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ اوكان الداعى اليها خوفه على بنيامين وللنفس آثار منها العين والذى يدل عليه قوله عليه الصلوة والسلام فى عوذته اللهم انى اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة (وما اغنى عنكم من الله من شئ) مما قضى عليكم بما اشرت به اليكم فان الحذر لايمنع القدر (ان الحكم الا لله) يصيبكم لامحالة ان قضى عليكم

من اطرافها) بالفتح على النبى صلى الله عليه وسلم (والله يحكم) فى خلقه بما يشاء (لامعقب) لاراد (لحكمه وهو سريع الحساب وقد مكر الذين من قبلهم) من الامم بانبيائهم كما مكروا بك (فلله المكر جميعا) وليس مكرهم كمكره لانه تعالى (يعلم ماتكسب كل نفس) فيعد لها جزاءه وهذا هو المكر كله لانه يأتيهم به حيث لايشعرون (وسيعلم الكافر) المراد به الجنس وفى قراءة الكفار (لمن عقبى الدار) اى العاقبة المحمودة فى الدار الآخرة الهم ام للنبى صلى الله عليه وسلم واصحابه (ويقول الذين كفروا) لك (لست مرسلا قل) لهم (كفى بالله شهيدا بينى وبينكم) على صدقى (ومن عنده علم الكتاب) من مؤمنى اليهود والنصارى

سورة ابراهيم مكية الا الم تر الى الذين بدلوا الآيتين وآيها احدى او ثنتان او اربع اوخمس وخمسون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر) الله اعلم بمراده بذلك

سوء ولاينفعكم ذلك (عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) جمع بين الحرفين فى عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كأن الواو للعطف والفاء لافادة السبب فان فعل الانبياء عليهم السلام سبب لان يقتدى بهم (ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم) اى من ابواب متفرقة فى البلد (ماكان يغنى عنهم) رأى يعقوب واتباعهم له (من الله من شئ) مما قضاه عليهم كما قال يعقوب عليه السلام فسرقوا واخذ بنيامين لوجدان الصواع فى رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب عليه السلام (الا حاجة فى نفس يعقوب) استثناء منقطع اى ولكن حاجة فى نفسه يعنى شفقته عليهم وحرازته من ان يعاونوا (قضاها) اظهرها ووصى بها (وانه لذو علم لما علمناه) بالوحى و نصب الحجج ولذلك قال وما اغنى عنكم من الله من شئ ولم يغتر بتدبيره (ولكن اكثر الناس لايعلمون) سر القدر وانه لايغنى عنه الحذر (ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه) ضم اليه بنيامين على الطعام او فى المنزل روى انه اضافهم فاجلسهم مثنى مثنى فبقى بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخى يوسف حيا لجلس معى فاجلسه معه على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لاثانى له فيكون معى فبات عنده وقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولاراحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه و (قال انى اخوك فلا تبتئس) فلاتحزن افتعال من البؤس (بما كانوا يعملون) فى حقنا فيما مضى (فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية) المشربة (فى رحل اخيه) قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت يسقى الدواب بها ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ وجعل على حذف جواب فلما تقديره امهلهم حتى انطلقوا (ثم اذن مؤذن) نادى مناد (ايتها العير انكم لسارقون) لعله لم يقله بامر يوسف عليه الصلوة والسلام او كان تعبية السقاية والنداء عليها برضى بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ابيه او أئنكم لسارقون والعير القافلة وهو اسم الابل التى عليها الاحمال لانها تعير اى تتردد فقيل لاصحابها كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ياخيل الله اركبى وقيل جمع عير واصلها فعل كسقف فعل به مافعل ببيض تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة (قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون) اى شئ ضاع عنكم والفقد

هذا القرآن (كتاب أنزلناه اليك) يا محمد (لتخرج الناس من الظلمات) الكفر (الى النور) الايمان (باذن) بامر (ربهم) ويبدل من الى النور (الى صراط) طريق (العزيز) الغالب (الحميد) المحمود (الله) بالجر بدل أو عطف بيان ومابعده صفة والرفع مبتدأ خبره (الذى له مافى السموات ومافى الارض) ملكا وخلقا وعبيدا (وويل للكافرين من عذاب شديد الذين) نعت (يستحبون) يختارون (الحيوة الدنيا على الآخرة ويصدون) الناس (عن سبيل الله) دين الاسلام (ويبغونها) أى السبيل (عوجا) معوجة (أولئك فى ضلال بعيد) عن الحق (وما أرسلنا من رسول الا بلسان) بلغة (قومه ليبين لهم) ليفهمهم ماأتى به (فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى صنعه (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) التسع وقلنا له (أن أخرج قومك) بنى اسرائيل (من الظلمات) الكفر (الى النور) الايمان

غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا (قالوا نفقد صواع الملك) وقرئ صاع وصوع بالفتح والضم والعين والغين وصواغ من الصياغة (ولمن جاء به حمل بعير) من الطعام جعلا له (وانا به زعيم) كفيل اؤديه الى من رده وفيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل (قالوا تالله) قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله تعالى (لقد علمتم ماجئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين) استشهدوا بعلمهم على براءة انفسهم لما عرفوا منهم فى كرتى مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط امانتهم كرد البضاعة التى جعلت فى رحالهم وكم الدواب لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد (قالوا فما جزاؤه) فما جزاء السارق او السرق او الصواع على حذف المضاف (ان كنتم كاذبين) فى ادعاء البراءة (قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه) اى جزاء سرقته اخذ من وجد فى رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب عليه الصلوة والسلام وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له او خبر من والفاء لتضمنها معنى الشرط او جواب لها على انها شرطية والجملة كما هى خبر جزاؤه على اقامة الظاهر فيها مقام الضمير كأنه قيل جزاؤه من وجد فى رحله فهو هو (كذلك نجزى الظالمين) بالسرقة (فبدأ باوعيتهم) فبدأ المؤذن وقيل يوسف لانهم ردوا الى مصر (قبل وعاء اخيه) بنيامين نفيا للتهمة (ثم استخرجها) اى السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤنث (من وعاء اخيه) وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة (كذلك) مثل ذلك الكيد (كدنا ليوسف) بان علمناه اياه واوحينا به اليه (ماكان ليأخذ اخاه فى دين الملك) ملك مصر لان دينه الضرب وتغريم ضعف مااخذ دون الاسترقاق وهو بيان للكيد (الا ان يشاء الله) ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا اى لكن اخذه بمشيئة الله واذنه (نرفع درجات من نشاء) بالعلم كما رفعنا درجته (وفوق كل ذى علم عليم) ارفع درجة منه واحتج به من زعم انه تعالى عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو اعلم منه والجواب ان المراد كل ذى علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله تعالى ومعناه الذى له العلم البالغ لغة ولانه لافرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص (قالوا ان يسرق) بنيامين (فقد سرق اخ له من قبل) يعنون يوسف

(عليه)

(وذكرهم بأيام الله) بنعمه (ان فى ذلك) التذكير (لآيات لكل صبار) على الطاعة (شكور) للنعم (و) اذكر (اذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم) المولودين (ويستحيون) يستبقون (نساءكم) لقول بعض الكهنة ان مولودا يولد فى بنى اسرائيل يكون سبب ذهاب ملك فرعون (وفى ذلكم) الانجاء أو العذاب (بلاء) انعام و ابتلاء (من ربكم عظيم واذ تأذن) أعلم (ربكم لئن شكرتم) نعمتى بالتوحيد والطاعة (لأزيدنكم ولئن كفرتم) جحدتم النعمة بالكفر والمعصية لأعذبنكم دل عليه (ان عذابى لشديد وقال موسى) لقومه (ان تكفروا أنتم ومن فى الارض جميعا فان الله لغنى) عن خلقه (حميد) محمود فى صنعه بهم (ألم يأتكم) استفهام تقرير (نبأ) خبر (الذين من قبلكم قوم نوح وعاد) قوم هود (وثمود) قوم صالح

عليه السلام قيل ورثت عمته من ابيها منطقة ابراهيم عليه السلام وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما شب اراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه ثم اظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت احق به فى حكمهم وقيل كان لاب امه صنم فسرقه وكسره والقاه فى الجيف وقيل كان فى البيت عناق اودجاجة فاعطى السائل وقيل دخل كنيسة واخذ تمثالا صغيرا من الذهب (فاسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم) اكنها ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة اوالمقالة اونسبة السرقة اليه وقيل انها كناية بشريطة التفسير ويفسرها قوله (قال انتم شر مكانا) فانه بدل من اسرها والمعنى قال فى نفسه انتم شر مكانا اى منزلة فى السرقة لسرقتكم اخاكم يوسف اوفى سوء الصنيع مما كنتم عليه وتأنيثها باعتبار الكلمة اوالجملة وفيه نظر اذا المفسر بالجملة لا يكون الاضمير الشان (والله اعلم بما تصفون) وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون (قالوا ياايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا) فى السن اوالقدر وذكروا له حاله استعطافا له عليه (فخذ احدنا مكانه) بدله فان اباه ثكلان على اخيه الهالك مستأنس به (انا نراك من المحسنين) الينا فاتمم احسانك اومن المتعودين الاحسان فلا تغير عادتك (قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده) فان اخذ غيره ظلم على فتواكم فلا آخذ احدكم مكانه (انا اذا لظالمون) فى مذهبكم هذا اوان مراده ان الله اذن ان نأخذ من وجدنا الصاع فى رحله لمصلحته ورضاه عليه فلو اخذت غيره كنت ظالما (فلما استيأسوا منه) يئسوا من يوسف واجابته اياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة وعن البزى استايسوا بالالف وفتح الياء من غير همزة واذا وقف حمزة القى حركة الهمزة على الياء على اصله (خلصوا) انفردوا واعتزلوا (نجيا) متناجين وانما وحده لانه مصدر اوبزنته كما قيل هم صديق وجمعه انجية كندى واندية (قال كبيرهم) فى السن وهو روبيل اوفى الرأى وهو شمعون وقيل يهوذا (الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله) عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم بالله موثقا منه لانه باذن منه وتأكيد من جهته (ومن قبل) ومن قبل هذا (ما فرطتم فى يوسف) قصرتم فى شأنه وما مزيدة ويجوز ان تكون مصدرية فى موضع النصب بالعطف على مفعول تعلموا ولا بأس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف اوعلى اسم ان وخبره فى يوسف اومن قبل او الرفع بالابتداء والخبر من قبل وفيه نظر لان قبل اذا كان خبرا

والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله) لكثرتهم (جاءتهم رسلهم بالبينات) بالحجج الواضحة على صدقهم (فردوا) أى الامم (أيديهم فى افواههم) اى اليها ليعضوا عليها من شدة الغيظ (وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به) فى زعمكم (وانا لفى شك مما تدعوننا اليه مريب) موقع فى الريبة (قالت رسلهم أفى الله شك) استفهام انكار اى لا شك فى توحيده للدلائل الظاهرة عليه (فاطر) خالق (السموات والارض يدعوكم) الى طاعته (ليغفر لكم من ذنوبكم) من زائدة فان الاسلام يغفر به ما قبله اوتبعيضية لاخراج حقوق العباد (ويؤخركم) بلا عذاب (الى اجل مسمى) اجل الموت (قالوا ان) ما (انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا) من الاصنام (فأتونا بسلطان مبين) حجة ظاهرة على صدقكم (قالت لهم رسلهم ان) ما (نحن الا بشر مثلكم) كما قلتم (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده)

اوصلة لايقطع عن الاضافة حتى لاينقص وان تكون موصولة اى مافرطتموه
بمعنى ماقدمتموه فى حقه من الخيانة ومحله ماتقدم (فلن ابرح الارض)
فلن افارق ارض مصر (حتى يأذن لى ابى) فى الرجوع (اويحكم الله لى)
او يقضى الله لى بالخروج منها او بخلاص اخى منهم او بالمقاتلة معهم
لتخليصه روى انهم كلموا العزيز فى اطلاقه فقال روبيل ايها الملك والله لتتركنا
اولاصيحن صيحة تضع منها الحوامل وقفت كل شعرة من جسده فخرجت
من ثيابه فقال يوسف عليه السلام لابنه قم الى جنبه فمسه وكان بنو يعقوب
عليه السلام اذا غضب احدهم فمسه الآخر ذهب غضبه فقال روبيل
من هذا ان فى هذا البلد لبذرا من بذر يعقوب (وهو خير الحاكمين) لان حكمه
لايكون الا بالحق (ارجعوا الى ابيكم فقولوا ياابانا ان ابنك سرق) على
ماشاهدنا من ظاهر الامر وقرئ سرق اى نسب الى السرقة (وماشهدنا)
عليه (الا بما علمنا) بان رأينا الصواع استخرج من وعائه (وما كنا للغيب)
لباطن الحال (حافظين) فلا ندرى انه سرق او سرق ودس الصاع فى رحله
اوما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين اعطيناك الموثق انه سيسرق اوانك
تصاب به كما اصبت بيوسف (واسأل القرية التى كنا فيها) يعنون مصر
اوقرية بقربها لحقهم المنادى فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسألهم عن
القصة (والعير التى اقبلنا فيها) واصحاب العير التى توجهنا فيهم وكنا معهم
(وانا الصادقون) تأكيد فى محل القسم (قال بل سولت) اى فلما رجعوا الى
ابيهم وقالوا له ماقال لهم اخوهم قال بل سولت اى زينت وسهلت (لكم
انفسكم امرا) اردتموه فقررتموه والا فما ادرى الملك ان السارق يؤخذ
بسرقته (فصبر جميل) اى فامرى صبر جميل اوفصبر جميل اجمل (عسى الله
ان يأتينى بهم جميعا) بيوسف وبنيامين واخيهما الذى توقف بمصر (انه
هو العليم) بحالى وحالهم (الحكيم) فى تدبيره (فتولى عنهم) فاعرض عنهم
كراهة لما صادف منهم (وقال يااسفا على يوسف) اى يا اسفى تعال فهذا
اوانك والاسف اشد الحزن والحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما تأسف
على يوسف دون اخويه والحادث رزؤهما لارزؤه لان رزأه كان قاعدة
المصيبات وكان غضا آخذا بمجامع قلبه ولانه كان واثقا بحياتهما دون حيوته
وفى الحديث لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الاترى الى يعقوب عليه الصلوة والسلام
(حين)

بالنبوة (وماكان) ماينبغى
(لنا ان نأتيكم بسلطان الا
باذن الله) بامره لانا عبيد
مربوبون (وعلى الله فليتوكل
المؤمنون) يتقوا به (ومالنا
ألا نتوكل على الله) اى لامانع
لنا من ذلك (وقد هدانا سبلنا
ولنصبرن على ماآذيتمونا)
على أذاكم (وعلى الله فليتوكل
المتوكلون وقال الذين كفروا
لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا
أو لتعودن) لتصيرن (فى ملتنا)
ديننا (فاوحى اليهم ربهم
لنهلكن الظالمين) الكافرين
(ولنسكننكم الارض) أرضهم
(من بعدهم) بعد هلاكهم
(ذلك) النصر وايراث
الارض (لمن خاف مقامى)
أى مقامه بين يدى (وخاف
وعيد) بالعذاب (واستفتحوا
استنصر الرسل بالله على قومهم
(وخاب) خسر (كل جبار)
متكبر عن طاعة الله (عنيد)
معاند للحق (من ورائه) أى
أمامه (جهنم) يدخلها
(ويسقى) فيها (من ماء
صديد) هو مايسيل من جوف
أهل النار مختلطا بالقيح والدم
(يتجرعه) يبتلعه مرة بعد
مرة لمرارته (ولايكاد يسيغه)

حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وقال يا اسفا (وابيضت عيناه من الحزن)
لكثرة بكائه من الحزن كان العبرة محقت سوادها وقيل ضعف بصره وقيل عمى
وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند التفجع ولعل
امثال ذلك لاتدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد
ولقد بكى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال
القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم
لمحزونون (فهو كظيم) مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له فى قلبه لايظهره
فعيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه
او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله كظم
البعير جرته اذا ردها فى جوفه (قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف) اى لاتفتأ
ولا تزال تذكره تفجعا عليه فحذف لا كما فى قوله * فقلت يمين الله ابرح قاعدا *
لانه لايلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على
النفى (حتى تكون حرضا) مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض
الذى اذابه هم او مرض وهو فى الاصل مصدر ولذلك لايؤنث ولا يجمع
والنعت بالكسر كدنف ودنف وقد قرئ به وبضمتين كجنب (او تكون
من الهالكين) من الميتين (قال انما اشكو بثى وحزنى) همى الذى لا اقدر الصبر
عليه من البث بمعنى النشر (الى الله) لا الى احد منكم ومن غيركم فخلونى
وشكايتى (واعلم من الله) من صنعه ورحمته فانه لايخيب داعيه ولا يدع
الملتجئ اليه او من الله بنوع من الالهام (ما لا تعلمون) من حيوة يوسف قيل
رأى ملك الموت فى المنام فسأله عنه فقال هو حى وقيل علم من رؤيا يوسف انه
لايموت حتى يخر له اخوته سجدا (يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه)
فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما والتحسس طلب الاحساس
(ولا تيأسوا من روح الله) لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله
اى من رحمته التى يحيى بها العباد (انه لاييأس من روح الله الا القوم
الكافرون) بالله وصفاته فان العارف لايقنط من رحمته فى شئ من الاحوال
(فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز) بعد ما رجعوا الى مصر رجعة ثانية (مسنا
واهلنا الضر) شدة الجوع (وجئنا ببضاعة مزجية) رديئة او قليلة ترد
وتدفع رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل كانت دراهم
زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر والحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق

يزدرده لقبحه وكراهته
(ويأتيه الموت) اى اسبابه
المقتضية له من انواع العذاب
(من كل مكان وما هو بميت
ومن ورائه) بعد ذلك العذاب
(عذاب غليظ) قوى متصل
(مثل) صفة (الذين كفروا
بربهم) مبتدأ ويبدل منه
(اعمالهم) الصالحة كصلة
وصدقة فى عدم الانتفاع بها
(كرماد اشتدت به الريح فى يوم
عاصف) شديد هبوب الريح
فجعلته هباء منثورا لايقدر
عليه والمجرور خبر المبتدأ
(لايقدرون) اى الكفار
(مما كسبوا) عملوا فى الدنيا
(على شئ) اى لايجدون له
ثوابا لعدم شرطه (ذلك
هو الضلال) الهلاك (البعيد
الم تر) تنظر يا مخاطب استفهام
تقرير (ان الله خلق السموات
والارض بالحق) متعلق بخلق
(ان يشأ يذهبكم) ايها الناس
(ويأت بخلق جديد) بدلكم
(وما ذلك على الله بعزيز)
شديد (وبرزوا) اى الخلائق
والتعبير فيه وفيما بعده
بالماضى لتحقق وقوعه (لله
جميعا فقال الضعفاء) الاتباع
(للذين استكبروا) المتبوعين

المقل (فاوف لنا الكيل) فاتم لنا الكيل (وتصدق علينا) برد اخينا اوبالمساحة وقبول المزجاة اوبالزيادة على مايساويها واختلف فى ان حرمة الصدقة تعم الانبياء عليهم الصلوة والسلام اوتختص بنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الله يجزى المتصدقين) احسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عليه الصلوة والسلام فى القصر هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب من الله تعالى (قال هل علمتم مافعلتم بيوسف واخيه) اى هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم باخيه افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لايستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة (اذ انتم جاهلون) قبحه فلذلك اقدمتم عليه اوعاقبته وانما قال ذلك تنصيحالهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى من عجزهم وتمسكنهم لامعاتبة وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب فى تخليص بنيامين وذكروا له ماهو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم كان فعل الجهال اولانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين (قالوا أئنك لانت يوسف) استفهام تقرير ولذلك حقق بان ودخول اللام عليه وقرأ ابن كثير على الايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة ويعقوب مثلها (قال انا يوسف وهذا اخى) من ابى وامى ذكره تعريفا لنفسه به وتفخيما لشأنه وادخالا له فى قوله (قدمن الله علينا) اى بالسلامة والكرامة (انه من يتق) اى من يتق الله (ويصبر) على البليات اوعلى الطاعات اوعن المعاصى (فان الله لايضيع اجر المحسنين) وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه على ان المحسن من جمع بين التقوى والصبر (قالوا تالله لقد آثرك الله علينا) اختارك علينا بحسن الصورة وكمال السيرة (وان كنا لخاطئين) والحال ان شأننا انا كنا مذنبين بما فعلنا معك (قال لاتثريب عليكم) لاتأنيب عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذى يغشى الكرش للازالة كالتجليد فاستعير للتقريع الذى يمزق العرض ويذهب ماء الوجه (اليوم) متعلق بالتثريب او بالمقدر للجار الوقع خبرا للاتثريب والمعنى لااثربكم اليوم الذى هو مظنته فما ظنكم بسائر الايام او بقوله (يغفر الله لكم) لانه صفح عن جريمتهم حينئذ واعترفوا بها حينئذ (وهو ارحم

(انا كنالكم تبعا) جمع تابع (فهل انتم مغنون) دافعون (عنا من عذاب الله من شئ) من الاولى للتبيين والثانية للتبعيض (قالوا) اى المتبوعون (لوهدانا الله لهديناكم) لدعوناكم الى الهدى (سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مالنا من) زائدة (محيص) ملجأ (وقال الشيطان) ابليس (لما قضى الامر) وادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار واجتمعوا عليه (ان الله وعدكم وعد الحق) بالبعث والجزاء فصدقكم (ووعدتكم) انه غير كائن (فأخلفتكم وماكان لى عليكم من) زائدة (سلطان) قوة وقدرة اقهركم على متابعتى (الا) لكن (ان دعوتكم فاستجبتم لى فلاتلومونى ولوموا انفسكم) على اجابتى (ماأنا بمصرخكم) بمغيثكم (وما انتم بمصرخى) بفتح الياء وكسرها (انى كفرت بما اشركتمون) باشراككم اياى مع الله (من قبل) فى الدنيا قال تعالى (ان الظالمين) الكافرين (لهم عذاب اليم) مؤلم (وادخل

الراحمين فانه يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب ومن كرم يوسف عليه السلام انهم لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة والعشى الى الطعام ونحن نستحيي منك لما فرط منافيك فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الى بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما مابلغ ولقد شرفت بكم وعظمت فى عيونهم حيث علموا انكم اخوتى وانى من حفدة ابراهيم عليه السلام (اذهبوا بقميصى هذا) القميص الذى كان عليه وقيل القميص المتوارث الذى كان فى التعويذ (فالقوه على وجه ابى يأت بصيرا) اى يرجع بصيرا اى ذا بصر (وأتونى) انتم وابى (باهلكم اجمعين) بنسائكم وذراريكم ومواليكم (ولما فصلت العير) من مصر وخرجت من عمرانها (قال ابوهم) لمن حضره (انى لاجد ريح يوسف) اوجده الله ريح ماعبق بقميصه من ريحه حين اقبل به اليه يهوذا من ثمانين فرسخا (لولا ان تفندون) تنسبونى الى الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك لايقال عجوز مفندة لان نقصان عقلها ذاتى وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتمونى اولقلت انه قريب (قالوا) اى الحاضرون (تالله انك لفى ضلالك القديم) اى لفى ذهابك عن الصواب قدما بالافراد فى محبة يوسف واكثار ذكره والتوقع للقائه (فلما ان جاء البشير) يهوذا روى انه قال كما احزنته بحمل قميصه الملطخ بالدم اليه فافرحه بحمل هذا اليه (القاه على وجهه) طرح البشير القميص على وجه يعقوب عليه السلام او يعقوب نفسه (فارتد بصيرا) عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة (قال الم اقل لكم انى اعلم من الله مالا تعلمون) من حيوة يوسف عليه السلام وانزال الفرج وقيل انى اعلم كلام مبتدأ والمقول لاتيأسوا من روح الله وانى لاجد ريح يوسف (قالوا ياابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين) ومن حق المعترف بذنبه ان يفصح عنه ويسأل له المغفرة (قال سوف استغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم) اخره الى السحر اوالى صلوة الليل اوليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة اوالى ان يستحل لهم من يوسف عليه السلام اويعلم انه عفا عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ماروى انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى نزل جبريل عليه السلام فقال ان الله قد اجاب دعوتك فى ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وهو ان صح

الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين) حال مقدرة (فيها باذن ربهم تحيتهم فيها) من الله ومن الملائكة وفيما بينهم (سلام الم تر) تنظر (كيف ضرب الله مثلا) ويبدل منه (كلمة طيبة) اى لا اله الا الله (كشجرة طيبة) هى النخلة (اصلها ثابت) فى الارض (وفرعها) غصنها (فى السماء تؤتى) تعطى (اكلها) ثمرها (كل حين باذن ربها) بارادته كذلك كلمة الايمان ثابتة فى قلب المؤمن وعمله يصعد الى السماء وينا له بركته وثوابه كل وقت (ويضرب) يبين (الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) يتعظون فيؤمنون (ومثل كلمة خبيثة) هى كلمة الكفر (كشجرة خبيثة) هى الحنظل (اجتثت) استؤصلت (من فوق الارض مالها من قرار) مستقر وثبات كذلك كلمة الكفر لاثبات لها ولا فرع ولا بركة (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) هى كلمة التوحيد (فى الحيوة

فدليل على نبوتهم وان ماصدر عنهم كانقبل استنبائهم ﴿ فلمادخلوا على يوسف ﴾ روى انه وجه اليه رواحل واموالاليتجهز اليه بمن معه واستقبله يوسف والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى عليه الصلوة والسلام ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى ﴿ آوى اليه ابويه ﴾ ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما نزلهامنزلة الام تنزيل العم منزلة الاب فى قوله واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق اولان يعقوب عليه السلام تزوجها بعد امه والرابة تدعى اما ﴿ وقال ادخلوا مصر ان شاءالله آمنين ﴾ من القحط واصناف المكاره والمشيئة متعلقة بالدخول المكيف بالامن والدخول الاول كان فى موضع خارج البلد حين استقبلهم ﴿ ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا ﴾ تحية وتكرمة له فان السجود كان عندهم يجرى مجريها وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله شكرا وقيل الضميرلله تعالى والواو لابويه واخوته والرفع مؤخر عن الخرور وانقدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما ﴿ وقال ياابت هذا تأويل رؤياى من قبل ﴾ التى رأيتها ايام الصبا ﴿ قدجعلها ربى حقا ﴾ صدقا ﴿ وقداحسن بى اذ اخرجنى من السجن ﴾ ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا عليهم ﴿ وجاءبكم من البدو ﴾ من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشى واهل البدو ﴿ من بعد ان نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى ﴾ افسد بيننا وحرش من نزغ الرائض الدابة اذا نخسها وحملها على الجرى ﴿ ان ربى لطيف لمايشاء ﴾ لطيف التدبيرله اذمامن صعب الاوينفذ فيه مشيئته ويتسهل دونها ﴿ انه هوالعليم ﴾ بوجوه المصالح والتدابير ﴿ الحكيم ﴾ الذى يفعل كل شئ فى وقته وعلى وجه يقتضى الحكمة روى ان يوسف طاف بابيه عليهماالسلام فى خزائنه فلما ادخله خزانة القراطيس قال يابنى مااغفلك عندك هذه القراطيس وما كتبت الى على ثمان مراحل قال امرنى جبريل عليه السلام قال اوماتسأله قال انت ابسط منى اليه فسأله قال جبريل الله امرنى بذلك لقولك واخاف ان يأكله الذئب قال فهلاخفتنى ﴿ رب قدآتيتنى من الملك ﴾ بعض الملك وهوملك مصر ﴿ وعلمتنى من تأويل الاحاديث ﴾ الكتب اوالرؤيا ومن ايضا للتبعيض لانه لم يؤت كل التأويل ﴿ فاطر السموات والارض ﴾ مبدعهما وانتصابه على انه

الدنيا وفى الآخرة ﴾ أى القبر لما يسألهم الملكان عن ربهم ودينهم ونبيهم فيجيبون بالصواب كما فى حديث الشيخين ﴿ ويضل الله الظالمين ﴾ الكفار فلايهتدون للجواب بالصواب بل يقولون لاندرى كما فى الحديث ﴿ ويفعل الله مايشاء ألم تر ﴾ تنظر ﴿ الى الذين بدلوا نعمت الله ﴾ أى شكرها ﴿ كفرا ﴾ هم كفار قريش ﴿ وأحلوا ﴾ أنزلوا ﴿ قومهم ﴾ باضلالهم اياهم ﴿ دارالبوار ﴾ الهلاك ﴿ جهنم ﴾ عطف بيان ﴿ يصلونها ﴾ يدخلونها ﴿ وبئس القرار ﴾ المقرهى ﴿ وجعلوا لله أندادا ﴾ شركاء ﴿ ليضلوا ﴾ بفتح الياء وضمها ﴿ عن سبيله ﴾ دين الاسلام ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ تمتعوا ﴾ بدنياكم قليلا ﴿ فان مصيركم ﴾ مرجعكم ﴿ الى النار قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلوة وينفقوا ممارزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتى يوم لابيع ﴾ فداء ﴿ فيه ولاخلال ﴾ مخالة أى صداقة تنفع هو يوم القيمة ﴿ الله الذى خلق السموات والارض وأنزل

صفة المنادى اومنادى برأسه (انت ولي) ناصرى اومتولى امرى (فى الدنيا والآخرة) الذى يتولانى بالنعمة فيهما (توفنى مسلما) اقبضنى (والحقنى بالصالحين) من آبائى اوبعامة الصالحين فى الرتبة والكرامة روى ان يعقوب عليه السلام اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم توفى واوصى ان يدفن بالشام الى جنب ابيه فذهب به ودفنه ثمه وعاد وعاش بعده ثلاثا وعشرين سنة ثم تاقت نفسه الى الملك المخلد فتمنى الموت فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر فى مدفنه حتى هموا بالقتال فرأوا ان يجعلوه فى صندوق من مرمر ويدفنوه فى النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا فيه ثم نقله موسى عليه السلام الى مدفن آبائه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد له من راعيل افرائيم وميشا وهوجد يوشع بن نون ورحمة امرأة ايوب عليه السلام (ذلك) اشارة الى ماذكر من نبأ يوسف عليه السلام والخطاب فيه للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مبتدأ (من انباء الغيب نوحيه اليك) خبران له (وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون) كالدليل عليهما والمعنى ان هذا النبأ غيب لم تعرفه الا بالوحى لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ماهموا به من ان يجعلوه فى غيابة الجب وهم يمكرون به وبابيه ليرسله معهم ومن المعلوم الذى لايخفى على مكذبيك انك مالقيت احدا سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف هذا الشق استغناء بذكره فى غير هذه القصة كقوله ماكنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا (وما اكثر الناس ولو حرصت) على ايمانهم وبالغت فى اظهار الآيات عليهم (بمؤمنين) لعنادهم وتصميمهم على الكفر (وما تسألهم عليه) على الانباء او القرآن (من اجر) جعل كما يفعله حملة الاخبار (ان هو الا ذكر) عظة من الله تعالى (للعالمين) عامة (وكأين من آية) وكم من آية والمعنى وكأى عدد شئت من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده (فى السموات والارض يمرون عليها) على الآيات ويشاهدونها (وهم عنها معرضون) لايتفكرون فيها ولايعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدأ وخبره يمرون فيكون لها الضمير فى عليها وبالنصب على ويطأون الارض وقرئ والارض يمشون عليها اى يترددون فيها فيرون آثار الامم الهالكة (ومايؤمن اكثرهم بالله) فى اقرارهم بوجوده

من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك) السفن (لتجرى فى البحر) بالركوب والحمل (بامره) باذنه (وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) جاريين فى فلكهما لايفتران (وسخر لكم الليل) لتسكنوا فيه (والنهار) لتبتغوا فيه من فضله (وآتاكم من كل ماسألتموه) على حسب مصالحكم (وان تعدوا نعمت الله) بمعنى انعامه (لاتحصوها) لاتطيقوا عدها (ان الانسان) الكافر (لظلوم كفار) كثير الظلم لنفسه بالمعصية والكفر لنعمة ربه (و) اذكر (اذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد) مكة (آمنا) ذا أمن وقد أجاب الله دعاءه فجعله حرما لايسفك فيه دم انسان ولايظلم فيه أحد ولايصاد صيده ولا يختلى خلاه (واجنبنى) بعدنى (وبنى) عن (أن نعبد الاصنام رب انهن) أى الاصنام (أضللن كثيرا من الناس) بعبادتهم لها (فمن تبعنى) على التوحيد

وخالقيته ﴿ الا وهم مشركون ﴾ بعبادة غيره او باتخاذ الاحبار اربابا او نسبة التبنى اليه اوالقول بالنور والظلمة اوبالنظر الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الآية فى مشركى مكة وقيل فى المنافقين وقيل فى اهل الكتاب ﴿ افامنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله ﴾ عقوبة تغشاهم وتشملهم ﴿ اوتأتيهم الساعة بغتة ﴾ فجأة من غير سابقة علامة ﴿ وهم لايشعرون ﴾ باتيانها غير مستعدين لها ﴿ قل هذه سبيلى ﴾ يعنى الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل بقوله ﴿ ادعو الى الله ﴾ وقيل هو حال من الياء ﴿ على بصيرة ﴾ بيان وحجة واضحة غير عمياء ﴿ انا ﴾ تأكيد للمستتر فى ادعو وفى على بصيرة لأنه حال منه اومبتدأ خبره على بصيرة ﴿ ومن اتبعنى ﴾ عطف عليه ﴿ وسبحان الله وما انا من المشركين ﴾ وانزهه تنزيها من الشركاء ﴿ وما ارسلنا من قبلك الا رجالا ﴾ رد لقولهم لوشاء ربنا لانزل ملائكة وقيل معناه نفى استنباء النساء ﴿ يوحى اليهم ﴾ كما اوحى اليك ويميزوا بذلك عن غيرهم وقرأ حفص نوحى فى كل القرآن ووافقه حمزة والكسائى فى سورة الانبياء ﴿ من اهل القرى ﴾ لان اهلها اعلم واحلم من اهل البدو ﴿ افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ﴾ من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك او من المشعوفين بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها ﴿ ولدار الآخرة ﴾ ولدار الحال او الساعة او الحيوة الآخرة ﴿ خير للذين اتقوا ﴾ الشرك والمعاصى ﴿ افلا يعقلون ﴾ يستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلى اى قل لهم افلا تعقلون ﴿ حتى اذا استيأس الرسل ﴾ غاية محذوف دل عليه الكلام اى لايغررهم تمادى ايامهم فان من قبلهم امهلوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم فى الدنيا اوعن ايمانهم لانهماكهم فى الكفر مترفهين متمادين فيه من غير وازع ﴿ وظنوا انهم قد كذبوا ﴾ اى كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم اى وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول للمرسل اليهم والثانى للرسل اى وظنوا ان الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما وعدلهم من النصر وخلط الامر عليهم وما روى عن ابن عباس ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ماوعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد

(بالظن)

(فانه منى) من اهل دينى (ومن عصانى فانك غفور رحيم) هذا قبل علمه أنه تعالى لايغفر الشرك (ربنا انى أسكنت من ذريتى) أى بعضها وهو اسمعيل مع امه هاجر (بوادغير ذى زرع) هو مكة (عند بيتك المحرم) الذى كان قبل الطوفان (ربنا ليقيموا الصلوة فاجعل أفئدة) قلوبا (من الناس تهوى) تميل وتحن (اليهم) قال ابن عباس لوقال أفئدة الناس لحنت اليه فارس والروم والناس كلهم (وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) وقد فعل بنقل الطائف اليه (ربنا انك تعلم مانخفى) نسره (وما نعلن ومايخفى على الله من) زائدة (شئ فى الارض ولافى السماء) يحتمل أن يكون من كلامه تعالى أوكلام ابراهيم (الحمد لله الذى وهب لى) أعطانى (على) مع (الكبر اسمعيل) ولدوله تسع وتسعون سنة (واسحق) ولدوله مائة واثنتا عشرة سنة (ان ربى لسميع الدعاء رب اجعلنى مقيم الصلوة و) اجعل (من ذريتى) من يقيمها وأتى بمن لاعلام الله

بالظن مايهجس فى القلب على طريق الوسوسة هذا اوان المراد به المبالغة فى التراخى والامهال على سبيل التمثيل وقرأ غير الكوفيين بالتشديد اى وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما اوعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل اى وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا (جاءهم نصرنا فنجى من نشاء) النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يستأهلون ان نشاء نجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضى المبنى للمفعول وقرئ فنجى (ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) اذا نزل بهم وفيه بيان المشيئين (لقد كان فى قصصهم) فى قصص الانبياء واممهم او فى قصة يوسف واخوته (عبرة لاولى الالباب) لذوى العقول المبراة من شوائب الالف والركون الى الحس (ماكان حديثا يفترى) ماكان القرآن حديثا مفترى (ولكن تصديق الذى بين يديه) من الكتب الالهية (وتفصيل كل شئ) يحتاج اليه فى الدين اذ ما من امر دينى الا وله سند من القرآن بوسط او بغير وسط (وهدى) من الضلال (ورحمة) ينال بها خير الدارين (لقوم يؤمنون) يصدقون وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم علموا ارقاءكم واقرباءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه الله القوة على ان لا يحسد مسلما

﴿ سورة الرعد مدنية وقيل مكية الا قوله ويقول الذين كفروا الآية ﴾
﴿ وهى خمس واربعون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(المر) قيل معناه انا الله اعلم وارى (تلك آيات الكتاب) يعنى بالكتاب السورة وتلك اشارة الى آياتها اى تلك الآيات آيات السورة الكاملة او القرآن (والذى انزل اليك من ربك) هو القرآن كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص او احدى الصفتين على الاخرى او الرفع بالابتداء وخبره (الحق) والجملة كالحجة على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو اعم من المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه (ولكن اكثر الناس لا يؤمنون) لاخلالهم بالنظر والتأمل فيه (الله الذى رفع السموات) مبتدأ

تعالى له أن منهم كفارا (ربنا وتقبل دعاء) المذكور (ربنا اغفرلى ولوالدى) هذا قبل أن يتبين له عداوتهما لله عز وجل وقيل أسلمت أمه وقرئ والدى مفردا وولدى (وللمؤمنين يوم يقوم) يثبت (الحساب) قال تعالى (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) الكافرون من اهل مكة (انما يؤخرهم) بلا عذاب (ليوم تشخص فيه الابصار) لهول ماترى يقال شخص بصر فلان أى فتحه فلم يغمضه (مهطعين) مسرعين حال (مقنعى) رافعى (رؤسهم) الى السماء (لا يرتد اليهم طرفهم) بصرهم (وأفئدتهم) قلوبهم (هواء) خالية من العقل لفزعهم (وأنذر) خوف يا محمد (الناس) الكفار (يوم يأتيهم العذاب) هو يوم القيمة (فيقول الذين ظلموا) كفروا (ربنا اخرنا) بأن تردنا الى الدنيا (الى اجل قريب نجب دعوتك) بالتوحيد (ونتبع الرسل) فيقال لهم توبيخا (أولم تكونوا أقسمتم) حلفتم (من قبل) فى الدنيا

وخبر ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر (بغير عمد) اساطين جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وادم وقرئ عمد كرسل (ترونها) صفة لعمد اواستئناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على سائر الاجسام المساوية لها فى حقيقة الجرمية واختصاصها بمايقتضى ذلك لابدوان يكون بمخصص ليس بجسم ولاجسمانى يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج سائر ماذكر من الآيات (ثم استوى على العرش) بالحفظ والتدبير (وسخر الشمس والقمر) ذللهما لما اراد منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة تنفع فى حدوث الكائنات وبقائها (كل يجرى لاجل مسمى) لمدة معينة يتم فيها ادواره اولغاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهى اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت (يدبر الامر) امر ملكوته من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وغير ذلك (يفصل الآيات) ينزلها ويبينها مفصلة اويحدث الدلائل واحدا بعد واحد (لعلكم بلقاء ربكم توقنون) لكى تتفكروا فيها وتحققوا كمال قدرته فتعلموا ان من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء (وهو الذى مد الارض) بسطها طولا وعرضا ليثبت عليها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان (وجعل فيها رواسى) جبالا ثوابت من رسى الشئ اذاثبت جمع راسية والتاء للتأنيث على انها صفة اجبل اوللمبالغة (وانهارا) ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال اسباب لتولدها (ومن كل الثمرات) متعلق بقوله (جعل فيها زوجين اثنين) اى وجعل فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض والصغير والكبير (يغشى الليل النهار) يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعدما كان مضيئا وقرأ حمزة والكسائى وابوبكر يغشى بالتشديد (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فيها فان تكونها وتخصصها بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم دبر امرها وهيأ اسبابها (وفى الارض قطع متجاورات) بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها يصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون وجه لم تكن كذلك لاشتراك تلك القطع فى الطبيعة الارضية ومايلزمها ويعرض لها بتوسط مايعرض من الاسباب السماوية

(مالكم من) زائدة (زوال) عنها الى الآخرة (وسكنتم فيها) (فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم) بالكفر من الامم السابقة (وتبين لكم كيف فعلنا بهم) من العقوبة فسلم تنزجروا (وضربنا) بينا (لكم الامثال) فى القرآن فلم تعتبروا (وقدمكروا) بالنبى صلى الله عليه وسلم (مكرهم) حيث أرادوا قتله أوتقييده أواخراجه (وعندالله مكرهم) أى علمه أوجزاؤه (وان) ما (كان مكرهم) وان عظم (لتزول منه الجبال) المعنى لايعبأ به ولايضر الا أنفسهم والمراد بالجبال هنا قيل حقيقتها وقيل شرائع الاسلام المشبهة بها فى القرار والثبات وفى قراءة بفتح لام لتزول ورفع الفعل فان مخففة والمراد تعظيم مكرهم وقيل المراد بالمكر كفرهم ويناسبه على الثانية تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا وعلى الاول ماقرئ وماكان (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) بالنصر (ان الله عزيز) غالب لايعجزه شئ

من حيث انها متضامة متشاركة فى النسب والاوضاع (وجنات من اعناب وزرع ونخيل) وبساتين فيها انواع الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر فى اصله وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل بالرفع عطفا على وجنات (صنوان) نخلات اصلها واحد (وغير صنوان) ومتفرقات مختلفة الاصول وقرأ حفص بالضم وهو لغة بنى تميم كقنوان فى جمع قنو (تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل) فى الثمر شكلا وقدرا ورائحة وطعما وذلك ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافهما مع اتحاد الاصول والاسباب لا يكون الا بتخصيص قادر مختار وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالتذكير على تأويل ماذكر وحمزة والكسائى يفضل بالياء ليطابق قوله يدبر الامر (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) يستعملون عقولهم بالتفكر (وان تعجب) يا محمد من انكارهم البعث (فعجب قولهم) حقيق بان تتعجب منه فان من قدر على انشاء ماقص عليك كانت الاعادة ايسر شئ عليه والآيات المعدودة كما هى دالة على وجود المبدأ فهى دالة على امكان الاعادة من حيث انها تدل على كمال علمه وقدرته وقبول المواد لانواع تصرفاته (ائذا كنا ترابا ائنا لفى خلق جديد) بدل من قولهم او مفعول له والعامل فى اذا محذوف دل عليه ائنا لفى خلق جديد (اولئك الذين كفروا بربهم) لانهم كفروا بقدرته على البعث (واولئك الاغلال فى اعناقهم) مقيدون بالضلالة لا يرجى خلاصهم او يغلون يوم القيمة (واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) لا ينفكون عنها وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار (ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة) بالعقوبة قبل العافية وذلك انهم استعجلوا بما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء (وقد خلت من قبلهم المثلات) العقوبات لامثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص وامثلت الرجل من صاحبه اذا اقتصصته منه وقرئ المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع الفاء العين والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع والمثلات بفتح الثاء على انها جمع مثلة كركبة وركبات (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) مع ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيه المغفرة والتقييد به دليل جواز العفو قبل التوبة فان التائب ليس على

(ذو انتقام) ممن عصاه اذكر (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) هو يوم القيمة فيحشر الناس على أرض بيضاء نقية كما فى حديث الصحيحين وروى مسلم حديث سئل النبى صلى الله عليه وسلم أين الناس يومئذ قال على الصراط (وبرزوا) خرجوا من القبور (لله الواحد القهار وترى) يا محمد تبصر (المجرمين) الكافرين (يومئذ مقرنين) مشدودين مع شياطينهم (فى الاصفاد) القيود أو الاغلال (سرابيلهم) قميصهم (من قطران) لانه أبلغ لاشتعال النار (وتغشى) تعلو (وجوههم النار ليجزى) متعلق ببرزوا (الله كل نفس ما كسبت) من خير وشر (ان الله سريع الحساب) يحاسب جميع الخلق فى قدر نصف نهار من ايام الدنيا لحديث بذلك (هذا) القرآن (بلاغ للناس) اى أنزل لتبليغهم (ولينذروا به وليعلموا) بما فيه من الحجج (انما هو) أى الله (اله واحد وليذكر) بادغام التاء

فى الاصــل فى الذال يتعظ (اولو الالباب) اصحاب العقول

سورة الحجر مكية تسع وتسعون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم) (الر) الله اعلم بمراده بذلك (تلك) هذه الآيات (آيات الكتاب) القرآن والاضافة بمعنى من (وقرآن مبين) مظهر للحق من الباطل عطف بزيادة صفة (ربما) بالتشديد والتخفيف (يود) يتمنى (الذين كفروا) يوم القيمة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين (لوكانوا مسلمين) ورب للتكثير فانه يكثر منهم تمنى ذلك وقيل للتقليل فان الاهوال تدهشهم فلا يفيقون حتى يتمنوا ذلك الا فى احيان قليلة (ذرهم) اترك الكفار يامحمد (يأكلوا ويتمتعوا) بدنياهم (ويلههم) يشغلهم (الامل) بطول العمر وغيره عن الايمان (فسوف يعلمون) عاقبة امرهم وهذا قبل الامر بالقتال (وما اهلكنا من) زائدة (قرية) اريد اهلها (الا ولها كتاب) اجل (معلوم) محدود لا اهلاكها

ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر او اول المغفرة بالستر والامهال (وان ربك لشديد العقاب) للكفار اولمن يشاء وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد (ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه) لعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة عليه واقتراحا لنحو ما اوتى موسى وعيسى عليهما السلام (انما انت منذر) مرسل للانذار كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما تتضح به نبوتك من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك (ولكل قوم هاد) نبى مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب اوقادر على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لا يهدى الا من يشاء هدايته بما ينزل من الآيات ثم اردف ذلك بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيها على انه تعالى قادر على انزال ما اقترحوه وانما ينزل لعلمه بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وانه قادر على هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر وقرأ ابن كثير هاد ووال وواق وما عند الله باق بالتنوين فى الوصل فاذا وقف وقف بالياء فى هذا الاحرف الاربعة حيث وقعت لاغير والباقون يصلون بالتنوين ويقفون بغير ياء فقال (الله يعلم ما تحمل كل انثى) اى حملها او ما تحمله انه على اى حال هو من الاحوال الحاضرة والمترقبة (وما تغيض الارحام وما تزداد) وما تنقصه وما تزداده فى الجثة والمدة والعدد واقصى مدة الحمل اربع سنين عندنا وخمس عند مالك وسنتان عند ابى حنيفة وروى ان الضحاك ولد لسنتين وهرم ابن حيان لاربع سنين واعلى عدده لا حد له وقيل نهاية ما عرف اربعة واليه ذهب ابو حنيفة رضى الله عنه وقال الشافعى رحمه الله اخبرنى شيخ باليمن ان امرأته ولدت بطونا فى كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال تعالى وازدادوا تسعا فان جعلتهما لازمين تعين ان يكون مصدرية واسنادهما الى الارحام على المجاز فانهما لله تعالى اولما فيها (وكل شئ عنده بمقدار) بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر فانه تعالى خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيأ له اسبابا مسوقة اليه تقتضى ذلك (عالم الغيب) الغائب عن الحس (والشهادة) الحاضر له (الكبير) العظيم الشأن الذى لا يخرج عن علمه شئ (المتعال)

المستعلى على كل شئ بقدرته اوالذى كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه (سواء منكم من اسر القول) فى نفسه (ومن جهر به) لغيره (ومن هو مستخف بالليل) طالب للخفأ فى مختبأ بالليل (وسارب) بارز (بالنهار) يراه كل احد من سرب سروبا اذا برز وهو عطف على من اومستخف على ان من فى معنى الاثنين كقوله * نكن مثل من ياذئب يصطحبان * كانه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والآية متصلة بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله (له) لمن اسر اوجهر اواستخفى اوسرب (معقبات) ملائكة تعتقب فى حفظه جمع معقبة مبالغة من عقب مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كأن بعضهم يعقب بعضا اولانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونها اواعتقب فادغمت التاء فى القاف والتاء للمبالغة اولان المراد بالمعقبات جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب اومعقبة على تعويض الياء من حذف احدى القافين (من بين يديه ومن خلفه) من جوانبه اومن الاعمال ماقدم واخر (يحفظونه من امر الله) من بأسه متى اذنب بالاستمهال اوالاستغفار له او يحفظونه من المضار اويراقبون احواله من اجل امر الله وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه فى توهمه من قضاء الله (ان الله لايغير مابقوم) من العافية والنعمة (حتى يغيروا مابانفسهم) من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة (واذا اراد الله بقوم سوء فلامرد له) فلارد له والعامل فى اذا مادل عليه الجواب (ومالهم من دونه من وال) ممن يلى امرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على ان خلاف مراد الله تعالى محال (هوالذى يريكم البرق خوفا) من اذاه (وطمعا) فى الغيث وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف اى ارادة خوف وطمع اوالتأويل بالاخافة والاطماع اوالحال من البرق اوالمخاطبين على اضمار ذوى اواطلاق المصدر بمعنى المفعول اوالفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه (وينشئ السحاب) الغيم المنسحب فى الهواء (الثقال) وهو جمع ثقيلة وانما وصف به السحاب لانه اسم جنس فى معنى الجمع (ويسبح الرعد) ويسبح سامعوه (بحمده) ملتبسين به فيصيحون بسبحان الله والحمد لله اويدل الرعد بنفسه على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته

(ماتسبق من) زائدة (امة اجلها وما يستأخرون) يتأخرون عنه (وقالوا) اى كفار مكة للنبى صلى الله عليه وسلم (ياايها الذى نزل عليه الذكر) القرآن فى زعمه (انك لمجنون لوما) هلا (تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين) فى قولك انك نبى وان هذا القرآن من عند الله قال تعالى (ماتنزل) فيه حذف احدى التاءين (الملائكة الابالحق) بالعذاب (وما كانوا اذا) أى حين نزول الملائكة بالعذاب (منظرين) مؤخرين (انانحن) تأكيد لاسم ان اوفصل (نزلنا الذكر) القرآن (وانا له لحافظون) من التبديل والتحريف والزيادة والنقص (ولقد ارسلنا من قبلك) رسلا (فى شيع) فرق (الاولين وما) كان (يأتيهم من رسول الاكانوا به يستهزؤن) كاستهزاء قومك بك وهذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (كذلك نسلكه) اى مثل ادخالنا التكذيب فى قلوب اولئك ندخله (فى قلوب المجرمين) اى كفار مكة

(لايؤمنون به) بالنبي صلى الله عليه وسلم (وقد خلت سنة الاولين) اى سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم انبياءهم وهؤلاء مثلهم (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه) فى الباب (يعرجون) يصعدون (لقالوا انما سكرت سدت (ابصارنا بل نحن قوم مسحورون) يخيل الينا ذلك (ولقد جعلنا فى السماء بروجا) اثنى عشر الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت وهى منازل الكواكب السبعة السيارة المريخ وله الحمل والعقرب والزهرة ولها الثور والميزان وعطارد وله الجوزاء والسنبلة والقمر وله السرطان والشمس ولها الاسد والمشترى وله القوس والحوت وزحل وله الجدى والدلو (وزيناها) بالكواكب (للناظرين وحفظناها) بالشهب (من كل شيطان رجيم) مرجوم (الا) لكن (من استرق السمع) خطفه

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الرعد فقال ملك مؤكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب (والملائكة من خيفته) من خوف الله تعالى واجلاله وقيل الضمير للرعد (ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) فيهلكه (وهم يجادلون فى الله) حيث يكذبون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم والجدال التشدد فى الخصومة من الجدل وهو الفتل والواو اما لعطف الجملة على الجملة او للحال فانه روى ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اخا لبيد وفدا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قاصدين لقتله عليه السلام فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة فقتلته ورمى عامرا بغدة فمات فى بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية فنزلت (وهو شديد المحال) المماحلة والمكايدة لاعدائه من محل فلان بفلان اذا كايده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى القحط وقيل فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا فى القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد (له دعوة الحق) الدعاء الحق فانه الذى يحق ان يعبد او يدعى الى عبادته دون غيره او له الدعوة المجابة فان من دعاه اجاب ويؤيده مابعده والحق على الوجهين ماينافض الباطل واضافة الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة او على تأويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة الحق والمراد بالجملتين ان كانت الآية فى عامر واربد ان اهلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله واجابة لدعوة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم او دلالة على انه على الحق وان كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بحلول محاله بهم وتهديدهم باجابة دعاء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم او بيان ضلالهم وفساد رأيهم (والذين يدعون) اى والاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع او المشركون الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول لدلالة

(من دونه) عليه (لا يستجيبون لهم بشئ) من الطلبات (الا كباسط كفيه) الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه (الى الماء ليبلغ فاه) يطلب منه ان يبلغه (وماهو ببالغه) لانه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته والاتيان بغير ماجبل عليه وكذلك آلهتهم وقيل شبهوا فى قلة جدوى دعائهم لها بمن اراد ان يغترف الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه وقرئ تدعون بالتاء وباسط بالتنوين (وما دعاء الكافرين الا فى ضلال) فى ضياع وخسارة وباطل (ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها) يحتمل ان يكون السجود على حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا حالتى الشدة والرخاء والكفرة له كرها حالة الشدة والضرورة (وظلالهم) بالعرض وان يراد به انقيادهم لاحداث ما اراده فيهم شاؤا او كرهوا وانقياد ظلالهم لتصريفه اياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال او العلة وقوله (بالغدو والآصال) ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام اوحال من الظلال وتخصيص الوقتين لان الامتداد والتقاص اظهر فيهما والغدو جمع غداة كقنى جمع قناة والآصال جمع اصيل وهو مابين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال وهو الدخول فى الاصيل (قل من رب السموات والارض) خالقهما ومتولى امرهما (قل الله) اجب عنهم بذلك اذلا جواب لهم سواه ولانه البين الذى لا يمكن المراء فيه اولقنهم الجواب به (قل افاتخذتم من دونه) ثم الزمهم بذلك ان اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل (اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا) لا يقدرون على ان يجلبوا اليها نفعا او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون انفاع الغير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رأيهم فى اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم (قل هل يستوى الاعمى والبصير) المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع على احوالكم (ام هل تستوى الظلمات والنور) الشرك والتوحيد وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر بالياء (ام جعلوا لله شركاء) بل اجعلوا والهمزة للانكار وقوله (خلقوا كخلقه) صفة لشركاء داخلة فى حكم الانكار (فتشابه الخلق عليهم) خلق الله وخلقهم والمعنى انهم مااتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين

(فاتبعه شهاب مبين) كوكب يضئ ويحرقه أو يثقبه أو يخبله (والارض مددناها) بسطناها (والقينا فيها رواسى) جبالا ثوابت لئلا تحرك باهلها (وأنبتنا فيها من كل شئ موزون) معلوم مقدر (وجعلنا لكم فيها معايش) بالياء من الثمار والحبوب (و) جعلنا لكم (من لستم له برازقين) من العبيد والدواب والانعام فانما يرزقهم الله (وان) ما (من) زائدة (شئ الا عندنا خزائنه) مفاتيح خزائنه (وماننزله الا بقدر معلوم) على حسب المصالح (وارسلنا الرياح لواقح) تلقح السحاب فيمتلئ ماء (فأنزلنا من السماء) السحاب (ماء) مطرا (فأسقيناكموه وما انتم له بخازنين) أى ليست خزائنه بأيديكم (وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون) الباقون نرث جميع الخلق (ولقد علمنا المستقدمين منكم) أى من تقدم من الخلق من لدن آدم (ولقد علمنا المستأخرين) المتأخرين الى يوم القيمة (وان ربك هو يحشرهم

لايقدرون على مايقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق (قل الله خالق كل شيء) اى لاخالق غيره فيشاركه فى العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عماسواه ليدل على قوله (وهو الواحد) المتوحد بالالوهية (القهار) الغالب على كل شيء (انزل من السماء ماء) من السحاب اومن جانب السماء اومن السماء نفسها فان المبادى منها (فسالت اودية) انهار جمع واد وهوالموضع الذى يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجارى فيه وتنكيرها لان المطر يأتى على تناوب بين البقاع (بقدرها) بمقدارها الذى علم الله تعالى انه نافع غير ضار او بمقدارها فى الصغر والكبر (فاحتمل السيل زبدا) رفعه والزبد وضر الغليان (رابيا) عاليا (ومما توقدون عليه فى النار) يعم الفلزات كالذهب والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون بها اظهارا لكبريائه (ابتغاء حلية) اى طلب حلية (اومتاع) كالاوانى وآلات الحرب والحرث والمقصود من ذلك بيان منافعها (زبد مثله) اى ومما توقدون عليه زبد مثل زبد الماء وهوخبثه ومن للابتداء اوللتبعيض وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالياء على ان الضمير للناس واضماره للعلم به (كذلك يضرب الله الحق والباطل) مثل الحق والباطل فانه مثل الحق فى افادته وثباته بالماء الذى ينزل من السماء فتسيل به الاودية على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به انواع المنافع ويمكث فى الارض بان يثبت بعضه فى منابعه ويسلك بعضه فى عروق الارض الى العيون والقنى والآبار وبالفلز الذى ينتفع به فى صوغ الحلى واتخاذ الامتعة المختلفة ويدوم ذلك مدة متطاولة والباطل فى قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبين ذلك بقوله (فاما الزبد فيذهب جفاء) يجفأ به ان يرمى به السيل اوالفلز المذاب وانتصابه على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد (واما ماينفع الناس) كالماء وخلاصة الفلز (فيمكث فى الارض) ينتفع به اهلها (كذلك يضرب الله الامثال) لايضاح المشتبهات (للذين استجابوا) للمؤمنين الذين استجابوا (لربهم الحسنى) الاستجابة الحسنى (والذين لم يستجيبوا له) وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على انه جعل ضرب المثل لشأن الفريقين ضرب المثل لهما وقيل للذين استجابوا جزاء الحسنى وهى المثوبة والجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره (لو ان لهم

انه حكيم) فى صنعه (عليم) بخلقه (ولقد خلقنا الانسان) آدم (من صلصال) طين يابس يسمع له صلصلة أى صوت اذا نقر (من حمأ) طين أسود (مسنون) متغير (والجان) أبا الجن وهو ابليس (خلقناه من قبل) أى قبل خلق آدم (من نار السموم) هى نار لادخان لها تنفذ فى المسام (و) اذكر (اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته) أتممته (ونفخت) أجريت (فيه من روحى) فصار حيا واضافة الروح اليه تشريفا لآدم (فقعوا له ساجدين) سجود تحية بالانحناء (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) فيه تأكيدان (الا ابليس) هو أبو الجن كان بين الملائكة (أبى) امتنع من (أن يكون مع الساجدين قال) تعالى (ياابليس مالك) مامنعك (أن لا) زائدة (تكون مع الساجدين قال لم أكن لاسجد) لاينبغى لى أن أسجد (لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون قال فاخرج منها) أى من الجنة وقيل من السموات

مافى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به) وهو على الاول كلام مبتدأ لبيان مآل غير المستجيبين (اولئك لهم سوء الحساب) وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه لايغفر منه شئ (ومأواهم) مرجعهم (جهنم وبئس المهاد) المستقر والمخصوص بالذم محذوف (افمن يعلم ان ماانزل اليك من ربك الحق) فيستجيب (كمن هو اعمى) عمى القلب لايستبصر فتستجيب والهمزة لانكار ان يقع شبهة فى تشابههما بعد ماضرب من المثل (انما يتذكر اولوا الالباب) ذووا العقول المبرات من مشايعة الالف ومعارضة الوهم (الذين يوفون بعهد الله) بما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى اوما عهده الله تعالى عليهم فى كتبه (ولا ينقضون الميثاق) ماوثقوه من المواثيق بينهم وبين الله تعالى وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص (والذين يصلون ماامر الله به ان يوصل) من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء عليهم الصلوة والسلام ويندرج فى ذلك مراعاة جميع حقوق الناس (ويخشون ربهم) وعيده عموما (ويخافون سوء الحساب) خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا (والذين صبروا) على ماتكرهه النفس ومخالفة الهوى (ابتغاء وجه ربهم) طلبا لرضاه لافخورا وسمعة ونحوهما (واقاموا الصلوة) المفروضة (وانفقوا مما رزقناهم) بعضه الذى وجب عليهم انفاقه (سرا) لمن لم يعرف بالمال (وعلانية) لمن عرف به (ويدرأون بالحسنة السيئة) ويدفعونها بها فيجازون الاساءة بالاحسان اويتبعون الحسنة السيئة فتمحوها (اولئك لهم عقبى الدار) عاقبة الدنيا وماينبغى ان يكون مآل اهلها وهى الجنة والجملة خبر الموصولات ان رفعت بالابتداء وان جعلت صفات لاولى الالباب فاستئناف بذكر مااستوجبوا بتلك الصفات (جنات عدن) بدل من عقبى الدار اومبتدأ خبره (يدخلونها) والعدن الاقامة اى جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة (ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم) عطف على المرفوع فى يدخلون وانما ساغ للفصل بالضمير الآخر اومفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشأنهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة اوان الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة فى دخول الجنة زيادة فى انفسهم والتقييد بالصلاح

(فانك رجيم) مطرود (وان عليك اللعنة الى يوم الدين) الجزاء (قال رب فأنظرنى الى يوم يبعثون) أى الناس (قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) وقت النفخة الاولى (قال رب بما أغويتنى) أى باغوائك لى والباء للقسم وجوابه (لأزينن لهم فى الارض) المعاصى (ولأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين) أى المؤمنين (قال) تعالى (هذا صراط على مستقيم) وهو (ان عبادى) أى المؤمنين (ليس لك عليهم سلطان) قوة (الا) لكن (من اتبعك من الغاوين) الكافرين (وان جهنم لموعدهم أجمعين) أى من اتبعك معك (لها سبعة أبواب) أطباق (لكل باب) منها (منهم جزء) نصيب (مقسوم ان المتقين فى جنات) بساتين (وعيون) تجرى فيها ويقال لهم (ادخلوها بسلام) اى سالمين من كل مخوف أومع سلام أى سلموا

دلالة على ان مجرد الانساب لاتنفع (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والتحف قائلين (سلام عليكم) بشارة بدوام السلامة (بما صبرتم) متعلق بعليكم او بمحذوف اى هذا بما صبرتم لابسلام فان الخبر فاصل والباء للسببية او للبدلية (فنعم عقبى الدار) وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم فسكن العين بنقل كسرتها الى الفاء وبغيره (والذين ينقضون عهد الله) يعنى مقابلى الاولين (من بعد ميثاقه) من بعد مااوثقوه به من الاقرار والقبول (ويقطعون ماامر الله به ان يوصل ويفسدون فى الارض) بالظلم وتهييج الفتن (اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) عذاب جهنم اوسوء عاقبة الدنيا لانه فى مقابلة عقبى الدار (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يوسعه ويضيقه (وفرحوا) اى اهل مكة (بالحيوة الدنيا) بمابسط لهم فى الدنيا (وماالحيوة الدنيا فى الآخرة) اى فى جنب الآخرة (الامتاع) الامتعة لاتدوم كعجالة الراكب وزاد الراعى والمعنى انهم اشروا بمانالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة واغتروا بماهو فى جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال (ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء) باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات (ويهدى اليه من اناب) اقبل الى الحق ورجع عن العناد وهو جواب يجرى مجرى التعجب من قولهم كانه قال قل لهم مااعظم عنادكم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلاسبيل الى اهتدائهم وان انزلت كل آية ويهدى اليه من اناب بما جئت به بل بادنى منه من الآيات (الذين آمنوا) بدل من من او خبر مبتدأ محذوف (وتطمئن قلوبهم بذكر الله) انسابه واعتمادا عليه ورجاء منه او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته او بذكر دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته او بكلامه يعنى القرآن الذى هو اقوى المعجزات (الا بذكر الله تطمئن القلوب) تسكن اليه (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) مبتدأ خبره (طوبى لهم) وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا لضمة ماقبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ (وحسن مآب) بالنصب (كذلك) مثل ذلك يعنى ارسال الرسل قبلك (ارسلناك فى امة قد خلت من قبلها) تقدمتها (امم) ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليها (لتتلو عليهم الذى اوحينا اليك) لتقرأ عليهم الكتاب الذى اوحيناه اليك (وهم يكفرون بالرحمن) وحالهم انهم

(يكفرون)

وادخلوا (آمنين) من كل فزع (ونزعنا مافى صدورهم من غل) حقد (اخوانا) حال من هم (على سرر متقابلين) حال ايضا أى لاينظر بعضهم الى قفا بعض لدوران الاسرة بهم (لايمسهم فيها نصب) تعب (وماهم منها بمخرجين) أبدا (نبئ) خبر يامحمد (عبادى أنى انا الغفور) للمؤمنين (الرحيم) بهم (وأن عذابى) للعصاة (هو العذاب الاليم) المؤلم (ونبئهم عن ضيف ابراهيم) وهم ملائكة اثنا عشر أو عشرة أو ثلاثة منهم جبريل (اذدخلوا عليه فقالوا سلاما) أى هذا اللفظ (قال) ابراهيم لما عرض عليهم الاكل فلم يأكلوا (انا منكم وجلون) خائفون (قالوا لاتوجل) تخف (انا) رسل ربك (نبشرك بغلام عليم) ذى علم كثير هو اسحق كما ذكر فى هود (قال أبشرتمونى) بالولد (على ان مسنى الكبر) حال اى مع مسه اياى (فبم) فبأى شئ (تبشرون) استفهام

يكفرون بالبليغ الرحمة الذى احاطت بهم نعمته ووسعت كل شئ رحمته فلم يشكروا نعمه وخصوصا ماانعم عليهم بارسالك اليهم وانزال القرآن الذى هو مناط المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل نزلت فى مشركى اهل مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وماالرحمن (قل هو ربى) اى الرحمن خالقى ومتولى امرى (لااله الا هو) لامستحق للعبادة سواه (عليه توكلت) فى نصرتى عليكم (واليه متاب) مرجعى ومرجعكم (ولو ان قرآنا سيرت به الجبال) شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شأن القرآن او المبالغة فى عناد الكفرة وتصميمهم اى ولو ان كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها (او قطعت به الارض) تصدعت من خشية الله عند قراءته او شققت فجعلت انهارا وعيونا (اوكلم به الموتى) فتقرأه او فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القرآن لانه الغاية فى الاعجاز والنهاية فى التذكير والانذار او لما آمنوا به لقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملئكة الآية وقيل ان قريشا قالوا يامحمد ان سرك ان نتبعك فسير بقراءتك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطائع او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام او ابعث به قصى بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الارض قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن ومابينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقى (بل لله الامر جميعا) بل لله القدرة على كل شئ وهو اضراب عما تضمنته لو من معنى النفى اى بل الله قادر على الاتيان بمااقترحوه من الآيات الا ان ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بانه لاتلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله (افلم ييأس الذين آمنوا) عن ايمانهم مع مارأوا من احوالهم وذهب اكثرهم الى ان معناه افلم يعلم لما روى ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين قرأوا افلم يتبين وهو تفسيره وانما استعمل اليأس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم فان المأيوس منه لايكون الا معلوما ولذلك علقه بقوله (ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) فان معناه نفى هدى بعض الناس لعدم تعلق المشيئة باهتدائهم وهو على الاول متعلق بمحذوف تقديره افلم ييأس الذين آمنوا من ايمانهم علما منهم ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا او بآمنوا (ولايزال الذين كفروا تصيبهم بماصنعوا) من الكفر وسوء الاعمال (قارعة) داهية تقرعهم وتقلعهم (او تحل قريبا من دارهم) فيفزعون منها ويتطاير

تعجب (قالوا بشرناك بالحق) بالصدق (فلاتكن من القانطين) الآيسين (قال ومن) اى لا (يقنط) بكسر النون وفتحها (من رحمة ربه الا الضالون) الكافرون (قال فما خطبكم) شأنكم (أيها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين) كافرين أى قوم لوط لاهلاكهم (الا آل لوط انا لمنجوهم أجمعين) لايمانهم (الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين) الباقين فى العذاب لكفرها (فلما جاء آل لوط) أى لوطا (المرسلون قال لهم (انكم قوم منكرون) لاأعرفكم (قالوا بل جئناك بما كانوا) أى قومك (فيه يمترون) يشكون وهو العذاب (وأتيناك بالحق وانا لصادقون) فى قولنا (فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم) امش خلفهم (ولايلتفت منكم أحد) لئلا يرى عظيمماينزل بهم (وامضوا حيث تؤمرون) وهو الشام (وقضينا) أوحينا (اليه ذلك الامر) وهو (أن دابر

هؤلاء مقطوع مصبحين) حال أى يتم استئصالهم فى الصباح (وجاء أهل المدينة) مدينة سذوم وهم قوم لوط لما أخبروا أن فى بيت لوط مردا حسانا وهم الملائكة (يستبشرون) حال طمعا فى فعل الفاحشة بهم (قال) لوط (ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون واتقوا الله ولاتخزون) بقصدكم اياهم بفعل الفاحشة بهم (قالوا أو لم ننهك عن العالمين) عن اضافتهم (قال هؤلاء بناتى ان كنتم فاعلين) ماتريدون من قضاء الشهوة فتزوجوهن قال تعالى (لعمرك) خطاب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم أى وحيوتك (انهم لفى سكرتهم يعمهون) يترددون (فاخذتهم الصيحة) صيحة جبريل (مشرقين) وقت شروق الشمس (فجعلنا عاليها) أى قراهم (سافلها) بان رفعها جبريل الى الارض وأسقطها مقلوبة الى الارض (وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل) طين طبخ بالنار (ان فى ذلك) المذكور (لآيات) دلالات على

اليهم شررها وقيل الآية فى كفار مكة فانهم لايزالون مصابين بما صنعوا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانه عليه الصلوة والسلام كان لايزال يبعث السرايا عليهم فتغير حواليهم وتخطف مواشيهم وعلى هذا يجوز ان يكون تحل خطابا للرسول عليه الصلوة والسلام فانه حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية (حتى يأتى وعد الله) الموت او القيمة اوفتح مكة (ان الله لايخلف الميعاد) لامتناع الكذب فى كلامه (ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا) تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ووعيد للمستهزئين به والمقترحين عليه والاملاء ان يترك ملاوة من الزمان فى دعة وأمن (ثم اخذتهم فكيف كان عقاب) اى عقابى اياهم (افمن هو قائم على كل نفس) رقيب عليها (بما كسبت) من خير اوشر لايخفى عليه شئ من اعمالهم ولايفوت عنده شئ من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك (وجعلوا لله شركاء) استئناف او عطف على كسبت ان جعلت مامصدرية ويجوز ان يقدر مايقع خبرا للمبتدأ ويعطف عليه وجعلوا اى افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له شركاء ويكون الظاهر فيه موضع الضمير للتنبيه على انه المستحق للعبادة وقوله (قل سموهم) تنبيه على ان هؤلاء الشركاء لايستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم مايستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة (ام تنبئونه) بل اتنبئونه وقرئ تنبئونه بالتخفيف (بمالا يعلم فى الارض) بشركاء يستحقون العبادة لايعلمهم الله او بصفات لهم يستحقونها لاجلها لايعلمها وهو العالم بكل شئ (ام بظاهر من القول) ام تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجى كافورا وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب ينادى على نفسه بالاعجاز (بل زين للذين كفروا مكرهم) تمويههم فتخيلوا اباطيل ثم خالوها او كيدهم للاسلام بشركهم (وصدوا عن السبيل) سبيل الحق وقرأ ابن كثير ونافع وابوعمرو وابن عامر وصدوا بالفتح اى وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر وصد بالتنوين (ومن يضلل الله) يخذله (فماله من هاد) يوفقه للهدى (لهم عذاب فى الحيوة الدنيا) بالقتل والاسر وسائر مايصيبهم من المصائب (ولعذاب الآخرة اشق) لشدته ودوامه (ومالهم من الله) من عذابه او رحمته (من واق) حافظ (مثل الجنة التى وعد المتقون)

صفتها التى هى مثل فى الغرابة وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه اى فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره (تجرى من تحتها الانهار) على طريقة قولك صفة زيد اسمر اوعلى حذف موصوف اى مثل الجنة جنة تجرى من تحتها الانهار اوعلى زياده المثل وهو على قول سيبويه حال من العائد المحذوف من الصلة (اكلها دائم) لايقطع ثمرها (وظلها) اى وظلها كذلك لاينسخ كاينسخ فى الدنيا بالشمس (تلك) اى الجنة الموصوفة (عقبى الذين اتقوا) مآلهم ومنتهى امرهم (وعقبى الكافرين النار) لاغير وفى ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكافرين (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك) يعنى المسلمين من اهل الكتاب كابن سلام واصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة اوعامتهم فانهم كانوا يفرحون بمايوافق كتبهم (ومن الاحزاب) يعنى كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالعداوة ككعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب واشياعهما (من ينكر بعضه) وهو مايخالف شرائعهم اومايوافق ماحرفوه منها (قل انما امرت ان اعبدالله ولااشرك به) جواب للمنكرين اى قل لهم انى امرت فيما انزل الى بان اعبدالله واوحده وهوالعمدة فى الدين ولاسبيل لكم الى انكاره واما ماتنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة الشرائع والكتب الالهية فى جزئيات الاحكام وقرئ ولااشرك بالرفع على الاستئناف (اليه ادعو) لاالى غيره (واليه مآب) واليه مرجعى للجزاء لاالى غيره وهذا هوالقدر المتفق عليه بين الانبياء فاما ماعدا ذلك من التفاريع فمما يختلف بالاعصار والامم فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه (وكذلك) ومثل هذا الانزال المشتمل على اصول الديانات المجمع عليها (انزلناه حكما) يحكم فى القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة (عربيا) مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال (ولئن اتبعت اهواءهم) التى يدعونك اليها كتقرير دينهم والصلوة الى قبلتهم بعدما حولت عنها (بعدما جاءك من العلم) بنسخ ذلك (مالك من الله من ولى ولاواق) ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات فى دينهم (ولقد ارسلنا رسلا

وحدانية الله (للمتوسمين) للناظرين المعتبرين (وانها) أى قرى قوم لوط (لبسبيل مقيم) طريق قريش الى الشام لم تندرس أفلاتعتبرون بهم (ان فى ذلك لآية) لعبرة (للمؤمنين وان) مخففة أى انه (كان أصحاب الايكة) هى غيضة شجر بقرب مدين وهم قوم شعيب (لظالمين) بتكذيبهم شعيبا (فانتقمنا منهم) بان أهلكناهم بشدة الحر (وانهما) أى قرى قوم لوط والايكة (لبامام) طريق (مبين) واضح أفلاتعتبرون بهم يااهل مكة (ولقد كذب اصحاب الحجر) وادبين المدينة والشام وهم ثمود (المرسلين) بتكذيبهم صالحا لانه تكذيب لباقى الرسل لاشتراكهم فى المجئ بالتوحيد (وآتيناهم آياتنا) فى الناقة (فكانوا عنها معرضين) لايتفكرون فيها (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين فاخذتهم الصيحة مصبحين) وقت الصباح (فما أغنى) دفع (عنهم) العذاب (ماكانوا يكسبون) من بناء الحصون وجمع الاموال (وماخلقنا

السموات والارض ومابينهما
الا بالحق وان الساعة لآتية)
لامحالة فيجازى كل أحد
بعمله (فاصفح) يامحمد عن قومك
(الصفح الجميل) أعرض
عنهم إعراضا لاجزع فيه
وهذا منسوخ بآية السيف
(ان ربك هو الخلاق) لكل
شئ (العليم) بكل شئ (ولقد
آتيناك سبعا من المثانى) قال
صلى الله عليه وسلم
هى الفاتحة رواه الشيخان لانها
تثنى فى كل ركعة (والقرآن
العظيم لاتمدن عينيك الى
مامتعنا به ازواجا) أصنافا
(منهم ولاتحزن عليهم)
ان لم يؤمنوا (واخفض
جناحك) ألن جانبك
(للمؤمنين وقل انى أنا
النذير) من عذاب الله أن
ينزل عليكم (المبين) البين
الانذار (كما انزلنا) العذاب
(على المقتسمين) اليهود
والنصارى (الذين جعلوا
القرآن) أى كتبهم المنزلة
عليهم (عضين) أجزاء
حيث آمنوا ببعض وكفروا
ببعض وقيل المراد بهم الذين
اقتسموا طرق مكة يصدون
الناس عن الاسلام وقال
بعضهم فى القرآن سحر

من قبلك) بشرا مثلك (وجعلنا لهم ازواجا وذرية) نساء واولادا كما هى
لك (وماكان لرسول) وماصح له ولم يكن فى وسعه (ان يأتى بآية) تقترح
عليه وحكم يلتمس منه (الا باذن الله) فانه الملى بذلك (لكل اجل كتاب)
لكل وقت وامد حكم يكتب على العباد على مايقتضيه استصلاحهم
(يمحو الله مايشاء) ينسخ مايستصوب نسخه (ويثبت) ماتقتضيه حكمته
وقيل يمحو سيئات التائب ويثبت الحسنات مكانها وقيل يمحو من كتاب
الحفظة مالايتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا اويثبت مارآه وحده فى صميم
قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت آخرين وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات
وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى ويثبت بالتشديد (وعنده ام الكتاب)
اصل الكتب وهو اللوح المحفوظ اذ ما من كائن الا وهو مكتوب فيه
(واما نرينك بعض الذى نعدهم اونتوفينك) كيف مادارت الحال
اريناك بعض ما اوعدناهم اوتوفيناك قبله (فانما عليك البلاغ) لاغير
(وعلينا الحساب) المجازاة لاعليك فلا تحتفل باعراضهم ولاتستعجل
بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلائعه (اولم يروا انا نأتى الارض) ارض
الكفرة (ننقصها من اطرافها) بما نفتحه على المسلمين منها (والله يحكم
لامعقب لحكمه) لاراد له وحقيقته الذى يعقب الشئ بالابطال ومنه
قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم
للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كائن لايمكن تغييره ومحل
لامع المنفى النصب على الحال اى يحكم نافذا حكمه (وهو سريع
الحساب) فيحاسبهم عما قليل فى الآخرة بعد ماعذبهم بالقتل والاجلاء
فى الدنيا (وقد مكر الذين من قبلهم) بانبيائهم والمؤمنين منهم (فلله المكر
جميعا) اذلايؤبه بمكر دون مكر فانه القادر على ماهو المقصود منه دون
غيره (يعلم ماتكسب كل نفس) فيعد جزاءها (وسيعلم الكفار لمن عقبى
الدار) من الحزبين حينما يأتيهم العذاب المعد لهم وهم فى غفلة منه وهذا
كالتفسير لمكر الله تعالى بهم واللام تدل على ان المراد بالعقبى العاقبة
المحمودة مع مافى الاضافة الى الدار كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو
الكافر على ارادة الجنس وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفر
اى اهله وسيعلم من اعلمه اذا اخبره (ويقول الذين كفروا لست مرسلا)
قيل المراد بهم رؤساء اليهود (قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم) فانه اظهر

من الادلة على رسالتى مايغنى عن شاهد يشهد عليها (ومن عنده علم الكتاب) علم القرآن وماالف عليه من النظم المعجز اوعلم التورية وهو ابن سلام واضرابه اوعلم اللوح المحفوظ وهوالله تعالى اى وكفى بالذى يستحق العبادة وبالذى لايعلم مافى اللوح الاهو شهيدا بيننا فيخزى الكاذب مناويؤيده قراءة من قرأ من عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف فانه معتمد على الموصول ويجوز ان يكون مبتدأ والظرف خبره وهو متعين للثانية وقرئ ومن عنده علم الكتاب على الحرف والبناء للمفعول * عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطى من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وبعث يوم القيمة من الموفين بعهدالله تعالى

سورة ابراهيم عليه السلام مكية وهى احدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(الر كتاب) اى هو كتاب (انزلناه اليك لتخرج الناس) بدعائك اياهم الى ماتضمنه (من الظلمات) من انواع الضلال (الى النور) الى الهدى (باذن ربهم) بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذى هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج اوحال من فاعله اومفعوله (الى صراط العزيز الحميد) بدل من قوله الى النور بتكرير العامل اواستئناف على انه جواب لمن يسأل عنه واضافة الصراط الى الله تعالى اما لانه مقصده او المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه لايذل سالكه ولايخيب سائله (الله الذى له مافى السموات ومافى الارض) على قراءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبر اوالله خبر مبتدأ محذوف والذى صفته وعلى قراءة الباقين عطف بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق (وويل للكافرين من عذاب شديد) وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل نقيض الوأل وهو النجاة واصله النصب لانه مصدر الاانه لم يشتق منه فعل لكنه رفع لافادة الثبات (الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة) يختارونها عليها فان المختار للشئ يطلب من نفسه ان يكون احب اليها من غيره (ويصدون عن سبيل الله) بتعويق الناس عن الايمان وقرئ ويصدون من اصده وهو منقول من صد صدودا اذا تنكب وليس فصيحا لان فى صده مندوحة عن تكلف التعدية بالهمزة (ويبغونها عوجا) ويبغون لها زيغا او نكوبا

وبعضهم كهانة وبعضهم شعر (فوربك لنسألنهم أجمعين) سؤال توبيخ (عما كانوا يعملون فاصدع) يامحمد (بما تؤمر) به أى اجهر به وأمضه (وأعرض عن المشركين) هذا قبل الامر بالجهاد (انا كفيناك المستهزئين) بك باهلاكنا كلامنهم بآفة وهم الوليد بن المغيرة والعاصى بن وائل وعدى بن قيس والاسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث (الذين يجعلون مع الله الها آخر) صفة وقيل مبتدأ ولتضمنه معنى الشرط دخلت الفاء فى خبره وهو (فسوف يعلمون) عاقبة أمرهم (ولقد) للتحقيق (نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون) من الاستهزاء والتكذيب (فسبح) ملتبسا (بحمد ربك) أى قل سبحان الله وبحمده (وكن من الساجدين) المصلين (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) الموت

سورة النحل مكية الاوان عاقبتم الى آخرها مائة وثمان وعشرون آية

عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع عليه او على انه مبتدأ خبره (اولئك فى ضلال بعيد) اى ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد فى الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة او للامر الذى به الضلال فوصف به للملابسة (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه) الا بلغة قومه الذى هو منهم وبعث فيهم (ليبين لهم) ما امروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فانهم اولى الناس اليه بان يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك امر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بانذار عشيرته اولا ولو نزل على من بعث الى امم مختلفة كتب على السنتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز ولكن ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد فى تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المنشعبة منها وما فى اتعاب القرائح وكد النفس من القرب المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير فى قومه لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وان الله تعالى انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل عليه السلام اوكل نبى بلغة المنزل عليهم وذلك يرده قوله ليبين لهم فانه ضمير القوم والتورية والانجيل ونحوها لم ينزل ليبين للعرب (فيضل الله من يشاء) فيخذله عن الايمان (ويهدى من يشاء) بالتوفيق له (وهو العزيز) فلا يغلب على مشيئته (الحكيم) فلا يهدى ولا يضل الا لحكمة (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا) يعنى اليد والعصا وسائر معجزاته (ان اخرج قومك من الظلمات الى النور) بمعنى اى اخرج لان (٢) فى الارسال معنى القول اوبان اخرج فان صيغ الافعال سواء فى الدلالة على المصدر فتصح ان يوصل بها ان الناصبة (وذكرهم بايام الله) بوقائعه التى وقعت على الامم الدارجة وايام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه (ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) يصبر على بلائه ويشكر لنعمائه فانه اذا سمع بما نزل على من قبله من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنهم بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن (واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون) اى اذكروا نعمته وقت انجائه اياكم ويجوز

(بسم الله الرحمن الرحيم) لما استبطأ المشركون العذاب نزل (أتى أمر الله) أى الساعة وأتى بصيغة الماضى لتحقق وقوعه أى قرب (فلا تستعجلوه) تطلبوه قبل حينه فانه واقع لا محالة (سبحانه) تنزيها له (وتعالى عما يشركون) به غيره (ينزل الملائكة) أى جبريل (بالروح) بالوحى (من أمره) بارادته (على من يشاء من عباده) وهم الانبياء (أن) مفسرة (أنذروا) خوفوا الكافرين بالعذاب وأعلموهم (أنه لا اله الا أنا فاتقون) خافون (خلق السموات والارض بالحق) أى محقا (تعالى عما يشركون) به من الاصنام (خلق الانسان من نطفة) منى الى أن صيره قويا شديدا (فاذا هو خصيم) شديد الخصومة (مبين) بينها فى نفى البعث قائلا من يحيي العظام وهى رميم (والانعام) الابل والبقر والغنم ونصبه بفعل مقدر يفسره (خلقها لكم) فى جملة الناس (فيها دفء)

(٢) كأن نسخه

ان ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك اذا اريدت بهـا العطية دون الانعـام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال (يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم) احوال من آل فرعون اومن ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ههنـا غير المراد فى سورة البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثمه ومعطوف عليه التذبيح ههنا وهو اما جنس العذاب اواستعبادهم واستعمالهم بالاعمـال الشاقة (وفى ذلكم) من حيث انه باقدار الله تعـالى اياهم وامهـالهم فيه (بلاء من ربكم عظيم) ابتلاء منه ويجوز ان تكون الاشارة الى الانجـاء والمراد بالبلاء النعمة (واذ تأذن ربكم) من كلام موسى عليـه السـلام وتأذن بمعنى آذن كتوعد بمعنى اوعـد غير انه ابلغ لما فى التفعل من معنى التكلف والمبالغة (لئن شكرتم) يابنى اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح (لازيدنكم) نعمة الى نعمة (ولئن كفرتم ان عذابى لشديد) فلعلى اعذبكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة مقول قول مقـدر اومفعول تأذن على انه يجرى مجرى قال لانه ضرب منه (وقال موسى ان تكفروا انتم ومن فى ارض جميعا) من الثقلين (فان الله لغنى) عن شكركم لنعمته (حميد) مستحق للحمد فى ذاته محمود تحمده الملائكة وتنطق بنعمه ذرات المخلوقات فاضر رتم بالكفر الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد (الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود) من كلام موسى عليه الصلوة والسلام اوكلام مبتدأ من الله (والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله) جملة وقعت اعتراضا اوالذين من بعدهم عطف على ماقبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله ولذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه كذب النسـابون (جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم فى افواههم) فعضوها غيظـا مما جاءت به الرسـل عليهم الصلوة والسـلام كقوله تعـالى عضوا عليكم الانامل من الغيظ اووضعوها عليهـا تعجبا منه اواستهزاء عليه كمن غلبه الضحك اواسكاتا للانبياء عليهم الصلوة والسلام وامرا لهم باطبـاق الافواه واشـاروابها الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا تنبيها على ان لا جواب لهم سواه اوردوها فى افواه الانبياء يمنعونهم من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا

ما تستدفؤن به من الأكسية والاردية من أشعـارهـا وأصوافهـا (ومنـافع) من النسل والدر والركوب (ومنها تأكلون) قدم الظرف للفاصلة (ولكم فيها جمال) زينة (حين تريحون) تردونهـا الى مراحها بالعشى (وحين تسرحون) تخرجونها الى المرعى بالغـداة (وتحمـل أثقالكم) أحمـالكم (الى بلد لم تكونوا بالغيه) واصلين اليه على غير الابل (الابشـق الانفس) بجهدها (ان ربكم لرؤف رحيم) بكم حيث خلقها لكم (و) خلق (الخيل والبغـال والحمير لتركبوها وزينة) مفعول له والتعليـل بهمـا لتعريف النعم لا ينافى خلقها لغير ذلك كالاكل فى الخيل الثـابت بحديث الصحيحين (ويخلق مالا تعلمون) من الاشـياء العجيبة الغريبة (وعلى الله قصد السبيل) أى بيـان الطريق المستقيم (ومنهـا) أى السبيل (جائر) حائد عن الاستقامة (ولوشـاء) هدايتكم (لهداكم) الى قصد السبيل (اجمعين)

وقيل الايدى بمعنى الايادى اى ردوا ايادى الانبياء التى هى مواعظهم وما اوحى اليهم من الحكم والشرائع فى افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردوها الى حيث جاءت منه (وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به) على زعمكم (وانا لفى شك مما تدعوننا اليه) من الايمان وقرئ تدعونا بالادغام (مريب) موقع فى الريبة اوذى ريبة وهى قلق النفس وان لا تطمئن الى شئ (قالت رسلهم افى الله شك) ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام فى المشكوك فيه لا فى الشك اى انما ندعوكم الى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه واشار الى ذلك بقوله (فاطر السموات والارض) وهو صفة او بدل وشك مرتفع بالظرف (يدعوكم) الى الايمان ببعثه ايانا (ليغفر لكم) او يدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته لينصرنى على اقامة المفعول له مقام المفعول به (من ذنوبكم) بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه تعالى فان الاسلام يجبه دون المظالم وقيل جئ بمن فى خطاب الكفرة دون المؤمنين فى جميع القرآن تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت فى خطاب الكفار مرتبة على الايمان وحيث جاءت فى خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب على المعاصى ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم (ويؤخركم الى اجل مسمى) الى وقت سماه الله تعالى وجعله آخر اعماركم (قالوا ان انتم الابشر مثلنا) لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر رسلا لبعث من جنس افضل (تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا) بهذه الدعوى (فأتونا بسلطان مبين) يدل على فضلكم واستحقاقكم بهذه المزية او على صحة ادعائكم النبوة كأنهم لم يعتبروا ما جاؤا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم آية اخرى تعنتا ولجاجا (قالت لهم رسلهم ان نحن الابشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) سلموا مشاركتهم فى الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله تعالى ومنه عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطائية وان ترجيح بعض الجائزات على بعض بمشيئة الله تعالى (وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله) اى ليس الينا الاتيان بالآيات ولا تستبد به استطاعتنا حتى نأتى بما اقترحتموه وانما هو امر متعلق بمشيئة الله تعالى فيخص كل نبى بنوع من الآيات (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فليتوكل عليه فى الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عمموا الامر للاشعار بما يوجب

(التوكل)

فتهتدون اليه باختيار منكم (هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب) تشربونه (ومنه شجر) ينبت بسببه (فيه تسيمون) ترعون دوابكم (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك) المذكور (لآية) دالة على وحدانيته تعالى (لقوم يتفكرون) فى صنعه فيؤمنون (وسخر لكم الليل والنهار والشمس) بالنصب عطفا على ماقبله والرفع مبتدأ (والقمر والنجوم) بالوجهين (مسخرات) بالنصب حال والرفع خبر (بأمره) بارادته (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) يتدبرون (و) سخر لكم (ماذرأ) خلق (لكم فى الارض) من الحيوان والنبات وغير ذلك (مختلفا ألوانه) كأحمر وأصفر وأخضر وغيرها (ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون) يتعظون (وهو الذى سخر البحر) ذلله لركوبه والغوص فيه (لتأكلوا منه لحما طريا) هو السمك (وتستخرجوا منه حلية

التوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا الاترى قوله ﴿ ومالنا الا نتوكل على الله ﴾ اى اى عذر لنافى ان لانتوكل عليه ﴿ وقد هدينا سبلنا ﴾ التى بها نعرفه و نعلم ان الامور كلها بيده وقرأ ابو عمرو بالتخفيف ههنا وفى العنكبوت ﴿ ولنصبرن على ماآذيتمونا ﴾ جواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجرى من الكفار عليهم ﴿ وعلى الله فليتوكل المتوكلون ﴾ فليثبت المتوكلون على مااستحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم ﴿ وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا اولتعودن فى ملتنا ﴾ حلفوا على ان يكون احد الامرين اما اخراجهم للرسل او عودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون الخطاب لكل رسول ولمن آمن معه فغلبوا الجماعة على الواحد ﴿ فاوحى اليهم ربهم ﴾ اى الى رسلهم ﴿ لنهلكن الظالمين ﴾ على اضمار القول اواجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه ﴿ ولنسكننكم الارض من بعدهم ﴾ اى ارضهم وديارهم كقوله تعالى * واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق والارض ومغاربها * وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى كقولك اقسم زيد ليخرجن ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ﴿ لمن خاف مقامى ﴾ موقفى وهو الموقف الذى يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيمة اوقيامى عليه وحفظى لاعماله وقيل المقام مقحم ﴿ وخاف وعيد ﴾ اى وعيدى بالعذاب اوعذابى الموعود للكفار ﴿ واستفتحوا ﴾ سألوا من الله الفتح على اعدائهم او القضاء بينهم وبين اعدائهم من الفتاحة كقوله * ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق * وهو معطوف على فاوحى والضمير للانبياء عليهم الصلوة والسلام وقيل للكفرة وقيل للفريقين فان كلهم سألوه ان ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن ﴿ وخاب كل جبار عنيد ﴾ اى ففتح لهم فافلح المؤمنون وخاب كل عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او من القبيلين كان اوقع ﴿ من ورائه جهنم ﴾ من بين يديه فانه مرصد لها واقف على شفيرها فى الدنيا مبعوث اليها فى الآخرة وقيل من وراء حيوته وحقيقته ماتوارى عنك ﴿ ويسقى من ماء ﴾ عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها مايلقى ويسقى من ماء ﴿ صديد ﴾ عطف بيان لماء وهو مايسيل من جلود اهل النار ﴿ يتجرعه ﴾ يتكلف جرعه وهو صفة لماء اوحال

تلبسونها ﴾ هى اللؤلؤ والمرجان ﴿ وترى ﴾ تبصر ﴿ الفلك ﴾ السفن ﴿ مواخر فيه ﴾ تمخر الماء أى تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة ﴿ ولتبتغوا ﴾ عطف على لتأكلوا تطلبوا ﴿ من فضله ﴾ تعالى بالتجارة ﴿ ولعلكم تشكرون ﴾ الله على ذلك ﴿ وألقى فى الارض رواسى ﴾ جبالا ثوابت ا ﴿ أن ﴾ لا ﴿ تميد ﴾ تحرك ﴿ بكم و ﴾ جعل فيها ﴿ أنهارا ﴾ كالنيل ﴿ وسبلا ﴾ طرقا ﴿ لعلكم تهتدون ﴾ الى مقاصدكم ﴿ وعلامات ﴾ تستدلون بها على الطرق كالجبال بالنهار ﴿ وبالنجم ﴾ بمعنى النجوم ﴿ هم يهتدون ﴾ الى الطرق والقبلة بالليل ﴿ أفمن يخلق ﴾ وهو الله ﴿ كمن لايخلق ﴾ وهو الاصنام حيث تشركونها معه فى العبادة لا ﴿ أفلا تذكرون ﴾ هذا فتؤمنون ﴿ وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ تضبطوها فضلا أن تطيقوا شكرها ﴿ ان الله لغفور رحيم ﴾ حيث ينعم عليكم مع تقصيركم وعصيانكم ﴿ والله يعلم ماتسرون وماتعلنون والذين

تدعون) بالتاء والياء تعبدون (من دون الله) وهو الاصنام (لايخلقون شيئاوهم يخلقون) يصورون من الحجارة وغيرها (أموات) لاروح فيهم خبر ثان (غير أحياء) تأكيد (وما يشعرن) أى الاصنام (أيان) وقت (يبعثون) أى الخلق فكيف يعبدون اذلا يكون الها الا الخالق الحى العالم بالغيب (الهكم) المستحق للعبادة منكم (اله واحد) لانظيرله فى ذاته ولا فى صفاته وهو الله تعالى (فالذين لايؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) جاحدة للوحدانية (وهم مستكبرون) متكبرون عن الايمان بها (لاجرم) حقا (أن الله يعلم ما يسرون ومايعلنون) فيجازيهم بذلك (انه لايحب المستكبرين) بمعنى انه يعاقبهم ونزل فى النضر بن الحرث (واذا قيل لهم ما) استفهامية (ذا) موصولة (أنزل ربكم) على محمد (قالوا) هو (أساطير) أكاذيب (الاولين) اضلال للناس (ليحملوا) فى عاقبة الامر (أوزارهم) ذنوبهم (كاملة) لم يكفر منها شئ

من الضمير فى يسقى (ولايكاد يسيغه) ولايقارب ان يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس (ويأتيه الموت من كل مكان) اى اسبابه من الشدائد فتحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله (وماهو بميت) فيستريح (ومن ورائه) ومن بين يديه (عذاب غليظ) اى يستقبل فى كل وقت عذابا اشد مما هو عليه وقيل هو الخلود فى النار وقيل حبس الانفاس وقيل الآية منقطعة عن قصة الرسل نازلة فى اهل مكة طلبوا الفتح الذى هو المطر فى سنيهم التى ارسل الله تعالى عليهم بدعوة رسوله فخيب رجاءهم فلم يسقهم ووعدلهم ان يسقيهم فى جهنم بدل سقياهم صديد اهل النار (مثل الذين كفروا بربهم) مبتدأ خبره محذوف اى فيما يتلى عليكم صفتهم التى هى مثل فى الغرابة اوقوله (اعمالهم كرماد) وهى على الاول جملة مستأنفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد (اشتدت به الريح) حملته واسرعت الذهاب به وقرأ نافع الرياح (فى يوم عاصف) العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم فى حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير اساس من معرفة الله تعالى والتوجه بها اليه اواعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح العاصفة (لايقدرون) يوم القيمة (مما كسبوا) من اعمالهم (على شئ) لحبوطه فلا يرون له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل (ذلك) اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انهم محسنون (هو الضلال البعيد) فانه الغاية فى البعد عن طريق الحق (الم تر) خطاب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد به امته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين (ان الله خلق السموات والارض بالحق) بالحكمة والوجه الذى يحق ان يخلق عليه وقرأ حمزة والكسائى خالق السموات (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا للسموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم ومايتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطبائع قدر ان يبدلهم بخلق آخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال (وماذلك على الله بعزيز) بمتعذر اومتعسر فانه قادر لذاته لااختصاص له بمقدور دون مقدور ومن

(هذا)

هذا شأنه كان حقيقا بان يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء (وبرزوا لله جميعا) اى يبرزون من قبورهم يوم القيمة لامر الله تعالى ومحاسبته اولله على ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون انها تخفى على الله تعالى فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله تعالى عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضى لتحقق وقوعه (فقال الضعفواء) الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعاف الرأى وانما كتب بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو (للذين استكبروا) لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم (انا كنا لكم تبعا) فى تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب اومصدر نعت به للمبالغة اوعلى اضمار مضاف (فهل انتم مغنون عنا) دافعون عنا (من عذاب الله من شئ) من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اى بعض الشئ الذى هو عذاب الله تعالى ويجوز ان تكونا للتبعيض اى بعض شئ هو بعض عذاب الله تعالى والاعراب ماسبق ويحتمل ان تكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اى فهل انتم مغنون بعض العذاب بعض الاغناء (قالوا) اى الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوابهم (لو هدانا الله) للايمان ووفقناله (لهديناكم) ولكن ضللنا فاضللناكم اى اخترنالكم مااخترناه لانفسنا اولوهدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنيناه عنكم كما عرضناه لكم لكن سد دوننا طريق الخلاص (سواء علينا اجزعنا ام صبرنا) مستويان علينا الجزع والصبر (مالنا من محيص) منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول عن جهة الفرار وهو يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين ويؤيده ماروى انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم تقولون سواء علينا (وقال الشيطان لما قضى الامر) احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا فى اشقياء من الثقلين (ان الله وعدكم وعد الحق) وعدا من حقه ان ينجز اووعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء (ووعدتكم) وعد الباطل وهو ان لابعث ولاحساب وان كانا فالاصنام تشفع لكم (فاخلفتكم) جعل تبين خلف وعده كالاخلاف منه (وما كان لى عليكم من سلطان) تسلط فالجئكم الى الكفر والمعاصى

(يوم القيمة ومن) بعض (أوزار الذين يضلونهم بغير علم) لانهم دعوهم الى الضلال فاتبعوهم فاشتركوا فى الاثم (ألا ساء) بئس (مايزرون) يحملونه حملهم هذا (قدمكر الذين من قبلهم) وهو نمرود بنى صرحا طويلا ليصعد منه الى السماء ليقاتل أهلها (فأتى الله) قصد (بنيانهم من القواعد) الاساس فارسل عليه الريح والزلزلة فهدمتها (فخر عليهم السقف من فوقهم) أى وهم تحته (وأتاهم العذاب من حيث لايشعرون) من جهة لاتخطر ببالهم وقيل هذا تمثيل لافساد ماأبرموه من المكر بالرسل (ثم يوم القيمة يخزيهم) يذلهم (ويقول) الله لهم على لسان الملائكة توبيخا (اين شركائى) بزعمكم (الذين كنتم تشاقون) تخالفون المؤمنين (فيهم) فى شأنهم (قال) أى يقول (الذين اوتوا العلم) من الانبياء والمؤمنين (ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين) يقولونه شماتة بهم (الذين تتوفاهم) بالتاء والياء (الملائكة ظالمى انفسهم) بالكفر

(الاان دعوتكم) الا دعائى اياكم اليها بتسويل وهو ليس من جنس السلطان ولكنه على طريقة قولهم * تحية بينهم ضرب وجيع * ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا (فاستجبتم لى) اسرعتم اجابتى (فلا تلومونى) بوسوستى فان من صرح العداوة لايلام بامثال ذلك (ولوموا انفسكم) حيث اطعتمونى اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وليس فيه مايدل عليه اذيكفى لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل مافى فعله وهو الكسب الذى يقوله اصحابنا (ما انا بمصرخكم) بمغيثكم من العذاب (وما انتم بمصرخى) بمغيثى وقرأ حمزة بكسر الياء على الاصل فى التقاء الساكنين وهو اصل مرفوض فى مثله لما فيه من اجتماع يائين وثلاث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر وقبلها الف فبا لحرى ان لاتكسر وقبلها ياء اوعلى لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف فى ضربته واعطيتكه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة (انى كفرت بما اشركتمون من قبل) ماامامصدرية ومن متعلقة باشركتمونى اى كفرت اليوم باشراككم اياى من قبل هذا اليوم اى فى الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم اوموصولة بمعنى من نحو ما فى قولهم سبحان ماسخركن لنا ومن متعلقة بكفرت اى كفرت بالذى اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم اياى فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين رددت امره بالسجود لآدم عليه الصلوة والسلام واشرك منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان (ان الظالمين لهم عذاب اليم) تتمة كلامه اوابتداء كلام من الله تعالى وفى حكاية امثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم (وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم) باذن الله تعالى وامره والمدخلون هم الملائكة وقرئ ادخل على التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله (تحيتهم فيها سلام) اى تحييهم الملائكة فيها بالسلام باذن ربهم (الم تركيف ضرب الله مثلا) كيف اعتمده ووضعه (كلمة طيبة كشجرة طيبة) اى جعل كلمة طيبة كشجرة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان يكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة

(صفتها)

(فالقوا السلم) انقادوا واستسلموا عند الموت قائلين (ماكنا نعمل من سوء) شرك فتقول الملائكة (بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون) فيجازيكم به ويقال لهم (فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى) مأوى (المتكبرين وقيل للذين اتقوا) الشرك (ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا) بالايمان (فى هذه الدنيا حسنة) حيوة طيبة (ولدار الآخرة) أى الجنة (خير) من الدنيا وما فيها قال تعالى فيها (ولنعم دار المتقين) هى (جنات عدن) اقامة مبتدأ خبره (يدخلونها تجرى من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك) الجزاء (يجزى الله المتقين الذين) نعت (تتوفاهم الملائكة طيبين) طاهرين من الكفر (يقولون) لهم عند الموت (سلام عليكم) ويقال لهم فى الآخرة (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون هل) ما (ينظرون) ينتظر الكفار (الا أن تأتيهم) بالتاء والياء (الملائكة) لقبض أرواحهم (أو يأتى أمر ربك) العذاب

صفتها اوخبر مبتدأ محذوف اى هى كشجرة وان يكون اول مفعولى
ضرب اجراء لها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء (اصلها ثابت)
فى الارض ضارب بعروقه فيها (وفرعها) واعلاها (فى السماء) ويجوز
ان يريد وفروعها اى افنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه
الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت اصلها والاول على اصله ولذلك
قيل انه اقوى ولعل الثانى ابلغ (تؤتى اكلها) تعطى ثمرها (كل حين)
اقته الله تعالى لاثمارها (باذن ربها) بارادة خالقها وتكوينه
(ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) لان فى ضربها زيادة
افهام وتذكير فانه تصوير للمعانى وادناء لها من الحس (ومثل كلمة خبيثة
كشجرة) كمثل شجرة (خبيثة اجتثت) استؤصلت واخذت جثتها بالكلية
(من فوق الارض) لان عروقها قريبة منه (مالها من قرار) استقرار
واختلف فى الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد
ودعوة الاسلام والقرآن والكلمة الخبيثة بالاشراك بالله تعالى والدعاء
الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما مايعم ذلك فالكلمة الطيبة
ما اعرب عن حق اودعاء الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف
ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروى ذلك مرفوعا وبشجرة فى الجنة
والخبيثة بالحنظلة والكشوث ولعل المراد بهما ايضا مايعم ذلك
(يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) الذى ثبت بالحجة عندهم وتمكن
فى قلوبهم (فى الحيوة الدنيا) فلايزالون اذا افتتنوا فى دينهم كزكريا ويحيى
عليهما السلام وجرجيس وشمعون والذى فتنهم اصحاب الاخدود
(وفى الآخرة) فلايتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم فى الموقف ولايدهشهم
اهوال يوم القيمة وروى انه عليه الصلوة والسلام ذكر قبض روح المؤمن
فقال ثم تعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فى قبره فيقولان له
من ربك ومادينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فذلك
قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت (ويضل الله الظالمين) الذين
ظلموا انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولايثبتون
فى مواقف الفتن (ويفعل الله مايشاء) من تثبيت بعض واضلال آخرين
من غير اعتراض عليه (الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا) اى شكر نعمته

او القيمة المشتملة عليه
(كذلك) كما فعل هؤلاء
(فعل الذين من قبلهم)
من الامم كذبوا رسلهم فاهلكوا
(وماظلمهم الله) باهلاكهم
بغير ذنب (ولكن كانوا
انفسهم يظلمون) بالكفر
(فاصابهم سيئات ماعملوا)
اى جزاؤها (وحاق) نزل
(بهم ماكانوا به يستهزؤن)
اى العذاب (وقال الذين
اشركوا) من اهل مكة
(لوشاء الله ماعبدنا من دونه
من شئ نحن ولااباؤنا ولاحرمنا
من دونه من شئ) من البحائر
والسوائب فاشراكنا وتحريمنا
بمشيئته فهو راض به قال تعالى
(كذلك فعل الذين من قبلهم)
اى كذبوا رسلهم فيما جاؤا به
(فهل) فما (على الرسل
الاالبلاغ المبين) الابلاغ البين
وليس عليهم هداية (ولقد
بعثنا فى كل امة رسولا) كما
بعثناك فى هؤلاء (ان) اى
بان (اعبدوا الله) وحده (٢)
(واجتنبوا الطاغوت)
الاوثان ان تعبدوها (فمنهم
من هدى الله) فآمن (ومنهم
من حقت) وجبت (عليه
الضلالة) فى علم الله فلم يؤمن
(فسيروا) يا كفار مكة

(٢) وحدوه نسخه

كفرا بان وضعوه مكانه اوبدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت
منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله تعالى
واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم
بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين
واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلاء فبقوا مسلوبى النعمة موصوفين
بالكفر وعن عمر وعلى رضى الله تعالى عنهما هم الافجران من قريش
بنوا المغيرة وبنوا امية فاما بنوا المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنوا امية
فمتعوا الى حين (واحلوا قومهم) الذين شايعوهم فى الكفر (دار البوار)
دار الهلاك بحملهم على الكفر (جهنم) عطف بيان لها (يصلونها)
حال منها او من القوم اى داخلين فيها مقاسين لحرها اومفسر لفعل مقدر
ناصب لجهنم (وبئس القرار) اى وبئس المقر جهنم (وجعلوا لله اندادا
ليضلوا عن سبيله) الذى هوالتوحيد وقرأ ابن كثيروابوعمرو ورويس
عن يعقوب بفتح الياء وليس الضلال والاضلال غرضهم فى اتخاذ
الانداد ولكن لما كان نتيجته جعل كالغرض (قل تمتعوا) بشهواتكم
اوبعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التى يتمتع بها وفى التهديد
بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه الى المهدد به
وان الامرين كائنان لامحالة ولذلك علله بقوله (فان مصيركم الى النار)
وان المخاطب لانهماكه فيه كالمأمور به من آمر مطاع (قل لعبادى الذين
آمنوا) خصهم بالاضافة تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون
لحقوق العبودية ومقول قل محذوف دل عليه جوابه اى قل لعبادى الذين
امنوا اقيموا الصلوة وانفقوا (يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم) فيكون
ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بحيث
لاينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدر بلام
الامر ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك ههنا ولم يحسن فى قوله
* محمد تفد نفسك كل نفس * اذا ماخفت من امر تبالا * لدلالة قل عليه
وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا قائمين مقامهما وهو ضعيف لانه لابد
من مخالفة مابين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لايجاب بلفظ الغيبة
اذا كان الفاعل واحدا (سرا وعلانية) منتصبان على المصدر اى انفاق
سر وعلانية اوعلى الحال اى ذوى سر وعلانية اوعلى الظرف اى وقتى

(سر)

(فى الارض فانظروا كيف
كان عاقبة المكذبين) رسلهم
من الهلاك (ان تحرص)
يامحمد (على هداهم) وقد
أضلهم الله لاتقدر على ذلك
(فان الله لايهدى) بالبناء
للمفعول وللفاعل (من يضل)
من يريد اضلاله (ومالهم
من ناصرين) مانعين من
عذاب الله (واقسموا بالله
جهد ايمانهم) اى غاية
اجتهادهم فيها (لايبعث الله
من يموت) قال تعالى (بلى)
يبعثهم (وعدا عليه حقا)
مصدران مؤكدان منصوبان
بفعلهما المقدر اى وعد ذلك
وحقه حقا (ولكن اكثر
الناس) اى اهل مكة
(لايعلمون) ذلك (ليبين)
متعلق بيبعثهم المقدر (لهم
الذى يختلفون) مع المؤمنين
(فيه) من امر الدين
بتعذيبهم واثابة المؤمنين
(وليعلم الذين كفروا انهم
كانوا كاذبين) فى انكار البعث
(انما قولنا لشىء اذا اردناه)
اى اردنا ايجاده وقولنا
مبتدأ خبره (ان نقول له
كن فيكون) اى فهو يكون
وفى قراءة بالنصب عطفا على
نقول والآية لتقرير القدرة

سر وعلانية والاحب اعلان الواجب واخفاء المتطوع به (من قبل ان يأتى يوم لابيع فيه) فيبتاع المقصر مايتدارك به تقصيره او يفدى به نفسه (ولاخلال) ولا مخالة فيشفع لك خليل اومن قبل ان يأتى يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله تعالى وقرأ ابن كثير وابوعمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفى العام (الله الذى خلق السموات والارض) مبتدأ وخبر (وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم) تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان له حال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة او المصدر لان اخرج فى معنى رزق (وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بامره) بمشيئته الى حيث توجهتم (وسخر لكم الانهار) فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) يدأبان فى سيرهما وانارتهما واصلاح مايصلحانه من المكونات (وسخر لكم الليل والنهار) يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم (وآتاكم من كل ماسألتموه) اى بعض جميع ماسألتموه يعنى من كل شئ سألتموه شيئا فان الموجود من كل صنف بعض مافى قدرة الله تعالى ولعل المراد بماسألتموه ماكان حقيقا بان يسأل لاحتياج الناس اليه سئل اولم يسأل ومايحتمل ان تكون موصوله وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين اى وآتاكم من كل شئ مااحتجتم اليه وسألتموه بلسان الحال ويجوز ان تكون مانافية فى موضع الحال اى وآتاكم من كل شئ غير سائليه (وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها) لاتحصروها ولاتطيقوا عد انواعها فضلا عن افرادها فانها غير متناهية وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة (ان الانسان لظلوم) يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان (كفار) شديد الكفران وقيل ظلوم فى الشدة يشكو ويجزع كفار فى النعمة يجمع ويمنع (واذقال ابراهيم رب اجعل هذا البلد) بلدة مكة (آمنا) ذا امن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا ان المسئول فى الاول ازالة الخوف عنه وتصييره آمنا وفى الثانى جعله من البلاد الآمنة (واجنبنى وبنى) بعدنى واياهم (ان نعبد الاصنام) واجعلنا منه فى جانب وقرئ واجنبنى وهما على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبنى شره وفيه دليل

على البعث (والذين هاجروا فى الله) لاقامة دينه (من بعد ماظلموا) بالاذى من أهل مكة وهم النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه (لنبوأنهم) لننزلنهم (فى الدنيا) دارا (حسنة) هى المدينة (ولاجر الآخرة) أى الجنة (أكبر) أعظم (لوكانوا يعلمون) اى الكفار أو المتخلفون عن الهجرة ماللمهاجرين من الكرامة لوافقوهم هم (الذين صبروا) على أذى المشركين والهجرة لاظهار الدين (وعلى ربهم يتوكلون) فيرزقهم من حيث لايحتسبون (وماأرسلنا من قبلك الارجالا يوحى اليهم) لاملائكة (فاسألوا أهل الذكر) العلماء بالتورية والانجيل (ان كنتم لاتعلمون) ذلك فانهم يعلمونه وأنتم الى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم (بالبينات) متعلق بمحذوف أى أرسلناهم بالحجج الواضحة (والزبر) الكتب (وانزلنا اليك الذكر) القرآن (لتبين للناس مانزل اليهم) فيه من الحلال والحرام (ولعلهم يتفكرون) فى ذلك

على ان عصمة الانبياء بتوفيق الله تعالى وحفظه اياهم وهو بظاهره لايتناول احفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد اسمعيل عليه الصلوة والسلام لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيث مانصبنا حجرا فهو بمنزلته (رب انهن اضللن كثيرا من الناس) فلذلك سألت منك العصمة واستعذت بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية كقوله وغرتهم الحيوة الدنيا (فمن تبعنى) على دينى (فانه منى) اى بعضى لاينفك عنى فى امر الدين (ومن عصانى فانك غفور رحيم) تقدر ان تغفرله وترحمه ابتداء او بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعيد فرق بينه وبين غيره (ربنا انى اسكنت من ذريتى) اى بعض ذريتى اوذرية من ذريتى فحذف المفعول وهم اسمعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم (بواد غيرذى زرع) يعنى وادى مكة فانها حجرية لاتنبت (عند بيتك المحرم) الذى حرمت التعرض له والتهاون به اولم يزل معظما ممنعا تهابه الجبابرة اومنع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمى عتيقا اى اعتق منه ودعا بهذا الدعاء اول ماقدم فلعله قال ذلك باعتبار ماكان اوماسيؤل اليه روى ان هاجر كانت لسارة رضى الله عنهما فوهبتها لابراهيم عليه السلام فولدت منه اسمعيل عليه السلام فغارت عليهما فناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم رأوا ثمة طيورا فقالوا لاطير الا على الماء فقصدوه فرأوها وعندها عين فقالوا اشركينا فى مائك نشركك فى البائنا ففعلت (ربنا ليقيموا الصلوة) اللام لام كى وهى متعلقة باسكنت اى ما اسكنتهم بهذا الوادى البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلوة عند بيتك المحرم وتكرير النداء وتوسيطه للاشعار بانها المقصودة بالذات من اسكانهم ثمه والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد هو الدعاء لهم باقامة الصلاة كأنه طلب منهم الاقامة وسأل من الله تعالى ان يوفقهم لها (فاجعل افئدة من الناس) اى افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لوقال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى او للابتداء كقولك القلب منى سقيم اى افئدة ناس وقرأ هشام افئيدة بخلف عنه بياء بعد الهمزة وقرئ

فيعتبرون (أفامن الذين مكروا) المكرات (السيئات) بالنبى صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة من تقييده أو قتله أو اخراجه كما ذكر فى الانفال (أن يخسف الله بهم الارض) كقارون (او يأتيهم العذاب من حيث لايشعرون) أى من جهة لاتخطر ببالهم وقد أهلكوا ببدر ولم يكونوا يقدروا ذلك (أو يأخذهم فى تقلبهم) فى أسفارهم للتجارة (فماهم بمعجزين) بفائتين العذاب (أو يأخذهم على تخوف) تنقص شيئا فشيئا حتى يهلك الجميع حال من الفاعل أو المفعول (فان ربكم لرؤف رحيم) حيث لم يعاجلهم بالعقوبة (أولم يروا الى ماخلق الله من شئ) له ظل كشجر وجبل (يتفيأ) يتميل (ظلاله عن اليمين والشمائل) جمع شمال أى عن جانبيهما أول النهار وآخره (سجدا لله) حال أى خاضعين بما يراد منهم (وهم) اى الظلال (داخرون) صاغرون نزلوا منزلة العقلاء (ولله يسجد ما فى السموات ومافى الارض من دابة) أى نسمة

آفدة وهو يحتمل ان يكون مقلوب افئدة كآدر فى ادؤر وان يكون اسم فاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اى جماعة يعجلون نحوهم وافدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز ان يكون من افد (تهوى اليهم) تسرع اليهم شوقا ووددادا وقرئ تهوى على البناء للمفعول من هوى اليه واهواه غيره وتهوى من هوى يهوى اذا احب وتعديته بالى لتضمين معنى النزوع (وارزقهم من الثمرات) مع سكناهم واديا لانبات فيه (لعلهم يشكرون) تلك النعمة فاجاب الله عز وجل دعوته وجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ حتى توجد فيه الفواكه الربيعة والصيفية والخريفية فى يوم واحد (ربنا انك تعلم مانخفى ومانعلن) تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى انك اعلم بأحوالنا ومصالحا وارحم بنا منا بانفسنا فلاحاجة لنا الى الطلب لكنا ندعوك اظهارا لعبوديتك وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل ماعندك وقيل مانخفى من وجد الفرقة ومانعلن من التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة فى التضرع والالتجاء الى الله تعالى (ومايخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء) لانه العالم بعلم ذاتى يستوى نسبته الى كل معلوم ومن للاستغراق (الحمد لله الذى وهب لى على الكبر) اى وهب لى وانا كبير آيس من الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيها من الآية (اسماعيل واسحق) روى انه ولد له اسماعيل لتسع وتسعين سنة واسحق لمائة وثنتى عشرة سنة (ان ربى لسميع الدعاء) اى المجيبة من قولك سمع الملك كلامى اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله اوفاعله على اسناد السماع الى دعاء الله تعالى على المجاز وفيه اشعار بانه دعا ربه وسأل منه الولد فاجابه ووهب له سؤاله حين ماوقع اليأس منه ليكون من اجل النعم واجلاها (رب اجعلنى مقيم الصلوة) معدلا لها مواظبا عليها (ومن ذريتى) عطف على المنصوب فى اجعلنى والتبعيض لعلمه باعلام الله او استقراء عادته فى الامم الماضية انه يكون فى ذريته كفار (ربنا وتقبل دعاء) واستجب دعائى او وتقبل عبادتى (ربنا اغفر لى ولوالدى) وقرئ لابوى وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل اراد بهما آدم وحواء (وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق او يقوم اليه اهله فحذف المضاف واسند اليه قيامهم مجازا

تدب عليها أى يخضع له بما يراد منه وغلب فى الاتيان بما مالا يعقل لكثرته (والملائكة) خصهم بالذكر تفضيلا (وهم لا يستكبرون) يتكبرون عن عبادته (يخافون) أى الملائكة حال من ضمير يستكبرون (ربهم من فوقهم) حال من هم أى عاليا عليهم بالقهر (ويفعلون مايؤمرون) به (وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين) تأكيد (انما هو اله واحد) أتى به لاثبات الالهية والوحدانية (فاياى فارهبون) خافون دون غيرى وفيه التفات عن الغيبة (وله مافى السموات والارض) ملكا وخلقا وعبيدا (وله الدين) الطاعة (واصبا) دائما حال من الدين والعامل فيه معنى الظرف (افغير الله تتقون) وهو الاله الحق ولا اله غيره والاستفهام للانكار او التوبيخ (ومابكم من نعمة فمن الله) لا يأتى بها غيره وماشرطية أو موصولة (ثم اذا مسكم) اصابكم (الضر) الفقر والمرض (فاليه تجأرون) يرفعون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء ولا تدعون غيره

(ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم) من النعمة (فتمتعوا) باجتماعكم على عبادة الاصنام امر تهديد (فسوف تعلمون) عاقبة ذلك (ويجعلون) اى المشركون (لما لا يعلمون) انها تضر ولا تنفع وهى الاصنام (نصيبا مما رزقناهم) من الحرث والانعام بقولهم هذا لله وهذا لشركائنا (تالله لتسئلن) سؤال توبيخ وفيه التفات عن الغيبة (عما كنتم تفترون) على الله من أنه أمركم بذلك (ويجعلون لله البنات) بقولهم الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيها له عما زعموا (ولهم ما يشتهون) اى البنون والجملة فى محل رفع أو نصب بجعل المعنى يجعلون له البنات التى يكرهونها وهو منزه عن الولد ويجعلون لهم الابناء الذين يختارون فيختصون بالاسنى كقوله فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون (واذا بشر أحدهم بالانثى) تولدله (ظل) صار (وجهه مسودا) متغيرا تغير مغتم (وهو كظيم)

(ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) خطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد به تثبيته على ماهو عليه من انه مطلع على احوالهم وافعالهم لا يخفى عليه خافية والوعيد بانه معاقبهم على قليله وكثيره لامحالة اولكل من توهم غفلته جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم (انما يؤخرهم) يؤخر عذابهم وعن ابى عمرو بالنون (ليوم تشخص فيه الابصار) اى تشخص فيه ابصارهم فلا تقر فى اماكنها من هول ماترى (مهطعين) مسرعين الى الداعى اومقبلين بابصارهم لا يطرقون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال على الشئ (مقنعى رؤسهم) رافعيها (لا يرتد اليهم طرفهم) بل بقيت عيونهم شاخصة لا تطرف اولا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم (وافئدتهم هواء) خلاء اى خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه يقال للاحمق وللجبان قلبه هوآء اى لارأى فيه ولا قوة قال زهير * من الظلمان جؤجؤه هواء * وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق (وانذر الناس) يامحمد (يوم يأتيهم العذاب) يعنى يوم القيمة او يوم الموت فانه اول ايام عذابهم وهو مفعول ثان لانذر (فيقول الذين ظلموا) بالشرك والتكذيب (ربنا اخرنا الى اجل قريب) اى اخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا وامهلنا الى حد من الزمان قريب اواخر آجالنا وابقنا مقدار مانؤمن بك ونجيب دعوتك (نجب دعوتك ونتبع الرسل) جواب للامر ونظيره لولا اخرتنى الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين (اولم تكونوا اقسمتم من قبل مالكم من زوال) على ارادة القول ومالكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى اقسمتم انكم باقون فى الدنيا لاتزالون بالموت ولعلهم اقسموا بطرا وغرورا ودل عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل اقسموا انهم لاينتقلون الى دار اخرى وانهم اذا ماتوا لايزالون عن تلك الحالة الى حالة اخرى كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لايبعث الله من يموت (وسكنتم فى مساكن الذى ظلموا انفسهم) بالكفر والمعاصى كعاد وثمود واصل سكن ان يعدى بفى كقر وغنى واقام ويستعمل بمعنى التبوء فيجرى مجراه كقولك سكنت الدار (وتبين لكم كيف فعلنا بهم) بما تشاهدونه فى منازلهم من آثار مانزل بهم وماتواتر عندكم من اخبارهم (وضربنا لكم الامثال) من احوالهم اى بينا لكم انكم فى مثلهم فى الكفر واستحقاق العذاب

(او)

اوصفات مافعلوا وما فعل بهم التى هى فى الغرابة كالامثال المضروبة (وقد مكروا مكرهم) المستفرغ فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل (وعندالله مكرهم) مكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه اوعنده مايمكرهم به جزاء لمكرهم وابطالاله (وانكان مكرهم) فى العظم والشدة (لتزول منه الجبال) مسوى لازالة الجبال ومعدا لها وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وماكان الله ليعذبهم على ان الجبال مثل لامر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ماهوكالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من آيات الله تعالى وشرائعه وقرأ الكسائى لتزول بالفتح والرفع على انها المخففة واللام هى الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كى وقرئ وان كاد مكرهم (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) مثل قوله انالننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلى واصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثانى ايذانا بانه لايخلف الوعد اصلا لقوله ان الله لايخلف الميعاد واذا لم يخلف وعده احدا فكيف يخلف رسله (ان الله عزيز) غالب لايماكر قادر لايدافع (ذوانتقام) لاوليائه من اعدائه (يوم تبدل الارض غيرالارض) بدل من يوم يأتيهم اوظرف للانتقام اومقدر باذكر اولايخلف وعده ولايجوز ان ينتصب بمخلف لان ماقبل ان لايعمل فيما بعده (والسموات) عطف على الارض وتقديره والسموات غيرالسموات والتبديل يكون فى الذوات كقولك بدلت الدراهم بالدنانير وعليه قوله بدلناهم جلودا غيرها وفى الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله يبدل الله سيئاتهم حسنات والآية تحتملهما وعن على رضى الله تعالى عنه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وانس رضى الله تعالى عنهما يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هى تلك الارض وانما تغير صفتها ويدل عليه ماروى ابوهريرة رضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال تبدل الارض غيرالارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظى لاترى فيها عوجا ولاامتا واعلم انه لايلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة ولايبعد على الثانى ان يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة على ما اشعر به قوله تعالى كلاان كتاب الابرار لفى عليين وقوله

ممتلئ غما فكيف تنسب البنات اليه تعالى (يتوارى) يختفى (من القوم) أى قومه (من سوء ما بشر به) خوفا من التعيير مترددا فيما يفعل به (أيمسكه) يتركه بلاقتل (على هون) هوان وذل (أم يدسه فى التراب) بان يئده (ألاساء) بئس (مايحكمون) حكمهم هذا حيث نسبوا لخالقهم البنات اللاتى هى عندهم بهذا المحل (للذين لايؤمنون بالآخرة) أى الكفار (مثل السوء) أى الصفة السوأى بمعنى القبيحة وهى وأدهم البنات مع احتياجهم اليهن للنكاح (ولله المثل الاعلى) الصفة العليا وهو أنه لااله الاهو (وهو العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى خلقه (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) بالمعاصى (ماترك عليها) أى الارض (من دابة) نسمة تدب عليها (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم لايستأخرون) عنه ساعة ولايستقدمون) عليه (ويجعلون لله

ما يكرهون) لانفسهم من البنات والشريك فى الرياسة واهانة الرسل (وتصف) تقول (ألسنتهم) مع ذلك (الكذب) وهو (أن لهم الحسنى) عندالله أى الجنة لقوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى قال تعالى (لاجرم) حقا (ان لهم النار وأنهم مفرطون) متروكون فيها أومقدمون اليها وفى قراءة بكسر الراء أى متجاوزون الحد (تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك) رسلا (فزين لهم الشيطان أعمالهم) السيئة فرأوها حسنة فكذبوا الرسل (فهو وليهم) متولى أمورهم (اليوم) أى فى الدنيا (ولهم عذاب أليم) مؤلم فى الآخرة وقيل المراد باليوم يوم القيمة على حكاية الحال الآتية أى لاولى لهم غيره وهو عاجز عن نصر نفسه فكيف ينصرهم (وما انزلنا عليك) يامحمد (الكتاب) القرآن

ان كتاب الفجار لفى سجين (وبرزوا) من اجداثهم (لله الواحد القهار) لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة على ان الامر فى غاية الصعوبة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار * فان الامر اذا كان لواحد غلاب لايغالب فلامستغاث لاحد الى غيره ولامستجار (وترى المجرمين يومئذ مقرنين) قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم فى العقائد والاعمال لقوله تعالى واذا النفوس زوجت اوقرنوا مع الشياطين اومع ما اكتسبوا من العقائد الزائغة والملكات الباطلة اوقرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل ان يكون تمثيلا لمؤاخذتهم على مااقترفته ايديهم وارجلهم (فى الاصفاد) متعلق بمقرنين اوحال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة ابن جندل * وزيد الخيل قدلاقى صفادا * يعض بساعد وبعظم ساق * واصله الشد (سرابيلهم) قمصانهم (من قطران) وجاء قطران وقطران لغتين فيه وهو مايحلب من الابهل فيطبخ فيهنأبه الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة يطلى به جلود اهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقمص ليجتمع عليهم لدغ القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار فى جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الرديئة والهيئات الوحشية فتجلب اليها انواعا من الغموم والآلام وعن يعقوب قطرآن والقطر النحاس اوالصفر المذاب والآنى المتناهى حره والجملة حال ثانية اوحال من ضمير مقرنين (وتغشى وجوههم النار) وتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا فى تدبره مشاعرهم وحواسهم التى خلقت فيها لاجله كما تطلع على افئدتهم لانها فارغة عن المعرفة مملوءة بالجهالات ونظيره قوله افمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيمة وقوله تعالى يوم يسحبون فى النار على وجوههم (ليجزى الله كل نفس) اى يفعل بهم ذلك ليجزى كل نفس مجرمة (ما كسبت) اوكل نفس من مجرمة اومطيعة لانه اذا بين ان المجرمين يعاقبون لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام ببرزوا (ان الله سريع الحساب) لانه لايشغله حساب عن حساب (هذا) اشارة الى القرآن اوالسورة اوماقيه من العظة والتذكير اوماوصفه من قوله ولاتحسبن الله (بلاغ للناس) كفاية لهم فى الموعظة (ولينذروا به) عطف

(على)

على محذوف اى لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فتكون اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز ان يتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل او تلى وقرئ بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعدله (وليعلموا انما هو اله واحد) بالنظر والتأمل فيما فيه من الآيات الدالة عليه اوالمنبهة على مايدل عليه (وليذكر اولوا الالباب) فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم انه سبحانه وتعالى ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوائد التى هى الغاية والحكمة فى انزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمال القوة النظرية التى منتهى كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية الذى هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله من الفائزين بهما وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

سورة الحجر مكية وهى تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) الاشارة الى آيات السورة والكتاب هو السورة وكذا القرآن وتنكيره للتفخيم اى آيات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرآنا يبين الرشد من الغى بيانا عربيا (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر او حلول الموت او يوم القيمة وقرأ نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربما بالفتح والتخفيف وفيها ثمان لغات ضم الراء وفتحه مع التشديد والتخفيف وربتما بتاء التأنيث ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه ان يدخل الماضى لكن لما كان المترقب فى اخبار الله تعالى كالماضى فى تحققه اجرى مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله * ربما تكره النفوس من الامر * له فرجة كحل العقال * ومعنى التقليل فيه الايذان بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحرى ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه كل ساعة وقيل تدهشهم اهوال القيمة فان حانت منهم افاقة فى بعض الاوقات تمنوا ذلك والغيبة فى حكاية ودادتهم كالغيبة فى قولك حلف بالله ليفعلن (ذرهم) دعهم (يأكلوا ويتمتعوا) بدنياهم (ويلههم الامل) ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعداد للمعاد (فسوف يعلمون) سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه والغرض اقناط الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم

(الا لتبين لهم) للناس (الذى اختلفوا فيه) من امر الدين (وهدى) عطف على لتبين (ورحمة لقوم يؤمنون) به (والله أنزل من السماء ماء فاحيى به الارض) بالنبات (بعد موتها) يبسها (ان فى ذلك) المذكور (لآية) دالة على البعث (لقوم يسمعون) سماع تدبر (وان لكم فى الانعام لعبرة) اعتبارا (نسقيكم) بيان للعبرة (مما فى بطونه) أى الانعام (من) للابتداء متعلقة بنسقيكم (بين فرث) ثفل الكرش (ودم لبنا خالصا) لايشوبه شئ من الفرث والدم من طعم اوريح اولون وهو بينهما (سائغا للشاربين) سهل المرور فى حلقهم لايغص به (ومن ثمرات النخيل والاعناب) ثمر (تتخذون منه سكرا) خمرا تسكر سميت بالمصدر وهذا قبل تحريمها (ورزقا حسنا) كالتمر والزبيب والخل والدبس (ان فى ذلك) المذكور (لآية

من ارعوائهم وايذانه بانهم من اهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال بما لاطائل تحته وفيه الزام للحجة وتحذير عن ايثار التنم ومايؤدى اليه طول الامل (وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم) اجل مقدر كتب فى اللوح المحفوظ والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل ان لاتدخلها الواو كقوله الا لها منذرون ولكن لمشابهت صورتها صورة الحال ادخلت عليها تأكيدا للصوقها بالموصوف (ماتسبق من امة اجلها ومايستأخرون) اى ومايستأخرون عنه وتذكير ضمير امة فيه للحمل على المعنى (وقالوا ياايها الذى نزل عليه الذكر) نادوا به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على التهكم الا ترى الى ماناد وه له وهو قولهم (انك لمجنون) ونظيرذلك قول فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حتى تدعى ان الله تعالى نزل عليك الذكر اى القرآن (لوماتأتينا) ركب لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين امتناع الشئ لوجود غيره والتحضيض (بالملائكة) ليصدقوك ويعضدوك على الدعوة كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا اوللعقاب على تكذيبنالك كما اتت الامم المكذبة قبل (ان كنت من الصادقين) فى دعواك (ماينزل الملائكة) بالياء مسند الى ضمير اسم الله وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالنون وابو بكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل (الا بالحق) الا تنزيلا ملتبسا بالحق اى بالوجه الذى قدره واقتضته حكمته ولاحكمة فى ان تأتيكم بصور تشاهدونها فانه لايزيدكم الا لبسا ولا فى معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالايمان وقيل الحق الوحى اوالعذاب (وماكانوا اذا منظرين) اذا جواب لهم وجزاء لشرط مقدر اى ولو نزلنا الملائكة ماكانوا منظرين (انا نحن نزلنا الذكر) رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده من وجوه وقرره بقوله (وانا له لحافظون) اى من التحريف والزيادة والنقص بان جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر بحيث لايخفى تغيير نظمه على اهل اللسان او نفى تطرق الخلل اليه فى الدوام بضمان الحفظ له كما نفى ان يطعن فيه بانه المنزل له وقيل الضمير فى له للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ولقد ارسلنا من قبلك فى شيع الاولين) فى فرقهم جمع شيعة وهى الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع وهو الحطب الصغار يوقد به الكبار والمعنى نبأنا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم

على قدرته تعالى (لقوم يعقلون) يتدبرون (وأوحى ربك الى النحل) وحى الهام (أن) مفسرة أومصدرية (اتخذى من الجبال بيوتا) تأوين اليها ومن الشجر بيوتا (ومما يعرشون) اى الناس يبنون لك من الاماكن والا لم تأوى اليها (ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى) ادخلى (سبل ربك) طرقه فى طلب المرعى (ذللا) جمع ذلول حال من السبل اى مسخرة لك فلا تعسر عليك وان توعرت ولاتضلى عن العود منها وان بعدت وقيل من الضمير فى اسلكى اى منقادة لما يراد منك (يخرج من بطونها شراب) هو العسل (مختلف الوانه فيه شفاء للناس) من الاوجاع قيل لبعضها كما دل عليه تنكير شفاء اولكلها بضميمته الى غيره أقول وبدونها بنيته وقد أمر به صلى الله عليه وسلم من استطلق عليه بطنه رواه الشيخان (ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) فى صنعه

(ومايأتيهم من رسول الا كانوابه يستهزئون) كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وماللحال لايدخل الامضارعا بمعناه اوماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية (كذلك نسلكه) ندخله (في قلوب المجرمين) والسلك ادخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط والرمح في المطعون والضمير للاستهزاء وفيه دليل على ان الله تعالى يوجد الباطل في قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الآخر في قوله (لايؤمنون به) له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به اوبيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذلايلزم من تعاقب الضمائر توافقها في المرجوع اليه ولايتعين ان تكون الجملة حالا من الضمير لجواز ان تكون حالا من المجرمين ولاينافي كونها مفسرة للمعنى الاول بل يقويه (وقد خلت سنة الاولين) اى سنة الله فيهم بان خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم اوباهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيدالاهل مكة (ولو فتحنا عليهم) على هؤلاء المقترحين (بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون) يصعدون اليها ويرون عجائبها طول نهارهم مستوضحين لما يرون اوتصعد الملائكة وهم يشاهدونهم (لقالوا) من غلوهم في العناد وتشكيكهم في الحق (انما سكرت ابصارنا) سدت عن الابصار بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف اوحيرت من السكر ويدل عليه قراءة من قرأ سكرت (بل نحن قوم مسحورون) قدسحرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور غيره من الآيات وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على البت بان مايرونه لاحقيقة له بل هو باطل خيل اليهم بنوع من السحر (ولقد جعلنا في السماء بروجا) اثني عشر مختلفة الهيئات والخواص على مادل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء (وزيناها) بالاشكال والهيئات البهية (للناظرين) المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها (وحفظناها من كل شيطان رجيم) فلايقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف في امرها ويطلع على احوالها (الامن استرق السمع) بدل من كل شيطان واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات بما بينهم من المناسبة في الجواهر اوبالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انهم كانوا لايحجبون عن السموات فلما ولد عيسى

تعالى (والله خلقكم) ولم تكونوا شيئا (ثم يتوفاكم) عند انقضاء آجالكم (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) أى أخسه من الهرم والخرف (لكيلا يعلم بعد علم شيئا) قال عكرمة من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة (ان الله عليم) بتدبير خلقه (قدير) على مايريد (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) فمنكم غني وفقير ومالك ومملوك (فما الذين فضلوا) أى الموالي (برادي رزقهم على ماملكت أيمانهم) اى بجاعلي مارزقناهم من الاموال وغيرها شركة بينهم وبين مماليكهم (فهم) أى المماليك والموالي (فيه سواء) شركاء المعنى ليس لهم شركاء من مماليكهم في اموالهم فكيف يجعلون بعض مماليك الله شركاءله (أفبنعمة الله يجحدون) يكفرون حيث يجعلون له شركاء (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) فخلق حواء من ضلع آدم وسائر النساء من نطف الرجال والنساء (وجعل لكم من أزواجكم بنين

وحفدة) أولاد الاولاد (ورزقكم من الطيبات) من أنواع الثمار والحبوب والحيوان (أفبالباطل) الصنم (يؤمنون وبنعمت الله هم يكفرون) باشراكهم (ويعبدون من دون الله) أى غيره (مالا يملك لهم رزقا من السموات) بالمطر (والارض) بالنبات (شيئا) بدل من رزقا (ولا يستطيعون) يقدرون على شيء وهو الاصنام (فلا تضربوا لله الامثال) لا تجعلوا لله أشباها تشركوهم به (ان الله يعلم) أن لا مثل له (وأنتم لا تعلمون) ذلك (ضرب الله مثلا) ويبدل منه (عبدا مملوكا) صفة تميزه من الحر فانه عبد الله (لا يقدر على شيء) لعدم ملكه (ومن) نكرة موصوفة أى حرا (رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا) أى يتصرف فيه كيف يشاء والاول مثل الاصنام والثانى مثله تعالى (هل يستوون) أى العبيد العجزة والحر المتصرف لا (الحمد لله) وحده (بل أكثرهم) أى أهل

عليه الصلوة والسلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر وقيل الاستثناء منقطع اى ولكن من استرق السمع (فاتبعه) فتبعه ولحقه (شهاب مبين) ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق للكواكب والسنان لما فيهما من البريق (والارض مددناها) بسطناها (والقينا فيها رواسى) جبالا ثوابت (وانبتنا فيها) فى الارض اوفيها وفى الجبال (من كل شيء موزون) مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته اومستحسن مناسب من قولهم كلام موزون اومايوزن ويقدر اوله وزن فى ابواب النعمة والمنفعة (وجعلنا لكم فيها معايش) تعيشون بها من المطاعم والملابس وقرئ بالهمزة على التشبيه بشمائل (ومن لستم له برازقين) عطف على معايش اوعلى محل لكم ويريد به العيال والخدم والمماليك وسائر مايظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله يرزقهم واياهم وفذلكة الآية الاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الاجزاء فى الوضع محدثة فيها انواع النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال قدرته وتناهى حكمته والتفرد فى الالوهية والامتنان على العباد بما انعم عليهم فى ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ فى ذلك وقال (وان من شيء الا عندنا خزائنه) اى ومامن شيء الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه اضعاف ماوجد منه فضرب الخزائن مثلا لاقتداره اوشبه مقدوراته بالاشياء المخزونة التى لا يحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد (وماننزله) من بقاع القدرة (الا بقدر معلوم) حده الحكمة وتعلقت به المشيئة فان تخصيص بعضها بالايجاد فى بعض الاوقات مشتملا على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم (وارسلنا الرياح لواقح) حوامل شبه الريح التى جائت بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه مالا يكون كذلك بالعقيم او ملقحات للشجر او السحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات فى قوله * ومختبط مما تطيح الطوائح * وقرئ وارسلنا الريح على تأويل الجنس (فانزلنا من السماء ماء) بقدر (فاسقيناكموه) فجعلناه لكم سقيا (وما انتم له بخازنين) قادرين متمكنين من اخراجه نفى عنهم ما اثبته لنفسه او حافظين فى الغدران والعيون والآبار وذلك ايضا يدل على المدبر الحكيم كما تدل حركة الهواء فى بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه

(ينتفع)

ينتفع به الناس فان طبيعة الماء تقتضى الغور فوقوفه دون حده لابدله من مخصص (وانالنحن نحيي) بايجاد الحيوة فى بعض الاجسـام القابلة لها (ونميت) بازالتها وقداول الحيوة بمابع الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر (ونحن الوارثون) البـاقون اذا مات الخلائق كلها (ولقدعلمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) من استقدم ولادة وموتا ومن استاخر اومن خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد اومن تقدم فى الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة اوتأخر لايخفى علينا شئ من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعدالاحتجـاج على كمال قدرته فان مايدل على قدرته دليل على علمه وقيل رغب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الصف الاول فازدحموا عليـه فنزلت وقيـل ان امرأة حسناء كانت تصلى خلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسـلم فتقدم بعض القوم لئلا ينظر اليها وتأخر بعض ليبصرها فنزلت (وان ربك هو يحشرهم) لامحالة للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على انه القادر والمتولى بحشرهم لاغير وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد والتنبيه على ان ماسبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله (انه حكيم) باهر الحكمة متقن فى افعاله (عليم) وسع علمه كل شئ (ولقد خلقنا الانسان من صلصـال) طين يابس يصلصل اى يصوت اذانقر وقيـل هو من صلصل اذا انتن تضعيف صل (من حمأ) طين تغير واسود من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال اى كائن من حمأ (مسنون) مصور من سنة الوجه اومصبوب ليبس ويتصور كالجواهر المذابة تصب فى القوالب من السن وهو الصب كانه افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه اومنتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فان مايسيل بينهما يكون منتنا ويسمى سنينا (والجان) اباالجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وانتصـابه بفعل يفسره قوله (خلقناه من قبل) خلق الانسان (من نار السموم) من نار الحر الشديد النافذ فى المسـام ولايمتنع خلق الحيوة فى الاجرام البسيطة كما لايمتنع خلقها فى الجواهر المجردة فضـلا عن الاجسـاد المؤلفة التي الغالب فيها الجزء

مكة (لايعلمون) مايصيرون اليه من العـذاب فيشركون (وضرب الله مثلا) ويبدل منه (رجلين احدهما أبكم) ولد أخرس (لايقدر على شئ) لانه لايفهم ولايفهم (وهو كل) ثقيل (على مولاه) ولى أمره (أينمـا يوجهه) يصرفه (لايأت) منـه (بخير) بنجح وهذا مثـل الكافر (هل يستوى هو) الابكم المذكور (ومن يأمر بالعدل) اى ومن هو ناطق نافع للنـاس حيث يأمر به ويحث عليه (وهو عـلى صراط) طريق (مستقيم) وهو الثـانى المؤمن لاوقيل هذا مثل لله والابكم للاصنام والذين قبـله فى الكافر والمـؤمن (ولله غيب السموات والارض) اى علم ماغاب فيهمـا (وما امر السـاعة الا كلمح البصر أوهو أقرب) منه لانه بلفظ كن فيكون (ان الله على كل شئ قدير والله أخرجكم من بطون أمهـاتكم لاتعلمون شيئا) الجملة حال (وجعل لكم السمع) بمعنى الاسماع (والابصـار والافئـدة)

النارى فانها اقبل لها من التى الغالب فيها الجزء الارضى وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب ومساق الآية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التى يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء (واذقال ربك) واذكر وقت قوله (للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته) عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه (ونفخت فيه من روحى) حتى جرى آثاره فى تجاويف اعضائه فحيى واصل النفخ اجراء الريح فى تجويف جسم آخر ولما كان الروح يتعلق اولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب ويفيض عليه القوة الحيوانية. فيسرى حاملا لها فى تجاويف الشرايين الى اعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفخا واضافة الروح الى نفسه كما مر فى سورة النساء (فقعوا له) فاسقطوا له (ساجدين) امر من وقع يقع (فسجد الملائكة كلهم اجمعون) اكد بتأكيدين للمبالغة فى التعميم ومنع التخصيص وقيل اكد بكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر اذ لو كان الامر كذلك كان الثانى حالا لا تأكيدا (الا ابليس) ان جعل منقطعا اتصل بقوله (ابى ان يكون مع الساجدين) اى لكن ابليس ابى وان جعل متصلا كان استئنافا على انه جواب سائل قال هلا سجد (قال يا ابليس مالك ان لا تكون) اى غرض لك فى ان لا تكون (مع الساجدين) لآدم (قال لم اكن لأسجد) اللام لتأكيد النفى اى لا يصح منى وينافى حالى ان اسجد (لبشر) جسمانى كثيف وانا ملك روحانى (خلقته من صلصال من حمأ مسنون) وهو اخس العناصر وخلقتنى من نار وهو اشرفها استنقص آدم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه فى سورة الاعراف (قال فاخرج منها) من السماء او الجنة او زمر الملائكة (فانك رجيم) مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته (وان عليك اللعنة) هذا الطرد والابعاد (الى يوم الدين) فانه منتهى امد اللعن فانه يناسب ايام التكليف ومنه زمان الجزاء وما فى قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين بمعنى اخر ينسى عنده هذه وقيل انما حد اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الناس او لانه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه فيصير كالزائل (قال رب فانظرنى)

القلوب (لعلكم تشكرون) ٥ على ذلك فتؤمنون (ألم يروا الى الطير مسخرات) مذللات للطيران (فى جو السماء) اى الهواء بين السماء والارض (ما يمسكهن) عند قبض أجنحتهن او بسطها أن يقعن (الا الله) بقدرته (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) هى خلقها بحيث يمكنها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) موضعا تسكنون فيه (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) كالخبايا (٢) والقباب (تستخفونها) للحمل (يوم ظعنكم) سفركم (ويوم اقامتكم ومن أصوافها) أى الغنم (وأوبارها) أى الابل (وأشعارها) أى المعز (أثاثا) متاعا لبيوتكم كبسط وأكسية (ومتاعا) تتمتعون به (الى حين) يبلى فيه (والله جعل لكم مما خلق) من البيوت والشجر والغمام (ظلالا) جمع ظل تقيكم حر الشمس (وجعل لكم من الجبال أكنانا) جمع كن وهو مايسكن فيه كالغار والسرب

(٢) كالخيام نسخه

(فاخرنى)

فاخرنى والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم (الى يوم يبعثون) اراد ان يجد فسحة فى الاغواء ونجاة عن الموت اذلاموت بعدوقت البعث فاجابه الى الاول دون الثانى (قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) المسمى فيه اجلك عندالله او انقراض الناس كلهم وهوالنفخة الاولى عند الجمهور ويجوز ان يراد بالايام الثلاثة يوم القيمة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبرعنه اولا بيوم الجزاء لماعرفته وثانيا بيوم البعث اذبه يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه فى الكلامين ولايلزم من ذلك ان لايموت فلعله يموت اول اليوم ويبعث الخلائق فى تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل على علو منصب ابليس لان خطاب الله تعالى له على سبيل الاهانة والاذلال (قال رب بما اغويتنى) الباء للقسم وما مصدرية وجوابه (لأزينن لهم فى الارض) والمعنى اقسم باغوائك اياى لأزينن لهم المعاصى فى الدنيا التى هى دار الغرور كقوله اخلد الى الارض وفى انعقاد القسم بافعال الله تعالى خلاف وقيل للسببية والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغى اوالتسبب له بامره اياه بالسجود لآدم عليه السلام او بالاضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن امهال الله تعالى له وهو سبب لزيادة غيه وتسليط له على اغواء بنى آدم بان الله تعالى علم منه اوممن تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار امهل او لم يمهل وان فى امهاله تعريضا بمن خالفه لاستحقاق مزيدالثواب وضعف ذلك لايخفى على ذوى الالباب (ولأغوينهم اجمعين) ولاحملنهم اجمعين على الغواية (الا عبادك منهم المخلصين) اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدى وقرأ ابن كثير وابن عامر وابوعمرو بالكسر فى كل القرآن اى الذين اخلصوا نفوسهم لله (قال هذا صراط على) حق على ان اراعيه (مستقيم) لاانحراف عنه والاشارة الى ماتضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه اوالاخلاص على معنى انه طريق على يؤدى الى الوصول الى من غير اعوجاج وضلال وقرئ على من علوالشرف (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين) تصديق لابليس فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم او تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس

وجعل لكم سرابيل) قمصا (تقيكم الحر) أى والبرد (وسرابيل تقيكم بأسكم) حربكم أى الطعن والضرب فيها كالدروع والجواشن (كذلك) كماخلق هذه الاشياء (يتم نعمته) فى الدنيا (عليكم) بخلق ماتحتاجون اليه (لعلكم) ياأهل مكة (تسلمون) توحدونه (فان تولوا) أعرضوا عن الاسلام (فانما عليك) يامحمد (البلاغ المبين) الابلاغ البين وهذا قبل الامر بالقتال (يعرفون نعمت الله) اى يقرون بانها من عنده (ثم ينكرونها) باشراكهم (واكثرهم الكافرون و) اذكر (يوم نبعث من كل امة شهيدا) هو نبيها يشهد لها وعليها وهو يوم القيمة (ثم لايؤذن للذين كفروا) فى الاعتذار (ولاهم يستعتبون) لايطلب منهم العتبى اى الرجوع الى مايرضى الله (واذا رأى الذين ظلموا) كفروا (العذاب) النار (فلايخفف عنهم) العذاب (ولاهم ينظرون) يمهلون عنه اذا رأوه (واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم) من الشياطين

وغيرها (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو) نعبدهم (من دونك فالقوا اليهم القول) اى قالوا لهم (انكم لكاذبون) فى قولكم انكم عبدتمونا كما فى آية اخرى ماكانوا ايانا يعبدون سيكفرون بعبادتهم (والقوا الى الله يومئذ السلم) اى استسلموا لحكمه (وضل) غاب (عنهم ماكانوا يفترون) من ان آلهتهم تشفع لهم (الذين كفروا وصدوا) الناس (عن سبيل الله) دينه (زدناهم عذابا فوق العذاب) الذى استحقوه بكفرهم قال ابن مسعود عقارب انيابها كالنخل الطوال (بما كانوا يفسدون) بصدهم الناس عن الايمان (و) اذكر (يوم نبعث فى كل امة شهيدا عليهم من انفسهم) هو نبيهم (وجئنا بك) يا محمد (شهيدا على هؤلاء) اى قومك (ونزلنا عليك الكتاب) القرآن (تبيانا) بيانا (لكل شئ) يحتاج اليه الناس من امر الشريعة (وهدى) من الضلالة (ورحمة وبشرى) بالجنة (للمسلمين) الموحدين (ان الله يأمر بالعدل)

بمخلص من عباده فان منتهى تزيينه التحريض والتدليس كما قال وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى الاول يدفع قول من شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقى لافضائه الى تناقض الاستثناءين (وان جهنم لموعدهم) لموعد الغاوين او المتبعين (اجمعين) تأكيد للضمير او حال والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الاضافة ان جعلته اسم مكان فانه لا يعمل (لها سبعة ابواب) يدخلون فيها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم فى المتابعة وهى جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار جميع المهلكات فى الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية اولان اهلها سبع فرق (لكل باب منهم) من الاتباع (جزء مقسوم) افرز له فاعلاها للموحدين العصاة والثانى لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وقرأ ابوبكر جزؤ بالتثقيل وقرئ جز على حذف الهمزة والقاء حركتها على الزاى ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه اومن المستكن فى الظرف لافى مقسوم لان الصفة لاتعمل فيما تقدم موصوفها (ان المتقين) من اتباعه فى الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة (فى جنات وعيون) لكل واحد جنة وعين اولكل عدة منهما كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما جنتان وقوله مثل الجنة التى وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن الآية وقرأ نافع وحفص وابو عمرو وهشام وعيون بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين (ادخلوها) على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض فلا يكسر التنوين (بسلام) سالمين او مسلما عليكم (آمنين) من الآفات والزوال (ونزعنا) فى الدنيا بما الف بين قلوبهم او فى الجنة بتطييب نفوسهم (ما فى صدورهم من غل) من حقد كان فى الدنيا وعن على رضى الله تعالى عنه ارجوان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم او من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب (اخوانا) حال من ضمير فى جنات اوفاعل ادخلوها او الضمير فى آمنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله (على سرر متقابلين) ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا اوحالين من ضميره لانه بمعنى متصافين

(وان)

وان يكون متقابلين حالا من المستتر فى على سرور (لايمسهم فيها نصب) استئناف او حال بعد حال او حال من الضمير فى متقابلين (وماهم منها بمخرجين) فان تمام النعمة بالخلود (نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم) فذلكة ماسبق من الوعد والوعيد وتقرير له وفى ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقى الذنوب باسرها كبيرها وصغيرها وفى توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتأكيده وفى عطف (ونبئهم عن ضيف ابراهيم) على نبئ عبادى تحقيق لهما بما يعتبرون به (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما) اى نسلم عليك سلاما او سلمنا سلاما (قال انا منكم وجلون) خائفون وذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت او لانهم امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب النفس لتوقع ماتكره (قالوا لاتوجل) وقرئ لاتاجل ولاتوجل من اوجله ولاتواجل من واجله بمعنى اوجله (انا نبشرك) استئناف فى معنى التعليل للنهى عن الوجل فان المبشر لايخاف منه وقرأ حمزة نبشرك بالبشر (بغلام) هو اسحق عليه السلام لقوله فبشرناها باسحق (عليم) اذا بلغ (قال ابشرتمونى على ان مسنى الكبر) تعجب من ان يولد له مع مس الكبر اياه او انكار لان يبشر به فى مثل هذه الحالة وكذلك قوله (فبم تبشرون) اى فبأى اعجوبة تبشرونى اى فباى شئ تبشرونى فان البشارة بمالايتصور وقوعه عادة بشارة بغير شئ وقرأ ابن كثير بكسر النون مشددة فى كل القرآن على ادغام نون الجمع فى نون الوقاية وقرأ نافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية على الياء (قالوا بشرناك بالحق) بمايكون لامحالة او باليقين الذى لالبس فيه او بطريقة هى حق وهو قول الله تعالى وامره (فلاتكن من القانطين) من الآيسين من ذلك فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وكان استعجال ابراهيم صلوات الله عليه باعتبار العادة دون المقدرة ولذلك (قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) اى المخطئون طريق المعرفة فلايعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته كما قال لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون * وقرأ ابوعمرو والكسائى يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح (قال فما خطبكم ايها المرسلون) اى فما شأنكم الذى ارسلتم لاجله سوى البشارة ولعله علم ان كمال المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عددا

التوحيد أو الانصاف (والاحسان) أداء الفرائض أو ان تعبد الله كأنك تراه كما فى الحديث (وايتاء) اعطاء (ذى القربى) القرابة خصه بالذكر اهتماما به (وينهى عن الفحشاء) الزنا (والمنكر) شرعا من الكفر والمعاصى (والبغى) الظلم للناس خصه بالذكر اهتماما كما بدأ بالفحشاء كذلك (يعظكم) بالامر والنهى (لعلكم تذكرون) تتعظون وفيه ادغام التاء فى الاصل فى الذال وفى المستدرك عن ابن مسعود وهذه اجمع آية فى القرآن للخير والشر (واوفوا بعهد الله) من البيع والايمان وغيرها (اذا عاهدتم ولاتنقضوا الايمان بعد توكيدها) توثيقها (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) بالوفاء حيث حلفتم به والجملة حال (ان الله يعلم ماتفعلون) تهديد لهم (ولاتكونوا كالتى نقضت) افسدت (غزلها) ماغزلته (من بعد قوة) احكام له وابرام (انكاثا) حال جمع نكث وهو ماينكث اى يحل احكامه وهى امرأة حمقاء من مكة

والبشارة لاتحتاج الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد فى بشارة زكريا ومريم عليهما السلام او لانهم بشروه فى تضاعيف الحال لازالة الوجل ولوكانت تمام المقصود لابتدأوا بها (قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين) يعنى قوم لوط (الا آل لوط) ان كان استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام وان كان استثناء من الضمير فى مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين به وكان المعنى اناارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منه لنهلك المجرمين وننجى آل لوط ويدل عليه قوله (انا لمنجوهم اجمعين) اى مما نعذب به القوم وهو استئناف اذا اتصل الاستثناء ومتصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جاز ان يكون قوله (الا امرأته) استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول لايكون الا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرأ حمزة والكسائى لمنجوهم مخففا (قدرنا انها لمن الغابرين) الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرأ ابو بكر عن عاصم قدرنا ههنا وفى النمل بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص افعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون قدرنا اجرى مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قول واصله جعل الشئ على مقدار غيره واسنادهم اياه الى انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص به (فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون) تنكركم نفسى وتنفر عنكم مخافة ان تطرقونى بشر (قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) اى ماجئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما يسرك ويشفى لك من عدوك وهو العذاب الذى توعدتهم به فيمترون فيه (واتيناك بالحق) باليقين من عذابهم (وانا لصادقون) فيما اخبرناك به (فأسر باهلك) فاذهب بهم فى الليل وقرأ الحجازيان بوصل الهمزة من السرى وهما بمعنى وقرئ سر من السير (بقطع من الليل) فى طائفة من الليل وقيل فى آخره قال * افتحى الباب وانظرى فى النجوم * كم علينا من قطع ليل بهيم * (واتبع ادبارهم) وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم (ولا يلتفت منكم احد) لينظر ماوراءه فيرى من الهول مالا يطيقه اوفيصيبه مااصابهم او ولاينصرف احدكم ولايتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا نفوسهم على المهاجرة (وامضوا حيث تؤمرون) الى حيث امركم الله بالمضى اليه وهو الشام

(اومصر)

كانت تغزل طول يومها ثم تنقضه (تتخذون) حال من ضمير تكونوا اى لاتكونوا مثلها فى اتخاذكم (أيمانكم دخلا) هو مايدخل فى الشئ وليس منه اى فساد اوخديعة (بينكم) بأن تنقضوها (أن) اى لأن (تكون امة) جماعة (هى أربى) اكثر (من امة) وكانوا يحالفون الحلفاء فاذا وجدوا أكثر منهم وأعز نقضوا حلف اولئك وحالفوهم (انما يبلوكم) يختبركم (الله به) اى بما أمر به من الوفاء بالعهد لينظر المطيع منكم والعاصى أو يكون أمة أربى لينظر أتفون أم لا (وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون) فى الدنيا من امر العهد وغيره بأن يعذب الناكث ويثيب الوافى (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) أهل دين واحد (ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء ولتسئلن) يوم القيمة سؤال تبكيت (عما كنتم تعملون) لتجازوا عليه (ولا تتخذوا أيمانكم

او مصر فعدى وامضوا الى حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتساع (وقضينا اليه) اى اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدى بالى (ذلك الامر) مبهم يفسره (ان دابر هؤلاء مقطوع) ومحله النصب على البدل منه وفى ذلك تفخيم للامر وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لايبقى منهم احد (مصبحين) داخلين فى الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير فى مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء فى معنى مدبرى هؤلاء (وجاء اهل المدينة) سدوم (يستبشرون) باضياف لوط طمعا فيهم (قال ان هؤلاء ضيفى فلاتفضحون) بفضيحة ضيفى فان من اسئ الى ضيفه فقد اسئ اليه (واتقوا الله) فى ركوب الفاحشة (ولاتخزون) ولاتذلون بسببهم من الخزى وهو الهوان اوولاتخجلون فيهم من الخزاية وهو الحياء (قالوا اولم ننهك عن العالمين) عن ان تجير منهم احدا وتمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه اوعن ضيافة الناس وانزالهم (قال هؤلاء بناتى) يعنى نساء القوم فان نبى كل امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت فى سورة هود (ان كنتم فاعلين) قضاء الوطر اوما اقول لكم (لعمرك) قسم بحيوة المخاطب وهو النبى عليه الصلوة والسلام وقيل لوط عليه السلام قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمى وهو لغة فى العمر يختص به القسم لايثار الاخف فيه لانه كثير الدور على السنتهم (انهم لفى سكرتهم) لفى غوايتهم اوشدة غلمتهم التى ازالت عقولهم وتمييزهم بين خطائهم والصواب الذى يشار به اليهم (يعمهون) يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض (فاخذتهم الصيحة) يعنى صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة جبريل (مشرقين) داخلين فى وقت شروق الشمس (فجعلنا عاليها) عالى المدينة اوعالى قراهم (سافلها) فصارت منقلبة بهم (وامطرنا عليهم حجارة من سجيل) من طين متحجر او طين عليه كتاب من السجل وقد تقدم مزيد بيان لهذه القصة فى سورة هود (ان فى ذلك لآيات للمتوسمين) المتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون فى نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشئ بسمته (وانها) وان المدينة اوالقرى (لبسبيل مقيم) ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها (ان فى ذلك لآية للمؤمنين) بالله ورسله (وان كان اصحاب الايكة لظالمين)

دخلا بينكم) كرره تأكيدا (فتزل قدم) اى اقدامكم عن محجة الاسلام (بعد ثبوتها) استقامتها عليها (وتذوقوا السوء) اى العذاب (بما صددتم عن سبيل الله) اى بصدكم عن الوفاء بالعهد او بصدكم غيركم عنه لانه يستن بكم (ولكم عذاب عظيم) فى الآخرة (ولاتشتروا بعهد الله ثمنا قليلا) من الدنيا بان تنقضوه لاجله (انما عند الله) من الثواب (هو خير لكم) مما فى الدنيا (ان كنتم تعلمون) ذلك فلا تنقضوا (ماعندكم) من الدنيا (ينفد) يفنى (وماعندالله باق ولنجزين) بالياء والنون (الذين صبروا) على الوفاء بالعهود (اجرهم بأحسن ماكانوا يعملون) احسن بمعنى حسن (من عمل صالحا من ذكر اوانثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة) قيل هى حيوة الجنة وقيل فى الدنيا بالقناعة اوالرزق الحلال (ولنجزينهم اجرهم بأحسن ماكانوا يعملون فاذا قرأت القرآن) اى اردت قراءته (فاستعذ

هم قوم شعيب عليه السلام كانوا يسكنون الغيضة فبعثه الله اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة الشجرة المتكاثفة (فانتقمناهم) بالاهلاك (وانهما) يعنى سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه كان مبعوثا اليهما فكان ذكر احدهما منبئا عن الآخر (لبامام مبين) لبطريق واضح والامام اسم مايؤتم به فسمى به اللوح ومطمر البناء لانهما مما يؤتم به (ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين) يعنى ثمود كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل فكأنما كذب الجميع ويجوز ان يكون المراد بالمرسلين صالح ومن معه من المؤمنين والحجر واد بين المدينة والشام يسكنونها (وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين) يعنى آيات الكتاب المنزل على نبيهم او معجزاته كالناقة وسقيها وشربها ودرها اومانصب لهم من الادلة (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب لفرط غفلتهم اوحسبانهم ان الجبال تحميهم منه (فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ماكانوا يكسبون) من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد (وماخلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) الا خلقا ملتبسا بالحق لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء وازاحة فسادهم من الارض (وان الساعة لآتية) فينتقم الله لك فيها من كذبك (فاصفح الصفح الجميل) ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ بآية السيف (ان ربك هو الخلاق) الذى خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم (العليم) بحالك وبحالهم فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم بينكم او هو الذى خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح وفى مصحف عثمان وابى رضى الله عنهما هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير (ولقد آتيناك سبعا) سبع آيات وهى الفاتحة وقيل سبع سور وهى الطوال وسابعتها الانفال والتوبة فانهما فى حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل سبع صحائف وهى الاسباع (من المثانى) بيان للسبع والمثانى من التثنية او الثناء فان كل ذلك مثنى يكرر قراءته والفاظه اوقصصه ومواعظه او مثنى عليه بالبلاغة والاعجاز او مثنى على الله بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز يراد بالمثانى القرآن او كتب الله كلها فتكون

(من)

بالله من الشيطان الرجيم) اى قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (انه ليس له سلطان) تسلط (على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه) بطاعته (والذين هم به) اى الله (مشركون واذا بدلنا آية مكان آية) بنسخها وانزال غيرها لمصلحة العباد (والله أعلم بما ينزل قالوا) اى الكفار للنبى صلى الله عليه وسلم (انما أنت مفتر) كذاب تقوله من عندك (بل اكثرهم لايعلمون) حقيقة القرآن وفائدة النسخ (قل) لهم (نزله روح القدس) جبريل (من ربك بالحق) متعلق بنزل (ليثبت الذين آمنوا) بايمانهم به (وهدى وبشرى للمسلمين ولقد) للتحقيق (نعلم أنهم يقولون انما يعلمه) القرآن (بشر) وهو قين نصرانى كان النبى صلى الله عليه وسلم يدخل عليه قال تعالى (لسان) لغة (الذى يلحدون) يميلون (اليه) أنه يعلمه (أعجمى وهذا) القرآن (لسان عربى مبين)

من للتبعيض (و القرآن العظيم) ان اريد بالسبع الآيات اوالسور فمن عطف الكل على البعض اوالعام على الخاص وان اريد به الاسباع فمن عطف احد الوصفين على الآخر (لاتمدن عينيك) لاتطمح ببصرك طموح راغب (الا ما متعنابه ازواجا منهم) اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ما اوتيته فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات وعن ابى بكر من اوتى القرآن فرأى ان احدا اوتى من الدنيا افضل مما اوتى فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروى انه عليه الصلوة والسلام وافى باذرعات سبع قوافل ليهود بنى قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لوكانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولأنفقناها فى سبيل الله فقال لهم لقد اعطيتم سبع آيات هى خير من هذه القوافل السبع (ولاتحزن عليهم) انهم لم يؤمنوا وقيل انهم المتمتعون به (واخفض جناحك للمؤمنين) وتواضع لهم وارفق بهم (وقل انى انا النذير المبين) انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا (كما انزلنا على المقتسمين) مثل العذاب الذى انزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فاهلكهم الله تعالى يوم بدر اوالرهط الذين اقتسموا اى تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام وقيل هو صفة مصدر محذوف يدل عليه قوله ولقد آتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون هم الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين اواهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القرآن مايقرؤنه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله لاتمدن الخ اعتراضا ممدالها (الذين جعلوا القرآن عضين) اجزاء جمع عضة واصلها عضوة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل فعلة من عضهته اذا بهته وفى الحديث لعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم العاضهة والمستعضهة وقيل اسحارا وعن عكرمة السحر وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة للمقتسمين او مبتدأ خبره (فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون) من التقسيم اوالنسبة

ذو بيان وفصاحة فكيف يعلمه أعجمى (ان الذين لايؤمنون بآيات الله لايهديهم الله ولهم عذاب أليم) مؤلم (انما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله) القرآن بقولهم هذا من قول البشر (وأولئك هم الكاذبون) والتأكيد بالتكرار وان غيرها رد لقولهم انما أنت مفتر (من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره) على التلفظ بالكفر فتلفظ به (وقلبه مطمئن بالايمان) ومن مبتدأ أو شرطية والخبر اوالجواب لهم وعيد شديد دل على هذا (ولكن من شرح بالكفر صدرا) له اى فتحه ووسعه بمعنى طابت به نفسه (فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك) الوعيد لهم (بأنهم استحبوا الحيوة الدنيا) اختاروها (على الآخرة وأن الله لايهدى القوم الكافرين أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وأولئك هم الغافلون) عما يراد بهم (لاجرم) حقا (انهم فى الآخرة

الى السحر فيجازيهم عليه وقيل عام فى كل مافعلوا من الكفر والمعاصى
(فاصدع بما تؤمر) فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا
اوفافرق به بين الحق والباطل واصله الابانة والتميز ومامصدرية اوموصولة
والراجع محذوف اى بما تؤمر به من الشرائع (واعرض عن المشركين)
فلا تلتفت الى مايقولون (انا كفيناك المستهزئين) بقمعهم واهلاكهم قيل
كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدى بن
قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون فى ايذاء
النبى صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فقال جبريل عليه السلام لرسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم امرت ان اكفيكهم فاومأ الى ساق الوليد فمر بنبال
فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا فى عقبه فقطعه
فمات واومأ الى اخمص العاص فدخلت فيه شوكة فانتفخت رجله حتى
صارت كالرحى ومات واشار الى انف عدى بن قيس فامتخط قيحا فمات
والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد فى اصل شجرة فجعل ينطح برأسه
الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عينى الاسود بن المطلب
فعمى (الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون) عاقبة امرهم
فى الدارين (ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون) من الشرك والطعن
فى القرآن والاستهزاء بك (فسبح بحمد ربك) فافزع الى الله تعالى فيما نابك
بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك اوفنزهه عما يقولون حامدا له
على ان هداك للحق (وكن من الساجدين) من المصلين وعنه عليه
الصلوة والسلام انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة (واعبد ربك حتى
يأتيك اليقين) اى الموت فانه متيقن لحاقه كل حى مخلوق والمعنى فاعبده
مادمت حيا ولاتخل بالعبادة لحظة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين
والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم

﴿سورة النحل مكية غير ثلاث آيات فى آخرها وهى مائة وثمان
وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اتى امر الله فلا تستعجلوه) كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول صلى الله
تعالى عليه وسلم من قيام الساعة او اهلاك الله تعالى اياهم كما فعل يوم بدر

هم الخاسرون) لمصيرهم
الى النار المؤبدة عليهم
(ثم ان ربك للذين هاجروا)
الى المدينة (من بعدما فتنوا)
عذبوا وتلفظوا بالكفر وفى
قراءة بالبناء للفاعل اى كفروا
أوفتنوا الناس عن الايمان
(ثم جاهدوا وصبروا)
على الطاعة (ان ربك من بعدها)
اى الفتنة (لغفور) لهم
(رحيم) بهم وخبر ان الاولى
دل عليه خبر الثانية اذكر
(يوم تأتى كل نفس تجادل)
تحاج (عن نفسها) لايهمها
غيرها وهو يوم القيمة
(وتوفى كل نفس) جزاء
(ماعملت وهم لايظلمون)
شيئا (وضرب الله مثلا) ويبدل
منه (قرية) هى مكة والمراد
أهلها (كانت آمنة) من الغارات
لاتهاج (مطمئنة) لايحتاج
الى الانتقال عنها لضيق
اوخوف (يأتيها رزقها
رغدا) واسعا (من كل
مكان فكفرت بانعم الله) بتكذيب
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
(فاذاقها الله لباس الجوع)
فقحطوا سبع سنين (والخوف
بسرايا النبى صلى الله عليه وسلم

استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح مايقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا
منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الآتي المحقق من حيث
انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لاخير لكم فيه ولا خلاص لكم
عنه (سبحانه وتعالى عما يشركون) تبرأ وجل عن ان يكون له شريك فيدفع
ماأراد بهم وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على وفق قوله تعالى فلا تستعجلوه والباقون
بالياء على تلوين الخطاب او على ان الخطاب للمؤمنين او لهم ولغيرهم لما روى انه
نزلت اتى امر الله فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت
فلا تستعجلوه (ينزل الملائكة بالروح) بالوحي او القرآن فانه يحيي به القلوب الميتة
بالجهل او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى
الطريق الذي به علم الرسول ماتحقق موعدهم به ودنوه وازاحة لاستبعادهم
اختصاصه بالعلم به وقرأ ابن كثير وابو عمرو ينزل من انزل وعن يعقوب
مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل وقرأ ابوبكر تنزل على المضارع المبني للمفعول
من التنزيل (من امره) بامره ومن اجله (على من يشاء من عباده)
ان يتخذه رسولا (ان انذروا) بان انذروا اي اعلموا من نذرت بكذا اذا علمته
(انه لا اله الا انا فاتقون) ان الشأن لا اله الا انا فاتقون او خوفوا اهل الكفر
والمعاصي بانه لا اله الا انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود
وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحي الدال على القول اومصدرية
في موضع الجر بدلا من الروح اوالنصب بنزع الخافض اومخففة من الثقيلة
والآية تدل على ان نزول الوحي بوساطة الملائكة وان حاصله التنبيه
على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذي هو
اقصى كمالات القوة العملية وان النبوة عطائية والآيات التي بعدها دليل
وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه
على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع
(خلق السموات والارض بالحق) اوجدهما على مقدار وشكل واوضاع
وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته (تعالى عما يشركون) منهما
اومما يفتقر في وجوده اوبقائه اليهما اومما لايقدر على خلقهما وفيه دليل
على انه سبحانه وتعالى ليس من قبيل الاجرام (خلق الانسان من نطفة)
جماد لاحس لها ولاحراك سيالة لاتحفظ الوضع والشكل (فاذا هو خصيم)
منطيق مناظر مجادل (مبين) للحجة اوخصيم مكافح لخالقه قائل من يحيي

وسلم (بما كانوا يصنعون
ولقد جاءهم رسول منهم)
محمد صلى الله عليه وسلم
(فكذبوه فاخذهم العذاب)
الجوع والخوف (وهم
ظالمون فكلوا) أيها
المؤمنون (مما رزقكم الله
حلالا طيبا واشكروا نعمة
الله ان كنتم اياه تعبدون انما
حرم عليكم الميتة والدم ولحم
الخنزير وما اهل لغير الله به
فمن اضطر غير باغ ولا عاد
فان الله غفور رحيم ولا تقولوا
لما تصف ألسنتكم) أي
لوصف ألسنتكم (الكذب
هذا حلال وهذا حرام)
لما لم يحله الله ولم يحرمه
(لتفتروا على الله الكذب)
بنسبة ذلك اليه (ان الذين
يفترون على الله الكذب
لا يفلحون) لهم (متاع قليل)
في الدنيا (ولهم) في الآخرة
(عذاب أليم) مؤلم (وعلى
الذين هادوا) اي اليهود
(حرمنا ماقصصنا عليك
من قبل) في آية وعلى الذين
هادوا حرمنا كل ذي ظفر
الى آخرها (وما ظلمناهم)
بتحريم ذلك (ولكن كانوا

العظام وهى رميم روى ان ابى بن خلف اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعظم رميم وقال يا محمد اترى ان الله تعالى يحيى هــذا بعدما قدرم فنزلت (والانعام) والابل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره (خلقها لكم) او بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان لماخلق لاجله ومابعده تفصيل له (فيها دفء) مايدفأ به فيقى البرد (ومنافع) نسلهــا ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضهــا (ومنها تأكلون) اى تأكلون مايؤكل منها من اللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الآى اولان الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه فى المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التداوى او التفكه (ولكم فيها جمال) زينة (حين تريحون) تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشى (وحين تسرحون) تخرجونها بالغــداة الى المراعى فان الافنية تتزين بهــا فى الوقتين وتجل اهلها فى اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل ملأى البطون حافلة الضروع ثم تأوى الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون وصفان له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه (وتحمل اثقالكم) احمالكم (الى بلد لم تكونوا بالغيه) ان لم تكن الانعام ولم تخلق فضلا عن ان تحملوهــا على ظهوركم اليه (الابشق الانفس) الابكلفة ومشــقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه واصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كأنه ذهب نصف قوته بالتعب (ان ربكم لرؤف رحيم) حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم (والخيل والبغال والحمير) عطف على الانعام (لتركبوها وزينة) اى لتركبوها ولتتزينوا بها زينة وقيل هى معطوفة على محل لتركبوها وتغيير النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب واما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان يكون علة لتركبوها او مصدرا فى موضع الحال من احد الضميرين اى متزينين او متزينا بها واستدل به على حرمة لحومها ولادليل فيه اذلايلزم من تعليــل الفعل بما يقصــد منه غالبا ان لايقصد منه غــيره اصــلا ويدل عليه ان الآية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهليــة حرمت عام خيبر (ويخلق مالاتعلمون) لمافصل الحيوانات التى يحتاج اليها غالبــا

(احتياجا)

أنفسهم يظلمون) بارتكاب المعاصى الموجبة لذلك (ثم ان ربك للذين عملوا السوء) الشرك (بجهــالة ثم تابوا) رجعــوا (من بعــد ذلك وأصلحوا) عملهم (ان ربك من بعدها) اى الجهــالة أو التوبة (لغفــور) لهم (رحيم) بهم (ان ابراهيم كان امة) اماما قدوة جامعا لخصال الخــير (قانتــا) مطيعا (لله حنيفا) مائلا الى الدين القيم (ولم يك من المشركين شــاكرا لأنعمه اجتباه) اصطفــاه (وهداه الى صراط مســتقيم وآتينا) فيه التفــات عن الغيبــة (فى الدنيا حسنة) هى الثناء الحســن فى كل أهل الاديان (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) الذين لهم الدرجات العــلى (ثم اوحينــا اليك) يا محمد (أن اتبــع ملــة) دين (ابراهيم حنيفا وماكان من المشركين) كرر ردا على زعم اليهود والنصارى انهم على دينه (انما جعل السبت) فرض تعظيمه (على الذين اختلفوا فيه) على نبيهم وهم اليهود أمروا ان يتفرغوا

احتياجا ضروريا اوغير ضروري اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلائق مالا علم لنا به وان يراد به ماخلق في الجنة والنار مما لا يخطر على قلب بشر (وعلى الله قصد السبيل) بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق او اقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا او عليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لامحالة يقال سبيل قصد وقاصد اى مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يقصده السالك لا يميل عنه والمراد من السبيل الجنس ولذلك اضاف اليه القصد وقال (ومنها جائر) مائل عن القصد او عن الله وتغير الاسلوب لانه ليس بحق على الله تعالى ان يبين طريق الضلالة اولان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر انما جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر اى عن القصد (ولو شاء لهداكم اجمعين) اى ولو شاء هدايتكم اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء (هو الذى انزل من السماء) من السحاب او من جانب السماء (ماء لكم منه شراب) ماتشربونه ولكم صلة انزل او خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه ولا بأس به لان مياه العيون والآبار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه في الارض (ومنه شجر) ومنه يكون شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وقيل كل ماينبت على الارض شجر قال الشاعر

نعلفها اللحم اذاعز الشجر * والخيل في اطعامها اللحم ضرر

(فيه تسيمون) ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات (ينبت لكم به الزرع) وقرأ ابوبكر بالنون على التفخيم (والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات) وبعض كلها اذلم ينبت في الارض كل مايمكن من الثمار ولعل تقديم مايسام فيه على مايؤكل منه لانه سيصير غذاء حيوانيا وهو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلاثة وترتيبها (ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون) على وجود الصانع وحكمته فان من تأمل ان الحبة تقع في الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج منه ساق الشجر وينشق اسفلها فيخرج منه عروقها ثم تنمو ويخرج منها الاوراق والازهار والاكمام والثمار ويشتمل كل منها على اجسام مختلفة الاشكال والطبائع مع اتحاد المواد ونسبة الطبائع السفلية والتأثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس

للعبادة يوم الجمعة فقالوا لا نريده واختاروا السبت فشدد عليهم فيه (وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون) من امره بأن يثيب الطائع ويعذب العاصي بانتهاك حرمته (ادع) الناس يا محمد (الى سبيل ربك) دينه (بالحكمة) بالقرآن (والموعظة الحسنة) مواعظه أو القول الرفيق (وجادلهم بالتى) اى بالمجادلة التى (هى أحسن) كالدعاء الى الله بآياته والدعاء الى حججه (ان ربك هو اعلم) اى عالم (بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) فيجازيهم وهذا قبل الامر بالقتال * ونزل لما قتل حمزة ومثل به فقال صلى الله عليه وسلم وقد رآه لامثلن بسبعين منهم مكانك (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم) عن الانتقام (لهو) اى الصبر (خير للصابرين) فكف صلى الله عليه وسلم وكفر عن يمينه رواه البزار (واصبر وماصبرك الا بالله) بتوفيقه (ولا تحزن عليهم) اى الكفار ان لم يؤمنوا لحرصك على ايمانهم (ولا تك في ضيق

مما يمكرون) اى لاتهتم بمكرهم فانا ناصرك عليهم (ان الله مع الذين اتقوا) الكفر والمعاصى (والذين هم محسنون) بالطاعة والصبر بالعون والنصر

سورة الاسراء مكية الا وان كادوا ليفتنونك الآيات الثمان وآيها مائة وعشر آيات أو واحدى عشرة آية

(بسم الله الرحمن الرحيم) (سبحان) اى تنزيه (الذى اسرى بعبده) محمد صلى الله عليه وسلم (ليلا) نصب على الظرف والاسراء سير الليل وفائدة ذكره الاشارة بتنكيره الى تقليل مدته (من المسجد الحرام) اى مكة (الى المسجد الاقصى) بيت المقدس لبعده منه (الذين باركنا حوله) بالثمار والانهار (لنريه من آياتنا) عجائب قدرتنا (انه هو السميع البصير) اى العالم باقوال النبى صلى الله عليه وسلم وأفعاله فانعم عليه بالاسراء المشتمل على اجتماعه بالانبياء وعروجه الى السماء ورؤية عجائب الملكوت ومناجاته تعالى فانه صلى

عن منازعة الاضداد والانداد ولعل فصل الآية به لذلك (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم) بان هيأها لمنافعكم (مسخرات بامره) حال من الجميع اى نفعكم بها حال كونها مسخرات لله تعالى خلقها ودبرها كيف شاء اولما خلقن له بايجاده وتقديره اوبحكمه وفيه ايذان بالجواب عماعسى ان يقال ان المؤثر فى تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك ان سلم فلاريب فى انها ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلابد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل اومصدر ميمى جمع لاختلاف الانواع وقرأ حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر الشمس والقمر ايضا (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) جمع الآية وذكر العقل لانها تدل انواعا من الدلالة ظاهرة لذوى العقول السليمة غير محوجة الى استيفاء فكر كاحوال النبات (وماذرألكم فى الارض) عطف على الليل اى وسخر لكم ماخلق لكم فيها من حيوان ونبات (مختلفا الوانه) اصنافه فانها تخالف باللون غالبا (ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون) ان اختلافها فى الطبائع والهيئات والمناظر ليس الابصنع صانع حكيم (وهو الذى سخر البحر) جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص (لتأكلوا منه لحما طريا) هو السمك ووصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم فيسرع اليه الفساد فيسارع الى اكله ولاظهار قدرته فى خلقه عذبا طريا فى ماء زعاق وتمسك به مالك والثورى على ان من حلف ان لا يأكل لحما حنث باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان على العرف وهو لايفهم منه عند الاطلاق الا ترى ان الله تعالى سمى الكافر دابة ولايحنث الحالف على ان لايركب دابة بركوبه (وتستخرجوا منه حلية تلبسونها) كاللؤلؤ والمرجان اى تلبسها نساؤكم فاسند اليهم لانهن من جملتهم ولانهن يتزين بها لاجلهم (وترى الفلك) السفن (مواخر فيه) جوارى فيه تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل صوت جرى الفلك (ولتبتغوا من فضله) من سعة رزقه بركوبها للتجارة (ولعلكم تشكرون) اى تعرفون نعم الله تعالى فتقومون بحقها ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لانه اقوى فى باب الانعام من حيث انه جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش (والقى فى الارض رواسى) جبالا رواسى (ان تميد بكم) كراهة ان تميل بكم وتضطرب وذلك لان الارض

قبل ان يخلق فيها الجبال كانت كرة حفيفة ٢ بسيطة الطبع وكان من حقها ان تحرك بالاستدارة كالافلاك اوان تحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد التى تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ماهى بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال ﴿ وانهارا ﴾ وجعل فيها انهارا لان القى فيه معناه ﴿ وسبلا لعلكم تهتدون ﴾ لمقاصدكم او الى معرفة الله سبحانه وتعالى ﴿ وعلامات ﴾ معالم تستدل بها السابلة من جبل وسهل وريح ونحو ذلك ﴿ وبالنجم هم يهتدون ﴾ بالليل فى البرارى والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه قراءة وبالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات النعش والجدى ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثيرى الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء فى مسائرهم بالنجم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كأنه قيل وبالنجم هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم ﴿ افمن يخلق كمن لايخلق ﴾ انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهى حكمته والتفرد بخلق ماعدد من مبدعاته لان يساويه ويستحق مشاركته مالا يقدر على خلق شيء من ذلك بل على ايجاد شيء ما وكان حق الكلام افمن لايخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله سبحانه وتعالى جعلوه من جنس المخلوقات العجزة بها والمراد بمن لايخلق كل ماعبد من دون الله سبحانه وتعالى مغلبا فيه اولوا العلم منهم او الاصنام واجراؤها مجرى اولى العلم لانهم سموها آلهة ومن حق الاله ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او للمبالغة فكأنه قيل ان من يخلق ليس كمن لايخلق من اولى العلم فكيف بمن لاعلم عنده ﴿ افلا تذكرون ﴾ فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذى يحضر عنده بادنى تذكر والتفات ﴿ وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها ﴾ اى لاتضبطوا عددها فضلا عن ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة تنبيها على ان وراء ماعدد نعما لاتحصر وان حق عبادته غير مقدور ﴿ ان الله لغفور ﴾ حيث يتجاوز عن تقصيركم فى اداء شكرها ﴿ رحيم ﴾ لايقطعها لتفريطكم فيه ولايعاجلكم بالعقوبة على كفرانها ﴿ والله يعلم ماتسرون وماتعلنون ﴾

الله عليه وسلم قال أتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته فسار بى حتى أتيت بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التى تربط فيها الانبياء ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءنى جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن قال جبريل أصبت الفطرة قال ثم عرج بى الى السماء الدنيا فاستفتح جبريل قيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال قد أرسل اليه ففتح لنا فاذا أنا بآدم فرحب بى ودعالى بخير ثم عرج بى الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من أنت فقال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بابنى الخالة يحيى وعيسى فرحبا بى ودعوالى بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل فقيل ومن معك قال محمد فقيل وقد أرسل اليه قال

(٢) ووقع فى بعض النسخ حقيقية ولعل الصواب ما كتبناه قاله مصححه احمد طاهر

من عقائدكم واعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار العلم (والذين تدعون من دون الله) اى والآلهة الذين تعبدونهم من دون الله وقرأ ابوبكر يدعون بالياء وقرأ حفص ثلاثتها بالياء (لايخلقون شيئا) لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لايخلق بين انهم لايخلقون شيئا لينتج انهم لايشاركونه ثم اكد ذلك بان اثبت لهم صفات تنافى الالوهية فقال (وهم يخلقون) لانها ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق والاله ينبغى ان يكون واجب الوجود (اموات) هم اموات لاتعتريهم الحيوة او اموات حالا اومآلا (غيراحياء) بالذات ليتناول كل معبود والاله ينبغى ان يكون حيابالذات لايعتريه الممات (ومايشعرون ايان يبعثون) ولا يعلمون وقت بعثهم او بعث عبدتهم فكيف يكون حالهم (٢) وقت جزاء على عبادتهم والاله ينبغى ان يكون عالما بالغيوب مقدرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث من توابع التكليف (الهكم اله احد) تكرير للمدعى بعد اقامة الحجج (فالذين لايؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون) بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالآخرة فان المؤمنين بها يكون طالبا للدلائل متأملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها تكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم مالايعرف الابالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا الى المألوف فانه ينافى النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات الى قوله والاول هو العمدة فى الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الآخرين (لاجرم) حقا (ان الله يعلم مايسرون ومايعلنون) فيجازيهم وهو فى موضع الرفع بجرم لانه مصدر اوفعل (انه لايحب المستكبرين) فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده اواتباع رسوله (واذاقيل لهم ماذا انزل ربكم) القائل بعضهم على التهكم اوالوافدون عليهم المسلمون (قالوا اساطير الاولين) اى ماتدعون نزوله اوالمنزل اساطير الاولين وانما سموه منزلا على التهكم اوعلى الفرض اى على تقدير انه منزل فهو اساطير الاولين لاتحقيق فيه والقائلون له قيل هم المقتسمون (ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة) اى قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالتهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم فى الضلال (ومن اوزار الذين يضلونهم) وبعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب (بغير علم) حال من المفعول اى يضلون من لايعلم انهم ضلال وفائدتها

قد أرسل اليه ففتح لنا فاذا أنا بيوسف واذا هو قد أعطى شطر الحسن فرحب بى ودعالى بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل فقيل من معك قال محمد فقيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بادريس فرحب بى ودعالى بخير ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيل من أنت فقال جبريل فقيل ومن معك قال محمد فقيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بهرون فرحب بى ودعالى بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل فقيل ومن معك قال محمد فقيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بموسى فرحب بى ودعالى بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل من انت فقال جبريل فقيل ومن معك قال محمد فقيل وقد بعث اليه قال وقد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بابراهيم

(٢) ووقع فى غالب النسخ لهم بدل حالهم قاله مصححه احمد طاهر

الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل ﴿ الاساء مايزرون ﴾ بئس شيئا يزرونه فعلهم ﴿ قد مكر الذين من قبلهم ﴾ اى سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله عليهم الصلوة والسلام ﴿ فاتى الله بنيانهم من القواعد ﴾ فأتاها امره من جهة العمد التى بنوا عليها بان ضعضعت ﴿ فخر عليهم السقف من فوقهم ﴾ وصار سبب هلاكهم ﴿ واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليترصد امر السماء فأهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ﴿ ثم يوم القيمة يخزيهم ﴾ يذلهم او يعذبهم بالنار لقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته ﴿ ويقول اين شركائى ﴾ اضاف الى نفسه استهزاء او حكاية لاضافتهم زيادة فى توبيخهم قرأ البزى بخلاف عنه اين شركاى بغير الهمز والباقون بالهمز ﴿ الذين كنتم تشاقون فيهم ﴾ تعادون المؤمنين فى شأنهم وقرأ نافع بكسر النون بمعنى تشاقوننى فان مشاقة المؤمنين كمشاقة الله عز وجل ﴿ قال الذين اوتوا العلم ﴾ اى الانبياء او العلماء الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم او الملائكة ﴿ ان الخزى اليوم والسوء ﴾ الذلة والعذاب ﴿ على الكافرين ﴾ وفائدة قولهم اظهار الشماتة بهم وزيادة الاهانة وحكايته لان يكون لطفا ووعظا لمن سمعه ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة ﴾ وقرأ حمزة بالياء وقرئ بادغام التاء فى التاء وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلاثة ﴿ ظالمى انفسهم ﴾ بان يكون عرضوها للعذاب المخلد ﴿ فألقوا السلم ﴾ فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت ﴿ ما كنا نعمل من سوء ﴾ قائلين ما كنا نعمل من سوء كفران وعدوان ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام ﴿ بلى ﴾ اى فتجيبهم الملائكة بلى ﴿ ان الله عليم بما كنتم تعملون ﴾ فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فألقوا السلم الى آخر الآية استيناف ورجوع الى شرح حالهم يوم القيمة وعلى هذا اول من لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء بانا لم نكن فى زعمنا واعتقادنا عاملين سوأ واحتمل ان يكون الراد عليهم هو الله او اولوا العلم ﴿ فادخلوا ابواب جهنم ﴾ كل صنف بابه المعدله وقيل ابواب جهنم اصناف عذابهم ﴿ خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين ﴾ جهنم ﴿ وقيل للذين اتقوا ﴾ يعنى المؤمنين

فاذا هو مستند الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه ثم ذهب بى الى سدرة المنتهى فاذا أوراقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من أمر الله ماغشيها تغيرت فما أحد من خلق الله تعالى يستطيع يصفها من حسنها قال فاوحى الله الى ما أوحى وفرض على فى كل يوم وليلة خمسين صلوة فنزلت حتى انتهيت الى موسى فقال مافرض ربك على أمتك قلت خمسين صلوة فى كل يوم وليلة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك لا تطيق ذلك وانى قد بلوت بنى اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربى فقلت اى رب خفف عن أمتى فحط عنى خمسا فرجعت الى موسى قال مافعلت فقلت قد حط عنى خمسا قال ان أمتك لا تطيق ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك قال فلم أزل أرجع بين ربى وبين موسى ويحط عنى خمسا خمسا حتى قال يامحمد هى

(ماذا انزل ربكم قالوا خيرا) اى انزل خيرا وفى نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا فى الجواب واطبقوه على السؤال معترفين بالانزال على خلاف الكفرة روى ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا جاء الوافد المقتسمين قالوا له ماقالوا واذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك (للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة) مكافاة فى الدنيا (ولدار الآخرة خير) اى ولثوابهم فى الآخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسير الخير على انه منتصب بقالوا (ولنعم دار المتقين) دار الآخرة فحذفت لتقدم ذكرها وقوله (جنات عدن) خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح (يدخلونها تجرى من تحتها الانهار لهم فيها مايشاؤن) من انواع المشتهيات وفى تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لايجد جميع مايريده الا فى الجنة (كذلك يجزى الله المتقين) مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصى لانه فى مقابلة ظالمى انفسهم وقيل فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة اوطيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس (يقولون سلام عليكم) لايحيقكم بعد مكروه (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) حين تبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفى وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ (هل ينظرون) ماينتظر الكفار المار ذكرهم (الا ان تأتيهم الملائكة) لقبض ارواحهم وقرأ حمزة والكسائى بالياء (اويأتى امر ربك) القيمة او العذاب المستأصل (كذلك) مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب (فعل الذين من قبلهم) فاصابهم ما اصاب (وما ظلمهم الله) بتدميرهم (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه (فاصابهم سيئات ماعملوا) اى جزاء سيئات اعمالهم على حذف المضاف اوتسمية الجزاء باسمها (وحاق بهم ماكانوا به يستهزؤن) واحاط بهم جزاؤه والحيق لايستعمل الا فى الشر (وقال الذين اشركوا لوشاء الله ماعبدنا من دونه من شئ نحن ولاآباؤنا ولاحرمنا من دونه من شئ) انما قالوا ذلك استهزاء ومنعا للبعثة والتكليف متمسكين بان ماشاء الله يجب ومالم يشأ يمتنع فما الفائدة فيهما او انكار القبح ما انكر عليهم من الشرك

(وتحريم)

خمس صلوات فى كل يوم وليلة بكل صلوة عشر فتلك خمسون صلوة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب فان عملها كتبت له سيئة واحدة فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك فان امتك لاتطيق ذلك فقلت قد رجعت الى ربى حتى استحييت رواه الشيخان واللفظ لمسلم وروى الحاكم فى المستدرك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ربى عزوجل قال تعالى (وآتينا موسى الكتاب) التورية (وجعلناه هدى لبنى اسرائيل) ا (ان لاتتخذوا من دونى وكيلا) يفوضون اليه أمرهم وفى قراءة تتخذوا بالفوقانية التفاتا فأن زائدة والقول مضمر يا (ذرية من حملنا مع نوح) فى السفينة (انه كان عبدا شكورا) كثير الشكر لنا حامدا فى جميع احواله (وقضينا) أوحينا (الى بنى اسرائيل فى الكتاب) التورية

وتحريم البحائر ونحوها محتجين بانها لوكانت مستقبحة لماشاءالله صدورها منهم ولشاء خلافه ملجئا اليه لااعتذارا اذلم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب من الشبهتين (كذلك فعل الذين من قبلهم) فاشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله (فهل على الرسل الا البلاغ المبين) الا الابلاغ الموضح للحق وهوان لم يؤثر فى هدى من شاءالله هداه لكنه يؤدى اليه على سبيل التوسط وماشاءالله وقوعه انما يجب وقوعه لامطلقا بل باسباب قدرهاله ثم بين ان البعثة امر جرت به السنة الالهية فى الامم كلها سببا لهدى من أراد اهتداءه وزيادة الضلال لمن اراد ضلاله كالغذاء الصالح فانه ينفع المزاج السوى ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه بقوله تعالى (ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) يأمر بعبادة الله تعالى واجتناب الطاغوت (فمنهم من هدى الله) وفقهم للايمان بارشادهم (ومنهم من حقت عليه الضلالة) اذلم يوفقهم ولم يرد هداهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على ان تحقق الضلال وثباته بفعل الله تعالى وارادته من حيث انه قسيم من هدى الله وقد صرح به فى الآية الاخرى (فسيروا فى الارض) يامعشر قريش (فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون (ان تحرص) يامحمد (على هداهم فان الله لايهدى من يضل) من يريد ضلاله وهو المعنى بمن حقت عليه الضلالة وقرأ غير الكوفيين لايهدى من يضل على البناء للمفعول وهو ابلغ (ومالهم من ناصرين) من ينصرهم بدفع العذاب عنهم (واقسموا بالله جهد ايمانهم لايبعث الله من يموت) عطف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادة فى البت على فساده ولقد رد الله تعالى عليه ابلغ رد فقال (بلى) يبعثهم (وعدا) مصدر مؤكد لنفسه وهو مادل عليه بلى فان يبعث موعد من الله تعالى (عليه) انجازه لامتناع الخلف فى وعده اولان البعث مقتضى حكمته (حقا) صفة اخرى للوعد (ولكن اكثر الناس لايعلمون) انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة التى جرت عادته بمراعاتها واما لقصور نظرهم على المألوف فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى بين الامرين فقال (ليبين لهم) اى يبعثهم ليبين لهم (الذى يختلفون فيه) وهوالحق (وليعلم الذين كفروا

(لتفسدن فى الارض) أرض الشام بالمعاصى (مرتين ولتعلن علوا كبيرا) تبغون بغيا عظيما (فاذا جاء وعد أولاهما) أولى مرتى الفساد (بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد) أصحاب قوة فى الحرب والبطش (فجاسوا) ترددوا لطلبكم (خلال الديار) وسط دياركم ليقتلوكم ويسبوكم (وكان وعدا مفعولا) وقد أفسدوا الاولى بقتل زكريا فبعث عليهم جالوت وجنوده فقتلوهم وسبوا أولادهم وخربوا بيت المقدس (ثم رددنا لكم الكرة) الدولة والغلبة (عليهم) بعد مائة سنة بقتل جالوت (وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا) عشيرة وقلنا (ان أحسنتم) بالطاعة (أحسنتم لانفسكم) لان ثوابه لها (وان أسأتم) بالفساد (فلها) اساءتكم (فاذا جاء وعد) المرة (الآخرة) بعثناهم (ليسوؤا وجوهكم) يحزنوكم بالقتل والسبى حزنا يظهر فى وجوهكم (وليدخلوا

المسجد) بيت المقدس فيخربوه (كما دخلوه) وخربوه (اول مرة وليتبروا) يهلكوا (ماعلوا) غلبوا عليه (تتبيرا) هلاكا وقد أفسدوا ثانيا بقتل يحيي فبعث عليهم بختنصر فقتل منهم ألوفا وسبى ذريتهم وخرب بيت المقدس وقلنا في الكتاب (عسى ربكم أن يرحمكم) بعد المرة الثانية ان تبتم (وان عدتم) الى الفساد (عدنا) الى العقوبة وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم فسلط عليهم بقتل قريظة ونفي النضير وضرب الجزية عليهم (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) محبسا وسجنا (ان هذا القرآن يهدي للتي) أي للطريقة التي (هي أقوم) أعدل وأصوب (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم اجرا كبيرا و) يخبر (أن الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا) أعددنا (لهم عذابا أليما) مؤلما هو النار (ويدع الانسان بالشر) على نفسه واهله

انهم كانوا كاذبين) فيما كانوا يزعمون وهو اشارة الى السبب الداعي الى البعث المقتضى له من حيث الحكمة وهو المميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال (انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون) وهو بيان امكانه وتقريره ان تكوين الله تعالى بمحض قدرته ومشيئته لا توقف له على سبق المواد والمدد والالزم التسلسل فكما امكن له تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال امكن له تكوينها اعادة بعده ونصب ابن عامر والكسائي ههنا وفي يس فيكون عطفا على نقول اوجوابا للامر (والذين هاجروا في الله من بعد ماظلموا) هم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم الى المدينة اوالمحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وابو جندل وسهيل رضي الله تعالى عنهم وقوله في الله اى في حقه ولوجهه (لنبوئنهم في الدنيا حسنة) مباءة حسنة وهي المدينة اوتبوئة حسنة (ولاجر الآخرة اكبر) مما نعجل لهم في الدنيا وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ماوعدك الله تعالى في الدنيا وماادخر لك في الآخرة افضل (لوكانوا يعلمون) الضمير للكفار اى لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم اى للمهاجرين وقيل للمهاجرين اى لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم (الذين صبروا) على الشدائد كاذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب اوالرفع على المدح (وعلى ربهم يتوكلون) منقطعين الى الله تعالى مفوضين اليه الامر كله (وما ارسلنا من قبلك الارجالا نوحي اليهم) رد لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا اى جرت السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحي اليه على السنة الملائكة والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة الانعام فان شككتم فيه (فاسألوا اهل الذكر) اهل الكتاب اوعلماء الاخبار ليعلموكم (ان كنتم لاتعلمون) وفي الآية دليل على انه تعالى لم يرسل امرأة ولاملكا للدعوة العامة واماقوله تعالى جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة اوالى الانبياء عليهم الصلوة والسلام وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الامتمثلين بصورة الرجال ورد بما روى انه عليه الصلوة والسلام رأى جبريل عليه السلام على صورته

(التي)

التى هو عليهـا مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم (بالبينات والزبر) اى ارسلناهم بالبينات والزبر اى المعجزات والكتب كأنه جواب قائل قال بم ارسلوا ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا داخلا فى الاستثناء مع رجالا اى وما ارسلنا الارجالا بالبينات كقولك ماضربت الازيدا بالسوط اوصفة لهم اى رجالا ملتبسين بالبينات اوبيوحى على المفعولية اوالحال من القائم مقام فاعله وهو اليهم على ان قوله فاسألوا اعتراض او بلا تعلمون على ان الشرط للتبكيت والالزام (وانزلنا اليك الذكر) اى القرآن وانما سمى ذكرا لانه موعظة وتنبيه (لتبين للناس مانزل اليهم) فى الذكر بتوسط انزاله اليك مما امروا به ونهوا عنه اومما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود اويرشد الى مايدل عليه كالقياس ودليل العقل (ولعلهم يتفكرون) وارادة ان يتأملوا فيه فيتنبهوا للحقائق (افأمن الذين مكروا السيئات) اى المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء اوالذين مكروا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وراموا صد اصحابه عن الايمان (ان يخسف الله بهم الارض) كما خسف بقارون (او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط (او يأخذهم فى تقلبهم) اى متقلبين فى مسائرهم ومتاجرهم (فماهم بمعجزين او يأخذهم على تخوف) على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون اوعلى ان ينقص شيئا بعد شئ فى انفسهم واموالهم حتى يهلكوا من تخوفته اذا تنقصته روى ان عمر رضى الله تعالى عنه قال على المنبر ماتقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك فى اشعارها قال نعم قال شاعرنا ابوكبير يصف ناقته * تخوف الرحل منها تامكا قردا * كما تخوف عود النبعة السفن * فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وماديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعانى كلامكم (فان ربكم لرؤف رحيم) حيث لا يعاجلكم بالعقوبة (اولم يروا الى ماخلق الله من شئ) استفهام انكار اى قد رأوا امثال هذه الصنائع فمابالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها (يتفيؤ ظلاله) اى اولم ينظروا الى المخلوقات التى لها ظلال متفيئة وقرأ حمزة والكسائى تروا بالتاء وابو عمرو تتفيأ بالتاء (عن اليمين والشمائل) عن ايمانها وعن شمائلها اوعن جانبى

اذا ضجر (دعاءه) اى كدعائه له (بالخير وكان الانسان) الجنس (عجولا) بالدعاء على نفسه وعدم النظر فى عاقبته (وجعلنا الليل والنهار آيتين) دالتين على قدرتنا (فمحونا آية الليل) طمسنا نورها بالظلام لتسكنوا فيه والاضافة للبيان (وجعلنا آية النهار مبصرة) اى مبصرا فيها بالضوء (لتبتغوا) فيه (فضلا من ربكم) بالكسب (ولتعلموا) بهما (عدد السنين والحساب) للاوقات (وكل شئ) يحتاج اليه (فصلناه تفصيلا) بيناه تبيينا (وكل انسان الزمناه طائره) عمله يحمله (فى عنقه) خص بالذكر لان اللزوم فيه شدوقال مجاهد مامن مولود يولد الاوفى عنقه ورقة مكتوب فيها شقى اوسعيد (ونخرج له يوم القيمة كتابا) مكتوبا فيه عمله (يلقاه منشورا) صفتان لكتابا ويقال له (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) محاسبا (من اهتدى فانما يهتدى

كل واحد منها استعارة من يمين الانسان وشماله ولعل توحد اليمين وجمع الشمائل باعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير فى ظلاله وجمعه فى قوله (سجدا لله وهم داخرون) وهما حالان من الضمير فى ظلاله والمراد من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع او الاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طأطأ رأسه ليركب او سجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى يرجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب منقادة لما قدر لها من التفيء او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام فى انفسها ايضا داخرة اى صاغرة منقادة لافعال الله تعالى فيها وجمع داخرون بالواو لان من جملتها من يعقل او لان الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقى لان الكواكب تظهر منه آخذة فى الارتفاع والسطوع وشماله وهو الجانب الغربى المقابل له فلان الظلال فى اول النهار تبتدئ من المشرق واقعة على الربع الغربى من الارض وعند الزوال تبتدئ من المغرب واقعة على الربع الشرقى من الارض (ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض) اى ينقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته وتأثيره طبعا والانقياد لتكليفه وامره طوعا ليصح اسناده الى عامة اهل السموات والارض وقوله (من دابة) بيان لهما لان الدبيب هو الحركة الجسمانية سواء كان فى ارض او سماء (والملائكة) عطف على المبين به عطف جبريل على الملائكة للتعظيم او عطف المجردات على الجسمانيات وبه احتج من قال ان الملائكة ارواح مجردة او بيان لما فى الارض والملائكة تكرير لما فى السموات وتعيين له اجلالا وتعظيما او المراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان اولى من اطلاق من تغليبا للعقلاء (وهم لا يستكبرون) عن عبادته (يخافون ربهم من فوقهم) يخافونه ان يرسل عذابا من فوقهم او يخافونه وهو فوقهم بالقهر لقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير فى لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من خاف الله تعالى لا يستكبر عن عبادته (ويفعلون ما يؤمرون) من الطاعة والتدبير وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء (وقال الله لا تتخذوا

لنفسه) لان ثواب اهتدائه له (ومن ضل فانما يضل عليها) لان اثمه عليها (ولا تزر) نفس (وازرة) آثمة اى لا تحمل (وزر) نفس (أخرى وما كنا معذبين) احدا (حتى نبعث رسولا) يبين له ما يجب عليه (واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها) منعميها بمعنى رؤسائها بالطاعة على لسان رسلنا (ففسقوا فيها) فخرجوا عن امرنا (فحق عليها القول) بالعذاب (فدمرناها تدميرا) اهلكناها باهلاك اهلها وتخريبها (وكم) اى كثيرا (اهلكنا من القرون) الامم (من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا) عالما ببواطنها وظواهرها وبه يتعلق بذنوب (من كان يريد) بعمله (العاجلة) اى الدنيا (عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد) التعجيل له بدل من له باعادة الجار (ثم جعلنا له) فى الآخرة (جهنم يصلاها) يدخلها (مذموما) ملوما (مدحورا)

الهين اثنين) ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق النهى اليه او ايماء بان الاثنينية تنافى الالوهية كما ذكر الواحد فى قوله (انما هو اله واحد) للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية او للتنبيه على ان الوحدة من لوازم الالهية (فاياى فارهبون) نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة فى الترهيب و تصريحا بالمقصود فكأنه قال فانا ذلك الاله الواحد فاياى فارهبون لاغيرى (وله مافى السموات والارض) خلقا وملكا (وله الدين) الطاعة (واصبا) لازما لما تقرر من انه الا له وحده والحقيق بان يرهب منه وقيل واصبا من الوصب اى وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اى وله الجزاء دائما لاينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر (افغير الله تتقون) ولاضار سواه كما لانافع غيره كما قال تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله) اى واى شئ اتصل بكم من نعمة فهو من الله وماشرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها من الله تعالى لا لحصولها منه (ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون) فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت فى الدعاء والاستغاثة (ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون) وهم كفاركم (ليكفروا) بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب عاما فان كان خاصا بالمشركين كان من للبيان فكأنه قال فاذا فريق وهم انتم ويجوز ان يكون من للتبعيض على ان يعتبر بعضهم كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد (بما آتيناهم) من نعمة الكشف عنهم كأنهم قصدوا بشركهم كفران النعمة او انكار كونها من الله تعالى (فتمتعوا) امر تهديد (فسوف تعلمون) اغلظ وعيده وقرئ فيمتعوا مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى هذا جاز ان تكون اللام لام الامر الوارد للتهديد والفاء للجواب (ويجعلون لما لايعلمون) اى لآلهتهم التى لاعلم لها لانها جماد فيكون الضمير لما او التى لايعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على ان العائد الى ما محذوف او لجهلهم على ان مامصدرية والمجعول له محذوف للعلم به (نصيبا مما رزقناهم) من الزروع والانعام (تالله لتسألن عما كنتم تفترون) من انها آلهة حقيقة بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه (ويجعلون لله البنات) كانت خزاعة وكنانة يقولون ان الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه له

مطرودا عن الرحمة (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها) عمل عملها اللائق بها (وهو مؤمن) حال (فاولئك كان سعيهم مشكورا) عند الله اى مقبولا مثابا عليه (كلا) من الفريقين (نمد) نعطى (هؤلاء وهؤلاء) بدل (من) متعلق بنمد (عطاء ربك) فى الدنيا (وماكان عطاء ربك) فيها (محظورا) ممنوعا عن أحد (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض) فى الرزق والجاه (وللآخرة أكبر) أعظم (درجات وأكبر تفضيلا) من الدنيا فينبغى الاعتناء بها دونها (لاتجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا) لاناصر لك (وقضى) أمر (ربك أن) أى بان (لاتعبدوا الا اياه و) أن تحسنوا (بالوالدين احسانا) بان تبروهما (اما يبلغن عندك الكبر أحدهما) فاعل (أوكلاهما) وفى قراءة يبلغان فاحدهما بدل من ألفه (فلا تقل لهما أف) بفتح الفاء وكسرها

من قولهم او تعجب منه ﴿ ولهم مايشتهون ﴾ يعنى البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع بالابتداء والنصب بالعطف على البنات على ان الجعل بمعنى الاختيار وهو وان افضى الى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول لشئ واحد لكنه لايبعد تجويزه فى المعطوف ﴿ واذا بشر احدهم بالانثى ﴾ اخبر بولادتها ﴿ ظل وجهه ﴾ صار اودام النهار كله ﴿ مسودا ﴾ من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير ﴿ وهو كظيم ﴾ مملوء غيظا من المرأة ﴿ يتوارى من القوم ﴾ يستخفى منهم ﴿ من سوء مابشربه ﴾ من سوء المبشر به عرفا ﴿ ايمسكه ﴾ محدثا فى نفسه متفكرا فى ان يتركه ﴿ على هون ﴾ ذل ﴿ ام يدسه فى التراب ﴾ ام يخفيه فيه ويئده وتذكير الضمير للفظ ماوقرئ بالتأنيث فيهما ﴿ الا ساء مايحكمون ﴾ حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ماهذا محله عندهم ﴿ للذين لايؤمنون بالآخرة مثل السوء ﴾ صفة السوء وهى الحاجة الى الولد المنادية بالموت واستبقاء الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق ﴿ ولله المثل الاعلى ﴾ وهو الوجوب الذاتى والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة عن صفات المخلوقين ﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾ المتفرد بكمال القدرة والحكمة ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ﴾ بكفرهم ومعاصيهم ﴿ ماترك عليها ﴾ على الارض وانما اضمرها من غير ذكر لدلالة الناس او الدابة عليها ﴿ من دابة ﴾ قط بشؤم ظلمهم وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه كاد الجعل يهلك فى جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء ﴿ ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى ﴾ سماه لاعمارهم اولعذابهم كى يتوالدوا ﴿ فاذا جاء اجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ بل هلكوا وعذبوا حينئذ لامحالة ولا يلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم ان يكونوا كلهم ظالمين حتى الانبياء عليهم الصلوة والسلام لجواز ان يضاف اليهم ماشاع فيهم وصدر عن اكثرهم ﴿ ويجعلون لله مايكرهون ﴾ اى مايكرهونه لانفسهم من البنات والشركاء فى الرياسة والاستخفاف بالرسل واراذل الاموال ﴿ وتصف السنتهم الكذب ﴾ مع ذلك وهو ﴿ ان لهم الحسنى ﴾ اى عندالله تعالى كقوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة ﴿ لاجرم ان لهم النار ﴾ رد لكلامهم واثبات لضده ﴿ وانهم مفرطون ﴾ مقدمون الى النار من افرطته فى طلب الماء اذا قدمته وقرأ نافع بكسر الراء على انه

منونا وغير منون مصدر بمعنى تبا وقبحا ﴿ ولا تنهرهما ﴾ تزجرهما ﴿ وقل لهما قولا كريما ﴾ جميلا لينا ﴿ واخفض لهما جناح الذل ﴾ ألن لهما جانبك الذليل ﴿ من الرحمة ﴾ اى لرقتك عليهما ﴿ وقل رب ارحمهما كما ﴾ رحمانى حين ﴿ ربيانى صغيرا ربكم أعلم بما فى نفوسكم ﴾ من اضمار البر والعقوق ﴿ ان تكونوا صالحين ﴾ طائعين لله ﴿ فانه كان للاوابين ﴾ الرجاعين الى طاعته ﴿ غفورا ﴾ لما صدر منهم فى حق الوالدين من بادرة وهم لايضمرون عقوقا ﴿ وآت ﴾ اعط ﴿ ذا القربى ﴾ القرابة ﴿ حقه ﴾ من البر والصلة ﴿ والمسكين وابن السبيل ولاتبذر تبذيرا ﴾ بالانفاق فى غير طاعة الله ﴿ ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ﴾ اى على طريقتهم ﴿ وكان الشيطان لربه كفورا ﴾ شديد الكفر لنعمه فكذلك اخوه المبذر ﴿ واما تعرضن عنهم ﴾ اى المذكورين من ذى القربى ومابعده فلم

﴿ من ﴾

من الافراط فى المعاصى وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته فى طلب الماء ومكسورا من التفريط فى الطاعات (تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم) فاصروا على قبائحها وكفروا بالمرسلين (فهو وليهم اليوم) اى فى الدنيا وعبر باليوم عن زمانها اوفهو وليهم حين كان يزين لهم اويوم القيمة على انه حكاية حال ماضية اوآتية ويجوز ان يكون الضمير لقريش اى زين الشيطان للكفرة المتقدمين اعمالهم وهو ولى هؤلاء اليوم يغرهم ويغويهم وان يقدر مضاف اى فهو ولى امثالهم والولى القرين اوالناصر فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه (ولهم عذاب اليم) فى القيمة (وما انزلنا عليك الكتاب الالتبين لهم) للناس (الذى اختلفوا فيه) من التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام الافعال (وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين (والله انزل من السماء ماء فاحيى به الارض بعد موتها) انبت فيها انواع النبات بعد يبسها (ان فى ذلك لآية لقوم يسمعون) سماع تدبر وانصاف (وان لكم فى الانعام لعبرة) دلالة يعبر بها من الجهل الى العلم (نسقيكم مما فى بطونه) استئناف لبيان العبرة وانما ذكر الضمير ووحده ههنا للفظ وانثه فى سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه فى المفردات المبنية على افعال كاخلاق واكياش ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها اولواحده اوله على المعنى فان المراد به الجنس وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم بالفتح هنا وفى المؤمنين (من بين فرث ودم لبنا) فانه يخلق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التى فى الفرث وهو الاشياء المأكولة المنهضمة بعض الانهضام فى الكرش وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف فى كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذى يغذى البدن لانهما لايتكونان فى الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم فى الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها هضما ثانيا فيحدث اخلاط اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين ويدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم يوزع الباقى على الاعضاء بحسبها فيجرى الى كل حقه

تعطهم (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) أى لطلب رزق تنتظره يأتيك فتعطيهم منه (فقل لهم قولا ميسورا) لينا سهلا بان تعدهم بالاعطاء عند مجيئ الرزق (ولاتجعل يدك مغلولة الى عنقك) اى لاتمسكها عن الانفاق كل المسك (ولاتبسطها) فى الانفاق (كل البسط فتقعد ملوما) راجع للاول (محسورا) منقطعا لاشئ عندك راجع للثانى (ان ربك يبسط الرزق) يوسعه (لمن يشاء ويقدر) يضيقه لمن يشاء (انه كان بعباده خبيرا بصيرا) عالما ببواطنهم وظواهرهم فيرزقهم على حسب مصالحهم (ولاتقتلوا اولادكم) بالوأد (خشية) مخافة (املاق) فقر (نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ) اثما (كبيرا) عظيما (ولاتقربوا الزنا) أبلغ من لاتأتوه (انه كان فاحشة) قبيحا (وساء) بئس (سبيلا) طريقا هو (ولاتقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ومن

على مايليق به بتقدير العليم الحكيم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاد البرودة والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه الى الضروع فيبيض بمجاورة لحومها الغددية البيض فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله تعالى فى احداث الاخلاط والالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفة فيها كل وقت على مايليق به اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهى رحمته ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض مافى بطونها والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذى يبتدئ منه الاسقاء وهى متعلقة بنسقيكم او حال من لبنا قدمت عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة (خالصا) صافيا لا يستصحب لون الدم ولا رائحة الفرث او مصفى عما تصحبه من الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه (سائغا للشاربين) سهل المرور فى حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف (ومن ثمرات النخيل والاعناب) متعلق بمحذوف اى ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اى من عصيرها وقوله (تتخذون منه سكرا) استئناف لبيان الاسقاء او بتتخذون ومنه تكرير للظرف تأكيدا او خبر لمحذوف صفته تتخذون اى ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف الذى هو العصير اولان الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر سمى به الخمر (ورزقا حسنا) كالتمر والزبيب والدبس والخل والآية ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم قال * جعلت اعراض الكرام سكرا * اى تنقلت باعراضهم وقيل مايسد الجوع من السكر فيكون الرزق مايحصل من اثمانه (ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون) يستعملون عقولهم بالنظر والتأمل فى الآيات (واوحى ربك الى النحل) الهمها وقذف فى قلوبها وقرئ الى النحل بفتحتين (ان اتخذى) بان اتخذى ويجوز ان تكون ان مفسرة لان فى الايحاء معنى القول وتأنيث الضمير على المعنى فان النحل مذكر (من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) ذكر بحرف التبعيض لانها لاتبنى فى كل جبل وكل شجر وكل مايعرش من كرم اوسقف ولا فى كل مكان منها وانما سمى ماتبنيه ليتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة التى لايقوى عليها حذاق

قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه) لوارثه (سلطانا) تسلطا على القاتل (فلا يسرف) يتجاوز الحد (فى القتل) بان يقتل غير قاتله أو بغير ماقتل به (انه كان منصورا ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد) اذا عاهدتم الله أو الناس (أن العهد كان مسؤلا) عنه (وأوفوا الكيل) أتموه (اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم) الميزان السوى (ذلك خير وأحسن تأويلا) مآلا (ولا تقف) تتبع (ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد) القلب (كل أولئك كان عنه مسؤلا) صاحبه ماذا فعل به (ولا تمش فى الارض مرحا) أى ذامرح بالكبر والخيلاء (انك لن تخرق الارض) تنقبها حتى تبلغ آخرها بكبرك (ولن تبلغ الجبال طولا) المعنى انك لاتبلغ هذا المبلغ فكيف تختال (كل ذلك) المذكور (كان سيئه عند ربك مكروها ذلك مما أوحى

المهندسين الا بآلات وانظار دقيقة ولعل ذكره للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا بكسر الباء لاجل الياء وقرأ ابن عامر وابو بكر يعرشون بكسر الراء (ثم كلى من كل الثمرات) من كل ثمرة تشتهيها مرها وحلوها (فاسلكى) ما اكلت (سبل ربك) فى مسالكه التى يحيل (٢) فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكى الطرق التى الهمك فى عمل العسل او فاسلكى راجعة الى بيوتك سبل ربك لاتتوعر عليك ولا تلتبس (ذللا) جمع ذلول وهى حال من السبل اى مذللة ذللها الله تعالى وسهلها لك او من الضمير فى اسلكى اى وانت ذليل منقادة لما امرت به (يخرج من بطونها) كأنه عدل به عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم (شراب) يعنى العسل لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل تأكل الازهار والاوراق العطرة فتستحيل فى باطنها عسلا ثم تقئ ادخارا للشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها فى بيوتها ادخارا فاذا اجتمع فى بيوتها شئ كثير منها كان العسل فسر البطون بالافواه (مختلف الوانه) ابيض واصفر واحمر واسود بسبب اختلاف سن النحل والفصل (فيه شفاء للناس) اما بنفسه كما فى الامراض البلغمية او مع غيره كما فى سائر الامراض اذ قلما يكون معجون الا والعسل جزء منه مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم وعن قتادة ان رجلا اتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان اخى يشتكى ببطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله تعالى فبرئ فكأنما انشط من عقال وقيل الضمير للقرآن اولما بين الله من احوال النحل (ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) فان من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لا بد له من خالق قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه (والله خلقكم ثم يتوفاكم) بآجال مختلفة (ومنكم من يرد) يعاد (الى ارذل العمر) اخسه يعنى الهرم الذى يشابه الطفولية فى نقصان القوة والعقل وقيل هو خمس وتسعون سنة وقيل خمس وسبعون سنة (لكيلا يعلم بعد علم شيئا) ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية فى النسيان وسوء الفهم (ان الله عليم) بمقادير اعمارهم (قدير) يميت الشاب النشيط ويبقى الهرم الفانى وفيه تنبيه

اليك) يا محمد (ربك من الحكمة) الوعظة (ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا) مطرودا عن رحمة الله (أفأصفاكم) أخلصكم يا أهل مكة (ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا) بنات لنفسه بزعمكم (انكم لتقولون) بذلك (قولا عظيما ولقد صرفنا) بينا (فى هذا القرآن) من الامثال والوعد والوعيد (ليذكروا) يتعظوا (وما يزيدهم) ذلك (الا نفورا) عن الحق (قل) لهم (لوكان معه) أى الله (آلهة كما يقولون اذا لابتغوا) طلبوا (الى ذى العرش) أى الله (سبيلا) ليقاتلوه (سبحانه) تنزيها لله (وتعالى عما يقولون) من الشركاء (علوا كبيرا تسبح له) تنزهه (السموات السبع والارض ومن فيهن وان) ما (من شئ) من المخلوقات (الا يسبح) ملتبسا (بحمده) اى يقول سبحان الله وبحمده (ولكن لا تفقهون) تفهمون (تسبيحهم) لانه ليس بلغتكم

(٢) يحيل نسخه

(انه كان حليما غفورا) حيث لم يعاجلكم بالعقوبة (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك و بين الذين لايؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) أى ساترا لك عنهم فلا يرونك نزل فيمن أراد الفتك به صلى الله عليه وسلم (وجعلنا على قلوبهم أكنة) أغطية (أن يفقهوه) من أن يفهموا القرآن اى فلا يفهمونه (وفى آذانهم وقرا) ثقلا فلا يسمعونه (واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا) عنه (نحن اعلم بما يستمعون به) بسببه من الهزء (اذ يستمعون اليك) قراءتك (واذهم نجوى) يتناجون بينهم اى يتحدثون (اذ) بدل من اذ قبله (يقول الظالمون) فى تناجيهم (ان) ما (تتبعون الا رجلا مسحورا) مخدوعا مغلوبا على عقله قال تعالى (انظر كيف ضربوا لك الامثال) بالمسحور والكاهن والشاعر (فضلوا) بذلك عن الهدى (فلا يستطيعون سبيلا) طريقا اليه (وقالوا) منكرين للبعث (أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون

على ان تفاوت آجال الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولوكان ذلك مقتضى الطباع لم يبلغ التفاوت الى هذا المبلغ (والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق) فمنكم غنى و منكم فقير ومنكم موالى يتولون رزقهم ورزق غيرهم و منكم مماليك حالهم على خلاف ذلك (فما الذين فضلوا برادى رزقهم) بمعطى رزقهم (على ماملكت ايمانهم) على مماليكهم فانما يردون عليهم رزقهم الذى جعله الله تعالى فى ايديهم (فهم فيه سواء) فالموالى والمماليك سواء فى ان الله رزقهم فالجملة لازمة للجملة المنفية اومقررة لها ويجوز ان تكون واقعة موقع الجواب كأنه قيل فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ماملكت ايمانهم فيستووا فى الرزق على انه رد وانكار على المشركين فانهم يشركون بالله بعض مخلوقاته فى الالوهية ولا يرضون ان نشاركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيساووهم فيه (افبنعمة الله يجحدون) حيث يتخذون له شركاء فانه يقتضى ان يضاف اليهم بعض ماانعم الله عليهم ويجحدوا انه من عندالله اوحيث انكروا امثال هذه الحجج بعدما انعم الله عليهم بايضاحها والباء لتضمين الجحود معنى الكفر وقرأ ابو بكر تجحدون بالتاء لقوله تعالى خلقكم وفضل بعضكم (والله جعل لكم من انفسكم ازواجا) اى من جنسكم لتأنسوا بها ولتكون اولادكم مثلكم وقيل هو خلق حواء من آدم (وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة) واولاد اولاد وبنات فان الحافد هو المسرع فى الخدمة والبنات يخدمن فى البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان على البنات وقيل الربائب ويجوز ان يراد بها البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين (ورزقكم من الطيبات) من اللذائذ اومن الحلالات ومن للتبعيض فان المرزوق فى الدنيا انموذج منها (افبالباطل يؤمنون) وهو ان الاصنام تنفعهم اوان من الطيبات مايحرم عليهم كالبحائر والسوائب (وبنعمة الله هم يكفرون) حيث اضافوا نعمه الى الاصنام او حرموا مااحل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل اما للاهتمام اولايهام التخصيص مبالغة اوللمحافظة على الفواصل (ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا) من مطر ونبات ورزقا ان جعلته مصدرا فشيئا منصوب به والا فبدل منه (ولا يستطيعون) ان يتملكوه اذ لا استطاعة لهم اصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده فى ما لا يملك لان ما مفرد فى معنى الآلهة ويجوز ان يعود الى

(الكفار)

الكفار اى ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون شيئا من ذلك فكيف بالجماد (فلا تضربوا لله الامثال) فلا تجعلوا له مثلا تشركونه به او تقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال (ان الله يعلم) فساد ماتعولون عليه من القياس على ان عبادة عبيد الملك ادخل فى التعظيم من عبادته اوعظم جرمكم فيما تفعلون (وانتم لاتعلمون) ذلك ولو علمتموه لما جرأتم عليه فهو تعليل للنهى او انه يعلم كنه الاشياء وانتم لاتعلمونه فدعوا رأيكم دون نصه ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال فانه يعلم كيف تضرب الامثال وانتم لاتعلمون ثم علمهم كيف تضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لايقدر على شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون) مثل مايشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف رأسا ومثل نفسه بالحر المالك الذى رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء واحتج بامتناع الاشراك والتسوية بينهما مع تشاركهما فى الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الاصنام التى هى اعجز المخلوقات وبين الله الغنى القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوك للتمييز من الحر فانه ايضا عبدالله وسلب القدرة للتمييز عن المكاتب والمأذون وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على ان المملوك لا يملك والاظهر ان من نكرة موصوفة لتطابق عبدا وجمع الضمير فى يستوون لانه للجنس فان المعنى هل يستوى الاحرار والعبد (الحمد لله) كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة لانه مولى النعم كلها (بل اكثرهم لايعلمون) فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لاجلها (وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم) ولد اخرس لايفهم ولايفهم (لايقدر على شئ) من الصنائع والتدابير لنقصان عقله (وهو كل على مولاه) عيال وثقل على من يلى امره (اينما يوجهه) حيث مايرسله مولاه فى امر وقرئ يوجه على البناء للمفعول ويوجه بمعنى يتوجه كقوله * اينما اوجه الق سعد * وتوجه بلفظ الماضى (لا يأت بخير) بنجح وكفاية مهم (هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل) ومن هو منطيق فهم ذوكفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الشامل لمجامع الفضائل (وهو على صراط مستقيم) وهو فى نفسه على طريق مستقيم لايتوجه الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعى وانما قابل تلك الصفات بهذين

خلقا جديدا قل لهم (كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر فى صدوركم) يعظم عن قبول الحيوة فضلا عن العظام والرفات فلابد من ايجاد الروح فيكم (فسيقولون من يعيدنا) الى الحيوة (قل الذى فطركم) خلقكم (أول مرة) ولم تكونوا شيئا لان القادر على البدء قادر على الاعادة بل هى أهون (فسينغضون) يحركون (اليك رؤسهم) تعجبا (ويقولون) استهزاء (متى هو) اى البعث (قل عسى أن يكون قريبا يوم يدعوكم) يناديكم من القبور على لسان اسرافيل (فتستجيبون) فتجيبون دعوته من القبور (بحمده) بأمره وقيل وله الحمد (وتظنون ان) ما (لبثتم) فى الدنيا (الا قليلا) لهول ماترون (وقل لعبادى) المؤمنين (يقولوا) للكفار الكلمة (التى هى أحسن ان الشيطان ينزغ) يفسد (بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) بين العداوة والكلمة التى هى أحسن هى (ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم) بالتوبة والايمان

(أو ان يشأ) تعذيبكم (يعذبكم) بالموت على الكفر (وما أرسلناك عليهم وكيلا) فتجبرهم على الايمان وهذا قبل الامر بالقتال (وربك أعلم بمن فى السموات والارض) فيخصهم بماشاء على قدر أحوالهم (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) بتخصيص كل منهم بفضيلة كموسى بالكلام وابراهيم بالخلة ومحمد بالاسراء (وآتينا داود زبورا قل) لهم (ادعوا الذين زعمتم) أنهم آلهة (من دونه) كالملائكة وعيسى وعزير (فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) له الى غيركم (أولئك الذين يدعون) هم آلهة (يبتغون) يطلبون (الى ربهم الوسيلة) القربة بالطاعة (أيهم) بدل من واو يبتغون أى يبتغيها الذى هو (اقرب) اليه فكيف بغيره (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) كغيرهم فكيف تدعونهم آلهة (ان عذاب ربك كان محذورا وان) ما (من قرية) أريد أهلها (الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة) بالموت (أو معذبوها عذابا شديدا)

الوصفين لانهما كال مايقابلهما وهذا تمثيل ثان ضربه الله تعالى لنفسه والاصنام لابطال المشاركة بينه وبينها او للمؤمن والكافر (ولله غيب السموات والارض) يختص به علمه لايعلمه غيره وهو ماغاب فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا لهم ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيمة فان علمه غائب عن اهل السموات والارض (وما امر الساعة) وما امر قيام القيمة فى سرعته وسهولته (الا كلمح البصر) الا كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها (او هو اقرب) او امرها اقرب منه بان يكون فى زمان نصف تلك الحركة بل فى الآن الذى يبتدأ فيه فلله تعالى يحيي الخلائق دفعة ومايوجد دفعة كان فى آن واو للتخيير او بمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخى فهو عندالله كالشئ الذى تقولون فيه هو كلمح البصر او هو اقرب مبالغة فى استقرابه (ان الله على كل شئ قدير) فيقدر على ان يحيي الخلائق دفعة كما قدر ان احياهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال (والله اخرجكم من بطون امهاتكم) وقرأ الكسائى بكسر الهمزة على انه لغة اواتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها فى اهراق (لاتعلمون شيئا) جهالا مستصحبين جهل الجمادية (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) اداة تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم بمشاركات ومباينات بينها بتكرار الاحساس حتى تحصل لكم العلوم البديهية وتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها (لعلكم تشكرون) كى تعرفوا ما انعم الله عليكم طورا بعد طور فتشكرون (الم يروا الى الطير) قرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء على انه خطاب للعامة (مسخرات) مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المؤاتية له (فى جو السماء) فى الهواء المتباعد من الارض (ما يمسكهن) فيه (الا الله) فان ثقل جسدها يقتضى سقوطها ولاعلاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها (ان فى ذلك لآيات) تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها فى الهواء على خلاف طبعها (لقوم يؤمنون) لانهم هم المنتفعون بها (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) هى القباب المتخذة من الادم ويجوز ان يتناول والمتخذة من الوبر والصوف

(والشعر)

والشعر فانها من حيث انها نابتة على جلودها يصدق عليها انها من جلودها (تستخفونها) تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها (يوم ظعنكم) وقت ترحالكم ووضعها اوضربها (ويوم اقامتكم) وقت الحضر اوالنزول وقرأ الحجازيان والبصريان يوم ظعنكم بالفتح وهولغة فيه (ومن اصوافها واوبارها واشعارها) الصوف للضأن والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانها من جملتها (اثاثا) مايلبس ويفرش (ومتاعا) مايتجر به (الى حين) الى مدة من الزمان فانها لصلابتها تبقى مدة مديدة او الى حين مماتكم او الى ان تقضوا منه اوطار (والله جعل لكم مما خلق) من الشجر والجبل والابنية وغيرها (ظلالا) تتفؤن به حر الشمس (وجعل لكم من الجبال اكنانا) مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن (وجعل لكم سرابيل) ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها (تقيكم الحر) خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين اولأن وقاية الحر كانت اهم عندهم (وسرابيل تقيكم بأسكم) يعنى الدروع والجواشن والسربال يعم كل مايلبس (كذلك) كاتمام هذه النعم التى تقدمت (يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون) اى تنظرون فى نعمه فتؤمنون به اوتنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة اى تشكرون فتسلمون من العذاب اوتنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع (فان تولوا) اعرضوا ولم يقبلوا منك (فانما عليك البلاغ المبين) فلا يضرك فانما عليك البلاغ وقد بلغت وهذا من اقامة السبب مقام المسبب (يعرفون نعمة الله) اى يعرف المشركون نعمة الله التى عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبانها من الله (ثم ينكرونها) بعبادتهم غيرالمنعم بها وقولهم انها بشفاعة آلهتنا اوبسبب كذا وباعراضهم عن اداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة (واكثرهم الكافرون) الجاحدون عناد اوذكر الاكثر امالان بعضهم لم يعرفوا الحق لنقصان العقل اوالتفريط فى النظر اولم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه يقام مقام الكل كما فى قوله بل اكثرهم لايعلمون (ويوم نبعث من كل امة شهيدا) وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر (ثم لايؤذن للذين كفروا)

بالقتل وغيره (كان ذلك فى الكتاب) اللوح المحفوظ (مسطورا) مكتوبا (وما منعنا أن نرسل بالآيات) التى اقترحها أهل مكة (الا أن كذب بها الاولون) لما أرسلناها فاهلكناهم ولو أرسلناها الى هؤلاء لكذبوا بها واستحقوا الاهلاك وقد حكمنا بامهالهم لاتمام امر محمد (وآتينا ثمود الناقة) آية (مبصرة) بينة واضحة (فظلموا) كفروا (بها) فاهلكوا (ومانرسل بالآيات) المعجزات (الاتخويفا) للعباد فيؤمنوا (و) اذكر (اذقلنالك ان ربك أحاط بالناس) علما وقدرة فهم فى قبضته فبلغهم ولاتخف أحدا فهو يعصمك منهم (وماجعلنا الرؤيا التى أريناك) عيانا ليلة الاسراء (الافتنة للناس) أهل مكة اذكذبوا بها وارتد بعضهم لما أخبرهم بها (والشجرة الملعونة فى القرآن) وهى الزقوم التى تنبت فى اصل الجحيم جعلناها فتنة لهم اذقالوا النار تحرق الشجر فكيف تنبته (ونخوفهم) بها (فما يزيدهم) تخويفا (الاطغيانا كبيرا و) اذكر

(اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) سجود تحية بالانحناء (فسجدوا الا أبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا) نصب بنزع الخافض أى من طين (قال أرأيتك) اى اخبرنى (هذا الذى كرمت) فضلت (على) بالامر بالسجود له وأنا خير منه خلقتنى من نار (لئن) لام قسم (اخرتن الى يوم القيمة لاحتنكن) لاستأصلن (ذريته) بالاغواء (الاقليلا) منهم ممن عصمته (قال) تعالى له (اذهب) منظرا الى وقت النفخة الاولى (فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم) أنت وهم (جزاء موفورا) وافرا كاملا (واستفزز) استخف (من استطعت منهم بصوتك) بدعائك بالغناء والمزامير وكل داع الى المعصية (وأجلب) صح (عليهم بخيلك ورجلك) وهم الركاب والمشاة فى المعاصى (وشاركهم فى الاموال) المحرمة كالربوا والغصب (والاولاد) من الزنا (وعدهم) بان لابعث ولاجزاء (وما يعدهم الشيطان) بذلك

فى الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل الرجوع الى الدنيا وثم لزيادة مايحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقناط الكلى على مايمنون به من شهادة الانبياء عليهم (ولاهم يستعتبون) ولاهم يسترضون من العتبى وهى الرضى وانتصاب يوم بمحذوف تقديره اذكراو خوفهم اويحيق بهم مايحيق وكذا قوله (واذا رأى الذين ظلموا العذاب) عذاب جهنم (فلايخفف عنهم) اى العذاب (ولاهم ينظرون) يمهلون (واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم) اوثانهم التى دعوها شركاء اوالشياطين الذين شاركوهم فى الكفر بالحمل عليه (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كناندعو من دونك) نعبدهم او نطيعهم وهواعتراف بانهم كانوا مخطئين فى ذلك اوالتماس بان يشطر عذابهم (فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون) اى اجابوهم بالتكذيب فى انهم شركاء الله اوانهم ما عبدوهم حقيقة وانما عبدوا اهواءهم لقوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ولايمتنع انطاق الله الاصنام به حينئذ او فى انهم حملوهم على الكفر والزموهم اياه كقوله وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى (والقوا) والقى الذين ظلموا (الى الله يؤمئذ السلم) الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار فى الدنيا (وضل عنهم) وضاع عنهم وبطل (ماكانوا يفترون) من ان آلهتهم تنصرونهم وتشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر (زدناهم عذابا) لصدهم (فوق العذاب) المستحق بكفرهم (بما كانوا يفسدون) بكونهم مفسدين بصدهم (ويوم نبعث فى كل امة شهيدا عليهم من انفسهم) يعنى نبيهم فان نبى كل امة بعث منهم (وجئنابك) يامحمد (شهيدا على هؤلاء) على امتك (ونزلنا عليك الكتاب) استئناف اوحال باضمار قد (تبيانا) بليغا (لكل شئ) من امور الدين على التفصيل او الاجمال بالاحالة الى السنة او القياس (وهدى ورحمة) للجميع وانما حرمان المحروم من تفريطه (وبشرى للمسلمين) خاصة (ان الله يأمر بالعدل) بالتوسط فى الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبروالقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير (والاحسان) احسان الطاعات وهواما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل

(واما)

واما بحسب الكيفية كما قال عليه الصلوة والسلام الاحسان ان تعبدالله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك (وايتاء ذى القربى) واعطاء الاقارب مايحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة (وينهى عن الفحشاء) عن الافراط فى متابعة القوة الشهوية كالزنى فانه اقبح احوال الانسان واشنعها (والمنكر) ماينكر على متعاطيه فى اثارة القوة الغضبية (والبغى) والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم فانها الشيطنة التى هى مقتضى القوة الوهمية ولايوجد من الانسان شر الا هو مندرج فى هذه الاقسام صادر بتوسط احدى هذه القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه هى اجمع آية فى القرآن للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون رضى الله تعالى عنه ولولم يكن فى القرآن غيرهذه الآية لصدق عليه انه تبيان لكل شئ وهدى ورحمة للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه (يعظكم) بالامر والنهى والميز بين الخير والشر (لعلكم تذكرون) تتعظون (واوفوا بعهدالله) يعنى البيعة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الاسلام لقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به ولايلائمه قوله (اذا عاهدتم) وقيل النذر وقيل الايمان بالله (ولاتنقضوا الايمان) ايمان البيعة اومطلق الايمان (بعدتوكيدها) بعد توثيقها بذكر الله تعالى ومنه اكدبقلب الواو همزة (وقدجعلتم الله عليكم كفيلا) شاهدا بتلك البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه (ان الله يعلم ماتفعلون) فى نقض الايمان والعود (ولاتكونوا كالتى نقضت غزلها) ماغزلته مصدر بمعنى المفعول (من بعدقوة) متعلق بنقضت غزلها من بعد ابرام واحكام (انكاثا) طاقات نكثت فتلها جمع نكث وانتصابه على الحال من غزلها او المفعول الثانى لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شانه وقيل هى ريطة بنت سعد ابن تيم القرشية فانها كانت خرقاء تفعل ذلك (تتخذون ايمانكم دخلا بينكم) حال من الضمير فى ولاتكونوا اوفى الجار الواقع الخبر اى ولاتكونوا مشبهين بامرأة هذا شانها متخذى ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل مايدخل الشئ ولم يكن منه (ان تكون امة هى اربى من امة) بان تكون جماعة ازيد عددا واوفر مالا من جماعة والمعنى لاتغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم اولكثرة منابذتهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذارأوا

الاغرورا) باطلا (ان عبادى) المؤمنين (ليس لك عليهم سلطان) تسلط وقوة (وكفى بربك وكيلا) حافظا لهم منك (ربكم الذى يزجى) يجرى (لكم الفلك) السفن (فى البحر لتبتغوا) تطلبوا (من فضله) تعالى بالتجارة (انه كان بكم رحيما) فى تسخيرها لكم (واذا مسكم الضر) الشدة (فى البحر) خوف الغرق (ضل) غاب عنكم (من تدعون) تعبدون من الآلهة فلا تدعونه (الا اياه) تعالى فانكم تدعونه وحده لانكم فى شدة لايكشفها الاهو (فلما نجاكم) من الغرق وأوصلكم (الى البر أعرضتم) عن التوحيد (وكان الانسان كفورا) جحود النعم (أفأمنتم أن نخسف بكم جانب البر) اى الارض كقارون (أونرسل عليكم حاصبا) اى نرميكم بالحصباء كقوم لوط (ثم لاتجدوا لكم وكيلا) حافظا منه (أم أمنتم أن نعيدكم فيه) اى البحر (تارة) مرة (أخرى فنرسل عليكم قاصفا من الريح) اى ريحا شديدة لاتمر بشئ الا قصفته فتكسر فلككم

شوكة فى اعادى خلفائهم نقضوا عهدهم وخالفوا اعداءهم (انما يبلوكم الله به) الضمير لان تكون امة لانه بمعنى المصدر اى يختبركم بكونكم اربى لينظر أتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير للاربى وقيل للامر بالوفاء (وليبين لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون) اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب (ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة) متفقة على الاسلام (ولكن يضل من يشاء) بالخذلان (ويهدى من يشاء) بالتوفيق (ولتسألن عما كنتم تعملون) سؤال تبكيت ومجازاة (ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم) تصريح بالنهى عنه بعد التضمين تأكيدا او مبالغة فى قبح المنهى (فتزل قدم) اى محجة الاسلام (بعد ثبوتها) عليها والمراد اقدامهم وانما وحد ونكر للدلالة على ان زلل قدم واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة (وتذوقوا السوء) العذاب فى الدنيا (بما صددتم عن سبيل الله) بسبب صدودكم عن الوفاء او صدكم غيركم عنه فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره (ولكم عذاب عظيم) فى الآخرة (ولا تشتروا بعهد الله) ولا تستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله (ثمنا قليلا) عوضا (٢) يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون لضعاف المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد (ان ما عند الله) من النصر والتغنيم فى الدنيا والثواب فى الآخرة (هو خير لكم) مما يعدونكم (ان كنتم تعلمون) ان كنتم من اهل العلم والتمييز (ما عندكم) من اعراض الدنيا (ينفد) ينقضى ويفنى (وما عند الله) من خزائن رحمته (باق) لا ينفد وهو تعليل للحكم السابق ودليل على ان نعيم الجنة باق (ولنجزين الذين صبروا اجرهم) على الفاقة واذى الكفار او على مشاق التكليف وقرأ ابن كثير وعاصم بالنون (باحسن ما كانوا يعملون) بما ترجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بجزاء احسن من اعمالهم (من عمل صالحا من ذكر او انثى) بينه بالنوعين دفعا للتخصيص (وهو مؤمن) اذ لا اعتداد باعمال الكفرة فى استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف العقاب (فلنحيينه حيوة طيبة) فى الدنيا يعيش عيشا طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا كان يطيب عيشه بالقناعة والرضى بالقسمة وتوقع الاجر العظيم فى الآخرة بخلاف الكافر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا لم يدع الحرص وخوف الفوات

(فنغرقكم بما كفرتم) بكفركم (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) ناصرا وتابعا يطالبنا بما فعلنا بكم (ولقد كرمنا) فضلنا (بنى آدم) بالعلم والنطق واعتدال الخلق وغير ذلك ومنه طهارتهم بعد الموت (وحملناهم فى البر) على الدواب (والبحر) على السفن (ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا) كالبهائم والوحوش (تفضيلا) فمن بمعنى ما أو على بابها وتشمل الملائكة والمراد تفضيل الجنس ولا يلزم تفضيل أفراده اذهم أفضل من البشر غير الأنبياء اذكر (يوم ندعو كل أناس بامامهم) نبيهم فيقال يا أمة فلان أو بكتاب أعمالهم فيقال يا صاحب الخير يا صاحب الشر وهو يوم القيمة (فمن أوتى) منهم (كتابه بيمينه) وهم السعداء أولو البصائر فى الدنيا (فأولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون) ينقصون من أعمالهم (فتيلا) قدر قشرة النواة (ومن كان فى هذه) اى الدنيا (أعمى) عن الحق (فهو فى الآخرة أعمى) عن طريق النجاة وقراءة

(٢) عرضا نسخه

ان يتهنأ بعيشه وقيل فى الآخرة ﴿ ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون ﴾ من الطاعة ﴿فاذا قرأت القرآن ﴾ اذا اردت قراءته كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة ﴿ فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ فاسأل الله ان يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك فى القراءة والجمهور على انه للاستحباب وفيه دليل على ان المصلى يستعيذ فى كل ركعة لان الحكم المترتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل وعن ابن مسعود قرأت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ ﴿ انه ليس له سلطان ﴾ تسلط وولاية ﴿ على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ على اولياء الله تعالى المؤمنين به والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون اوامره ولا يقبلون وساوسه الا فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة فذكر السلطنة بعد الامر بالاستعاذة لئلا يتوهم منه ان له سلطانا ﴿ انما سلطانه على الذين يتولونه ﴾ يحبونه ويطيعونه ﴿والذين هم به ﴾ بالله او بسبب الشيطان ﴿ مشركون واذا بدلنا آية مكان آية ﴾ بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظا او حكما ﴿ والله اعلم بما ينزل ﴾ من المصالح فلعل ما يكون مصلحة فى وقت يصير مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة الآن فيثبته مكانه وقرأ ابن كثير وابو عمرو ينزل بالتخفيف ﴿قالوا﴾ اى الكفرة ﴿ انما انت مفتر ﴾ متقول على الله تأمر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه وهو جواب اذا والله اعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز ان يكون حالا ﴿بل اكثرهم لا يعلمون﴾ حكمة الاحكام ولا يميزون الخطأ من الصواب ﴿ قل نزله روح القدس ﴾ يعنى جبريل عليه السلام واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود وقرأ ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفى ينزل ونزله تنبيه على انزاله متدرجا على حسب المصالح بما يقتضى التبديل ﴿ من ربك بالحق ﴾ ملتبسا بالحكمة ﴿ ليثبت الذين آمنوا ﴾ على الايمان بانه كلامه وانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم ﴿ وهدى

القرآن ﴿وأضل سبيلا﴾ أبعد طريقا عنه ونزل فى ثقيف وقد سألوه صلى الله عليه وسلم ان يحرم واديهم وألحوا عليه ﴿وان﴾ مخففة ﴿كادوا﴾ قاربوا ﴿ليفتنونك﴾ ليستنزلونك ﴿ عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذا ﴾ لو فعلت ذلك ﴿ لاتخذوك خليلا ولولا أن ثبتناك ﴾ على الحق بالعصمة ﴿لقد كدت﴾ قاربت ﴿ تركن ﴾ تميل ﴿ اليهم شيئا ﴾ ركونا ﴿ قليلا ﴾ لشدة احتيالهم والحاحهم وهو صريح فى أنه صلى الله عليه وسلم لم يركن ولا قارب ﴿اذا﴾ لو ركنت ﴿ لاذقناك ضعف ﴾ عذاب ﴿الحيوة وضعف﴾ عذاب ﴿الممات﴾ اى مثلى ما يعذب غيرك فى الدنيا والآخرة ﴿ ثم لاتجد لك علينا نصيرا ﴾ مانعا منه ونزل لما قال له اليهود ان كنت نبيا فالحق بالشام فانها أرض الانبياء ﴿ وان ﴾ مخففة ﴿ كادوا ليستفزونك من الارض ﴾ أرض المدينة ﴿ ليخرجوك منها واذا ﴾ لو أخرجوك ﴿لايلبثون خلفك﴾ فيها ﴿الا قليلا ﴾ ثم يهلكون ﴿ سنة

من قد أرسلنا قبلك من رسلنا اى كسنتنا فيهم من اهلاك من أخرجهم (ولاتجد لسنتنا تحويلا) تبديلا (أقم الصلوة لدلوك الشمس) اى من وقت زوالها (الى غسق الليل) اقبال ظلمته اى الظهر والعصر والمغرب والعشاء (وقرآن الفجر صلوة) الصبح (ان قرآن الفجر كان مشهودا) تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار (ومن الليل فتهجد) فصل (به) بالقرآن (نافلة لك) فريضة زائدة لك دون أمتك أو فضيلة على الصلوات المفروضة (عسى أن يبعثك) يقيمك (ربك) فى الآخرة (مقاما محمودا) يحمدك فيه الاولون والآخرون وهو مقام الشفاعة فى فصل القضاء ونزل لما أمر بالهجرة (وقل رب أدخلنى) المدينة (مدخل صدق) ادخالا مرضيا لأرى فيه ما اكره (وأخرجنى) من مكة (مخرج صدق) اخراجا لاألتفت بقلبى اليها (واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا) قوة تنصرنى بها على اعدائك (وقل) عند دخولك مكة

وبشرى للمسلمين) المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت اى تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف (ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر) يعنون جبر الرومى غلام عامر بن الحضرمى وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التورية والانجيل وكان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يمر عليهما ويسمع مايقرآنه وقيل عائشا غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسى (لسان الذى يلحدون اليه اعجمى) لغة الرجل الذى يميلون قولهم عن الاستقامة اليه مأخوذ من لحد القبر وقرأ حمزة والكسائى يلحدون بفتح الياء والحاء لسان اعجمى غير بين (وهذا) وهذا القرآن (لسان عربى مبين) ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان لابطال طعنهم وتقريره يحتمل وجهين احدهما ان مايسمعه منه كلام اعجمى لايفهمه هو ولاانتم والقرآن عربى تفهمونه بادنى تأمل فكيف يكون ماتلقفه منه وثانيهما هب انه يفهم منه المعنى باستماع كلامه ولكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذاك اعجمى وهذا عربى والقرآن كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم الكثيرة التى فى القرآن لايمكن تعلمها الا بملازمة معلم فائق فى تلك العلوم مدة متطاولة فكيف تعلم جميع ذلك من غلام سوقى سمع منه بعض اوقات مروره عليه كلمات اعجمية لعلهما لم يعرفا معناها وطعنهم فى القرآن بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم (ان الذين لايؤمنون بآيات الله) لايصدقون انها من عند الله (لايهديهم الله) الى الحق اوالى سبيل النجاة وقيل الى الجنة (ولهم عذاب اليم) فى الآخرة هددهم على كفرهم بالقرآن بعدما اماط شبهتهم ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال (انما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله) لانهم لايخافون عقابا يردعهم عنه (واولئك) اشارة الى الذين كفروا او الى قريش (هم الكاذبون) اى الكاذبون على الحقيقة او الكاملون فى الكذب لان تكذيب آيات الله والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب اوالذين عادتهم الكذب ولايصرفهم عنه دين ولامروءة اوالكاذبون فى قولهم انما انت مفتر انما يعلمه بشر (من كفر بالله من بعد ايمانه) بدل من الذين لايؤمنون ومابينهما اعتراض او من اولئك اومن الكاذبون او مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب

(اوذم)

اوذم مرفوع اومنصوب اوشرط محذوف الجواب (الامن اكره)
على الافتراء اوكلمة الكفر استثناء متصل لان الكفر لغة يعم القول والعقد
كالايمان (وقلبه مطمئن بالايمان) لم تتغير عقيدته وفيه دليل على ان الايمان
هو التصديق بالقلب (ولكن من شرح بالكفر صدرا) اعتقده وطاب به
نفسا (فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) اذ لا اعظم من جرمه
روى ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا
سمية بين بعيرين ووجئ بحربة فى قلبها وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال
فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين فى الاسلام واعطاهم عمار بلسانه
ماارادوا مكرها فقيل يارسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا
من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يبكى فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه فقال
مالك ان عادوا لك فعدلهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند
الاكراه وان كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه لما روى
ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ماتقول فى محمد قال رسول الله قال فما
تقول فى فقال انت ايضا فخلاه وقال للآخر ماتقول فى محمد قال رسول الله
قال فما تقول فى قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثانى
فقد صدع بالحق فهنيئاله (ذلك) اشارة الى الكفر بعد الايمان اوالوعيد (بانهم
استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة) بسبب انهم آثروها عليها (وان الله لايهدى
القوم الكافرين) اى الكافرين فى علمه الى مايوجب ثبات الايمان ولا يعصمهم
من الزيغ (اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم) فأبت
عن ادراك الحق والتأمل فيه (اولئك هم الغافلون) الكاملون فى الغفلة
عمايراد بهم اذا غفلتهم الحالة الراهنة عن تدبر العواقب (لاجرم انهم
فى الآخرة هم الخاسرون) اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم
الى العذاب المخلد (ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد مافتنوا) اى عذبوا
كعمار رضى الله تعالى عنه بالولاية والنصر وثم لتباعد حال هؤلاء عن حال
اولئك وقرأ ابن عامر فتنوا بالفتح اى بعد ماعذبوا المؤمنين كالحضرمى
اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا (ثم جاهدوا وصبروا)
على الجهاد وما اصابهم من المشاق (ان ربك من بعدها) من بعد الهجرة

جاء الحق) الاسلام (وزهق
الباطل) بطل الكفر
(ان الباطل كان زهوقا)
مضمحلا زائلا وقد دخلها
صلى الله عليه وسلم وحول البيت
ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها
بعود فى يده ويقول ذلك حتى
سقطت رواه الشيخان (وننزل
من) للبيان (القرآن ماهو
شفاء) من الضلالة (ورحمة
للمؤمنين) به (ولا يزيد الظالمين)
الكافرين (الاخسارا)
لكفرهم به (واذا انعمنا
على الانسان) الكافر
(اعرض) عن الشكر
(ونأى بجانبه) ثنى عطفه
متبخترا (واذا مسه الشر)
الفقر والشدة (كان يؤسا)
قنوطا من رحمة الله (قل
كل) منا ومنكم (يعمل
على شاكلته)طريقته (فربكم
اعلم بمن هو اهدى سبيلا)
طريقا فيثيبه (ويسألونك)
اى اليهود (عن الروح)
الذى يحيا به البدن (قل)
لهم (الروح من امر ربى)
اى علمه لاتعلمونه (وما اوتيتم
من العلم الاقليلا) بالنسبة
الى علمه تعالى (ولئن) لام

والجهاد والصبر (لغفور) بمـا فعلوا قبل (رحيم ينعم عليهم مجازاة على
ماصنعوا بعد (يوم تأتى كل نفس) منصوب برحيم اوباذكر (تجـادل
عن نفسها) تجـال عن ذاتهـا وتسعى فى خلاصها لايهمها شأن غيرهـا
فتقول نفسى نفسى (وتوفى كل نفس ماعملت) جزاء ماعملت (وهم
لايظلمون) لاينقصون اجورهم (وضرب الله مثلا قرية) اى وجعلها
مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فانزل الله بهم النقمة
اولمكة (كانت آمنة مطمئنة) لايزعج اهلها خوف (يأتيها رزقها) اقواتها
(رغدا) واسعا (من كل مكان) من نواحيهـا (فكفرت بانعم الله)
بنعمـه جمع نعمة على ترك الاعتـداد بالتـاء كدرع وادرع اوجمع نعم
كبؤس وابؤس (فاذاقهـا الله لبـاس الجوع والخوف) استعارا لذوق
لادراك اثرالضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف
واوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعارله كقوله كثير * غمر الرداء اذا تبسم
ضاحكا * غلقت لضحكته رقاب المال * فانه استعار الرداء للمعروف لانه
يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه واضاف اليه الغمر الذى
هووصف المعروف والنوال لاوصف الرداء نظرا الى المستعارله وقد ينظر
الى المستعار كقول * ينازعنى ردائى عبدعمرو * رويدك ياأخاعمرو بن بكر *
الى الشطر الذى ملكت يمينى * ودونك فاعتجر منه بشطر * استعار الرداء
لسيفه ثم قال فاعتجر نظرا الى المسـتعار (بما كانوا يصنعون) بصنيعهم
(ولقد جاءهم رسول منهم) يعنى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم والضمير
لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعدماذكر مثلهم (فكذبوه فاخذهم العذاب
وهم ظالمون) اى حال التباسهم بالظلم والعذاب مااصابهم من الجدب الشديد
اووقعة بدر (فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله)
امرهم باكل مااحل الله لهم وشكر ماانعم عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر
وهددهم عليه بماذكر من التمثيل والعذاب الذى حل بهم صدالهم عن صنيع
الجاهلية ومذاهبها الفـاسدة (ان كنتم اياه تعبدون) تطيعون اوان صح
زعمكم انكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادة (انما حرم عليكم الميتة والدم
ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولاعادل فان الله غفور
رحيم) لما امرهم بتناول مااحل لهم عدد عليهم محرماته ليعلم ان ماعداهـا
حل لهم ثم اكد ذلك بالنهى عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال (ولا تقولوا

قسم (شـئنا لنذهبن بالذى
اوحينا اليك) اى القرآن
بان نمحوه من الصـدور
والمصاحف (ثم لاتجدلك به
علينا وكيلا الا) لكن ابقيناه
(رحمـة من ربك ان فضله
كان عليـك كبيرا) عظيما
حيث انزله عليك واعطاك
المقـام المحمود وغير ذلك
من الفضائل (قل لئن اجتمعت
الانس والجن عـلى ان
يأتوا بمثل هـذا القرآن)
فى الفصاحة والبلاغة (لايأتون
بمثله ولوكان بعضهم لبعض
ظهيرا) معينا نزل ردا لقولهم
لو نشاء لقلنا مثل هذا (ولقد
صرفنا) بينا (للناس فى هذا
القرآن من كل مثل) صفة
لمحذوف اى مثلا من جنس
كل مثل ليتعظوا (فابى اكثر
الناس) اى اهل مكة (الا
كفورا) جحودا للحق (وقالوا
عطف على ابى (لن نؤمن
لك حتى تفجر لنا من الارض
ينبوعا عينا ينبع منها المـاء
(اوتكون لك جنة) بستان
(من نخيل وعنب فتفجر
الانهار خلالهـا) وسطها
(تفجيرا اوتسقط السماء
كما زعمت علينا كسفا) قطعـا

لماتصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام) كما قالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الآية ومقتضى سياق الكلام وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات فى الاجناس الاربعة الاماقيم عليه دليل كالسباع والحمر الاهلية وانتصاب الكذب بلاتقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه اومتعلق بتصف على ارادة القول اى ولاتقولوا الكذب لماتصف السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام اومفعول لاتقولوا والكذب منتصب بتصف ومامصدرية اى ولاتقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اى ولاتحرموا ولاتحولوا بمجرد قول تنطق به السنتكم من غيردليل ووصف السنتهم بالكذب مبالغة فى وصف كلامهم بالكذب كأن حقيقة الكذب كانت مجهولة والسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عد من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر بدلا مما والكذب جمع كذوب اوكذاب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذم اوبمعنى الكلم الكواذب (لتفتروا على الله الكذب) تعليل لايتضمن الغرض (ان الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون) لما كان المفترى يفترى لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله (متاع قليل) اى مايفترون لاجله اوماهم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب (ولهم عذاب اليم) فى الآخرة (وعلى الذين هادوا حرمنا ماقصصنا عليك) اى فى سورة الانعام فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر (من قبل) متعلق بحرمنا اوبقصصنا (وماظلمناهم) بالتحريم (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) حيث فعلوا ماعوقبوا به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم فى التحريم وانه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة (ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة) بسببها اوملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر فى العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء على الله وغيره (ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها) من بعدالتوبة (لغفور) لذلك السوء (رحيم) يثيب على الانابة (ان ابراهيم كان امة) لكماله واستجماعه فضائل لاتكاد توجد الامتفرقة فى اشخاص كثيرة كقوله وليس من الله بمستنكر * ان يجمع العالم فى واحد * وهو عليه السلام رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذى جادل فرق المشركين وابطل

(أو تأتى بالله والملائكة قبيلا) مقابلة وعيانا فنراهم (اويكون لك بيت من زخرف) ذهب (أوترقى) تصعد (فى السماء) بسلم (ولن نؤمن لرقيك) لو رقيت فيها (حتى تنزل علينا) منها (كتابا) فيه تصديقك (نقرؤه قل) لهم (سبحان ربى) تعجب (هل) ما(كنت الا بشرا رسولا) كسائر الرسل ولم يكونوا ياتوا باية الاباذن الله (ومامنع الناس أن يؤمنوا اذجاءهم الهدى الاان قالوا) اى قولهم منكرين (أبعث الله بشرا رسولا) ولم يبعث ملكا (قل لهم (لوكان فى الارض) بدل البشر (ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) اذلا يرسل الى قوم رسول الامن جنسهم ليمكنهم مخاطبته والفهم عنه (قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم) على صدقى (انه كان بعباده خبيرا بصيرا) عالما ببواطنهم وظواهرهم (ومن يهدالله فهوالمهتدومن يضلل فلن تجدلهم أولياء) يهدونهم (من دونه ونحشرهم

يوم القيمة) ماشين (على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت) سكن لهبها (زدناهم سعيرا) تلهبا واشتعالا (ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا) منكرين للبعث (أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا أولم يروا) يعلموا (أن الله الذى خلق السموات والارض) مع عظمهما (قادر على أن يخلق مثلهم) اى الاناسى فى الصغر (وجعل لهم أجلا) للموت والبعث (لاريب فيه فأبى الظالمون الا كفورا) جحودا له (قل) لهم (لوأنتم تملكون خزائن رحمة ربى) من الرزق والمطر (اذا لامسكتم) لبخلتم (خشية الانفاق) خوف نفادها بالانفاق فتفتقروا (وكان الانسان قتورا) بخيلا (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) واضحات وهى اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والسنين ونقص الثمرات (فاسأل) يا محمد (بنى اسرائيل) عنه سؤال تقرير للمشركين

مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره بتزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن فى النبوة وتحريم ما احله اولانه كان واحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل هى فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يؤمنونه للاستفادة ويقتدون بسيرته لقوله انى جاعلك للناس اماما (قانتا لله) مطيعا له قائما باوامره (حنيفا) مائلا عن الباطل (ولم يك من المشركين) كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون انهم على ملة ابراهيم صلوات الله عليه (شاكرا لانعمه) ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لايخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة (اجتباه) للنبوة (وهداه الى صراط مستقيم) فى الدعوة الى الله تعالى (وآتيناه فى الدنيا حسنة) بان حببه الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعمرا طويلا فى السعة والطاعة (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) لمن اهل الجنة كما سأله بقوله والحقنى بالصالحين (ثم اوحينا اليك) يا محمد وثم اما لتعظيمه والتنبيه على ان اجل ما اوتى ابراهيم عليه الصلوة والسلام اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ملته اولتراخى ايامه (ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا) فى التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد الدلائل مرة بعد اخرى والمجادلة مع كل احد على حسب فهمه (وما كان من المشركين) بل كان قدوة الموحدين (انما جعل السبت) تعظيم السبت والتخلى فيه للعبادة (على الذين اختلفوا فيه) اى على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى عليه السلام ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا الا طائفة منهم وقالوا نريد يوم السبت لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض فالزمهم الله السبت وشدد الامر عليهم وقيل معناه انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم ههنا لتهديد المشركين كذكر القرية التى كفرت بانعم الله تعالى (وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون) بالمجازاة على الاختلاف مجازاة كل فريق بما يستحقه (ادع) من بعثت اليهم (الى سبيل ربك) الى الاسلام (بالحكمة) بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة (والموعظة الحسنة) الخطابات المقنعة والعبر النافعة والاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم (وجادلهم) وجادل معانديهم (بالتى هى احسن) بالطريقة التى هى احسن طرق المجادلة

(من)

من الرفق واللين وايثار الوجه الايسر والمقدمات التى هى اشهر فان ذلك انفع فى تسكين لهبهم وتبيين شغبهم (ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) اى انما عليك البلاغ والدعوة واما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا عليك بل الله اعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازى لهم (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) لما امره بالدعوة وبين طرقها اشار اليه والى من شايعه بترك المخالفة ومراعاة العدل مع من يناصبهم فان الدعوة لا تنفك عنه من حيث انها تتضمن رفض العادات وترك الشهوات والقدح فى دين الاسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل انه عليه الصلوة والسلام لما رأى حمزة وقد مثل به قال والله لئن اظفرنى الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وفيه دليل على ان للمقتص ان يماثل الجانى وليس له ان يجاوزه وحث على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم فعاقبوا تصريحا على الوجه الآكد بقوله (ولئن صبرتم لهو) اى الصبر (خير للصابرين) من الانتقام للمنتقمين ثم صرح بالامر به لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم لانه اولى الناس به لزيادة علمه ووثوقه عليه فقال (واصبر وما صبرك الا بالله) الا بتوفيقه وتثبيته (ولا تحزن عليهم) على الكافرين او على المؤمنين وما فعل بهم (ولا تك فى ضيق مما يمكرون) فى ضيق صدر من مكرهم وقرأ ابن كثير فى ضيق بالكسر هنا وفى النمل وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز ان يكون الضيق تخفيف ضيق (ان الله مع الذين اتقوا) المعاصى (والذين هم محسنون) فى اعمالهم بالولاية والفضل او مع الذين اتقوا الله بتعظيم امره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه * عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه فى دار الدنيا وان مات فى يوم تلاها او ليلته كان له من الاجر كالذى مات واحسن الوصية

﴿ سورة بنى اسرائيل مكية وقيل الا قوله تعالى وان كادوا ليفتنونك الى آخر ثمان آيات وهى مائة وعشر آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(سبحان الذى اسرى بعبده ليلا) سبحان اسم بمعنى التسبيح الذى هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف قال * قد قلت لما جاءنى فخره * سبحان من علقمة الفاخر * وانتصابه بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد واسرى

على صدقك أو فقلنا له اسأل وفى قراءة بلفظ الماضى (اذ جاءهم فقال له فرعون انى لاظنك ياموسى مسحورا) مخدوعا مغلوبا على عقلك (قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء) الآيات (الا رب السموات والارض بصائر) عبرا ولكنك تعاند وفى قراءة بضم التاء (وانى لاظنك يافرعون مثبورا) هالكا أو مصروفا عن الخير (فاراد) فرعون (ان يستفزهم) يخرج موسى وقومه (من الارض) أرض مصر (فاغرقناه ومن معه جميعا وقلنا من بعده لبنى اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة) اى الساعة (جئنا بكم لفيفا) جميعا انتم وهم (وبالحق انزلناه) اى القرآن (وبالحق) المشتمل عليه (نزل) كما أنزل لم يعتره تبديل (وما أرسلناك) يا محمد (الا مبشرا) من آمن بالجنة (ونذيرا) من كفر بالنار (وقرآنا) منصوب بفعل يفسره (فرقناه) نزلناه مفرقا فى عشرين سنة أو ثلاث (لتقرأه على الناس على مكث) مهل وتؤدة ليفهموه

(ونزلناه تنزيلا) شيئا بعد شئ على حسب المصالح (قل) لكفار مكة (آمنوا به أولا تؤمنوا) تهديد لهم (ان الذين أوتوا العلم من قبله) قبل نزوله وهم مؤمنوا أهل الكتاب (اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا و يقولون سبحان ربنا) تنزيها له عن خلف الوعد (ان) مخففة (كان وعد ربنا) بنزوله وبعث النبي صلى الله عليه وسلم (لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون) عطف بزيادة صفة (ويزيدهم) القرآن (خشوعا) تواضعا لله وكان صلى الله عليه وسلم يقول ياألله يارحمن فقالوا ينهانا أن نعبد الهين وهو يدعوا الها آخر معه فنزل (قل) لهم (ادعوا الله اوادعوا الرحمن) اى سموه بايهما أونادوه بان تقولوا ياألله يارحمن (أيا) شرطية (ما) زائدة اى اى هذين (تدعوا) فهو حسن دل على هذا (فله) اى لمسماهما (الاسماء الحسنى) وهذان منها فانها كما فى الحديث الله الذى لااله الاهو الرحمن الرحيم الملك القدوس

وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء ولذلك قرئ من الليل اى بعضه كقوله ومن الليل فتهجد به (من المسجد الحرام) بعينه لما روى انه عليه الصلوة والسلام قال بينا انا فى المسجد الحرام فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ أتانى جبرائيل بالبراق او من الحرم وسماه المسجد الحرام لان كله مسجد اولانه محيط به ليطابق المبدأ المنتهى لما روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان نائما فى بيت ام هانئ بعد صلوة العشاء فاسرى به ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال مثل لى النبيون فصليت لهم ثم خرج الى المسجد الحرام واخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال الى ابى بكر رضى الله تعالى عنه فقال ان كان قال لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال انى لاصدقه على ابعد من ذلك فسمى الصديق واستنعته طائفة سافروا الى بيت المقدس فجلى له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون الى الثنية فصادفوا العير كما اخبرهم ثم لم يؤمنوا وقالوا ماهذا الاسحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف فى انه كان فى المنام او فى اليقظة بروحه او بجسده والاكثر على انه اسرى بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش منه واستحالوه والاستحالة مدفوعة بما ثبت فى الهندسة ان ما بين طرفى قرص الشمس ضعف مابين طرفى كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى فى اقل من ثانية وقد برهن فى الكلام ان الاجسام متساوية فى قبول الاعراض وان الله قادر على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة فى بدن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اوفى مايحمله والتعجب من لوازم المعجزات (الى المسجد الاقصى) بيت المقدس لانه حينئذ لم يكن وراءه مسجد (الذى باركنا حوله) ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحى ومتعبد الانبياء من لدن موسى عليه السلام ومحفوف بالانهار والاشجار (لنريه من آياتنا) كذهابه فى برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الانبياء عليهم الصلوة والسلام له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم

(تلك)

تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء (انه هو السميع) لاقوال محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (البصير) بافعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك (وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل ان لاتتخذوا) على ان لاتتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل وقرأ ابوعمرو بالياء على ان لايتخذوا (من دونى وكيلا) ربا تكلون اليه اموركم غيرى (ذرية من حملنا مع نوح) نصب على الاختصاص او النداء ان قرئ ان لاتتخذوا بالتاء على النهى يعنى قلنالهم لاتتخذوا من دونى وكيلا ياذرية من حملنا مع نوح اوعلى انه احد مفعولى لاتتخذوا ومن دونى حال من وكيلا فيكون كقوله ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اوبدل من واو تتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله تعالى عليهم فى انجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح عليه السلام فى السفينة (انه) ان نوحا عليه السلام (كان عبدا شكورا) يحمد الله تعالى على مجامع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عليه الصلوة السلام (وقضينا الى بنى اسرائيل) واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا (فى الكتاب) فى التورية (لتفسدن فى الارض) جواب قسم محذوف اوقضينا على اجراء القضاء المبتوت مجرى القسم (مرتين) افسادتين اولاهما مخالفة احكام التورية وقتل شعياء وثانيتهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم السلام (ولتعلن علوا كبيرا) ولتستكبرن عن طاعة الله تعالى اولتظلمن الناس (فاذا جاء وعد اولاهما) وعيد عقاب اولاهما (بعثنا عليكم عبادا لنا) بخت نصر عامل لهراسف على بابل وجنوده وقيل جالوت الجزرى وقيل سنجاريب من اهل نينوى (اولى بأس شديد) ذوى قوة وبطش فى الحرب شديد (فجاسوا) ترددوا لطلبكم وقرئ بالحاء وهما اخوان (خلال الديار) وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التورية وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك اولوا البعث بالتخلية وعدم المنع (وكان وعدا مفعولا) وكان وعد عقابهم لابد ان يفعل (ثم رددنا لكم الكرة) اى الدولة والغلبة (عليهم) على الذين بعثوا عليكم وذلك بان القى الله تعالى فى قلب بهمن ابن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسف بن لهراسف شفقة عليهم

السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلى الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوى المتين الولى الحميد المحصى المبدئ المعيد المحيى المميت الحى القيوم الواجد الماجد الواحد الاحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الاول الآخر الظاهر الباطن الوالى المتعالى البر التواب المنتقم العفو الرؤف مالك الملك ذوالجلال والاكرام المقسط الجامع الغنى المغنى المانع الضار النافع النور الهادى البديع الباقى الوارث الرشيد الصبور رواه الترمذى قال تعالى (ولاتجهر بصلوتك) بقراءتك فيها فيسمعك المشركون فيسبوك ويسبوا القرآن ومن أنزله (ولاتخافت)

تسر (بها) لينتفع اصحابك (وابتغ) اقصد (بين ذلك) الجهر والمخافتة (سبيلا) طريقا وسطا (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك) فى الالوهية (ولم يكن له ولى) ينصره (من) اجل (الذل) اى لم يذل فيحتاج الى ناصر (وكبره تكبيرا) عظمه عظمة تامة عن اتخاد الولد والشريك والذل وكل مالايليق به وترتيب الحمد على ذلك للدلالة على انه المستحق لجميع المحامد لكمال ذاته و تفرده فى صفاته روى الامام احمد فى مسنده عن معاذ الجهنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول آية العز الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك الى آخر السورة والله تعالى أعلم * قال مؤلفه هذا آخر ما كملت به تفسير القرآن الكريم الذى ألفه الشيخ الامام العالم العلامة المحقق جلال الدين المحلى

فرد اسراءهم الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر او بان سلط داود عليه السلام على جالوت فقتله (وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا) مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب الى العدو (ان احسنتم احسنتم لانفسكم) لان ثوابها لها (وان اسأتم فلها) فان وبالها عليها وانما ذكر باللام ازدواجا (فاذا جاء وعد الآخرة) وعد العقوبة المرة الآخرة (ليسوؤا وجوهكم) اى بعثناهم ليسوؤا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره اولا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة وابوبكر ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد اوالبعث اوالله ويعضده قراءة الكسائى بالنون وقرئ ليسوءن بالنون والياء والنون المخففة والمثقلة ولنسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على انه جواب اذا واللام فى قوله (وليدخلوا المسجد) متعلق بمحذوف هو بعثناهم (كما دخلوه اول مرة وليتبروا) ليهلكوا (ماعلوا) ماغلبوه واستولوا عليه اومدة علوهم (تتبيرا) وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة اخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جؤذرز وقيل خردوس قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلى فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ماصدقونى فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقونى ماتركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى عليه السلام فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يايحيى قد علم ربى وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل ان لا ابقى احدا منهم فهدأ (عسى ربكم ان يرحمكم) بعد المرة الاخرى (وان عدتم) نوبة اخرى (عدنا) مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقصد قتله فعاد الله تعالى بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلى بنى النضير وضرب الجزية على الباقين هذا لهم فى الدنيا (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) محبسا لايقدرون على الخروج منها ابد الآباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير (ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم) للحالة او الطريقة التى هى اقوم الحالات او الطرق (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا) وقرأ حمزة والكسائى يبشر بالتخفيف (وان الذين لايؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما) عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه يبشر

(المؤمنين)

المؤمنين ببشـارتين ثوابهم وعقـاب اعدائهم اوعلى يبشر باضمار يخبر (ويدع الانسان بالشر) ويدع الله تعالى عند غضبه بالشر على نفسـه واهله وماله اويدعوه بما يحسبه خيرا وهو شر (دعاءه بالخير) مثل دعائه بالخير (وكان الانسان عجولا) يسارع الى كل مايخطر بباله لاينظر عاقبته وقيل المراد آدم عليه السلام فانه لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض فسقط روى انه عليه السلام دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة رضى الله عنها فرحمته لانينه فارخت اكتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقـال عليه السـلام اللهم انما انا بشر فمن دعوت عليـه فاجعل دعائى رحمة له فنزلت ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضر بن الحارث اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة الآية فاجيب له فضرب عنقه يوم بدر صبرا (وجعلنا الليل والنهار آيتين) تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد بامكان غيره (فمحونا آية الليل) اى الآية التى هى الليل بالاشراق والاضافة فيها للتبيين كاضافة العدد الى المعدود (وجعلنـا آية النهـار مبصرة) مضيئة اومبصرة للنـاس من ابصره فبصر اومبصرا اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبناء وقيل الآيتان القمر والشمس وتقدير الكلام وجعلنا نيرى الليل والنهار آيتين اوجعلنا الليل والنهار ذوى آيتين ومحو آية الليل التى هى القمر جعلها مظلمة فى نفسها مطموسة النور اونقص نورها شيئاً فشيئاً الى المحاق وجعل آية النهـار التى هى الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع يبصر الاشياء بضوئها (لتبتغوا فضلا من ربكم) لتطلبوا فى بياض النهـار اسـباب معاشـكم وتتوصلوا به الى استبانة اعمالكم (ولتعلموا) باختلافهما او بحركتهما (عدد السنين والحساب) وجنس الحساب (وكل شئ) تفتقرون اليه فى امر الدين والدنيا (فصلناه تفصيلا) بيناه بيانا غير ملتبس (وكل انسان الزمناه طائره) عمله وماقدر له كأنه طير اليه من عش الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد (فى عنقه) لزوم الطوق فى عنقه (ونخرج له يوم القيمة كتابا) هى صحيفة عمله اونفسه المنتقشة بآثار اعماله فان الافعال الاختيارية تحدث فى النفس احوالا ولذلك يفيد تكريرهـا لها ملكات ونصبه بانه مفعول

الشافعى رضى الله عنه وقد أفرغت فيه جهدى * وبذلت فكرى فيه فى نفائس أراها ان شاء الله تعالى تجدى وألفته فى مدة قدر ميعاد الكليم * وجعلته وسيلة للفوز بجنات النعيم * وهو فى الحقيقـة مستفاد من الكتاب المكمل * وعليه فى الآى المتشابهة الاعتماد والمعول * فرحم الله امرأ نظر بعـين الانصـاف اليـه * ووقف فيـه عـلى خطأ فأطلعنى عليه * وقد قلت

* حمدت الله ربى اذهدانى *
* لما أبديت مع عجزى وضعفى *
* فمن لى بالخطـا فارد عنه *
* ومن لى بالقبول ولو بحرف *

هذا ولم يكن قط فى خلدى أن أتعرض لذلك * لعلمى بالعجز عن الخوض فى هذا المسـالك * وعسى الله أن ينفع به نفعـا جمـا * ويفتح به قلوبا غلفـا وأعينا عميـا وآذانا صما * وكأنى بمن اعتاد المطولات وقد أضرب عن هذه التكملة وأصلهـا حسما * وعدل الى صريح العناد ولم يوجه الى دقائقها

او حال من مفعول محذوف هو ضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب ويخرج
من خرج وقرئ ويخرج اى الله تعالى (يلقاه منشورا) لكشف الغطاء
وهما صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرأ ابن عامر
يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا (اقرأ كتابك) على ارادة القول
(كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) اى كفى نفسك والباء مزيدة
وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه اما بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم
وضريب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا او بمعنى الكافى
فوضع موضع الشهيد لانه يكفى المدعى ما اهمه وتذكيره على ان الحساب
والشهادة مما يتولاه الرجال او على تأويل النفس بالشخص (من اهتدى
فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) لا ينجى اهتداؤه غيره
ولا يرضى ضلاله سواه (ولا تزر وازرة وزر اخرى) ولا تحمل نفس
حاملة وزرا وزرت نفس اخرى بل انما تحمل وزرها (وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا) يبين الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم الحجة وفيه دليل
على ان لا وجوب قبل الشرع (واذا اردنا ان نهلك قرية) واذا تعلقت
ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق اودنا وقته المقدر كقولهم
اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة (امرنا مترفيها) متنعميها
بالطاعة على لسان رسول بعثناه اليهم ويدل على ذلك ماقبله ومابعده
فان الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد فى العصيان فيدل على الطاعة
من طريق المقابلة وقيل امرناهم بالفسق لقوله (ففسقوا فيها)
كقولك امرته فقرأ فانه لا يفهم منه الامر بالقراءة على ان الامر مجاز
من الحمل عليه او التسبب له بان صب عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى
بهم الى الفسوق ويحتمل ان لا يكون له مفعول منوى كقولهم امرته
فعصانى وقيل معناه كثرنا يقال آمرت الشئ وامرته فامر اذا كثرته
وفى الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة اى كثيرة النتاج وهو
ايضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده قراءة يعقوب آمرنا ورواية امرنا عن ابى
عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من امر بالضم امارة اى جعلناهم امراء
وتخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر
على الفجور (فحق عليها القول) يعنى كلمة العذاب السابقة بحلوله او بظهور
معاصيهم او بانهماكهم فى المعاصى (فدمرناها تدميرا) اهلكناهم

(باهلاك)

فهما * ومن كان فى هذه
أعمى فهو فى الآخرة أعمى
رزقنا الله به هداية الى سبيل
الحق وتوفيقا * واطلاعا
على دقائق كلماته وتحقيقا *
وجعلنا به مع الذين أنعم الله
عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن
اولئك رفيقا (وفرغ)
من تأليفه يوم الاحد عاشر
شوال سنة سبعين وثمانمائة
(وكان) الابتداء يوم
الاربعاء مستهل رمضان
من السنة المذكورة
وفرغ من تبييضه يوم الاربعاء
سادس صفر سنة احدى
وسبعين وثمانمائة والله
أعلم
قال الشيخ شمس الدين محمد
بن أبى بكر الخطيب الطوخى
اخبرنى صديقى الشيخ العلامة
كمال الدين المحلى
أخو شيخنا الشيخ الامام
جلال الدين المحلى رحمهما الله
تعالى انه رأى اخاه الشيخ
جلال الدين المذكور
فى النوم وبين يديه صديقنا
الشيخ العلامة المحقق جلال

باهلاك اهلها وتخريب ديارها (وكم اهلكنا) وكثيرا اهلكنا (من القرون) بيان لكم وتمييزله (من بعد نوح) كعاد وثمود (وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا) يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه (من كان يريد العاجلة) مقصورا عليها همه (عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد) قيد المعجل والمعجل له بالمشيئة والارادة لانه لايجد كل متمن ماتمناه ولا كل واحد جميع مايهواه وليعلم ان الامر بالمشيئة والهم فضل ولمن نريد بدل من له بدل البعض وقرئ يشاء والضمير فيه لله تعالى حتى يطابق المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد الله تعالى به ذلك وقيل الآية فى المنافقين وكانوا يراؤن المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الامساهمتهم فى الغنائم ونحوها (ثم جعلنا له جهنم يصليها مذموما مدحورا) مطرودا من رحمة الله تعالى (ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها) حقها من السعى وهو الاتيان بالامر والانتهاء عما نهى عنه لاالتقرب بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص (وهومؤمن) ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب فانه العمدة (فاولئك) الجامعون للشروط الثلاثة (كان سعيهم مشكورا) من الله تعالى اى مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة (كلا) كل واحد من الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه (نمد) بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل آنفه مددا لسالفه (هؤلاء وهؤلاء) بدل من كلا (من عطاء ربك) من معطاه متعلق بنمد (وما كان عطاء ربك محظورا) ممنوعا لايمنعه فى الدنيا من مؤمن ولاكافر تفضلا (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض) فى الرزق وانتصاب كيف بفضلنا على الحال (وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا) اى التفاوت فى الآخرة اكبر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها (لاتجعل مع الله الها آخر) الخطاب للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد به امته اولكل احد (فتقعد) فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة او فتعجز من قولهم قعد عن الشئ اذا عجز عنه (مذموما مخذولا) جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى ومفهومه ان الموحد يكون ممدوحا منصورا (وقضى ربك) وامر امرا مقطوعا به (ان لاتعبدوا) بان لاتعبدوا (الااياه) لان غاية التعظيم لايحق الالمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعى الآخرة ويجوز

الدين السيوطى مصنف هذه التكملة وقد أخذ الشيخ هذه التكملة فى يده وتصفحها ويقول لمصنفها المذكور أيهما أحسن وضعى أو وضعك فقال وضعى فقال انظر وعرض عليه مواضع فيها وكأنه يشير الى اعتراض فيها بلطف ومصنف هذه التكملة كلما اورد عليه شيئا يجيبه والشيخ يتبسم ويضحك قال شيخنا الامام العلامة جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر السيوطى مصنف هذه التكملة الذى اعتقده وأجزم به أن الوضع الذى وضعه الشيخ جلال الدين المحلى رحمه الله تعالى فى قطعته أحسن من وضعى انا بطبقات كثيرة كيف وغالب ماوضعته هنا مقتبس من وضعه ومستفاد منه لامرية عندى فى ذلك وأما الذى رؤى فى المنام المكتوب اعلاه فلعل الشيخ أشار به الى المواضع القليلة التى خالفت وضعه فيها لنكتة وهى يسيرة جدا ما أظنها

ان تكون ان مفسرة ولا ناهية (وبالوالدين احسانا) وبان تحسنوا او واحسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز ان يتعلق الباء بالاحسان لان صلته لا تتقدم عليه (اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما) اما هى ان الشرطية زيدت عليها ما تأكيدا ولذلك صح لحوق النون المؤكدة للفعل واحدهما فاعل يبلغن او بدل على قراءة حمزة والكسائى من الف يبلغان الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز ان يكون تأكيدا للالف ومعنى عندك ان يكونا فى كنفه وكفالته (فلا تقل لهما اف) فلا تتضجر مما يستقذر منهما ويستثقل من مؤنتهما وهو صوت يدل على تضجر وقيل اسم الفعل الذى هو اتضجر وهو مبنى على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه فى قراءة نافع وحفص للتنكير وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغير منون والنهى عن ذلك يدل على المنع من سائر انواع الايذاء قياسا بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حذيفة من قتل ابيه وهو فى صف المشركين نهى عما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان بهما (ولا تنهرهما) ولا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهى والنهر والنهم اخوات (وقل لهما) بدل التأفيف والنهر (قولا كريما) جميلا لا شراسة فيه (واخفض لهما جناح الذل) تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد فى قوله * وغداة ريح قد كشفت وقرة * اذ اصبحت بيد الشمال زمامها * للشمال او للقرة زماما وامره بخفضها مبالغة او اراد جناحه كقوله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين واضافته الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول (من الرحمة) من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله تعالى اليهما بالامس (وقل رب ارحمهما) وادع الله تعالى ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة ان يهديهما (كما ربيانى صغيرا) رحمة مثل رحمتهما على وتربيتهما وارشادهما لى فى صغرى وفاء بوعدك للراحمين روى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان ابوى بلغا من الكبر انى (٢) الى منهما ما وليامنى فى الصغر فهل

(قضيتهما)

تبلغ عشرة مواضع منها أن الشيخ قال فى سورة ص والروح جسم لطيف يحيى به الانسان بنفوذه فيه وكنت تبعته فيه اولا فذكرت هذا الحد فى سورة الحجر ثم ضربت عليه لقوله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى الآية فهو صريحة أو كالصريحة فى أن الروح من علم الله تعالى لا نعلمه فالامساك عن تعريفها اولى ولذا قال الشيخ تاج الدين بن السبكى فى جمع الجوامع والروح لم يتكلم عليها محمد صلى الله عليه وسلم فنمسك عنها ومنها ان الشيخ قال فى سورة الحج الصابئون فرقة من اليهود فذكرت ذلك فى سورة البقرة وزدت او النصارى بيانا لقول ثان فانه المعروف خصوصا عند اصحابنا الفقهاء وفى المنهاج وان خالفت السامرة اليهود والصابئة النصارى فى اصل دينهم حرمن وفى شروحه ان الشافعى رضى الله عنه نص

(٢) قوله الى صيغة المتكلم من المضارع من الولاية قاله مصححه احمد طاهر

قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما (ربكم اعلم بما فى نفوسكم) من قصد البر اليهما واعتقاد مايجب لهما من التوقير وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا (ان تكونوا صالحين) قاصدين للصلاح (فانه كان للاوابين) للتوابين (غفورا) مافرط منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجانى على ابويه اندراجا اوليا لوروده على اثره (وآت ذا القربى حقه) من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال ابو حنيفة حقهم اذا كانوا محارم فقراء ان ينفق عليهم وقيل المراد بذى القربى اقارب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا) بصرف المال فيما لاينبغى وانفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير التفريق وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لسعد وهو يتوضأ ماهذا السرف فقال او فى الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) امثالهم فى الشرارة فان التضييع والاتلاف شر او اصدقاءهم واتباعهم لانهم يطيعونهم فى الاسراف والصرف فى المعاصى روى انهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم فى السمعة فنهاهم الله تعالى عن ذلك وامرهم بالانفاق فى القربات (وكان الشيطان لربه كفورا) مبالغا فى الكفر به فينبغى ان لا يطاع (واما تعرضن عنهم) وان اعرضت عن ذى القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لاينفعهم على سبيل الكناية (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) لانتظار رزق من الله ترجوه ان يأتيك فتعطيه او منتظرين له وقيل معناه لفقد رزق من ربك ترجوه ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه ويجوز ان يتعلق بالجواب الذى هو قوله تعالى (فقل لهم قولا ميسورا) اى فقل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم باجمال القول لهم والميسور من يسر الامر مثل سعد الرجل ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل اغناكم الله تعالى ورزقنا الله واياكم (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط) تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر نهى عنهما آمرا بالاقتصاد بينهما الذى هو الكرم (فتقعد ملوما) فتصير ملوما عند الله وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير

على أن الصابئين فرقة من النصارى ولا أستحضر الآن موضعا ثالثا فكان الشيخ رحمه الله تعالى يشير الى مثل هذا والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

﴿ محسورا ﴾ نادما اومنقطعا بك لاشئ عندك من حسره السفر اذا بلغ منه
وعن جابر رضى الله تعالى عنه بينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اتاه صبى
فقال ان امى تستكسيك درعا فقال صلى الله تعالى عليه وسلم من ساعة الى
ساعة يظهر فعد الينا فذهب الى امه فقالت قل له ان امى تستكسيك الدرع
الذى عليك فدخل صلى الله تعالى عليه وسلم داره ونزع قميصه واعطاه
وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا للصلوة فلم يخرج فانزل الله ذلك ثم
سلاه بقوله ﴿ ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ يوسعه ويضيقه
بمشيئته التابعة للحكمة البالغة فليس مايرهقك من الاضاقة الا لمصلحتك
﴿ انه كان بعباده خبيرا بصيرا ﴾ يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم
مايخفى عليهم ويجوز ان يريد ان البسط والقبض من امر الله تعالى العالم
بالسرائر والظواهر فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا اوانه تعالى يبسط تارة
ويقبض اخرى فاستنوا بسنته ولاتقبضوا كل القبض ولاتبسطوا كل البسط
وان يكون تمهيدا لقوله تعالى ﴿ ولاتقتلوا اولادكم خشية املاق ﴾ مخافة الفاقة
وقتلهم اولادهم هو وأدهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم
ارزاقهم فقال ﴿ نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا ﴾ ذنبا كبيرا
لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع والخطئ الاثم يقال خطئ خطأ
كاثم اثما وقرأ ابن عامر خطأ وهو اسم من اخطأ يضاد الصواب وقيل
لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر وقرأ ابن كثير خطاء بالمد والكسر وهو
اما لغة فيه اومصدر خاطا وهووان لم يسمع لكنه جاء تخاطأ فى قوله * تخاطأه
القناص حتى وجدته * وخرطومه فى منقع الماء راسب * وهو مبنى
عليه وقرئ خطاء بالفتح والمد وخطا بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا
﴿ ولاتقربوا الزنى ﴾ بالعزم والاتيان بالمقدمات فضلا ان تباشروه ﴿ انه كان
فاحشة ﴾ فعلة ظاهرة القبح زائدته ﴿ وساء سبيلا ﴾ وبئس طريقا طريقه وهو
الغصب على الابضاع المؤدى الى قطع الانساب وتهييج الفتن ﴿ ولاتقتلوا
النفس التى حرم الله الا بالحق ﴾ الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنى بعد
احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا ﴿ ومن قتل مظلوما ﴾ غير مستوجب
للقتل ﴿ فقد جعلنا لوليه ﴾ الذى يلى امره بعد وفاته وهو الوارث ﴿ سلطانا ﴾
تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من قتله اوبالقصاص على القاتل
فان قوله تعالى مظلوما يدل على ان القتل عمدا عدوان فان الخطأ

(لايسمى)

لا يسمى ظالما (فلا يسرف) اى القاتل (فى القتل) بان يقتل من لا يستحق قتله فان العاقل لا يفعل مايعود عليه بالهلاك او الولى بالمثلة او قتل غير القاتل ويؤيد الاول قراءة ابى فلا تسرفوا وقرأ حمزة والكسائى فلا تسرف على خطاب احدهما (انه كان منصورا) علة النهى على الاستئناف والضمير اما للمقتول فانه منصور فى الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفى الآخر بالثواب واما لوليه فان الله تعالى نصره حيث اوجب القصاص له وامر الولاة بمعاونته واما للذى يقتله الولى اسرافا بايجاب القصاص او التعزير والوزر على المسرف (ولا تقربوا مال اليتيم) فضلا عن ان تتصرفوا فيه (الا بالتى هى احسن) الا بالطريقة التى هى احسن (حتى يبلغ اشده) غاية لجواز التصرف الذى دل عليه الاستثناء (واوفوا بالعهد) بما عاهدكم الله من تكاليفه اوماعاهدتموه وغيره (ان العهد كان مسؤلا) مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه ويفى به اومسؤلا عنه يسأل الناكث ويعاتب عليه او يسأل العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باى ذنب قتلت فيكون تخييلا ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسؤلا (واوفوا الكيل اذا كلتم) ولا تبخسوا فيه (وزنوا بالقسطاس المستقيم) بالميزان السوى وهو رومى عرب ولا يقدح ذلك فى عربية القرآن لان العجمى اذا استعمله العرب واجرته مجرى كلامهم فى الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا وقرأ حمزة والكسائى وحفص بكسر القاف هنا وفى الشعراء (ذلك خير واحسن تأويلا) واحسن عاقبة تفعيل من آل اذا رجع (ولا تقف) ولا تتبع وقرئ ولا تقف من قاف اثره اذا قفاه ومنه القافة (ماليس لك به علم) مالم يتعلق به علمك تقليدا اورجما بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء كان قطعا او ظنا واستعماله لهذا المعنى شائع وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمى وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه الصلوة والسلام من قفا مؤمنا بماليس فيه حبسه الله فى ردغة الخبال حتى يأتى بالمخرج وقول الكميت * ولا ارمى البرى بغير ذنب * ولا اقفو الحواصن ان قفينا * (ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك) اى كل هذه الاعضاء فاجراها مجرى العقلاء لما كانت مسؤلة عن احوالها شاهدة على صاحبها هذا اوان اولاء وان غلب فى العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلتين جاء لغيرهم كقوله *

والعيش بعد اولئك الايام ﴿ كان عنه مسؤلا ﴾ فى ثلاثتها ضمير كل اى كان كل واحد منهـا مسؤلا عن نفسه يعنى عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير فى عنه لمصدر لاتقف اولصاحب السمع والبصر وقيل مسؤلا مسند الى عنه كقوله تعـالى غير المغضوب عليهم والمعنى يسأل صاحبه عنه وهو خطأ لان الفاعل ومايقوم مقامه لايتقدم وفيه دليل على ان العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ الفؤاد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح ﴿ ولاتمش فى الارض مرحا ﴾ اى ذامرح وهوالاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر آكد من صريح النعت ﴿ انك لن تخرق الارض ﴾ لن تجعل فيها خرقا لشدة وطئتك ﴿ ولن تبلغ الجبال طولا ﴾ بتطاولك وهوتهكم بالمختـال وتعليل للنهى بان الاختيـال حماقة مجردة لا تعود بجدوى ليس فى التذلل ﴿ كل ذلك ﴾ اشارة الى الخصـال الخمس والعشرين المذكورة من قوله تعـالى لاتجعل مع الله الهـا آخر وعن ابن عبـاس رضى الله تعالى عنهما انهـا المكتوبة فى الواح موسى عليه السلام ﴿ كان سيئه ﴾ يعنى المنهى عنـه فان المذكورة مأمورات ومنهيات وقرأ الحجازيان والبصريان سيئة على انهـا خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى مانهى عنـه خاصة وعلى هذا قوله ﴿ عنـد ربك مكروها ﴾ بدل من سيئة اوصفة لهـا محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجـوز ان ينتصب مكـروها على الحـال من المستكن فى كان او فى الظرف على انه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقـابل للمرضى لامايقابل المراد لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادة الله تعالى ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى الاحكام المتقدمة ﴿ مما اوحى اليك ربك من الحكمة ﴾ التى هى معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ﴿ ولاتجعل مع الله الها آخر ﴾ كرره للتنبيه على ان التوحيد مبـدأ الامر ومنتهاه فان من لاقصـدله بطل عمله ومن قصد بفعله اوتركه غيره ضاع سعيه وانه رأس الحكمة وملاكها ورتب عليه اولا ماهو غاية الشرك فى الدنيا وثانيا ماهو نتيجته فى العقبى فقال تعالى ﴿ فتلقى فى جهنم ملوما ﴾ تلوم نفسك ﴿ مدحورا ﴾ مبعدا من رحمة الله تعـالى ﴿ أفاصفاكم ربكم بالبنين ﴾ خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار والمعنى افخصكم ربكم بافضل الاولاد وهم البنون ﴿ واتخذ من الملائكة اناثا ﴾ بناتا لنفسه هذا خلاف ماعليه عقولكم وعادتكم

﴿ انكم ﴾

(انكم لتقولون قولا عظيما) باضافة الاولاد اليه وهى خاصة بعض الاجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون له ماتكرهون ثم بجعل الملئكة الذين هم من اشرف خلق الله أدونهم (ولقد صرفنا) كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير (فى هذا القرآن) فى مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا القرآن ابطال اضافة البنات اليه بتقدير ولقد صرفنا القول فى هذا المعنى او اوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف (ليذكروا) ليتذكروا وقرأ حمزة والكسائى هنا وفى الفرقان ليذكروا من الذكر الذى هو بمعنى التذكر (ومايزيدهم الا نفورا) عن الحق وقلة طمانينة اليه (قل لوكان معه آلهة كما تقولون) ايها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم بالياء فيه وفى مابعده على ان الكلام مع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ووافقهما نافع وابن عامر وابوعمرو وابوبكر ويعقوب فى الثانية على ان الاولى مما امر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ان يخاطب به المشركين والثانية مما نزه به نفسه عن مقالتهم (اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا) جواب عن قولهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملك سبيلا بالمبالغة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرب اليه والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة (سبحانه) تنزه تنزيها (وتعالى عما يقولون علوا) تعاليا (كبيرا) متباعدا غاية البعد عما يقولون فانه فى اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص مايمتنع بقاؤه (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده) ينزهه مما هو من لوازم الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث يدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته (ولكن لاتفقهون تسبيحهم) ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذى به يفهم تسبيحهم ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده الى مايتصور منه اللفظ والى مالايتصور منه وعليهما عند من جوز اطلاق اللفظ على معنييه وقرأ ابن كثير وابن عامر ونافع وابوبكر يسبح بالياء (انه كان حليما) حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم (غفورا) لمن تاب منكم (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين

لا يؤمنون بالآخرة حجابا) يحجبهم عن فهم ماتقرأه عليهم (مستورا)
ذا ستر كقوله تعالى وعده مأتيا وقولهم سيل مفعم او مستورا عن الحس
او بحجاب آخر لايفهمون ولايفهمون انهم لايفهمون نفى عنهم
ان يفهموا ماانزل عليهم من الآيات بعد مانفى عنهم التفقه للدلالات
المنصوبة فى الانفس والآفاق تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين على
الضلالة كما صرح بقوله (وجعلنا على قلوبهم اكنة) تكنها وتحول
دونها عن ادراك الحق وقبوله (ان يفقهوه) كراهة ان يفقهوه
ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه قوله * وجعلنا على قلوبهم
اكنة * اى منعناهم ان يفقهوه (وفى آذانهم وقرا) يمنعهم عن استماعه
ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه مايمنع
عن فهم المعنى وادراك اللفظ (واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده)
واحدا غير مشفوع به آلهتهم مصدر وقع موقع الحال واصله يحد وحده
بمعنى واحدا وحده (ولوا على ادبارهم نفورا) هربا من استماع التوحيد
ونفرة او تولية ويجوز ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود (نحن اعلم
بما يستمعون به) بسببه ولاجله من الهزؤ بك وبالقرآن (اذ يستمعون
اليك) ظرف لاعلم وكذا (واذ هم نجوى) اى نحن اعلم بغرضهم
من الاستماع حين هم يستمعون اليك مضمرون له وحين هم ذوو نجوى
يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجى (اذ يقول الظالمون
ان تتبعون الارجلا مسحورا) مقدر باذكر او بدل من اذ هم نجوى على
وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذا من باب الظلم
والمسحور هو الذى سحر به فزال عقله وقيل الذى له سحر وهو الرئة اى
الارجلا يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم (انظر كيف ضربوا لك الامثال)
مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون (فضلوا) عن الحق فى جميع ذلك
(فلا يستطيعون سبيلا) الى طعن موجه فيتهافتون ويخبطون كالمتحير
فى امره لايدرى مايصنع او الى الرشاد (وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا)
وحطاما (ائنا لمبعوثون خلقا جديدا) على الانكار والاستبعاد لما بين
غضاضة الحى ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة والعامل فى اذا مادل
عليه مبعوثون لانفسه لان مابعد ان لايعمل فيما قبلها وخلقا مصدر او حال
(قل) جوابا لهم (كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر فى صدوركم

اى مما يكبر عنـدكم عن قبول الحيوة لكونه ابعد شئ منها فان قدرته تعـالى لاتقصر عن احيائكم لاشتراك الاجسـام فى قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحيوة قبل والشئ اقبل لما عهد فيه مما لم يعهد ﴿ فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم اول مرة ﴾ وكنتم ترابا وماهو ابعد منه من الحيوة ﴿ فسينغضون اليك رؤسهم ﴾ فسيحركونهـا نحوك تعجبـا واستهزاء ﴿ ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا ﴾ فان كل ماهو آت قريب وانتصابه على الخبر اوالظرف اى يكون فى زمان قريب وان يكون اسم عسى اوخبره والاسم مضمر ﴿ يوم يدعوكم فتستجيبون ﴾ اى يوم يبعثكم فتنبعثون استعار لهمـا الدعاء والاستجابة للتنبيـه على سرعتهما وتيسر امرهما وان المقصود منهمـا الاحضار للمحاسبة والجزاء ﴿ بحمده ﴾ حال منهم اى حامدين لله تعالى على كمال قدرته كما قيل انهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك اومنقادين لبعثه انقياد الحامدين عليه ﴿ وتظنون ان لبثتم الاقليلا ﴾ وتستقصرون مدة لبثكم فى القبور كالذى مر على قرية اومدة حيوتكم لما ترون من الهول ﴿ وقل لعبـادى ﴾ يعنى المؤمنين ﴿ يقولوا التى هى احسـن ﴾ الكلمة التى هى احسن ولايخاشـنوا المشركين ﴿ ان الشيطان ينزغ بينهم ﴾ يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشـنة بهم تفضى الى العناد وازدياد الفساد ﴿ ان الشيطان كان للانسـان عدوامبينا ﴾ ظاهر العداوة ﴿ ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم اوان يشأ يعذبكم ﴾ تفسير للتى هى احسن ومابينهما اعتراض اى قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولاتصرحوا بانهم من اهل النار فانه يهيجهم على الشر مع ان ختام امرهم غيب لايعلمه الاالله ﴿ وماارسلناك عليهم وكيلا ﴾ موكولا اليك امرهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلنـاك مبشرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالاحتمال منهم وروى ان المشركين افرطوا فى ايذائهم فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل شتم عمر رضى الله عنه رجل منهم فهم به فامره الله بالعفو ﴿ وربك اعلم بمن فى السموات والارض ﴾ باحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء وهورد لاستبعاد قريش ان يكون يتيم طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه ﴿ ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ﴾ بالفضائل النفسانية والتبرئ عن العلائق الجسمانية لابكثرة الاموال والاتباع

حتى داود عليه السلام فان شرفه بما اوحى اليه من الكتاب لا بما اوتيه من الملك وقيل هو اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقوله ﴿وآتينا داود زبورا﴾ تنبيه على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء عليه الصلوة السلام وامته خير الامم المدلول عليه بما كتب فى الزبور من ان الارض يرثها عبادى الصالحون وتنكيره ههنا وتعريفه فى قوله ولقد كتبنا فى الزبور لانه فى الاصل فعول للمفعول كالحلوب او المصدر كالقبول ويؤيده قراءة حمزة بالضم وهو كالعباس او الفضل او لان المراد وآتينا داود بعض الزبور او بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول عليه الصلوة والسلام ﴿قل ادعوا الذين زعمتم﴾ انها آلهة ﴿من دونه﴾ كالملائكة والمسيح وعزير عليهم السلام ﴿فلا يملكون﴾ فلا يستطيعون ﴿كشف الضر عنكم﴾ كالمرض والفقر والقحط ﴿ولا تحويلا﴾ ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم ﴿اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة﴾ هؤلاء الآلهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة ﴿ايهم اقرب﴾ بدل من واو يبتغون اى يبتغى من هو اقرب منهم الى الله تعالى الوسيلة فكيف بغير الاقرب ﴿ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾ كسائر العباد فكيف تزعمون انهم آلهة ﴿ان عذاب ربك كان محذورا﴾ حقيقا بان يحذره كل احد حتى الرسل والملائكة ﴿وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة﴾ بالموت والاستئصال ﴿او معذبوها عذابا شديدا﴾ بالقتل وانواع البلية ﴿كان ذلك فى الكتاب﴾ فى اللوح المحفوظ ﴿مسطورا﴾ مكتوبا ﴿وما منعنا ان نرسل بالآيات﴾ وما صرفناه عن ارسال الآيات التى اقترحها قريش ﴿الا ان كذب بها الاولون﴾ الا تكذيب الاولين الذين هم امثالهم فى الطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوها تكذيب اولئك واستوجبوا الاستئصال على ما مضت به سنتنا وقد قضينا ان لا نستأصلهم لان فيهم من يؤمن او يلد من يؤمن ثم ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب الآيات المقترحة فقال ﴿وآتينا ثمود الناقة﴾ بسؤالهم ﴿مبصرة﴾ بينة ذات ابصار او بصائر او جاعلتهم ذوى بصائر وقرئ بالفتح ﴿فظلموا بها﴾ فكفروا بها او فظلموا انفسهم بسبب عقرها ﴿وما نرسل بالآيات﴾ اى بالآيات المقترحة ﴿الا تخويفا﴾ من نزول العذاب المستأصل فان لم يخافوا نزل او بغير المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن الا تخويفا بعذاب الآخرة فان امر من بعثت اليهم مؤخر الى يوم القيمة والباء مزيدة او فى موقع الحال والمفعول محذوف

(واذ قلنالك) واذكر اذ اوحيناك اليك (ان ربك احاط بالناس) فهم فى قبضة قدرته اواحاط بقريش بمعنى اهلكهم من احاط بهم العد فهى بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضى لتحقق وقوعه (وما جعلنا الرؤيا التى اريناك) ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان فى المنام ومن قال انه كان فى اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية اوعام الحديبية حين رأى انه دخل مكة وفيه ان الآية مكية الا ان يقال رآها بمكة وحكاها حينئذ ولعله رؤيا رآها فى وقعة بدر لقوله تعالى اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولماروى انه عليه السلام لماورد ماءه قال لكأنى انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فتسامعت به قريش واستسخروا منه وقيل رأى قوما من بنى امية يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة فقال هذا حظهم من الدنيا يعطونه باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله (الافتنة للناس) ماحدث فى ايامهم (والشجرة الملعونة فى القرآن) عطف على الرؤيا وهى شجرة الزقوم لماسمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولم يعلموا ان من قدر ان يحمى وبر السمندل (٢) من ان تأكله النار واحشاء النعامة من اذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التى تبتلعها قدر ان يخلق فى النار شجرة لاتحرقها ولعنها فى القرآن لعن طاعميها وصفت به على المجاز للمبالغة اووصفها بانها فى اصل الجحيم فانه ابعد مكان من الرحمة اوبانها مكروهة مؤذية من قولهم طعام ملعون لماكان ضارا وقد اولت بالشيطان وابى جهل والحكم بن ابى العاص وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اى والشجرة الملعونة فى القرآن كذلك (ونخوفهم) بانواع التخويف (فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا) الاعتوا مجاوز الحد (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال ءاسجد لمن خلقت طينا) لمن خلقته من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى الموصول اى خلقته وهو طين او منه اى ءاسجد له واصله طين وفيه على الوجوه ايماء بعلة الانكار (قال أرأيتك هذا الذى كرمت على) الكاف لتأكيد الخطاب لامحل له من الاعراب وهذا مفعول اول والذى صفته والمفعول الثانى محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرنى عن هذا الذى كرمته على بامرى بالسجود له لم كرمته على (لئن اخرتن الى يوم القيمة) كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه (لاحتنكن ذريته

(٢) سمندر وهو لفظ فارسى معرب اسم دويبة تكون فى بلاد الترك لاتؤثر فيها النار قاله مصححه احمد طاهر

الا قليلا) اى لاستأصلنهم بالاغواء الا قليلا لا اقدر على ان اقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الارض اذاجرد ماعليها اكلا مأخوذا من الحنك وانما علم ان ذلك يتسهل له اما استنباطا من قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير اوتفرسا من خلقه ذاوهم وشهوة وغضب (قال اذهب) امض لماقصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ماسولت له نفسه (فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم) جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين على الالتفات (جزاء موفورا) مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه فرة وانتصاب جزاء على المصدر باضمار فعله او بمافي جزاؤكم من معنى تجازون اوحال موطئة لقوله موفورا (واستفزز) واستخف (من استطعت منهم) ان تستفزه والفز الخفيف (بصوتك) بدعائك الى الفساد (واجلب عليهم) وصح عليهم من الجلبة وهى الصياح (بخيلك ورجلك) باعوانك من راجل وراكب والخيل الخيالة ومنه قوله عليه الصلوة والسلام ياخيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار صوت على قوم فاستفزهم من اماكنهم واجلب عليهم بجنده حتى استأصلهم وقرأ حفص رجلك بالكسر وقرئ بالضم وهما لغتان كندس وندس ومعناه وجمعك الرجل وقرئ ورجالك ورجالك (وشاركهم فى الاموال) بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على مالاينبغى (والاولاد) بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه بتسميته عبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة (وعدهم) المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة لطول الامل (ومايعدهم الشيطان الاغرورا) اعتراض لبيان مواعيده والغرور تزيين الخطأ بمايوهم انه صواب (ان عبادى) يعنى المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد فى قوله الاعبادك منهم المخلصين يخصصهم (ليس لك عليهم سلطان) اى على اغوائهم قدرة (وكفى بربك وكيلا) يتوكلون به فى الاستعاذة منك على الحقيقة (ربكم الذى يزجى) هو الذى يجرى (لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله) الربح وانواع الامتعة التى لاتكون عندكم (انه كان بكم رحيما) حيث هيألكم ماتحتاجون اليه وسهل

عليكم ماتعسر من اسبابه (واذا مسكم الضر فى البحر) خوف الغرق (ضل من تدعون) ذهب عن خواطركم كل من تدعونه فى حوادثكم (الا اياه) وحده فانكم حينئذ لايخطر ببالكم سواه ولاتدعون لكشفه الا اياه اوضل كل من تعبدونه من اغاثتكم الا الله (فلما نجاكم) من الغرق (الى البر اعرضتم) عن التوحيد وقيل اتسعتم فى كفران النعمة كقول ذى الرمة * عطاء فتى تمكن فى المعالى * فاعرض فى المكارم واستطالا * (وكان الانسان كفورا) كالتعليل للاعراض (أفامنتم) الهمزة فيه للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من قدر ان يهلككم فى البحر بالغرق قادر ان يهلككم فى البر بالخسف وغيره (ان يخسف بكم جانب البر) ان يقلبه الله وانتم عليه او يقلبه بسببكم فبكم حال او صلة ليخسف وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالنون فيه وفى الاربعة التى بعده وفى ذكر الجانب تنبيه على انهم كما وصلوا الساحل كفروا واعرضوا وان الجوانب والجهات فى قدرته سواء لامعقل يؤمن فيه من اسباب الهلاك (او يرسل عليكم حاصبا) ريحا تحصب اى ترمى بالحصباء (ثم لاتجدوا لكم وكيلا) يحفظكم من ذلك فانه لاراد لفعله (ام أمنتم ان يعيدكم فيه) فى البحر (تارة اخرى) بخلق دواعى تلجئكم الى ان ترجعوا فتركبوه (فيرسل عليكم قاصفا من الريح) لاتمر بشئ الا قصفته اى كسرته (فيغرقكم) وعن يعقوب بالتاء على اسناده الى ضمير الريح (بما كفرتم) بسبب اشراككم وكفرانكم نعمة الانجاء (ثم لاتجدوا لكم علينا به تبيعا) مطالبا يتبعنا بانتصار اوصرف (ولقد كرمنا بنى آدم) بحسن الصورة والمزاج الاعدل واعتدال القامة والتمييز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والخط والتهدى الى اسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما فى الارض والتمكن من الصناعات وانسياق الاسباب والمسببات العلوية والسفلية الى مايعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه ومن ذلك ماذكره ابن عباس وهو ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده (وحملناهم فى البر والبحر) على الدواب والسفن من حملته حملا اذا جعلت له ما يركبه او حملناهم فيهما حتى لم يخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء (ورزقناهم من الطيبات) المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم

﴿ وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ بالغلبة والاستيلاء او بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة او الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسئلة موضع نظر وقد اول الكثير بالكل وفيه تعسف ﴿ يوم ندعوا ﴾ نصب باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعو ويدعى ويدعوا على قلب الالف واوا فى لغة من يقول افعو او على ان الواو علامة الجمع كما فى قوله واسروا النجوى الذين ظلموا اوضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وهى قد تقدر كما فى يدعى ﴿ كل اناس بامامهم ﴾ بمن ائتموا به من نبى او مقدم فى الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التى قدموها فيقال يا صاحب كتاب كذا اى تنقطع علقة الانساب وتبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم وافعالهم وقيل بامهاتهم جمع ام كخف وخفاف والحكمة فى ذلك اجلال عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما وان لا يفتضح اولاد الزنى ﴿ فمن اوتى ﴾ من المدعوين ﴿ كتابه بيمينه ﴾ اى كتاب عمله ﴿ فاولئك يقرؤن كتابهم ﴾ ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه ﴿ ولا يظلمون فتيلا ﴾ ولا ينقصون من اجورهم ادنى شئ وجمع اسم الاشارة والضمير لان من اوتى فى معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء الكتاب باليمين يدل على ان اوتى كتابه بشماله اذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس السنتهم عن القراءة ولذلك لم يذكرهم مع ان قوله ﴿ ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى ﴾ ايضا مشعر بذلك فان الاعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى ومن كان فى هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان فى الآخرة اعمى لا يرى طريق النجاة ﴿ واضل سبيلا ﴾ منه فى الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الآلة والمهلة وقيل لان الاهتداء بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثانى للتفضيل من عمى بقلبه كالاجهل والابله ولذلك لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه فى حكم المتوسطة فى اعمالكم بخلاف النعت فان الفه واقعة فى الطرف لفظا وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء فى التثنية وقد امالهما حمزة والكسائى وابو بكر وقرأ ورش بين بين فيهما ﴿ وان كادوا ليفتنونك ﴾ نزلت فى ثقيف قالوا لا تدخل فى امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى فى صلوتنا وكل ربا لنا

فهولنا وكل رباعلينا فهوموضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرنى وقيل فى قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك وان هى المخففة واللام هى الفارقة والمعنى ان الشان قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك فى الفتنة بالاستنزال (عن الذى اوحينا اليك) من الاحكام (لتفترى علينا غيره) غيرما اوحينا اليك (واذا لاتخذوك خليلا) ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانك وليا لهم بريئا من ولايتى (ولولا ان ثبتناك) ولو لا تثبيتنا اياك (لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا) لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب من الركون فضلا من ان تركن اليهم وهو صريح فى انه عليه السلام ماهم باجابتهم مع قوة الداعى اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله وحفظه (اذا لاذقناك) اى لو قاربت لاذقناك (ضعف الحيوة وضعف الممات) اى عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف مايعذب به فى الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطر الخطير اخطر وكان اصل الكلام عذابا ضعفا فى الحيوة وعذابا ضعفا فى الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحيوة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر (ثم لاتجد لك علينا نصيرا) يدفع العذاب عنك (وان كادوا) وان كاد اهل مكة (ليستفزونك) ليزعجونك بمعاداتهم (من الارض) ارض مكة (ليخرجوك منها واذا لايلبثون خلفك) ولو خرجت لايبقون بعد خروجك (الاقليلا) الازمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته وقيل الآية نزلت فى اليهود حسدوا مقام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء عليهم السلام فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك فى قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة واجلى بنى النضير بقليل وقرئ لايلبثوا منصوبا باذا على انه معطوف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك لا على خبر كاد فان اذا لا يعمل اذا كان معتمدا مابعدها على قبلها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه قال * عفت الديار خلافهم فكأنما * بسط الشواطب بينهن حصيرا (سنة من قد ارسلنا

قبلك من رسلنا ﴾ نصب على المصدر اى سن الله ذلك سنة وهوان يهلك
كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله واضافتها الى الرسل
عليهم السلام لانها لاجلهم ويدل عليه ﴿ ولا تجد لسنتنا تحويلا ﴾ اى تغييرا
﴿ اقم الصلوة لدلوك الشمس ﴾ لزوالها ويدل عليه قوله عليه الصلوة والسلام
اتانى جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بى الظهر وقيل لغروبها
واصل التركيب للانتقال ومنه الدلك فان الدالك لا يستقر يده وكذا كل
ماتركب من الدال واللام كدلج ودلج ودلع ودلف ودله وقيل الدلوك
من الدلك لان الناظر اليها يدلك عينيه ليدفع شعاعها واللام للتأقيت
مثلها فى لثلاث خلون ﴿ الى غسق الليل ﴾ الى ظلمته وهو وقت صلوة العشاء
الاخيرة ﴿ وقرآن الفجر ﴾ وصلوة الصبح سميت قرآنا لانه ركنه كما سميت
ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه
لجواز ان يكون التجوز لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة فى صلوة
الفجر دل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفى غيرها قياسا
﴿ ان قرآن الفجر كان مشهودا ﴾ يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار
اوشواهد القدرة من تبديل الظلمة بالضياء والنوم الذى هو اخ الموت بالانتباه
اوكثير من المصلين اومن حقه ان يشهده الجم الغفير والآية جامعة للصلوات
الخمس ان فسر الدلوك بالزوال ولصلوة الليل وحدها ان فسر بالغروب
وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل
بيان لمبدأ الوقت ومنتهاه واستدل به على ان الوقت يمتد الى غروب
الشفق ﴿ ومن الليل فتهجد به ﴾ وبعض الليل فاترك الهجود للصلوة والضمير
للقرآن ﴿ نافلة لك ﴾ فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة اوفضيلة لك
لاختصاص وجوبه بك ﴿ عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ﴾ مقاما
يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق فى كل مقام يتضمن كرامة
والمشهور انه مقام الشفاعة لما روى ابوهريرة رضى الله تعالى عنه انه
عليه الصلوة والسلام قال هوالمقام الذى اشفع فيه لامتى ولاشعاره
بان الناس يحمدونه لقيامه فيه وماذاك الامقام الشفاعة وانتصابه على
الظرف باضمار فعله اى فيقيمك مقاما اوبتضمين يبعثك معناه اوالحال
بمعنى ان يبعثك ذامقام ﴿ وقل رب ادخلنى ﴾ اى فى القبر ﴿ مدخل صدق ﴾
ادخالا مرضيا ﴿ واخرجنى ﴾ اى منه عند البعث ﴿ مخرج صدق ﴾ اخراجا

ملتى بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخال
مكة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار
واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه
منه مؤديا حقه وقيل ادخاله فى كل مايلابسه من مكان اوامر واخراجه
منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلنى فادخل دخولا
واخرجنى فاخرج خروجا ﴿ واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا ﴾ حجة
تنصرنى على من خالفنى اوملكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب له
بقوله فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم
فى الارض ﴿وقل جاءالحق﴾ الاسلام ﴿ وزهق الباطل ﴾ وذهب وهلك
الشرك من زهق روحه اذاخرج ﴿ان الباطل كان زهوقا﴾ مضمحلاغيرثابت
عن ابن مسعود انه عليه الصلوة والسلام دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلاثمائة
وستون صنما فجعل ينكت بمخصرته فى عين واحد واحد منها فيقول جاءالحق
وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقى صنم خزاعة فوق الكعبة
وكان من صفر فقال ياعلى ارم به فصعد فرمى به وكسره ﴿ وننزل من القرآن
ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ ماهو فى تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم
كالدواء الشافى للمرضى ومن للبيان فان كله كذلك وقيل انه للتبعيض والمعنى
ان منه مايشفى من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء وقرأ البصريان ننزل
بالتخفيف ﴿ ولايزيد الظالمين الاخسارا ﴾ لتكذيبهم وكفرهم به ﴿ واذا
انعمنا على الانسان﴾ بالصحة والسعة ﴿اعرض﴾ عن ذكر الله ﴿ونأى بجانبه﴾
لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كأنه مستغن مستبد بامره ويجوز ان يكون
كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقرأ ابن عامر برواية
ابن ذكوان هنا وفى فصلت وناء على القلب اوعلى انه بمعنى نهض
﴿ واذا مسه الشر ﴾ من مرض اوفقر ﴿ كان يؤوسا ﴾ شديد اليأس
من روح الله ﴿ قل كل يعمل على شاكلته ﴾ قل كل احد يعمل على طريقته
التى تشاكل حاله فى الهدى والضلالة اوجوهر روحه واحواله التابعة
لمزاج بدنه ﴿فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا﴾ اسد طريقا وابين منهجا
وقدفسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ﴿ ويسألونك عن الروح ﴾
الذى يحيى به بدن الانسان ويدبره ﴿قل الروح من امر ربى﴾ من الابداعيات
الكائنة بكن من غير مادة وتولد من اصل كاعضاء جسده اووجد

بامره وحدث بتكوينـــه على انالســؤال من قدمه وحدوثه وقيل مما
استأثره الله بعلمه لماروى ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف
وعن ذى القرنين وعن الروح فان اجاب عنهمــا اوسكت فليس بنبي وان
اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر
الروح وهو مبهم فى التورية وقيل الروح جبريل عليه السلام وقيل خلق اعظم
من الملك وقيل القرآن ومن امر ربى معناه من وحيه ﴿ وما اوتيتم من العلم
الاقليلا ﴾ تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف النظرية
انماهو من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد
حسا فقد فقد علما ولعل اكثر الاشياء لايدركه الحس ولاشيئا من احواله
المعرفة لذاته وهو اشارة الى ان الروح ممالايمكن معرفة ذاته الابعوارض
تميزه عمايلتبس به فلهذا اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى فى جواب
ومارب العالمين بذكر بعض صفاته روى انه عليه الصلوة والسلام لماقال لهم
ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطــاب فقــال بل نحن وانتم فقــالوا
ماعجب شأنك ســاعة تقول ومن يؤت الحكمة فقــد اوتى خيرا كثيرا
وساعة تقول هذا فنزلت ولوان مافى الارض من شجرة اقلام وماقالوه
لســوء فهمهم لان الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير والحق ماتسعه الطاقة
البشرية بل ما ينتظم به معاشــه ومعــاده وهو بالاضافة الى معلومات الله
التى لانهاية لهــا قليل ينال به خير الدارين وهو بالاضافة اليه كثير
﴿ ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينــا اليك ﴾ اللام الاولى موطئة للقسم
ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن
ومحوناه من المصاحف والصدور ﴿ ثم لاتجدلك به علينا وكيلا ﴾ من يتوكل
علينــا استرداده مستورا محفوظا ﴿ الارحمة من ربك ﴾ فانهــا ان نالتك
فلعلها تســترده عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة
من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنــانا بابقائه بعد المنة فى تنزيله
﴿ ان فضله كان عليك كبيرا ﴾ كارساله وانزال الكتــاب عليه وابقــائه
فى حفظه ﴿ قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن ﴾
فى البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى ﴿ لا يأتون بمثله ﴾ وفيهم العرب العرباء
وارباب البيان واهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام
الموطئة ولولاهى لكان جواب الشرط بلاجزم لكون الشرط ماضيــا

كقول زهير * وان اتاه خليل يوم مسئلة * يقول لاغائب مالى ولاحرم
(ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا) ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله
لم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لايخرجه عن كونه معجزة ولانهم كانوا
وسائط فى اتيانه ويجوز ان يكون الآية تقريرا لقوله ثم لاتجد لك به علينا
وكيلا (ولقد صرفنا) كررنا بوجوه مختلفة زيادة فى التقرير والبيان
(للناس فى هذا القرآن من كل مثل) من كل معنى هو كالمثل فى غرابته
ووقوعه موقعا فى الانفس (فابى اكثر الناس الا كفورا) الاجحودا
وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت الازيدا لانه متأول بالنفى (وقالوا ان نؤمن
لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا) تعنتا واقتراحا بعد مالزمتهم الحجة
ببيان اعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرأ الكوفيون
ويعقوب تفجر بالتخفيف والارض ارض مكة والينبوع عين لاينضب
ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر (او تكون له جنة
من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا) او يكون لك بستان يشتمل
على ذلك (او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) يعنون قوله تعالى او نسقط
عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وابو عمرو
وحمزة والكسائى ويعقوب فى جميع القرآن الا فى الروم وابن عامر
الا فى هذه السورة وابو بكر ونافع فى غيرهما وحفص فيما عدا الطور وهو اما
مخفف من المفتوح كسدر وسدر او فعل بمعنى مفعول كالطحن بمعنى المطحون
(او تأتى بالله والملائكة قبيلا) كفيلا بما تدعيه اى شاهدا على صحته ضامنا
لدركه او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة
لدلالتها عليها كما حذف الخبر فى قوله * ومن يك امسى بالمدينة رحله *
فانى وقيار بها لغريب * او جماعة فيكون حالا من الملائكة (او يكون لك
بيت من زخرف) من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة (او ترقى فى السماء)
فى معارجها (ولن نؤمن لرقيك) وحده (حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه)
وكان فيه تصديقك (قل سبحان ربى) تعجبا من اقتراحاتهم او تنزيها لله
من ان يأتى او يتحكم عليه او يشاركه احد فى القدرة وقرأ ابن كثير وابن عامر
قال سبحان ربى اى قال الرسول (هل كنت الا بشرا) كسائر الناس (رسولا)
كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على مايلائم
حال قومهم ولم يكن امر الآيات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله حتى

يخبرونها على ان هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل فقد ذكر فى آيات اخر كقوله * ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس * ولو فتحنا عليهم بابا ﴿ وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ﴾ اى ومامنعهم الايمان بعد نزول الوحى وظهور الحق ﴿ الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا ﴾ الا قولهم هذا والمعنى انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم والقرآن الا انكارهم ان يرسل الله بشرا ﴿ قل ﴾ جوابا لشبهتهم ﴿ لو كان فى الارض ملائكة يمشون ﴾ كما يمشى بنو آدم ﴿ مطمئنين ﴾ ساكنين فيها ﴿ لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ﴾ لتمكنهم من الاجتماع به والتلقى منه واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس وملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا والاول اوفق ﴿ قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ﴾ على انى رسول الله اليكم باظهار المعجزة على وفق دعواى او على انى بلغت ماارسلت به اليكم وانكم عاندتم وشهيدا نصب على الحال او التميز ﴿ انه كان بعباده خبيرا بصيرا ﴾ يعلم احوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وتهديد للكفار ﴿ ومن يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه ﴾ يهدونه ﴿ ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم ﴾ يسحبون عليها او يمشون بها روى انه قيل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذى امشاهم على اقدامهم قادر ان يمشيهم على وجوههم ﴿ عميا وبكما وصما ﴾ لايبصرون مايقر اعينهم ولايسمعون مايلذ مسامعهم ولاينطقون بمايقبل منهم لانهم فى دنياهم لم يستبصروا بالآيات والعبر وتصاموا عن استماع الحق وابوا ان ينطقوه بالصدق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار مؤوفى القوى والحواس ﴿ مأواهم جهنم كلما خبت ﴾ سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم ﴿ زدناهم سعيرا ﴾ توقدا بان تبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة بهم كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء واليه اشار بقوله ﴿ ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا ﴾ لان الاشارة الى ماتقدمه من عذابهم ﴿ اولم يروا ﴾ اولم يعلموا ﴿ ان الله الذى خلق السموات

والأرض قادر على ان يخلق مثلهم ﴾ فانهم ليسوا اشد خلقا منهن ولا الاعادة اصعب عليه من الابتداء ﴿ وجعل لهم اجلا لا ريب فيه ﴾ هو الموت او القيمة ﴿ فأبى الظالمون ﴾ مع وضوح الحق ﴿ الا كفورا ﴾ الا جحودا ﴿ قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى ﴾ خزائن رزقه وسائر نعمه وانتم مرفوع بفعل يفسره مابعده كقول حاتم * لو ذات سوار لطمتنى * وفائدة هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة على الاختصاص ﴿ اذن لامسكتم خشية الانفاق ﴾ لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشئ فانما يؤثره لعوض يفوقه فهو اذن بخيل بالاضافة الى جود الله تعالى وكرمه هذا وان البخلاء اغلب فيهم ﴿ وكان الانسان قتورا ﴾ بخيلا لان بناء امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذله ﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ﴾ هى العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بنى اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الثلاثة الاخيرة وعن صفوان ان يهوديا سأل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عنها فقال ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربوا ولا تمشوا ببرئ الى ذى سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا فى السبت فقبل اليهودى يده ورجله فعلى هذا المراد بالآيات الاحكام العامة للملل الثابتة فى كل الشرائع سميت بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها فى الآخرة من السعادة والشقاوة وقوله وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا حكم مستأنف زائد على الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام ﴿ فاسئل بنى اسرائيل اذ جاءهم ﴾ فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك او سلهم عن ايمانهم وحال دينهم ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسأل على لفظ المضى بغير الهمز وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا او سأل على هذه القراءة او فاسئل يا محمد بنى اسرائيل عما جرى بين موسى عليه السلام وفرعون اذ جاءهم او عن الآيات ليظهر للمشركين صدقك او لتتسلى نفسك او لتعلم انه تعالى لو أتى بما اقترحوه لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد يقينك لان تظاهر الادلة يوجب قوة اليقين وطمأنينة القلب وعلى هذا كان اذ نصبا بآتينا او باضمار يخبروك على انه جواب

الامر اوباضمار اذكر على الاستئناف ﴿ فقال له فرعون انى لأظنك ياموسى مسحورا ﴾ سحرت فتخبط عقلك ﴿ قال لقد علمت ﴾ يافرعون وقرأ الكسائى بالضم على اخباره عن نفسه ﴿ ماانزل هؤلاء ﴾ يعنى الآيات ﴿ الارب السموات والارض بصائر ﴾ بينات تبصرك صدقى ولكنك تعاند وانتصابه على الحال ﴿ وانى لاظنك يافرعون مثبورا ﴾ مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ماثبرك عن هذا اى ماصرفك اوهالكاقارع ظنه بظنه وشتان مابين الظنين فان ظن فرعون كذب محض وظن موسى عليه السلام يحوم حول اليقين من تظاهر اماراته وقرئ وان اخالك يافرعون لمثبورا على ان المخففة واللام هى الفارقة ﴿ فاراد ﴾ فرعون ﴿ ان يستفزهم ﴾ ان يستخف موسى عليه السلام وقومه وينفيهم ﴿ من الارض ﴾ ارض مصر اوالارض مطلقا بالقتل والاستئصال ﴿ فاغرقناه ومن معه جميعا ﴾ فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق ﴿ وقلنا من بعده ﴾ من بعد فرعون واغراقه ﴿ لبنى اسرائيل اسكنوا الارض ﴾ التى اراد ان يستفزكم منها ﴿ فاذا جاء وعد الآخرة ﴾ الكرة اوالحيوة اوالساعة اوالدار الآخرة يعنى قيام القيمة ﴿ جئنا بكم لفيفا ﴾ مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى ﴿ وبالحق انزلناه وبالحق نزل ﴾ اى وماانزلنا القرآن الاملتبسا بالحق المقتضى لانزاله ومانزل الاملتبسا بالحق الذى اشتمل عليه وقيل وماانزلناه من السماء الامحفوظا بالرصد من الملائكة ومانزل على الرسول الامحفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله اراد به نفى اعتراء البطلان له اول الامر وآخره ﴿ وماارسلناك الامبشرا ﴾ للمطيع بالثواب ﴿ ونذيرا ﴾ للعاصى من العقاب فلاعليك الاالتبشير والانذار ﴿ وقرآنا فرقناه ﴾ نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنافيه الحق من الباطل فحذف الجار كما فى قوله ويوماشهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل فى تضاعيف عشرين سنة ﴿ لتقرأه على الناس على مكث ﴾ على مهل وتؤدة فانه ايسر للحفظ واعون فى الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ﴿ ونزلناه تنزيلا ﴾ على حسب الحوادث ﴿ قل آمنوا به اولا تؤمنوا ﴾ فان ايمانكم بالقرآن لايزيده كمالا وامتناعكم عنه لايورثه نقصانا وقوله ﴿ ان الذين اوتوا العلم من قبله ﴾ تعليل له اى ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرأوا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحى وامارات النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل اورأوا نعتك وصفة ماانزل اليك فى تلك الكتب

ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولاتكترث بايمانهم واعراضهم (اذا يتلى عليهم) القرآن (يخرون للاذقان سجدا) يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله اوشكرا لانجاز وعده فى تلك الكتب ببعثة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم على فترة من الرسل وانزال القرآن عليه (ويقولون سبحان ربنا) عن خلف الوعد (ان كان وعد ربنا لمفعولا) انه كان وعده كائنا لامحالة (ويخرون للاذقان يبكون) كرره لاختلاف الحال او السبب فان الاول للشكر عند انجاز الوعد والثانى لما اثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله وذكر الذقن لانه اول مايلقى الارض من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به (ويزيدهم) سماع القرآن (خشوعا) لما يزيدهم علما ويقينا بالله (قل ادعوا الله اوادعوا الرحمن) نزلت حين سمع المشركون رسول الله يقول ياالله يارحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعوا الها آخر وقالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله فى التورية فالمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين بانهما يطلقان على ذات واحدة وان اختلف اعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو باعتبار الذات الذى هو المعبود وعلى الثانى انهما سيان فى حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو اجوب لقوله (ايا ماتدعوا فله الاسماء الحسنى) والدعاء فى الآية بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير والتنوين فى ايا عوض عن المضاف اليه وما صلة لتأكيد مافى ايا من الابهام والضمير فى فله للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام ايا ماتدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ماهو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام (ولاتجهر بصلوتك) بقراءة صلوتك حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها (ولاتخافت بها) حتى لاتسمع من خلفك من المؤمنين (وابتغ بين ذلك سبيلا) بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان الاقتصاد فى جميع الامور محبوب روى ان ابابكر رضى الله تعالى عنه كان يخفت ويقول اناجى ربى وقد علم حاجتى وعمر رضى الله تعالى عنه كان يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابابكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه لاتجهر بصلوتك كلها ولاتخافت بها

باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات نهارا والجهر ليلا (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك) والالوهية (ولم يكن له ولى من الذل) ولى يواليه من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته نفى عنه ان يكون له مايشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا واضطرارا ومايعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذى يستحق جنس الحمد لانه كامل الذات المنفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق وماعداه ناقص مملوك نعمة اومنعم عليه ولذلك عطف عليه قوله (وكبره تكبيرا) وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ فى التنزيه والتمجيد واجتهد فى العبادة والتحميد ينبغى ان يعترف بالقصور عن حقه فى ذلك * روى انه عليه الصلوة والسلام اذاافصح الغلام من بنى عبدالمطلب علمه هذه الآية وعنه عليه السلام من قرأ سورة بنى اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار فى الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية

(تم طبع الجلد الاول ويليه الجلد الثانى انشاءالله تعالى)

